

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداء وشكر و إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وما من إله بحق إلا الله، والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا وحبيبنا محمد خليل الله وبعد

فإني أشكر الله العظيم على جزيل عطائه وواسع فضله، أن خلقنا ورزقنا وأذن لنا بعبادته وذكره وشكره، اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما تحب ربنا وترضى. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم ارزقنا علماً نافعا وعملاً صالحاً متقبلاً ورزقاً طيباً واسعاً.

ومن شكر الله فإني أشكر كل من أحسن إلي في إعداد هذا البحث بأي وجه من الوجوه: بنصيحة أو كلمة أو مرجع أو تقويم، ومن أخصهم شيخي الفاضل، وأستاذه الكريم الأستاذ الدكتور: غازي بن غزالي المطيري - حفظه الله - الذي منحني وقته، وسعة علمه، وصبر على مثلي، فأسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتكم.

وقل إن نثل بالود منك محبة *** فلا مثل ما لاقيت من حبكم حب

وأهدي عملي هذا لكل مسلم يحب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، ويعمل على نصرة الكتاب والسنة، وأولهم خادم الحرمين الشريفين، الذي منحنا هذه الفرصة لإكمال دراستنا، وسهل لنا طريقها، فاللهم وفقه وسدده وإخوانه وأعوانه، وأعنه على أمر الدنيا والدين ووفقه لما فيه خير البلاد والعباد ونصرة الإسلام وصالح المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

الباحث

محمد سعيد بن أحمد بن ناصر القراني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ^(١)

(يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ^(٢)

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ فَكَذَّبَ عَنْهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا فَلَوْلَا فَتْنَتُهُمْ بِهِمْ مُّعَذِّبَتٌ لَهُمْ فِي النَّارِ) ^(٣)

(أَمَّا بَعْدُ،،، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ) ^(٤) (وكل ضلالة في النار) ^(٥)

إن الإسلام هو الدين الكامل الشامل، وهو خاتم الأديان السماوية، قد جاء بالخير وسعادة الإنسان؛ بما تضمنته شريعته السمحة من المعاني العظيمة، والمباني الحكيمة، سواء كان في العقيدة والأحكام أو العلاقات والمعاملات أو الآداب والأخلاق، وإن المتأمل ليدرك ذلك في كل دقيقة من تشريعاته في الأوامر والنواهي؛ فيجد الحكمة والعدل والوسطية والتوازن، ومن أهم ما جاء به الشرع الحكيم تحقيق معنى المحبة السوي في الأرض لينعم الناس بحياة هائلة، ويسعدوا في الدنيا والآخرة، وهذه المحبة تحفها الغرائز والشهوات، والأعمال والمكتسبات، ولا تزكو إلا إذا انطلقت من حب الله و محابه، وحب رسوله ﷺ وفق أوامر الشرع الحكيم، والدعاة إلى الله من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم على الحق المبين، هم أهل البلاغ والبيان، وهم أجدر الناس بصفة المحبة والدعوة إليها، وقد ذكر الله هذه الصفة في القرآن الكريم، في أكثر من

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ليجعلوها بين يدي كلامهم. انظر: سنن أبي داود - كتاب النكاح - باب خطبة الحاجة. واللفظ له، حديث رقم: ٢١٢٠ (٢٠٣/٢) وصححه الألباني. وانظر: سنن الترمذي: كتاب - النكاح باب خطبة الحاجة، حديث رقم: ١١٠٥ (٤١٣/٣). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود ﷺ. حديث رقم: ٣٧٢٠ (٣٩٢/١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: صحيح.

(٥) هذه من مفتتح خطبة النبي ﷺ. صحيح مسلم (كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: ٢٠٤٢ (١١/٣)).

(٦) سنن النسائي - كتاب صلاة العيدين - باب كيف الخطبة. حديث رقم: ١٥٧٨ (١٨٨/٢) وصححه الألباني.

سبعين موضعا، وجاء ذكرها في محاب الله ومساخطه، وفي غرائز الإنسان ودوافعه، وفي الذات والصفات، ولوازم الحياة، وعلاقتها بالدعوة والدعاة، وهذا الذكر العظيم لها من الله جل جلاله؛ أعطاهما قدرا عظيما، ومترلا كريما في نفوس الناس، وأصبحت ذات قيمة عظيمة يحرص الكل عليها وعلى التعامل بها، وهذا ما دفعني ذلك جعلني أقدم على دراسة (الحبة) من زاوية موضوعية دقيقة تخص المجال الدراسي لي في علم الدعوة، وهي أثر الحبة في الدعوة إلى الله تعالى؛ ببيان أثرها في الداعية والمدعو، وطرق إيصال مضامين الدعوة ومجالاتها، ودور الدعاة في بيان أثرها على الفرد والمجتمع، واخترت لذلك العنوان التالي :

(الحبة في الكتاب والسنة وأثرها في الدعوة إلى الله)

أهمية الموضوع

إن الحبة من الصفات المرغوبة في الإنسان، ولها متعلقات بالقلب وأحواله، ولها دور في زكاة النفس وخبثها، وتتجلى في سلوك الفرد وتصرفاته، وتتضح في جبلته وأخلاقه، تتضمن في حقيقتها مجموعة من المشاعر والأحاسيس، التي تنطلق من الداخل؛ لتشمل أفعال الإنسان وأقواله، في نطاق حياته ومعتقداته، ومتى ارتسم الإنسان لنفسه طريق الخير والسعادة باتباع رسالة الله ومنهج أنبيائه، استطاع أن يصل إلى أعلى مستويات الحبة، في جوهرها الزكي النقي الطاهر، حيث تقوم على قاعدة التغير لا الثبات، ولها علاقة وثيقة بالتربية والنشأة، وهي مجمع لصفات جمّة في كيان الإنسان، تحكم معاشه مع الآخرين من البشر، وركيزة في تعامله مع مُقدِّرات الحياة المادية والمعنوية، وبها يدخل الإنسان إلى سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا هو الهدف الأسمى للدعوة والدعاة؛ فمن أجل ذلك يظهر جليا أثر الحبة في الدعوة إلى الله تعالى. ولا يمكن تعداد الأحوال التي تنبثق منها الحبة، أو حصر المواقف التي تنطوي في أسبابها ونتائجها، ولا يمكن جمع الأحداث المؤثرة لآثارها، ولكن من الأهمية بمكان وضع هذه الصفة في ميزان الاعتدال، ودراسة المقاييس والضوابط الشرعية التي توضح حدودها الإيجابية ليسعد الإنسان بها، ولا يمكن ذلك إلا بالرجوع إلى المصدر الشرعي العظيم - القرآن الكريم - الذي أنزله الله تبارك وتعالى لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وبالرجوع إلى السنة النبوية الصحيحة التي أكدت المعاني الفعلية والقولية لهذه الصفة، وسمت بها في حياة المسلم بأجل وأنقى الآثار المكتسبة منها، والمنبثقة عنها، وبينت حدود الحبة الجالبة لسعادة المرء وكرامته، وحدود الحبة الموصدة لطريق الحق والهدى عن صاحبها، والتي بها تكون المهلكة، نعوذ برضا الله من سخطه، وهو ما حاولت بيانه في هذه الدراسة، رابطا ذلك بأعظم مهمات المسلم في المجتمع، وهي: الدعوة إلى الله تعالى. وموضوع الحبة، موضوع شامل لجميع جوانب الحياة العقدية والعبادية والمعاملات والأخلاق والسلوك، و الحبة مشاعر خفية، كسائر المعاني يصعب تقديرها إلا من خلال التشخيص الدقيق لأسبابها وآثارها، فإن المعاني عكس الأمور المادية المحسوسة التي يسهل التشخيص لها وحصر نتائجها؛ لذا حاولت الالتزام بالتأصيل اللغوي والتحليل المعنوي لمفردات الآيات والأحاديث

النبوية المتعلقة بالحب، وفق أقوال المفسرين وأهل الحديث واللغة، دون التعمق في الفروع مع البقاء على الأصول الثابتة التي جاءت بها الشريعة. و اقتصر في الدراسة على الهدف الأساس، وهو معاني الحبة الصريحة المباشرة الواردة في الآيات القرآنية والسنة النبوية بلفظ الحب وتصريفاته اللغوية، والاستعانة بالمعاني المتعلقة به في الإيضاح كهدف مساند وليس مقصودا في ذاته، وذلك حسب فروع البحث ومتطلباته. وقمت بتوظيف معاني الحبة الصريحة المباشرة، في شؤون الدعوة وأركانها الأساسية: الداعية والمدعو وطرق إيصال مضامين الدعوة، من الأساليب والوسائل في نطاق أهم المجالات المعتمدة من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات.

أسباب اختيار الموضوع

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم، والمتأمل للسنة النبوية؛ يجد الحدود والمقاييس الضابطة لصفة الحبة في حياة الإنسان، وعند تتبعي للدراسات السابقة في باب الحبة، وجدت الكتابة تركز في جوانب محددة متكررة هي الصفات والمشاعر العاطفية غالبا، ولم أجد من يربط بين هذه الصفة الهامة في حياة الناس وبين الدعوة وشؤونها وآثارها، والذي من خلاله نفتح بابا من أبواب الهدى والخير للداعية والمدعو، ونسهم في انطلاقة الدعوة بصورتها الشرعية المضيئة بنور الكتاب والسنة، القائمة على الأصول الثابتة، وأوجز أسباب اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

١- تضمنت آيات القرآن الكريم الحبة في جميع جوانب الحياة، الدينية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهكذا الدعوة إلى الله مرتبطة بجميع جوانب الحياة، وسمتها بث الهدى والخير والحب بين الناس في الأرض، من حب الله والحب فيه، وحب الإيمان، وحب الرسول ﷺ، وحب التوازن والاعتدال في جميع الشؤون الشخصية والاجتماعية.

٢- تجلت صفة الحبة وآثارها في السنة النبوية الصحيحة، وهي خير دليل يقتفى في بيان أهمية هذه الصفة وعلاقتها بالدعوة إلى الله؛ لما لها من أهمية كبرى وأثر عظيم في الحياة الفردية والاجتماعية.

٣- إن النبي ﷺ إمام الدعاة وخاتم الأنبياء والمرسلين، استطاع أن يستميل الناس إلى حب الله وحب دينه فأحبوه، وأجابوا دعوته واتبعوا دينه ودعوا إليه. وهو القدوة والأسوة الحسنة ﷺ.

٤- الهداية أعز المطالب التي يدعو إليها الدعاة، وإن دعوة أصناف من المدعويين الذين استحبوا العمى على الهدى؛ يكمن في تغيير هذا الحب السلبي إلى عكسه، ويكون هذا ببيان حقيقة الحبة في شكلها الإيجابي المتوازن.

٥- اكتساب الحبة له طرق عديدة حري بمن يدعو إلى الله أن يسبر غورها، ويكشف جوهرها؛ لتكون له عوناً في تبليغ دعوة الله، وأن استخدام الحب في الدعوة إلى الله قد دلت عليه السنة.

٦- قد تكون الحبة أحد العوائق المانعة عن استجابة المدعو إلى دعوة الحق، ومن هذه العوائق: حب الدنيا على الآخرة أو الولاء الاعتقادي أو المصالح النفعية الخاصة أو التعصب للموروثات الاجتماعية؛ مما يكون له الأثر على الدعوة، كولاء اليهود والنصارى بعضهم لبعض، والمنافقين بعضهم لبعض. وقد تكون الحبة أحد العوامل المسببة للهداية، كما كان النبي ﷺ يفعل بإعطاء محبي المال والجاه العطاء الكثير؛ تأليفاً لقلوبهم وطمعاً في هدايتهم أو ثباتهم على الهداية.

٧- أهمية بيان أثر الحبة في أساليب الدعوة من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن والجهاد في سبيل الله.

٨- أهمية بيان أثر الحبة في وسائل الدعوة ومجالاتها.

٩- إن الحبة محور التماسك في العلاقات الفردية والاجتماعية، وبفقدانها يكون الخلل في النظام الاجتماعي، والدعاة إلى الله لهم الأثر الفعال في تكوين وتغذية هذا المصدر، عن طريق الاستبصار بمكامن الحبة وطرقها وإغنائها، وتقديم العلاج للمرضى منها، والتوعية بطرق الوقاية من أمراضها.

١٠- بواعث الحب المحمود في المجتمع دليل على النجاح والتكافل، وسبيل للسعادة البشرية، ونشر الخير في مناحي الحياة، وذلك مقصد من مقاصد الشريعة التي يسعى الدعاة إلى تحقيقه عقيدة وعبادة وخلقا ومسلكا.

١١- الدعوة والدعاة اليوم في أمس الحاجة إلى الحب، وبث روح الحبة على مستوى الذات والعلاقات، و على مستوى التنسيق العام وتقويم النتائج، ولا يقوم ذلك إلا بالتمسك بالأصل الشرعي العظيم - القرآن والسنة - منهلا ومنهجاً.

١٢- محاب الله ومساخطه عليها مدار السعادة والشقاوة للفرد والمجتمع، وقد تضمن القرآن الكريم محاب الله ومساخطه بكلمات صريحة منها الحب.

١٣- الدروس الدعوية في باب الحبة وأثرها في الدعوة، من خلال تحليل المواقف ورصد القواعد وتحصيل النتائج، هدف أولي من الدراسة، في حدود المقاصد ومستلزمات الموضوع الرئيسة، وقدرة الباحث .

مشكلة الدراسة

تتضح مشكلة البحث من عنوان الدراسة، وهو أن للمحبة آثاراً في الدعوة إلى الله، تتجلى من خلال تتبع آيات القرآن الكريم والسنة النبوية، بالبحث والدراسة والتي تتأكد من خلال الإجابة على عدة تساؤلات تمثل فروض البحث، وهي:

س: ما مفهوم الحبة في مصادر الدعوة : ما تعريفها ؟ وما فضلها ؟ وما أنواعها ؟ وما أحكامها؟

س: ما دلالة الحبة في القرآن الكريم على محاب الله و مساخطه ؟

س: ما تأثير الحبة من خلال الكتاب والسنة، على العلاقات في الصلوات الحميدة والصلوات الذميمة ؟

س: ما موجبات محبة الله في القرآن والسنة ؟

- س: ما أثر الحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية على الداعية والمدعو ؟
- س: ما أثر الحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية على أساليب ووسائل الدعوة ؟
- س: ما أثر الحبة في مجالات الدعوة من خلال آيات القرآن الكريم، والأحاديث الثابتة في السنة النبوية ؟
- س: ما دور الدعاة في بيان معاني الحبة، وحدودها وآثارها: ما الدور الإنمائي؟ وما الدور العلاجي ؟ وما الدور الوقائي ؟

منهج البحث

لقد اعتمدت في هذه الدراسة بفضل الله وقدرته ومشيئته على ثلاثة مناهج:

- ١- المنهج الاستقرائي: أحد فروع الأسلوب الوصفي، في عرض مشكلة البحث وتبعتها بوصف الحالة، وتحديد فروضها واستقراء موضوعاتها وحصر نتائجها.
 - ٢- المنهج التحليلي: منهج تحليل النظم المرتبط بالأسلوب الوصفي، وهو الذي به يمكن من خلاله تحليل العلاقات والروابط بين أجزاء الظاهرة المدروسة، أو الربط بين مكوناتها والوصول إلى النتائج بشكل سليم وناجح.
 - ٣- المنهج التاريخي: قمت بالدراسة التوثيقية وجمع الحقائق والمعلومات في حدود زمنية ومكانية معينة، حسب الحاجة ضمن تقسيمات البحث.
- واعتمدت - بحمد الله تعالى - على الخطوات المنهجية التالية:
- ١- الاعتماد على المصادر الأصلية.
 - ٢- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها، مع كتابتها بالرسم العثماني.
 - ٣- عزوت الأحاديث والآثار الواردة في البحث، وإذا كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وما ليس فيهما عزوته إلى مصادره من كتب الحديث، مع التأكد من أقوال المحققين أهل التخصص، وحكمهم عليها.
 - ٤- الاقتصار على إيراد الصحيح والحسن من الروايات، والبعد عن الضعيف منها حسب أقوال المحققين. مع الإشارة إلى ما فيه ضعف حين الحاجة لذلك. ولم يرد في الدراسة حسب الإحصاء الأولي إلا أقل من عشرين حديثاً فيها ضعف، من أصل قارب الألف حديث في كامل الدراسة، وأغلب هذه الأحاديث الضعيفة، ضعيفة سنداً لا متناً، حيث تتوافق أغلب معانيها مع مقاصد الشريعة وأحكام الدين، بل إن أجزاء من بعضها في أحاديث صحيحة.
 - ٥- التوثيق الداخلي للنصوص المقتبسة من المصادر والمراجع، بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب.
 - ٦- توثيق الأقوال والآثار المنسوبة إلى أهل العلم، من مصادرها الأصلية.

٧- ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٨- التعريف الموجز بالأماكن والبلدان والقبائل والفرق، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٩- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٠- تذييل البحث بالفهارس الفنية اللازمة، على النحو المبين في الخطة.

خطة البحث المفصلة لموضوعاته

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس فنية

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومشكل الدراسة وفروضها وخطة البحث ومنهجه
التمهيد: ركائز المحبة في الشريعة

الباب الأول

مفهوم المحبة في مصادر الدعوة، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مفهوم المحبة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المحبة وفضائلها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المحبة

المطلب الثاني: فضائل المحبة

المبحث الثاني: أنواع المحبة وأحكامها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع المحبة

المطلب الثاني: أحكام المحبة

الفصل الثاني: وصف المحبة في الكتاب والسنة وتأثيرها في العلاقات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وصف محاب الله ومساخطه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محاب الله في الكتاب والسنة

المطلب الثاني: مساخط الله في الكتاب والسنة

المبحث الثاني: تأثير المحبة في العلاقات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصلوات الحميدة

المطلب الثاني: الصلوات الذميمة

الفصل الثالث: موجبات محبة الله في القرآن والسنة النبوية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تحقيق التوحيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقسام التوحيد

المطلب الثاني: الولاء والبراء

المبحث الثاني: الفرائض والنوافل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفرائض

المطلب الثاني: النوافل

الباب الثاني

أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب والسنة، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أثر المحبة في الداعية والمدعو، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصفات

المطلب الثاني: العلاقات

المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلب الهداية

المطلب الثاني: عوائق الاستجابة

الفصل الثاني: أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر المحبة في أساليب الدعوة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحكمة والموعظة الحسنة

المطلب الثاني: الجدال والجهاد

المبحث الثاني: أثر المحبة في وسائل الدعوة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوسائل المعنوية

المطلب الثاني: الوسائل المادية

الفصل الثالث: أثر المحبة في مجالات الدعوة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة والعبادات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العقيدة

المطلب الثاني: العبادات

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق والمعاملات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأخلاق

المطلب الثاني: المعاملات

الباب الثالث

دور الدعاة في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دور الدعاة الإنمائي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

الفصل الثاني: دور الدعاة العلاجي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

الفصل الثالث: دور الدعاة الوقائي وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

نتائج الدراسة و الخاتمة

الفهارس

التمهيد

ركائز المحبة في الشريعة الإسلامية

لقد جاءت شريعة الإسلام الخاتمة، موافقة للديانات السماوية في أصول العقيدة، من توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له، وطاعته باتباع رسله، والإيمان بملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فوعد الله المؤمنين والمؤمنات الجنة على محبة منه ورضوان، حين طهرت القلوب بالإيمان الصادق، وزكت النفوس بالأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسِعًا) (١)، قال البغوي في تفسيره: (أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين) (٢)، وقال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣) وهذا الفوز العظيم في حق الذكر والأنثى، سواء بسواء؛ لمن تحلى بزيينة الإيمان من أهل الصلاح، ووفق إلى الإحسان في الدين والدنيا، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) (٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (٥) فَإِنْ مِنْ أَكْبَرُ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَارِ، نبي الله ورسوله إبراهيم عليه السلام، قال الإمام ابن كثير يرحمه الله في تفسيره: (وإنما سمي خليل الله لشدة محبة ربه ﷻ، لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها) (٦) ومع تقادم الزمان وطغيان الأهواء والشهوات، وتعدد المشارب واختلاف المنازع؛ فقد أدى ذلك إلى اختلال الشرائع، بما أحدثه الأتباع من التبديل والتحريف، حيث قادهم الشيطان إلى الكفر والاختلاف، ومن ضمن ما أحدثوه، حصر محبة الله في فئة من الناس دون البشر، وأنهم شعب الله المختار، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وسلبوا المحبة من بينهم، بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء، مع استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، فأخذوا الربا وأكلوا السحت وصدوا عن سبيل الله، وقال الله تعالى في حقهم: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) (٧) وقال الله تعالى عن حالهم: (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٨) لَوْلَا يَهْتَمُّ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

(١) سورة مريم: ٩٦.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٥، ص: ٢٥٧.

(٣) سورة التوبة: ٧٢.

(٤) سورة النساء: ١٢٤-١٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ٤٢٣.

(٦) سورة التوبة: ٣٤.

أَلَسَّحَتْ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(١) وحيث استحقوا عقوبة الله، فقد شاعت بينهم العداوة والبغضاء، وغضب الله عليهم ولعنهم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة. وعلى حين فترة من الرسل، بُعث نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بالقرآن، مهيمنا على سائر الكتب، وبالإسلام تبعا لملة إبراهيم حنيفا، وبشريعة كاملة المعاني والمباني للناس كافة، أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا، يدعو إلى الصراط المستقيم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله، فأتم الله به النعمة وأقام به الحجة، وأكمل به الدين، فقد جاءت شريعة الإسلام بالبينات في دقيق الأمور و جليلها، وميزان العدل والشمول في جميع شؤون الحياة، ومن عظيم ما جاءت به، تحقيق معنى المحبة في أكمل معانيها وأسمى غاياتها، شاملة لحقوق الله تعالى وحقوق غيره، و مبينة لحقائق الدين في النهي والأمر، ومعالم الدنيا بأسرها حتى النملة في جحرها، ووعد الآخرة ووعيدها، وإذا أمعنا النظر فيما جاء في الكتاب والسنة عن المحبة من خبر، وجدناها تقوم على ركائز قديمة ومعان عظيمة، لها أثر بالغ ومقام عال في الدين والدنيا والآخرة، وهي أصل في طلب كل أمر موجود مرغوب، وأصل في دفع كل أمر بغض مرهوب، ومما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: (فالحجة والإرادة، أصل في وجود البغض والكراهة، والأصل في زوال البغض المكروه، فلا يوجد البغض إلا لحجة ولا يزول البغض إلا لحجة، فالحجة أصل كل أمر موجود)^(٢) فيتحقق بذلك أن المحبة أصل في الإنسان باعتبار وجوده، وجاءت الشريعة باعتبار شرعي لكل ما هو موجود، وعلى ذلك فإن المحبة في الشريعة تعتمد على ركائز عامة، تتعلق بحقيقة وجود الإنسان على الأرض، وبما قدره الله تعالى عليه، من الهبوط إليها والعيش عليها والمبعث منها، وأنها أيضا تعتمد على ركائز خاصة، تنطلق من خصائص خلق الإنسان، وما منحه الله من القدرات والملكات في الخلق والخلق، وبين الركائز العامة والركائز الخاصة تعتمد المحبة على ركائز التكليف الشرعي، متعلقة بتحقيق العبودية لله سبحانه محبة، ولزوم الإنسان أمور الشرع، في الأمر والمنع على محبة. والدعاة إلى الله يدعون إلى مطالب الشريعة من هذا المنطلق، حيث الدعوة الإسلامية تعتمد على خصيصتي: الشمول والتوازن، التي على ضوءها يُعنى الدعاة بركائز المحبة في الشريعة، وينظرون في دعوتهم إلى أحوال المدعوين العامة والخاصة، وما يحقق مقاصد الشريعة، وما تتحقق به المصلحة الشرعية في استجابة المدعو للأحكام التكليفية، زمانا ومكانا وقدرة، وهنا أعرض مثلا عظيما من السنة في ذلك، روى النسائي في سننه عن عُقْبَةَ^(٣) بْنِ مُسْلِمٍ التَّجِيبِيِّ يَقُولُ: (حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُبَلِيُّ^(٤))، عَنْ

(١) سورة المائدة: ٦٢ - ٦٣.

(٢) قاعدة في المحبة، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ص: ٩.

(٣) عقبه بن مسلم التجيبي، أبو محمد المصري القاص، إمام مسجد الجامع العتيق بمصر. قال العجلي: مصري، تابعي، ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". روى له البخاري في "الأدب"، وفي "أفعال العباد"، وروى له أبو داود، والترمذي، والنسائي. وقال أبو سعيد ابن يونس: توفي قريبا من سنة عشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٠/٢٢٣).

(٤) عبد الله بن يزيد المعافري، أبو عبد الرحمن الحبلي المصري. روى عن كثير من الصحابة، قال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". روى له البخاري في "الأدب"، وقال أبو سعيد بن يونس: يقال: توفي بأفريقية سنة مئة، وكان صالحا. انظر تهذيب الكمال للمزي (١٦/٣١٦).

الصَّنَابِحِي^(١)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ وَأَوْصِي بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِحِي، وَأَوْصِي بِهِ الصَّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَوْصِي بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ^(٢). ومن هذا الموقف الكريم وغيره ندرك الأثر البالغ لصفة المحبة في الدعوة إلى الله، حين تقوم المحبة على ركائزها في الشريعة، يأخذ النبي ﷺ بيد معاذ رضي الله عنه، ويناديه باسمه، ويقسم له بالله أنه يحبه، ويوصيه وصية مؤكدة، وصية محبة مشفق، حريص على بلوغ الخير له في كل حين، يوصيه بزم من محدد بذاته، وقت مبارك يتلو عمل صالح، هو الصلاة، يوصيه بقوله: (لا تدعن) يوصيه بعدم الترك مبالغة في الالتزام بالأمر، يوصيه بالدعاء المبارك الذي من تحقق له بلغ الفوز بالجنة، والفلاح في الدنيا والآخرة: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) وكيف رد معاذ رضي الله عنه بعميق الحب لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهي صريح المحبة في النصح والنصيحة؛ ولأن المحبة تمثل الحياة في حال التزاهة والصفاء المعتقد، وهي مطلب لكل إنسان؛ فإن ركائزها تصدر من وظيفة الإنسان في الكون، وهي ركائز لكل صفة معنوية يكون للإنسان فيها دور خاص يحقق من خلاله الغاية من وجوده، وهي العبودية لله تعالى. وللمحبة ميزات متعلقة بها كصفة، تميزها عن غيرها، وركائز المحبة في الشريعة الإسلامية تنبثق من مصادر الشريعة - الكتاب والسنة - وعليهما يكون الاجماع ومنهما يؤخذ القياس، وهما أصل الدين في الإجمال والتفصيل ، وهذا مما نبه عليه العلماء، قال الزركشي: (اعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى إن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر ويبين إجماله)^(٣)

وهنا أجمل ركائز المحبة في ثلاث ركائز: عامة وخاصة وتكليفية، وهي:

أولاً: الركائز العامة :

إن ركائز المحبة العامة تنطلق في الشريعة من فقه الإنسان وإيمانه بحقيقة الوجود والحياة، وإيمانه بالمعاد والمصير، فإن كل محبة تصدر عن الإنسان أو تصير إليه، هي محبة ركائزها عامة، بالنسبة لوجوده كمخلوق، وجد لغاية في حقيقة الوجود، وهذه الركائز هي:

(١) عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادي أبو عبد الله الصنابحي اليماني، نزيل الشام، وفد على النبي ﷺ فوجده قد مات، فصلى خلف أبي بكر وروى عنه وعن عمر وعلي وبلال وغيرهم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٠٥/٥). ذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وفي الطبقة الأولى من تابعي أهل مصر، وقال: كان ثقة قليل الحديث. رحل إلى النبي ﷺ فقبض النبي ﷺ وهو بالجحفة قبل أن يصل بخمس أو ست أو دون ذلك، ثم نزل الشام ومات بدمشق. انظر تهذيب الكمال للمزي (٢٨٣/١٧).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الوتر - باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥٢٤ (٥٦١/١) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم. واللفظ له، حديث رقم: ٢٢١٧٢. (٢٤٤/٥) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: ١٥٩٦ (٢/١١٩).

(٣) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : دار المعرفة ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ ، ج ٢ ، ص : ١٢٩ .

١) الخلق والابتلاء: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: « خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ الثَّوْرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ وَفِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ »^(١). خلق الله أبانا آدم -أبا البشر- بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء، وأسكنه وزوجه الجنة، وابتلاه فيها بالشجرة، وأخبره بعداوة إبليس له ولزوجه، وعندما وسوس لهما الشيطان واغتراء، فأكلا من الشجرة، أهبطهم الله إلى الأرض لحكمة منه سبحانه وتعالى وعدل، وغاية تقصر عقولنا عن إدراك بعدها إلا بما أخبر الله به في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٢) وبهبط آدم وزوجه عليهما السلام وإبليس إلى الأرض في عداوة.

٢) الصراع بين الخير والشر: حيث هذا الصراع يظل قائما مدى الحياة البشرية، ومعين المحبة والصفاء، يعكر صفوه نزغ الشيطان بالعداوة والبغضاء، ويبقى الأصل في آدم عليه السلام وبنيه، حب الخير وسلامة الفطرة وحب الدنيا والآخرة، وطول الأمل وحب البقاء، ويمثل ذلك ركائز المحبة العامة، التي يسعى الشيطان من خلاها إلى خداع بني آدم، والتغريب بهم، لتبديل الخير شرا، وتغيير الفطرة السوية إلى خبيث الطوية، والغرور بزينة الحياة الدنيا وإلهاء الأمل، وإيثار الدنيا على الآخرة، وصرفهم عن عبادة الله وطريق الجنة. ولقد جاءت الشريعة بالإيضاح المفصل للعلاقة بين الإنسان والشيطان في الخلق والعداوة والمصير، وطرق الخداع وعواقب الإتياع؛ بما يضمن للإنسان الصالح الوقاية والنجاة، كما أوضحت التوجيه الرباني لضبط المحبة في كل شيء، بما يضمن للإنسان الحياة السعيدة، ويجنبه حياة الضنك والشقاء، وفي بيان هذه العلاقة قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿٥٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ هَذَا الْأَدَى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٧﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٥٨﴾ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَعْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَلْقِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٥٩﴾ إِنَّ عِبَادِي لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٠﴾)^(٣) وحقيقة الصراع بين الخير والشر واضحة النهاية كوضوح البداية من الوحيين، وهي ظهور الحق وإزهاق الباطل .

٣) الغاية من الوجود : وتتحدد هذه الغاية في العبادة الحقة لله تعالى، بحسن الطاعة، والتحصن من غلبة الهوى وسلطة الشياطين، وإغلاق سبل الغواية و الأخذ بأسباب النصره والله حافظ لعباده الصالحين، قال

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب صفة الجنة والنار - باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، حديث رقم: ٧٢٣١. (١٢٧/٨).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة الإسراء: ٦١ - ٦٥.

الإمام الطبري في تفسيره : (قول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني، فاتبعوا أمري وعصوا يا إبليس، ليس لك عليهم حجة. وقوله) (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ وكفاك يا محمد ربك حفيظا، وقيما بأمرك، فانقد لأمره، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين، ولا تخف أحدا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك^(١).

ثانيا: الركائز الخاصة :

إن ركائز المحبة الخاصة تنطلق في الشريعة من طبيعة الخلقة الإنسانية، فإن كل محبة يجبها الإنسان أو ترد إليه، لها علاقة مباشرة بقلبه وعقله، وسمعه وبصره، وسائر بدنه، حيث أن عوامل التكامل في الكيان الإنساني تمثل منظومة فريدة في طبيعة الخلق وما تؤديه من وظائف، قال الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)^(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوي الأعضاء، حسنها)^(٣) ونسق التكامل هذا يدل على غاية عظمى خلق من أجلها الخلق، وعلى عظيم قدرة الخلاق العليم، وشرف المخلوق وتكريمه، فإن البدن من نشوءه في البطن وتخلقه، تتعلق به الروح فيحيا بها، وحين الانفصال عنه تتوقف الأعضاء عن أداء الوظائف في أدوارها المادية، وتبقى حياة الإنسان بالروح ممزوجة في تكامل خاص لكل فرد من عدة حيثيات تمثل ركائز خاصة في حياته وتجعله يختلف مع الآخرين :

١) القلب : حين الحياة تجدد القلب أقوى فعالية، يعمل على جريان الدم في البدن، ويتقلب بين الخير والشر في أحوال مختلفة، تزيد وتنقص من أجلها المحبة.

٢) العقل: يرتبط العقل بجميع أعضاء البدن في مواطن الإحساس ومحاور التفكير والتصرف، فترتفع وتنخفض معه درجات المحبة.

٣) النفس: وتعيش النفس البشرية بين أحوال القلب المترددة وسلسلة الأفكار العقلية المختلفة، في طمأنينة، ولوم، وأمر بسوء، وتوبة وأوبة، تحدث في أشكال متعددة يقوم بها الإنسان.

٤) الخلق والسلوك : ويمثلها تصرفات الإنسان من أقوال وأفعال، على ضوء البيئة وعوامل التأثير والتأثر، وما نشأ عليه من المعتقد والأدب، وكل ذلك بقدر الله وعلمه ومشيتته، خلق فسوى، وقدر فهدى.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٧، ص: ٤٩٦.

(٢) سورة التين : ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٦١٩.

فإن ما يملكه الإنسان من ملكات وقدرات، لا يمكن لنا بلوغ منتهى وصف فوائدها وإدراك نتائجها، فهي ركائز تختص بكل شخص، وتختلف من فرد إلى آخر، ولكن هي ركائز هامة، تدور معها صفة المحبة، في ضيق واتساع، وسلب وإيجاب، والإنسان رهن ما كسب واكتسب، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وأبان القرآن الكريم فضل الله ونعمته على الإنسان بما وهبه من قدرات؛ ليسير بها على بصيرة في حياته، قال سبحانه وتعالى:

- (أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهِ عَيْنَيْنِ ﴿١﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٢﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٣﴾)
- (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلَيْسَ بِنَافِثٍ لَّا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ﴿٢﴾
- (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ﴿٣﴾
- (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) ﴿٤﴾
- (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٣﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) ﴿٥﴾
- (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ﴿٦﴾
- (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) ﴿٧﴾

فمن توجيهات الآيات التأمل وإدراك نعمة البدن، والشكر لله بحسن استخدامها في العلم والاستبصار والفلاح والتعقل والتفكير، وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يسعى بما وهبه الله من ملكات قلبية وعقلية ونفسية، وقدرات بدنية، تركز عليها المحبة، يجب عليه أن يختار السير بها على طريق الحق، وبما وجهه إليه الشرع الحكيم، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلٍ تَعْمَى بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) ﴿٨﴾ وهذه الملكات تمثل الكيان الإنساني وهي:

(١) سورة البلد: ٨ - ١٠.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة النحل: ٧٨.

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة الشمس: ٧ - ١٠.

(٦) سورة الأنعام: ٣٢.

(٧) سورة الروم: ٨.

(٨) سورة الأعراف: ١٧٩.

- ١) القلب والعقل والنفس، وهي مصادر الفقه والتحكم في الصلاح والفساد عند الإنسان.
 - ٢) السمع والبصر والكلام والحس، وهي وسائل الإدراك والتفهم لخبرات الأحداث .
 - ٣) الجوارح وهي محور الحركة والأخذ والعطاء والتعامل.
 - ٤) عوامل اللذة في الطعام والشراب والشهوة، وهي الرغائب الدافعة إلى متعة الحياة.
 - ٥) عوامل القوة والستر والزينة المادية والمعنوية، وهي مظاهر التميز في البدن والمكان والمكانة.
- وتسمو صفة المحبة بصاحبها إذا تعاهد قدراته بالعناية والرعاية، والسير بها إلى طريق الخير والجنة؛ لأن طريق الحق واضح جلي، وطوق النجاة عمل زكي، وصلاح القلب يكون بسداد القول وصحة العمل، وذلك من أهم أسباب النجاة، حيث صلاح القلب متعلق بالتوحيد الخالص والإيمان الصادق واليقين، وسداد القول وصحة العمل مرتبطان بالسنة، علما وعملا، و بها يكون سبيل الاستقامة في الحياة، عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رحمته الله ((قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا^(١).
- ثالثا: الركائز التكليفية:

إن ركائز المحبة التكليفية تعتمد على مطالب الشريعة، فيما جاءت به من الأوامر والنواهي، فإن المحبة الصادرة من الإنسان وإليه، مقيدة بشروط وضوابط وحدود الدين في الحلال والحرام، هي حدود المحبة الشرعية. والمكلف يلزمه التمسك بحدود وقيود الشريعة، سواء كانت في خصوصه أو فيما اختصت به المطالب، ويمكن أن نحدد الركائز التكليفية للمحبة وفق ما يلي :

- ١) الأدلة الشرعية المبينة للحلال والحرام: وهذه الأدلة عليها مدار القبول والرد، والثواب والعقاب. ومصدر هذه الأدلة هي الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.
- ٢) الأحكام: وهذه الأحكام تختلف في أنواعها حسب شرائع الدين في أصوله وفروعه من حيث الشروط والأركان، والواجبات والسنن، على اتفاق بين الأئمة الفقهاء في الأصول، وعلى اختلاف في الفروع.
- ٣) الفساد والصحة : ويمثله فساد الحكم وصحته، وفساد العمل وصحته، وفق استنباط العلماء، وأقوال الفقهاء، وترتكز المحبة فيها على قاعدة النفع لا الضرر، وجلب المصلحة و دفع المفسدة.

(١) سنن الترمذي- كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في حفظ اللسان . واللفظ له، حديث رقم: ٢٥٩٢ (٤/٦٠٧)، وسنن ابن ماجه-كتاب الفتن-باب كف اللسان في الفتنة. حديث رقم: ٣٩٧٢ (٥/١١٥) ومسنن الإمام أحمد - مسند المكين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٤٥٧ (٣/٤١٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (حديث رقم: ٣٩٦٢ (٢/٣٥٨)). وخرجه مسلم على غير هذا اللفظ.

وواجب المكلف الشرعي أن ينطلق من حبه لدينه، ومروءة ربه ابتغاء القبول والثواب، فيسعى لكمال العبودية لله، بالأداء المشروع، على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى عنه، القاضي بالاتباع والناهي عن الابتداع. وأحكام التكليف في الشرع، تركز عليها المحبة كسائر الصفات الإنسانية، في تحقيق العبادات وتحصيل القربات، وإن العلم بالأحكام في الحلال والحرام من مقدمات المطالب في الشريعة، والعمل بها دليل الاتباع، والإحسان فيها دليل التقوى، وعليه فإن الإنسان المسلم عندما يحب شيئاً، يعرضه على أحكام الشريعة التكليفية من خلال الأدلة التشريعية، فإما يستمر في حبه أو يكف عنه، لذا صنف العلماء والفقهاء كتب الأصول والفقه، وبينوا الأدلة وقواعد وأوجه الاستدلال، كي يكون المسلم على فقه في دينه، يقول العلامة الجويني^(١) في أول متن الورقات في أصول الفقه: (فالأصل ما بني عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره، والفقه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد)^(٢) والمحبة تدخل في الأصول والفروع، وقد فصل الفقهاء الأصوليون الأحكام الشرعية على أقسام معتبرة، يجب على الدعاة إلى الله أن يعرفوها ليفصلوا للمدعوين، ما يجب عليهم من أوامر الدين، والمنطلق في هذه المعرفة محبة الله ورسوله ﷺ ومحبة الفقه في الدين التي بهما تكون الخيرية والنجاة، وأعرض تفصيلاً مختصراً للعلامة الداعية الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في خصوص الأحكام الشرعية قال: (الأحكام: جمع حكم وهو لغة: القضاء. واصطلاحاً: ما اقتضاه خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين من طلب، أو تخيير، أو وضع. فالمراد بقولنا: "خطاب الشرع"؛ الكتاب والسنة. والمراد بقولنا: "المتعلق بأفعال المكلفين"؛ ما تعلق بأعمالهم سواء كانت قولاً أم فعلاً، إيجاباً أم تركاً. فخرج به ما تعلق بالاعتقاد، فلا يسمى حكماً بهذا الاصطلاح. والمراد بقولنا: "المكلفين"؛ ما من شأنهم التكليف، فلا يشمل الصغير والمجنون. والمراد بقولنا: "من طلب"؛ الأمر والنهي سواء على سبيل الإلزام، أو الأفضلية. والمراد بقولنا: "أو تخيير"؛ المباح. **فالتكليفية خمسة**: الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح.

١ - فالواجب لغة: الساقط واللازم. واصطلاحاً: ما أمر به الشارع على وجه الإلزام؛ كالصلوات الخمس. والواجب يثاب فاعله امتثالاً، ويستحق العقاب تاركه. ويسمى: فرضاً وفريضة وحتماً ولازماً.

(١) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف. ولد: في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة. تفقه على والده، وتوفي أبوه ولأبي المعالي عشرون سنة، فدرس مكانه، وكان يتردد إلى مدرسة البيهقي، وأحكم الأصول على أبي القاسم الإسفراييني، سافر عن نيسابور، فذهب إلى المعسكر، ثم إلى بغداد، وصحب الوزير أبا نصر الكندري، ثم حج، وجاور أربع سنين يدرس، ويفتي، ويجمع طرق المذهب، إلى أن رجع إلى بلده، فدرس بنظامية نيسابور، واستقام الأمر، وبقي على ذلك ثلاثين سنة غير مراحم ولا مدافع، مسلماً له المحراب والمثير والخطبة والتدريس، ومجلس الوعظ يوم الجمعة، وظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، كان يقعد بين يديه نحو من ثلاث مائة، وتفقه به أئمة. وحكى الفقيه أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمى قال: حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: أشهدوا علي أنني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجايز نيسابور. توفي: في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة. ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجانب والده. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٣/٣٥).

(٢) الورقات. إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، الرياض: دار طويق، ط ١، ١٤٢٤هـ، ص: ٣.

- ٢ - والمندوب لغة: المدعو. واصطلاحاً: ما أمر به الشارع لا على وجه الإلزام؛ كالرواتب. والمندوب يثاب فاعله امتثالاً، ولا يعاقب تاركه. ويُسمَّى سنة ومسئولاً ومستحباً ونفلاً.
- ٣ - والمحرم لغة: الممنوع. واصطلاحاً: ما نهى عنه الشارع على وجه الإلزام بالترك؛ كعقوق الوالدين. فخرج بقولنا: "ما نهى عنه الشارع"؛ الواجب والمندوب والمباح. والمحرم يثاب تاركه امتثالاً، ويستحق العقاب فاعله. ويسمى: محظوراً أو ممنوعاً.
- ٤ - والمكروه لغة: المبغض. واصطلاحاً: ما نهى عنه الشارع لا على وجه الإلزام بالترك؛ كالأخذ بالشمال والإعطاء بها. والمكروه: يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله.
- ٥ - والمباح لغة: المعلن والمأذون فيه. واصطلاحاً: ما لا يتعلق به أمر، ولا نهى لذاته؛ كالأكل في رمضان ليلاً. وخرج بقولنا: "لذاته"؛ ما لو تعلق به أمر لكونه وسيلة لمأمور به، أو نهى لكونه وسيلة لمنهي عنه، فإن له حكم ما كان وسيلة له من مأمور، أو منهي، ولا يخرج ذلك عن كونه مباحاً في الأصل. والمباح ما دام على وصف الإباحة، فإنه لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب. ويسمى: حلالاً وجائزاً.
- الأحكام الوضعية:** ما وضعه الشارع من أمارات، لثبوت أو انتفاء، أو نفوذ، أو إلغاء. ومنها: الصحة والفساد (انتهى كلامه يرحمه الله. ^(١))
- فمن لوازم الدعوة أن يكون الدعاة على علم فيما يدعون إليه، من العقيدة والأحكام، بمعرفة الأدلة وأوجه الاستدلال على وجه التفصيل أو الإجمال؛ لأن الحكم ما قام به الدليل، والعلم طريق له، ولا يكون ذلك إلا بالمدارسة والمطالعة والنظر. بوب أبو اسحاق الشيرازي للدليل باباً في كتابه (اللمع) قال: (باب بيان النظر والدليل: والنظر هو الفكر في حال المنظور فيه، وهو طريق إلى معرفة الأحكام إذا وجد بشروطه) ^(٢) وتأتي أهمية ذلك، كي يكون المدعو على سبيل قويم، يعمل بما يعلم من ركائز المحبة التكليفية في الشريعة. يتقرب إلى الله ويعبده على بصيرة وعلم، ويستقيم على وسطية واعتدال بلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء. يجب الحلال ويسعى إليه ويبغض الحرام ويتبعده عنه. وعلى ما سبق يتأكد للباحث أن المحبة تقوم على ركائز في الشريعة ذات مناط بوجود الإنسان في الحياة الدنيا ومحبتها لها، وحب الأمل والبقاء، وذات مناط في خصائص الخلق من صفات فطرية يتفق الناس فيها، وصفات مكتسبة يظهر وجه الاختلاف بين الناس فيها، وأن المحبة أيضاً، ذات مناط بالتكاليف الشرعية فيما يجب أن يحب المرء ويكرهه، وفق أدلة الشرع وأحكامه.

(١) الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ، ص: ١٠ - ١٤.

(٢) اللمع في أصول الفقه، أبو اسحاق الشيرازي، تحقيق: أبو أويس الكردي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٣٢هـ، ص:

الباب الأول

مفهوم المحبة في مصادر الدعوة

الفصل الأول : مفهوم المحبة

المبحث الأول: تعريف المحبة وفضائلها

المطلب الأول: تعريف المحبة

المطلب الثاني: فضائل المحبة

المبحث الثاني: أنواع المحبة وأحكامها

المطلب الأول: أنواع المحبة

المطلب الثاني: أحكام المحبة

الفصل الثاني: وصف المحبة

في الكتاب والسنة وتأثيرها في العلاقات

المبحث الأول: وصف محاب الله و مساخطه

المطلب الأول : محاب الله

المطلب الثاني: مساخط الله

المبحث الثاني: تأثير المحبة في العلاقات

المطلب الأول : الصلات الحميدة

المطلب الثاني: الصلات الذميمة

الفصل الثالث: موجبات محبة الله

في القرآن و السنة

المبحث الأول: تحقيق التوحيد

المطلب الأول : أقسام التوحيد

المطلب الثاني: الولاء و البراء

المبحث الثاني: الفرائض والنوافل

المطلب الأول: الفرائض

المطلب الثاني: النوافل

الباب الأول

مفهوم المحبة في مصادر الدعوة

تمهيد

إن معنى المحبة الواسع ودورها الكبير في الحياة، يجعل لها الفضل والنفصيل على الكثير من الصفات، حيث هي فاعلة في حياة الناس، وعلاقاتهم ومتعلقاتهم، شعروا بذلك أم لم يشعروا، فإن الإحساس بها والإدراك لآثارها يحصل لكل فرد في المجتمع، ورؤية الأثر أو التلذذ بها أو الألم منها؛ يُمكننا من معرفة أسبابها وتحليل نتائجها، وتصنيف أنواعها، وهل في حكم الشريعة أو العرف، هي من المحمود أو المذموم؟ وبهذا الفهم نحصل على الصفة من جميل الأقوال والأفعال المحبة، وتظهر القلوب والنفوس، بما تحمل من حميد المشاعر والمعاني والقيم، وتركوا بما تطرد من مضادات المحبة من الكراهة والبغض، والحسد والحقد والغيبة، ونسعد بما نرفض من معاني المحبة المنحرفة، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠١﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقٰىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ﴿١٠٢﴾) فمن توجهات هذه الآيات، حفظ مقومات العلاقة بين المؤمنين حيث أمرت بحسن الظن واجتناب إثمه، والبعد عن الإساءة الخفية بالتجسس والغيبة؛ لنحذر من الإساءة الظاهرة. والحاصل من ذلك بلوغ المحبة بين المسلمين، وإقامتها على أصول قوية من الإيمان. وكذلك من توجهات هذه الآيات، التذكير بأصل البشر الناتج عن المحبة بين الذكر والأنثى، القائم على المزاوجة، وانتشار الأبناء في أجناس متشعبة في شعوب، وتفرقهم في قبائل متقابلة، وعرفت بالحق الذي بينهم، وهو التعارف بكل ما تحمله الكلمة من معان عظيمة، في تكوين علاقات التعارف، وكسب المعرفة والأمر بالمعروف وإقامة العرف ومعرفة بعضهم بعض، وأيضا بينت ميزان التفاضل بينهم وهو التقوى، وأن به منال الكرم من الله، ومن أكرمه الله فقد أحبه، ومن أحبه الله سعد في الدنيا والآخرة، وطريق السعادة الإيمان بالله، ومن سبله المحبة وإفشاء السلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » (٢).

وعلى أثر هذه المعاني الأولية للمحبة، سوف أعرض هنا في هذا الباب، مفهوم المحبة في مصادر الدعوة الأصلية - الكتاب والسنة - لغة واصطلاحا في ثلاثة فصول، لكل فصل مبحثان، وتحت كل مبحث مطلبان:

الفصل الأول: مفهوم المحبة.

الفصل الثاني: وصف المحبة في الكتاب والسنة وتأثيرها في العلاقات.

الفصل الثالث: موجبات محبة الله في الكتاب والسنة.

(١) سورة الحجرات: ١٢-١٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون أن محبة المؤمنين من الإيمان، حديث رقم: ٢٠٣ (١/٥٣).

الفصل الأول

مفهوم المحبة

المبحث الأول: تعريف المحبة وفضائلها

المطلب الأول: تعريف المحبة

المطلب الثاني: فضائل المحبة

المبحث الثاني: أنواع المحبة وأحكامها

المطلب الأول: أنواع المحبة

المطلب الثاني: أحكام المحبة

الفصل الأول

مفهوم المحبة

المبحث الأول

تعريف المحبة وفنائها

المطلب الأول

تعريف المحبة

أولاً: تعريف المحبة في اللغة:

أصل الكلمة في اللغة حرفان (الحاء و الباء) من (حَبَّ)، الحاء متحركة مطلقة، والباء مشددة أصلها من بائين أدغمتا في بعضهما. وقد وردت كلمة (المحبة) على أصلها (حب) في القرآن العظيم في ثلاث وسبعين آية، وفي ثمان وسبعين لفظة على ثلاث وعشرين صيغة بين النفي والإثبات، وهي:

(أَحَبَّ - أَحَبَّتْ - اسْتَحَبُّوا - وَأَحْبَاؤُهُ - حَبَبَ - سَحِبَ - لَا تُحِبْ - تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ - تُحِبُّوهُمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ - تُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ - تُحِبُّونَ - تُحِبُّونَ - يَسْتَحِبُّونَ - يُحِبُّكُمْ - تُحِبُّوا - تُحِبُّونَهَا - مَحَبَّةً - حُبِّهِ - حُبًّا) .

أورد ابن فارس في معجم مقاييس اللغة معنى الحب في اللغة قال: (الحاء والباء، أصول ثلاثة، الأول: اللزوم والثبات، والثاني: الحبّة من الشيء ذي الحبّ، والثالث: وصف القصر. فالأوّل الحبّ، معروف من الحنطة والشعير. فأما الحبّ بالكسر فبزور^(١) الرّياحين، الواحد حبّة، قال رسول الله ﷺ في قوم: " يخرجون من النار فينبئون كما تنبت الحبّة في حميل السّيل"^(٢). قال بعض أهل العلم: كلّ شيء له حبّ فاسم الحبّ منه الحبّة. فأما الحنطة والشعير فحبّ لا غير. ومن هذا الباب حبّة القلب: سويداؤه، ويقال ثمرته. ومنه الحبّ وهو تنصّد الأسنان. قال طرفة:

وإذا تضحك تبدي حبياً *** كرضاب المسك بالماء الحصر

(١) - البَزْرُ: بَزُرَ البَقْلُ وغيره. انظر: الصحاح للجوهري (٤/١) والبَزْرُ الحُبُّوبُ الصغار مثل بَزُرَ البقول وما أشبهها وقيل البَزْرُ الحَبُّ عامةً. انظر: لسان العرب لابن منظور (٤/٥٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب فضل السجود، حديث رقم: ٨٠٦ (١/١٦١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب باب الإيمان - باب طريق معرفة الرؤية، حديث رقم: ٤٦٩ (١/١١٢).

وأما اللزوم فالْحُبَّ والمَحَبَّة، اشتقاقه من أَحَبَّه إذا لزمه ^(١). وكذلك الحبيب يلزم حبيبه ويكون منه في قرب ويصبح متعلقا به حتى يصل حُبُّه إلى حَبَّة قلبه، ويعيش معه في هناء الوصل وعذاب الفصل؛ فتلك من لوازم المحبة ونتائجها بين الناس.

وتقول العرب للبعير إذا ثبت مكانه، أَحَبَّ البعير، ومنه قولهم: (ضَرَبَ بَعِيرِ السَّوِّءِ إِذْ أَحَبَّ) وكذلك الرجل القصير ينعت بالرجل الْحَبَّاب. وكذلك يقال أُشْرِبَ فلانٌ حُبَّ فلان، إذا خالط قلبه. والحُبُّ: المحبة، وكذلك الحُبُّ بالكسر. والحُبُّ : الحبيب، والحُبُّ أيضا المَحْبُوبُ وكان زَيْدُ بن حارثة رضي الله عنه يُدْعَى حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، والأنثى بالهاء، في الحديث (ومن يَجْتَرِئُ على ذلك إلا أُسامة حُبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ) ^(٢) أي مَحْبُوبُهُ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّه كثيرا، وفي حديث فاطمة رضي الله عنها، قال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ عن عائشة رضي الله عنها: (إِنَّهَا حَبَّةُ أَبِيكَ) ^(٣)، الحُبُّ بالكسر المَحْبُوبُ والأنثى حَبَّةٌ، وَجَمْعُ الحُبِّ أَحْبَابٌ وَحَبَّانٌ.

أورد الجوهري في الصحاح: (والْحَبَّةُ بالضم: الحُبُّ، يقال: نَعِمَ وَحُبَّةً وَكِرَامَةً) ^(٤) وفي لفظ (حبذا) دعوة إلى مرغوب محبوب : مكونة من فعل ماض واسم إشارة، الفعل: حَب، واسم الإشارة: ذا، وتدل على الرغبة في المطلوب كقولك: حبذا الحياة الطيبة.

والْحَبَابُ بالكسر: المُحَابَّةُ والمُؤَادَّة. وَالْحَبَابُ بالضم: الحُبُّ. قال الشاعر ^(٥):

فوالله ما أدري وإني لصادق... أداء عراني من حُبائك أم سخر

وفي لسان العرب أورد ابن منظور معنى الحب بنقيضه ومرادفه، قال: (الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ وكذلك الحُبُّ بالكسر) ^(٦). وقال الأزهري: (وقد جاء المَحَبُّ شاذًا في الشَّعْر، ومنه قول عنترة: ولقد نَزَلْتُ فلا تَظُنِّي غيرَه.... مَنِي بِمَثَلَةِ المَحَبِّ المَكْرَمِ) ^(٧)

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٢. ص: ٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم: ٣٤٧٥ (٤ / ١٧٥). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحدود - باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم: ٤٥٠٥ (٥ / ١١٤).

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في الانتصار، حديث رقم: ٤٩٠٠ (٤ / ٤٢٦). وانظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٩٨٦ (٤١ / ٤٥١). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف على نكارة منته، علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٤) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ١٦١.

(٥) هو أبو عطاء السندي. انظر: ديوان الحماسة لأي تمام حبيب بن أوس الطائي.

(٦) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (حب). ج ١، ص: ٢٨٩.

(٧) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١، ج ٤، ص ٨.

ومن تقارير ابن القيم^(١) الجوزية أن مادة كلمة حَبَّ تدور في اللغة على خمسة أشياء هي:

١- الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبُّ الأسنان.

٢- العلو والظهور، ومنه "حَبُّ الماء وحَبَابُهُ" وهو ما يعلوه عند المطر الشديد.

٣- اللزوم و الثبات، ومنه حَبَّ البعير وأحب إذا برك ولم يقم.

٤- اللب، ومنه حبة القلب للبه وداخله.

٥- الحفظ والإمسك، ومنه إطلاق لفظ (حَبُّ الماء) للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه.

وقال يرحمه الله: (ولاريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة، فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادة القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه؛ لتعلقها باحجوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزومًا لا تفارقه، ولإعطاء الحبِّ محبوبه لُبُّه وأشرف ما عنده، وهو قلبه، والاجتماع عزماته وإرداته وهمومه على محبوبه^(٢)).

وقال يرحمه الله في بيان الحكمة من تعداد أسماء المحبة عند العرب: (لما كان الفهم لهذا المسمى أشد وهو بقلوبهم أعلق كانت أسماؤه لديهم أكثر، وهذا عادتهم في كل ما اشتد الفهم له أو كثر خطوره على قلوبهم، تعظيمًا له أو اهتمامًا به، أو محبة له، فالأول: كالأسد والسيف، والثاني: كالدهية، والثالث: كالخمر، وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب فوضعوا له قريبًا من ستين اسمًا^(٣)). وفي اللغة تأتي هذه الأسماء الستون على أصول ومعان ذات علاقة بالحب والمشاعر الناتجة عنه والمؤدية إليه، أوجزها في الآتي:

١- المحبة: من (حَبَّ) وتعني لب الشيء، ومنه حَبَّة القلب ولزوم الحُبِّ للمُحِبِّ.

٢- العلاقة: من (عَلَقَ) وتعني العِلَاقَةُ بالكسر: عِلَاقَةُ القوس والسوط ونحوهما. والعِلَاقَةُ بالفتح: عِلَاقَةُ الخصومة، وعِلَاقَةُ الحُبِّ.

٣- الهوى: من (هَوَى) ويَهْوَى هَوًى، أي أَحَبَّ، ولفظ الهواء ممدود: أي ما بين السماء والأرض، ولفظ الهَوَى مقصور: هَوَى النفس.

٤- الصبوة: من (صَبَا) أي مَال، وَيَصْبُو صَبْوَةً وَصَبُوءًا، أي مال إلى الجهل والفتوة. وصبا: مال إلى محبوبة.

٥- الصبابة: من (صَبَب) وَصَبَبْتُ المَاءَ صَبًّا فَأَنْصَبُ، أي سَكَبْتُهُ فأنسكب، ويقال رجل صَبٌّ: عاشقٌ مشتاقٌ.

(١) روضة الحيين ونزهة المشتاقين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ، ص: ١٧ - ١٨.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٣، ص: ١٠.

(٣) روضة الحيين ونزهة المشتاقين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ، ص: ١٦.

٦- الشَّغَفُ: من (شَغَفَ) والشَّغَافُ: داءٌ يأخذ تحت الشَّرَاسِيفِ من الشَّقِ الأيمن والشَّغَافُ أيضاً: غلافُ القلب، وهو جلدةٌ دونَه كالحجاب. يقال: شَغَفَهُ الحُبُّ، أي بلغ شَغَافَهُ. وقد جاءَ ذلك في القرآن الكريم عند الحديث عن امرأة العزيز في حبها ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى لسان النسوة اللاتي في المدينة قال الله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)^(١)

٧- المَقَّةُ: من (وَمَقَّ) المَقَّةُ هي المحبة، وَمَقَّهَ أي: أحبه.

٨- الوَجْدُ: من (وَجَدَ) والوَجْدُ هو الحب الذي يتبعه الحزنُ، وَوَجَدَ مطلوبه من وجود الضالة.

٩- الكَلْفُ: من (كَلَفَ) والكُلْفَةُ هي المشقة وقيل: من أثر لون على الوجه، و الكَلْفُ من أسماء الحُبِّ، فالحب كَلَفٌ بمحبوبه، أي: مشغول به.

١٠- التَّيِّمُ: من (تَيَّمَ) والتَّيِّمُ هو التعبد، وتَيَّمَ الله أي: عبد الله، وتَيَّمَهُ الحب: عبده وذل له فهو مَتِيْمٌ.

١١- العَشَقُ: من (عَشَقَ) وهو فرط الحب، وقيل مأخوذ من شجرة تخضر ثم تدق وتصفر وتعلق بالأشجار، ومنه تعلق الخبواب بمحبوبه.

١٢- الْجَوَى: من (جَوَى) والجَوَى: الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن.

١٣- الدَّنْفُ: من (دَنَفَ) وهو المرض الملازم فأطلق على ملازمة الحب لحبيبه

١٤- الشَّجُو: من (شَجِيَ) والشجما ما ينشب بالخلق ويلزمه، ومنه رجل شَجٍ وامرأة شجية وأطلق على الحب لما به من اللزامة والحزن.

١٥- الشَّوْقُ: من (شَوَّقَ) وهو نزاع النفس إلى الشيء، وهو حرقه المحب إلى لقاء حبيبه

١٦- الخَلَابَةُ: من (خَلَبَ) والخَلَبُ من الحجاب الذي بين القلب وسواد البطن، وسمي الحب الخادع خلابة؛ لأنه يخدع الباب أربابه.

١٧- البَلَابِلُ: من (بَلَبَلَ) وبلايل الحب هي وساوسه وهوموه.

١٨- التَّبَارِيحُ: من (بَرَحَ) وهو الشدة والأذى، وبرح به الحب أصابه الأذى أو الشدة

١٩- السَّدَمُ: من (سَدَمَ) وهو الندم وأطلق على الحب الذي يتبعه الندم.

٢٠- الغَمَرَاتُ: من (غَمَرَ) وهو الغطاء بالكثرة، وغمرات الحب ما يغطي قلب الحب فيغمره.

٢١- الوَهْلُ: من (وَهَلَ) وهو الفزع والروع، وهو روعة وفزعة الحب من رؤية محبوبه ومنها يقال رائع الجمال.

٢٢- الشَّجْنُ: من (شَجَنَ) وهو شدة الحاجة، والحزن من أجلها، والحب فيه الأمان.

- ٢٣- اللَّاعَج: من (لعج) ولعجه الضرب أي آلمه وأحرق جلده، وأطلق على حرقه الفؤاد من الحب.
- ٢٤- الاكْتِئاب: من (كأب) والكآبة سوء الحال والانكسار من الحزن، وتتولد من حصول الحب وفوت المحبوب.
- ٢٥- الوصب: من (وصب) وهو المرض والتعب، ومنه ألم الحب ومرضه.
- ٢٦- الحزن: من (حزن) وهو خلاف المسرة، وهو حالة تأثر تحدث للمحب فيحزن ويضيق.
- ٢٧- الكمد: من (كمد) وهو الحزن المكتوم. والكمدة تغير اللون.
- ٢٨- اللذع: من (لذع) وهو الحرقعة ولذعته النار أي: أحرقته ومنه حرقعة الحب.
- ٢٩- الحَرَق: من (حرق) وتكون الحرقعة من الحب وتكون من الغيظ.
- ٣٠- السَّهْد: من (شهد) والسهاد: الأرق من أثر الحب، ومنه السهر وعدم النوم.
- ٣١- الأرق: من (أرق) وهو السهر.
- ٣٢- اللَّهْف: من (لهف) وهو الحسرة على ما فات. واللهيف: المضطر.
- ٣٣- الحنين: من (حنّ) وهو الشوق و توقان النفس وأيضا الرحمة.
- ٣٤- الاستكانة: من (السكون) و المستكين الخاشع، والسكون الحالة التي بها إنابة وذل وخضوع.
- ٣٥- التَّبَالَة: من (تَبَلَّ) وتَبَلَّه الحب أي أسقمه وأفسده.
- ٣٦- اللَّوْعَة: من (لاع) الحرقعة: لوعة الحب وحرقته. ولاع الفؤاد احترق من الشوق.
- ٣٧- الْفُتُون: من (فتن) ويدل على الامتحان والفتنة والحرقعة. والحب موضع فتنة بين الحب والمحبوب.
- ٣٨- الْجُنُون: من (جن) وهو من الستر. والحب يستر العقل عما ينفعه أو يضره بسبب المحبوب.
- ٣٩- اللَّمَم: من (لمّ) والذي به لم أي أصيب بالمس وهو طرف من الجنون.
- ٤٠- الْخَبَل: من (خبل) وهو الفساد. وفرط الحب قد يفسد العقل.
- ٤١- الرَّسَيْس: من (رس) وهو الشئ الثابت ورسييس الحب ثباته ودوامه.
- ٤٢- الدَّاء: من (دوي) وهو المرض والعشق داء.
- ٤٣- المخامر: من (خمر) ويعني غطى وخالط الحب روح صاحبه وغطى قلبه.
- ٤٤- الوُد: من (ود) وهو خاص الحب وألفظه وأرقه.
- ٤٥- الْخُلَّة: من (خلل) وهي عندما تتخلل المحبة إلى مسالك القلب ويوحد الحب حبه لمحبيه فهو خليله دون غيره.
- ٤٦- الْخَلَم: (خلم) والمخالمة: المصادقة والموادة والمصاحبة.

٤٧- الغرام: من (غرم) وهو الزوم. ومنه الغريم الذي عليه الدين فيلزمه صاحب الدين. ومغرم بالحب أي لزمه الحب ومنه أيضا الوُلُوع بالشيء.

٤٨- الهيام: من (هام) وهو أشد العطش وقيل مرض يأخذ الإبل فتهم في الأرض لا ترعى وقيل: الإبل العطاش.

٤٩- التدليه: من (دله) وهو الحيرة والدهشة، ومنه ذهاب العقل من الهوى.

٥٠- الوكّ: من (وله) وهو ذهاب العقل، ويطلق على الحيرة من شدة الوجد ومنه وله الأم على ابنها.

٥١- التّعبد: من (عبد) وهو غاية الذل، ويطلق على غاية الحب، حيث يذل المحب لمحبوبه.

ثانيا: تعريف المحبة في الاصطلاح العام:

إن المحبة من الألفاظ واسعة المعنى، وتدخل حين التعريف بها في مضمون الاتساع والتفرع، واختلاف التنوع. واجتذاب المعاني بينها وبين مرادفاتهما أدى إلى اجتماعها في معنى واحد ومقصود، تعارف الناس على فهمه، هو المحبة، ولأن المعاني مشاعر غير محسوسة ليست مما يدرك بوسائل الإحساس كالسمع والبصر واللمس؛ فلا يمكن تعريفها في حدود وصفات جامعة مانعة، كما هو ممكن في جنس المادة الخسوس، فإن قيل: ما التعريف الجامع المانع مثلاً للجَمال، فإن العقول تختار وتختلف العبارات في الوصف والحدود، بين النقص والمبالغة، وبين المشروع والممنوع، وكذا لفظ (المحبة) قال ابن حجر في الفتح: (وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة، من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجداناً لا يمكن التعبير عنه)^(١) وأكد ابن أبي العز^(٢) في شرحه للعقيدة الطحاوية على الاختلاف في تعريف المحبة في قوله: (وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك)^(٣) وهذا جزء من تقرير الإمام ابن قيم الجوزية في كتابيه مدارج السالكين وروضة المحبين للذين

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٤٦١ - ٤٦٢.

(٢) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، ولد في ٧٣١ هـ وتوفي في ٧٩٢ هـ. فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. وامتنح بسبب اعتراضه، على قصيدة لابن أبيك الدمشقي. له كتب، منها (التنبيه على مشكلات الهداية) و (النور اللامع فيما يعمل به في الجامع) و (شرح العقيدة الطحاوية). انظر: الإعلام للزركلي (٣١٣/٤). ودرس وأفتى وخطب، ولي قضاء دمشق ثم ولي قضاء مصر بعد ابن عمه فأقام شهراً ثم استعفى ورجع إلى دمشق على وظائفه ثم بدت منه هفوة، فاعتقل بسببها وأقام مدة مقترراً خاملاً إلى أن جاء الناصري فرفع إليه أمره، فأمر برد وظائفه فلم تطل مدته بعد ذلك وتوفي. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعسكري (٣٢٦/٦).

(٣) - شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٣٩١ هـ، ص: ١٦٤.

وجدت عليهما الاعتماد في جل من كتب بعده في موضوع المحبة، قال يرحمه الله في المحبة: (ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهداها، وثمراتها، وأحكامها؛ فحدودهم، ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص، ومقامه، وحاله، ومَلِكِهِ للعبارة^(١)) وحدد يرحمه الله بعض التعريفات لمن قال في المحبة، واجتهد في تحصيل المعنى لها، وحدد مراتبها، وصنف أبوابها، اجتهدا منه في التأصيل والتحصيل، وهو من أعلم من كتب دقة، وله المقام العالي في التعليق والتحقيق والتأصيل، ومما ذكر من التعريفات الاصطلاحية العامة:

١- الميل الدائم بالقلب الهائم.

٢- مواطاة القلب لمرادات الخبواب.

٣- سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

٤- الدخول تحت رق الخبواب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.

٥- سفر القلب في طلب الخبواب، ولهجُ اللسان بذكره على الدوام.

٦- تعلق قلب المحب بالخبواب.

٧- المحبة الميل إلى ما يوافق المحب.

ومن يحاول صياغة المعاني المتناثرة في التعريفات السابقة للمحبة، لا يصل إلى صياغة عامة إلا وتوصف بالقصور، ومن ذلك محاولتي هذه في تحديد التعريف الاصطلاحي العام لها، حيث هي: تعلق القلب والذهن بما يُبتغى به الشعور بالسُرور، حسا وقولا وعملا ويقتضي الفرح والطاعة واللذة والحزن والألم .

ثالثا: تعريف المحبة في الاصطلاح الشرعي:

لقد جاء لفظ (المحبة) في القرآن الكريم والسنة المطهرة، على عدة صيغ لغوية صرفية تم إيضاحها سلفا في التعريف اللغوي لمعنى المحبة حسب أصلها. وقبل الوقوف على المعنى الاصطلاحي الشرعي للمحبة، لابد من معرفة أن المحبة في القرآن والسنة جاءت بمعان عديدة، ضمن أسلوبي الترغيب والترهيب، على سبيل الحث والإثبات أو على سبيل النفي والنهي، وهذه المعاني يرتبط بعضها مع بعض في أبواب الشريعة، من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والسلوك. فقد جاءت المحبة مبينة في معان وألفاظ من غير أصل لفظها (الحب)، كالمترادفات: من المودة والألفة والرضا والولاء والطيب، وجاءت مبينة من الأضداد، وتعرف الأشياء بأضدادها ومن ذلك: (البغض) والعداوة والكراهة والسخط والبراء والخبث، وبموجب

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٣، ص: ٩.

هذا الارتباط تكون الأسباب وتأتي النتائج، وتظهر العلامات وتُحصَل الثمار وتوصف الحدود وتصدر الأحكام ، وكل ذلك يدخل من بابها ويخرج إليها. وليس عند هذا الحد يتضح المعنى الشرعي للمحبة، إلا إذا علمنا عمق المقصود بالمكروه المحبوب، والمحبوب المكروه من قول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ^(١) أورد القرطبي في تفسيره: ("عسى" من الله إيجاب، والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة، وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم، في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم. قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد ! وأسر وقتل وسبى واسترق، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته! وقال الحسن في معنى الآية: لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك، وأنشد أبو سعيد ^(٢) الضرير:

رب أمر تتقيه... جر أمرا ترتضيه

خفي المحبوب منه... وبدا المكروه فيه ^(٣)

ومما يجب معرفته وتقريره، أن معنى المحبة في الاصطلاح الشرعي مرتبط بأنواعها. ومن تصدر ؟ وإلى من تكون ؟ فلا يصلح المقام لأي أحد أن يعرف المحبة في الشرع، دون حصر النصوص الشرعية الثابتة من الكتاب والسنة في نوعها، وحسب موضوعها ومقامها، وبيان وجه الاستدلال عليها في معنى ظاهر وصحيح، ومن تصدر ؟ وإلى من تؤدي ؟ ومن الأمور الهامة في هذا الشأن الإيضاح والبيان القائم على الدليل الشرعي، في أعظم معاني المحبة وأعلى مقاماتها وهو حب الله ومحبة العبد لربه، فإن كلمات المحبة التي يستعملها بعض المتصوفة ^(٤) ويستعملها بعض أهل السلوك المعاصرين، تنقسم هنا إلى قسمين :

(١) سورة البقرة : ٢١٦.

(٢) أحمد بن خالد اللغوي أبو سعيد الضرير، قال الأزهري: استقدمه ابن طاهر من بغداد إلى خراسان فأقام بنبيسابور، وكان قد لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي وغيرهما، وكان قيما باللغة، وأملى كتاب المعاني والنوادر وكان سمر وأبو الهيثم يوثقانه وقال محمد بن الفضل العصاري: بلغ ابن الأعرابي، أن أبا سعيد يروي عنه أشياء كثيرة ، فقال: لمن حضر عنده من الخراسانية، لا تقبلوا من أبي سعيد شيئا يروي عني إلا أشعار العجاج ورؤية، فإنه عرضهما علي. انظر: لسان الميزان لابن حجر (١/٥١٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٣٩.

(٤) الصوفية والتصوف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كترعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة. كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك الترات بعد ذلك، حتى صارت طرقا عبادية مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى غلاة المتصوفة تربية النفس والسمو بما بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقا جوهرية بين مفهومي

(١) ما يجوز إطلاقه من الكلمات؛ يعني من وصف محبة العبد لربه - عز وجل - فإذا كان ذلك في معنى المحبة، ولم يترتب عليه مخالفة للغة من جهة ما يليق بالله - عز وجل - من صفات الكمال والجمال، والعظمة والجلال، جاز مثل لفظ المودة والشوق، وأشباه ذلك من المعاني المضبوطة بضوابط الشرع، وإلا يمنع القول به.

(٢) ما يُمنع إطلاقه من الكلمات، وهو ما لم يَرِدْ به الدليل أو ما كان مشتملاً على معان باطلة، أو من الألفاظ التي تمتنع مع الله: كالعشق والغرام والتَّيَمُّم ونحو ذلك.

ويصلح لأي أحد استخدام المعنى اللغوي والاصطلاحي العام للمحبة، في مواقف الحياة ومتطلباتها العملية، كالحب والميل والإرادة والشوق، والعشق والتعلق والمودة ونحوها، مادامت تحت ضوابط الشرع وأحكامه، فلا يجوز مثلاً التعبد لخبوب الدنيا والآخرة، لا تعبد للمال بحبه أو الجنة لحبها، لأن التعبد لغير الله شرك فلا معبود بحق إلا الله، ويصح أن تقول أنا في شوق إلى الجنة فأنا أحبها وأعشقها، وأريد المال وأشتاق إليه، وأميل لمظاهر الجمال الخالصة، ووقع فلان في غرام الهوى والحب، وموضوع المحبة وعلاقتها بصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحُبُّهُ النَّبِيِّ ﷺ من الموضوعات التي لها جانب مستقل في هذا البحث إن شاء الله تعالى أثناء بيان أثر المحبة في مجالات الدعوة، عند مطلب العقيدة. وهنا يجب أن نعرف أن من المعلوم شرعاً، أن الآيات والأحاديث كثيرة وصريحة في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ وَيُحَبُّ. بل إن المحبة الصادقة لله وطاعته، هي أس لجميع العبادات.

وخلاصة القول في التعريف الاصطلاحي الشرعي للمحبة: (هو أن معنى المحبة ظاهر تعارف الناس عليه لا يحتاج إلى تعريف كالماء والهواء والجوع والعطش، والمنهج الشرعي فيه المضاء بما مضى عليه سلف الأمة الأخيار، من الإقرار لا الاختيار، وهو البعد عن القول فيه - أي معنى المحبة - إلا بما ورد فيه من الكتاب والسنة، من نص ثابت ومعنى ظاهر صحيح في الحب والحبوب، يستدل به على الاتباع أو الترك اعتقاداً وقولاً وعملاً)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأُئِمَّةُ السُّنَّةِ عَلَى إِقْرَارِ الْمَحَبَّةِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ) ^(١) ومدى الاستدلال بهذا القول هو أن المحبة معنى عام يظهر للجميع بمقاصده وأسبابه وآثاره، ولا يتطلب التدقيق والتحقيق فيه كمعنى لتعريفه، وخاصة حين يكون الحديث عنه في علاقة العبد بربه، كما في

الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطه أهل السنة والجماعة. واختلف في مرجع أصل الكلمة: نسبة إلى لبس الصوف كلبس الزهاد أصلاً، أو إلى الصُّفَّة المكان الذي كان يجتمع فيها ذوي الحاجة في مسجد النبي ﷺ على عهده، أو إلى صوفيا: الكلمة اليونانية التي تعني: الحكمة، أو إلى الصف الأول وقيل غير ذلك، وما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف حيث كان شعار الرهبان من أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٥/١).

(١) جامع الرسائل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص: ٢٣٧.

قول شيخ الإسلام هذا، وهذا ما أشار إليه ابن رجب الحنبلي، قال: (وقد كثر في المتأخرين المتسسين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة، وتوسيع القول فيها بما لا يساوي على الحقيقة مثقال حبة، إذ هو عار عن الاستدلال بالكتاب والسنة، وخال من ذكر كلام من سلف من سلف هذه الأمة، وأعيان الأئمة، وإنما هي مجرد دعاوي، تشرف بأصحابها مهاوي، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور، وفي ذلك ما فيه عظيم الخطر، وقد يحكون حكايات العشاق، ويشيرون إلى التأدب بما فيه من الآداب والأخلاق، وكل ذلك ضرره عظيم وخطره جسيم، وقد يكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبدئها، من هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومبادئها، وما أحسن قول ذي النون^(١) رحمه الله تعالى وقد ذكر عند الكلام في المحبة فقال: (استكثروا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها، فإن النفوس ممتلئة من الكبر والفخر والغرور) (والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)^(٢) وكثير ما تقتنر دعوى المحبة بالشطح والإدلال، وما ينافي العبودية من الأقوال والأفعال)^(٣) وهذا في خصوص محبة الله التي تبذل الحياة فيها ومن أجلها، وقد أفلح من وجد حلاوة الإيمان بها، أما محبة الأشياء المعنوية والمادية ومحبة الناس بعضهم لبعض، فلا حصر لأنواعها، ولا حد لأطرافها، وإنما لها ميزان واحد ترتسم به ضوابط العدل، من سلامة الغاية والمقصد، وصحة الوسيلة والطريقة وفق ما جاء عن الشرع، وما يتوافق مع العقل والعرف، فتلك من لوازم تحقيق المحبة على الوجه الشرعي، ويمكن لي وصف المحبة بما يلي:

إنما حال فرح وسعادة تتحقق بالمكاسب المعنوية والمادية، وتجلبها رغائب أو موانع، يصاحبها شعور بسرور الوصال، أو فرح الانفصال، مما يتطلب مزيدا من الوصل أو الفصل، في تحصيل المرغوب أو اتقاء المرهوب، وخيرها ما جاء منه النفع والأجر والسرور، وشرها ما جاء منه الضرر والإثم والسرور، وأعلاها قدرا محبة الله، فتحصل بها السعادة المقرونة بطاعته وإنفاذ أمره، وتدرأ بها الشقاوة المقرونة بمعصيته ومخالفة أمره.

(١) ذُو الثُّونِ الْمِصْرِيُّ ثَوْبَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، الزَّاهِدُ، شَيْخُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ثَوْبَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. وَقِيلَ: فَيْضُ بْنُ أَحْمَدَ. وَقِيلَ: فَيْضُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الثَّوْبِيُّ، الْإِخْمِيمِيُّ. يُكْنَى: أَبَا الْفَيْضِ. وَيُقَالُ: أَبَا الْفَيْضِ. وَلِدَ: فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ الْمَنصُورِ. وَرَوَى عَنْ: مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَأَبْنِ لَهَيْعَةَ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ، وَسَلَمِ الْخَوَّاصِ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَطَائِفَةَ قَيْلٍ: إِنَّهُ مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَبُوهُ ثَوْبِيًّا. وَكَانَ وَاعِظًا. وَقَالَ ابْنُ يُونُسَ: كَانَ عَالِمًا، فَصِيحًا، حَكِيمًا. ثَوْفِيٌّ: فِي ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٣/٢٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب النكاح-باب التشيع بما لم ينل وما ينهى وغيره من افتخار الضرة، حديث رقم: ٥٢١٩ (٣٥/٧). وانظر صحيح مسلم-كتاب اللباس والزينة-باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشيع بما لم يعط، حديث رقم: ٥٧٠٥ (٦/١٦٨).

(٣) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: مجدي قاسم، طنطا: دار الصحبة للتراث، ط ١، ١٤١١هـ، ص: ٢٧.

المطلب الثاني

فضائل المحبة في الكتاب والسنة

إن من أعظم فضائل المحبة، أن تقود المرء إلى معرفة الله تعالى وعبادته، ويدرك بها حقيقة حياته ومصيره، وطريق سعادته، ويتحقق له الأمن في عيشه ونفسه، وأهله ووطنه وما يملك، فهي صفة ذات فضيلة في مفهومها وغايتها، ضمن حدود موضوعها، ولها فضائل، وأن من جعلها قمة الفضائل كما في دين النصرانية ليمضي في ضلاله وإضلاله ويوهم الناس بالسعادة في دينه، فقد ضل ضلالا بعيدا وافترى على الله إثما عظيما، فلا يمكن أن تكون السعادة بالشرك ! حيث لا يمكن أن تكون المحبة في أعظم معانيها، طريقة موصلة للسعادة إلا إذا ارتبطت بالعقيدة الصحيحة في حق الله تعالى من تحقيق الوحداية والربوبية والألوهية وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى. وندرك ذلك حين نعلم الفارق بين ما يقرره الإسلام وبين ما يقرره دعاة النصرانية، حيث يقرر دعاؤها فيما برز من فرقها المعاصرة^(١) المنحرفة أن المحبة قمة الفضائل، ولكن أي محبة ؟ إنما المحبة المرتبطة بعقيدة الباطل، صلب - ابن الله - المسيح عيسى بن مريم في ساعة حب من الله، لخلاص العالم من الخطيئة، وهذا أصل عقدي من أصولهم العقدية. وقد أوجب الإسلام الدعوة إلى تصحيحه، قال الله تعالى: (يَا هَلْ أَلِكتَبُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)^(٢) ومن عقيدتهم في المحبة أنها قمة الفضائل، بل هي جماع الفضائل كلها، وهي وصية المسيح العظمى؛ فإن من العناصر والأسس في العقيدة النصرانية أن صفة الله المحبة، وتسطر في كتبهم المقدسة بلفظ (الله محبة)^(٣)، ومن تعليقات المحققين حول هذا المعنى، قال العلامة رحمة الله بن خليل الكيرانوي معلقا على نصوص من الإنجيل (وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا: ٨ "ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة ١٦، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" فيوحنا أثبت اتحاد المحبة بالله، وقال في الموضعين الله محبة ثم أثبت التلازم هكذا من يثبت في المحبة يثبت في

(١) فرق النصرانية المعاصرة الظاهرة: الكاثوليك - البروتستانت - الأرثوذكس. ذكرها الشيخ محمد أبوزهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية)، الرياض: ط ٤، ١٤٠٤ هـ.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

(٣) والمعنى من قولهم (الله محبة) أن الله الأب محب لبني آدم وغفر لهم بصلب ابنه - يسوع (عيسى بن مريم عليهما السلام) - والمحبة هي صفة الله التي جاء الكتاب المقدس يدعو لها. قلت: تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فقد جاوزوا ظلما وزورا، هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد. وآمنت بالله ورسوله و أن عيسى عبد الله ورسوله.

الله والله فيه ^(١) وتظهر عندهم في معنى تدبير الله لخلاص العالم من خطيئة أبيهم آدم؛ لفرط محبته لهم وفيض نعمته عليهم؛ فأرسل المسيح ابنه الوحيد للخلاص والتكفير بصلبه، ورضي عن صلبه - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - ليغفر لبني آدم خطاياهم. وأصيل القول وسليبه أن هذا هو الإفك المبين والضلال البعيد، والظلم العظيم. قال الله عز وجل: (فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِعَاثِتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتِّنَا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ^(٢) فَإِنَّ الْقَوْلَ الْحَقُّ هُوَ أَنْ توحيد الله وتحقيقه هو أعلى الفضائل وأجلها، والمحبة هي إحدى الطرق الموصلة إليه في حدود عقيدة المرء وفعله وقوله. وقد جاءت المحبة في الكتاب والسنة كصفة لها فضائل، تظهر حين يتعامل بها الإنسان حال عبادته لله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاته، وحال تعامله مع البشر في حال السمو بأخلاقه الحميدة وغاياته الرفيعة، وحال سعيه في الأرض بالخير حين يتعامل مع نعم الله ومخلوقاته، في كل شؤون الحياة، وكل ذلك له ميزان في الشريعة من حيث المطلوب المرغوب أو المحذور الممنوع، لذا كان للمحبة التأثير القوي في الحياة الفردية والاجتماعية، ويمكن تقسيم هذا التأثير بمعرفة الأصول المؤثرة، والنتائج المحصلة، وفق فضائل المحبة على عدة مستويات أو جزها فيما يلي:

أولاً: فضائل المحبة الجزائية

١) محبة الله ورضوانه:

لن يجد عبد أفضل نعمة، ولا أعظم منة، من الفوز بمحبة الله الدالة على رضوانه، فيكون عاجل البشرى له بالقبول في الأرض، والسعادة فيها، والنعيم المقيم حين لقاء الله له، والفوز بجنته، والتوفيق لرؤية الله جل شأنه، في أمن من الفزع، وأمان من العذاب، بل في روح وريحان، ورب غير غضبان، عند ملك مقتدر، هو الإله الحق، رب غفور شكور، غني كريم. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جَبْرَيْلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جَبْرَيْلُ فَيُنَادِي جَبْرَيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا

(١) إظهار الحق، محمد رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي، تحقيق: عمر الدسوقي، بيروت: المكتبة العصرية، ج ١، ص: ٥٥٩.

(٢) سورة النساء: ١٥٥ - ١٥٩.

فأحبُّوه، فيحبُّه^(١) أهل السماء ثمَّ يُوضعُ له القَبولُ في الأرض^(٢). ويتجلَّى معنى القبول في الأرض للعبد الخجوب من الله وأهل السماء في معنى شامل يدل على إخلاصه وصلاحه، والرضا عنه، والحب له والثناء الحسن عليه، أوضحه في ثلاث نقاط:

أ- إن القبول هو ثمرة الصدق والإحسان مع الله في الطاعة، قال الله تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٣)) ومحبة العبد لله تورثه الإخلاص المقتضي للصدق والإحسان، والمكسب لمحبة الله لعبده، قال ابن الجوزي يرحمه الله: (طهر قلبك من الشوائب، فالحبة لا تلقى إلا في قلب طاهر، أما رأيت الزارع يتخير الأرض الطيبة ويسقيها ويرويها ثم يثيرها ويقلبها، وكلما رأى حبراً ألقاه، وكلما شاهد ما يؤذى نجاه، ثم يلقي فيها البذر ويتعهدها من طوارق الأذى؟ وكذلك الحق عز وجل إذا أراد عبداً لوداده حصده من قلبه شوك الشرك، وطهره من أوساخ الرياء والشك، ثم يسقيه ماء التوبة والإنابة، ويثيره بمسحاة الخوف والإخلاص، فيستوي ظاهره وباطنه في التقى، ثم يلقي فيه بذر الهدى، فيثمر حب المحبة، فحينئذ تحمد المعرفة وطناً ظاهراً، وقوتاً طاهراً، فيسكن لب القلب، ويشبث به سلطانها في رستاق^(٤) البذر، فيسري من بركاتها إلى العين ما يغضها عن سوى الخجوب، وإلى الكف ما يكفها عن المطلوب، وإلى اللسان ما يجسه عن فضول الكلام، وإلى القدم ما يمنعه من سرعة الإقدام، فما زالت تلك النفس الطاهرة راضية العلم، ونديمها الحلم، وسجنها الخوف، وميدانها الرجاء، وبستانها الخلوة، وكثرها القناعة وبضاعتها اليقين، ومركبها الزهد، وطعامها الفكر، وحلواها الأنس، وهي مشغولة بتوطئة رحلها لرحيلها، وعين أملها ناظرة إلى سبيلها، فإن صعد حافظها، فالصحيفة نقية، وإن جاء البلاء فالنفس صابرة تقية، وإن أقبل الموت وجدها من الغش خلية، فيا طوبى لها إذا نوديت يوم القيامة: (يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) ^(٥) ^(٦).

(١) قال بدر الدين العيني الحنفي في عمدة القاري: (وقال الطوفي ذكر البخاري الحب في كتابه ولم يذكر البغض وهو في رواية غيره: وإذا أبغض عبدا نادى جبريل عليه الصلاة والسلام إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء أن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضونه ثم يوضع له البغض في الأرض . قلت: هذا أخرجه الإسماعيلي من طريق روح بن عباد عن ابن جريج . انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أحب الله عبد حبه إلى عباده، حديث رقم: ٦٨٧٣ (٨ / ٤٠). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٩٣٥٢ (١٥ / ٢٠٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب بدء الخلق-باب ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢٠٩ (٤ / ١١١).

(٣) سورة البقرة: ١٩٥.

(٤) الرُّزْزاق والرُّسْتاق واحد، فارسي معرب ألحقوه بقرطاس ويقال رُزْدَاق ورُستاق والجمع الرُّسَاتِيقُ وهي السواد، انظر: لسان العرب لابن منظور (١١٦/١٠).

(٥) سورة الفجر: ٢٧ - ٢٨.

(٦) البواقيت الجوزية في المواعظ النبوية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: السيد عبد المقصود، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٨ هـ. ص: ٣٩.

ب- إن القبول يؤخذ منه أن محبة قلوب الناس شهادة خير له، ومنه معنى قوله ﷺ: (أنتم شهداء الله في الأرض)^(١) لأن أصل الحب والبغض من عند الله تعالى، ويشهد لصحة هذا قوله تعالى في حق موسى عليه السلام: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبِطًا مَنِيًّا وَلَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)^(٢) قال بعض أهل التفسير^(٣): أي حبيتك إلى عبادي.

ج- إن القبول في الأرض يعني عند أكثر من يعرفه من المؤمنين، ويبقى له ذكر صالح، وقيل معناه أن يلقي الله في قلوب أهل الأرض محبته بالمدح والثناء عليه. وفيه أن كل مسلم محبوب القلوب من المؤمنين فهو محبوب من الله.

وهذا الفضل جذب المؤمنين لحب بعضهم البعض، وتسابق إليه أهل الفضل من هذه الأمة، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، ومن أجهل آثارهم التي ينشرح الصدر بذكرها، ويزداد القلب حبا لهم على حب، هذا الأثر العظيم، عن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني^(٤) قال: دخلت مسجد حص^(٥) فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً^(٦) من أصحاب النبي ﷺ، فإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا ساكت، فإذا امتري القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، فوقع له في نفسي حب، فكنت معهم حتى تفرقوا، ثم هجرت إلى المسجد، فإذا معاذ بن جبل قائم يصلي إلى سارية، فسكت. لا يكلمني فصليت ثم جلست، فاحتببت برداء لي، ثم جلس فسكت لا يكلمني، وسكت لا أكلمه، ثم قلت: والله إني لأحبك. قال: فيم تحبني؟ قال: قلت: في الله تبارك وتعالى، فأخذ بجوتي فجرني إليه هنية، ثم قال: أبشر إن كنت صادقاً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغطهم النبيون والشهداء» قال: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت: يا أبا الوليد ألا أحدثك بما حدثني معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: فأنا أحدثك عن النبي

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجنائز-باب ثناء الناس على الميت، حديث رقم: ١٣٦٧ (٢/ ٩٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الجنائز-باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حديث رقم: ٢٢٤٣ (٣/ ٥٣).

(٢) سورة طه: ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ٢٨٤.

(٤) عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني، غلبت عليه كنيته. قال شرحبيل بن مسلم: أتى أبو مسلم الخولاني المدينة وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر، وكان فاضلاً عابداً ناسكاً، له فضائل مشهورة، وهو من كبار التابعين. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ٨٦٠) وتوفي أبو مسلم الخولاني بعد سنة ستين في أيام يزيد بن معاوية، انظر الوفيات لأبي العباس الخطيب (١/ ٩٧).

(٥) المدينة الشامية المعروفة، مدينة قديمة مشهورة بين دمشق وحلب. يمر من جانبها نهر العاصي. ينسب إليها كثير من العلماء والشعراء، وفيها قبر بطل الإسلام خالد بن الوليد ؓ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٣٠٢).

(٦) الكاف والهاء واللام أصل يدل على قوة في الشيء أو اجتماع جيلة. من ذلك الكاهل: ما بين الكتفين: سمي بذلك لقوته. ويقولون للرجل المجتمع إذا وخطه الشيب: كهل، وامرأة كهلة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٤٤).

ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل قال: «حققت محبتي للمتحابين فيّ، وحققت محبتي للمتزاوئين فيّ، وحققت محبتي للمتباذلين فيّ، وحققت محبتي للمتواصلين فيّ»^(١).

(٢) الأمن يوم القيامة:

لقد وصف الله تعالى في القرآن العظيم زلزلة الساعة أنها شيء عظيم، ويتبعها أهوال ومشاهد ومواقف، ومن ذلك الصعق والبعث والعرض والحساب والميزان واستلام الكتب والصراط والجنة والنار، ومن عظيم هولها فإن كلام الرسل عند مجاوزة الصراط يومئذ: اللهم سلم، سلم، وفي تلك الأهوال يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، الكل يقول: نفسي.. نفسي، ويأتي الأنبياء شهداء على أمهم، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهيدة على الأمم، قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)^(٢) ويقول نبينا محمد ﷺ في الشفاعة: أمتي أمتي، أورد الإمام النووي في شرحه لقول الرسول ﷺ: (وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ)^(٣) قال: (مَعْنَاهُ لِشِدَّةِ الْأَهْوَالِ وَالْمُرَادِ لَا يَتَلَكَّمُ فِي حَالِ الْإِجَارَةِ، وَإِلَّا فَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَوَاطِنَ يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِيهَا، وَتُجَادَلُ كُلُّ نَفْسٍ عَنْ نَفْسِهَا، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَلَاوُمُونَ، وَيُخَاصِمُ التَّابِعُونَ الْمُتَبُوعِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ ﷺ: (وَدَعَايَ الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ) هَذَا مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِمْ وَرَحْمَتِهِمْ لِلْخَلْقِ وَفِيهِ أَنَّ الدَّعَوَاتِ تَكُونُ بِحَسَبِ الْمَوَاطِنِ فَيَدْعَى فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(٤). وحتى الأخلاء في الدنيا تنقلب خلتهم في الآخرة إلى عداوة إلا أهل التقوى، قال الإمام البغوي: ({ الْأَخِلَاءُ } عَلَى الْمَعْصِيَةِ فِي الدُّنْيَا، { يَوْمَئِذٍ } يَوْمُ الْقِيَامَةِ، { بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } إِلَّا الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(٥). وهذا من فضل وفضيلة محبة في الله، فتكون في تلك الأهوال والمواقف سببا في الرفعة والأمن من الفزع، وتفريج الكربات، وتحقيق الأمان بالقرب من الرحمن، والاستظلال في ظله، حين يكون الناس غرقى في عرقهم بحسب أعمالهم والشمس في دنو من رؤوس الخلائق، والناس في حال لا يعلم قدرها وعظيم أمرها إلا الله القوي العزيز، قال سبحانه

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٠٦٤ (٣٦ / ٣٨٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) حديث رقم: ٧٤٣٧ (٩ / ١٢٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: ٤٦٩ (١ / ١١٢).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٣، ص: ٢٠ - ٢١.

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٧، ص: ٢٢١.

وتعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١) النجاة فيها دعوة الجميع، ومطلب الشفاعة لدى رب العالمين في القضاء والحساب هي الشغل لأهل الجمع، فيطلبونها من الدعاة الأخيار، أهل النبوة والرسالة وتقف عند خاتم النبيين وخير المرسلين نبينا محمد ﷺ، فيقول ﷺ: أنا لها، أنا لها. وفي ذلك الموقف العظيم، يفرح المتحابون في الله وجلاله، وعلى طاعته، يفرحون بخصوصية الأمن في ظل الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِيَّ جَلَالِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٢). وقوله: (المتحابون بجلالي) أَيَّ بَعْظَمَتِي وَطَاعَتِي لَا لِلدُّنْيَا، أورده الإمام النووي^(٣) وقوله (أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) نقل تقرير العلماء لمعناها صاحب تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي بقوله (قَالَ عِيَّاضُ^(٤)): إِضَافَةُ الظِّلِّ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةُ مَلِكٍ وَكُلُّ ظِلٍّ فَهُوَ مَلِكُهُ. قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ لِيَحْصُلَ امْتِيَازٌ هَذَا عَلَى غَيْرِهِ كَمَا قِيلَ لِلْكَعْبَةِ بَيْتُ اللَّهِ مَعَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ كُلَّهَا مَلِكُهُ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِظَلِّهِ كَرَامَتُهُ وَحِمَايَتُهُ، كَمَا يُقَالُ فَلَانٌ فِي ظِلِّ الْمَلِكِ، وَهُوَ قَوْلُ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ^(٥) وَقَوَّاهُ عِيَّاضٌ. وَقِيلَ الْمُرَادُ ظِلُّ عَرْشِهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ سَلْمَانَ^(٦) عِنْدَ سَعِيدٍ^(٧) بْنِ مَنْصُورٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّ

(١) سورة المطففين : ٤ - ٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٦٧١٣ (٨ / ١٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦، ص: ١٢٣.

(٤) القاضي، أبو الفضل عِيَّاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَّاضِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَّاضِ الْيَحْصِي، الْأَنْدَلُسِيُّ، ثُمَّ السَّبْتِيُّ، الْمَالِكِيُّ. وَلِدَ: فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَعِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ. رَحَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ بَضْعٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى التَّمِيمِيِّ، وَالْقَاضِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْلِيِّ. وَاسْتَبَحَرَ مِنَ الْعُلُومِ، وَجَمَعَ وَالْفَّ، وَسَارَتْ بِتَصَانِيفِهِ الرُّكْبَانُ، وَاشْتَهَرَ اسْمُهُ فِي الْأَفَاقِ. قَالَ خَلْفُ بْنُ بَشْكُوَال: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ وَالذِّكَاةِ وَالْفَهْمِ، اسْتَقْضَى بِسِتَّةٍ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ، حُمِدَتْ سِرُّهُ فِيهَا، ثُمَّ نُقِلَ عَنْهَا إِلَى قَضَاءِ غَرْنَاطَةِ، فَلَمْ يُطَوَّلْ بِهَا، وَقَدِمَ عَلَيْهَا قُرْطُبَةَ، فَأَخَذْنَا عَنْهُ. مِنْ تَوَالِيْفِهِ، (الشفا في شرف المصطفى)، وَكِتَابُ (تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ وَتَقْرِيبِ الْمَسَالِكِ فِي ذِكْرِ فَهْمَاءِ مَذْهَبِ مَالِكٍ)، وَكِتَابُ (العقيدة)، وَكِتَابُ (شرح حديث أم زرع)، وَكِتَابُ (جامع التاريخ) الَّذِي أَرَبَى عَلَى جَمِيعِ الْمُؤَلَّفَاتِ، جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، وَاسْتَوْعَبَ فِيهِ أَخْبَارَ سِتَّةٍ وَعَلَمَاءِهَا، وَلَهُ كِتَابُ (مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ فِي اقْتِفَاءِ صَحِيحِ الْأَثَارِ) وَمِنْ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ (الإكمال في شرح صحيح مسلم) كَمَلَّ بِهِ كِتَابُ (المعلم) لِلْمَازَرِيِّ، وَكِتَابُ (التَّسْبِيْهَاتِ)، قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلْكَانَ: شَيْؤُخ الْقَاضِي يُقَارِبُونَ الْمِائَةَ، تُوفِّيَ فِي مَرَاكَشَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٤ / ٣٩).

(٥) عِيسَى بْنُ دِينَارٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيُّ الْقُرْطُبِيُّ، فَقِيْهُهُ الْأَنْدَلُسِ، وَمُفْتِيْهَا، وَكَانَ صَالِحًا، خَيْرًا، وَرِعًا، يُذَكَّرُ بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ. كَانَ ابْنُ وَضَّاحٍ يَقُولُ: هُوَ الَّذِي عَلَّمَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ الْفَقْهَ. وَقَالَ الْفَقِيْهُ أَبَانُ بْنُ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ: كَانَ أَبِي قَدْ أَجْمَعَ عَلَى تَرْكِ الْفَتَا بِالرَّأْيِ، وَأَحَبَّ الْفَتَا بِالْحَدِيثِ، فَأَعْجَلَتْهُ الْمَيَّةُ عَنْ ذَلِكَ، تُوفِّيَ: سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩ / ٤٣٣).

(٦) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٧) سعيد بن منصور أبو عثمان الخراساني الجوزجاني ، ولد بها ، نشأ ببلخ ، وسكن مكة، سنين وهو مجاور بها ، ثقة، انظر: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٣ / ١٠٨٧). مات سنة سبع وعشرين ومِئتين انظر: التاريخ الأوسط للبخاري (١٠١٧ / ٤).

عَرَّشَهُ " فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ^(١) قَالَ: وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ الْعَرْشَ اسْتَلْزَمَ مَا ذُكِرَ مِنْ كَوْنِهِمْ فِي كَنْفِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ؛ فَهُوَ أَرْجَحُ، وَبِهِ جَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ، وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا تَقْيِيدُ ذَلِكَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ ^(٢) فِي رَوَايَتِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) بْنِ عُمَرَ وَهُوَ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ فِي كِتَابِ الْحُدُودِ، قَالَ: وَبِهَذَا يَنْدَفِعُ قَوْلُ مَنْ قَالَ الْمُرَادُ ظِلُّ طُوبَى أَوْ ظِلُّ الْجَنَّةِ لِأَنَّ ظِلَّهُمَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهُمْ بَعْدَ الْإِسْتِقْرَارِ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ مُشْتَرِكٌ لِجَمِيعٍ مَنْ يَدْخُلُهَا ^(٤)) والذي عليه الأكثرون في تحرير القول في مسألة استظلال المتحابين في الله، أنه ظل حقيقي، في ظل الله أو ظل عرشه أو ظل العمل الصالح للعبد، وذلك على ظاهر اللفظ لا يسأل عن كيفيته على سائر مسائل الغيب العقدية والوقوف عند حدود المعلوم من نصوص الشرع الثابتة، وبه أصبح من المفصول قول من قال بتأويل الظل بالراحة والتنعم والكنف من المكاره مجازاً، وهذا ما يؤكد قول القاضي عياض بقوله: (وظاهره أنه سبحانه يظلمهم حقيقة من حر الشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلائق وهو تأويل الأكثرين) وأيضاً ما نقله الزرقاني في شرح الموطأ عن الإمام القرطبي، قال: (قال القرطبي: فإن قيل حديث المرء في ظل صدقته حتى يقضي الله بين الخلائق، وحديث سبعة يظلمهم الله يدل على أن في القيامة ظلالاً غير ظل العرش، أجيب بأن فيها ظلالاً بحسب الأعمال تقي أصحابها حر الشمس والنار وأنفاس الخلائق، ولكن ظل العرش أعظمها وأشرفها، يخص الله به من شاء من عباده الصالحين، ومن جملتهم المتحابون في الله، ويحتمل أنه ليس هناك إلا ظل العرش يستظل به المؤمنون أجمع، ولكن لما كانت تلك الظلال لا تنال إلا بالأعمال، وكانت الأعمال تختلف، حصل لكل عامل ظل يخصه من ظل العرش، بحسب عمله وسائر المؤمنين شركاء في ظله، وهذا كله على أن الاستظلال حقيقي ^(٥))

٣) حماية الله لمن يحبه من الدنيا:

(١) يأتي بيان الحديث بأكمله في الفصل الثاني من هذه الرسالة عند بيان محاب الله، المطلب الأول من المبحث الأول.
(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأئمة في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، من أهل مرو، وكانت أمة خوارزمية. مولده في سنة ثمان عشرة ومئة. فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة. ارتحل ابن المبارك إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن. قال أحمد العجلي: ابن المبارك ثقة ثبت في الحديث، رجل صالح يقول الشعر، وكان جامعاً للعلم. قال العباس بن مصعب: جمع عبد الله الحديث، والفقه، والعريضة، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والخبّة عند الفرق. قال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه. مات ابن المبارك بهيت وعانات في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٧٨/٨) وانظر: الثقات لابن حبان (٧/٧).
(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه أم كلثوم بنت جرجل الخزاعية، وهو أخو حارثة بن وهب الصحابي المشهور لأمه، ولد في عهد النبي ﷺ، فقد ثبت أنه غزا في خلافة أبيه، كان عبيد الله من شجعان قريش وفرسانهم، ولما قتل أبو لؤلؤة، عمر، عمه عبيد الله ابنه هذا إلى الهرمزان وجماعة من الفرس فقتلهم، ولا خلاف في أنه قتل بصفين مع معاوية واختلف في قاتله، وكان قتله في ربيع الأول سنة ست وثلاثين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥ / ٥٢).

(٤) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ١٨٨٥ - ١٨٨٦.

(٥) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ج ٤، ص: ٤٣٦.

الدنيا مطلب يسعى إليه الإنسان، فمنها المغرم ومنها المغنم، ولو عرف الإنسان المغنم فيها لاجتنب المغرم، ولكن يمضي بأخذ الأسباب الموصلة لحياة الإنعام، تحت مشيئة الله القدرية الكونية والشرعية، فما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وهذا في حق سائر البشر، وفي حقوق الرسل البشرية، يقول تعالى في حق النبي ﷺ: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)^(١) فإن كان للرسل والأنبياء من الله الاصطفاء بالوحي والتأييد بالمعجزات، وهم أشد الناس بلاء لعظمة وقوة تمسكهم بدين الله، والدعوة إليه؛ فقد حفظهم من الدنيا، وأصبحت نفوسهم طاهرة بطلبهم الآخرة، وكانت حياتهم في الدنيا كفافاً أو عطاء في سبيل الله، وهذا من حب الله لهم، وهو مؤكد في حق من أحبههم سبحانه؛ لأن من كانت الجنة مطمعه أخذ من الدنيا ما يبلغه، وحفظه الله من غرورها، وجزاه على صبره الجنات، قال الله تعالى: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتْنَعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ) * قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)^(٢) قال الإمام الطبري في تفسيره: (زَيْنَ للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ. وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحبّ الرياسة فيها، على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه)^(٣) أما أهل التقوى والاتباع فقد وعدهم الله الجنات والنعيم، وهذه فضيلة من فضائل المحبة؛ أن يفوزوا بنعيم الآخرة الدائم وأجر الصبر على الابتلاء والبلاء، كما قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤِثِّرُ الْقَصِيرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)^(٤) عن قتادة بن النعمان^(٥)، أن رسول الله قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ»^(٦). وعن محمود بن لبيد^(٧)، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَحْمِيَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يَحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٤ - ١٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٢٤٣.

(٤) سورة الزمر: ١٠.

(٥) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي ثم الظفري، أخو أبي سعيد الخدري لأمه، أمهما أنيسة بنت قيس النجارية، مشهور يكنى أبا عمرو الأنصاري، يكنونه أبا عبد الله، وقيل: كنيته أبو عثمان، قال البخاري له صحة، وقال خليفة وابن حبان وجماعة شهد بدراً، روي أنه أنه أصيب عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: لا حتى نستأمر رسول الله ﷺ، فاستأمره، فقال: لا، ثم دعا به فوضع راحته على حدقته، ثم غمزها، فكان لا يدري أي عينه ذهب. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥ / ٤١٦).

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الطب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الحمية، حديث رقم: ٢٠٣٦ (٤ / ٣٨١). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير - للسيوطي .

الطعام والشراب تخافونه عليه .» وبهذا الإسناد فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»^(١).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر)^(٢). فإن الذم الواقع للعالم ليس لما فيها من المخلوقات وما أعده الله فيها من المنافع الكثيرة والمصالح المتراكبة، بل فيها الدليل على عظيم قدرته ووحدانيته سبحانه، وإنما الذم واقع على فعل بني آدم فيما يضر به نفسه أو غيره، أدرك ذلك أم لم يدركه، وحى الله المؤمنين من غرور الدنيا، فقد حرم المحرمات من فضول الملذات والشهوات، ومظاهر البهجة والزينة؛ لما ادخره سبحانه لعباده المؤمنين من نعيم لا يوصف، وزهرة لا تنقطع في الآخرة؛ ولا يدرك ذلك إلا بالصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء. وحيث أن الدنيا دار ابتلاء واختبار فقد انقسم بنو آدم فيها إلى قسمين:

(١) كافر بالبعث والنشور منكر للثواب والعقاب. فأولئك الذين قال الله فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِتِنَا غَافِلُونَ) ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ آلَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٣).

(٢) مؤمن بالبعث والحساب مصدق بالجنة والنار وهؤلاء الذين قال الله فيهم: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)^(٤) وهم أتباع الرسل، ويتفاضلون بأعمالهم على ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه بالآثام، وقسم مقتصد على حافة من الآثام، وذو فضل كبير سابق بالخيرات بإذن الله، موعود بجنات عدن من الله الغفور الشكور، وقد أبان أهل التفسير وصفهم عند تفسير سورة فاطر قال الله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)^(٥):

فإن السابقون بالخيرات هم من علم حقيقة الدنيا بأنها دار ممر فانية إلى دار القرار الآخرة الباقية، وأنهم في مرحلة بلاء فيها إلى دار جزاء، وقد أفلح من أحسن عملاً، واكتفوا منها بزيادة المسافر في السفر ليبلغ دار القرار وامتلوا قول النبي ﷺ في الدنيا، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير،

(١) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٦٢٣ (٣٩ / ٣٥). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند، قال: إسناده جيد. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير - للسيوطي .

(٢) انظر: صحيح مسلم -كتاب الزهد والرقائق- باب حديث رقم: ٧٦٠٦ (٨ / ٢١٠).

(٣) سورة يونس : ٧ - ٨.

(٤) سورة الشورى: ٢٢.

(٥) سورة فاطر: ٣٢.

فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: (ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)^(١).

ثانيا: فضائل المحبة النفسية

(١) الاطمئنان القلبي والنفسي:

إن جميع البشر باختلاف عقائدهم وألوانهم ومنازلهم، في سعي حثيث نحو الاطمئنان القلبي والنفسي، بين طلاب له في المال أو الجاه أو السلطان، أو الاستكثار من ملذات الحياة؛ ولكن السبل قد تنقطع بهم إلى الفقر أو الذل أو العجز، ويبقى الأصل الذي عليه الاعتماد، والسبيل الواضح لمبتغي الرشاد، أن المحبة النابعة من صريح الإيمان بالله هي المصدر لحلاوة الإيمان، ولذة اليقين بالله الموصل إلى السعادة في الدنيا، ورضوان الله وجنته، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ^(٢) فمن هذا الحديث الذي عده العلماء أصل من أصول الإسلام يتقرر أن المحبة هي الحبل المتين بالثلاث الحسان، المنعقد عليها وجود حلاوة الإيمان، وهي:

(١) محبة العبد لله ولرسوله ﷺ.

(٢) محبة المرء في الله سبحانه وتعالى.

(٣) محبة الإسلام وكرهية العودة إلى الكفر، كرهاة أن يقذف في النار .

ذكر الإمام النووي يرحمه الله في شرحه لهذا الحديث نقلا عن القاضي عياض يرحمه الله مبينا أثر المحبة في النفس والقلب وحقيقتها، قال: (لَا يَصِحُّ الْمَحَبَّةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ حَقِيقَةً، وَحُبُّ الْآدَمِيِّ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٣) ﷺ، وَكَرَاهَةُ الرُّجُوعِ إِلَى الْكُفْرِ إِلَّا لِمَنْ قَوِيَ بِالْإِيمَانِ يَقِينُهُ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسُهُ، وَأَنْشَرَاحَ لَهُ صَدْرُهُ، وَخَالَطَ لَحْمَهُ وَدَمَهُ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَجَدَ حَلَاوَتَهُ. قَالَ: وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ مِنْ ثَمَرَاتِ حُبِّ اللَّهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحَبَّةُ مُوَاطَاةُ الْقَلْبِ عَلَى مَا يُرْضِي الرَّبَّ سُبْحَانَهُ؛ فَيُحِبُّ مَا أَحَبُّ، وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٧٤٤ (٤ / ٤٧٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦ (١ / ١٢). و انظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم: ١٧٤ (١ / ٤٨)

(٣) قلت :إن القصد من محبة الآدمي في الله واضح المعنى أما محبة الآدمي في رسول الله ﷺ فإنها مخصصة في حب أهل بيته ومن يحب ﷺ، وإن قصد حب النبي ﷺ في الله فهو واجب يقوم عليه أصل الإيمان وهو الوجه الأول في إعراب العبارة.

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ بِمَا لَا يُتَوَلَّى إِلَى اخْتِلَافٍ إِلَّا فِي اللَّفْظِ. وَبِالْجُمْلَةِ أَصْلُ الْمَحَبَّةِ الْمَيْلُ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْمُحِبَّ، ثُمَّ الْمَيْلُ قَدْ يَكُونُ لِمَا يَسْتَلِذُّهُ الْإِنْسَانُ، وَيَسْتَحْسِنُهُ كَحُسْنِ الصُّورَةِ وَالصَّوْتِ وَالطَّعَامِ وَنَحْوِهَا، وَقَدْ يَسْتَلِذُّهُ بِعَقْلِهِ لِلْمَعَانِي الْبَاطِنَةِ كَمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ مُطْلَقًا، وَقَدْ يَكُونُ لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَدَفْعِهِ الْمَضَارَّ وَالْمَكَارَةَ عَنْهُ. وَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي النَّبِيِّ ﷺ لِمَا جَمَعَ مِنْ جَمَالِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَكَمَالِ خِلَالِ الْجَلَالِ، وَأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ، وَإِحْسَانِهِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِهَدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَدَوَامِ النِّعَمِ، وَالْإِبْعَادِ مِنَ الْجَحِيمِ. وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذَا مُتَصَوِّرٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ: الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ مِنْ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ (١).

اتفق أهل العلم على أن النفس والقلب في الإنسان لهما حالات متغيرة، وأن حال الاطمئنان هي أزكاها وأنقاها، وكل مسلم يدرك ذلك من قول الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً) (٢) وقوله تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (٣) وكذلك يسعى جميع البشر إلى الشعور بحال الاطمئنان النفسي والقلبي، وإن تحسّل الإنسان عليه في زمن من حياته؛ فلن يستطع الإبقاء عليه في حد ثابت؛ لأن قاعدة التغير من ثوابت الحياة الدنيا وأصول العيش فيها، وللأنبياء والأولياء خصوص في ذلك، وكذلك للمسلم خصوص عن غيره من البشر في هذا الأمر، وهو حلاوة الإيمان، فمن ذاق طعمها استأنس بوجودها وسعد في حياته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (النفس المطمئنة أي المصدقة) (٤)، إذن فإن نفس المسلم هي المصدقة بالوحي وبما وعد الله، تشكر في السراء وتصابر في الضراء، وهكذا يكون الرضا بالقضاء والقدر، حين يستسلم القلب لله بالتوحيد وتحصل التقوى بالامتثال لأوامر الله ونواهيه، ويكون الفلاح بالإخلاص والمتابعة في الطاعة، فإن النفس بتقواها والقلب بصلاحه محوران تدور معهما سعادة الإنسان وشقاوته، في شرطين هما الأس لهذا الاطمئنان: وهما الإيمان والتقوى، فالنفس المطمئنة التقية هي الناجية، قال الله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَهْمَهَا لُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ) (٥) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (٥). وصاحب القلب الذاكر الصالح هو المؤمن الصالح، عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٢، ص: ١٤.

(٢) سورة الفجر: ٢٧-٢٨.

(٣) سورة الرعد: ٢٨.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤٢٣.

(٥) سورة الشمس: ٧-١٠.

(سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنْ حَمَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمَهُ أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)^(١). ومنه نعلم أن الإيمان بالله ومن لوازمه التقوى شرط في الاطمئنان النفسي والقلبي، بل هو أصل في دين الإسلام، ومرتبة من مراتبه العظيمة في العقيدة والعبادة، وجاء تعريفه في عقيدة أهل السنة والجماعة جامعا لقلب الإنسان ولسانه وجوارحه، فهو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان^(٢) وثبت في السنة الشريفة أن الإيمان يتفرع إلى أكثر من سبعين شعبة، ويتفاوت الناس في تحقيقه بين درجات توصل إلى الكمال أو تنافيه، وذلك بموجب ما هم عليه من إخلاص في النيات، أو صلاح في الأعمال، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله و أوضعها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)^(٣).

٢) معالجة الأمراض النفسية:

إن النفس البشرية ذات خصائص طبيعية فطرية ومكتسبة، ومنه قيل (ليغلبن الطبع التطبع) وتتكون هذه الخصائص في أدوار النشأة والنمو بين زيادة ونقصان، وتتكون أيضا من خلال تأثير الإنسان بالظروف المحيطة به في مراحل حياته العمرية، ونحن مأمورون شرعا بالتفكير والتدبر والتبصر، قال سبحانه وتعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠١﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ^(٤) فإن المستبصر ليدرك أن خصائص النفس الإنسانية تجعلها عرضة للأمراض النفسية الكثيرة وإن حقيقة المحبة هي العلاج الناجع لكثير من أمراض النفس، بل كلها؛ حين تكون في توازن وعدل، انطلاقا من زرع بذور الخير فيها منذ الصغر، والبعد بها عن مؤثرات الشر والعدوانية، ولمعرفة أثر المحبة في العلاج النفسي، يجب أن ندرك الأسباب الحقيقية للمرض ومدى علاقتها بالمحبة أثناء تشخيص المريض، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: ٩ (١ / ١١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: ٤١٧٨ (٥ / ٥٠).

(٢) جاء في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكري (ما ذهب إليه المصنف من أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان هو مذهب عامة السلف، وهو من شعائر أهل السنة بل قد وضع الإجماع عليه كما حكاه غير واحد. فقد قال الإمام الشافعي في "الأم" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدر كنا يقولون: "الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر"). (١ / ١٧٦).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب شعب الإيمان، حديث رقم: ١٦٢ (١ / ٤٦).

(٤) سورة الذاريات: ٢٠-٢١.

س: ما مدى حبه للخير؟ فإن النفس تعيش بين الخير والشر، بلاء وفتنة. قال الله تعالى (وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً^١ وَلِيِّنَا تَرْجِعُونَ^(١)).

س: ما عمر المريض؟ وهل هو في حال قوة حب من الدنيا أم في حال ضعف؟ قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ^(٢)). نعم إن نفسه عامرة في جسد خلق من ضعف أخذ في القوة ثم يرجع إلى ضعف وشيبة وهرم وخرف، ينتهي بجهل بعد علم وموت ثم مبعث.

س: ما مدى حبه للتملك والاستكثار؟ وهل هو في فخر وغرور وبخل؟ أم في شكر وحمد وعطاء؟ قال الله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا حِثَابِنَا إِذْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ^(٣)). وقال الله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا^(٤) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا^(٥) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا^(٦)). قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدينية: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} ثم فسره بقوله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} أي: إذا أصابه الضر فرع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير. {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها)^(٥)

س: ما مدى الأمل والتفاؤل في نفس المريض؟ أم هو في يأس وقنوط؟ قال الله تعالى: (لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَفْئِسْ قَنُوطٌ^(٦)). نعم. إن نفس الإنسان تدفع إلى العجل، فقد خلق الإنسان عجولاً، والصواب أن يدفعها بالحب إلى الثبات على الخير، ويجدد لها الأمل في البقاء عليه.

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى النفس في القرآن الكريم بثلاث حالات: النفس الأمانة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. وإن الإنسان المستبصر بأحوال النفس وخصائصها؛ ليدرك أنها عرضة لأنواع كثيرة من الأمراض النفسية، التي تختلف باختلاف مراحل النمو وظروف النشأة لدى الناس، من حيث الزمان والمكان وطبيعة المجتمع، ومن أعظم هذه الأمراض:

أ) الكبر والعجب ويمثلهما انحراف في حب الذات، على أثر المحصلات المفضلة في الدنيا، وزيادة العجب بالنفس بزيادة الحب له، والإصابة بغرور العظمة. ومن علاجهما نقصان الحب المنحرف والوصول به إلى حد الاعتدال، وكشف حقيقة الخلق وضعف المخلوق وعظمة الخالق، مع ضرب أمثلة الاعتبار في مصير

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢) سورة الروم: ٥٤.

(٣) سورة فصلت: ٥١.

(٤) سورة المعارج: ١٩ - ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٢٢٦.

(٦) سورة فصلت: ٤٩.

المتكبرين. قال الله تعالى في حق قارون: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) (١).

ب) الحسد والحقد، ويمثلهما انحراف في حب الدنيا والذات، وزيادة حب التملك، ومن علاجهما العمل على نقصان الانحراف إلى حد الاعتدال، وكشف حقيقة الفعل وردة الفعل في مواقفه مع غيره، وهل يرضى بمثلها على نفسه؟. عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفَشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (٢).

ج) القلق والأرق، ويمثلهما ضعف قيمة المحبة بضعف الإيمان وفقدان الثقة بالنفس والاجتماع. ومن علاجهما الخلطة الاجتماعية، وزيادة التعامل بالمحبة من الطرفين - المريض والاجتماع - إلى حد الاعتدال.

د) الضيق (الهم والحزن)، ويمثلهما الانقطاع الزمني لبواعث المحبة وفق مقتضيات الحوادث المؤثرة على النفس من الظروف الخبيطة والاجتماع. ومن علاجهما دراسة تعزيز وسائل المحبة المادية والمعنوية، التي من خلالها يمكن تقوية قدرات النفس على مواجهة الحوادث. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا حَزَنٍ وَلَا وَصَبٍ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ عَنَّا سَيِّئَاتِهِ » (٣). وكان ﷺ في دعائه يستعيد من الهم الحزن، وهذا من الوسائل العلاجية الهامة لمن أصيب بهم أو حزن، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ » (٤).

هـ) الاكتئاب والانطواء، ويمثلهما فقدان عامل المحبة العملي، الموصل لمحبة الآخرين وضعف الإيمان بالقضاء والقدر. ومن علاجهما زيادة المحبة العملية المادية والمعنوية، وبحث السبل الموصلة إلى ذلك، ومن أهمها تعزيز الإيمان بالقضاء والقدر، والحث على الاستقامة الشرعية، قال الله تعالى: (قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٢٨﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

(١) سورة القصص: ٧٨.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم: ٢٥١٠ (٤ / ٦٦٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٤٣٠ (٣ / ٤٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وفي صحيح سنن ابن ماجه. وأصله عند مسلم في صحيحه.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في ثواب المريض، حديث رقم: ٩٦٦ (٣ / ٢٩٨). قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح. وأصله عند البخاري في صحيحه.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب من غزا بصبي للخدمة، حديث رقم: ٢٨٩٣ (٤ / ٣٦).

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى^(١) والالتزام بذكر الأذكار الشرعية يطرد الهموم، ومضاد للاكتئاب؛ لأنه يؤدي إلى انشراح الصدر واطمئنان القلب .

و) الوسوسة وانفصام الشخصية، ويمثلهما ذبذبة وتردد في موجات المحبة، تبعاً لترعات الوسواس القهري وسلطة الأشياء المسموعة والرؤى اليقظية التي فصمت نفسه عن الحقيقة وفصلتها عن الواقع ، ودفعتها إلى أشياء ماثلة في نفسه لا تنفك عنه إلا بالعلاج. ومن علاجهما دراسة أوقات الثبات في الحالة، وتعزيز المحبة فيها، مع شغل النفس بمهام عملية وذهنية أخرى، لها نفس قوة التأثير أو أعلى ولكن بشكل إيجابي.

وهذه الأمراض ذات خطورة على حياة الإنسان ومصيره، بل هي مفاتيح للشر على الفرد والأسرة والمجتمع، وحين يتم تشخيص المريض بأي منها، يتضح من تحديد الأسباب وخطوات العلاج؛ أن نقصان المحبة أو فقدانها أو انحرافها سبب في المرض، وأن تصحيح ذلك في شخصية المريض بالمحبة المعتدلة إحدى الخطوات الهامة في العلاج، فمن حكم أوامر الشرع الحكيم في الكتاب والسنة غرس المحبة في النفوس والتربية عليها، والتعامل بها في ميزان العدل ووفق حدود الشرع، ومن وصل به الأمر إلى حد المرض، كان لزاماً عليه البحث عن العلاج المادي والمعنوي، ولأهمية المحبة في تشخيص المرض وحدود العلاج، تم بيان العلاقة العامة في ذلك. ولعل دراسة أحوال النفس في القرآن من الطرق الهامة في معرفة العلاج السليم لكل مرض نفسي، حيث ذكرت النفس في القرآن الكريم في حال الجمع والإفراد (١٥٥) مرة، وكلها تؤكد دواعي مؤثرة في النفس و السلوك الإنساني، وجناية الخير والشر في حدود الرغبة والمصير، مما يتضح منه ما يلزم النفس من خصائص عامة، واستثنى الله سبحانه المؤمنين المجتهدين في الطاعات، كما في سورتي المعارج والمؤمنين بالمداومة والخشوع والإخلاص في الصلاة، والزكاة والعهد والأمانة وميزهم بوصف الإحسان والتقوى والإيمان، ووعدهم الدرجات العلى في جنات عدن خالدين فيها أبداً، في رحمة منه ورضوان.

ثالثا: فضائل المحبة الاجتماعية والاقتصادية

التعاون منطق الوجود الإنساني على الأرض، بدءا من التعاون الأسري بين الزوجين والأولاد القائم على المودة والرحمة، وامتدادا لسائر أفراد المجتمع في نطاق الحياة، ومواقفها المتعددة، التي يهدف الكل من خلالها إلى تنظيم العمل، وسد الحاجة من الضرورات والاستمتاع بها وبغيرها. والمرء قليل بنفسه كثير بأعوانه، والمجتمع المسلم من أكثر المجتمعات تماسكا لما حثت عليه أوامر الشريعة من التعاون والتكافل القائم على المحبة، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ)^(١). وعلى هذا الأصل نجد أن المحبة من المؤثرات الهامة، وفضائلها الاجتماعية والاقتصادية كثيرة جدا، منها :

١) يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، الرعاية تحب الراعي وتطيعه، والراعي يحب رعيته ويسعى لما يسعدهم. والأسرة تقوم في الإسلام على علاقة المحبة والبر، وهما من أسباب الألفة بين القلوب، وما تقوم به الحقوق بين الوالدين والأولاد، من بذل المال بالإنفاق وبذل المعروف بطيب العشرة، والبشر والتودد وجميل القول ورقة الطبع.

٢) لقد أمر الإسلام بتعزيز الحقوق والواجبات لكل فرد، وحث على العناية بأصحاب الظروف والقدرات الخاصة، كالمعاقين واليتامى والأرامل والمساكين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمَ النَّهَارَ)^(٢).

٣) إن المجتمع عبارة عن منظومة من الأفراد، تجمع بينهم المصالح والمنافع، وتقوم حياتهم عليها. ومتى سادت المحبة بينهم؛ فإنه سيأخذ كل فرد حقوقه ويؤدي الواجبات التي عليه، سواء قامت على النسب أو الجيرة أو الصداقة، أو حق الرعاية الواجبة أو النافلة.

٤) للمحبة دور كبير في الاستقرار الأمني، وخلو المجتمع من المشكلات، ويعد هذا عاملا هاما في تطور المجتمع على المستوى المعيشي أو الاقتصادي، أو على مستوى الأعمال والأخلاق والصناعات، ومما يؤكد دائما أن سيادة العدل بأداء الأمانة في المسؤولية والقضاء على الطبقة الظالمة؛ يعالج كثيرا من الأمراض الاجتماعية، من شهادة الزور وكثرة العنوسة، وانتشار الطلاق، وشيوع البطالة. وكثرة الجرائم والجنايات كالقتل والزنا والسرقة وغيرها... وهذه الجرائم تصدر غالبا عن أشخاص مرضى بما يسمى في علم النفس بالشخصية السيكوباتية، وهي كما يصفها المتخصصون: (إن هؤلاء المرضى ليسوا بالذهانين، وليسوا

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب المظالم-باب نصر المظلوم، حديث رقم: ٤٨١ (١/ ١٠٣). وانظر: صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٦٧٥٠ (٨/ ٢٠).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب النفقات-باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥٣ (٧/ ٦٢). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الزهد والرقائق-باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، حديث رقم: ٧٦٥٩ (٨/ ٢٢١).

بالعصابين ، كما أنهم ليسوا على الإطلاق من نوع المرضى بالأمراض النفسية العضوية، إلا أن الصفة العامة الواحدة المشتركة، فيما بينهم هي أنه يبدو عليهم اختلال السلوك **the conduct disorders**) أي أنهم يصدر عنهم من السلوك ما يمثل مزقاً للقانون الأخلاقي السائد في المجتمع، أو خروجاً عن المعايير والقيم الأخلاقية المتعارف عليها^(١) وعند البحث تجد أن هؤلاء يعانون من تركز حول الذات أو خلل في التربية وبناء الشخصية، وكلا الحالين تجد أنهم يفقدون المعنى الحقيقي لمحبة المجتمع لهم ومحبتهم للمجتمع؛ الذي ينعكس سلباً على سلوكهم ومشاعرهم.

٥) المحبة ميثاق اجتماعي بين الناس، ومطلب فردي لكل فرد، من اتصف به وجد القبول والثناء، ومن فقداه أو أخل بأمره وجد الرفض والإعراض؛ لأن جميع الناس في أي مجتمع يسعون للحصول على الأمن الاجتماعي، ومن أهم دواعيه وأسبابه بث المحبة بين أفراد المجتمع، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مؤكدة لهذا المعنى، بل ملزمة به كل مسلم في أي مجتمع كان، قال الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)^(٢) وهذا الأمر العام لا يمكن القيام به دون محبة الخير والعمل بأوامر الحدود الشرعية، والأحكام العرفية الكافلة للحقوق، ولا يمكن العيش في أمان إلا بالكف عن مشاركة الآثمين والمعتدين في المجاوزة والتعدي على الآخرين، بجميع أشكاله، لما فيه من نشر للبغضاء المنافية للمحبة، وحينما تفقد المحبة أو تضعف فإن ذلك يؤدي إلى إبطال الأهداف والغايات الجليلة في المجتمع، والتي تقوم على المحبة، ومنها: سلامة المعاملات التجارية من الغش والاحتكار وظلم الربا وأكل المال بالباطل، حيث تؤكد المحبة الحرص على الكسب الحلال وأداء الحقوق بين الدائن والمدين. وبها يتحقق النماء الاقتصادي في حدود الدخل الفردي والدخل الحكومي العام. وتقل نسبة الفقر في المجتمع ويقوم الجميع بواجبات التكافل المالي من الزكاة والصدقات والهبات، وللمحبة أثر في انتفاء مشكلة البطالة بحث الأفراد على حب العمل، وازدياد حركة الاستثمار. وتتم معالجة مشكلة الإسراف والكساد والاحتكار، حين يدرك الناس حقيقة المال وكونه وسيلة للحياة المتوازنة، فينبعث بينهم الحب المعتدل للمال، وحسن التخطيط في الادخار والإنفاق؛ فيتراحم الناس بينهم، وتحل البركة من الله في عموم الكون، لمن شاعت بينهم المحبة على إيمان به وتقوى له سبحانه. قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٣).

(١) المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي، د. أسماء عبد العزيز الحسين، الرياض: دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص: ٣٧٦.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

٦) إن المحبة تكسب المجتمع المؤمن المتراحم، الوقاية من الجوائح والمصائب والحماية من عذاب الله. ويكون المجتمع موطن هداية وسلامة لمن في الأرض، وبهم وبما يسلم الناس وينتشر السلم والأمن في العالم وتقل الصراعات والحروب المدمرة.

فإن فضائل المحبة الاجتماعية والاقتصادية لا تتحقق إلا بالتعاون الإنساني بين الشعوب أو بين أفراد الشعب الواحد وأكد حقيقة هذه الغاية ابن خلدون في مقدمته عند حديثه عن أصل الوجود الإنساني، وحقيقة العمران البشري، قال: (فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه. وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل قوت ولا غذاء، ولا تتم حياته، لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته، ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح، فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته، ويطل نوع البشر. وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه. فإذا كان هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتماد العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم^(١))^(٢)

(١) أي علم العمران البشري، الذي اصطلح عليه في العصر الحاضر كعلم مستقل باسم : علم الاجتماع .

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، المعروف بابن خلدون، بيروت: دار القلم، ط٥، ١٩٨٤ م، ص: ٤٢ - ٤٣ .

المبحث الثاني أنواع المحبة وأحكامها في الكتاب والسنة المطلب الأول

أنواع المحبة في الكتاب والسنة

إن أنواع المحبة كثيرة ولها مراتب متعددة، ولكلٍ فيها وجهة نظر من حيث تقسيمها وترتيبها لتداخل المعاني وسعتها في اللغة، ولاجهتاه المصنفين في الفهم بحسب ما لديهم من شواهد أصولية، ومعاني وجدانية ومدارك عقلية في روابط المحبة ونتائجها؛ وعلى ذلك تميز لفظ الحب بكثرة المسميات الدالة عليه، والمترادفات الموضحة لمعناه، والدرجات المرتبة لقوته وضعفه ومستواه، ويتضح ذلك من بيان أسماء المحبة ودرجاتها وأنواعها المتداخلة، ولقد خلط بعض من كتب عن أنواع المحبة حين التقسيم في أنواعها بين النوع والدرجة، وسبق عليه سعة المفهوم فلم يدرك أن الأنواع يمثلها الأقسام العامة على ضوء عناصر التقسيم، أما الدرجات فإنه يمثلها الترتيب والتدرج في الأولوية والأولوية والقوة؛ فهناك من خلط بين الأنواع والدرجات في مكان واحد فجعل الخلة - مثلاً - نوع مستقل من أنواع المحبة يمثل أعلى درجاتها، وهي في حقيقة الأمر كما بينه أهل التحقيق أعلى درجات المحبة في العلاقة بين الناس بعضهم لبعض. ومن الله خليليه إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام فحسب، وحيث درجات المحبة عشر درجات تمثل مستوى تكوين العلاقة بين المحب والمحبوب كما بينها ابن القيم^(١) يرحمه الله، تبدأ من العلاقة تتبعها الإرادة، ومن ثم الصباية، ومن ثم الغرام، ومن ثم المودة، ومن ثم الشغف، ومن ثم العشق، ومن ثم التتيم، ومن ثم التبعيد، ومن ثم الخلة التي هي أعلى درجات المحبة. ولكل من هذه الدرجات العشر، حكمه الشرعي في محله، وجمعتها في قولك:

علاقة إرادة وصباي حب *** وغرام ود في شغاف قلب
وعاشق متيم وعابد بحب *** من خل ساكن خلال قلب

ومن ذلك نعلم أن الخلة أعلى درجات المحبة، وتطلق على الذي تخللت محبته مسالك القلب، وشغل منافذ العقل، وسيطر على الفكر، ويسمى المحبوب خليلاً، وأما بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عندما قَالَ: (لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً)^(٢) لأنه قد اتخذ الله خليلاً، فمحبة الله قد تخللت مسالك القلب منه ﷺ ولا يزاحمه أحد من المخلوقين عَلَى الإطلاق، وكذلك بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يحبه محبة لا يحبها أحدٌ من العالمين، يحب إبراهيم ويحب محمداً ﷺ محبة لا يحبها غيرهما من الناس فهما خليلا الله سبحانه وتعالى. وأورد شارح العقيدة الطحاوية بيان ذلك بأن الخلة كمال المحبة،

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٣، ص: ٢٧.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٢٠ (٧/ ١٠٨).

قال: (بين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق ، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً، كقوله لمعاذ: "والله إني لأحبك"، وكذلك قوله للأَنْصار. وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وابنه أسامة حبه. وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة"، قال: فمن الرجال؟ قال: "أبوها". فعلم أن الخلّة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكماها يكون محباً لذاته، لا لشيء آخر، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كماها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلّة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلّة في الإقدام على ذبح الولد إيثارة خبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقربان من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة^(١). ومما حدده أهل العلم والمعرفة لأنواع الخبة من تقسيمات على وجوه معتبرة عند بعضهم البعض ما يلي:

الوجه الأول: من حيث الحكم الشرعي

- ١) محبة جائزة شرعاً. (المحبة الموافقة لشرع الله)
 - ٢) محبة غير جائزة شرعاً. (المحبة المخالفة لشرع الله)
- ولكل منها ضوابط شرعية بما تقتضيه أدلة الشرع، وقدمته في البيان لما رأيته صواباً في التقسيم وأقرب من غيره شرعاً وعقلاً، وأجدر في إمكانية الحصر، لمن دقق النظر في معنى المحبة الواسع، ولمن أراد معرفة الإصاغة من الخطأ في حبه وما يجب، وعليه قسّمتُ أنواع الخبة في الكتاب والسنة إلى قسمين ولكل منهما فروعها الخاصة والعامة:

- ١) الخبة النافعة المحمودة المباحة.
- ٢) الخبة الضارة المذمومة غير المباحة.

الوجه الثاني: من حيث العموم والخصوص

- ١) المحبة الخاصة: وهي على ثلاثة أقسام:
 - أ) محبة الله، وهي أصل الإيمان والتوحيد والعبادة.
 - ب) محبة في الله، وهي محبة أتباعه، وما يحبه من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرها.
 - ج) محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهم والكفار لدينهم وهي أصل الشرك والكفر.

(١) شرح العقيدة الطحاوية . صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى الدمشقي . تخريج :

محمد ناصر الدين الألباني . دار السلام للطباعة ط١: ١٤٢٦هـ ، ج١ . ص: ٢٩٤ - ٢٩٥ .

٢) المحبة العامة: وهي المحبة الطبيعية لما يوافق المرء في الحياة، ويلتزمه من مال وزوجة وولد، وطعام وشراب وملبس ومسكن، وعشرة وألفة وغيرها، فما أعان على محبة الله وطاعته دخل في المباحات، وما عارض ذلك وصد عنه دخل في المنهيات.

الوجه الثالث: من حيث طبيعتها وآثارها

- ١- المحبة الحسية، وهي ما يغلب عليه الجانب المادي، كحب الأبناء والمال والأنعام، قال الله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَالِ)^(١).
- ٢- المحبة المعنوية، وهي ما يغلب عليه الجانب المعنوي كحب سماع المواعظ والعلم، وحب الأذكار وحب وجوه البر والخير، قال الله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)^(٢).

الوجه الرابع: من حيث ميل النفس وظنها في الخير

وعليه صنف أبو الراغب الأصبهاني^(٣) المحبة إلى نوعين:

- ١- طبيعي، ويكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون بين الجمادات كألفة الحديد وحجر المغناطيس. أي من حيث الصفات و الصلة وطبيعة الخلقة في الجذب .
- ٢- اختياري، ويختص به الإنسان، وهو على أربعة ضروب: الأول: للشهوة، والثاني: للمنفعة، والثالث: للشهوة والمنفعة معا، والرابع: للفضيلة. وما يكون منها في الحيوان فهو ألفة.

الوجه الخامس: من حيث وحدة الجنس واختلاف الأغراض

حدد ابن حزم^(٤) المحبة بأنها كلها جنس واحد، و أوضح معناها بقوله: أنها الرغبة في المحبوب، وكرهه منافرته، والرغبة في المقارضة منه بالمحبة. وإنما قدر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها، وإنما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها وانحسامها، فتكون المحبة لله عز وجل وفيه، وللافتاق على بعض المطالب، وللأب والابن والقربة والصدیق والسلطان، ولذات الفراش، والحسن، والمأمول، والمعشوق، فهذا كله جنس واحد اختلفت أنواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال من المحبوب.

الوجه السادس: من حيث التعددية والحصر والفضل

وقد وجدت أن من أدق التقسيمات في هذا الفرع، ما صنفه الإمام ابن قيم الجوزية، وله ثلاثة أوجه:

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مصر: شركة مكتبة الباي والخلي، ١٣٨١هـ، ص: ١٠٥.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٠م. ج ١، ص: ٣٦٩.

أ) التعدد المطلق للمحبة، وهو حقيقتها، بقوله (وَالْمَحَبَّةُ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَأَفْضَلُهَا وَأَجَلُّهَا: الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ، وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ مَا أَحَبَّ اللَّهُ وَتَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَمِنْهَا مَحَبَّةُ الْإِتِّفَاقِ فِي طَرِيقَةِ أَوْ دِينٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ نِحْلَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ مُرَادٍ مَا. وَمِنْهَا: مَحَبَّةٌ لِنَيْلِ غَرَضٍ مِنَ الْمَحْبُوبِ، إِمَّا مِنْ جَاهِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ، أَوْ مِنْ تَعْلِيمِهِ وَإِرْشَادِهِ، أَوْ قَضَاءٍ وَطَرٍ مِنْهُ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ الْعَرَضِيَّةُ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ مُوجِبِهَا فَإِنَّ مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ وَلَّى عَنْكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ. وَأَمَّا مَحَبَّةُ الْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسِبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ؛ فَمَحَبَّةٌ لَازِمَةٌ لَا تَزُولُ إِلَّا لِعَارِضٍ يُزِيلُهَا، وَمَحَبَّةُ الْعِشْقِ مِنْ هَذَا التَّوَعُّعِ، فَإِنَّهَا اسْتِحْسَانٌ رُوحَانِيٌّ وَامْتِزَاجٌ نَفْسَانِيٌّ، وَلَا يَعْرِضُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ مِنَ الْوَسْوَاسِ وَالتَّحْوِيلِ، وَشَغْلِ الْبَالِ وَالتَّلَفِ، مَا يَعْرِضُ مِنَ الْعِشْقِ) (١).

ب) الحصر المقتضب للمحبة، وهو أحسنها، حيث حصرها في كتابه إغاثة اللهفان في نوعين، كل نوع في ثلاثة أقسام، قال: (فالحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها، فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق، فمحبة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها، والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة والنوعان الآخران تبع لها) (٢).

ج) الحصر الشامل للمحبة، وهو أفضلها، ويعلم فضل هذا الحصر بما حواه من إرادة العلم، حيث قال في كتابه الداء والدواء (٣): (أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَكْفِي وَحْدَهَا فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَعِبَادَ الصَّلِيبِ وَالْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ.

الثَّانِي: مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُهُمْ بِهِذِهِ الْمَحَبَّةِ وَأَشَدُّهُمْ فِيهَا.

الثَّالِثُ: الْحُبُّ لِلَّهِ وَفِيهِ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةٍ مَا يُحِبُّ، وَلَا تَسْتَقِيمُ مَحَبَّةٌ مَا يُحِبُّ إِلَّا فِيهِ وَلَهُ.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرئوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ٤، ص: ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥، ج ١، ص: ١٤٠ - ١٤١.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨ هـ، ص: ١٨٩ - ١٩٠.

الرَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الشَّرِكِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا لِلَّهِ، وَلَا مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا فِيهِ، فَقَدْ اتَّخَذَهُ نِدًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الْمُشْرِكِينَ.

وَبَقِيَ قِسْمٌ خَامِسٌ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، فَتِلْكَ لَا تُذَمُّ إِلَّا إِذَا أُلْهِتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَشَغِلَتْ عَنْ مَحَبَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: (رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ فِتْنَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا يَبْصُرُونَ)^(٢).

ولقد حاولت في هذه الدراسة الحصر لما يمكن حصره، من أنواع المحبة في حدود الأقسام العامة لها، ووفق عناصر التقسيم المعتمدة شرعا وعقلا، على ضوء النصوص الواردة في الكتاب والسنة الصريحة بلفظها، والتي يمكن للمتأمل فيها أن يصنف المحبة إلى نوعين حسبما قرره علماء الشرع في أصول الدين وفروعه، يندرج تحت هذين النوعين عدد من أقسام المحبة، لكل منها درجاته وسماته العامة، أوضحها فيما يلي:

أولا: المحبة النافعة المحمودة المباحة:

- ١- محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين اعتقادا وقولا وعملا.
 - ٢- محبة الطاعات الشرعية، وهي محبة ما يرضي الله.
 - ٣- المحبة الطبيعية المباحة ومنها: محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام.
- ثانيا: المحبة الضارة المذمومة غير المباحة:
- ١- محبة الشرك والكفر والنفاق اعتقادا وقولا وعملا.
 - ٢- محبة المعاصي، وهي محبة ما لا يرضي الله.
 - ٣- المحبة الطبيعية المذمومة ومنها: محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

(١) سورة المنافقون : ٩.

(٢) سورة النور : ٣٧.

أولاً: المحبة النافعة المحمودودة المباحة

١ - محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين اعتقاداً وقولاً وعملاً:

المحبة الجامعة لله ولرسوله وللمؤمنين، من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكل جزء منها تفصيل دقيق، يوجه مقتضى الإيمان في حق الله والرسول ﷺ والمؤمنين، ويلزم منه صحة المعتقد وصدق القول والعمل، وينتج عنه النفع العظيم في الدنيا والآخرة، عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: (أنت مع من أحببت). قال أنس: (فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)^(١). ويتضح منه أن محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين من أصول الإيمان، وأن لها علامات ودلائل - هي محل بحث في محلها^(٢) - وهنا يجب البيان أن من أعظم المنافع التي يجنيها العبد من ذلك، أن تحفه النفحات الربانية والمنح الإلهية يوم القيامة، ويسعد بصحبة إمام خير البرية نبينا محمد ﷺ، وعباد الله المؤمنين الصالحين في الجنة؛ فهي هنا في حق السائل فوز وفي حق المؤمنين المحبين بشارة، وفي حق من أحب الكافرين والمنافقين تحذير و نذارة، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) سورة التوبة: ١٩ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا^(٣) ألا وإن من أعظم دلائل المحبة الطاعة وإن قصر المرء العمل مع اجتهاده في تحصيله؛ فإن القلب بما يحمله من احتساب في الحب يلحق صاحبه بمن أحب في الأجر والمكانة على ما كسب واكتسب من الأعمال وبحسب نيته يعطى الأجر، فإن من أجل النعم وأعظم الفضائل طاعة الله ورسوله وملازمة أتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، قال ابن بطال: (فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته ومدخله مدخله وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: (ولم يلحق بهم) يعني في العمل والمثلة، وبيان هذا المعنى - والله أعلم - أنه لما كان المحب للصالحين، وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملاً من أعمال القلوب، واعتقاداً لها؛ أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يوتي فضله من يشاء^(٤) وأورد غير واحد من أئمة السلف أن المعية في قوله ﷺ: (أنت مع من أحببت)^(٥) لا يقصد منها

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨٨ (٥ / ١٢).

(٢) الباب الثاني: الفصل الثالث: المبحث الأول: المطلب الأول: أثر المحبة في العقيدة.

(٣) سورة النساء: ٦٩-٧٠.

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٩، ص: ٣٣٣.

(٥) انظر صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب علامة حب الله عز وجل حديث رقم: ٣٦٨٨ (٥ / ١٢)، وانظر صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب حديث رقم: ٦٨٧٨ (٨ / ٤٢).

توحيد المتزلة وانعدام الفرق، فإن ذلك محال، وإنما يكون ذلك في القرب والبعد وعموم الثواب. والذي عليه الاعتبار أن دخول الجنة يدور مع الإيمان، وأن الطاعات بها اتقاء النار، وأن منزلة المحب للنبي ﷺ في الجنة، تكون بحسب حبه، والمعية فيها تكون بحسب القرب والبعد من منزلته ﷺ في الجنة، وعليها ومعها تدور المحبة بين المتحابين. ورؤية الحبيب ومعاشرته، هي من أبرز ما يوثق العلاقة ويقرب في التواصي على الحق، مما يجعل طمع الموافقة في المرافقة عند الثواب يوم القيامة من الدواعي الهامة لاستمرار العلاقة والحرص عليها، وقد دلت السنة المطهرة على أفضلية الزمان، بخيرية قرن النبي ﷺ على القرون لوجوده فيه، فلزمه من لزمه من الصحابة، وحرص كثير من الناس على رؤيته لوجود بركته في شخصه، وأخذ الدين منه مباشرة وحازوا الشرف بذلك، وبقي لمن بعدهم محبته واتباع شريعته ولزوم سنته، والمكسب الراجح لمن حظي بالحشر في معيته ﷺ ومرافقته في الجنة، وقد حس الصحابة رضي الله عنهم بالغربة حين فارقه ﷺ وانقطع الوحي، الذي كان به الهدى والنور، وتمنوا وجوده ﷺ بينهم ولو كان الأهل والمال فداء، حيث تجلى الحب في أزكى معانيه وأروع صورته، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الثُّرَكَ صَغَارَ الْأَعْيُنِ حُمَرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأَنْوْفِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادَنَ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ^(١). ذكر النووي يرحمه الله جملة المقصود من الحديث في شرحه حيث قال: (وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ حَثُّهُمْ عَلَى مُلَازِمَةِ مَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ، وَمُشَاهَدَتِهِ حَضْرًا وَسَفَرًا لِلتَّأْدُّبِ بِآدَابِهِ، وَتَعَلُّمِ الشَّرَائِعِ وَحِفْظِهَا لِيُبَلِّغُوهَا، وَإِعْلَامِهِمْ أَنََّّهُمْ سَيَنْدُمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ، مِنَ الزِّيَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ وَمُلَازِمَتِهِ)^(٢) وما دفن ﷺ إلا وجد الصحابة غربة في قلوبهم، حيث غاب ﷺ عن أبصارهم وفقدوا من هو أغلى من أهلهم وأموالهم، وماجت الفتن وما رزأت الأمة بمصيبة مثل موته ﷺ هو بأبي وأمي وأهلي.

٢- محبة الطاعات التي أمر بها الله :

الطاعة في اللغة: من (طوع) وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال طاعه يطُوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنى طاع له. ويقال لمن وافق غيره: قد طاعه)^(٣) وحين القول: فلان طوعُ يديك، أي منقاد لك. وفرس طوعُ العنان، إذا كان سلس القياد ومنه أمره فأطاعه.

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٥٨٩ (٤/ ١٩٦).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٥، ص: ١١٨ - ١١٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣ ص:

والطاعة في الاصطلاح الشرعي: الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ باتباع أوامر الإسلام والانتهاز عن نواهيه كما جاء عن الله وبين الرسول ﷺ. قال القرطبي في تعريف طاعة الله: (هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه)^(١)، وقال الإمام الطبري في تفسيره عند قول الله تعالى: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(٢) (يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله محمداً ﷺ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته)^(٣) ومن طاعة الله وطاعة رسوله طاعة ولاية الأمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ يَعَصِنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعَصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)^(٤).

والطاعات على ثلاثة أقسام بحسب ما يغلب على محل صدورها وهي:

- ١- الطاعات القلبية: ومنها الإنابة والتوكل والحب والبغض.
 - ٢- الطاعات القولية: ومنها الذكر وصدق القول وشهادة الحق.
 - ٣- الطاعات العملية: ومنها الصلاة والزكاة والجهاد والحج.
- وتقوم الطاعات على ما قام عليه الدليل الشرعي من الحلال والحرام واتقاء الشبهات، قال الله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٠٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٥) فإن المؤمن حافظ لحدود الله، يبتغي رضا الله بمحبة الطاعات المقربة لحبه سبحانه، سابق بالخيرات بإذن الله، يعمل بإخلاص وفق حدود الشريعة، بما أمر به القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية الشريفة، وبما يحب الله ويرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. ومن أول ما يجب تحقيقه أركان الإيمان وأركان الإسلام وهي المقدمات في الدعوة وعليها يقوم الداعية بترتيب الأولويات في دعوته.

٣- المحبة الطبيعية المباحة:

ومنها ما هو محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام. وقد جاءت نصوص القرآن والسنة بما يوافق طبيعة حياة الإنسان الدنيوية، ويحقق رغباته الفطرية، ويؤكد درء التعارض بين طبيعة الإنسان وأحكام الشرع، ومن أدلة ذلك ما جاء عن النبي

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص ٢٥٩.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٤٩٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به حديث رقم: ٢٩٥٧ (٥٠/٤)، وانظر صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية حديث رقم: ٤٨٥٢ (١٣/٦).

(٥) سورة النحل: ١١٥ - ١١٧.

ﷺ في المحبة، مما يظهر منه الجمع بين رغبات الفطرة وتكاليف الشريعة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما حبب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة)^(١). وأعرض هنا هذا التقسيم وهو جهد مبذول في تقريب أنواع المحبة بحسب إرادة الإنسان الملحة في طلب معيشة سوية وحياة سعيدة، ولا يمكن له ذلك إلا بتحقيق شرط الإباحة الشرعية في طلبه ومطلبه، وفق أحكام الدين في أصوله وفروعه، وهذا العرض خاص بما أباحه الشرع وأحبه الإنسان محبة طبيعية، وجاء بلفظ الحب الصريح في الكتاب والسنة، وهو كما يلي:

(أ) محبة إشباع ورغبة وحاجة: ومنها:

(١) محبة التداوي وكرهه الكي:

قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه السلام: (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ آرَأَيْتَ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْتَاسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) ^(٢) قال ابن كثير يرحمه الله: (ذكر تعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام، وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده، حتى لم يبق من جسده مَعْرُزُ إبرة سليما، سوى قلبه، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه، وما هو فيه، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه، وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة)^(٣) فمع قوة البلاء كان عليه السلام في قوة من الإلحاح في الدعاء، فاستجاب الله له وزاده بسطة في المال والأهل والولد، وأصبح مضرب المثل في الثبات والصبر. فإن التداوي مطلب طبعي لكل من تغيرت أحواله إلى العجز والضعف، من المرض البدني أو النفسي، وقد أمرنا في شريعة الإسلام بالتداوي وطلب الشفاء، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «سمعتُ النبي ﷺ يقول: إن كان في شيء من أدويتكم خيرٌ ففِي شربةٍ عسل أو شرطةٍ محجم، أو لدعة من نار، وما أحبُّ أن أكتوي»^(٤).

وهذه من الأدوية الطبيعية، وذكر ابن القيم يرحمه الله في الطب النبوي قوله: (وَكَانَ عِلَاجُهُ ﷺ لِلْمَرَضِ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ، أَحَدُهَا: بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ. وَالثَّانِي: بِالْأَدْوِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَالثَّالِثُ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ)^(٥) وكان

(١) انظر: سنن النسائي-كتاب عشرة النساء-باب حب النساء، حديث رقم: ٣٩٤٩ (٧٧٢/). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٢٩٣ (١٩ / ٣٠٥) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

(٢) سورة ص: ٤١ - ٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٧٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الحجم من الشقيقة والصداع، حديث رقم: ٥٦٨٣ (٧ / ١٢٣) وانظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، حديث رقم: ٥٨٧٣ (٧ / ٢١).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧هـ، ج ٤، ص: ٢٤.

مقصده يرحمه الله بالأدوية الإلهية والمركبة، أن الله تعالى أمرنا بالدعاء وأذن النبي ﷺ باستعمال الرقية الشرعية كقراءة الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي إما مباشرة على الجسد أو بواسطة كماء أو غسل أو غيره من المباحات .

وقال الله تعالى في عقيدة إبراهيم عليه السلام، في حال الصحة والمرض، قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (١) ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (٢) ﴿لَهُمْ عَذَابٌ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُهْدِينِ﴾ (٤) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٥) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٦) ﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٧) ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨) و من هدي الكتاب والسنة في المرض ومحبة التداوي وكراهة الكي دروس عقدية ودعوية كثيرة، وعبر وعظيمة عظيمة، منها أن المرض يكون بقدر الله تعالى وأن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب. وأن المرض من البلاء ويجب على العبد الصبر و الدعاء وطلب الشفاء من الله تعالى، وهو في حق الصالحين يكون المرض بلاء محبة من الله تعالى ونعمة، وعلى غيرهم بلاء سخط وعذاب ونقمة. وأن على المريض أن يبذل الجهد في البحث عن أسباب الشفاء المعنوية والمادية. وأن من وسائل التداوي الشرعية: الرقية الشرعية و العسل والحجامة والكي. وأن كراهة النبي ﷺ للكي كما قرر العلماء، تأتي كونه ﷺ أشد الناس توكلاً على الله، والمتوكلون على الله حق التوكل، لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون، كما في حديث عكاشة بن محصن (٩) وأنه ﷺ كثيراً ما يستعيذ من النار، وأجاز العلماء الكي في التداوي لهذا الحديث ولغيره. ومن الدروس أيضاً، العلم بأن للمرض فوائد صحية على الجسم، و نفسية على المريض، واجتماعية على المجتمع ومنها زيارة المريض ودورها في التخفيف على المريض والتآلف بين الناس وزيادة المحبة بينهم.

٢) حب المال الحلال والحرص على جمعه والأمن عليه:

إن المال من أسس الحياة البشرية، وإن جمعه والحفاظة عليه من جبلة الإنسان وطبيعته؛ لذا جاءت أوامر الشرع في الكتاب والسنة بتحديد أوجه الاكتساب والإنفاق، بما يكفل للإنسان حق التملك ويشبع غريزته، ويكفل حق الصالح العام للفرد والمجتمع ، وبما يضمن حياة العدل والتوازن، ومن غايات الدعوة إلى الله، بيان هدي الكتاب والسنة في محبة المال ومنها: أن المال مال الله، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وكل من ملك مالا فهو مسؤول عنه: من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه ؟. قال

(١) سورة الشعراء: ٨٣ - ٨١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الطب- باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتب، حديث رقم: ٥٧٠٥ (٧/ ١٢٦) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب حديث رقم: ٥٤٧ (١/ ١٣٧).

الله تعالى: (ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) ^(١) ويكون هذا البيان مشتملا على توضيح أوجه الكسب المحرم، كالربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل. وأوجه الكسب الحلال، كالاستثمار الشرعي من البيع والشراء والميراث والأوقاف والهبات. وأن أداء الحقوق الشرعية في المال، كالزكاة المفروضة والصدقات والنفقات بركة ونماء، وهو مصدر عوض في الحقوق والجنايات والجوائح. ومصدر قوة ورفعة، وبه تكون المتعة والمنعة، ساد به الملوك والكرماء وارتفعوا. وأن المال تكون القوامه فيه بالإنفاق المعتدل، بعدا عن الإسراف والبخل. وأن المال من السبل الموصلة إلى دخول النار بالطغيان فيه والاستعلاء به، والجشع والكبر. ومن السبل الميسرة لدخول الجنة، تضاعف به الحسنات أضعافا كثيرة. وأن الحرص على جمعه تكثرا يورث الطمع، ومنه النفس لا تشبع. وقد وُصِفَ في القرآن بأنه سبيل زينة وفتنة وغرور، عن عباس ^(٢) بن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «سمعتُ ابنَ الزُّبَيْرِ على المنبر بمكة في خطبته يقول: يا أيها الناسُ، إِنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: لو أَنَّ ابنَ آدَمَ أُعْطِيَ وادِيًا مَلَأَ مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ. وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» ^(٣). وقال الله تعالى: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ رَبُّهُ فَآكَرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٨﴾ وَتَكْلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَمَّا ﴿٩﴾ وَتَحِبُّونَ آلِمَالٍ حُبًّا جَمًّا) ^(٤) قال الإمام الطبري في تفسيره: (عني تعالى ذكره بقوله: (وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناه حبا كثيرا شديدا، من قولهم: قد جمَّ الماء في الحوض: إذا اجتمع) ^(٥)، وعن يعلى بن سيابة رضي الله عنه ^(٦) قال: «كنت مع النبي ﷺ في مسير له، فأراد أن يقضي

(١) سورة الحديد: ٧.

(٢) عباس بن سهل بن سعد الأنصاري الساعدي، المدني، والد أبي بن عباس، وعبد المهيمن بن عباس. أدرك زمان عثمان بن عفان، وهو ابن خمس عشرة سنة. انظر تهذيب الكمال للمزي (١٤ / ٢١٢). فقيهه، أحد ثقات التابعين، وثقة: يحيى بن معين، وغيره. قيل: توفي قريباً من سنة عشرين ومائة، بالمدينة. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩ / ٣٠٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم: ٦٤٣٨ (٨ / ٩٣) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب لو أن لابن آدم واديين لا يتغى ثالثا، حديث رقم: ٢٤٦٢ (٣ / ٩٩).

(٤) سورة الفجر: ١٥ - ٢٠.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤١٥.

(٦) يعلى بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي أبو المرازم بفتح الميم والسراء وكسر الزاي المنقوطة بعد الألف وهو يعلى بن سيابة وسيابة أمه، قال يحيى بن معين: شهد خير وبيعة الشجرة والفتح وهوازن والطائف، قال أبو عمر: كان من أفاضل الصحابة روى عن النبي ﷺ أحاديث. انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٦٨٧). ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من أصحاب رسول الله ﷺ من ثقيف، عداده في أهل الكوفة، وقيل: في أهل البصرة، وله بها دار. انظر تهذيب الكمال للمزي (٣٢ / ٣٩٩).

حاجة، فأمر وديتين فانضمت إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما، وجاء بعير فضرب بجراحه^(١) إلى الأرض، ثم جرجر حتى ابتل ما حوله، فقال النبي ﷺ: أتدرون ما يقول البعير؟ أنه يَزْعُمُ أن صاحبه يريد نحره، فبعث إليه النبي ﷺ، فقال: أواهبه أنت لي؟ فقال: يا رسول الله ما لي مال أحب إلي منه، قال: استوص به معروفاً، فقال: لا جرم، لا أكرم مالا لي كرامته يا رسول الله. وأتى على قبر يعذب صاحبه، فقال: إنه يعذب في غير كبير، فأمر بجريدة فوضعت على قبره، فقال: عسى أن يخفف عنه ما دامت رطبة»^(٢). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاء رجل من الأنصار، فقال يا رسول الله، إنا نصيبُ سبياً ونحبُّ المالَ، كيف تَرى في العزلِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: أو إنكم تَفعلون ذلك؟ لا عليكم ألا تَفعلوا، فإنه ليست نَسمةُ كُتبَ اللهُ أن تَخْرُجَ إلا هي كائنة»^(٣). وحب المال متعلق به شؤون كثيرة، ومما يطلق عليه في القرآن لفظ الخير، قال الإمام الطبري: (عَنْ مُجَاهِدٍ: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} كَانَ يَقُولُ الْخَيْرُ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ الْمَالُ {لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} الْخَيْرُ: الْمَالُ وَ {أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} الْمَالُ {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} الْمَالُ {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ {مَالاً}}^(٤))

٣) حب أنواع الطعام الحلال:

قال الله تعالى: (يَبْتَغِيْ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)^(٥) أمر الله سبحانه عباده قبل هذه الآيات بالتقوى، وثنى لهم الأمر بعدها بالزينة والستر في اللباس عند الصلاة، والاستمتاع بالمأكول والمشرب من الطيبات التي رزقهم؛ ليتنعموا بها في غير إسراف، وليقوموا بواجب عبادته سبحانه، فإن حاجة الجسم للطعام والشراب متجددة ولا يمكن أن تقوم للإنسان حياة بدونها إلا أن يشاء الله؛ فبسط الله أصناف المأكول وأنواع المشارب في الأرض بما لا يمكن حصره، فما كان منه النفع فقد أمر بحله، وما كان منه الضرر فقد أمر بحرمته، ووجه الشرع بالإحسان من

(١) جران: الجليم والراء والنون أصل واحد، يدلُّ على اللين والسهولة. يقال للبيدر جرين؛ لأنه مكان قد أصلح ومُلس. والجارن من الثياب: الذي انسحق ولان. وَجَرَّتِ الدَّرْعُ: لَانَتْ وَأَمْلَاسَتْ. ومن الباب جَرَانُ البعير: مُقَدَّمُ عُنُقِهِ مِنْ مَذْبَحِهِ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٤٧/١).

(٢) انظر مسند الإمام أحمد- مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٥٥٩ (٢٩/ ١٠١) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف لجهالة حبيب بن أبي جبر. وللحديث أصل عند البخاري في صحيحه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما في الطهارة والنميمة.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب القدر- باب وكان أمر الله قدرا مقدورا، حديث رقم: ٦٦٠٣ (٨/ ١٢٣).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٣، ص: ٣٩٣.

(٥) سورة الأعراف: ٣١-٣٢.

الطيبات والعطاء منها ، عن دكين بن سعيد المزني قال: «أتينا رسول الله ﷺ أربعين راكباً وأربعمائة نسأله الطعام، فقال لعمر: اذهب فأعطهم، فقال: يا رسول الله ما بقي إلا آصع من تمر ما أرى أن يُقَيِّظُنِي، قال: اذهب فأعطهم، قال: سمعاً وطاعة، قال: فأخرج عمر المفتاح من حجزية، ففتح الباب، فإذا شبه الفصيل الرابض من تمر، فقال: لتأخذوا، فأخذ كل رجل منا ما أحب، ثم التفت وكنت من آخر القوم، وكأننا لم نرزأ قمرة»^(١). ومحبة الإنسان للطعام محبة فطرية والأصل فيه الحل، عن ابن عباس ؓ، قال: (أهدي للنبي أقط وسمن وأضب فقال النبي: أما هذه فليس تكون بأرضنا، فمن أحب منكم أن يأكل فليأكل على خواء، ولم يأكل منه)^(٢). فلم يأكل النبي ﷺ من الضباب كراهة طبع، وتختلف النفوس والطباع فيما يحب منه ويكره من الأطعمة والأشربة، ضمن حدود الشريعة في الحلال والحرام، إلا ما كان من نذر ما لم يكن نذر معصية، وقد حرم نبي الله يعقوب عليه السلام -إسرائيل- على نفسه ما أوضحته السنة في تفسير قوله الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) عن عبد الله بن عباس ؓ: «حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمهن إلا نبي، فكان فيما سأله أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال: فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه، فنذر لله نذراً: لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا: اللهم نعم»^(٤). ومن المأكول التي كان النبي ﷺ يحبها: الذراع من لحم الشاة وعراقها، والشريد و الحيس، و القرع، والخل، والزبد، ومن الشراب الحلو البارد. ومما جاءت به السنة في ذلك ما يلي:

أ) حبه ﷺ الذراع من لحم الشاة وعراقها:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما كان الذراع أحب اللحم إلى رسول الله، ولكن كان لا يجد اللحم إلا غباً. فكان يعجل إليه لأنه أعجلها نضجاً»^(٥). محبة النبي ﷺ للحم الذراع محبة طبع ولذة ولا منافاة

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٥٧٧ (٢٩ / ١١٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٢) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب البيوع - باب الموائد، حديث رقم ٦٥٩٣ (٦ / ٢١٨). صححه الطبري في تهذيب الآثار. وأصل الحديث في الصحيحين.

(٣) سورة آل عمران: ٩٣.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٤٧١ (٤ / ٢٧٧) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن وهذا إسناده ضعيف.

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأطعمة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في أي اللحم كان أحب إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: ١٨٣٨ (٤ / ٢٧٧) وضعفه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية.

بينهما، لأن من طبيعة الأكل لذة تتفاضل من كل فرد لآخر حسب الطباع، وحسب طبيعة المأكول ونوعه وطعمه، ونفي عائشة رضي الله عنها محبة النبي ﷺ للذراع في الحديث إلا لسرعة نضحها - رغم المقالة في عدم صحة الحديث - أجاب عنها العلماء كقول ابن حجر معلقا على الحديث (هَذَا بِحَسَبِ مَا فَهِمْتُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَإِلَّا فَالَّذِي ذَلَّ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ^(١)) وَغَيْرُهَا أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً غَرِيزِيَّةً طَبِيعِيَّةً، سَوَاءٌ فَقَدَ اللَّحْمَ أَمْ لَا، وَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ بِذَلِكَ تَنْزِيهِه مَقَامَهُ الشَّرِيفَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَلَأْذِ، وَإِنَّمَا سَبَبُ الْمَحَبَّةِ سُرْعَةُ نُضْجِهَا، فَيَقِلُّ الزَّمَنُ فِي الْأَكْلِ، وَيَتَفَرَّغُ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَلَا مَحْذُورَ فِي مَحَبَّةِ الْمَلَأْذِ بِالطَّبْعِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ كَمَالِ الْخَلْقَةِ، وَإِنَّمَا الْمَحْذُورُ الْمُتَنَافِي لِلْكَمَالِ الْتِفَاتِ النَّفْسِ وَعَنَاؤُهَا فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ، وَتَأَثُّرُهَا لِفَقْدِهِ^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَضَعْتُ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولَ اللَّهِ فَصَعَةً مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ. فَتَنَاوَلَ الذَّرَاعَ. وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ. فَنَهَسَ نَهْسَةً فَقَالَ «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قَالَ: «أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهُ؟» قَالُوا: كَيْفَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ. وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ. وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكُوكَبِ: هَذَا: رَبِّي. وَقَوْلُهُ لِأَهْلِهِمْ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا. وَقَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتِي الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ^(٣) أَوْ هَجَرَ وَمَكَّةَ» قَالَ: لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ^(٤). وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أَحَبَّ الْعُرَاقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُرَاقُ الشَّاةِ»^(٥) وَهُوَ الْعَظْمُ إِذَا أُخِذَ عَنْهُ مُعْظَمُ اللَّحْمِ. ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في دعوته رسول الله ﷺ لمزله لإعانتة في قضاء دين عليه، وذبح له شاة، وقدمها له، فقال ﷺ لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ حُبَّنَا لِلَّحْمِ، اذْغُ لِي أَبَا بَكْرٍ قَالَ: ثُمَّ دَعَا حَوَارِيَهُ الَّذِينَ مَعَهُ فَدَخَلُوا فَضْرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ كُلُوا» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَ لَحْمٌ مِنْهَا كَثِيرٌ^(٦)).

(١) منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الصحيح المذكور بعده وقوله: (السابقة) أي حسب تصنيف المؤلف الإمام البخاري في الجامع الصحيح.

(٢) جَمْعُ الْوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّمَانِلِ، الملا نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي القاري، دار الأقصى، ج ١، ص: ٢٦٦.

(٣) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية فمنها هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن، وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٩٣/٥) وقال ابن حجر في الفتح: (هجر هي بلد معروف من ناحية البحرين) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٠١/١).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: ٥٠١ (١/ ١٢٧).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأطعمة - باب في أكل اللحم، حديث رقم: ٣٧٨٢ (٣/ ٤١١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٥٢٨١ (٢٣/ ٤١٩) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير نبيح العتري فقد روى له أصحاب السنن وهو ثقة .

ب) حبه ﷺ الشريف والحيس:

وَالْمُرَادُ مِنَ الشَّرِيدِ مِنَ الْخُبْزِ هُوَ الْمُفْتَتَ بِمَرَقِ اللَّحْمِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ اللَّحْمُ، وَالشَّرِيدُ مِنَ الْحَيْسِ الْخُبْزُ الْمُفْتَتَ فِي التَّمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْأَقِطِ وَنَحْوَهَا، ذَكَرَهُ شَارِحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ^(١) فِي شَرْحِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشَّرِيدُ مِنَ الْخُبْزِ، وَالشَّرِيدُ مِنَ الْحَيْسِ»^(٢). قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَقَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ يَحْسَنُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ ثُمَّ مَرَّ بِي بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَدْ أَهْدَيْ لَنَا حَيْسٌ فَخَبَأْتُ لَهُ مِنْهُ، وَكَانَ يُحِبُّ الْحَيْسَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ أَهْدَيْ لَنَا حَيْسٌ فَخَبَأْتُ لَكَ مِنْهُ، قَالَ: أَذْنِيهِ، أَمَا إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا صَائِمٌ فَأَكُلُ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا مِثْلُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ مِثْلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا^(٣).

ج) حبه ﷺ القرع (الدباء):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطَعَامٍ صَعَةً، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا فِيهِ دُبَاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبِعُ الدُّبَاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَحَبُّ الدُّبَاءِ مِنْ يَوْمِئِذٍ»^(٤).

د) حبه ﷺ الخل:

— عَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، ذَاتَ يَوْمٍ، إِلَى مَنْزِلِهِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ فَلَقًا مِنْ خُبْزٍ. فَقَالَ: «مَا مِنْ أَدُمٍّ؟» فَقَالُوا: لَا. إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍ. قَالَ: «فَإِنَّ الْخَلَ نَعْمُ الْأَدُمُّ»^(٥). قَالَ جَابِرٌ: فَمَا زِلْتُ أَحَبُّ الْخَلِّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ. وَقَالَ طَلْحَةُ: مَا زِلْتُ أَحَبُّ الْخَلِّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَابِرٍ. وَأُورِدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ الْمَعْنَى وَالْحِكْمَةُ، فِي كِتَابِهِ كَشَفَ الْمَشْكَلِ مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ بِقَوْلِهِ: (يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَيْنِ وَحُكْمٍ فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ مَدْحُ الْخَلِّ فِي نَفْسِهِ، وَلَهُ فَوَائِدُ مِنْهَا أَنَّهُ يَنْفَعُ الْمَعْدَةَ وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ، وَيَقْطَعُ الْبَلْغَمَ وَيَشْهِي الطَّعَامَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ. وَالثَّانِي أَنَّهُ نَبِهَ بِذَلِكَ عَلَى مَدْحِ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَأْكَلِ وَمَنْعِ النَّفْسِ مِنْ مَلَاذِ الطَّعَامِ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: ائْتَدِمُوا بِمَا خَفَتْ مُؤَنَّتُهُ وَسَهْلُ وَجُودِهِ، فَإِنْ مِنْ تَعَوُّدِ

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٨٨هـ، ج ٩، ص: ٧١١.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأطعمة - باب في أكل الشريف، حديث رقم: ٣٧٨٥ (٣/ ٤١٢).

(٣) انظر: سنن النسائي - كتاب الصيام - باب النية في الصيام، حديث رقم: ٢٣٢١ (٤/ ٥٠٦) حسنه الألباني في إرواء الغليل.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب ذكر الخياط حديث رقم: ٢٠٩٢ (٣/ ٦١) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضا، حديث رقم: ٥٤٤٦ (٦/ ١٢١).

(٥) انظر: صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب فضيلة الخل والتأدم فيه، حديث رقم: ٥٤٧٤ (٦/ ١٢٥).

التأنف في المطعم لم يصبر عنه، وطيب الطعام يحمل على الشبع، وقل أن يسلم تحصيله من شبهة، وأما الحكم فإنه سماه آدمًا لأنه يصطبغ به، وكل شيء يصطبغ به يلزمه اسم الإدام^(١)

(هـ) حبه ﷺ الزبد:

— عَنْ ابْنِ بُسْرِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ. فَوَضَعْنَا تَحْتَهُ قُطِيفَةً لَنَا. صَبَّبَهَا لَهُ صَبًّا. فَجَلَسَ عَلَيْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْوَحْيَ فِي بَيْتِنَا. وَقَدَّمْنَا لَهُ زُبْدًا وَتَمْرًا. وَكَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ.^(٢)

(و) حبه ﷺ الشراب الحلو البارد:

عن عُرْوَةَ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ أَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الْحُلُوُّ الْبَارِدُ»^(٣). وأورد تحقيق مجمل القول في هذا المباركفوري في تحفة الأحوذى بقوله: (قَالَ الْقَارِي^(٤): وَمَعْنَى أَحَبُّ أَلْذُّ لِأَنَّ مَاءَ زَمْزَمَ أَفْضَلُ، وَكَذَا اللَّبَنُ عِنْدَهُ أَحَبُّ كَمَا سَيَأْتِي^(٥)، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرَادَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَعْمَّ فَيَشْمَلُ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ وَاللَّبَنَ وَالْمَاءَ الْمَخْلُوطَ بِهِ أَوْ بَعْضَهُ كَالْعَسَلِ أَوْ الْمُنْقُوعِ فِيهِ تَمْرٌ أَوْ زَيْبٌ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الطَّبِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ اللَّبَنُ. وَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الطَّبِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْعَسَلُ. انْتَهَى كَلَامُ الْقَارِي.

قُلْتُ: وَقِيلَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ أَحَبُّ الشَّرَابِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَيُّ مِنْ أَحَبَّ الشَّرَابِ أَوْ كَوْنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَحَبَّ إِلَيْهِ ﷺ كَانَ مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ^(٦)

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ، ج ١، ص: ٧٥٣.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الأطعمة- باب التمر بالزبد، حديث رقم: ٣٣٣٤ (٢/ ١١٠٦) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأشربة - باب ما جاء أي الشراب كان أحب إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: ١٨٩٥ (٤/ ٣٠٧) صححه الألباني .

(٤) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة ١٠١٤هـ وسكن مكة وتوفي بها.. وصنف كتباً كثيرة، منها " تفسير القرآن " و " الأثمار الجنية في أسماء الحنفية " و " الفصول المهمة " فقه، و " بداية السالك " و " شرح مشكاة المصابيح " و " شرح مشكلات الموطأ " و " شرح الشفاء " و " شرح الحصن الحصين " في الحديث، و " شرح الشرائع " و " شرح الأربعين النووية " و " تذكرة الموضوعات " و " كتاب الجمالين، حاشية على الجلالين " " شرح قصيدة بدء الأمالي، في التوحيد، و " منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر " ورسالة في " الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلل والاتحاد " و " شرح كتاب عين العلم المختصر من الأحياء " و " فتح الأسماع فيما يتعلق السماع، من الكتاب والسنة ونقول الأئمة ". انظر: الأعلام للزركلي (١٢/٥).

(٥) كلام المؤلف المباركفوري يرحمه الله .

(٦) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: راند بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ١٦١٣.

٤ (حب أصناف من اللباس :

إن الجمال في حياة العبد المسلم سواء كان في الصورة أو اللباس أو الهيئة؛ فإنه يكون على ثلاثة أوجه، من حيث الحكم الشرعي: منه ما يحمده، ومنه ما يذمه، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فالحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله، وتنفيذ أوامره والاستجابة له، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود ويلبس لباس الحرب وآلته للقتال ويلبس الثوب الحسن . فإن اللباس محمود إذا تضمن طاعة الله، وإظهار نعمته، ونصر دينه وغبط عدوه. والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن تكون هذه غاية العبد منه، وأما ما لا يحمده ولا يذمه هو ما خلا عن هذين القصدتين وتجرد عن الوصفين. وهكذا تقريرات السنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))^(١) والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصليين عظيمين في حياة الإنسان: الباطن والظاهر، فأوله معرفة حقيقة الشكل والمال، ومدى ارتباط صلاح الظاهر بصلاح الباطن وآخره سلوك؛ حيث يكون التوجيه إلى السلوك العملي الصحيح المرتبط بالباطن النقي، ويعبد المسلم ربه بجمال الشكل والمال ببذل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق. فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك.

ومن محاب النبي ﷺ في اللباس كما ورد في السنة: القميص^(٢) والخبرة^(٣) من الثياب، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى النَّبِيِّ الْقَمِيصَ»^(٤). وَعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لَهُ: (أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا؟ قَالَ الْخَبْرَةُ)^(٥). ووجه ﷺ إلى لبس الأبيض من الثياب، وحرمة لبس الذهب والحريز على الرجال، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " الْحَرِيرُ وَالذَّهَبُ، حَلَالٌ لِأَنَافِثِ أُمَّتِي، حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِهَا "، وذكر العلامة ابن عثيمين في شرحه (الشرح الممتع على زاد المستقنع) : (يجوز لبس الحرير إذا كان علماً في ثوب، والعلم معناه: الخطُّ يُطرز به الثوب. وتطريز الثوب قد يكون من أسفل، وقد يكون في الجيب، وقد يكون في الأكمام، وقد يكون ثوباً مفتوحاً فيكون التطريز من جوانبه. المهم: إذا كان في الثوب علم، أي: خطٌّ من الحرير، فهو جائز لكن بشرط ذكره المؤلف في قوله: «أربع أصابع فما دون»، أي: أن العلم يكون قدر أربعة أصابع فما دون، والمراد

(١) انظر صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله حديث رقم: ٦٧٠٨ (١١ / ٨).

(٢) القميص من قمص: وقمص الفرس وغيره يقمص ويقمص قمصاً وقمصاً، أي استن، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه، والقميص: الذي يلبس. والجمع القمصان والأقمصة. وقمصه قميصاً فقمصه، أي لبسه. انظر: الصحاح للجوهري (٩٥/٢) وقمص الثوب قطع منه قميصاً. انظر: لسان العرب لابن منظور (٨٢/٧).

(٣) خبرة: وثوبٌ خبيرٌ، أي جديد. وأرضٌ مخبارٌ: سريعة النبات حسنته. والخبرة: بُردٌ يمان، والجمع خبرٌ وخبرات. انظر: الصحاح للجوهري (١١٢/١) والخبرة المبالغة فيما وُصفَ بجميل، والخبر الناعم. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥٧/٤).

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب اللباس - باب ما جاء في القميص، حديث رقم: ١٧٦٢ (٤ / ٢٣٧).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب البرود والخبرة والشملة، حديث رقم: ٥٨١٢ (٧ / ١٤٦).

أصابع إنسان متوسط، ومثل هذا يرجع فيه إلى الوسط، ولهذا قال الرسول ﷺ: «إياك وكرائم أموالهم»، حتى لا تأخذ الأعلى، ولا تأخذ الأدنى أيضاً، فنأخذ بالوسط. فإذا كان العلم أربعة أصابع في مكان واحد فما دون فهذا لا بأس به؛ لحديث عمر ﷺ: «أنه لم يُرخص في الحرير إلا إذا كان علماً أربع أصابع فما دون»^(١)، ولا فرق بين أن يكون علماً مستطيلاً في الثوب أو في بقعة منه^(٢). ومن المعلوم أن الفقهاء يرحمهم الله كرهوا للرجل لبس الثوب المعصفر والمزغفر كراهة تزيه، والمعصفر: هو المصبوغ بالعصفر؛ والمزغفر المصبوغ بالزعفران، وهما من المكروه للرجال. ودليل ذلك: أن النبي ﷺ رأى على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين فنهاه أن يلبسهما وقال: «إن هذه من ثياب الكفار، فلا تلبسها»^(٣) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (واختلف العلماء في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر فأباحها جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك لكنه قال: غيرها أفضل منها، وفي رواية عنه أنه أجاز لبسها في البيوت وأفنية الدور وكرهه في الخافل والأسواق ونحوها، وقال جماعة من العلماء هو مكروه كراهة تزيه، وحملوا النهي على هذا لأنه ثبت أن النبي ﷺ لبس حلة حمراء، وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة، وقال الخطابي: النهي منصرف إلى ما صبغ من الثياب بعد النسخ، فأما ما صبغ غزله ثم نسج فليس بداخل في النهي، وحمل بعض العلماء النهي هنا على المحرم بالحج أو العمرة ليكون موافقاً لحديث ابن عمر ﷺ: «نهى المحرم أن يلبس ثوباً مسه ورس أو زعفران»^(٤) وكان الصحابة رضي الله عنهم يحبون التأسي بالرسول ﷺ في اللباس، وكان ابن عمر ﷺ يحب الانتعال بالسبئية والصبغ بالصفرة أسوة بالنبي ﷺ، عن عبيد بن جريح أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها. قال: ما هي يا ابن جريح؟ قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين، ورأيتك تلبس النعال السبئية»^(٥)، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى كان يوم التروية. فقال له عبد الله بن عمر ﷺ: أما الأركان فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين، وأما النعال السبئية فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى

(١) انظر: سنن النسائي: كتاب باب الرخصة في لبس الحرير، حديث رقم: ٥٣٢٨ (٨/٥٩٠) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم - مسند أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٤٢ (١/٣٦).. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير خلف بن الوليد وهو ثقة. وفي غير هذه الرواية: رخص في الحرير في أصبعين، عن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في الحرير في أصبعين.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢، ج ٢، ص: ٢٢٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث رقم: ٥٥٥٥ (٦/١٤٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٤، ص: ٥٤.

(٥) السبئية بكسر المهملة: هي التي لا شعر فيها، مشتقة من السبت وهو الخلق، قاله في التهذيب، وقيل السبت: جلد البقر المدبوغ بالقرظ، وقيل بالسبت، بضم أوله، وهو نبت يدبغ به، قاله صاحب المنتهى وقال الهروي: قيل لها سبئية لأنها انسبت بالدباغ أي لانت به، يقال رطبة منسبته أي: لينة، قوله تصبغ بضم الموحدة، وحكي فتحها وكسرهما. انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١/٢٦٩).

تَبِعَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ»^(١). ومن أَجَل ما قِيلَ في لِبَسِهِ ﷺ ما عَبرَ عَنْهُ ابنُ القِيَمِ يَرِحمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: (فَلَبَسَ في كُلِّ موطُنٍ ما يَناسبُهُ)^(٢) وهنا يكون الكمال في جمال اللباس.

٥ (حب الخيل والزرع:

إن من محاب الإنسان طلب الراحة وزوال العناء، ولعل من أحوج ما يكون الإنسان لها في سيره وسفره، يقول الله سبحانه وتعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٣) فإن من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، ما سخره لبني آدم من وسائل نقل تحمله في البر والبحر والجو، فإن هذه المراكب متعة وزينة في الدنيا، وهناء في الآخرة ، عن أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ أَعْرَابِيٌّ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي أَحَبُّ الْخَيْلِ أَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنْ أُدْخِلْتَ الْجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَأْقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ»^(٤).

وعن أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الْخَيْلِ»^(٥) الْأَدْهَمُ الْأَقْرَحُ الْأَرْثَمُ^(٦) ثُمَّ الْأَقْرَحُ الْمُحْجَلُ طَلَقُ الْيَمِينِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْءِ»^(٧).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ النَّسَاءِ مِنَ الْخَيْلِ»^(٨). وقد ضعف العلماء هذا الحديث ، وذكرت الخيل في القرآن في مواضع القوة والعزة والعبرة، وأقسم بها رب العزة والجلال في سورة العاديات، وكذا فإن من الأنبياء من أحب الخيل ، قال الله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)^(٩) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَتِ الْجِيَادَ^(١٠) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الوضوء- باب غسل الرجلين في التعلين ولا يمسح على التعلين، حديث رقم: ١٦٦ (١/ ٤٤)، وانظر صحيح مسلم-كتاب الحج-باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة حديث رقم: ٢٨٧٥ (٤/ ٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص: ١٣٦.

(٣) سورة النحل: ٨.

(٤) انظر: سنن الترمذي-كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ -باب ما جاء في صفة خيل الجنة، حديث رقم: ٢٥٤٤ (٤/ ٦٨٢) صححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب .

(٥) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣ م، ج ٢، ص: ١٤٩٥. وهنا في التحفة وردت أوصاف خير الخيل ومعانيها الواردة في الحديث، (الأدهم: شديد السواد) - (الأقرح: في جبهته بياض كالقرحة) - (الأرثم: أبيض الشفة العليا) - (المحجل: بياض في الأرجل فوق الأرساغ دون الركبتين) - (طلق اليمين: غير محجل اليمين) - (الكُميت: لون حمرة في سواد) - (الشية: العلامة).

(٦) (رثم) (رثم) الرءاء والناء والميم أُصِيلَ يَدُلُّ عَلَى لَطْفِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. يقال: رَثَمَتِ الْمَرْأَةُ أَنْفَهَا بِالطَّيِّبِ: طَلَّتْهُ. قال: شَمَاءُ مَارَتْهَا بِالْمِسْكِ مَرْتُومٌ، ومن هذا الباب: رَثَمَ أَنْفَهُ، وذلك إِذَا ضُرِبَ حَتَّى يَسِيلَ دُمُهُ. ومن الباب الرَّثَمُ : بياضٌ في جَحْفَلَةِ الْفَرَسِ الْعُلْيَا. وهي الرُّثْمَةُ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٨٨).

(٧) انظر : سنن الترمذي - كتاب الجهاد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء ما يستحب من الخيل ، حديث رقم : ١٦٩٦ (٤/ ٢٠٣) صححه الألباني وقال الحاكم : "صحيح على شرط الشيخين" ، ووافقه الذهبي .

(٨) انظر : سنن النسائي - كتاب الخيل - باب حب الخيل ، حديث رقم : ٤٣٨٩ (٤/ ٣١٣) وضعفه الألباني .

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٠﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (١) وقد فسر الخير هنا بالخييل لأنها هي مقصود الحب، بما عرض منها على نبي الله سليمان عليه السلام، وذكر الشيخ السعدي في تفسيره مجمل ما قاله أهل التفسير فيها، قال: (لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام فقال: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ} أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه. {نِعْمَ الْعَبْدُ} سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو {إِنَّهُ أَوَّابٌ} أي: رجَّاع إلى الله في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء.

ولهذا، لما عرضت عليه الخيل الجياد سبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظر رائع، وجمال معجب، خصوصاً للمحتاج إليها كالمملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فأهنته عن صلاة المساء وذكره. فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى الله بما ألماه عن ذكره، وتقديم حب الله على حب غيره: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ} وضمن {أحببت} معنى {آثرت} أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموماً، وفي هذا الموضع المراد الخيل {عَنْ ذَكَرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}

{رُدُّوْهَا عَلَيَّ} فردوها {فَطَفِقَ} فيها {مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها (٢) لانشغاله عن ذكر الله بها. واختلف أهل التأويل في معنى المسح وما اختاره الشيخ السعدي هنا هو من قول قتادة والحسن والسدي، أما قول ابن عباس رضي الله عنهما: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها، تزيئها لنبي الله سليمان عليه السلام من تعذيب الحيوان بعقره وضربه، والله أعلم. وتلت هذه الوسائل المخلوقة وسائل مصنعة، لا يعلم مداها إلا الله من السفن والقطارات والطائرات وصواريخ الفضاء، حيث علم سبحانه الإنسان ما لم يعلم، وهذه الوسائل متغيرة من زمن إلى زمن، متطورة في قدرتها وأشكالها، ومن تتبع رغبات الناس فيها يجدها في اختيار الأحسن والأسرع والأجمل والآمن، وقد ميزت السنة من هذه الوسائل الخيل بسمة الخير إلى يوم القيامة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٣) وخصها أهل الفقه بالخييل المعدة للجهاد في سبيل الله دون غيره، ففيها الأجر والمغنم ونعيم الآخرة، وهي وسيلة للجهاد في سبيل الله حتى قبيل يوم القيامة، قال ابن بطال: (قال بعض أهل العلم: معناه الحث على ارتباط الخيل في سبيل الله يريد أن من ارتبطها كان له ثواب ذلك فهو خير آجل، وما يصيب على ظهرها من الغنائم وفي بطونها من النتاج خير عاجل،

(١) سورة ص: ٣٠ - ٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٧١٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير-باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، حديث رقم: ٢٨٤٨ (٤/ ٢٨) و انظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة-باب إثم مانع الزكاة، حديث رقم: ٢٣٣٩ (٣/ ٧٠).

وخص النواصي بالذكر؛ لأن العرب تقول: فلان مبارك الناصية، فيكنى بها عن الإنسان. وقال المهلب: استدلال البخاري صحيح أن الجهاد ماض مع البر والفاجر إلى يوم القيامة. من أجل أنه أبقى ﷺ الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة. وقد علم أن من أئمة أئمة جور لا يعدلون، ويستأثرون بالمغانم، فأوجب هذا الحديث الغزو معهم^(١).

كما أن طلب الرزق من رغبات الإنسان الذاتية، التي تجبره عليها ضرورة الحياة الملحة لسد حاجاته، فاشتغل لذلك ومن أبرز المهن التي مارسها الإنسان في ذلك الزراعة، وعليها قامت حضارات الأمم حيث هي سبب في الاستيطان والاستقرار، ومن حب الإنسان لها جاءت من مميزات الوصف في القرآن والسنة لنعيم الجنة من الزرع والفواكه والثمار والأثمار، عن أبي هريرة: ﷺ (أَنَّ النَّبِيَّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرْزَعَ، قَالَ: فَبَذَرْ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتَحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: ذُوْنِكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ)، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا نَجِدُهُ إِلَّا قَرْشِيًّا، أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ^(٢). ومن هدي الكتاب والسنة في محبة الخيل والزرع الدروس الكثيرة ومنها: أن المراكب والمهن، ومن أهمها الزراعة، من الحاجات الضرورية في حياة الناس. وهي من مصادر القوة الاقتصادية، وقد أمر الإسلام بإعداد القوة ومنها رباط الخيل، ولا زكاة في الخيل إلا ما أعد للتجارة على حد قول الفقهاء. وللخيل مكانة عظيمة منذ القدم كوسيلة نقل وسبق وفخر. وإن الخيل العربي تميز بأصالته على سائر أنواع الخيول بماله من قوة ومهارة، وقد وردت الآثار بالحث على الفروسية وتربية الخيل والعناية به، وجمع العلماء على جواز السباق بالخيول، وأن الله سخر الدواب والأنعام، وأنواع المراكب وأصناف الزروع والثمار لبني آدم؛ لسد حاجته والقيام بعبادة ربه. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، وجب على الإنسان أن يعرف أن لكل وسيلة نقل وكل مهنة أصولاً وأساساً تقوم عليها، يجب إتقانها. ومحبة المهن والأعمال مرتبطة بمحبة الحياة، ومحبة الحياة مرتبطة بمحبة العبادة والذكر لله تعالى، وطلب الرزق واجب على كل قادر، وهو من الأمور الشرعية التي حث عليها الشرع قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)^(٣) وقد عمل الأنبياء عليهم السلام، وهم أفضل الناس، رعوا الغنم وزرعوا وسقوا وأكلوا وشربوا. والله يرزق من يشاء بغير حساب.

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٥، ص: ٥٧

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم: ٢٣٤٨ (٣/ ١٠٨)

(٣) سورة الملك: ١٥.

ب) محبة إشفاق ورحمة وعطف:

إن محبة الإشفاق الرحمة والعطف لها صور عديدة في الحياة، ومن أعظمها: حب الولد للوالدين وحب الوالدين للولد، فإن حب الوالدين للولد حب فطري غريزي، وحيث تنطلق المحبة من الشفقة والرحمة والعطف؛ فإن الوالدين أشد حرصا على أولادهم، وقد يتجاوز هذا الحب أنفسهم، ويلحظ هذا في سبيل العناية بالأولاد حال السلامة والمرض، من التربية والتغذية في الصغر، وصلاح الحال في الكبر، وقد جاء الإسلام بأعظم المبادئ في بر الوالدين ورعاية الوالد للولد، قال الله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْقَوْلَ ۖ هَٰذَا هُوَ رَبُّكَ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمًّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ١٨) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ١٩) رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٠)^(١) الإحسان إلى الوالدين ليس لها وجه حصر في القول أو الفعل؛ لأنه لا يمكن حصر الرحمة والحب والبذل اللواتي قدمها الوالدان للولد، بدءا من سبب الوجود ومطعم وملبس ومسكن وتنطبيب، ولوعة الفراق وحسرة الفقد؛ فالبر بهما من أعظم الصالحات، والعقوق بهما من أعظم المهلكات، وشفقة الوالدين على الولد من أعظم العلاقات بين المخلوقات، وفي هذا من القصص والعبر وأوامر الشرع ما يضيق به التفصيل هنا، بيد أن السنة المطهرة في بيان لفظ الحب والتعامل به، أغنى عن أي تفصيل، وأذكر منها موقفا واحدا من المواقف الكثيرة: عن أبي هريرة الدؤسي رضي الله عنه قال: «خرج النبي ﷺ في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: أثم لكع^(٢)، أثم لكع؟ فحبسته شيئا، فظننت أنها تلبسه سخابا^(٣) أو تغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله وقال: اللهم أحبه وأحب من يحبه^(٤)». قال ابن حجر في الفتح: (وفي الحديث بيان ما كان الصحابة عليه من توقير النبي ﷺ والمشي معه، وما كان عليه من التواضع من الدخول في السوق والجلوس بفناء الدار.

(١) سورة الإسراء: ٤٣ - ٣٦.

(٢) لكع: لكع عليه الوسخ لكعا، إذا لصق به ولزمه. ورجل لكع، أي لئيم، ويقال هو العبد الذليل النفس. انظر: الصحاح للجوهري (١٤٧/٢). واللَّكْعُ التَّهْزُؤُ فِي الرِّضَاعِ، وَلَكَعَ الرَّجُلُ الشَّاةَ إِذَا نَهَزَهَا وَنَكَعَهَا، إِذَا فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ عِنْدَ حَلْبِهَا، وَهُوَ أَنْ يَضْرِبَ ضَرْعَهَا لِسَدْرِ، وَاللَّكْعُ الْمَهْرُ وَالْجَحْشُ وَالْأُنْثَى بِالْهَاءِ، وَيُقَالُ لِلصَّبِيِّ الصَّغِيرِ أَيْضًا لَكْعٌ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: فَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى الْكَبِيرِ أُريدَ بِهِ الصَّغِيرُ الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ، انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٢٢/٨).

(٣) سخابا من (سخب) السين والحاء والياء كلمة لا يقاس عليها. يقولون: السَّخَابُ: قِلَادَةٌ مِنْ قَرْنَفُلٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ فِيهَا مِنْ الْجَوَاهِرِ شَيْءٌ، وَاجْمَعُ سُخْبٌ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٧/٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب ماجاء في ذكر السوق، حديث رقم: ٢١٢٢ (٣/ ٦٦) وانظر: صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم-باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦٤١ (٧/ ١٢٩).

ورحمة الصغير والمزاح معه، ومعانفته وتقيله ومنقبة للحسن بن علي^(١) وعن أبي رافع^(٢) أنه قال: (كنت في بعث مرة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ فَأَتِنَنِي بِمِمْوَنَةَ» فقلت: يا نبي الله إني في البعث، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَسْتَ تَحِبُّ مَا أَحَبُّ؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «اذْهَبْ فَأَتِنَنِي بِهَا» فذهبت فجئته بها^(٣). هي ميمونة بن زينب بنته ﷺ رضي الله عنها، يبادر في طلبها حبها، ويغرس ذلك الحب في نفوس أمته لها رضي الله عنها. وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ^(٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^(٥). لقد حاز الحسن والحسين مبلغا عظيما من التمجيد والذكر الحميد على لسان نبينا ﷺ ما جاد بالقلوب المخلصة لهما حبا، واشتافت نفوس المسلمين الأخيار شبان وشيба لرفقتهم في الجنة، هما ريحانة ﷺ من الدنيا وسيدا شباب أهل الجنة، والحب الحقيقي لهما حب اتباع واقتداء، وعطف وولاء، وهي السنة المرضية عند رب البرية، وأمر بها رسوله ﷺ، لا حب لطم وثأر، وعويل ودماء وبكاء، فإنها مشاهد البدعة في العداء والبناء، وطريق الشيطان في الافتتان والفتنة.

لقد بلغ النبي ﷺ بالأطفال غاية العناية، في التأديب بتعليم العبادة والعلم، والممارسة الصحيحة للأكل والشرب واللعب، يُقْبَلُهُمْ وَيُلْقِبُهُمْ وَيُمَازِحُهُمْ، ويحملهم ويكي على فقدهم ويلوم الجافي لهم، فمن أقواله فيمن جفاهم (من لا يرحم لا يرحم)^(٦)

ومن روائع القصص في فداء الأم ابنها حبا وشفقة، ما رواه البخاري في الجامع الصحيح، عن ابن عباس^(٧) قال: «إِنَّ أَوَّلَ قَسَامَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَفِينَا بَنِي هَاشِمٍ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ اسْتَأْجَرَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ فَخْذٍ أُخْرَى، فَاَنْطَلَقَ مَعَهُ فِي إِبْلِهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَدْ انْقَطَعَتْ عُروَةُ جُوالِقِهِ»^(٨). فقال: أَغْنَى بِعِقَالٍ أَشَدُّ بِهِ عُروَةُ جُوالِقِي لَا تَنْفِرِ الْإِبِلُ، فَأَعْطَاهُ عِقَالًا فَشَدَّ بِهِ عُروَةَ جُوالِقِهِ. فلما نزلوا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٤، ص: ٣٤٢.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - من مسند القبائل - حديث أبي رافع^(٣)، حديث رقم: ٢٧١٨٥ (١٦٥/٤٥) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح إن صح سماع الحسن بن علي بن أبي رافع من جده أبي رافع.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، حديث رقم: ٣٧٧٥ (٥/٦٥٨) وحسنه الألباني. وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب المقدمة - باب فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٤٤ (١/٥١) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٥٦١ (٢٩/١٠٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف لجهالة سعيد بن أبي راشد.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقيله ومعانفته، حديث رقم: ٥٩٩٧ (٨/٧) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: ٦١٧٠ (٧/٧٧).

(٥) الجُوالِقُ والجُوالِقُ بكسر اللام وفتحها الأخيرة عن ابن الأعرابي وعاء من الأوعية معروف معرب. انظر: لسان العرب لابن منظور: (٣٦/١٠).

عَقَلَتِ الْإِبِلُ إِلَّا بَعِيرًا وَاحِدًا، فَقَالَ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ: مَا شَأْنُ هَذَا الْبَعِيرِ لَمْ يُعَقَّلْ مِنْ بَيْنِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: لَيْسَ لَهُ عَقَالٌ. قَالَ: فَأَيْنَ عَقَالُهُ؟ قَالَ: فَحَذَفَهُ بَعْصًا كَانَ فِيهَا أَجْلُهُ. فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ الْمَوْسِمَ؟ قَالَ: مَا أَشْهَدُ وَرَبِّمَا شَهِدْتُهُ. قَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبْلِغٌ عَنِّي رِسَالَةً مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَكُتِبَ: إِذَا أَنْتَ شَهِدْتَ الْمَوْسِمَ فَنَادِ يَا آلَ قَرِيْشٍ، فَإِذَا أَجَابُوكَ فَنَادِ يَا آلَ بَنِي هَاشِمٍ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاسْأَلْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ فَلَانًا قَتَلَنِي فِي عَقَالٍ. وَمَاتَ الْمُسْتَأْجِرُ. فَلَمَّا قَدِمَ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ أَنَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَاحِبُنَا؟ قَالَ: مَرَضَ فَأَحْسَنْتُ الْقِيَامَ عَلَيْهِ، فَوَلَّيْتُ دَفَنَهُ. قَالَ: قَدْ كَانَ أَهْلُ ذَاكَ مِنْكَ. فَمَكَثَ حِينًا ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يُبْلِغَ عَنْهُ وَافِيَ الْمَوْسِمَ فَقَالَ: يَا آلَ قَرِيْشٍ، قَالُوا: هَذِهِ قَرِيْشٌ. قَالَ يَا بَنِي هَاشِمٍ، قَالُوا: هَذِهِ بَنُو هَاشِمٍ. قَالَ: أَيْنَ أَبُو طَالِبٍ؟ قَالُوا: هَذَا أَبُو طَالِبٍ. قَالَ: أَمْرِيْ فَلَانٌ أَنْ أُبَلِّغَكَ رِسَالَةً أَنَّ فَلَانًا قَتَلَهُ فِي عَقَالٍ. فَأَتَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: اخْتَرْ مِنَّا إِحْدَى ثَلَاثَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَوَدِّيَ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ فَإِنَّكَ قَتَلْتَ صَاحِبَنَا، وَإِنْ شِئْتَ حَلَفَ خَمْسُونَ مِنْ قَوْمِكَ إِنَّكَ لَمْ تَقْتُلْهُ، وَإِنْ أَبَيْتَ قَتَلْنَاكَ بِهِ. فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا لَخَلْفُ. فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ وَلَدَتْ لَهُ فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَحَبُّ أَنْ تُجِيزَ ابْنِي هَذَا بِرَجُلٍ مِنَ الْخَمْسِينَ وَلَا تُصْبِرَ يَمِينَهُ حَيْثُ تُصْبِرُ الْأَيْمَانَ، فَفَعَلَ. فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَرَدْتَ خَمْسِينَ رَجُلًا أَنْ يَحْلِفُوا مَكَانَ مَائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ، يَصِيبُ كُلَّ رَجُلٍ بَعِيرَانِ، هَذَا بَعِيرَانِ فَاقْبَلْهُمَا مِنِّي وَلَا تَصْبِرَ يَمِينِي حَيْثُ تُصْبِرُ الْأَيْمَانَ، فَاقْبَلْهُمَا. وَجَاءَ ثَمَانِيَّةٌ وَأَرْبَعُونَ فَحَلَفُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا حَالَ الْحَوْلُ وَمِنَ الثَّمَانِيَّةِ وَأَرْبَعِينَ عَيْنٌ تَطْرِفُ^(١).

الوالد باب إلى الجنة، والجنة تحت أقدام الأمهات، وواجب الأبناء البر بهما، وبذل المعروف لهما والإحسان إليهما. والأولاد للوالدين ثمرات الفؤاد، عون في الدنيا، ووصل عمل بعد انقطاعه لمن صلح منهم، فمن احتسب الأجر وصبر عند الفقد؛ فإنهم حجاب من النار، وفتاح لأبواب الجنة، عن معاوية بن قرة عن أبيه، قَالَ: «كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفٍ ظَهْرُهُ فَيَقْعُدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلْكَ، فَاْمْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلَقَةَ؛ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَرَنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي لَا أَرَى فَلَانًا؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَنِيهِ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلْكَ. فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بَنِيهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلْكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا فَلَانُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمْتَعَ بِهِ عُمُرُكَ أَوْ لَا تَأْتِيَ غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهْوًا أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ»^(٢). فمن أجل المطامع أبقاها وأزكاها، والآخرة خير وأبقى فهي الأجل، فمن حب الإنسان لنفسه أن يظفر بذلك برحمته أولاده حال الحياة أو الممات، عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا: يا رسول

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب مناقب الأنصار-باب القسامة في الجاهلية، حديث رقم: ٣٨٤٥ (٥/ ٤٣).

(٢) انظر: سنن النسائي-كتاب الجنائز-باب في التعزية، حديث رقم: ٢٠٨٧ (٤/ ٤٢٣) وصححه الألباني.

الله أو اثنان قال: أو اثنان، قالوا: أو واحد ، قال: أو واحد، ثم قال: والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته^(١). وعن أبي ثعلبة الأشجعي رضي الله عنه ، قال: قلت: مات لي يا رسول الله ولدان في الإسلام، فقال: «مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدَانِ فِي الْإِسْلَامِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمَا» قال: فلما كان بعد ذلك لقيني أبو هريرة رضي الله عنه ، قال: فقال: أنت الذي قال له رسول الله ﷺ في الولدين ما قال؟ قلت: نعم. فقال: (لَنْ قَالَ لِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا غُلِقَتْ عَلَيْهِ حِمَصُ وَفَلَسْطِينِ)^(٢). وهذا الحديث ضعفه الألباني ، ولكن يتوافق معناه مع ما رواه البخاري في صحيحه ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا مِنْ نَاسٍ مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ)^(٣). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوْعَظْهُنَّ وَقَالَ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ قَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ، قَالَ: وَاثْنَانِ)^(٤)

(ج) محبة ألفة وعشرة وأنس: ومنها:

(١) حب الوطن وحب مكة والمدينة:

من منطلق الحب الذي يملأ جوانب النفس البشرية، فإن حب الوطن من الأمور الفطرية التي جبل عليها الإنسان، فإنه يشعر بالحنين الصادق لوطنه فور مغادرته، لأن به علائق الطفولة، نشأ على أرضه وبه شب، ترعرع بين جنباته، وأكل وشرب من خيراته، ومن أصدق القول في حب الوطن ما ورد عن النبي ﷺ، مخاطباً مكة بلده وأحب البقاع إليه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنت غيرك^(٥). وفي حق المدينة وحب النبي ﷺ لها، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَأْسَهُ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَكَهَا مِنْ حُبِّهَا)^(٦). قال ابن بطال: ((قوله: (من حبها) يعني لأنها وطنه، وفيها أهله وولده الذين هم أحب الناس إليه، وقد جبل الله النفوس على حب الأوطان والحنين إليها، وفعل ذلك عليه السلام، وفيه أكرم الأسوة، وأمر أمته سرعة الرجوع إلى أهلهم عند انقضاء أسفارهم)^(٧) فإن الوطن لفظ تحييه القلوب بما تحمله من

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، حديث رقم: ١٦٠٩ (٣/ ١٨١) وحسنه الألباني . وانظر مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٠٩٠ (٣٦/ ٤١٠). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: صحيح لغيره .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - من مسند القبائل حديث أبي ثعلبة الأشجعي رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٧٢٢٠ (٤٥/ ١٩٤) وضعفه الألباني .

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، حديث رقم: ١٢٤٨ (٢/ ٧٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، حديث رقم: ١٢٤٩ (٢/ ٧٣).

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب في فضل مكة، حديث رقم: ٣٩٢٦ (٥/ ٧٢٣).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل المدينة ، حديث رقم: ١٨٨٦ (٣/ ٢٣).

(٧) شرح صحيح البخاري - لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ ، ج ٤ ، ص : ٤٥٣ .

مشاعر، وتحركه الذكريات، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وعكَّ أبو بكرٍ وبلالٌ، فكان أبو بكرٍ إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امرئٍ مُصَبِّحٍ في أهلهِ والموتُ أدنى من شراكِ نَعْلِهِ
وكان بلالٌ إذا أُقْلِعَ عنه الحمى يرفعُ عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبیتَ ليلةً بوادٍ وحولي إذ خِرٌ وجليلٌ^(١)
وهل أَرَدَنَ يوماً مِياهَ مجنةٍ^(٢) وهل يَبْدُونَ لي شامةً وطفيلٌ^(٣)

وقال: اللهم العن شيبَةَ بنَ ربيعةَ وعُتْبَةَ بنَ ربيعةَ وأمِيَةَ بنَ خَلْفٍ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرضِ الوباءِ. ثم قال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كَحُبِّنا مكةَ أو أَشَدَّ. اللَّهُمَّ بَارِكْ بنا في صَاعِنَا وفي مُدَنَّا، وصَحْحِهَا لنا، وانْقُلْ حُمَاهَا إلى الجَحْفَةِ. قالت: وَقَدِمْنَا المدينةَ وهي أوبأُ أرضِ الله، قالت: فكان يُطْحَنُ يَجري نَجْلاً. تعني ماءً آجناً»^(٤).

مكة والمدينة هما المكانة العلياء والمقام العظيم في سيرة النبي ﷺ، التي قام عليها أمر الإسلام، ولهما في نفسه حب عميق انتقل إلى نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أعرضه من وجوه:

الوجه الأول: مكة مستقر هاجر وإسماعيل عليهما السلام وفيها الكعبة بيت الله، إذ أذن بالحب إلى إبراهيم عليه السلام، بأمر من الله تعالى وهوت إليه الأفئدة من أقطار الأرض. ولد فيها النبي ﷺ ومهبط الوحي، وانطلقت منها دعوته إلى التوحيد ورسالة الله الخاتمة، مكث فيها ثلاث عشرة سنة، أخرج منها عداوة لدعوته، وعاد إليها ﷺ في السنة الثامنة من الهجرة فاتحاً منتصراً، محققاً للتوحيد، رافعا فيها الأذان، محطماً للشرك وأصنامهم، وطامساً لهويته.

الوجه الثاني: المدينة مهاجر النبي ﷺ وفيها قبره، وهي دار نصرته، انطلق منها الجهاد لحماية الدعوة، وانتشر منها الإسلام، مكث فيها ﷺ عشر سنين يدعو إلى الله، وهي مأرز الإيمان. وفيها مات ﷺ ودفن في بيته، وفيها مسجده ﷺ ومآثر الدعوة في عهده والخلفاء الراشدين من بعده.

(١) الإذخر: نبت وحشيش طيب الريح. وجليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت. الإذخر: نبت، الواحدة إذخرة. انظر: الصحاح للجوهري (٢٢٤/١). والإذخر حشيش طيب الريح، وهي شجرة صغيرة انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٠٢/٤)

(٢) مياه مجنة: مجنة، اسم موضع على أميال من مكة وكان به سوق في الجاهلية. ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاري. والجنة: البستان، ومنه الجنات. والعرب تسمى النخيل جنة. انظر: الصحاح للجوهري (٢٠٩٤/٥)، الجنة من الاجتنان وهو الستر لتكاتف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، والجنة الحديقة ذات الشجر والنخل. انظر: لسان العرب لابن منظور (٩٢/١٣)

(٣) شامة وطفيل: هما جبلان عند الجمهور وصب الخطابي ذلك بأقنم عينان، ذكره ابن حجر في الفتح.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، حديث رقم: ١٨٨٩ (٢٣/٣)

الوجه الثالث: لقد بوب أصحاب الحديث والفقه والتاريخ من المصنفين أبواباً في فضائل مكة والمدينة، يتبين لمن فقه أمر الدين على الحقيقة أنهما من الأسس المكانية لهذا الدين، وأنهما وطن النبي ﷺ، والوطن الإيماني لكل مسلم؛ فهما مهوى شوق المسلمين ومحل حب لهذا الدين، نالا من الشرف والخدمة عبر تاريخ الإسلام ما لم ينله غيرهما، وفي هذا الزمن الذي قامت فيه دولة التوحيد-المملكة العربية السعودية - على رسم السلف الصالح عقيدة ومنهجاً؛ تبعاً لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، جعل رابط الوطن فيها يقوم على الدين والأرض والتاريخ؛ فأصبح الانتماء إليها أوثق، والتضحية فيها أقوى، ونرى من سنته ﷺ في حبه لهذه البلاد ما يوثق الصلة بين الصحابة رضي الله عنهم وأرضهم وجباهم وثمارهم ودورهم ليضرب مثلاً أعلى في حب الوطن والشوق إليه، عن أبي حميد الساعدي ؓ قال « غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِي الْقُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: اخْرُصُوا، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لَهَا: أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا. فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا سَتَهَبُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقْوَمَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ، فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلٍ طِيءٍ. وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بِيضَاءً، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِحَرِّهِمْ. فَلَمَّا أَتَى وَادِي الْقُرَى، قَالَ لِلْمَرْأَةِ: كَمْ جَاءَتْ حَدِيقَتُكَ؟ قَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، خَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِيَ فَلْيَتَعَجَّلْ. فَلَمَّا - قَالَ ابْنُ بَكَّارٍ^(١) كلمةً معناها - أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، فَلَمَّا رَأَى أَحَدًا قَالَ: هَذَا جَبِيلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُهُ. أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِحَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ أَوْ دُورُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ يَعْني خَيْرًا^(٢). قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: (أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْمَسْرَةِ بِلِسَانِ الْحَالِ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ لِقَرْبِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَلِقْيَاهُمْ وَذَلِكَ فَعَلَ مِنْ يَجِبُ بَيْنَ يَجِبِ)^(٣) وبين أيضاً أن الحب لجبل أحد هنا أتى من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال الجنة.

والحبة العظمى للوطن تنطلق من قداسة المكان حينما يكون له تفضيل من الله الذي خلق الأرض وفضل بعضها على بعض، كتفضيل الله لمكة والمدينة والقدس وجعلها مبعث الأنبياء قال الله تعالى في حق إبراهيم ولوط عليهما السلام: (وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)^(٤) ولذا أحب موسى ﷺ أن يدفن في الأرض المقدسة، بوب البخاري: باب مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ أَوْ نَحْوِهَا وَأُورِدَ فِيهِ: عَنْ أَبِي

(١) سهل بن بكار بن بشر الدارمي البصري، أحد رواة السند في هذا الحديث .

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة - باب خرص النمر، حديث رقم: ١٤٨١ (٢/ ١٢٥)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٧، ص: ٣٧٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٧١.

هريرة رضي الله عنه قال « أُرْسِلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ. وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيُّ رَبٍّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ فَاالآن. فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ^(١) وكذا نبينا محمد ﷺ دعا للمدينة بالبركة وأحب أن يدفن فيها فدفن في المكان الذي أحبه، عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: «لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ سَمِعْتُ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ قَالَ: « مَا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ، ادْفَنُوهُ فِي مَوْضِعٍ فَرَّاشِهِ^(٢) ».

٢) محبة الرجل لنسائه وأهله وقومه ونسبه:

إن لما يقرره الشرع اعتبار الوجود للموجود، فإن وجود الإنسان في بيئة اجتماعية، مع ما منحه الله من خصائص وصفات في طبيعة خلقه، كان أمراً فطرياً أن يسعى لتحصيل ما يحقق له الألفة والأنس من الزواج لقضاء وطره وإشباع رغبته والاستمتاع بشهوته، ومن معايشة قومه محبة في تحقيق مصالحه ومصالحهم، ومن الحفاظ على كرامته ونسبه، وهذا من ثوابت الدين بالضرورة، بوب البخاري في صحيحه: باب مَنْ أَحَبَّ أَنْ لَا يُسَبَّ نَسَبُهُ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن حسان النبي ﷺ في هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: كَيْفَ بَنَسِي؟ فَقَالَ: حَسَّانُ: لَأُسَلِّتَكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ^(٣)».

بوب البخاري في صحيحه أيضاً: باب حُبِّ الرَّجُلِ بَعْضَ نَسَائِهِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضِ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل: عن عمر رضي الله عنهم أنه دخل على حفصة فقال: (يَا بُنَيَّةُ، لَا يَغُرُّكَ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا - يُرِيدُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَبَسَّمَ^(٤) . وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَاتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَقُلْتُ مَنْ الرِّجَالُ؟ قَالَ: أَبُوهَا. قُلْتُ:

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجنائز- باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، حديث رقم: ١٣٣٩ (٢/ ٩٠) وانظر

صحيح مسلم-كتاب الفضائل- باب من فضائل موسى ﷺ، حديث رقم: ٦٢٩٨ (٧/ ١٠٠)

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب دفن النبي حيث قبض، حديث رقم: ١٠١٨ (٣/ ٣٣٨).

وانظر: سنن ابن ماجه-كتاب الجنائز-باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، حديث رقم: ١٦٢٨ (٣/ ٢٠١). صححه الألباني في صحيح مختصر الشماميل.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب من أحب أن لا يسب نسبه، حديث رقم: ٣٥٣١ (٤/ ١٨٥) وانظر: صحيح مسلم -

كتاب فضائل الصحابة-باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه حديث رقم: ٦٥٤٨ (٧/ ١٦٤)

(٤) انظر: صحيح البخاري -كتاب النكاح - باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض، حديث رقم: ٥٢١٨ (٧/ ٣٤).

ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَعَدَّ رَجَالًا^(١) (٢). فَمِنْ حِكْمَةِ الْإِسْلَامِ وَحَسَنِ تَشْرِيعَاتِهِ أَنْ جَعَلَ الْمَحَبَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ فِي مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ، تَحْذِيرًا مِنَ الْإِغْرَاقِ فِيهَا الَّذِي يُوْدِي إِلَى الظُّلْمِ، وَبَعْدًا عَنِ الْجَفَاءِ أَوْ النِّقْصِ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الْعِجْزُ وَالْخُلُلُ، فَوَجَّهَ الْمُسْلِمَ أَنْ يَأْنِسَ فِي حَيَاتِهِ بِاتِّبَاعِ الْهُدَى النَّبَوِيِّ فَرَحًا بِمَكَانِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ فِي نَوْمٍ هَنِيٍّ، وَفِيٍّ، وَيَفْرَحَ بِمَكَانِهِ فِي فَسْحَةِ الْقَبْرِ وَنُورِهِ؛ بِتَحْقِيقِ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ (أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ) أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ. يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ. فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ. ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ. فَيَقُولُ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(٣). وَالْحُبَّةُ الْحَقَّةُ مَا قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَكَفِّ الظُّلْمِ حَتَّى مَعَ أَقْرَبِ النَّاسِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِيِّ، عَنْ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: فَسِيلَةُ. قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْعَصِيَّةُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: «لَا. وَلَكِنْ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»^(٤).

(د) محبة إجلال وتقدير واحترام:

إِنَّ الْحَيَاةَ لَهَا نِظَامٌ سَائِدٌ سَيَادَةُ عَلَى كُلِّ الْأَنْظُمَةِ الْبَشَرِيَّةِ، أَلَا وَهُوَ مَحَبَّةُ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، يَتَرَعَّهُ إِلَى ذَلِكَ عِرْقُ النَّسَبِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُدْفَعُهُ التَّكْوِينُ الْخَلْقِيُّ مِنَ اللَّهِ الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ، الَّذِي جَبَلَهُ عَلَى الْإِسْتِنْسَانِ بِأَخِيهِ، وَهَذَا الْأَصْلُ يَظْهَرُ عِنْدَمَا تَدْفِنُ الْعَصِيَّةُ لِحَرِيَّاتِ أَحْدَاثِ التَّارِيخِ، وَمَعْرُوفَاتِ الْعَقَائِدِ الْمُنْحَرِفَةِ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَكَثِيرًا مَا تَظْهَرُ الْمَحَبَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي زَمَانِنَا، وَيَنَادِي بِإِيقَافِ الْحُرُوبِ الْمَدْمَرَةِ مِثْلًا، وَيَنَادِي بِإِغَاثَةِ الْمُنْكَوبِينَ وَإِطْعَامِ الْجَائِعِينَ، فَقَدْ انْطَلَقَتْ هَذِهِ الْمَوَاقِفُ مِنْ إِجْلَالِ لِلْكَيَانِ الْبَشَرِيِّ. وَأَيْضًا عِنْدَمَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْبَشَرِ حَسَبِ أَلْوَانِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَتَارِيخِهِمْ؛ فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ تَأْخُذُ مَوْضِعَ التَّقْدِيرِ وَالْإِحْتِرَامِ فِي مَوْقِفِ التَّعَاوُنِ الْاِقْتِسَادِيِّ، وَالْإِتِّفَاقَاتِ وَالْمُعَاهَدَاتِ فِي ظِلِّ الْمَصَالِحِ الْمَشْتَرَكَةِ وَالتَّعَايِشِ السَّلَامِيِّ بَيْنَ النَّاسِ. وَفِي ظِلِّ الْجَمْعِ الْوَاحِدِ تَجَدُّدِ التَّلْمِيزِ يَكُنْ لِمُعَلِّمِهِ التَّقْدِيرُ وَالْإِحْتِرَامُ، وَالطَّبِيبُ يَعَالِجُ مَرْضَاهُ بِكُلِّ رَحْمَةٍ وَتَقْدِيرٍ، وَكُلُّ مَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ فِي الْعَقِيدَةِ وَأَسَسِ الْحَيَاةِ وَمُبَادِئِهَا؛ كَانَتْ مَحَبَّةُ التَّقْدِيرِ وَالْإِحْتِرَامِ لَهُ فِي تَفَاضُلٍ عَنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِهِمُ الْأَوَّلِ يَجُوبُونَ نَصْرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى الْإِجْسُورِ وَأَهْلِ الْأَوْثَانِ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا أَلَمَ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى

(١) وعند الترمذي في سننه من رواية عبد الله بن شقيق عن عائشة عدا النبي ﷺ بعد عمر، عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - اب باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣٦٦٢ (٥/٥).

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم: ١٠٧١ (٣/٣٨٣).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب العصية، حديث رقم: ٣٩٤٩ (٥/٩٥)، وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي

الله عنهم، حديث رقم: ١٦٩٨٩ (٢٨/١٩٦) ضعفه الألباني، ومعناه يتوافق مع أحاديث كثيرة في المحبة وكف الظلم.

الأرض { قَالَ غَلِبْتَ وَغَلِبْتَ. قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارَسَ عَلَى الرُّومِ لِأَتْنَهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ أَوْتَانٍ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارَسَ لِأَتْنَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «أَمَّا إِيْنَهُمْ سَيَغْلِبُونَ» فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سَنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ فَقَالَ «أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ» قَالَ أَرَأَاهُ الْعَشْرَ، قَالَ: قَالَ سَعِيدٌ: وَالْبَضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ، قَالَ ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ، قَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى {أَلَمْ غَلِبْتَ الرُّومَ} إِلَى قَوْلِهِ {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مِنْ يَشَاءُ}. قَالَ سَفِيَانُ سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ.^(١)

ومن دواعي الصداقة وآثارها الاحترام والتقدير المبني على التوافق، الذي ينمي المحبة بين الأصدقاء، فيأكل من مأكله ويتزل في منزله، ويسعى في مصالحه، بل المحبة تنعقد فيما يحوزه المرء من كتاب أو عهد منك أو ممن له الأمر، فيتوثق به في حفظ وده وحقه، وأورد هنا من السنة هذا الموقف المبارك، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وما كان منه في حق صديقه من احترام وتقدير ضمن ضوابط الشرع الحكيم، وما بذله رسول الله لصاحبه من تحقيق رغبته وحيازته كتاب من رسول الله يحفظ به ماله، عن سالم بن أبي أمية أبو النضر، قَالَ: جَلَسَ إِلَيَّ شَيْخٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، وَمَعَهُ صَحِيفَةٌ لَهُ فِي يَدِهِ - قَالَ: وَفِي زَمَانِ الْحَجَّاجِ - فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَتَرَى هَذَا الْكِتَابَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا عِنْدَ هَذَا السُّلْطَانِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا الْكِتَابُ؟ قَالَ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَتَبَهُ لَنَا: أَنْ لَا يُتَعَدَّى عَلَيْنَا فِي صَدَقَاتِنَا. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يُغْنِيَ عَنْكَ شَيْئًا، وَكَيْفَ كَانَ شَأْنُ هَذَا الْكِتَابِ؟ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ يَابِلٌ لَنَا نَبِيعُهَا، وَكَانَ أَبِي صَدِيقًا لَطْلَحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ، فَتَزَلْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَخْرِجْ مَعِيَ فَبِعْ لِي إِبِلِي هَذِهِ. قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَكِنْ سَأَخْرِجُ مَعَكَ فَأَجْلِسُ وَتَعْرِضُ إِبِلَكَ، فَإِذَا رَضِيتُ مِنْ رَجُلٍ وَفَاءً وَصَدَقًا مِمَّنْ سَاوَمَكَ أَمْرُكَ بَبِيعِهِ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى السُّوقِ فَوَقَفْنَا ظَهْرَنَا، وَجَلَسَ طَلْحَةُ قَرِيبًا فَسَاوَمَنَا الرَّجَالُ حَتَّى إِذَا أَعْطَانَا رَجُلٌ مَا نَرْضَى، قَالَ لَهُ أَبِي: أَبَايَعُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ وَفَاءً فَبَايَعُوهُ، فَبَايَعْنَاهُ فَلَمَّا قَبَضْنَا مَا لَنَا وَفَرَعْنَا مِنْ حَاجَتِنَا. قَالَ أَبِي لَطْلَحَةَ: خُذْ لَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا: أَنْ لَا يُتَعَدَّى عَلَيْنَا فِي صَدَقَاتِنَا، قَالَ: فَقَالَ: هَذَا لَكُمْ. وَلَكُلِّ مُسْلِمٍ، قَالَ عَلَى ذَلِكَ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِتَابٌ. قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى جَاءَ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، صَدِيقٌ لَنَا، وَقَدْ أَحَبُّ أَنْ تَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا، أَنْ لَا يُتَعَدَّى عَلَيْهِ فِي صَدَقَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا لَهُ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنْكَ كِتَابٌ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَكَتَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْكِتَابَ.^(٢)

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة الروم، حديث رقم: ٣١٩٣ (٥ / ٣٤٣) وصححه الألباني .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٤٠٤ (٣ / ٢٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده حسن .

ثانيا: المحبة الضارة المذمومة غير المباحة

إن ما أوردته في بيان أنواع المحبة النافعة بلفظ الحب في الكتاب والسنة فيما سبق، لعله يعطي المعنى الواضح لأنواع المحبة الضارة، يقول الله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) ^(١) حيث يبين الله تعالى في هذه الآيات كيف هدى الله المؤمنين بالرسول ﷺ الذي يدفع عنهم الإثم ويرفع عنهم الحرج بالثبات على الحق والثبات في شؤون الخلق وأن الله سبحانه من عليهم أن يحب إليهم الإيمان الذي يؤدي إلى الطاعة وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، يقول الطبري في تفسيره ((فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت، ما لو لم تطيعوه وتتبعوه، وكان يطيعكم لئالكم وأصابكم. وقوله: (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فأنتم (وَكَّرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) بالله (وَالْفُسُوقَ) يعني الكذب، (وَالْعِصْيَانَ) يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ، وتضييع ما أمر الله به (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول: هؤلاء الذين حَبَّبَ الله إليهم الإيمان، وزَيَّنَهُ في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق) ^(٢) ومن الحقائق العقلية العلمية أن ضد الحق الباطل، وضد الرشد الضلال، فمن تخطى قلبه وعقله وسلوكه حدود النفع، فإنه يمضي بمحابه إلى المضرة، وهي تلخص فيما يلي:

(١) محبة الشرك والكفر والنفاق وأهلهم اعتقادا وقولا وعملا.

(٢) محبة المعاصي، وهي ما لا يرضاه الله.

(٣) المحبة الطبيعية المذمومة ومنها: محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

أولا: محبة الشرك والكفر والنفاق اعتقادا وقولا وعملا:

إن من تقرير أهل العلم القائم على الدليل من الكتاب والسنة أن محبة الشرك والكفر وأهلهم، أو نصرة الكفار على المؤمنين، أو الفرح بذلك، أو مظاهرتهم ومعونتهم على المسلمين، فإنه كفر أكبر لأن الإيمان يستلزم محبة من يحب الله ورسوله والمؤمنين وموالاتهم، فمن إلى المشركين والكافرين فقد ترك واجبا من واجبات الإيمان، ومن أظهره فقد كفر، ومن أبطنه فقد نافق النفاق المخرج من الملة، قال الله تعالى: (تَحَذَّرُوا الْمُنَافِقِينَ أُن تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنِّي أَخْرِجُ مَا تَخْذَرُونَ) ^(٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَكْثِرُونَ) ^(٥) لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ تَعَذِّبْ طَآئِفَةً بَأْهُمْ كَانُوا أَجْرِمِينَ) ^(٦) وخلاصة القول أن المحبة الضارة في

(١) سورة الحجرات: ٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٢، ص: ٢٩٠.

(٣) سورة التوبة: ٦٤ - ٦٥.

أشد ضررها تكون في ثلاثة أوجه: الحبة الشريكة ومحبة الكفر والكافرين ومحبة النفاق والمنافقين. وللعلماء في كل منها تفصيل أعرضه في أحكام الحبة في المطلب الثاني من هذا الفصل.

ثانياً: محبة المعاصي :

إن معصية الله تعالى توجب البعد عنه سبحانه وتجلب المضرة لصاحبها ولمن يحيا معهم، فإن الطاعة تورث نورا، والمعصية تورث ظلمة، قال الله تعالى: (وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) ^(١) فمن أحب الخير لنفسه كره المعاصي لتأثيرها على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ولعظم ضررها على القلب فإنها تؤثر عليه كتأثير السموم على الأبدان، وعاقبتها عامة على الفرد والمجتمع، إذا ظهر أمرها وغلب، فمن ضعفت حياة قلبه أو مات دخل الفساد لقلبه وعاش بين أضرار الزيف والضلال، وعاش الناس بين أخطار الوهن والظلام، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَاتِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غَتَاءٌ كَغَتَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَاتِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» ^(٢). فإن الطاعات منبعها حب الآخرة وتفضيلها على الدنيا سواء كانت مصادرها فطرية طبيعية أو مكتسبة أو شرعية عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب دنياه أضر بآخِرته ومن أحب آخِرته أضر بدنيته فآثروا ما يبقى على ما يفنى» ^(٣). وإن كانت سائر المعاصي تنطلق من حب الدنيا بين إشباع الرغبات وتلبية الحاجات في سبيل تحقيق الألفة والأنس، تدفعها نوازع الرحمة والشفقة ومتجاوزة بالإنسان حدود الخطورات الشرعية إلى تقدير وإجلال ما دعا الشرع لاجتنابه، إلا أن الفارق بين منبع الحبة ونتيجتها تركز على أصليين: أصل فطري ومكتسب وأصل شرعي؛ وعليه تكون الإباحة المرتبطة بالنفع أو عدمها المرتبط بالضرر وهذا ما سوف أبينه في أحكام الحبة الطبيعية المذمومة.

ثالثاً: الحبة الطبيعية المذمومة:

ومنها محبة إشباع ورغبة وحاجة، أو محبة إشفاق ورحمة وعطف، أو محبة ألفة وعشرة وأنس، أو محبة إجلال وتقدير واحترام. وحيث أن الإسلام قد جاء بتشريعاته الربانية الكاملة فلم يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولم ينه إلا عن مفسدة خالصة أو راجحة، ومن ضمن ذلك أصول الحبة وما يتفرع عنها من مكتسبات تشمل طبيعة الحياة الإنسانية على هذه الأرض؛ و تمييز ذلك يتم من خلال معرفة الضوابط الشرعية الفاصلة بين الحبة الطبيعية المباحة والحبة الطبيعية المذمومة، وفق توجيهات الشرع في أحكام المحبة في المطلب الثاني التالي.

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الملاحم - باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم: ٤٢٩٩ (٤ / ١٨٤). صححه الألباني .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث أبو موسى الأشعري ، حديث رقم: ١٩٩٦٩٧ (٣٢ / ٤٧٠) تعليق شعيب

الأرنؤوط : حسن لغيره. وقال الألباني صحيح لغيره .

المطلب الثاني

أحكام المحبة في الكتاب والسنة

تدور الأحكام الشرعية للمحبة مع أنواعها ودوافعها ونتائجها، وجملة الأحكام هذه تتعلق بكل إنسان حسب نيته وحاله، وفي هذا تفصيل دقيق قرره أهل التحقيق من أهل العلم، أوضحه فيما يلي:

أولاً: أن المحبة في الأصل جائزة كسائر الصفات والروابط البشرية التي فطر الله الإنسان عليها، والمستلزمة لحياة الناس على الأرض، يستأنس بعضهم ببعض، ويساعد كل منهم الآخر في الخير ليعيش الجميع في حياة هائلة، ويؤدون الغاية من وجودهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له. قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١) وقال الله سبحانه: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (٢)

ثانياً: أن النية هي أصل المقاصد ومحلها القلب، وعليها مدار القبول في الدين، ومن أئمة الإسلام من جعل حديث النيات في أول أبواب التصنيف في مؤلفاتهم، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى الْمُنْبَرِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (٣). قال البغوي في شرح السنة: (قوله: "إنما الأعمال بالنيات" لم يرد به حصول أعيانها، لأنها حاصلة حساً وصورة من غير أن تقترب بها النية، إنما أراد به صحتها حكماً في حق الدين، فإنها لا تحصل إلا بالنية. وقوله: "إنما لكل امرئ ما نوى" فيه إيجاب تعيين النية، والنية: قصدك الشيء بقلبك، وهي تستدعي أموراً في أعمال الدين حتى يصح الامتثال، أن تعرف الشيء الذي تقصده، وأن تعلم أنك مأمور به، وأن تطلب موافقة الآخر فيما تعبدك. وفيه دليل على وجوب النية في الوضوء والغسل والتميم، كوجوبها في سائر العبادات، وهو قول أكثر أهل العلم، وبه قال الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يصح الوضوء والغسل بغير النية، ولا يصح التيمم إلا بالنية، وهو قول الثوري، وأصحاب الرأي. وقال الأوزاعي: يصح الكل بغير النية (٤) والذي عليه جمهور أهل العلم أن مقتضى حق العموم فيها يوجب أن لا يصح عمل من الأعمال الدينية أقوالها وأفعالها فرضها ونفلها قليلها

(١) سورة الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) سورة الملك: ١٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي-باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث رقم: ١ (١/ ٦).

(٤) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢،

١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٤٠٢.

وكثيرها، إلا بنية ، وعليه فإن النية أصل المقاصد فلا يحدد صحة المقصد والخير فيه إلا ما يوافق العقل والشرع المحتكم إليه، أما صاحب النية بما يدركه ويخالج قلبه ونفسه تجاه محبوباته وأعماله القولية والبدنية والقلبية، فإن عليه تصويب ذلك وفق مقتضيات الشرع والعقل في الخير، لا كما يرى وفق رغبات نفسه ونزغات شهواته. والمقصود من هذا أن الله جل وعلا يجب من امتثل أمره الشرعي وإرادته الشرعية، أما من كان منساقا مع إرادته الكونية ولم يمثل للمراد الشرعي فإن هذا ليس محبوبا لله تعالى، فكل شيء في ملكوت الله منساق لمراد الله الكوني وما يقع في ملكوت الله من الكفر والظلم والمعصية ونحو ذلك، هذا مُبْعَضٌ لله جل وعلا وممقوت منه سبحانه.

ثالثا: أن أنواع المحبة تدور في ثلاثة أقسام:

- ١) محبة الله ومحبة فيه، وهي أصل الإيمان والتوحيد والطاعة.
 - ٢) محبة مع الله، وهي أصل الشرك والكفر والنفاق والمعصية.
 - ٣) محبة فطرية من أصل الخلق، ومحبة مكتسبة من التعامل مع الخلق.
- وعلى هذا التقسيم دارت الأحكام الشرعية في أنواع المحبة:

١) محبة الله هي أصل الإيمان ومحبة الرسول ﷺ لا يكمل الإيمان إلا بها، وكلاهما من أوجب الواجبات الشرعية، ومحبة الله تستلزم محبة أهل طاعته من الأنبياء والمؤمنين والصالحين، والأصل في الإيمان توحيد الله والتصديق بما جاءت به رسله، والعمل بأمره واجتناب نهيهِ، إلا أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكذلك الأصل في بني آدم فقد جبلهم الله على التوحيد وما فطروهم عليه من الصفات والرغبات عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَنَلَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأُبْتَلِيكَ وَأُبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ، قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ وَاغْزِهِمْ نُغْرَكَ وَأَنْفَقَ فَسَنَنْفَقَ عَلَيْكَ، وَأَبْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلِهِ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ. قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسَطٍ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٌ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَائَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ

أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ، وَالشَّنْظِيرُ^(١) الْفَحَّاشُ^(٢). وعليه فإن المؤمن الذي يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيه خصلتان: خصلة تقتضي محبة الله عز وجل له، وتلك الخصلة هي الإيمان الذي معه، وما يقوم به من الطاعة، وخصلة تقتضي عدم محبة الله جل وعلا له، وتقتضي بغض الله له لما معه من شعب الكفر وشعب المعصية. فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن محبة الله جل وعلا، تتفاضل فيحب بعض الناس أعظم من محبته للبعض الآخر، ويفضل بعضهم على بعض كل حسب إيمانه وعمله، وبمشيئة الله وقدرته وحكمته.

(٢) محبة مع الله وهي أصل الشرك والكفر والنفاق والمعصية:

(أ) الحبة الشركية: وهي محبة الشرك كدين، واتخاذ الأنداد والنظراء والأكفاء والشفعاء من دون الله، وصرف العبادة لهم. وهي الحبة المستلزمة للذل أو الطاعة والخضوع لغير الله، والمؤدية لفعل الشرك، كأن تدفعك محبة شخص إلى طاعته في الشرك الأكبر، أو تدفعك محبته إلى عبادته، كالذبح له أو السجود له أو الاستغاثة به فيما لا يملك، وهذا النوع شرك أكبر. يقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)^(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك)^(٤) وقد فصل العلماء في بيان الشرك وعظموا من خطره وشأنه، كونه أعظم المعاصي وأكبر الذنوب، وأكد الله أنه لا يغفره دون سائر الذنوب، قال الله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)^(٥) والشرك قسمان: الشرك الأكبر والشرك الأصغر: والفرق بينهما يتضح في صور كل منهما، ويعلم من مصير صاحبهما: فإن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، وأنه يحبط الأعمال بالكلية، وأن صاحبه حلال الدم والمال وفق ضوابط الجهاد في الإسلام، وأن الله تعالى لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الممات. أما الشرك الأصغر: فإنه لا يخلد صاحبه في النار، ولا يحبط الأعمال بالكلية، وأن صاحبه لا يحل دمه وماله، وأن صاحبه بين المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له. ولكل من القسمين فروع وصور أوضحها فيما يلي:

أولاً: الشرك الأكبر: وهو أن يجعل لله نداً في ربوبيته، أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، يدعو كما يدعو الله، أو يخافه أو يمجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة. وتتعدد أنواع الشرك الأكبر:

(١) الشنظير: سيء الخلق. من (شنظر) شَنَظَرَ الرجل بالقوم شَنَظَرَةً شتم أعراضهم، انظر لسان العرب لابن منظور (٤/٤٣١).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: ٧٣٨٦ (٨/١٥٨).

(٣) سورة البقرة: ١٦٥.

(٤) الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، الأردن: مكتبة المنار ط ١، ١٤٠٧هـ، ص:

٨٣.

(٥) سورة النساء: ١١٦.

(١) شرك العباداة: وهو صرف شيء من أنواع العباداة لغير الله: كالدعاء والنذر والذبح وغيرها من العبادات.

(٢) شرك المحبة: وهو أن يتخذ أنداد من دون الله، يحبونهم كحب الله، كما قال الله تعالى: (وَمَنْ أَلْفَى مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)^(١)

ومحبة المشركين الأنداد جاءت في التفسير^(٢) على وجهين:

الوجه الأول: ويعني أن يحبّ المشركون الأنداد كحب المشركين لله، ونقل عن ابن كيسان والزجاج: أي يسوون بين الأصنام وبين الله تعالى في المحبة. وقال أبو إسحاق: وهذا القول الصحيح.

الوجه الثاني: ومعناه أن يحب المشركون الأنداد كحب المؤمنين لله. نقل عن مجاهد يرحمه الله.

والوجه الأول أظهر، والكاف في قوله (كَحُبِّ اللَّهِ) بمعنى مثل؛ يعني يحبونهم مثل حب الله وهي كاف المساواة كما قال جل وعلا مخبرا عن قول أهل النار: (قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٧﴾ إِذْ تُسَوِّجُكُمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ^(٣) قال العلماء: سووهم برب العالمين في المحبة والعبادة، ولم يسووهم في الخلق والرزق وإفراد الربوبية.

(٣) شرك الهوى: وهو أن يقدم المرء هواه على طاعة الله، فإن كان هواه في الشرك والكفر فهذا شرك وكفر مخرج عن الملة، وإن كان هواه في المعاصي دون الشرك والكفر، فهو نوع من الشرك، حيث أشرك هواه مع الله عز وجل، وهذا النوع لا يخرج من الملة، بل إن المعاصي كلها لا تكون إلا عن طريق الهوى، قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ^(٤) قال البغوي في تفسيره (قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبته لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال آخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه) ^(٥)

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) سورة الشعراء: ٩٦ - ٩٨.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٧، ص: ٢٤٥.

٤) شرك الطاعة: وذلك يكون بطاعة الإنسان في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فقد جعل الله ذلك شركاً بقوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاتُؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(١) وقال الله سبحانه: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۚ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٢) وقد جاء في تفسير هذه الآية أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله لسنا نعبدهم. فقال رسول الله ﷺ: "ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلونهم ويحرمون الحلال فتحرمونه" قال: بلى. قال: "تلك عبادتهم"^(٣).

ثانياً: الشرك الأصغر: وهو ما جاء في نصوص الشريعة بتسميته شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر. ومن صوره: الحلف بغير الله، ويسير الرياء، وقول: ما شاء الله وشئت؛ ولولا الله وفلان، وكذا طلب العلم لغير الله ونحو ذلك مما ينافي الإخلاص. وصاحب الشرك الأصغر لا يخلد في النار، ولكنه معرض للوعيد وصاحبه على خطر عظيم، وقد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر، فيجب التحرز منه، وله أنواع في قسميه:

ينقسم الشرك الأصغر إلى قسمين:

أولاً: الشرك الأصغر الظاهر: وهذا الشرك على نوعين :

١) شرك في الأفعال: كلبس الحلقة والخيط ونحوهما وتعليق التمايم والحروز والطلاسم من أجل اتقاء العين أو اتقاء الجن أو المرض أو المصائب ونحو ذلك، فهذا شرك أصغر، ولكنه مشروط؛ فإن اعتقد أن هذه الأشياء تستقل في النفع والضرر فقد صار شركاً أكبر. أما إن اعتقد أنها مجرد سبب فقد جعل ما ليس سبباً سبباً؛ فهذا شرك أصغر.

٢) شرك في الأقوال: وذلك كالحلف بغير الله مثل أن يحلف بأبيه أو جده أو الكعبة أو وحياتي وحياة فلان، أو يحلف بالنبي ﷺ، وكذلك قول البعض مطرنا بنوء كذا ، وكذا قول: ما شاء الله وشئت، أو لولا كذا وكذا وما شابه ذلك.

ثانياً: الشرك الأصغر الخفي: والمراد به شرك النيات، وهو عام وشامل لكل من الأفعال والأقوال، وهذا القسم أكثر أنواع الشرك وقوعاً، حيث لا يسلم منه إلا من رحم الله. فيجب على المسلم أن يجدد نيته،

(١) سورة الشورى: ٢١.

(٢) سورة التوبة: ٣١.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم : ٢١٨ (٩٢/١٧). قال الألباني في السلسلة الصحيحة : ((أما إثمهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه، [فتلك عبادتهم]). أخرجه البخاري في "التاريخ" (١٠٦/٤) والترمذي في "السنن" (٣٠٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢١٨/٩٢ و ٢١٩)، وابن جرير في "التفسير" (١٠/٨٠-١٨)، والبيهقي في "السنن" (١١٦/١٠) وضعف إسناده، وقال الترمذي : حديث حسن غريب).

ويخلص الله عمله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ »^(١).

(ب) المحبة الكفرية وهي محبة الكفار لدينهم، أو محبة المسلم للكفار ودينهم. وهذا أصل الكفر. قال تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٢) وعن أنس رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»^(٣) فإن المحبة كما هي لأهل الإيمان من الإيمان فهي في حق أهل الكفر كفر، والمحبة في هذا الحديث تعتبر هنا من باب الكفر لا من باب الشرك. حيث أن المحبة الكفرية هي محبة الكفر والإلحاد وأهله ومعاداة الدين الحق، وهي محبة تستلزم التكذيب والاستكبار والإعراض والعداء المؤدية إلى فعل وقول الكفر، ومنها محبة الكفار بعضهم لبعض، أو محبة دين الكفار فهذا كفر لمناقضته واجب الإيمان بالله ودينه الحق، يقول الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)^(٤) قال الشيخ السعدي في تفسيره: (قول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقيم به. و { لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ } الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم { أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا } أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة { الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ } { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله. ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما)^(٥).

(ج) محبة المنافقين: وهي إبطان محبة غير الإسلام، كالكفر والشرك وأهلها باطنا، وإعلان الإسلام ظاهرا، أو المعاونة على غلبة أهل الإسلام وهدم دينهم، والسعي لتحقيق الأهواء الباطلة وملذات الدنيا بالمعاصي الظاهرة و الباطنة. ذكر البغوي في تفسيره حقيقة المحبة عند أهل النفاق بقوله عند تفسير قول الله تعالى: (أَلَمْ تَنفِقُوا وَلَٰمَنَّفِقْتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ)^(٦) أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم: ٧٦٦٦ (٢٢٣/٨).

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب علامة حب الله عز وجل، حديث رقم: ٦١٦٨ (٨/ ٣٩) وانظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب-باب المرء مع من أحب حديث رقم: ٦٨٨٨ (٨/ ٤٣).

(٤) سورة التوبة: ٢٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٣٣٢.

(٦) سورة التوبة: ٦٧.

النفاق، {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} بالشرك والمعصية، {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} أي عن الإيمان والطاعة، {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ولا ييسطونها بخير، {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} تركوا طاعة الله، فتركهم الله من توفيقه وهدايته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} وقد جاءت سورة التوبة التي تسمى الفاضحة ببيان ما عليه أهل النفاق، وحذرت المؤمنين من شرهم وما يخفونه من خبت وعداوة للمسلمين وأوجب الشرع بغض النفاق وأهله ومعاملتهم على الإسلام فيما يبدو ظاهرًا منهم، مع أخذ الحذر من عداوتهم قال الله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَقَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُولَفُوكُونَ) (١). وقد قسم العلماء النفاق إلى نوعين:

أولاً: النفاق الاعتقادي، ويخرج صاحبه من ملة الإسلام، قال الله تعالى: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنِّي اللَّهُ خُجِرٌ مَا تَحْذَرُونَ) (٢) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٣) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) (٤) وينقسم النفاق الاعتقادي إلى أنواع:

(١) تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به.

(٢) بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

(٣) محبة انخفاض الإسلام - دين الرسول ﷺ - وكرهية انتصاره.

ثانياً: النفاق العملي: وهو من كبائر الذنوب، ولكنه لا يخرج صاحبه عن ملة الإسلام. ومن أنواعه: الكذب والغدر والخيانة وإخلاف الوعد والخصام الفاجر. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (٣) ومنه أيضاً التخلف عن صلاة الفجر والعشاء في جماعة المسلمين لغير عذر شرعي. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا) (٤).

(١) سورة المنافقون: ٤.

(٢) سورة التوبة: ٦٤ - ٦٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب علامة المنافق، حديث رقم: ٣٤ (١/ ١٦). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان خصال المنافق، حديث رقم: ٢١٩ (١/ ٥٦).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه -كتاب المساجد والجماعات-باب صلاة العشاء والفجر في جماعة، حديث رقم: ٧٩٧ (١/ ٨٣٢)، وانظر: مسند الإمام أحمد-مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ١٠٠١٦ (١٦/ ٧١) صححه الألباني، وفي تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(د) محبة المعاصي :

العصيان: خلاف الطاعة وهو ترك الانقياد لأوامر الله تعالى، وجاءت المعصية في القرآن الكريم على عدة ألفاظ منها: الإثم والخطيئة والسيئة والحب والعتو والكبر والشرك والكفر والنفاق، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال العلماء من السلف والخلف على انقسام المعصية إلى كبيرة وصغيرة، وهذا ما يؤكد قول الإمام ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^(١): بقوله (ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستتر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٢) وقال هاهنا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾. وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال^(٣)، ويؤكد أنه أيضا قول القرطبي رحمه الله: (فكل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده، أو عظم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبيرة وما عداه صغيرة)^(٤) وأنكر طائفة من أهل العلم هذا التقسيم وقالوا إن المعاصي كلها كبائر لأن المعصية في حق كبرياء الله وعظمته كبيرة مستدلين بما رواه البخاري عن أنس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ الْمُؤَبَّاتِ^(٥) وقول هذه الطائفة مفضول لأنه يعارض أصل الأدلة السابقة وظاهرها بل يعارض القول بتقسيم المعصية لمن دقق النظر لأنه يذكر الصغائر والمحقرات ضمنا كما أورد ابن حجر رحمه الله في الفتح: (كنا نعدّها ونحن مع رسول الله ﷺ من الكبائر وكأنه ذكره بالمعنى وقال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كبارا مع الإصرار)^(٦)

(٣) محبة جائزة في الأصل وهي أنواع:

الأول: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة إشباع ورغبة وحاجة، كمحبة المال والزوجة والصحة والنوم وغيرها.

(١) سورة النجم: ٣٢.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٤٦٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص: ١٦٠ - ١٦١.

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق باب ما يتقى من محقرات الذنوب، حديث رقم: ٦٤٩٢ (٨ / ١٠٣).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ١١، ص: ٣٣٠.

الثاني: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة إشفاق ورحمة وعطف، كمحبة الوالد لولده، ومحبة المسكين والمريض وغيرهم.

الثالث: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة ألفة وعشرة وأنس، كمحبة الوطن والأصدقاء والحرف والقراءة وغيرها.

الرابع: محبة طبيعية فطرية أو مكتسبة، محبة إجلال وتقدير واحترام، كمحبة الولد لوالده، ومحبة الطالب لمعلمه ومحبة الرعية للراعي وغيرهم. وهذه المحاب جائزة في الأصل لقول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ^(١) وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^(٢)) ووجه الدلالة: أنهم ذموا في الآية؛ لأنهم أحبوها أكثر من محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله؛ لا لأنهم أحبوها. وهذه المحبة - الطبيعية - تجري فيها أحكام التكليف الخمسة^(٣) بموجب نية الحب وأمر محبته وطبيعة الخبوع ونوع محبته، وفق مقتضيات الشرع وأدلتها، والأصل فيها أنها مباحة. وقد تنتقل الإباحة للحرمة وضابطها في ذلك: أن تدفعك الخبة الجائزة إلى فعل محرم أو ترك واجب بمحبة وسائله أو تحقيق غاياته، كشراء الملاهي الخربة محبة لها أو محبة للأولاد عند طلبهم إياها، وشرب الخمر محبة لها أو محبة للزوجة مثلاً عند طلبها إياها. وهذا في فعل الخمر، ومثال الخبة في ترك الواجب: كأن تترك الزكاة أو تنقصها محبة للمال، أو تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة للمنصب. وإن دفعته الخبة إلى فعل المكروهات وترك المستحبات، فإنما تأخذ حكم ما دفعته إليه، فتكون مكروهة بحسب ما ترتب عليها من فعل المكروهات وترك المستحبات.

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) الواجب والمندوب والمباح والمخطور والمكروه.

الفصل الثاني

وصف المحبة في الكتاب والسنة

وتأثيرها في العلاقات

المبحث الأول: وصف محاب الله و مساخطه

المطلب الأول: محاب الله

المطلب الثاني: مساخط الله

المبحث الثاني: تأثير المحبة في العلاقات

المطلب الأول: الصلات الحميدة

المطلب الثاني: الصلات الذميمة

الفصل الثاني

وصف المحبة في الكتاب والسنة

وتأثيرها في العلاقات

المبحث الأول

وصف محاب الله ومساخطه في الكتاب والسنة

إن وصف محاب الله ومساخطه تعني وصف الدين كله جملة أو تفصيلاً، وخير الأديان وأكملها دين الإسلام، وهو الدين المرتضى من الله تعالى للعالمين وهو القائل في محكم التنزيل: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(١) وعلى هذا سنفصل بمشينة الله عز وجل في هذا المبحث المحاب والمساخط حيناً ونجمل أحياناً، وفق ما تقتضيه المادة العلمية وأصول تحليل الدراسة. ومن المعلوم في الدين بالضرورة أن محاب الله ومساخطه يقوم عليها مصير الإنسان في الدار الآخرة من الجنة والنار، والعلم بهذه المحاب والمساخط من الواجبات الشرعية والعقلية، التي يستلزم على كل إنسان أن يتعلمها، ويسعى لتحقيق معانيها ومقاصدها، بموجب أوامر ربنا ونواهيه في الكتاب والسنة، وحينها يدرك السعادة، فقد أمر الله المؤمنين بما يحفظ عليهم أمر دينهم، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)^(٢) وقال الله تعالى في حق العصاة المعاندين: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)^(٣). وقد فصلت السنة النبوية محاب الله ومساخطه في كل أصول الدين وفروعه، وأرشدت إلى ما يقرب إلى الله تعالى ويبعد عن سخطه في دقيق الأمور وجليها، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةٌ يُغْضِبُهُمُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمُ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَسْأَلَهُمْ لِقَابَةَ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْيَانِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ. وَقَوْمٌ سَارُوا لِبَيْتِهِمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدِلُ بِهِ فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ. وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُغْضِبُهُمُ اللَّهُ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظُّلُمُ»^(٤). وقال الله تعالى: (أَفَمِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة محمد: ٣٣.

(٣) سورة محمد: ٢٨.

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب فضل قيام الليل في السفر، حديث رقم: ٢٣٦٢ (٣/ ٦٧) ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على صحيح ابن حبان: حديث صحيح. وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٣٦﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ بِصِرِّهِمْ بَصِيرٌ ۖ يَمَّا يَعْمَلُونَ ^(١) من دلالة الآية الواضحة أن الاتباع أو الإعراض هما الطريقتان الموصلتان إلى إحدى النتيجتين: المحبة من الله أو السخط منه، ويمكن أن نعرفهما على الوجه الشرعي العام وفق ما يلي :

محاب الله: هي ما يرضاه الله تعالى ويحبه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة القائمة على الإخلاص والتوحيد ومتابعة سنة النبي ﷺ.

ومساخط الله: هي ما يبغضه الله تعالى ويسخطه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة القائمة على الشرك أو الكفر أو الفسوق أو العصيان والإعراض عن محابه.

أصل السخط من (سخط) أورد الجوهري في الصحاح: (السُّخْطُ والسَّخَطُ: خلاف الرضا. وقد سَخَطَ، أي غضب، فهو سَاخِطٌ. وَأَسْخَطَهُ، أي أغضبه. ويقال: تَسَخَّطَ عطاءه، أي استقله ولم يقع منه مَوْقِعاً) ^(٢) وفي لسان العرب ابن منظور: (السُّخْطُ والسَّخَطُ الكراهية للشيء وعدم الرضا به) ^(٣)

والمساخط هي المباغض المنافية للمحبة، وقال ابن فارس في معجمه ^(٤): (الباء والغين والضاد أصل واحد، وهو يدل على خلاف الحب. يقال أَبْغَضْتُهُ أَبْغَضْتُهُ).

يسير الإنسان في هذه الحياة على طريقين نحو المصير المحتوم - الجنة والنار - تحفه الملائكة بالخير والسكينة ليخرج بمحاب الله من الظلمات إلى النور، وتؤزّه الشياطين بالشر ليخرج بمساخط الله من النور إلى الظلمات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ يَعْنِي مَنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِيَدِهِ رَايَتَانِ رَايَةُ بَيْدِ مَلَكٍ، وَرَايَةُ بَيْدِ شَيْطَانٍ فَإِنْ خَرَجَ لَمْ يُحِبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اتَّبِعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ وَإِنْ خَرَجَ لَمْ يُسْخَطِ اللَّهُ اتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ» ^(٥).

ومن أجل محاور البحث اللغوية الكثيرة في هذا المبحث وغيره، ونظراً لأهمية التأصيل اللغوي في فهم المعاني لمحاب الله و مساخطه وإدراك المقاصد الشرعية من خلال البيان الموسع فقد اعتمدت في دراستي هذه على ثلاثة من المراجع اللغوية العربية، هي عليها الاعتماد في غالب الدراسات العلمية الحديثة واكتفيت بتوثيقها

(١) سورة آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٣، ص: ٣٦٧.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (سخط).

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، مادة (بغض)، ج ١، ص: ٢٧٣.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ٨٢٨٦ (١٤ / ٤١) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

هنا في أول هذا الفصل منعا للتكرار المخل وهي: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وقد جعلت أصل الكلمة بين قوسين () في محل ذكرها حال التعريف اللغوي؛ حتى يسهل الرجوع إليها في المصادر الموثقة هنا، وجعلت المعنى الصحيح في مقاصد الشرع منفصلا من خلال شروح السنة وأقوال العلماء والمفسرين، وأشارت إلى ما ترجح لي صوابه في كل فقرة أو جزء من هذا البحث، والذي يتضمن مطلبين: مطلباً في محاب الله، ومطلباً في مساخطه، الواردة بلفظ الحب الصريح في الكتاب والسنة.

المطلب الأول

محاب الله في الكتاب والسنة

إن ما يحبه الله ويرضاه تقوم عليه سعادة الإنسان، وهو مطلب نجاة من شرك الشيطان وشركه في مرحلة الابتلاء التي يمر بها الناس على هذه الأرض، وإن السبيل الأوضح لمعرفة ما يحبه الله ويرضاه في الإسلام، كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما مصدرنا شريعة الإسلام السمحة، الخاتمة لسائر الرسالات، وتوصف محاب الله فيهما بالتوحيد والحق والطيبات، ومحاسن الأخلاق وفضائل الأعمال والأقوال، وكل المأمورات محاب لله يقوم عليها صلاح الدنيا والدين، ومما يجب معرفته أن محاب الله لا تتلقى إلا من طريق الشرع ولا تحصل إلا بمتابعة الشارع، قال ابن القيم رحمه الله: (وللعبد في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب، والمحبة، والعبودية، والتوكل، والإنابة، والتسليم، والتفويض، والخوف والرجاء، وصدق اللجوء. وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته، الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله، ومراضاته، ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه^(١)). وعلى هذا الوصف الإجمالي فقد قمت بتصنيف محاب الله الواردة في الكتاب والسنة بلفظ الحب وفق الذكر الصريح لها، إلى قسمين:

القسم الأول

محاب الله الواردة بلفظ الحب الصريح في القرآن الكريم

- (١) الإحسان، والله يحب المحسنين. (٢) القسط، إن يحب المقسطين. (٣) التقوى، إن يحب المتقين.
- (٤) التوبة، إن يحب التوابين. (٥) الطهر، والله يحب المطهّرين. (٦) الصبر، والله يحب الصابرين.
- (٧) التوكل، وإن الله يحب المتوكلين (٨) القتال في سبيل الله، وإن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا.

القسم الثاني

محاب الله الواردة بلفظ الحب الصريح في السنة النبوية

أولاً: محاب الله العقدية الواردة في السنة بلفظ الحب

- (١) الحنيفية السمحة
- (٢) أصحاب النبي ﷺ
- (٣) المحبة في الله
- (٤) العبد التقي الغني الخفي
- (٥) أحب الأسماء إلى الله

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ط ٢،

ثانيا: محاب الله العبادية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) أحب الأعمال الصالحة إلى الله ووقتها
- ٢) الوتر
- ٣) أحب الكلام إلى الله
- ٤) سؤال الله
- ٥) قطرتان وأثران في سبيل الله .
- ٦) العطاس وحمد الله بعده
- ٧) الأخذ بالرخص وإتيان العزائم.

ثالثا: محاب الله الأخلاقية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) مكارم الأخلاق (حسن الخلق)
- ٢) الحياء والستر.
- ٣) العفو
- ٤) الجمال.
- ٥) المدح والعذروالغيرة والخيلاء

رابعا: محاب الله العملية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) الرفق
- ٢) رؤية أثر النعمة على العبد
- ٣) اتقان العمل.
- ٤) سماحة البيع والشراء والقضاء

القسم الأول

محاب الله الواردة بلفظ الحب في القرآن الكريم

(١) الإحسان

الإحسان في اللغة:

الإحسان في اللغة من (حسن) وهو الإتيان بما هو حسن، والحُسْنُ: نقيض القُبْح؛ والجمع مَحاسِنُ، والإحسان مصدر من: أحسن يحسن إحساناً. وقال الراغب الأصفهاني: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان^(١):

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً.

وفي معجم مقاييس اللغة^(٢) لابن فارس: الحاء والسين والنون أصل واحد. فالْحُسْنُ ضدُّ القُبْح. يقال رجلٌ حسنٌ وامرأةٌ حسناءٌ وحُسَانَةٌ.

الإحسان في الاصطلاح الشرعي:

الإحسان في الشرع عرفه العلماء بما ورد في السنة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »)^(٣). وهذا الحديث أصل من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد العلم، وهو من جوامع الكلم التي أوتيتها النبي ﷺ ومما يجب إثباته هنا أن الإحسان في حق الله تعالى يكون بحسن عبادته وذلك على مرتبتين الأولى (كأنك ترى الله) وهي العمل؛ لبلوغ الكمال والحسن في العبادة، والثانية (أن تعلم أن الله يراك) وهي تحسين العبادة باستحضار اليقين واستشعار رؤية الله للعبد. أما الإحسان في حق المخلوقين فيكون ببذل النفع الديني والدنيوي لهم على مبلغ الإخلاص واحتساب ذلك البذل من العبادة وتحقيق مرتبة الإحسان فيها.

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاي، مصر: شركة مكتبة الباي والخلي، ١٣٨١هـ، ص: ١١٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (حسن)، ج ٢، ص: ٥٧.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر و علامة الساعة، حديث رقم: ١٠٢ (١/ ٢٨).

وعَدَّ العلماء^(١) الإحسان المرتبة الثالثة وهي الأعلى من مراتب الدين: الإسلام والإيمان والإحسان. والتحسين والتقبيح عند أهل السنة والجماعة، مرتبط بالمصالح والمفاسد وفق مقتضيات العقل وأدلة الشرع، ويفسر الإحسان بالإخلاص، والإخلاص إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن، ومنه كمال المتابعة، وتفسيره بالإخلاص تفسير له بنتيجته وثمرته، وقد وصف شيخ الإسلام رحمه الله الإحسان بفعل المأمور، سواء كان الإحسان إلى الناس أو النفس، وجعل أعظمه الإيمان بالله وتوحيده، قال: "فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله تعالى والإقبال إليه والتوكل، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً، فهذا هو مقام الإحسان"^(٢) ويرتفع الإحسان عن العدل وقد أمر الله تعالى بهما معاً. والإحسان فوق العدل حيث أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له. والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه وهنا فضل، ويأخذ أقل مما له وهنا فضل، فالإحسان زائد على العدل فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع. والإحسان في حق الله تعالى وصف لازم له تقديس سبحانه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله محسن يحب المحسنين من عباده: واسم المحسن جل جلاله وتقدست أسماؤه، لم يرد في القرآن اسماً وإنما ورد فعلاً، وقد أثبتته المحققون عن طريق السنة من عدة أحاديث نبوية وأقوال السلف، ومن كتب التحقيق في أسماء الله الحسنى المعاصرة كتاب (معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى)^(٣). وهو محسن سبحانه ويحب المحسنين، وهنا أعرض الآيات الواردة في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح في محبة الله للمحسنين:

١ - محبة الله للمحسنين المنفقين في سبيله الناجين باتباع أمره:

قال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(٤)، ذكر أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية روايتين^(٥):

(١) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين، دار الشريعة للنشر، ط ٤، ١٤٢٤هـ، ص: ١١٨.

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ١٥، ص: ٢٨.

(٣) محمد بن خليفة بن علي التميمي، الرياض: أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ، ص: ١٦٥ - ١٦٦. قال ("الحسن دليله: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا حَكَمْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَإِذَا قُتِلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ". أخرجه ابن أبي عاصم في الدييات ص ٥٦، وابن عدي في الكامل ٢/ ٢١٤٥، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ١١٣، والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٥/ ١٩٧. وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وكذا قال المناوي في الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي ١/ ٩٠، والألباني في السلسلة ١/ ٧٦١. وحديث: شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين، قال: "إِنَّ اللَّهَ مُحْسِنٌ، يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قُتِلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقَتْلَ...". رواه عبد الرزاق - في المصنف ٤/ ٤٩٢، ومن طريقه الطبراني في الكبير ٧/ ٣٣٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع ١/ ١٢٩، والإرواء ٧/ ٢٩٣. وانظر: بحث المحسن في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٣٦ ص ٣٦٣ للدكتور عبد الرزاق العباد. من ذكره: ١- جَمْعُ الْقُرْطُبِيِّ ٢- ابْنُ الْقَيْمِ ٣- العثيمين)

(٤) سورة البقرة: ١٩٥.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ج ١، ص: ٢٠٣.

الأولى: أن النبي ﷺ لما أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! بماذا نتجهز؟ فو الله مالنا زاد ولا مال! فترلت. قاله ابن عباس.

الثانية: أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون، فأصابته سنة، فأمسكوا؛ فترلت، قاله أبو جبرة بن الضحاك^(١).

وفسرت الهلكة الحذر منها بعدة معان: أحدها: أنها ترك النفقة في سبيل الله، والثاني: أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، والثالث: أنها الانهماك في المعاصي والقنوط من رحمة الله، والرابع: أنها عذاب الله. وقال القرطبي: (وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجهور الناس: المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة، فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه. وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره، والله أعلم)^(٢)

وفسر الأمر بالإحسان في الآية على ثلاثة أقوال^(٣):

أحدها: أحسنوا الإنفاق، وهو قول أصحاب من رأى أن سبب نزول الآية في أن النبي ﷺ لما أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! بماذا نتجهز؟ فو الله مالنا زاد ولا مال! فترلت.

والثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة^(٤)، وهما فيمن رأى أن الهلكة المنهي عنها تعني: القنوط.

والثالث: أن معناه: أدوا الفرائض.

قال الإمام الطبري في تفسير الآية: (فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله: "ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة" ولم يكن الله عز وجلّ خصّ منها شيئاً دون شيء، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهي عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة - وهي العذاب - بترك ما لزمنا من فرائضه،

(١) أبو جبرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري الأشعري أخو ثابت بن الضحاك، ولد بعد الهجرة قال بعضهم له صحة، وقال بعضهم ليست له صحة، وهو كوفي روى عنه قيس بن أبي حازم والشعبي وابنه محمود ابن أبي جبرة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢ / ١٥). كتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكره ابن خياط في تاريخه، قال: وكتبه على ديوان الكوفة أبو جبرة بن الضحاك الأنصاري. وانظر: تاريخ ابن خياط (١ / ٣٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٢، ص: ٣٦٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٥٩٥.

(٤) عكرمة مولى ابن عباس الهاشمي القرشي، أصله بربري من أهل المغرب، مقرر مع طاوس وسعيد بن جبير، كنيته أبو عبد الله من علماء الناس في زمانه بالقرآن والفقه. انظر رجال صحيح مسلم لأبي بكر الأصبهاني (٢ / ١٠٩). عن جابر بن زيد، قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس، وقال أبو نعيم مات سنة سبع ومئة. انظر التاريخ الأوسط للبخاري (٣ / ١١٣). أحد أوعية العلم، تكلم فيه لرأيه لا لحفظه فاقم برأي الخوارج. وقد وثقه جماعة، واعتمده البخاري وأما مسلم فتجنبه، وروى له قليلا مقرونا بغيره، وأعرض عنه مالك و تحايده إلا في حديث أو حديثين. وقال قتادة: عكرمة أعلم الناس بالتفسير. انظر ميزان الاعتدال للذهبي (٣ / ٩٣).

فغيرُ جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا، مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله، ولا تتركوا النفقة فيها، فتهلكوا باستحقاقكم - بترككم ذلك - عذابي^(١).

٢) محبة الله للمحسنين المتقين المنفقين في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس:

قال الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ^(٢)، أورد القرطبي في تفسير هذه الآية أربع^(٣) مسائل:

المسألة الأولى: قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ) هذا من صفة المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وظاهر الآية أنها مدح بفعل المندوب إليه.

وقيل في السراء: اليسر والرخاء والصحة وفي الحياة وفي العرس والولائم، وقيل فيها النفقة التي تسركم مثل النفقة على الأولاد والقربات والضيافة والإهداء.

وقيل في الضراء: العسر والشدة والمرض والوصية لما بعد الموت، وفي النوائب والمآثم وقيل النفقة التي تضركم، مثل النفقة على الأعداء أو كل نفقة تضر.

المسألة الثانية: قال تعالى: (وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ) وكظم الغيظ رده في الجوف، يقال: كظم غيظه أي سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، وكظمت السقاء أي ملأته وسدّدت عليه، والكظامة ما يسد به مجرى الماء، ومنه الكظام للسير الذي يسد به فم الزق والقربة.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) العفو عن الناس أجل ضرور فعل الخير، حيث يجوز للإنسان أن يعفو وحيث ينتجه حقه. وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه. ووردت في كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس عند الغضب أحاديث، وذلك من أعظم العبادة وجهاد النفس، فقال ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٤). وقال

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٥٩٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٠٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب حديث رقم: ٦١١٤ (٢٨/٨) وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، حديث رقم: ٦٨٠٩ (٨/٣٠).

عليه السلام (ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم أجرا من جرعة غيظ في الله^(١)). وأثنى على الكاظمين الغيظ بقوله: "وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ"، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أي يشيهم^(٢) على إحسانهم. وأورد قول^(٣) أبي العباس الجماني في المبادرة بالإحسان:

ليس في كل ساعة وأوان *** تنهيا صنائع الإحسان

وإذا أمكنت فبادر إليها *** حذرا من تعذر الإمكان

٣) محبة الله للمحسنين في القتال مع الأنبياء وإخلاص الدعاء لله تعالى:

قال الله تعالى: (وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْخَاسِرِينَ^(٤).

القتال في سبيل الله هو ما كان لله مخلصا، ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وفق ضوابط الشريعة لهذه الشعيرة، التي هي ذروة سنام الإسلام، وبها تتحقق الشهادة في سبيل الله، بفضلها، وعلو منزلتها. ويناقضها من يقاتل من أجل الحمية لعصبة، أو نصرة لنفسه بظلم، أو يقاتل شجاعة وجرأة، فميته ميتة جاهلية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقُتِلَ فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب الحلم ، حديث رقم: ٤١٨٩ (٥/٢٨٢). قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره.

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفات الله الإقرار بها والإيمان، وإثباتها بالدليل من الكتاب والسنة، وإمرارها كما جاءت على الحقيقة، من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تأويل باطل، يقولون: من أسمائه السميع، له صفة السمع، سمعا يليق بجلاله وعظمته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهكذا في سائر الصفات المثبتة، ويقصدونه ويترهونه عن كل عيب ونقص، له بصفاته الكمال والجمال والجلال، وله الأسماء والحسن والصفات العلى، ومن يفسر المحبة بإرادة الثواب، والغضب بإرادة العقاب والقدرة عليه؛ فهذا تأويل باطل، جرى عليه الأشاعرة ممن يثبت لله الأسماء، ويمضي في تأويل الصفات ويردها إلى سبع صفات، كما يقولون أصحاب هذا المذهب الخاطي: (له الحياة والكلام والبصر، سمع وإرادة علم اقتدر). فالله سبحانه وتعالى، كما أخبر عن نفسه وأخبر عنه النبي ﷺ (يحب) وله صفة المحبة والحب على الحقيقة، محبة تليق بجلاله وعظمته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والله أعلم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٠٩.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨.

وَلَسْتُ مِنْهُ»^(١). ومن الإحسان المشروع في القتال، القتال مع الأنبياء والجهاد مع أتباعهم والسمع والطاعة في المعروف. وهذا هو الإحسان المحمود في الآية الكريمة، حيث يعد الجهاد من أعظم الأعمال الصالحة، حين يقدم المسلم أعلى ما يملك وهي نفسه لله تعالى نصرته لدينه. أورد الطبري في تفسيره عن ابن جريج^(٢) في قول الله تعالى: "فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا"، قال: النصر والغنيمة "وحسن ثواب الآخرة"، قال: رضوان الله ورحمته.

٤) محبة الله للمحسنين أهل العفو والصفح:

قال الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^٣ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^٤ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ^٥ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ^٦ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٣))

لقد أخذ الله العهد والميثاق على بني إسرائيل بالإيمان به وبرسله، ومناصرتهم واتباعهم بإقامة الشرائع، ولكن ما كان من أكثرهم إلا نقض العهد والميثاق، ووصفهم الله في القرآن (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ^(٤)) فحلت عليهم العقوبات من الله تعالى كما جاء في تفسير^(٥) الآية:

الأولى: أنا {لَعَنَّاهُمْ} أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا.

الثانية: قوله: {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر.

الثالثة: أنهم {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل فيما أنزل إليهم من كتب وأحكام.

الرابعة: أنهم {نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك لما أمروا به.

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الإمامة- باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، حديث رقم: ٤٨٩٢ (٦/٢٠).

(٢) ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة. مولى أمية بن خالد. وقيل: كان جده جريج [عبدا] لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي، فنسب ولاؤه إليه. وهو عبد رومي. حدث عن عطاء بن أبي رباح فأكثر وجود، وعن ابن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر، وأخذ عن مجاهد حرفين من القراءات، وكان من بحور العلم. عن يحيى بن سعيد قال: كان ابن جريج صدوقا. مات سنة خمس مائة. وعاش سبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٦).

(٣) سورة المائدة: ١٣.

(٤) سورة الحديد: ١٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٢٢٥.

الخامسة: الخيانة المستمرة المبينة في قوله تعالى { لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ } أي: خيانة الله وعباده المؤمنين.

وأورد الإمام الطبري في تفسير الآية عن الأمر بالعفو قول من قال بثبوت العفو كونه من الإحسان والله يحب المحسنين، وقول من قال بنسخ الآية حكماً بآية التوبة، فقال: (القول في تأويل قوله عز ذكره: { فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } وهذا أمر من الله عز ذكره نبيه محمداً ﷺ بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن ييسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله جل وعز له: اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود الذين هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروهم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه. وكان قتادة^(١) يقول: هذه منسوخة. ويقول: نسختها آية "براءة": (قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)^(٢))^(٣) ويبقى العفو من سمات المسلم العامة فيما يخصه من حقوق، وهو المندوب إليه في توجيهات الشريعة، ولولي أمر المسلمين، فيما كان تحت يده ومن حقه وأجازه له الشرع حق العفو أو العقوبة بما يرى فيه المصلحة للإسلام والمسلمين.

٥) محبة الله للمحسنين في المطعم المباح على إيمان وتقوى:

(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ)^(٤) وقد ورد في سبب نزولها رواية واحدة: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ^(٥)، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ^(٦)، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَخْرِجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ

(١) قتادة بن دعامه بن قتادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضريع الأكمه المفسر، قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس. قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا. قال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاط العلماء ووصفه بالحفظ والفقه، ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، وكان قتادة معروفاً بالتدليس، وكان يرى القدر، مات بواسط في الطاعون سنة ثمان عشرة ومائة، وقيل، وله سبع وخمسون سنة. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٣/١)

(٢) سورة التوبة: ٢٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ١٣٤.

(٤) سورة المائدة: ٩٣.

(٥) أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا والمشاهد، روى عنه ابنه عبد الله وربيبه أنس بن مالك وابن عباس وعدة، مات سنة أربع وثلاثين. انظر: إسعاف المبطل برجال الموطن للسيوطي (٣٢/١).

(٦) الفضيخ من فضخ، والفضيخ: شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار. انظر: الصحاح للجوهري (٤٢٩/١) والفضخ كسر كل شيء أجوف نحو الرأس والبطيخ، فَضَخَ يَفْضُخُهُ فَضْخًا وَافْضُخَهُ وَفَضَخَ رَأْسَهُ شَدْخَهُ، وَانْفَضَخَ سَنَامُ الْبَعْرِ انْشَدَخَ، وَأَفْضَخَ الْعَنْقُودُ حَانَ وَصَلَحَ أَنْ يَفْضُخَ وَيُعْتَصَرَ مَا فِيهِ، وَفَضَخَ الرُّطْبَةُ وَنَحْوَهَا مِنَ الرُّطْبِ يَفْضُخُهَا فَضْخًا شَدْخَهَا، وَالْفَضِيخُ عَصِيرُ الْعَنْبِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٥/٣)

بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ [لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا] (الآية) ^(١) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه": كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها؟ وبنا وقد كُتِبَ نشرها؟ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك، في الحال التي لم يكن الله تعالى حرّمه عليهم "إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات"، يقول: إذا ما اتقى الله الأحياء منهم فخافوه، وراقبوه في اجتنابهم ما حرّم عليهم منه، وصدّقوا الله ورسوله فيما أمّراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله "وعملوا الصالحات"، يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم "ثم اتقوا وآمنوا"، يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضاً، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدّلوا "ثم اتقوا وأحسنوا"، يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك "الإحسان"، هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافلُ تقربوا بها إلى ربهم طلباً لرضاه، وهرباً من عقابه "والله يحب المحسنين"، يقول: والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاهما ^(٢).

من أنواع الإحسان العامة التي أمر الشرع بها

١) الإحسان العام:

وهو الإحسان في كل شيء، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثَنَانٌ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» ^(٣). والإحسان هنا الأحكام والإكمال والتحسين في كل الأعمال المشروعة (على) بمعنى (في) كما في قوله تعالى: (وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ) ^(٤) ومنه القول: كان كذا على عهد فلان، أي في زمنه الذي عاش فيه.

٢) الإحسان العقدي بالتمسك بالعروة الوثقى وهي لا إله إلا الله:

قال الله تعالى: (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ) ^(٥) أي عمل بإخلاص لله تعالى، متبعاً لسنة النبي ﷺ، مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو الإسلام. قال مجاهد: {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} يعني: الإيمان. وقال السدي: هو الإسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك:

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب المظالم-باب صب الخمر في الطريق، حديث رقم: ٢٤٦٤ (٣/ ١٣٢)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ٥٧٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيد والذبائح - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم: ٥١٦٧ (٦/ ٧٢).

(٤) سورة البقرة: ١٠٢.

(٥) سورة لقمان: ٢٢.

يعني لا إله إلا الله. وعن أنس بن مالك: {بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}: القرآن. وعن سالم بن أبي الجعد^(١) قال: هو الحب في الله والبغض في الله. وكل هذه الأقوال^(٢) صحيحة ولا تنافي بينها.

٣) الإحسان إلى الوالدين:

قال الله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)^(٣) إن الإحسان إلى الوالدين في حال الحياة برهما وحفظهما، وصيانتهما وامتنال أمرهما وإزالة الرق عنهما، وترك السلطنة عليهما، والنفقة عليهما معروفًا، وحين الطلب والحاجة واجبا، أما الإحسان إليهما بعد الموت فيتضح من جواب النبي ﷺ عندما سئل عن ذلك، عن أبي أسيد^(٤) مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه، قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ أَبْرَهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَادُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»^(٥).

٤) الإحسان في القول وتميز الدعاة إلى الله برفيع المقام في ذلك، قال الله تعالى:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٦) قال الإمام الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاه إلى أمره ونهيهِ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك)^(٧)

(١) سالم بن أبي الجعد، أحد ثقات التابعين، ذكره بعضهم في المخضرمين معتمداً على ما حكاه بن زبر أنه مات سنة تسع وتسعين، وله مائة وخمس عشرة سنة، فيكون أدرك من الحياة النبوية ستاً وعشرين سنة، وهذا باطل، فقد جزم أبو حاتم الرازي بأنه لم يسدرك ثوبان ولا أبا الدرداء ولا عمرو بن عبسة، فضلاً عن عثمان، فضلاً عن عمر، فضلاً عن أبي بكر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٢٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦٨٤.

(٣) سورة الأحقاف: ١٥.

(٤) أبو أسيد الساعدي، اسمه مالك بن ربيعة وقيل هلال بن ربيعة، والأكثر يقولون مالك بن ربيعة بن البدن، شهد بدرًا يعد في الحجازيين وروى عقيل عن ابن شهاب قال: قال أبو حازم عن سهل ابن سعد: قال لي أبو أسيد الساعدي بعد ما ذهب بصره: يا بن أخي لو كنت أنت وأنا بيدك ثم أطلق الله لي بصري لأريتك الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة غير شك ولا تمار. وكان رضي الله عنه قصيراً كثير شعر الرأس لا يغير شعر لحيته وقيل بل كان يصفرها. واختلف في وقت وفاته اختلافاً متبايناً ف قيل توفي سنة ثلاثين وهذا عندي وهم والله أعلم، وقيل بل توفي سنة ستين قاله المدايني. وقيل توفي سنة خمس وستين، وهو آخر من مات من البدرين، وقيل مات وهو ابن ثمان وسبعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٦٥٧).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في بر الوالدين، حديث رقم: ٥١٤٤ (٤/٥٠٠)، انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الأدب - باب صل من كان أبوك يصل، حديث رقم: ٣٦٦٤ (٥/٤١٧)، وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكين - حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، حديث رقم: ١٦٠٥٩ (٢٥/٤٥٧). ضعف إسناده الألباني في سنن أبي داود وسنن ابن ماجه. وتعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف لجهالة حال علي بن عبيد، فقد انفرد بالرواية عنه ابنه أسيد بن علي ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان. قلت: ومعنى الحديث متوافق مع مقاصد الشريعة وأحكام الدين الواردة في الكتاب وصحيح السنة.

(٦) سورة فصلت: ٣٣.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢١، ص: ٤٦٨.

٥) الإحسان في عموم الأعمال المشروعة، قال الله تعالى:

﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِحَسَنِيَّ وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١)، أورد الإمام ابن كثير يرحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح؛ أبدله الحسن في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَزِيَادَةً﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضا ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحدود والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضل ورحمة وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وغيرهم من السلف والخلف^(٣).

٦) الإحسان في العلاقات الزوجية، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) أَلْطَلَّقَ مَرَّتَانِ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ^(٥). قال القرطبي في تفسيره: (وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم: "المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق، أي من طلق اثنتين فليتنق الله في الثالثة، فإذا تركها غير مظلومة شيئا من حقها، وإما أمسكها محسنا عشرتها، والآية تتضمن هذين المعنيين")^(٥).

٧) الإحسان في العلاقات العامة والمكافأة بالمثل وزيادة:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٦) قال البغوي: (أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة. وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟)^(٧) بل إن أوامر الشريعة ونظم الإسلام جميعها، تدل وتحث على المعروف والإحسان للمحسن

(١) سورة يونس: ٢٦.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤هـ، ج ٤، ص: ٢٦٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ١٢٦.

(٦) سورة الرحمن: ٦٠.

(٧) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ٧، ص: ٤٥٥.

وللمسيء، وهي وسيلة في توثيق العلاقات وصفاء النيات، وبين الله تعالى أن من صفات المؤمنين أنهم يدرؤون السيئة بالحسنة، ووعدهم العاقبة الحسنة جنات تجري من تحتها الأنهار. وقال الله تعالى: (وَإِذَا حُيِّمُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا)^(١) وهذا الأمر بالمكافأة أو الزيادة في الخير من عظيم شمائل الإسلام، وهنا ورد الأمر في السلام تحية أهل الإسلام، وهي في الحكم الشرعي سنة وردها واجب على قول جمهور العلماء، وهي مفتاح العلاقات بين الناس، ومبتدأ اللقاء بالطمأنينة والأمن والسلام، والأمر فيها بالمكافأة والإحسان فيه تأكيد أن غيرها من الخير يكون مثلها، أو أحق بالإحسان في الرد.

(٢) القسط

القسط في اللغة:

القسط في اللغة من (قسط)، أورد ابن قتيبة في أدب الكاتب معنيين في لفظ " قَسَطَ " ^(٢)

(١) في الجور قَسَطَ فهو قَاسِطٌ.

(٢) في العدل أَقْسَطَ " فهو مُقْسِطٌ.

وفي أساس البلاغة عند الزمخشري: (وتقول: فلان يقيس الأمر بمقياسه، ويزنه بقسطاسه. وبرجله قسط: اعوجاج، وساق قسطاء. وأقسطت الريح العيدان: أيسستها)^(٣).

وأورد ابن دريد^(٤) في الاشتقاق: (واشتقاق قاسط من قولهم: قَسَطَ علينا، أي جار علينا وفي التزليل: " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ". أي الجائرون، والله عز وجل أعلم. والمُقْسِط: العادل. والقُسْط: النَّصيب من الشيء، والجمع أقساط)^(٥) و أورد الجوهري في الصحاح (القُسْط بالكسر: العدلُ. تقول منه: أَقْسَطَ الرجلُ فهو مُقْسِطٌ. ومنه قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ". والقُسْطُ أيضاً: مكيال، وهو نصف صاع. والقُسْطُ: الحِصَّة والنصيب)^(٦). في تهذيب اللغة للأزهري: (القُسْطُ:

(١) سورة النساء: ٨٦.

(٢) أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مصر: المكتبة التجارية ط ٤، ١٩٦٣ م، ص: ٣٩٨.

(٣) أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مصر: مركز تحقيق التراث، ط ٢، ١٩٧٣ م، ج ٢، ص: ٢٥١.

(٤) العلامة، شيخ الأدب، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي، البصري، صاحبُ التَّصَانِيفِ، تَنَقَّلَ فِي فَارَسَ وَجَزَائِرِ الْبَحْرِ يَطْلُبُ الْأَدَابَ وَلِسَانَ الْعَرَبِ، فَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ، ثُمَّ سَكَنَ بَغْدَادَ. كَانَ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ فِي قُوَّةِ الْحِفْظِ. قَالَ ابْنُ شَاهِينَ: كُنَّا نَدْخُلُ عَلَيْهِ فَنَسْتَحِيهِ مِمَّا نَرَى مِنَ الْعِيدَانِ وَالشَّرَابِ، وَقَدْ شَاخَ. وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيُّ: دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ سَكَرَانَ فَلَمْ أَغْدُ إِلَيْهِ. وَقَالَ الدَّارِقُطِيُّ: تَكَلَّمُوا فِيهِ: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَسَدِيُّ: كَانَ يُقَالُ: ابْنُ دُرَيْدٍ أَعْلَمُ الشُّعْرَاءِ، وَأَشْعَرُ الْعُلَمَاءِ. تُوفِّيَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩ / ٩٢).

(٥) الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣، ص: ٣٣٤.

(٦) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٣، ص: ٤٢.

عودٌ يجاء به من الهند يجعل في البخور والدواء^(١). وفي لسان العرب لابن منظور: (يقال أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ إذا عدَلَ، وقَسَطَ يُقْسِطُ فهو قَاسِطٌ إذا جَارَ، فكأنَّ الهمزة في أَقْسَطَ للسَّلْبِ كما يقال شَكَا إليه فَأَشْكَاهُ)^(٢) وأورد ابن فارس في معجمه معنى القِسْطَاس والقُسْط، قال: (والقِسْطَاس: الميزان. قال الله سبحانه:) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ^(٣)) ومما ليس من هذا القُسْط: شيءٌ يُتَبَخَّرُ به، عربيٌّ^(٤).

القسط في الاصطلاح الشرعي:

وهو إقامة العدل ورفع الجور ودفعه، في حق النفس ومع الآخرين بموجب ما أمر الله به، قال الله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ)^(٥). وهذا التعريف جاء من منطلق المعنى اللغوي ، ومستنبط من الدلالة الواضحة من الآيات، والمتوافق عليه، دون أدنى علة في المفهوم . ومعنى العدل: الميل، وسمي بذلك لما غلب أن الإنسان فطرة وعقلا وشرعا لا يميل إلا إلى الحق، فرغبه الناس واتفقوا على ما مالوا إليه وهو الحق، وأسموه العدل، لما عدلوا إليه. والمُقْسِطُ^(٦) هو العادلُ، والمقسط ورد في أسماء الله تعالى الحسنى، من حديث أبي هريرة عند الترمذي في سننه، وضعفه^(٧) العلماء سندا وفي بعض الأسماء الله الحسنى متنا.

القُسْط: العدل إلى الحق باتباعه والحكم به ونتيجته الوفاء في الجزاء والإنصاف.

والمُقْسِطون: وهم العادلون مع أنفسهم وبين الناس وهو خلاف القُسْط. حيث القُسْط: العدل عن الحق بتركه والحكم بغيره ونتيجته الجور والظلم. القاسطون: وهم الجائرون على أنفسهم وحقوق غيرهم.

والله عدل، ولا يظلم ربك أحدا، فقد أمر بالعدل و رفع الجور، ويجزي بالقسط يوم القيامة، يقول الحق سبحانه وتعالى : (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ)^(٨) أي: جزاء منه بالعدل، لأنهم عدلوا في العقيدة والعبادة، والأقوال والأفعال واتبعوا منهج الله

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب بيروت: دار إحياء التراث العربى ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، ج ٨ ، ص: ٢٩٨ .

(٢) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط١ ، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (قسط)، ج ٧ ، ص: ٣٧٧ .

(٣) سورة الإسراء: ٣٥. وسورة الشعراء: ١٨٢ .

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ — ، مادة (قسط)، ج ٥ . ص: ٨٥ .

(٥) سورة الأعراف: ٧٩ .

(٦) المقسط لم يرد في القرآن أو السنة الصحيحة اسما لله تعالى، ولكن الذي أدرجه — على حد قول من قال أن الأسماء الواردة في الحديث مدرجة من قول الرواة — استند إلى أمره تعالى بالقسط ومحبته للمقسطين وجزاؤه بالقسط وأنه عدل، ولا يظلم ربك أحدا .

(٧) سيرد الحديث كاملا وحكم العلماء عليه، في هذا الباب — الفصل الثالث — المبحث الأول — المطلب الأول: تحقيق التوحيد .

(٨) سورة يونس: ٤ .

وطريق الأنبياء والمرسلين، فالعدل هنا يسير على مقتضى التشريع، وهم قد أخذوا المنهج بدون ظلم فكانوا من المقسطين. وعند الإمام مسلم في صحيحه: (عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ »^(١). قال النووي يرحمه الله: ((يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ)) فَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاض^(٢): قَالَ الْهَرَوِيُّ: قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ^(٣) الْقِسْطُ الْمِيزَانُ، وَسُمِّيَ قِسْطًا؛ لِأَنَّ الْقِسْطَ: الْعَدْلُ، وَبِالْمِيزَانِ يَقَعُ الْعَدْلُ، قَالَ: وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْفِضُ الْمِيزَانَ وَيَرْفَعُهُ بِمَا يُوزَنُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ الْمُتَرَفِّعَةِ^(٤) وعند مسلم أيضا (وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ^(٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا »^(٦). وعلى رأس الولاية الإمام العادل، وله مقام عظيم يوم القيامة، حيث هو من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذلك ثابت في السنة الصحيحة، وإن الأمر بالعدل هنا وفي غيره من نصوص الشرع هو نهي عن الظلم والجور فلا يأمر الشارع بشيء إلا وينهى عن ضده وكذلك لا ينهى عن شيء إلا ويأمر بضده. قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)^(٧) وقد حكم أهل الحديث بضعف

(١) انظر صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب في قول عليه السلام (إن الله لا ينام) حديث رقم: ٤٦٣ (١/ ١١١).

(٢) سبقت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٣) أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة دينا فاضلا، من تصانيفه: "غريب القرآن"، "غريب الحديث"، "كتاب المعارف"، "كتاب مشكل القرآن"، "كتاب مشكل الحديث"، "كتاب أدب الكاتب"، "كتاب عيون الأخبار"، "كتاب طبقات الشعراء"، "كتاب أدب القاضي"، "كتاب الرد على من يقول بخلق القرآن"، "كتاب إعراب القرآن"، "كتاب القراءات"، "كتاب الأنواء"، "كتاب التسوية بين العرب والعجم"، "كتاب الأشربة". وقد ولي قضاء الدينور، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس. وقال أبو بكر البيهقي: كان يرى رأي الكرامية. ونقل صاحب "مرآة الزمان"، بلا إسناد عن الدارقطني، أنه قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه. عن حماد الحارثي أنه سمع السلفي ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قتيبة. ويقول: ابن قتيبة من الثقات، وأهل السنة. مات أبو محمد بن قتيبة في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومنتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٢٩٦).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٣، ص: ١٣.

(٥) زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة النسائي، سكن بغداد، قال أبو بكر: إنما هو ابن حرب بن أشتال فعرب فقيلا شدادا، أخرج البخاري في الحج والبيوع وغير موضع عنه، مات ببغداد في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين ومائتين قاله البخاري. قال أبو حاتم الرازي: هو صدوق. انظر التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٣ / ٥٩٤).

(٦) انظر: صحيح مسلم -كتاب الإمارة-باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: ٤٨٢٥ (٦ / ٧).

(٧) سورة النساء: ٥٨.

حديث أن الإمام العادل أحب الناس إلى الله يوم القيامة، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا، إِمَامٌ عَادِلٌ. وَأَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ»^(١). وهذا الحديث مع ضعفه فهو يشمل من المعنى ما يوافق الصحيح فإن الله عز وجل حرم الظلم على نفسه وعلى عباده، وبين أنه يحب المقسطين وأعد لهم مقام رفعة يوم القيامة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا.^(٢) وعن يزيد بن عُميرة وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَخْبَرَ عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ اللَّهُ حَكَمَ قِسْطُ هَٰلِكَ الْمُرْتَابُونَ^(٣).

وما ورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح من محبة الله للمقسطين:

(١) محبة الله للمقسطين في الحكم بين أهل الكتاب:

قال الله تعالى: (سَمِعُوتَ لِكَذِبٍ أَكْثَلُونَ لِلْحَيَّةِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^(٤) وذكر في سبب نزول هذه الآية ثلاث^(٥) روايات، أوردها كما أوردها أهل التفسير:

الأولى: قيل: أنها نزلت في أقوام من اليهود، قتلوا قتيلًا وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن أفتانا بالدية فخذوا ما قال، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه.

الثانية: قال الإمام ابن كثير: والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، من الأمر برجم من أحسن منهم، فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم والإركاب على حمار مقلوبين. فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي ﷺ، قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم^(٦) فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الإمام العادل، حديث رقم: ١٣٧٩ (٣/٦١٧)، وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: ١١٥٢٥ (١٨/٨٥). ضعف إسناده الألباني في سنن الترمذي. وتعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٤٨ (١١/٢٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب لزوم السنة، حديث رقم: ٤٦١٣ (٤/٣٣١). قال الألباني: صحيح الإسناد موقوف. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) سورة المائدة: ٤٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ٣٢٥.

(٦) أي تسويد الوجه بصبغه بالسواد.

نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك. وقد وردت الأحاديث بذلك، فقال مالك، عن نافع^(١)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامراًة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟" فقالوا: نفضحهم ويُجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتهم، إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم! فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة. وأخرجاه وهذا لفظ البخاري^(٢) (٣).

الثالثة: عن ابن عباس رضي الله عنهما: « في قوله عز وجل: {فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين} قال: كان بنو النضير إذا قتلوا قتيلاً من بني قريظة أدوا إليهم نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير قتيلاً أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم الدية »^(٤).

٢) محبة الله للمقسطين في الصلح بين المؤمنين المتقاتلين:

قال الله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتْلَةُ الَّتِي تَبَنَّىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٥).

وذكر في سبب نزول هذه الآية ثلاث^(٦) روايات:

(١) أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهم؛ كان ديلمياً، وأصابه مولاة عبد الله بن عمر في غزاته، وهو من كبار الصالحين التابعين، سمع مولاة وأبا سعيد الخدري، وروى عنه الزهري وأيوب السخيتي ومالك بن أنس، رضي الله عنهم. وهو من المشهورين بالحديث، ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به، ومعظم حديث ابن عمر عليه دار. وقال مالك: كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمع من أحد، وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة. وأخبار نافع كثيرة؛ وتوفي سنة سبع عشرة، وقيل سنة عشرين ومائة. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ٣٦٧).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب قول الله تعالى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون، حديث رقم: ٦٨٤١ (٨ / ١٧٢)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحدود - باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، حديث رقم: ٤٥٣٣ (٥ / ١٢١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ١١٣ - ١١٤.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٤٣٤ (٥ / ٤٠١). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن.

(٥) سورة الحجرات: ٩.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٢، ص: ٢٩٣ - ٢٩٤.

الأولى: عن معتمر^(١) قال: سمعت أبي يقول: إن أنسًا قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاقما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما"^(٢). وأنها لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ، فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض.

الثانية: قال قتادة^(٣): نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لاأخذن حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف.

الثالثة: عن السدي^(٤): كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى غلية وحبسها، فبلغ ذلك قومها فجأروا، وجاء قومهم فاقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله عز وجل: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما"

وعلق ابن حجر على أسباب النزول واستشكاه على بعض العلماء بقوله: ((وقد استشكل ابن بطال نزول الآية المذكورة، وهي قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا في هذه القصة، لأن المخاصمة وقعت بين من كان مع النبي ﷺ من أصحابه، وبين أصحاب عبد الله بن أبي، وكانوا إذ ذاك كفارا. فكيف يتزل فيهم طائفتان من المؤمنين، ولا سيما إن كانت قصة أنس وأسامة متحدة؛ فإن في رواية أسامة فاستب المسلمون والمشركون، قلت: يمكن أن يحمل على التغليب مع أن فيها إشكالا من جهة أخرى، وهي أن حديث أسامة صريح في أن ذلك كان قبل وقعة بدر وقبل أن يسلم عبد الله بن أبي وأصحابه، والآية المذكورة في الحجرات ونزولها متأخر جدا، وقت مجيء الوفود، لكنه يحتمل أن تكون آية الإصلاح نزلت قديما، فيندفع

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان أبو محمد المري مولاهم، ويعرف بالتمي لأنه كان نازلا فيهم، البصري أخرجه البخاري له في العلم وغير موضع، قال البخاري: حدثني محمد بن محبوب مات سنة سبع وثمانين ومائة، قال أبو حاتم: هو ثقة صدوق، وعن يحيى بن سعيد يقول: إذا حدثكم المعتمر بن سليمان بشيء فاعرضوه فإنه سيء الحفظ. انظر: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٢ / ٧٦٣). قال الغلابي عن ابن حنبل ولد سنة ست ومائة، وذكر أبو داود أن معتمرا مات في صفر سنة ١٨٧. انظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والساد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (٢ / ٧٤٠).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلح - باب ماجاء في الإصلاح بين الناس، حديث رقم: ٢٦٩١ (٣ / ١٨٣). وانظر صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، حديث رقم: ٤٧٦٢ (٥ / ١٨٣).

(٣) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخزومة، أصله حجازي يعد في الكوفيين روى عن أنس بن مالك. انظر: الجرح والتعديل لابن المنذر التميمي الرازي (٢ / ١٨٤). كوفي ثقة، روى عنه سفيان وشعبة وزائدة عالم بتفسير القرآن راوية له. انظر: معرفة الثقات للعجلي (١ / ٢٢٧).

الإشكال^(١) وهذا السبب الذي منه تأكد وجوب حفظ العلاقات المستقيمة بين المسلمين والحث على السلم وإقامة العدل، وكف المعتدي، وأيضا، كانت آياته دليلا في إثبات حقيقة الإيمان وأنه اعتقاد وقول وعمل ورد على من قال أن الكبيرة تخرج من الإيمان وتخلد صاحبها في النار^(٢)، أورد الإمام ابن كثير: (يقول تعالى أمرا بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا} فسماهم مؤمنين مع الاقتتال. وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"^(٣). فكان كما قال، صلوات الله وسلامه عليه، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة^(٤). والعدل لا يكون إلا بحكم الله المتزل على رسوله ﷺ، أورد الإمام الطبري في تفسيره: (وقوله (وَأَقْسِطُوا) يقول تعالى ذكره: واعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول: إن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط)^(٥) ومما يحصل من الخلاف بين المسلمين ما يؤدي إلى الكبائر ومنها الاقتتال، وجعل الله وجوب الحكم بينهم بالقسط، وإن أحكام القتال بين المؤمنين في مجملها هي مجمع اتفاق بين علماء أهل السنة والجماعة، وذلك للدلالة الواضحة لها من هذه الآية وغيرها، قال القرطبي في ثمانية المسائل^(٦) الاستفادة من الآية الكريمة: (قال العلماء: لا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما، إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا أو لا. فإن كان الأول فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويشمر المكافة والمودعة. فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهم. وأما إن كان الثاني وهو أن تكون إحداها باغية على الأخرى، فالواجب أن

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ٢٩٩.

(٢) الخوارج والجهمية ومن تبعهم .

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصلح- باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين حديث رقم: ٢٧٠٤ (٣/ ١٨٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٧، ص: ٣٧٤.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢٢، ص: ٢٩٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ، ج ١٦، ص: ٣١٧- ٣١٨.

تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل. فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاها عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مرأش الحق. فإن ركبنا متن اللجاج ولم تعملنا على شاكلة ما هديتنا إليه ونصحتنا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. والله أعلم.

الثالثة- في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيتها على الإمام أو على أحد من المسلمين. وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين، واحتج بقوله عليه السلام: (قتال المؤمن كفر) ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد أمر بالكفر، تعالى الله عن ذلك! وقد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة، وأمر ألا يتبع مؤلّ، ولا يجيز على جريح، ولم تحل أموالهم، بخلاف الواجب في الكفار. وقال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمين أيديهم عنهم، وذلك مخالف لقوله^(١) عليه السلام: خذوا على أيدي سفهائكم.

الرابعة- قال القاضي أبو بكر بن العربي^(٢): هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة، وإياها عني النبي ﷺ بقوله^(٣): تقتل عمارا الفئة الباغية. وقوله عليه السلام^(٤) في شأن الخوارج: يخرجون على خير فرقة أو على حين فرقة، والرواية الأولى أصح، لقوله عليه السلام: تقتلهم أولى الطائفتين إلى الحق. وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب ومن كان معه).

(١) الظاهر أنه من قول النعمان بن بشير هكذا في شرح السنة للبيهقي: قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ قَوْمًا رَكِبُوا الْبَحْرَ فِي سَفِينَةٍ، فَأَقْسَمُوا، فَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مَكَانًا... الحديث) انظر: شرح السنة للبيهقي (٣٤٣/١٤). وعند البيهقي في شعب الإيمان (كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) عَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ". انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٦٥/١٠).

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة، ورحل مع أبيه إلى المشرق، ودخل الشام فتفقه بأبي بكر الطرطوشي، ولقي بها جماعة من العلماء والحدثين، ودخل بغداد فسمع بها من طراد الزيني، ونصر بن البطر وجماعة، وأخذ الأصولين عن أبي بكر الشاشي والغزالي، والأدب عن أبي زكريا التبريزي، ورجع إلى مصر والإسكندرية فسمع بهما من جماعة، وعاد إلى بلده بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، مقدا في المعارف كلها، أحد من بلغ رتبة الاجتهاد، وأحد من انفرد بالأندلس بعلوم الإسناد، ثاقب الذهن، ملازما لنشر العلم، صارما في أحكامه، هيوبا على الظلمة، صنف التفسير وأحكام القرآن، وشرح الموطأ وشرح الترمذي وغير ذلك وولي القضاء ببلده، مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسائة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٩٤ / ١).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب التعاون في بناء المسجد، حديث رقم: ٤٤٧ (٩٧ / ١).

(٤) انظر صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم: ٦١٦٣ (٣٨/٨)، وانظر صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم: ٢٥٠٥ (١١٢/٣).

٣) محبة الله للمقسطين في أهل السلم من العدو المقاتل:

قال الله تعالى: (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ^(١).

ذكر في سبب نزول هذه الآية روايتان ^(٢):

الأولى: قال ابن عباس: نزلت في خزاعة ^(٣)، كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً، فرخص الله في برهم.

الثانية: قال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بمدايا، ضياباً ^(٤) وأقطاً ^(٥) وسمناً، وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية ولا تدخلني عليّ بيتي حتى أستاذن رسول الله ﷺ فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها مزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها.

وأورد البغوي في تفسيره: (قال مقاتل ^(٦)): فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار؛ عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة. ويعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً) أي: من كفار مكة {موددة} ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخواناً، وخالطوهم وناكحوهم {وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال: (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٨، ص: ٩٥ - ٩٦.

(٣) خزاعة من ولد قمعة بن إلياس بن مضر بلا شك، وليس لأحد مع مثل هذا كلام. وأسلم إخوة خزاعة بلا شك عند أحد من النسابين. قال علي: فولد قمعة بن إلياس: عامر بن قمعة. فولد عامر بن قمعة أقصى، وربيعة، وهو لحي، ابنا عامر بن قمعة، فولد لحي: عامر بن لحي. فولد عامر ابن لحي: عمرو بن عامر بن لحي، وهو عمرو بن لحي نسب إلى جده؛ وهو أول من غير دين إسماعيل - عليه السلام - ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. وبهذا أثبت أهل النسب نسب خزاعة وبطونها من بني قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعليه فإن خزاعة من مضر ومضر عدنانية من ذرية إسماعيل عليه السلام. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (٢٣٥/١).

(٤) الضَّبُّ ذُوَيْبَةٌ من الحشرات معروف، وهو يشبه الوزَّالَ والجمع أَضْبٌ مثل كَفٍّ وَأَكْفٌ وضيَابٌ وضيَابٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٣٨/١) وضياب البلد وأضب أيضاً، أي كثرت ضيابه. وأرض ضيبة: كثيرة الضباب. انظر: الصحاح للجوهري (١٦٧/١).

(٥) الْأَقِطُ وَالْإِطُ وَالْأَقِطُ وَالْأَقِطُ شيء يتخذ من اللبن المَخِيض يطبخ ثم يترك حتى يَمُصَّلَ والقِطْعَةُ منه أَقِطَةٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٥٧/٧).

(٦) أبو الحسن، مقاتل بن سليمان البلخي. من كبار المفسرين، يروي عن: مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وعطاء، وابن سيرين، وعمرو بن شعيب، وشرحبيل بن سعد، والمقبري، والزهري، وعدة. وعنه: سعد بن الصلت، وبقية، وعبد الرزاق، وحرمي بن عمار، وشبابة، والوليد بن مزيد، وخلق آخرون علي بن الجعد. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة! قال وكيع: كان كذاباً. وعن أبي حنيفة قال: أنا من المشرق رأيان خيشان: جهنم معطل، ومقاتل مشبه. قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة. قال الذهبي: أجمعوا على تركه. مات سنة نيف وخمسين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠١/٧).

أَنْ تَبْرُوهُمْ) أي: لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم {وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ} تعدلوا فيهم بالإحسان والبر {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (١).

إن الأمر بالعدل والعمل به واجب شرعي في كل أمر، ومع أن العدل ثقیل على النفوس المريضة، وبخاصة مع المخالفين، لكنه على النفوس الزكية خفيف المحمل بل سبيل رضا وطلبة للمتقين، فيجب على المسلمين تحقيق الإنصاف وأن يجعل كل مسلم نصب عينيه قول الله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (٢) والعدل في قول الحق والحكم به، والقوة في اتباع الحق والصدق فيه، و كما قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: (لِيَكُنْ مَرْجِعُكَ إِلَى الْحَقِّ وَمَنْزَعُكَ إِلَى الصِّدْقِ، فَالْحَقُّ أَقْوَى مُعِينٌ، وَالصِّدْقُ أَفْضَلُ قَرِينٌ) (٣)، ومن الحق في هذا الدين العظيم أنه عدل في أهله، ومع أهل الأديان والملل الأخرى، قال الإمام الطبري: (عن قتادة، في قوله: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... الآية) (٤)، قال: نسختها (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (٥). وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله: (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخص به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهى عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه (٦) عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها (٧) وحقيقة الإسلام في جميع تشريعاته قام على العدل، وهو واجب المسلمين بعضهم مع بعض، ومع أعداء الدين الحق في الحرب والسلام، وأعظم ثماره انتشار الإسلام وأن الله يحب المقسطين .

(١) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٨، ص: ٩٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٣) أدب الدنيا والدين، على بن محمد بن حبيب الماوردي، القاهرة: دار الفكر للنشر، ص: ٢٥٥.

(٤) سورة الممتحنة: ٨.

(٥) سورة التوبة: ٥.

(٦) من كلام المؤلف يرحمه الله، وقد أوردتُ القصة حسب روايتها عند ذكر سبب نزول الآية.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢٣، ص: ٣٢٣.

(٣) التقوى

التقوى في اللغة:

التقوى في اللغة من (وقي) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدلُّ على دَفْعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره. ووقَّيته أقيه وقياً. والوقاية: ما يقي الشيء. وأتق الله: توقَّه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية. قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"، وكأَنه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها).

أورد الجوهري في الصحاح: ووقاه الله وقايةً، أي حفظه.

وفي لسان العرب لابن منظور: (ووقاه الله وقايةً بالكسر أي حفظه والتوقيه الكلاءة والحفظ).

التقوى في الاصطلاح الشرعي:

إن للتقوى معنى شاملاً في حياة العبد ومعنى محصوراً في أمر أو فمي معين ضمن نطاق المعتقدات والأفعال والأقوال الشرعية، وهو جزء من المعنى الشامل. ومن تقرير السلف الصالح لمعنى التقوى الشرعي الشامل: هو أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من غضب الله وسخطه وقاية، تقيه من ذلك بفعل طاعاته واجتناب معاصيه. وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) ^(١) قال: (أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر) ^(٢).

وتظهر أهمية التقوى من كونها وصية الله للأولين والآخرين من عباده، قال عز وجل: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) ^(٣) وهي أيضاً: وصية الرسول ﷺ لأئمة، عن أبي أمامة صُدي بن عجلان الباهلي ؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع، فقال: {اتقوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم} ^(٤). وكان من سنته ﷺ إذا بعث بعثاً أو صاهم بتقوى الله، (وقال ابن عباس: المتقون الذين يحدرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به، وقال الحسن: المتقون اتَّقُوا ما حُرِّمَ عليهم، وأدَّوا ما افْتَرَضَ عليهم وقال عُمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حُرِّمَ الله،

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر: دار هجر، ١٤٢٤هـ، ج ٣، ص: ٧٠٦.

(٣) سورة النساء: ١٣١.

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب منه، حديث رقم: ٦١٦ (٢/ ٥١٦). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم حديث رقم: ٢٢١٦١ (٣٦/ ٤٨٦). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأداء ما افترض الله، فمن رُزِقَ بعد ذلك خيراً، فهو خيرٌ إلى خير. وقال طلق بن حبيب^(١): التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله. وعن أبي الدرداء قال: تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الحرام، فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} ^(٢) فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله، ولا شيئاً من الشر أن تتقيه. وقال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام ^(٣) ومن دلائل السنة الكثيرة في الدعوة إلى معاني التقوى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ؟ قَالَ « أَتَقَاهُمْ ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ « فَيُؤَسِّفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ ». قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ « فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي! خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا » ^(٤). وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب في دعائه التقى وأمر المسلم بالتقوى حيثما كان، وحذر أمته من فتنة الدنيا والنساء بلزوم التقوى. وأحب الله المتقين، وهنا أعرض ما ورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح من محبة الله للمتقين:

١) قال الله تعالى: (بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) ^(٥) أورد الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: (قول: بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، قامن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدق به وبما جاء به من الله، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله ونهيه "واتقى"، يقول: واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرّمها عليه، فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه "فإن الله يحب المتقين"، يعني: فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به. وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول: هو اتقاء الشرك ^(٦).

(١) طلق بن حبيب العنزي، بصري، زاهد كبير، من العلماء العاملين. وكان طيب الصوت بالقرآن، برّاً بالدين. عن بكر المزني، قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث، قال طلق بن حبيب: اتقوها بالتقوى. قال ابن الأعرابي: كان يقال: فقه الحسن، وورع ابن سيرين، وحلم مسلم بن يسار، وعادة طلق، وكان طلق يتكلم على الناس ويعظ، قال أبو زرعة: طلق: سمع من ابن عباس، وهو ثقة، مرجئ. مات طلق: قبل المائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٦٠١).

(٢) سورة الزلزلة: ٧ - ٨.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ١٥٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، حديث رقم: ٣٣٥٣ (٤/١٤٠). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب من فضائل يوسف عليه السلام، حديث رقم: ٦٣١١ (٧/١٠٣).

(٥) سورة آل عمران: ٧٦.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٦، ص: ٥٢٦.

(٢) قال الله تعالى: (وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ^(١))

أورد الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر، لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت، فأجله، أربعة أشهر، يسبح في الأرض، يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت، فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، وقد تقدمت الأحاديث: "ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهدته إلى مدته" وذلك بشرط ألا ينقض المعاهد عهده، ولم يظاهر على المسلمين أحدا، أي: يمالئ عليهم من سواهم، فهذا الذي يوفي له بدمته وعهده إلى مدته؛ ولهذا حرص الله تعالى على الوفاء بذلك فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} أي: الموفين بعهدهم)^(٢).

(٣) قال الله تعالى: (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)^(٣)

ومما ورد في تفسير ابن كثير لهذه الآية قوله: (يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر، ثم بعد ذلك السيف المرفف أين تقفوا، فقال تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ} وأمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله، {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني يوم الحديبية، كما قال تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَنْبَغَ مَحَلُّهُ} الآية^(٤)، {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} أي: مهما تمسكوا بما عاهدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين {فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك والمسلمين، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست، إلى أن نقضت قريش العهد ومالتوا لحلفاءهم بني بكر على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ، فقتلوهم معهم في الحرم أيضا، فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان، ففتح الله عليه البلد الحرام، ومكنه من نواصيهم، والله الحمد والمنة)^(٥).

(١) سورة التوبة: ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ١١٠.

(٣) سورة التوبة: ٧.

(٤) سورة الفتح: ٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ١١٤.

(٤) التوبة

التوبة في اللغة:

التوبة في اللغة من (توب) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ على الرجوع. يقال تاب من ذنبه، أي رجع عنه يتوب إلى الله توبةً ومتاباً، فهو تائب. والتَّوبُ التَّوبَةُ. قال الله تعالى: (وَقَابِلِ التَّوْبِ)^(١))

أورد الجوهري في الصحاح: (وقال الأخفش: التَّوبُ جمع توبة) وفي لسان العرب لابن منظور: (وتَوْبَةٌ وِمَتَابٌ أَنَابَ وَرَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ). التوبة في الاصطلاح الشرعي:

التوبة: هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته. ويشترط لها خمسة شروط:

الشرط الأول: الإخلاص وهو شرط في كل عبادة، والتوبة من العبادات.

الشرط الثاني: الندم على ما حصل: وهو انكسار الإنسان أمام الله عز وجل أن فعل ما فني عنه، أو ترك ما أوجب عليه. وقال بعض أهل العلم: إن الندم ليس بشرط؛ لصعوبة معرفته؛ ولأن العبد إذا أفلح فإنه لم يقلع إلا وهو نادم، وإلا لاستمر. لكن أكثر أهل العلم -يرحمهم الله - على أنه لابد أن يكون في قلبه ندم.

الشرط الثالث: الإقلاع عن المعصية التي تاب منها: فإن كانت المعصية ترك واجب وجب عليه أن يقوم بالواجب، كما لو أذنب الإنسان بمنع الزكاة، فإنه لابد أن يؤدي الزكاة، أو كان على فعل محرم، مثل أن يسرق لشخص مالا ثم يتوب، فالمال في ذمته يؤديه لصاحبه، وإن ترك السرقة.

الشرط الرابع: العزم على أن لا يعود: فإن التائب من الذنب إن كان من نيته أن يعود إليه متى سحت له الفرصة فليس بتائب، ولكن لو عزم أن لا يعود ثم سؤلت له نفسه فعاد فالتوبة الأولى لا تنقضي، لكن يجب أن يجدد توبة للفعل الثاني. ولهذا يجب أن نعرف الفرق بين أن نقول: من الشرط أن لا يعود، وأن نقول: من الشرط العزم على أن لا يعود.

الشرط الخامس: أن تكون التوبة وقت قبول التوبة وهو نوعان:

النوع الخاص: إذا حضر الإنسان أجله فإن التوبة لا تنفع، لقول الله عز وجل: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)^(٢) وفي قصة فرعون مع موسى عليه السلام آمن فرعون في حال الاستغراق والغرغرة والموت المحتم وهي حال لا تنفع معها التوبة ولا الإيمان قال الله تعالى: (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا

(١) سورة غافر: ٣.

(٢) سورة النساء: ١٨ .

أَذْرَكَهُ الْفَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ءَالْفَنِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(١). أي الآن تسلم، ومع ذلك لم ينفعه.

وأما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم بالساعة، ولكن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. ولهذا قال النبي ﷺ: "لا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"^(٢)

فهذه هي شروط التوبة، وأكثر العلماء - يرحمهم الله - يقولون: شروط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والعزم على أن لا يعود. وإن الإنسان إذا أذنب ذنباً عظيماً ثم لقي الله لا يشرك به شيئاً غفر الله له. ولكن هذا ليس على عموميه فهو مقيد بمشيئة الله لقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، وفي كثير من الآيات أبان الله تعالى أن التوبة الصادقة سبب لتكفير السيئات.

وهنا أعرض ماورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح، من محبة الله للتوابين وفق ما يلي:
قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا) النَّسَاءُ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ^(٣)

إن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهنا في الآية الكريمة إن الله يحب التوابين، ومنها يتحقق أن من أساء الله الحسنى التواب الرحيم، وهذا اللفظ في عموم التائبين لله تعالى عن معاصيه ومن أعظمها الشرك ومن أذناها القيام بدقائق عفوية مضرة للآخرين من بصاق أو نظرة أو لفظة أو حركة، وعليه فإن التوبة عمل مطلوب شرعا في كل حين لأن الإنسان خطاء وكان النبي ﷺ كثير التوبة في مجلسه وعبادته، وقد وعد الله تعالى بقبول توبة التائبين فلا يحول بين الله وتوبة عبده شيء، قال الله تعالى: (قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٤) وفي السنة دلائل كثيرة تحت على التوبة وعلى محبة الله للتوابين وأن الله تعالى يفرح بتوبة التائبين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ »^(٥) وما ورد في محبة الله للعبد المؤمن المفتن التواب فحديث ضعيف جدا كما قرر أهل الحديث^(٦).

(١) سورة يونس: ٩٠ - ٩١ .

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الهجرة هل انقطعت، حديث رقم: ٢٤٨١ (٢/ ٣١٢). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٩٠٦ (٢٨/ ١١١). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٤) سورة الزمر: ٥٣.

(٥) انظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في الحز على التوبة والفرح بها، حديث رقم: ٧١٢٨ (٨/ ٩١).

(٦) عن محمد بن الحنفية عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب) رواه أحمد في مسنده: مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدا ، شبه موضوع.

(٥) الطهارة

الطهارة في اللغة:

الطهارة في اللغة من (طهر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الطاء والهاء والراء أصل واحدٌ صحيح يدلُّ على نقاء وزوالِ دَنَسٍ. ومن ذلك الطُّهْرُ: خلاف الدَّنَسِ. والتطَهَّرُ: التَّنَزُّهُ عن الذَّمِّ وكلِّ قبيح. وفلانٌ طاهر الثَّياب، إذا لم يدنِّس. قال:

ثيابُ بني عوفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ *** وأَوْجُهُهُمْ عندَ الْمَسَافِرِ غُرَانُ)

أورد الجوهري في الصحاح: (والمُطَهَّرَةُ والمُطَهَّرَةُ: الإِدْوَاءُ، والفتح أعلى، والجمع المَطَاهِرُ. ويقال: السواك مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ). وفي لسان العرب لابن منظور: (وتَطَهَّرَتِ المرأةُ اغتسلت، وَطَهَّرَهُ بالماءِ غَسَلَهُ واسمُ الماءِ الطَّهْوَرُ وكلُّ ماءٍ نظيفٍ طَهْوَرٌ، وماء طَهْوَرٍ أَيْ يُتَطَهَّرُ به، وكلُّ طَهْوَرٍ طاهرٌ وليس كلُّ طاهرٍ طَهْوَرًا)

الطهارة في الاصطلاح الشرعي:

الطهارة في الإسلام هي التزاهة المعنوية والمادية في أمر الباطن والظاهر من كل ما فيه أذى، ومن ثمراتها العظيمة حب الله للمتطهرين، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ^(١) فالطهر طهر بالماء من الحدث، فإن انعدم وجوده أغنى التيمم بالصعيد الطيب، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي، ولما كانت أطراف الإنسان هي محل الكسب والعمل، وكانت هذه الأطراف أبواب المعاصي والذنوب في غالب حال المذنب، منها ما يكون في الوجه كالسمع والبصر، واللسان والشم والذوق، وكذا الأمر في سائر الأعضاء، كان الطهور - الوضوء - مكفراً للذنوب كلها. ومن السنة الوضوء لكل صلاة وهو أيضاً مقدمة الغسل من الحدث الأكبر، عن عبد الله الصنابحي ^(٢) عن رسول الله ﷺ قال: من توضأ فمضمض واستنشق خرجت خطاياه من فيه وأنفه، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه، حتى يخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت خطاياه من يديه، فإذا مسح برأسه خرجت خطاياه من رأسه، حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجله خرجت خطاياه من رجله، حتى تخرج من تحت أظفار رجله، وكانت

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادي أبو عبد الله الصنابحي البماني، نزيل الشام وفد على النبي ﷺ فوجدته قد مات، فصلى خلف أبي بكر، وروى عنه وعن عمر وعلي وآخرون، قال ابن سعد: ثقة، قليل الحديث، وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، وقال العجلي: تابعي ثقة، ونحوه ابن حبان، وقال ابن معين: تأخر إلى زمان عبد الملك، وذكره البخاري فيمن مات ما بين السبعين إلى الثمانين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٠٥/٥). يقال عنه عبد الله الصنابحي ويقال أبو عبد الله مختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعادة بن الصامت، روى عنه عطاء بن يسار، قال البخاري: وهم مالك في قوله عبد الله الصنابحي إنما هو أبو عبد الله واسمه عبد الرحمن بن عبلة، ولم يسمع من النبي ﷺ وكذا قال غير واحد، وقال يحيى بن معين: عبد الله الصنابحي يروي عنه المدنيون يشبه أن تكون له صحبة. انظر: إسعاف المبطل برجال الموطأ للسيوطي (١٨/١).

صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة^(١)؛ لذا كره بعض العلماء^(٢) مسح فضل الوضوء من أجل أن تطول مدة خروج الذنوب، ولأنه فضلة عبادة، وقد جاءت إحدى زوجات النبي ﷺ بمنديل للنبي ﷺ لما انتهى من وضوئه فرده وأخذ ينفذ بيديه^(٣)، فالظهور إذاً مكفر للذنوب بشرط الإسباغ. (قال محمد^(٤) بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تعالى: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (سورة الفتح: ٢) فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه)^(٥) والله تعالى يحب المتطهرين.

وهنا أعرض ما ورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح، من محبة الله للمتطهرين وفق ما يلي:

(١) قال الله تعالى: «وَسَعَلُواكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٦). وفي الطهر والتطهر اختلاف بين العلماء في المدة والكيفية، مع اتفاق في المعنى المقصود. أما أصلهما فمن الطهر وهو النقاء من الدنس والنجس والعيب. (عن عكرمة^(٧) في قوله: "ولا تقربوهن حتى يطهرن"، قال: حتى ينقطع الدم. وأما الذين قرءوا ذلك بتشديد "الهاء" وفتحها، فإنهم عنوا به: حتى يغتسلن بالماء. وشددوا "الطاء" لأنهم قالوا: معنى الكلمة: حتى يتطهرن، أدغمت "التاء" في "الطاء" لتقارب^(٨) مخرجيهما^(٩). قال الإمام الطبري: (وأولى

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها - باب ثواب الطهور، حديث رقم: ٢٨٢ (٣١٥/١). صححه الألباني.

(٢) ترك التشيف بالمنديل عند الحنفية والحنابلة وفي الأصح عند الشافعية: إبقاء لأثر العبادة، ولأنه صلى الله عليه وسلم «بعد غسله من الجنابة أتته ميمونة بمنديل، فرده، وجعل يقول بالماء: هكذا، ينفضه». وقال المالكية: المسح بالمنديل جائز، لحديث قيس بن سعد، قال: «زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا، فأمر له سعد بغسل، فوضع له فاغتسل، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران، أو ورس، فاشتمل بها». وعابرة الجنابة: يباح للمتطهر تشيف أعضائه، وتركه أفضل. وهذا هو الراجح. وترك النفض للماء في الأصح عند الشافعية والحنابلة؛ ويكره النفض عند بعض الحنابلة، وخلاف الأولى عند الشافعية، لحديث أبي هريرة: «إذا توضأت فلا تنفضوا أيديكم، فإنها مراوح الشيطان»، والأظهر عند الحنابلة أنه لا يكره وفاقاً للأئمة الثلاثة. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٣٥٥/١).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الغسل - باب المضمضة والاستنشاق في الجنابة، حديث رقم: ٢٥٨ (٦٠/١)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب صفة غسل الجنابة، حديث رقم: ٧٥٠ (١٧٥/١).

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ حَلِيفُ الْأَوْسِ، أَبُو حَمْزَةَ الْمَدِينِيُّ، سَمِعَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، رَوَى عَنْهُ الْحَكَمُ بْنُ عَتِيَّةٍ فِي تَفْسِيرِ (سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ) وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ: مَاتَ سَنَةَ ثَمَانَ وَمِائَةٍ، قَالَ الْبُخَارِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْهُ، وَقَالَ أَبُو عِيسَى: مَاتَ سَنَةَ ثَمَانَ وَمِائَةٍ وَسَمِعْتُ قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ بَلَّغَنِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيَّ وَلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الْوَائِدِيُّ تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١١٧ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَسَبْعِينَ سَنَةً. انظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الفقه والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (٦٧٥/٢).

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٣، ص: ٢٥.

(٦) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٧) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٨) يخرج حرف التاء من طرف اللسان مع ما يحاذيه من أصول الثنايا العليا ومن صفاته الهمس والشدة والاستفال والانفتاح والإصمات، ويخرج حرف الطاء من طرف اللسان مع ما يحاذيه من أصول الثنايا العليا، قريب من مخرج التاء، وصفاته الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات والقلقلة. قال ابن الجزري في متن المقدمة:

وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتَ جَعْلُوا *** وَالرَّاءُ يَذَانِيهِ لَظْهَرُ أَدْخُلُ
وَالطَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ *** غَلِيَا الثَّنَايَا وَالصَّفِيرُ مُسْتَكِرُ

انظر: دروس مهمة في شرح الدقائق احكمة في شرح المقدمة الجزرية في الأحكام التجويدية، سيد لاشين أبو الفرح ص ٦٢.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٤، ص: ٣٨٤.

القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: (حَتَّى يَطْهَرْنَ) بتشديدها وفتحها، بمعنى: حتى يغتسلن - لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر^(١) وهذا الذي عليه أغلب أهل الفقه أن الغسل للحائض واجب ولا يجوز وطأها قبل الغسل، قال ابن قدامه في المغني (وَجُمْلَتُهُ أَنَّ وَطْءَ الْحَائِضِ قَبْلَ الْغُسْلِ حَرَامٌ، وَإِنْ انْقَطَعَ دَمُهَا فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ. قَالَ ابْنُ الْمُنْدِرِ^(٢): هَذَا كَالْإِجْمَاعِ مِنْهُمْ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرُوزِيُّ^(٣): لَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا^(٤)). وقد فصل ابن قدامة صاحب المغني أقوال أئمة الفقه في هذه المسألة على نحو ما يلي: وقد ورد الخلاف بين أهل الفقه في "التطهر" الذي به يحل الجماع: فقال بعضهم: هو الاغتسال بالماء، لا يحل لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها. وقال بعضهم: هو الوضوء للصلاة. وقال آخرون: بل هو غسل الفرج، فإذا غسلت فرجها، فذلك تطهرها الذي يحل به لزوجها غشائها. (ويرى أبو حنيفة جواز أن تؤتى المرأة إذا انقطع دم الحيض بعد انقضاء أكثر مدة الحيض ولو لم تغتسل. وقال مالك وأحمد: لا تحل حتى ينقطع الحيض وتغتسل بالماء غسل الجنابة)^(٥). عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} حتى فرغ من الآية. فقال رسول الله ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح". فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه! فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله، إن اليهود قالت كذا وكذا، أفلا نجتمعن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا، فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ، فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما.^(٦) وقوله تعالى: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) إجماعاً قال المفسرون في الاعتزال: يعني الجماع في الفرج، لقوله ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلا

(١) المرجع السابق، ج ٤، ص: ٣٨٤..

(٢) محمد بن إبراهيم بن المنذر الإمام أبو بكر النيسابوري، نزيل مكة، أحد أعلام هذه الأمة وأحبارها، كان إماماً مجتهداً حافظاً ورعاً، وله التصنيف المفيدة السائرة: كتاب الأوسط وكتاب الإشراف في اختلاف العلماء وكتاب الإجماع والتفسير وكتاب السنن والإجماع والاختلاف، قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي توفي ابن المنذر سنة تسع أو عشر وثلاثمائة، قال الذهبي وهذا ليس بشيء لأن محمد بن يحيى بن عمار لقيه سنة ست عشرة وثلاثمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٣/ ١٠٢).

(٣) أحمد بن محمد الحجاج أبو بكر المعروف بالمرودي صاحب أحمد بن حنبل ذكر أبو الحسين بن المنادي أن أمه كانت مرذوبة وكان أبوه خوارزمية وهو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان أحمد يأنس به وينبسط إليه. انظر تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب (٤/ ٤٢٣). لزم أحمد دهرًا. وأخذ عنه العلم والعمل، قال إسحاق بن داود: لا أعلم أحدا أقوم بأمر الإسلام من أبي بكر المروزي. وقال أبو بكر بن صدقة: ما علمت أحدا أذب عن الدين من المروزي. قال الخلال: خرج المروزي للغزو فشيوعه إلى سامرا وجعل يردهم فلا يرجعون فحز من وصل معه إلى سامرا نحو خمسين ألف إنسان. مات في جمادى الأولى في سنة خمس وسبعين ومائتين، وغيره أكثر تحصيلاً لفنون الحديث ولكنه كان إماماً في السنة شديد الاتباع، له جلاله عظيمة. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١٥٣).

(٤) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص: ٣٨٧.

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص: ٣٨٧.

(٦) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والانتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، حديث رقم: ٧٢٠ (١/ ١٦٩).

النكاح" ^(١)؛ ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه تجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج ^(٢) عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئاً، ألقى على فرجها ثوباً ^(٣). وأن مسروقاً ^(٤) ركب إلى عائشة، فقال: السلام على النبي وعلى أهله. فقالت عائشة: أبو عائشة! مرحباً مرحباً. فأذنوا له فدخل، فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء، وأنا أستحي. فقالت: إنما أنا أمك، وأنت ابني. فقال: ما للرجل من امرأته وهي حائض؟ فقالت: له كل شيء إلا فرجها. ^(٥).

٢) قال الله تعالى: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) ^(٦) قال الإمام الطبري: (قول تعالى ذكره: في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبون أن يتطهروا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط، والله يحب المتطهرين بالماء) ^(٧) وقال القرطبي: (أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على من أحب الطهارة وآثر النظافة، وهي مروءة آدمية ووظيفة شرعية) ^(٨).

اختلف العلماء في المسجد الذي أسس على التقوى، فقالت طائفة: هو مسجد قباء، يروى عن ابن عباس

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، حديث رقم: ٧٢٠ (١/ ١٦٩)

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٥٨٥.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب في الرجل يصيب منها مادون الجماع، حديث رقم: ٢٧٢ (١/ ١١١). صححه الألباني.

(٤) مسروق بن الأجدع، الإمام، القدوة، العلم، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي. وهو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان بن معمر، الهمداني، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ. قال أبو داود: كان أبو الأجدع أفرس فارس باليمن. وقال الكلبي: شلت يد مسروق يوم القادسية. وقال أحمد بن حنبل، قال ابن عيينة: بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد. وقال يحيى بن معين: مسروق ثقة، لا يسأل عن مثله. وقال علي بن المديني: ما أقدم على مسروق أحد من أصحاب عبد الله صلى خلف أبي بكر ولقي عمر وعلياً، ولم يرو عن عثمان شيئا وقال العجلي: تابعي ثقة، كان أحد أصحاب عبد الله، الذين يقرئون ويفتون. وكان يصلي حتى ترم قدماه. وقال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث صالحة. وعن الشعبي، قال: غشي على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته، فسمى بنته عائشة. لا يعصي ابنته شيئاً. قال: فزلت إليه، فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب. قال: ما أردت بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. قال أبو نعيم: مات سنة اثنتين وستين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٦٣).

(٥) أورده الطبري عند تفسير الآية (٢٢٢) من سورة البقرة، عن كتاب أبي قلابة. وروى البخاري في صحيحه - كتاب بدء الوحي: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ فِي فَرْجِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يَبَاشِرُهَا، قَالَتْ: وَأَيْكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ.

(٦) سورة التوبة: ١٠٨.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٤، ص: ٤٨٢.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٨، ص: ٢٦١.

والضحاك^(١) والحسن. وتعلقوا بقوله: "مَنْ أَوَّلَ يَوْمٍ"، ومسجد قباء كان أسس بالمدينة أول يوم، فإنه بني قبل مسجد النبي ﷺ، قاله ابن عمر وابن المسيب، ومالك. وقالت طائفة هو مسجد النبي ﷺ، روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ: قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل هو مسجد قباء، وقال آخر هو مسجد النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (هو مسجدي هذا)^(٢). قال حديث صحيح. وبالنظر إلى القول الأول فقد قالت العلماء هو أليق بالقصة، لقوله: "فيه" وضمير الطرف يقتضي الرجال المتطهرين، فهو مسجد قباء. والدليل على ذلك حديث أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء {فِيهِ رِجَالٌ مُّطَهَّرُونَ} أن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ، قال: كانوا يستنجون بالماء فترلت فيهم هذه الآية^(٣). وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ، فَمَا طَهُرُكُمْ؟ قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَنَعْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ، قَالَ: فَهُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْوه^(٤). ومع أن حديث أبي سعيد الخدري نص فيه النبي ﷺ على أنه مسجده فمع ثبوت الحديث لا نظر معه في غيره هنا، فهو مقدم في الحكم، وإذا علمنا أن أهل قباء يتزلون إلى مسجد النبي ﷺ ويحضرون الصلاة ويتلقون العلم ويشهدون المواقف، فإن لفظة (فيه) تعود على أهل قباء الذين يصلون في مسجد النبي ﷺ وهم من الأنصار. وعموم حديث أبي أيوب (يامعشر الأنصار) يتقرر به أن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد النبي ﷺ وفيه جمع بين الأحاديث الواردة في ذلك. ولمسجد قباء مكانته في الإسلام ولأهله فضل استقبال الرسول ﷺ واستضافته، ففي صحيح السنة ما يبين هذه المكانة، عن أُسَيْدَ بْنِ ظُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قَبَاءَ كَعُمْرَةٍ^(٥). وَعَنْ ابْنِ عُمرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قَبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ مَاشِيًا وَرَاكِبًا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَفْعَلُهُ^(٦).

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، وليس باخود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان له أخوان: محمد ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند. حدث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعن الأسود، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، وطائفة. وبعضهم يقول: لم يلق ابن عباس. وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما. وحديثه في السنن لا في الصحيحين. وقد ضعفه يحيى بن سعيد. وقيل: كان يدلس. وله باع كبير في التفسير والقصص. قال سفيان الثوري: كان الضحاك يعلم ولا يأخذ أجرا. وروى ميمون أبو عبد الله عن الضحاك، قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيها. وتلا قول الله: (كونوا ربايين بما كنتم تعلمون الكتاب) [آل عمران: ٧٩]. نقل غير واحد وفاة الضحاك في سنة اثنتين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩٨/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة التوبة، حديث رقم: ٣٠٩٩ (٢٨٠/٥). وانظر: سنن النسائي - كتاب المساجد - باب ذكر المسجد الذي أسس على التقوى، حديث رقم: ٧٧٨ (١/٣٨٧). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: ١١٨٤٦ (١٨/٣٥٨). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب في الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٤٤ (١/١٦). وانظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب من سورة التوبة، حديث رقم: ٣١٠٠ (٥/٢٨٠). صححه الألباني.

(٤) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة - باب الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٣٥٥ (١/٣٨٧). صححه الألباني.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، حديث رقم: ١٤١١ (٢/٤١٦). صححه الألباني.

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب مسجد قباء، حديث رقم: ١١٩٤ (٢/٦١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه وزيارته، حديث رقم: ٣٤٥٩ (٤/١٢٧).

(٦) الصبر

الصبر في اللغة:

الصبر في اللغة من (صبر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول الحَبَس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنسٌ من الحجارة).

أورد الجوهري في الصحاح: وقال الأصمعي: الصَّبِيرُ السحاب الأبيض الذي يُصْبِرُ بعضُهُ فوق بعض دَرَجًا. والجمع صُبْرٌ. والصَّبِرُ: هذا الدواء المرُّ، والصَّبْرَةُ: واحدة صُبْرٍ الطعام.

وفي لسان العرب لابن منظور: (وأصل الصَّبْر الحَبَس وكل من حَبَس شيئاً فقد صَبَرَه).

الصبر في الاصطلاح الشرعي:

عرف ابن قيم الجوزية يرحمه الله الصبر بقوله: (خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها)^(١). عن صهيب رضي الله عنه قال: «بيننا رسول الله ﷺ قاعد مع أصحابه إذ ضحك فقال: «ألا تسألوني مم أضحك؟». قالوا: يا رسول الله، ومم تضحك؟ قال: «عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله خيرٌ إلا أصابه ما يُحبُّ حمداً الله وكان له خيرٌ، وإن أصابه ما يكره فصبر كان له خيرٌ، وليس كلُّ أحدٍ أمره كله له خيرٌ إلا المؤمن»^(٢). ومنه نعلم أن من الصبر حبس النفس عن الجزع مما أصابها من المكروه، وقد قسم أهل العلم الصبر، إلى ثلاثة أنواع:

(١) صبر على فعل الطاعة:

إن العبد لا بد له من مجاهدة لعدوه الظاهر والباطن، وبحسب هذا الصبر يكون أدأؤه للمأمورات وفعله للمستحبات. وهو ما يسمى بصبر الطاعة.

النوع الثاني: صبر عن المعصية:

إن النفس ودواعيها وتزيين الشيطان وقرناء السوء تأمره بالمعصية، وتجرئه عليها، فبحسب قوة الصبر يكون تركه لها. وهنا تظهر قوة النفس من ضعفها، فإن أعمال البر يفعلها البر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلا الصابرون الذين امتازوا بالحلم الذي جمع لهم أنواع الصبر، وبه تميز الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون (قال عبيد^(٣) بن الأبرص:

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت: دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ص: ٤.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٩٣٠ / ٣٩ / ٣٥٠. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، من مضر. شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب الجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ١١٩).

صَبَرَ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ.... إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تُضَيِّقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ.... تُكْشِفُ غَمَاؤَهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رَبِّمَا تَجَزَّعَ النَّفْسُ مِنْ الْأَمْرِ.... لَهُ فُرْجَةٌ كَحِلِّ الْعِقَالِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي كِتَابِ الْيَتِيمَةِ: الصَّبْرُ صَبْرَانِ: فَاللَّتَامُ أَصْبَرُ أَجْسَامًا، وَالْكَرَامُ أَصْبَرُ نُفُوسًا. وَلَيْسَ الصَّبْرُ الْمَمْدُوحُ صَاحِبُهُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ قَوِيَّ الْجَسَدِ عَلَى الْكَدِّ وَالْعَمَلِ؛ لَأَنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ غُلُوبًا، وَلِلْأُمُورِ مُتَحَمِّلًا، وَلِجَاشِهِ عِنْدَ الْحِفَاطِ مُرْتَبِطًا^(١).

النوع الثالث: الصبر على ما يُصيبه من المصائب، وهي نوعان:

١- نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأعراض وغيرها من المصائب السماوية النازلة، فهذه يسهل الصبر فيها، لأن العبد المؤمن يشهد فيها قضاء الله وقدره، فيصبر إما اضطراراً وإما اختياراً. ومن صبر له الأجر والظفر ومن سخط كان عليه الوزر ولم ينج من حصول القدر المقدر، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا الله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قد قَدَرَنِي الناس. قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطني لوناً حسناً وجِلداً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال: البقر - هو شَكِّي في ذلك: إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر - فأعطني ناقَةَ عُشْرَاءَ، فقال: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا. وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ هَذَا عَنِّي، قد قَدَرَنِي الناس. قال: فمسحه فذهب، وأعطني شعراً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا. وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرُ بِهِ الناس. قال: فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والداء، فأنج هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مَسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِهِ الْحَبَالُ فِي سَفَرِهِ فَلَا بَلَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أسألك - بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال - بغيراً أتبلغ به في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فردَّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجلٌ مَسْكِينٌ وابْنُ السَّبِيلِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِ الْحَبَالُ فِي سَفَرِهِ، فَلَا بَلَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرَكَ شاةً أتبلغ بها في سفري. وقال له: قد كنت أعمى فردَّ الله

(١) أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، القاهرة: دار الفكر للنشر، ص: ٢٧٧.

بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبك»^(١).

٢- ما يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه، فهذا النوع يصعب الصبر عليه ويشتد، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصدّيقون وأتباعهم. وكان نبينا ﷺ إذا أُوذي يقول: "يرحم الله موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر"^(٢) وعلى هذا فإن أنواع الصبر ثلاثة أقسام أوضحها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله في الفتاوى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}^(٣). وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ: اصْبِرْ لِمَا يُحْكَمُ بِهِ عَلَيْكَ وَقِيلَ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ لِقَضَاءِ رَبِّكَ الَّذِي هُوَ آتٍ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَحُكْمُ اللَّهِ نَوْعَانِ: خَلْقٌ وَأَمْرٌ. (فَالْأَوَّلُ): مَا يُقَدَّرُ مِنَ الْمَصَائِبِ. وَ (الثاني) مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ وَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ عَلَى هَذَا وَعَلَى هَذَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ لِمَا أُمِرَ بِهِ وَلِمَا نُهِيَ عَنْهُ فَيَفْعَلَ الْمَأْمُورَ وَيَتْرُكَ الْمَحْظُورَ وَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ لِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٤).

ومن الأمور المعينة على الصبر يجب على العبد أن ينظر في حال الطاعة إلى من هو أحسن منه طاعة؛ فيضطرب على الطاعة، ولينظر في حال المعصية إلى من عصى وعظمه الله ونعمته وحلمه عليه، ويطلع على حال الشاكرين ونزاهة الصديقين، وإن كان في حال ابتلاء ومصيبة يجب على العبد أن يشهد ذنوبه ويمحص حاله، وينظر إلى حال المبطلين غيره الذين هم أشد منه بلاء فيتصبر، وفي حال الأذى فلينظر إلى الذي سَلَطَهم عليه وبه يستجير، ولا ينظر إلى فعلهم به فبذلك يستريح من الهم والغم، والصابر الأبواب يشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي كانت سبباً، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يرجون عتدًا إلا ربّه، ولا يخافن عتدًا إلا ذنبه^(٥)، ورؤي عنه أيضاً: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة^(٦). وعلى العبد أن يشهد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر، وقال عمر، رضي الله عنه: (نعم العبدان

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء- باب أبرص وأعمى وأقرأ في بني إسرائيل حديث قم: ٣٤٦٤ (١٧١/٤)، وانظر صحيح مسلم- كتاب الزهد والرقائق- حديث رقم: ٧٦٢٠ (٨/٢١٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الدعوات- باب قول الله تعالى (وصل عليهم) ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه، حديث رقم: ٦٣٣٦ (٧٣/٨). وانظر: صحيح مسلم- كتاب الزكاة- باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه، حديث رقم: ٢٤٩٤ (٣/١٠٩).

(٣) سورة القلم: ٤٨.

(٤) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ٨، ص: ٣٢٥.

(٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ٢٣٠.

(٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨ هـ، ص: ٧٤.

وَنِعَمَ الْعِلَاوَةُ (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ﴿١٦٦﴾ أَوْلَيْكَ هُمْ أَلْمَهْتَدُونَ (١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (٢) (٣).

وعلى العبد المبتلى من الخلق أن يعلم أنه إذا عفا وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش والغلّ وطلب الانتقام وإرادة الشرّ، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلاً وآجلاً، على المنفعة الوهمية الحاصلة له بالانتقام، ويدخل في قوله تعالى: والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وكم قد جلب الانتقام والمقابلة من شرّ عجز صاحبه عن دفعه، وكم قد ذهبت نفوس ومصالح ومنافع بسبب الانتقام. ولو يعلم الصابر أن هذه المظلمة التي ظلمها هي سبب إمّا لتكفير سيئته، أو رفع درجته؛ لأحسن الصنيع ولم ينتقم، فإذا انتقم ولم يصبر لم تكن مكفرة لسيئته ولا رافعة لدرجته، فإن المنفعة الحقيقية في الحرص على الصبر، بل على الصبر الجميل، حيث هو سبيل الأنبياء والصديقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الله أمر نبيه بالهجر الجميل والصّحّ الجميل والصّبر الجميل "فَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ" هَجْرٌ بَلَا أَدَى وَ"الصّحّ الْجَمِيلُ" صَحّحٌ بَلَا عِتَابٍ وَ"الصّبر الْجَمِيلُ" صَبْرٌ بَلَا شَكْوَى قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ (٤) مَعَ قَوْلِهِ: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (٥) فَالشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ لَا تُنَافِي الصّبر الْجَمِيلَ (٦) وفي مجموع الفتاوى قال يرحمه الله: (قُرِئَ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ أَنَّ طَاوَسًا كَرِهَ أَيْنَ الْمَرِيضِ. وَقَالَ: إِنَّهُ شَكْوَى. فَمَا أَنْ حَتَّى مَاتَ) (٧).

وهنا أعرض ماورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح، من محبة الله للصّابرين، وفق ما يلي:

قال الله تعالى: (وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْآصِرِينَ) (٨). حكى الإمام ابن جرير الطبري (٩)، عن بعض نخاة البصرة: أن الربيين هم الذين يعبدون الرب، عز وجل، قال: ورد بعضهم عليه قال: لو كان كذلك لقليل ربيون، بفتح الراء.

(١) سورة البقرة: ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٤٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب الصبر عند الصدمة الأولى حديث رقم: ١٣٠١ (٨٢/٢).

(٤) سورة يوسف: ٨٦.

(٥) سورة يوسف: ١٨.

(٦) الزهد والورع والعبادة، تحقيق: حماد سلامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الأردن: مكتبة المنار، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص: ٩٩.

(٧) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ، ج ١٠، ص: ٦٦٧.

(٨) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٢٦٥.

وأورد البغوي في تفسيره (وقوله {رَبِّيُونَ كَثِيرٌ} قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الربيون الألو، وقال الكلبي الربية الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحاك: الربية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء، وقيل: هم الأتباع والربانيون الولاة، والربيون الرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، {فَمَا وَهَنُوا} أي: فما جبنوا، {لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا} عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب. {وَمَا اسْتَكَاثُوا} قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلوا، قال عطاء وما تضرعوا وقال أبو العالية^(١): وما جبنوا ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} ^(٢). قال القرطبي: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) يعني الصابرين على الجهاد^(٣). وقد ثبتت معية الله للصابرين المعية الخاصة بالحفظ والعون وجعله لزيمة الصلاة في الحث على الاستعانة به في النوائب، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(٤) وقدمه على الصلاة في الذكر لأن الصلاة فيه جزء منه، والنبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وقال الله تعالى: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(٥)

(٧) التوكل

التوكل في اللغة:

التوكل في اللغة من (وكل) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الواو والكاف واللام: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على اعتمادٍ غيرِك في أمرِك. من ذلك الوَكْلة، والوَكَل: الرَّجُلُ الضَّعِيفُ. يقولون وَكَلَّةٌ تُكَلَّةٌ. والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك).
أورد الجوهري في الصحاح: (فرسٌ وَاكَلٌ: يَتَكَلُّ على صاحبه في العدو ويحتاج إلى الضرب، يقال: دَابَّةٌ فيها وَاكَلٌ شديدٌ، ووَكَالٌ شديدٌ. والوَكِيلُ معروفٌ. يقال: وَكَلْتُهُ بأمر كذا تَوَكَّيلاً).

(١) أبو العالية رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي أيوب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعدة. وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر في العلم، وبعد صيته. قال أبو بكر بن أبي داود: وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير. وقد وثق أبا العالية الحافظان أبو زرعة وأبو حاتم. وقال البخاري وغيره: مات سنة ثلاث وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٧/٤).

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٢، ص: ١١٧.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ، ج ٤، ص: ٢٣١.

(٤) سورة البقرة: ١٥٣.

(٥) سورة الأنفال: ٤٦.

وفي لسان العرب لابن منظور : (يقال توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي أَلجأته إليه، واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر سلمه، ووكله إلى رأيه وكلاً ووُكُلاً تركه).

التوكل في الاصطلاح الشرعي:

اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل على الله تبعاً لتفسيره، تارة بأسبابه ودواعيه، وتارة بدرجاته، وتارة بلازمه، وتارة بشمراته، وغير ذلك من متعلقاته. وسبب هذا الاختلاف أن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها، وهي صعبة أن تحد بحد أو تحصر بلفظ.

قال ابن عباس^(١) رضي الله عنهما: التوكل هو الثقة بالله.

قال الإمام أحمد^(٢) يرحمه الله: هو قطع الاستشراف بالإيأس من الخلق، وقال: وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به، وعرفه ابن رجب^(٣) الحنبلي: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها.

وقال سعيد^(٤) بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان. وقال سهل^(٥) بن عبد الله: من طعن في الاكتساب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

وأورد ابن حجر^(٦) يرحمه الله علاقة التوكل بالأسباب بقوله: (وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب).

والتوكل نوع من أنواع العبادة القلبية، ففي الدرر السنية في الأجوبة النجدية أن التوكل يعني (إسناد العبد أمره إلى الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية)^(٧).

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ، ج ٤ ، ص: ١٨٩ .

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ، ص: ٤٣٩ .

(٣) المرجع السابق: ص: ٤٣٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ، ج ٤ ، ص: ١٢ .

(٥) تلييس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١ ، ١٤٢١ هـ، ج ١ ، ص: ٢٤٨ .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٣ ، ص: ٣٨٤ .

(٧) الدرر السنية في الكتب النجدية، علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط ٦ ، ١٤١٧ هـ، ج ١٣ ، ص: ١٥٤ .

قال ابن جزري: (التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضار ورفعها بعد وقوعها. وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»^(١) والآخر: الضمان الذي في قوله: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»^(٢) وقد يكون واجباً لقوله تعالى: «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»^(٣) فجعله شرطاً في الإيمان، والظاهر قوله جل جلاله، «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»^(٤) فإن الأمر محمول على الوجوب. واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب: الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له، وقيامه بمصالحه. والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه، فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلا إليها. والثالثة: أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية. فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة. وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: «وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ»^(٥) فهي تقوى بقوته، وتضعف بضعفه^(٦). قال ابن القيم: (هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفردده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فيوجب له اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وطمأنينة به وثقة به ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه)^(٧). والتوكل مخالف للتواكل لأن التواكل: ترك الكسب والطمع في المخلوقين والاعتماد عليهم، بالتخلي عن الأسباب التي وضعها الله عز وجل، والانقطاع عن السعي والتقاعد عن العمل، وانتظار النتائج من الخلق أو القدر، أو الاتكال على الله بأن يخرق له العوائد. ولأصحاب هذا المفهوم أدلة تخالف الفهم الصحيح؛ كونها في معزل عن بقية الأدلة. وحيث التواكل ضعف همة وبعد عن المروءة؛ لأنه يبطل حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتب المسببات على الأسباب. فقد حارب الإسلام التواكل وحذر منه، وهو حرام ليس من الشرع أصلاً، وهو مخالف للنصوص كما أسلفنا. ومختصر القول في التوكل أنه خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وهو من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقربين وهو من دلائل التوحيد وجماع الأمر في السير إلى الله عقيدة وعبادة؛ فهو من أعمال القلوب التي هي أصل الإيمان، الذي هو أجل وأعظم ما تعبد الله تعالى به.

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

(٣) سورة المائدة: ٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٢٢.

(٥) سورة البقرة: ١٦٣.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزري الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوه عوض، القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١١٣.

(٧) التفسير القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ، ص: ٧٢.

والتوكل من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة حيث يقترب بمراتب الدين الثلاث (الإيمان والإسلام والإحسان) وشعائره العظام، كما أنه نصف الدين والإنابة نصفه الثاني في مفهوم قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) ومترلته أوسع المنازل وأجمعها، وهو مفتاح كل خير، وهو فريضة يجب إخلاصه لله تعالى ومن الآيات الكثيرة الآمرة به، قوله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بل إن العبد يستحق به محبة الله وذلك الفوز العظيم، فإن الله يحب المتوكلين.

وهنا أعرض ما ورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح من محبة الله للمتوكلين وفق ما يلي:

قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ^(١) أورد القرطبي في تفسير هذه الآية معنى التوكل بقوله: (التوكل: الاعتماد على الله مع إظهار العجز، والاسم التكلان. يقال منه: اتكلت عليه في أمري، وأصله: "اتكلت" قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، ثم أبدلت منها التاء وأدغمت في تاء الافتعال. ويقال: وكلته بأمري توكيلاً، والاسم الوكالة بكسر الواو وفتحها. واختلف العلماء في التوكل، فقالت طائفة من المتصوفة: لا يستحقه إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع أو غيره، وحتى يترك السعي في طلب الرزق لضمان الله تعالى. وقال عامة الفقهاء: ما تقدم ذكره عند قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ^(٢). وهو الصحيح كما بيناه. وقد خاف موسى وهارون بإخبار الله تعالى عنهما في قوله "لا تخافا". وقال: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى) ^(٣) قُلْنَا لَا تَخَفْ ^(٤) وأخبر عن إبراهيم بقوله: (فَلَمَّا رَأَى أَن يُدْرِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ) ^(٥) فإذا كان الخليل وموسى الكليم قد خافا وحسبك بهما - فغيرهما أولى ^(٥) وقد جاءت السنة ببيان فضل التوكل على الله وأن صاحبه بحق، من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، كما في حديث عكاشة بن محصن المعروف ^(٦)، ورغب الرسول ﷺ المسلمين في التوكل على الله، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَنَّكُمْ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٣) سورة طه: ٦٧ - ٦٨.

(٤) سورة هود: ٧٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٥٣.

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب الطب - باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث رقم: ٥٧٠٥ (٧/ ١٢٦) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب حديث رقم: ٥٤٧ (١/ ١٣٧).

كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو حِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا^(١). ومن مفهوم الحديث الحث على تحقيق معنى التوكل بتحقيق قوة الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب كما تسعى الطير إلى طلب رزقها فتحصل لها وفرة الرزق وسهولة تحصيله. وقد جعل أبو علي الدقاق^(٢) التوكل أولى درجات الاعتماد على الله وهي ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض^(٣).

وتنقسم مواقف الناس من الأسباب والأخذ بها إلى أربعة أقسام:

(١) الالتفات إلى الأسباب بالكلية واعتماد القلب والجوارح عليها من غير نظر لمسببها: كنظرة الماديين والعقلانيين فوقعوا في الشرك لأنهم أثبتوا موجداً مع الله مستقلاً بالضر والنفع، وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، كما أن الأسباب قد تتخلف عن مسبباتها بإذن الله كما يشهد لذلك الحسن.

(٢) الإعراض عن الأسباب بالكلية: كنظر غلاة الصوفية للتوكل، فهم لا يرون تحقيق التوكل إلا في ترك الأسباب بالكلية، فتركوا التكسب والعمل والاحتراز والاحتياط والتزود في السفر والطعام ويرون ذلك كله منافياً للتوكل، ولهم شبه ضعيفة أجاب عنها العلماء اخفقون كمحمد بن الحسن الشيباني^(٤) في كتابه (الاكتساب في الرزق المستطاب) والخلال^(٥) في كتابه (الحث على التجارة والصناعة والعمل) والحارث

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب في التوكل على الله، حديث رقم: ٢٣٤٤ (٥٧٣/٤)، وانظر: مسند الإمام - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٢٠٥ (٣٣٢/١) صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

(٢) أبو علي الدقاق، الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمد، شيخ الأستاذ أبي القاسم القشيري، تفقه على الحضري والقفال، وصحب في التصوف أبا القاسم النصراباذي، نيسابوري الأصل، تعلم العربية وحصل علم الأصول، وخرج إلى مرو وتفقه بها على الحضري وبرع في الفقه، وأعاد على الشيخ أبي بكر القفال المروزي، ولما استمع ما يحتاج إليه من العلوم، أخذ في العمل وسلك طريق التصوف وصحب الأستاذ أبا القاسم النصراباذي، توفي في ذي الحجة سنة خمس وأربع مائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى لعبد الكافي السبكي (٣٢٩/٤).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٢، ص: ١١٧.

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أصله من قرية بدمشق يقال لها "حراستا" ومولده بواسط، صحب أبا حنيفة وعنه أخذ الفقه ثم عن أبي يوسف. وله كتب عديدة، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة فيمن نشره. قال محمد بن الحسن: أقمت على مالك ثلاث سنين، وسمعت منه سبعمائة حديث ونيقاً. وعن الشافعي قال: سمعت أنه قال: أخذت من محمد بن الحسن وقرأ بعير، وما رأيت رجلاً سمينا أخف روحاً منه، وكان روحاً كله وكان يملأ القلب والعين. وعن أبي عبيد قال: ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن. وكان مقدماً في علم العربية، والنحو، والحساب. ولي قضاء الرقة للرشد، ثم قضاء الري، وبها مات، سنة تسع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، في اليوم الذي مات فيه الكسائي، فقال الرشيد: دفن الفقه والعربية بالري. انظر: تاج التراجم لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني (٢٣٧/١).

(٥) العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الحلال. وُلِدَ: فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، أَوْ فِي الثَّانِي تَلِيهَا، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأَى الْإِمَامَ أَحْمَدَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ الْفَقْهَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَرَحَلَ إِلَى فَارَسَ، وَإِلَى الشَّامِ، وَالْجَزِيرَةِ يَتَطَلَّبُ فِقْهَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَفَتَاوِيهِ وَأَجَوِبَتِهِ، وَكَتَبَ عَنِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ، حَتَّى كَتَبَ عَنْ تَلَامِيذِهِ، وَجَمَعَ فَأَرَعَى، ثُمَّ إِنَّهُ صَنَّفَ كِتَابَ (الْجَامِعِ فِي الْفِقْهِ)، حَدَّثَ عَنْهُ: الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ - غُلَامُ الْحَلَالِ - وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظْفَرِ، وَطَائِفَةٌ. قَالَ

الحاسبي^(١) في كتابه (المكاسب) وابن تيمية وابن الجوزي وابن القيم وابن مفلح^(٢) وابن رجب. كما أن الإعراض عن الكسب والحمول بدعوى التوكل، له آفات ومفاسد يصعب حصرها. وهذا الموقف أي (الإعراض عن الأسباب بالكلية) حكم عليه العلماء بأنه قدح في الشرع.

٣) نفي تأثير الأسباب بالكلية: وصف العلماء هذا القول بأنه (نقص في العقل) وهو قول القدرية الجبرية، وهم يرون أن الله لم يخلق شيئاً سبباً، ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر. وغرضهم الرد على القدرية النفاة لكنهم ردوا باطلاً بباطل. وهذا الموقف فاسد باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع لأن العالم بين أمر الله القدري قال الله تعالى: (وكل شيء خلقناه بقدر)^(٣) وقوله تعالى: (فأتبع سبباً)^(٤) وبين أمر الله الشرعي في قوله تعالى: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم)^(٥).

٤) قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى: هذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو الحق الذي دل عليه الشرع والعقل وهو الوسط في كل مذهب فائت للأسباب تأثيراً في مسبباتها، لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله فيها من القوى الموجبة، وهي تحت مشيئته وقدرته فإن شاء منع اقتضاءها وإن شاء جعلها مقتضية لأحكامها، فإن أهل السنة والجماعة يوجبون الأخذ بالأسباب ويعتقدون عدم منافاتها للتوكل؛ بل إن التوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، ويكون التوكل على

الخطيب في (تاريخه): جَمَعَ الحَالِلَ غُلُومَ أَحْمَدَ وَتَطَلَّبَهَا، وَسَافَرَ لِأَجْلِهَا، وَكَتَبَهَا، وَصَنَّفَهَا كِتَاباً، لَمْ يَكُنْ - فِيمَنْ يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ أَحْمَدَ - أَحَدٌ أَجْمَعَ لِدَلَالَةِ مَنْهُ. تُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَيْبَعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَلَهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧ / ٣٣٤).

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد الحاسبي البصري الأصل، الزاهد المشهور، وله كتب في الزهد والأصول وكتاب " الرعاية " له، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً، قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أن لا يأخذ ميراثه، وقال: صحت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يتوارث أهل ملتين شتى)، ومات وهو محتاج إلى درهم. وسئل عن العقل ما هو؟ فقال: نور الغريزة مع التجارب، يزيد ويقوى بالعلم والحلم. وكان يقول: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء. والحاسبي: بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة وبعدها باء موحدة. قال السمعاني: وعرف بهذه النسبة، لأنه كان يحاسب نفسه، وقال: كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه، وهجره فاستخفى من العامة، فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر. وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة. وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان لأبي بكر بن خلكان (٢ / ٥٧).

(٢) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامني ثم الصالحي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولد في بيت المقدس سنة (٧٠٨)، وتوفي بدمشق سنة (٧٦٣)، من تصانيفه (كتاب الفروع) و (النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية) في الفقه، وكتاب (أصول الفقه) و (الآداب الشرعية الكبرى)، وله شرح على (المنع) نحو ثلاثين جزءاً. انظر: الإعلام للزركلي (٧ / ١٠٧)، وانظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم ابن مفلح (٢ / ٥١٧).

(٣) سورة القمر: ٤٩.

(٤) سورة الكهف: ٨٥.

(٥) سورة الأعراف: ٣.

الخالق إيماناً جازماً أنه بيده ملكوت كل شيء، مع اتباع الأسباب في ظاهر الحال فقط قال تعالى: (وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)^(١). وفي جانب الرزق قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَلِلَّهِ النُّشُورُ)^(٢).

(٨) القتال في سبيل الله صفا

القتال في اللغة:

القتال في اللغة من (قتل) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (القاف والتاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إذلال وإماتة. يقال: قَتَلَهُ قَتْلًا. والقَتْلَةُ: الحالُ يُقْتَلُ عليها. أورد الجوهري في الصحاح: (والمقاتلة: القتال. وقد قاتلته قِتالًا وقِتالًا. وهو من كلام العرب. والمقاتلة، بكسر التاء: القوم الذين يصلحون للقتال. والقَتْلُ بالكسر: العدو. وقال: واغترابي عن عامر بن لُؤي... في بلاد كثيرة الأقتال)^(٣) وفي لسان العرب لابن منظور: (ويقال قاتل الله فلاناً أي عاداه وفي الحديث قاتل الله اليهود أي قتلهم الله، وقيل: لعنهم الله، وقيل عاداهم، قال ابن الأثير: وقد تكرر في الحديث، ولا يخرج عن أحد هذه المعاني. قال: وقد يرد بمعنى التعجب من الشيء كقولهم تَرَبَّتْ يده)

القتال في الاصطلاح الشرعي:

القتال في سبيل الله هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى، يمثل في الغالب أعلى درجاته وهو دفع الأعداء بالنفس والسلاح في ميدان المعركة.

وما ورد في القرآن الكريم بلفظ الحب الصريح من محبة الله للمقاتلين في سبيل الله صفا ما يلي:

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصِينَ)^(٤)، عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: «تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل إلينا رسول الله ﷺ رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، - يعني سورة الصف كلها - «^(٥). أورد القرطبي في تفسيره، قال: فيه ثلاث مسائل:

(١) سورة يوسف: ٦٧.

(٢) سورة الملك: ١٥.

(٣) للشاعر: عبد الله بن قيس الرقيات. انظر: إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ط ٤، ١٩٩٤م، ص: ١٦.

(٤) سورة الصف: ٤.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم حديث رقم: ٢٣٧٨٨ (٣٩ / ٢٠٥) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إنسانه صحيح على شرط الشيخين.

الأولى- قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا) أي يصفون صفا: والمفعول مضمّر، أي يصفون أنفسهم صفا. (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال الفراء: مرصوص بالرصاص. وقال المبرد: هو من رصصت البناء إذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة. وقيل: هو من الرصيص وهو انضمام الأسنان بعضها إلى بعض. والتراص التلاصق، ومنه وتراصوا في الصف. ومعنى الآية: يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء. وقال سعيد بن جبير^(١): هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم.

الثانية- وقد استدل بعض أهل التأويل بهذا على أن قتال الرجل أفضل من قتال الفارس، لأن الفرسان لا يصفون على هذه الصفة. المهدوي^(٢): وذلك غير مستقيم، لما جاء في فضل الفارس في الأجر والغنيمة. ولا يخرج الفرسان من معنى الآية، لأن معناه الثبات.

الثالثة- لا يجوز الخروج عن الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسلها الإمام، أو في منفعة تظهر في المقام، كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها. وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف على قولين أحدهما: أنه لا بأس بذلك إرهابا للعدو، وطلباً للشهادة وتحريضاً على القتال. وقال أصحابنا^(٣): لا يبرز أحد طالبا لذلك، لأن فيه رياء وخروجاً إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدو. وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر، كما كانت في حروب النبي ﷺ يوم بدر وفي غزوة خيبر، وعليه درج السلف^(٤). وهنا نعلم أن القتال في سبيل الله يندرج فيه حالات، وتقوم عليه أحكام، ومن حالاته: الاستعداد والتخطيط والهجوم والدفاع وحسم النتائج، وحصر الغنائم، وإن كانت الصورة القتالية في الآية تحت على قوة الاستعداد المادي والمعنوي، بالحرص على إظهار قوة التماسك بحسن الصف وقوة الرص والثبات فيه، فإن المسلم

(١) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، روى عن ابن عباس فأكثر وجود، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي، وأبي هريرة، وروى عن التابعين، مثل أبي عبد الرحمن السلمي. وكان من كبار العلماء. قرأ القرآن على ابن عباس. وعن عمر بن حبيب، قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث، فقلنا له في ذلك فقال: انشر برك حيث تعرف، قال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير بفارس، وكان يتحزن، يقول: ليس أحد يسألني عن شيء، وكان يكيئنا، ثم عسى أن لا يقوم حتى نضحك. قتل في زمن الحجاج، قال سالم بن أبي حفصة لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير، قال: أنا سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير، لأقتلنك. قال: فإذا أنا كما سمعتني أمي، ثم قال: دعوني أصل ركعتين. قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: (أيما تولوا فثم وجه الله)، وقال: إني أستعبد منك بما عازت به مريم. قال: وما عازت به؟ قال: قالت: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا). رواها ابن عيينة، عن سالم. ثم قال ابن عيينة: لم يقتل بعد سعيد إلا رجلا واحدا. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٣٢١).

(٢) أحمد بن عمار أبو العباس، العالم الفاضل المهدوي، صاحب التفسير، كان مقدما في القراءات والعربية ألف كتابا مفيدة، روى عن أبي الحسن القاسبي، وأخذ عنه أبو محمد غانم بن وليد المالقي، وقد كانت وفاته في حدود سنة ثلاث وأربعمائة، انظر: طبقات المفسرين للأندروني (٩٧/١). مقرئ أندلسي أصله من المهديّة بالقيروان. رحل إلى الأندلس، وصنف كتابا، منها (التفصيل الجامع لعلوم التزويل) وهو تفسير كبير للآيات، يذكر القراءات والاعراب، واختصره وسماه (التحصيل في مختصر التفصيل) انظر: الإعلام للزركلي (١/ ١٨٤).

(٣) أصحاب المذهب المالكي.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٨، ص: ٨١ - ٨٢.

المقاتل مأمور أيضا بالحفاظ على هذه القوة بتماسك الجماعة المقاتلة في الهجوم والدفاع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۚ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(١) وهذه حالة من حالات القتال في سبيل الله التي يتقدم المسلمون فيها من العدو وهم في حاجة قوية للتماسك وشد العزم، وتمثل حالة حرج وخطر وقد أبان ذلك مجملًا الشيخ السعدي في تفسيره قال: (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا} أي: في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقترب بعضهم من بعض، {فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، فإن في ذلك نصرة لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهابا للكافرين. {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ} أي: رجع {بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ} أي: مقره {جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد. ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم. أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة^(٢))

(١) سورة الأنفال: ١٥-١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٣١٧.

القسم الثاني

محاب الله الواردة بلفظ الحب الصريح في السنة النبوية

أولاً: محاب الله العقدية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) الحنيفية السمحة

(٢) أصحاب النبي ﷺ

(٣) المحبة في الله

(٤) العبد التقي الغني الخفي

(٥) أحب الأسماء إلى الله

ثانياً: محاب الله العبادية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) أحب الأعمال الصالحة إلى الله ووقتها محبوب.

(٢) الوتر.

(٣) أحب الكلام إلى الله.

(٤) سؤال الله.

(٥) قطرتان وأثران في سبيل الله .

(٦) العطاس وحمد الله بعده.

(٧) الأخذ بالرخص وإتيان العزائم.

ثالثاً: محاب الله الأخلاقية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) مكارم الأخلاق (حسن الخلق)

(٢) الحياء والستر.

(٣) العفو

(٤) الجمال.

(٥) المدح والعذر والغيرة والخيلاء

رابعاً: محاب الله العملية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) الرفق

(٢) رؤية أثر النعمة على العبد

(٣) اتقان العمل.

(٤) سماحة البيع والشراء والقضاء

أولاً: محاب الله العقدية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) الحنيفية السمحة

الحنيفية في اللغة:

الحنيفية في اللغة من (حنف) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الحاء والنون والفاء أصل مستقيم، وهو الميل. يقال للذي يمشي على ظهور قدميه أحنف)

وأورد الجوهري في الصحاح: (والحنيف: المسلم؛ وقد سمي المستقيم بذلك كما سمي الغراب أعور. وتحنف الرجل، أي عمل عمل الحنيفية، ويقال: اختن، ويقال: اعتزل الأصنام وتعبد)

وفي لسان العرب لابن منظور (وقال الزجاج نصب حنيفاً في هذه الآية على الحال، المعنى بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته ومعنى الحنيفية في اللغة الميل والمعنى أن إبراهيم حنف إلى دين الله ودين الإسلام).

ومما ورد في السنة النبوية بلفظ الحب الصريح من محبة الله للحنيفية السمحة:

بواب الإمام البخاري باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»^(١)، وعند الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة»^(٢)»^(٣).

قال الراغب الأصفهاني: (الحنف: هو ميل عن الضلال، إلى الإسلام)^(٤) وقيل الحنف عكس الجنف (الحنف ميل عن الضلال إلى الاستقامة، و الجنف ميل عن الاستقامة إلى الضلال)^(٥) وفي الجاهلية يدعى كل من اختن وحج البيت حنيفاً، على ما فعل إبراهيم من الاختن وأذانه بالحج إلى البيت، وعندما جاء الإسلام ارتبطت الحنيفية بالتوحيد على ملة إبراهيم عليه السلام، فكل من مال عن الشرك إلى التوحيد فهو حنيف، ومن لوازمها القيام بشعائر الإسلام. ويدل الحديث على أن السمحة صفة الحنيفية ومعناها السهلة، والملة السمحة التي لا حرج فيها ولا تضيق فيها على الناس، وهي ملة الإسلام التي بعث بها النبي ﷺ، ومنه نعلم أن الإسلام دين اليسر في المأمورات والمنهيات حين بذل الجهد والقدرة المستطاعة تحقيقاً للتقوى بأداء

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب الدين يسر (١٦/١) .

(٢) أما حديث أبي أمامة وفيه قول النبي ﷺ: إن لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة (رواه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه الكبير، فقد ضعفه شعيب الأرنؤوط وغيره.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢١٠٧ (٤ / ١٦) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: صحيح لغيره.

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاي، مصر: شركة مكتبة الباي والخلي، ١٣٨١هـ، ص: ١٣٣.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤١٠هـ، ص:

الفرائض والواجبات والانتهاز عن المنهيات. وقد شارك الإسلام الأديان السماوية قبله في الأصل وهو التوحيد وتميز في تشريعاته عنها، فمن مميزاته السماحة ومن أجل مظاهرها:

أ) الأمر بالعبادة المشروعة المستطاعة في نسق الحياة المتوازنة، والنهي عن الرهينة في الإسلام وفك الأغلال وتحليل الأصر التي كانت على من قبل.

ب) الأمر بالوسطية والاعتدال، والنهي عن التنطع، لأن الأمر في الإسلام وسط فلا إفراط ولا تفريط. قال الله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(١)

ج) الأمر بالصبر والصبر، وفتح باب الأمل إيماناً بالقضاء والقدر، مع النهي عن القنوط واليأس، فإن الله يقبل التوبة من عباده ويغفر الذنوب جميعاً، ورحمة الله وسعت كل شيء.

د) إقامة العدل وإشاعة السلام ومنع الظلم والعدوان والنهي عن الفواحش والآثام.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشمة وظلمه، ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث »^(٢). ويدل الحديث على أن الدين الحق ما أوصل صاحبه إلى السلامة، وسلك به طريق الاستقامة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أعظم الكرامة لزوم الاستقامة)^(٣)، وقيل للحنيف المائل مستقيماً، حيث قيل للأعرج: حنيفاً، تأملاً ونظراً له إلى السلامة أي: تفاؤلاً. ومعنى الحنيف: المسلم المائل إلى الدين المستقيم والجمع حنفاء. وتحنف أي تحرى الدين المستقيم. وإن كلمة حنيف التي معناها اللغوي الصرف هو أنها تطلق على من برجله عرج أي انحراف، فإن المعنى الاصطلاحي تطور من الحنف (العرج والاعوجاج) إلى تنكب الطريق الخاطئة، والميل إلى الطريق الصحيحة المخالفة لعوج ما عليه الآخرون، ويرونها سليمة لا عوج فيها، والتزمت بإبراهيم عليه السلام وطريقته التي سار عليها، وهي طريق مخالف لما كان قومه يتخذون من طرق يحسبونها صحيحة وهي في حقيقتها معوجة، فميل إبراهيم استقامة، وكل من مضى على ملته وطريقته فهو حنيفاً مستقيماً، فأصبحت الكلمة تطلق على كل من ابتعد عن دين اليهود والنصارى، وعن أوثان العرب وشركهم. ومنه القول (دين محمد حنيف) أي مستقيم لا عوج فيه. وقد وردت كلمة حنيف وجمعها (حنفاء) اثنتي عشرة

(١) سورة هود: ١١٢.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٧٢ (١٨٩/٦) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد، وقال الذهبي: رفع حديثين هما من قول عبد الله، قلنا (الأرناؤوط): هما هذا والذي قبله (حديث: استحيوا من الله...). وقال الدارقطني في العلل: والصحيح موقوف.

(٣) أمراض القلب وشفاؤها، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، القاهرة: المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٩٩هـ، ص:

مرة في القرآن الكريم، ويعارض بلفظ الحنيف لفظ المشرك؛ حيث الدين الحنيف هو دين الإنسان في أول نشأته (دين الفطرة)، حيث مال إليه المسلم بعد انحراف غيره عنه، ومما يؤكد هنا وجوب التمييز بين الحنيف وبين اليهودي أو المسيحي، قال الله تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى يَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(١) وأورد البغوي في تفسيره: (قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف، وهو ميل وعوج يكون في القدم، وقال سعيد بن جبير: الحنيف هو الحاج المختن. وقال الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم)^(٢).

وأورد الإمام ابن كثير يرحمه الله في تفسيره: (عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد فتتد. وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى يَهْتَدُوا) وقوله (بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) "أي: لا نريد ما دعوت إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا)"^(٣). أي الإسلام بالتوحيد ونبد الشرك وعليه تجمع الأقوال في معنى حنيفا وقد تعددت التأويلات فيه كما يلي:

(قال محمد بن كعب القرظي)^(٤): مستقيما. وقال ابن عباس: حاجًا....، وقال أبو العالية^(٥): الحنيف الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا. وقال مجاهد: حنيفًا، أي: متبعًا. وقال أبو قلابة^(٦): الحنيف الذي يؤمن بالرسول كلهم من أولهم إلى آخرهم. وقال قتادة: الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والحالات والعمات وما حرم الله، عز وجل والختان^(٧).

(١) سورة البقرة: ١٣٥.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ١٥٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ٤٤٨.

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٦) أبو قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن نائل بن مالك، الإمام، شيخ الإسلام، أبو قلابة الجرمي البصري، قدم الشام، حدث عن ثابت بن الضحاك، وعن أنس، ومالك بن الحويرث، وعن حذيفة في سنن، قال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام. وقال علي بن أبي حمزة: قدم علينا مسلم بن يسار دمشق، فقلنا له: يا أبا عبد الله، لو علم الله أن بالعراق من هو أفضل منك، لجاءنا به، كيف لو رأيتم عبد الله بن زيد أبا قلابة الجرمي! قال: فما ذهبت الأيام والليالي حتى قدم علينا أبو قلابة. قال القاضي عبد الجبار بن محمد الخولاني في تاريخ داريا: مولد أبي قلابة بالبصرة، وقدم [الشام] فترل داريا وسكن بها عند ابن عمه بيهس بن صهيب بن عامل بن نائل، وقال أحمد بن عبد الله: بصري، تابعي، ثقة. وقال علي بن المديني: أبو قلابة عربي من جرم، مات بالشام، وأدرك خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم توفي سنة أربع ومئة.. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٤٦٨).

(٧) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ٤٤٨.

(٢) أصحاب النبي ﷺ

الصحبة في اللغة:

الصحبة في اللغة من (صحب) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربتة. من ذلك الصَّاحِب والجمع الصَّحْب، كما يقال راكبٌ وركبٌ) أورد الجوهرى في الصحاح: (وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه. واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضاً، وأصله اصتحب. وأصحب البعير والدابة، إذا انقاد بعد صُعوبة) وفي لسان العرب لابن منظور: (والصَّحابة مصدر قولك صاحبك الله وأحسن صحابتك، وتقول للرجل عند التوديع مُعَاناً مُصَاحِباً، ومن قال مُعَانٌ مُصَاحِبٌ فمعناه: أنت معان مُصَاحِب، ويقال إنه لِمُصَاحِب لنا بما يُحِب، وقال الأعشى. فقد أراك لنا بالوُدِّ مُصَاحِباً، وفُلَانٌ صَاحِبٌ صِدْقٍ، واصططحب الرجلان وتصاحبا)

ومما ورد في السنة النبوية بلفظ الحب الصريح من محبة الله للصحابة مايلي:

- (١) عن عون^(١) بن أبي جحيفة قال: « كان أبي من شرط علي رضي الله عنه وكان تحت المنبر، فحدثني أبي أنه صعد المنبر يعني علياً رضي الله عنه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر رضي الله عنه وقال يجعل الله تعالى الخير حيث أحب »^(٢).
- (٢) عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يحب من أصحابي أربعة، أخبرني أنه يحبهم وأمرني أن أحبهم، قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: إن علياً منهم، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي»^(٣).

(١) عون بن أبي جحيفة واسمه وهب بن عبد الله السوائي الكوفي أخرج البخاري، قال أبو حاتم هو ثقة، قال ابن سعيد ذكروا أن النبي ﷺ توفي ولم يبلغ أبو جحيفة الحلم، انظر التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي المالكي. (٣ / ١١٩٢) قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره وحفظ عنه ثم صحب علياً بعده وولاه شرطة الكوفة لما ولى الخلافة، وفي الصحيح عنه رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلوفاً، فمات قبل أن نقبضها، وكان علي يسميه وهب الخير، قال الواقدي: مات في ولاية بشر على العراق، وقال ابن حبان: سنة أربع وستين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦ / ٦٢٦).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٨٣٧ (٢ / ٢٠٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده قوي.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٩٦٨ (٣٨ / ٦٧) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وضعفه الألباني في تحقيق الجامع الصغير للسيوطي. وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: ما خرج مسلم لأبي ربيعة. ولم يذكر الحاكم يعد علي أحداً. وعند البزار في مسنده بلفظ: عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى يحب أربعة وأمرني بحبهم قيل يا رسول الله من هم قال: علي منهم، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي.

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب أبي بكرؓ، حديث رقم: ٣٦٧٣ (٨/٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث رقم: ٦٦٥١ (١٨٨/٧).

(٤) قال ابن حجر في الفتح (وكذا في رواية عاصم عن أبي صالح ذكر سبب لهذا الحديث وهو ما وقع في أوله قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسيه خالد، فذكر الحديث). انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٤/٧).

(٥) رياض الخنة بتخريج أصول السنة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أي زمني)، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، المدينة المنورة: مكتبة الغباء الأثرية، ط ١، ١٤١٥ هـ، ص: ٢٦٣.

إيمان، ونؤمن بأنهن زوجات النبي ﷺ في الدنيا وفي الجنة^(١)، رضي الله عنهن جميعاً. أما تفضيل الصحابة بعضهم على بعض فهو محل تحقيق في النصوص الواردة في مقامهم، وليس هذا مكانه، فقد أصل فيه جهابذة وعلماء الشرع^(٢) بنصوص الكتاب والسنة، وميزوا العشرة المبشرين بالجنة، والسابقين إلى الإسلام وأهل الهجرة وأهل النصرة، وأهل بدر وأهل بيعة الشجرة والشهداء منهم والنقباء، والفتاحين وحفاظ الدين رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) المحبة في الله

الحبة في اللغة والاصطلاح:

الحبة في اللغة من (حب) وقد تم تعريفها في اللغة والاصطلاح العام والاصطلاح الشرعي وبيان فضلها وحكمها وأنواعها في المطلب الأول من هذه الدراسة، ونبين هنا أن الحبة في الله تعالى من أسس العلاقات بين المسلمين، حيث هي أصل الأخوة في دينه، ومن أعظم القربات، ولها شروط تتحقق بها، ومن قام بشروطها ومن أجلها الإخلاص لله، وقدم حقوقها ومن أعظمها بذل ما يستطيعه من نفع لأهل محبته في الدنيا والدين، واتخذ الطرق الشرعية في الوصال فتلك الحبة الصادقة، والألفة التي بها مرضاة الله، وتنال بها الدرجات العلى، حيث الألفة بين القلوب أمر إلهي خاص، فقلوب العباد بين أصابع الرحمن يقلبها حيث شاء، قال الله تعالى: (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٣) أورد ابن كثير في تفسيره (عن ابن مسعود رضي الله عنه: هم المتحابون في الله. وفي رواية^(٤): نزلت في المتحابين في الله)^(٥) والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان على الصحيح من السنة، وفي رواية أبي داود في سننه هما أفضل الأعمال، وقد ضعفها العلماء، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ»^(٦).

(١) في الصحيحين عن عطاء قال: (حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف فقال ابن عباس هذه زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رفعتم نعشها فلا ترزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا فإنه كان عند النبي ﷺ تسع كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة). ومعنى يقسم: قال الشراح (يقسم) من القسم وهو المبيت عند كل واحدة منهن بقدر ما يبيت عند غيرها بالتساوي. (لواحدة) هي سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها لأنها قد أسنت وأصبحت لا ترغب بما يرغب به النساء من المعاشرة؛ ولكنها أحبت أن تبقى على عصمتها ﷺ لتكون في جملة زوجاته في الجنة.

(٢) انظر: كتاب المناقب في الصحيحين والسنن الأربعة وشروحا. وانظر: فضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

(٤) رواه البزار في مسنده - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٠٧٧ (٤٣٩/٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٤، ص: ٨٥.

(٦) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، حديث رقم: ٤٦٠١ (٣٢٧/٤). وضعفه الألباني.

وقد أصل العلماء القدامى الحب والبغض في الله في متون العقيدة النثرية والشعرية ومن ذلك متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي والقصيدة النونية للإمام ابن القيم الجوزية، وعلى هذا نهج العلماء المعاصرين، وما قيل^(١):

فعاد الذي عـادى لدين محمد *** ووال الذي والاه من كل مهتد
وأحب لب الله من كان مؤمنا *** وأبغض لبغض الله أهل التمرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولا *** كذاك البرا من كل غاو ومعتدي

وقال صاحب موارد الظمان: (قال ابن رجب يرحمه الله تعالى: (ومن تمام محبة الله ما يحبه وكرهه ما يكرهه، فمن أحب شيئا مما كرهه الله، أو كره شيئا مما يحبه الله، لم يكمل توحيده و صدقه في قوله لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما أحبه الله، و ما أحبه مما يكرهه الله))^(٢) و قال ابن القيم رحمه الله: (من أحب شيئا سوى الله، و لم تكن محبته له لله، و لا لكونه معينا له على طاعة الله، عذب به في الدنيا قبل يوم القيامة كما قيل^(٣) :

أنت القتل بكل من أحبته *** فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فإذا كان يوم المعاد ولي الحكم العدل سبحانه كل محب ما كان يحبه في الدنيا فكان معه: إما منعما أو معذبا)^(٤)
وما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله للمتحابين في الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»^(٥).

(١) من أقوال الشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٦ - ١٣٤٩ هـ) وهو من الأئمة المعاصرين في نجد الجزيرة العربية، والمهتمين بتصحيح العقيدة. انظر: الدرر السنية في الكتب النجدية ، علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٦، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م. (٦٦/٢).

(٢) موارد الظمان لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد الحسن السلطان، ط٣٠، ١٤٢٤ هـ، ج٢، ص: ٢٤٩.

(٣) هذا البيت لابن الفارض، ورد في (الكشكول)، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ، ج٢، ص: ١٨١.

(٤) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي ، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥، ج١، ص: ٣٩.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأذان- باب الصدقة باليمين ، حديث رقم: ١٤٢٣ (١١١/٢) وانظر: صحيح مسلم- كتاب الزكاة- باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ٢٤٢٧ (٩٣/٣).

قال ابن بطال في شرح الحديث قوله: (صفة التحاب في الله تعالى أن يكون كل واحد منهما لصاحبه في توأصلهما وتحابهما، بمثلة نفسه في كل ما نابه) ^(١) ونصوص السنة في محبة المؤمن لأخيه المؤمن على تناصح وتوَادد وتآزر كثيرة جداً، منها عن النعمان بن بشير قال: سمعت النبي عليه السلام يقول: «مثل المؤمنين مثل الجسد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد» ^(٢) وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ) ^(٣) وعن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن» ^(٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام زاد فيه: «إذا رأى فيه عيباً أصلحه» ^(٥). وأكد ابن بطال هذه العلاقة بقول الطبري: (فالأخ في الله كالذي وصف به رسول الله المؤمن للمؤمن وأن كل واحد منهما لصاحبه بمثلة الجسد الواحد؛ لأن ما سر أحدهما سر الآخر وما ساء أحدهما ساء الآخر، وأن كل واحد منهما عون لصاحبه في أمر الدنيا والآخرة، كالبنيان يشد بعضه بعضاً و كالمِرآة له في توقيفه إياه على عيوبه، ونصيحته له في المشهد والمغيب وتعريفه إياه من خطئته، وما فيه صلاحه ما يخفى عليه، وهذا النوع من الإخوان في زماننا كالكبريت الأحمر، وقد قيل هذه قبل هذا الزمان؛ كان يونس بن عبيد تقول: ما أنت بواجِد) ^(٦) والحياة تفقد كثيراً من معناها بدون الصحبة والأصحاب، والمعنى الرشيد فيها أن يكون الصاحب رشيداً، والأمر بينهما حميداً، فلا يصحب المرء إلا أحد رجلين: رجلاً تتعلم منه شيئاً في أمر دينك ودنياك فينفعلك أو رجلاً تعلمه شيئاً في أمر دينه ودنياه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه فليس بصاحب.

(٤) العبد التقي الغني الخفي ^(٧)

معنى الغني في اللغة:

الغني في اللغة من (غني) كما ورد عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الغين والنون والحرف المعتل أصلاً صحیحان، أحدهما يدلُّ على الكفاية، والآخر صوت. فالأول الغنى في المال. يقال: غني يغني غنى. والغناء بفتح الغين مع المد: الكفاية)

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٩، ص: ٢٣٧.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٦٧٥١ (٢٠/٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم: ٤٨١ (١٠٣/١) وانظر صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٦٧٥٠ (٢٠/٨).

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في النصيحة والحياطة، حديث رقم: ٤٩٢٠ (٤٣٢/٤)

(٥) الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب بن أبو محمد المصري، (ت: ١٩٧هـ)، المحقق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، الرياض: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦م، ج ١، ص: ٣٠٠.

(٦) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٩، ص: ٢٣٧.

(٧) تقدم معنى التقوى في محاب الله في القرآن رقم (٣) قال الله تعالى: (إن الله يحب المتقين).

أورد الجوهري في الصحاح: (غَنِيَ به عنه غُنْيَةً. وَغَنَيْتِ المرأةَ بزوجهَا غُنْيَانًا، أي استغنت. وغني بالمكان، أي أقام. وغني، أي عاش. وأَغْنَيْتُ عنكَ مُغْنَى فلانٍ وَمَغْنَى فلانٍ، وَمَعْمَاةَ فلانٍ، إذا أَجْزأتِ عنكَ مُجْزَأَهُ. ويقال: ما يُغْنِي عنكَ هذا، أي ما يجزئُ عنكَ وما ينفَعُك. والغَانِيَةُ: الجاريةُ التي غَنَيْتْ بزوجهَا. قال جميل:

أَحِبُّ الأَيَّامِي إِذْ بَثِينَةُ أَيِّمٍ... وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنَيْتِ الْعَوَانِيَا

وقد تكون التي غَنَيْتْ بحسنها وجمالها. والأَغْنِيَةُ: الغِنَاءُ؛ والجمع الأغانيُ)

وفي لسان العرب لابن منظور: (في أسماء الله عز وجل الغِنِيُّ، (ابن الأثير) هو الذي لا يَحْتَاجُ إلى أَحَدٍ في شيءٍ، وكلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إليه، وهذا هو الغِنَى المَطْلَقُ) .

معنى الخفي في اللغة:

أصل كلمة (الخفي) كما أورد ابن فارس في معجم اللغة من (خفي) قال: (الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان. فالأوّل السّتر، والثاني الإظهار.

فالأوّل خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى؛ وأخْفَيْتُهُ، وهو في خَفِيَةٍ وَخَفَاءٍ، إذا سَتَرْتَهُ، ويقولون: بَرِحَ الخَفَاءُ، أي وَضَحَ السِّرُّ وبدا ويقال لما دُونَ رِيَشَاتِ الطَّائِرِ العِشْرَ، اللّوَاتِي فِي مَقْدَمِ جَنَاحِهِ: الخَوَافِي. والخَوَافِي: سَعَفَاتٌ يَلِينُ قَلْبُ النَّخْلَةِ والخَافِي: الجنّ. ويقال للرجُلِ المستترِ مستخفٍ.

والأصل الآخر خفا البرقُ خَفَوًا، إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف)

أورد الجوهري في الصحاح: (الأصمعي: خَفَيْتُ الشَّيْءَ أَخْفَيْهِ: كَتَمْتَهُ. وَخَفَيْتُهُ أَيضًا: أَظْهَرْتَهُ، وهو من الأضداد. وأبو عبيدة مثله. يقال: خَفَى المطرُ الفأْرَ، إذا أخرجَهُنَّ من أنفاقهنَّ، أي من جحرهنَّ).

وفي لسان العرب لابن منظور: (وَخَفِيَ الشَّيْءُ خَفَاءً فَهُوَ خَافٍ وَخَفِيٌّ لَمْ يَظْهَرْ وَخَفَاهُ هُوَ وَأَخْفَاهُ سَتَرَهُ وَكَتَمَهُ).

ومماورد في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله للأتقياء من عباده مايلي:

عن عامر^(١) بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد رضي الله عنه في غنم له خارجاً من المدينة، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه قال: يا أبت أَرْضَيْتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيًّا فِي غَنَمِكَ وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْمَلِكِ بِالْمَدِينَةِ، فَضَرَبَ سَعْدٌ رضي الله عنه صدر عمر وقال: اسكت أُنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجِبُ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»^(٢).

(١) عامر بن سعد بن أبي وقاص (واسمه: مالك) بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن لؤي القرشي الزهري المدني أخو إبراهيم وإسحاق وعمر ومصعب ويحيى ومحمد ويعقوب توفي سنة أربع ومائة انظر: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (١١٥/٣) وانظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر الكلاباذي (٥٥٥/٢) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٩/٤).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند أبي سحاق سعد بن أبي وقاص، حديث رقم: ١٤٤١ (٥١/٣) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

عن زيد بن أسلم^(١) عن أبيه: أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكي فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكي حديث سمعته من رسول الله ﷺ: يقول: اليسير من الرياء شرك و من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا و إن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة^(٢).

ثمار و فوائد التقوى في الدنيا والأخرى

إن المتتبع لثمار التقوى وفوائدها على الناس عامة وعلى العبد التقى خاصة يجد أنها أصل السعادة البشرية كما قال الحطيئة^(٣):

ولست أرى السعادة جمع مال ** ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً ** وعند الله للأتقى مزيد

وما لا بد أن يأتي قريب ** ولكن الذي يمضي بعيد

وقال آخر^(٤):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى ** تَقَلَّبَ غُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا

وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ ** وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا

وبصورة مجملة فقد جمعت آثار التقوى على أهلها في الدنيا والآخرة من آيات القرآن الكريم فأعطيني صورة كاملة تبين أعلى درجات السعادة:

أولاً: الفوائد المترتبة على التقوى في الدنيا كثيرة ومن أهمها:

إن التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان وحمايته من ضرر الشيطان، وفتح عليه بالخير من بركات السماء والأرض في تحصيل الرزق والسعة من حيث لا يحتسب، وبها يكون توفيق الله للعبد في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما، وسبب للخروج من الضيق و المأزق، وسبب لنيل الولاية فأولياء الله هم المتقون، وإن التقوى سبب لنيل معية الله الخاصة، فمعية الله لعباده تنقسم إلى قسمين :

(١) زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام البلوي، حليف بني العجلان، وهو بن عم ثابت بن أقرم، ذكره موسى بن عقبة والزهري وابن إسحاق فيمن شهد بدرا، وقيل إنه من بني عمرو بن عوف بن الأوس، وزعم ابن الكلبي أن طليحة قتلته، وذكره ضرار بن صرد أحد الضعفاء بسنده عن عبيد الله بن أبي رافع، فيمن شهد صفين مع علي. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥٩١/٢).

(٢) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب من ترجى له السلامة من الفتن، حديث رقم: ٣٩٨٩ (١٢٦/٥) ضعفه الألباني.

(٣) الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، ج ٢، ص: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) ديوان أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني. من شعراء القرن الثاني الهجري (١٣٠ - ٢١١ هـ).

الأولى: معية عامة: وهي شاملة لجميع العباد بسمعه، وبصره، وعلمه، فالله سبحانه سميع، وبصير، وعليم بأحوال عباده، قال تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(١).

وأما المعية الثانية: فهي المعية الخاصة: التي تشمل النصر، والتأييد، والمعونة، كما قال تعالى: (وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)^(٢) كما أن العاقبة تكون لأهل التقوى، قال الله تعالى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) وأما سبب حصول البشرى في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس له والثناء عليه، وهي سبب لحفظ النساء من أن يطمع بهن من في قلبه مرض، وسبب لعدم الجور في الوصية، و سبب في إعطاء المطلقة متعتها الواجبة لها وسبب في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة وسبب حصول الهداية.

ثانياً: الفوائد المترتبة على التقوى في الآخرة كثيرة ومن أهمها:

أما سبب للإكرام عند الله عز وجل، قال الله تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّكُمْ)^(٣) وهذا فوز وفلاح ونجاة يوم القيامة من عذاب الله، وإن لهم البشرى في الآخرة بالألا يحزهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة بالبشرى، وإنهم يحشرون يوم القيامة إلى الله تعالى وفداً، كما أن التقوى سبب لقبول الأعمال وسبب قوي لأن يرث أهلها الجنة ويدخوها بسلام آمنين، وذلك لأن الجنة أعدت لهم، وهي سبب لعدم الخوف والحزن وعدم المساس بالسوء يوم القيامة، و سبب في عدم مساواتهم بالفجار والكفار، حيث كل صحة وصداقة لغير الله تنقلب يوم القيامة إلى عداوة إلا صحة المتقين وإن المتقين: لهم نعم الدار تضاعف أجورهم وحسناتهم فيها، قال الله تعالى: (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ)^(٤).

(٥) أحب الأسماء إلى الله

لقد اقتضت سنة الله في حياة الإنسان، أن يكون لكل فرد اسم يرمز به إليه، وينادى به، وبه يخاطب، ولولا وجود العلمية هذه لاختلطت حياة البشر. وتاريخ بني آدم على الأرض مليء بالأحداث المؤثرة في اللغات ومنطق الكلمات؛ مما جعل التنوع في معاني الأسماء يرتبط بتلك الأحداث، وفي دين الإسلام كان أكبر المؤثرات في حياة المسلم عقيدة التوحيد، والشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، المحافظة على هذه العقيدة والداعية إليها وقد جاءت السنة في التدب إلى التسمي بما يقرر هذا.

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح لما يحب الله تعالى من الأسماء ما يلي:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(٥). وعلق ابن القيم يرحمه الله على هذين الاسمين بقوله: (وَلَمَّا كَانَ الْإِسْمُ مُقْتَضِيًا لِمُسَمَّاهُ

(١) سورة الحديد: ٤.

(٢) سورة البقرة: ١٩٤.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) سورة النحل: ٣٠.

(٥) انظر: صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم: ٥٧٠٩ (٦).

وَمُؤَثَّرًا فِيهِ، كَانَ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ مَا اقْتَضَى أَحَبُّ الْأَوْصَافِ إِلَيْهِ كَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ إِضَافَةُ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى اسْمِ اللَّهِ وَاسْمِ الرَّحْمَنِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ إِضَافَتِهَا إِلَى غَيْرِهِمَا، كَالْقَاهِرِ وَالْقَادِرِ، فَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَبْدِ الْقَادِرِ وَعَبْدُ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَبْدِ رَبِّهِ؛ وَهَذَا لِأَنَّ التَّعَلُّقَ الَّذِي بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ الْعُبُودِيَّةُ الْمَخْصُصَةُ وَالتَّعَلُّقُ الَّذِي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ بِالرَّحْمَةِ الْمَخْصُصَةِ، فَبِرَحْمَتِهِ كَانَ وَجُودُهُ وَكَمَالُ وَجُودِهِ، وَالْعَايَةُ الَّتِي أَوْجَدَهُ لِأَجْلِهَا أَنْ يَتَّأَلَّهَ لَهُ وَحْدَهُ مَحَبَّةً وَخَوْفًا، وَرَجَاءً وَاجْتِلَالًا وَتَعْظِيمًا، فَيَكُونُ عَبْدًا لِلَّهِ وَقَدْ عَبْدَهُ لِمَا فِي اسْمِ اللَّهِ مِنْ مَعْنَى الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ لغيرِهِ، وَلَمَّا غَلَبَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبُهُ وَكَانَتْ الرَّحْمَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُصْبِ؛ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ^(١) وَمَا يَجْدُرُ مَعْرِفَتُهُ هُنَا أَنَّ الْإِسْلَامَ قِيدَ الْأَسْمَاءِ بِضَوَابِطِ مَهْمَةٍ، يَكُونُ لَهَا الْأَثَرُ فِي الْحَيَاةِ وَتَنْطَلِقُ مِنْ أَصُولِ السَّادِينَ وَفُرُوعِهِ، فَنَهَى عَنِ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّزْكِيَةِ، وَالْأَسْمَاءِ ذَاتِ الْمَعَانِي الْغَلِيظَةِ وَالتَّشَاؤُمِيَّةِ، وَالصَّلْدَةِ الَّتِي لَا تَتَنَاسَبُ مَعَ شَخْصِيَّةِ الْمُسْلِمِ، وَشَرَعَ تَبْدِيلَ الْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْمَرْغُوبِ فِي مَعْنَاهُ أَوْ لَفْظِهِ إِلَى اسْمٍ آخَرَ جَمِيلٍ فِي مَعْنَاهُ وَلَفْظِهِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأْيَهُنَّ بَدَأْتَ. وَلَا تُسَمِّنَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا، وَلَا رِبَاحًا، وَلَا نَجِيحًا، وَلَا أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلَا يَكُونُ. فَيَقُولُ: لَا». إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ. فَلَا تَزِيدَنَّ عَلَيَّ^(٢).
أورد ابن بطلال في اختيار الاسم الحسن (قال الطبري: فلا ينبغي لأحد أن يتسمى باسم قبيح المعنى، ولا باسم معناه التزكية والمدح، ولا باسم معناه الذم والسب، بل الذي ينبغي أن يسمى به ما كان حقًا وصدقًا)^(٣) وإن من سنن الإسلام ومحاسنه اختيار الاسم الحسن الطيب للولد، ولعل من خير الأسماء، أسماء الأنبياء وما كان حسنًا من أسماء الآباء والصالحين: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامًا فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»^(٤).

وَعَنْ أَبِي وَهَبٍ الْجُشَمِيِّ رضي الله عنه وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدُقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ»^(٥).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ٢، ص: ٣٤٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، حديث رقم: ٥٧٢٤ (١٧٢/٦).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٩، ص: ٣٤٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: ٦١٦٧ (٧٦/٧).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في تغيير الأسماء، حديث رقم: ٤٩٥٢ (٤/٤٤٣). وانظر: سنن النسائي - كتاب الخيل - باب ما يستحب من شية الخيل، حديث رقم: ٤٣٩١ (٤/٣١٤) وانظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٩٠٣٢ (٣١/٣٧٧) قال الألباني: صحيح، دون قوله: "تسموا بأسماء الأنبياء" وفي صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغوه. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف لجهالة عقيل بن شبيب فقد تفرد بالرواية عنه محمد بن مهاجر وهو الأنصاري ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان.

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ» ^(١).

وعند مسلم وغيره النهي عن التكني بكنية النبي ﷺ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ نَادَى رَجُلٌ رَجُلًا بِالْبَقِيعِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّي لَمْ أَعْنِكَ إِنَّمَا دَعَوْتُ فَلَانًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَمُّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُؤْا بِكُنْيَتِي» ^(٢). وفي تحقيق العلماء من خص ذلك بوقت حياة النبي ﷺ وأجاز التكني بها والتسمية باسم النبي ﷺ بعد مماته، وقد أورد الإمام النووي جمع القاضي عياض لهذه المسألة، قال: (اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة، وجمعها القاضي وغيره: أحدها مذهب الشافعي وأهل الظاهر أنه لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلاً سواء كان اسمه مُحَمَّدًا أو أَحْمَدَ، أم لم يكن، لظاهر هذا الحديث. والثاني أن هذا النهي منسوخ؛ فإن هذا الحكم كان في أول الأمر لهذا المعنى المذكور في الحديث، ثم نسخ. قالوا: فيباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد، سواء من اسمه مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وغيره، وهذا مذهب مالك. قال القاضي: وبه قال جمهور السلف، وفقهاء الأئصار، وجمهور العلماء. قالوا: وقد اشتهر أن جماعة تكنؤن بأبي القاسم في العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلى اليوم، مع كثرة فاعل ذلك، وعدم الإنكار. الثالث مذهب ابن جرير أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه والادب، لا للتحریم. الرابع أن النهي عن التكني بأبي القاسم مختص بمن اسمه مُحَمَّدٌ أو أَحْمَدَ، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة من السلف، وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر. الخامس أنه ينهى عن التكني بأبي القاسم مطلقاً، وينهى عن التسمية بالقاسم لئلا يكتنى أبوه بأبي القاسم، وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث، فسماه عبد الملك، وكان سماً أولاً القاسم، وفعله بعض الأئصار أيضاً. السادس أن التسمية بمُحَمَّدَ ممنوعة مطلقاً، سواء كان له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبي ﷺ: (تُسَمُّونَ أَوْلَادَكُمْ مُحَمَّدًا ثُمَّ تُلْعَنُونَهُمْ) وكتب عمر إلى الكوفة ^(٣): لا تُسَمُُّوا أَحَدًا بِاسْمِ نَبِيِّ، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم مُحَمَّدَ، حتى ذكر له

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم: ٥٧٢١ (١٧١/٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب كنية النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٥٣٨ (١٨٦/٤) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم: ٥٧٠٨ (١٦٩/٦).

(٣) الكوفة بالضم المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسمى قوم خد العذراء، وسميت الكوفة لاستدارتها، وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها، وقيل سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، وذهبت جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة، وقال آخرون سميت كوفة لأن جبل سائيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقيل غير ذلك، وأما قصرها فكان في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧هـ، وقال قوم إنما مصرت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩هـ انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٤٩٠).

جَمَاعَةٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَسَمَّاهُمْ بِهِ فَتَرَكَهُمْ. قَالَ الْقَاضِي: وَالْأَشْبَهُ أَنَّ فِعْلَ عُمَرَ هَذَا إِعْظَامٌ لِسَمِّ النَّبِيِّ ﷺ لَنَّا يُنْتَهَكُ الْأَسْمُ كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ (تُسَمُّونَهُمْ مُحَمَّدًا ثُمَّ تَلْعُونَهُمْ). وَقِيلَ: سَبَبَ نَهَى عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِمُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ: فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَعَاهُ عُمَرُ، فَقَالَ: أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُسَبِّ بِكَ، وَاللَّهِ لَا تَدْعِي مُحَمَّدًا مَا بَقِيتَ، وَسَمَّاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ^(١) ويسمى المولود في اليوم الثالث من ولادته أو يوم سابعه على اختلاف، وثبت من فعل النبي ﷺ تسمية المولود في يوم ولادته ﷺ عند ولادة ابنه إبراهيم ابن مارية رضي الله عنها، فسماه من ليلته، وهو ما وجه به العلماء (وقال البيهقي في سننه: باب تسمية المولود حين يولد وهو أصح من السابع ثم روى من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة إلى رسول الله حين ولد، ورسول الله يهنأ بعيرا له، فقال له: هل معك تمر؟ قلت: نعم، فناولته تمرات فألقاهن في فيه، فلا كهن، ثم فغر فم الصبي، فمجسه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه، فقال النبي: حب الأنصار التمر، أخرجاه في الصحيحين من حديث أنس بن سيرين عن أنس بن مالك وذكر حديث يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمر^(٢)) وهو الذي عليه العمدة في تحقيق العلماء والله أعلم.

وقال ابن القيم يرحمه الله في هدي النبي ﷺ في الكنى والأسماء: (تَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلَاقِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ، وَتَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا تُسَمِّنَ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ؛ فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمْتُ هُوَ؟ فَلَا يَكُونُ، فَيُقَالُ: لَا، وَتَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ أَنْتَ جَمِيلَةٌ، وَكَانَ اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةً فَغَيَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِاسْمِ جُوَيْرِيَةَ. وَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَمَّى بِهَذَا الْأَسْمِ، فَقَالَ: لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ. وَغَيَّرَ اسْمَ أَصْرَمَ بِزُرْعَةَ وَغَيَّرَ اسْمَ أَبِي الْحَكَمِ بِأَبِي شَرِيحٍ، وَغَيَّرَ اسْمَ حَزْنٍ جَدَّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَجَعَلَهُ سَهْلًا فَأَبَى، وَقَالَ "السَّهْلُ يُوطَأُ وَيُمْتَنَهُنَّ". قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَغَيَّرَ النَّبِيُّ ﷺ اسْمَ الْعَاصِ وَعَزِيزٍ وَعَثْلَةَ وَشَيْطَانَ وَالْحَكَمَ وَغُرَابَ وَحَبَابَ وَشَهَابَ، فَسَمَّاهُ هَشَامًا، وَسَمَّى حَرْبًا سَلَمًا، وَسَمَّى الْمُضْطَجِعَ الْمُتَنَبِّعَ وَأَرْضًا عَفْرَةَ سَمَّاهَا خَضِرَةً، وَشَعْبُ الضَّلَالَةِ سَمَّاهُ شَعْبَ الْهُدَى، وَبَنُو الزُّلْيَةِ سَمَّاهُمْ بَنِي الرَّشْدَةِ، وَسَمَّى بَنِي مُغْوِيَةَ بَنِي رِشْدَةَ^(٣))

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٤، ص: ١١٢ - ١١٣.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: مكتبة دار البيان، ط ١، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص: ١٠١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ - ١٤٠٨ هـ، ج ٢، ص: ٣٣٤ - ٣٣٦.

ثانياً: محاب الله العبادية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) أحب الأعمال الصالحة إلى الله وأوقاتها

من أصول العلم الشرعي أن للعمل الصالح شرطين:

(١) الإخلاص لله عز وجل: قال الله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)^(١) وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ »^(٢).

(٢) المتابعة للسنة النبوية المطهرة . قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)^(٣) وقال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٤) وعن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)^(٥).

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح في محبة الله للأعمال الصالحة وأوقاتها مايلي:

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فقالوا يا رسول الله: «وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(٦).

(٢) عن أبي عمرو الشيباني^(٧) يقول: «أخبرنا صاحب هذه الدار - وأوماً بيده إلى دار عبد الله - قال:

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم: ٧٦٦٦ (٨/ ٢٢٣).

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.

(٤) سورة الحشر: ٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم: ٢٦٩٧ (٣/ ١٨٤). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: ٤٥٨٩ (٥/ ١٣٢).

(٦) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصوم - باب في صوم العشر حديث، رقم: ٢٤٤٠ (٢/ ٣٠١) وانظر سنن الترمذي - كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في العمل في أيام العشر، حديث رقم: ٧٥٧ (٣/ ١٣٠) وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الصيام - باب صيام العشر، حديث رقم: ١٧٢٧ (٣/ ٣٠١) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٢٢٨ (٥/ ٢٨٦) صححه الألباني.

(٧) أبو عمرو الشيباني هو سعد بن إياس الكوفي، من بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، صاحب ابن مسعود روى عن علي، وابن مسعود، وحذيفة، وروى عنه: منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، والوليد بن العيزار، وإسماعيل بن أبي خالد، وأبو معاوية عمرو بن عبد الله النخعي، أدرك الجاهلية وكاد أن يكون صحابياً. وعاش مئة عام وعشرين عاماً، فعنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أرعى إبلاً بكاطمة. قال: وكنت يوم القادسية ابن أربعين سنة. قال عاصم بن أبي النجود: كان أبو عمرو الشيباني يقرأ القرآن في المسجد الأعظم، فقرأت عليه، ثم سألته عن آية، فأتهمني بهوى. وقال يحيى بن معين: كوفي، ثقة. قلت: هو من رجال الكتب الستة. ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك، توفي سنة ثمان وتسعين للهجرة انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٧٣) وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/ ٥٨٣).

سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله - قال: حدثني بمن، ولو استزددته لزادني»^(١).

٣) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي وَيَسْطُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَوَبُّونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ^(٢).

إن من حكم الله تعالى أن فضل الناس بعضهم على بعض درجات، في العمل والرزق والعمر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، وكذلك فضل القرون والسنين والشهور والليالي والأيام، بل شر الزمان آخره، وتقوم الساعة على شرار الخلق وما على الأرض من يقول: الله.. الله، ومن التوفيق والهداية أن يتدارك المسلم عمره بالعمل الصالح طول حياته، ويحرص على المداومة عليه وإن قل، فهو من محاب الله فإن القليل المتصل خير من الكثير المنقطع، وعليه أن يقدم فضائل الأعمال من الصلاة في وقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله، كما عليه أن يتحين فضائل الأوقات والأيام للاجتهاد فيها؛ فينال عظيم الأجر حيث خست بمحبة الله تعالى ومن ذلك العمل الصالح في أيام العشر من ذي الحجة (سئل شيخ الإسلام أيما أفضل يوم عرفة أو الجمعة أو الفطر أو النحر؟ فأجاب: الحمد لله، أفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة باتفاق العلماء وأفضل أيام العام هو يوم النحر، وقد قال بعضهم يوم عرفة، والأول هو الصحيح لأن في السنن عن النبي ﷺ أنه قال (أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر، لأنه يوم الحج الأكبر، في مذهب مالك والشافعي وأحمد، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (يوم النحر هو يوم الحج الأكبر، وفيه من الأعمال ما لا يعمل في غيره، كالوقوف بمزدلفة ورمي جمرة العقبة وحدها، والنحر والحلق وطواف الإفاضة؛ فإن فعل هذه فيه أفضل بالسنة واتفاق العلماء والله أعلم)^(٣). وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية يرحمهما الله: (وسئل عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟ فقال أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب، وجده شافيا كافيا، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيها يوم عرفة ويوم النحر ويوم التروية، وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الأحياء التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر، فمن أجاب بغير هذا التفصيل لم يمكنه أن يدلي بحجة صحيحة)^(٤).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم: ٥٢٧ (١/١١٢) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم: ٢٦٤ (١/٦٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب الجلوس على الحصى ونحوه، حديث رقم: ٥٨٦١ (٧/١٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ٢٥، ص: ٢٨٨.

(٤) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤١٦ هـ، ج ٣، ص: ٦٨٣.

(٢) الوتر

الوتر في اللغة:

الوتر في اللغة من (وتر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الواو والتاء والراء: باب لم تَجِيْ كَلِمُهُ عَلَى قِيَاسٍ وَاحِدٍ، بَلْ هِيَ مُفْرَدَاتٌ لَا تَتَشَابَهُ. فَالْوَتِيرَةُ: غُرَّةُ الْفَرَسِ مُسْتَدِيرَةٌ. وَالْوَتِيرَةُ: شَيْءٌ يُتَعَلَّمُ عَلَيْهِ الطَّعْنُ. وَالْوَتِيرَةُ: الْمَدَاوِمَةُ عَلَى الشَّيْءِ، يُقَالُ: هُوَ عَلَى وَتِيرَةٍ. وَالْوَتَرُ: الدَّخْلُ^(١)، يُقَالُ وَتَرْتُهُ أَتَرُهُ وَتَرًّا. وَالْوَتَرُ وَالْوَتْرُ: الْفَرْدُ. وَوَتَرُ الْقَوْسِ مَعْرُوفٌ. يُقَالُ وَتَرْتَهَا وَأَوْتَرْتَهَا. وَالْوَتْرَةُ: طَرَفُ الْأَنْفِ).

أورد الجوهري في الصحاح: (وَتَرَى أَصْلَهَا وَتَرَى مِنَ الْوَتْرِ، وَهُوَ الْفَرْدُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى"، أي واحداً بعد واحد) وفي لسان العرب لابن منظور: (ناقة مُوَاتِرَةٌ هِيَ الَّتِي تَضَعُ قَوَائِمَهَا بِالْأَرْضِ وَتِرًا وَتَرًّا عِنْدَ الْبُرُوكِ وَلَا تَزُجُّ نَفْسَهَا زَجًّا فَتَشُقُّ عَلَى رَاكِبِهَا)

وفي تفسير قول الله تعالى: (وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)^(٢) أورد الإمام ابن كثير في تفسيره^(٣) عشرة من أقوال العلماء في الشفع والوتر، هي:

١) الوتر يوم عرفة، لكونه التاسع، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر. وقاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك أيضاً.

٢) الشفع يوم عرفة، والوتر ليلة الأضحى .

٣) الشفع في سورة البقرة: قول الله، عز وجل: { فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ } والوتر قوله: { وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ }.

٤) الخلق كلهم، شفع ووتر، أقسم تعالى بخلقه.

٥) الله وتر واحد، وأنتم شفع.

٦) الشفع صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب.

٧) الشفع الزوج، والوتر: الله عز وجل.

٨) الله الوتر، وخلقه الشفع (الذكر والأنثى).

٩) هو العدد، منه شفع ومنه وتر.

١٠) الشفع اليومان، والوتر اليوم الثالث .

(١) الدَّخْلُ: الْحَقْدُ وَالْعِدَاوَةُ. يُقَالُ: طَلَبَ بِدَخْلِهِ، أَيْ بِثَأْرِهِ. انظر: الصحاح للجوهري (١/٢٢٤).

(٢) سورة الفجر: ١-٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٣٩١.

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله للوتر، مايلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ اسْمًا. مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثُرٌ. يُحِبُّ الْوُتْرَ». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ «مَنْ أَحْصَاهَا»^(١).

إن الوتر دلالة الوجدانية لله عز وجل وتعالى، وتزويه له سبحانه عن الشريك والصاحبة والولد، والوجدانية هي الأصل الذي يقوم عليه الدين قال الله تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَأَذِنِّي فَلَمَّا فَرَغْنَا أَذْنَاهُ فَأَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ فَضَفَرْنَا شَعْرَهَا ثَلَاثَةَ قُرُونٍ وَأَلْقَيْنَاهَا خَلْفَهَا)^(٢) وثبت في السنة أكل النبي صلى الله عليه وسلم تمرات وترا حين خروجه لصلاة عيد الفطر، وفي الطهارة إذا استجمر واستجمر وترا وفي الزينة إذا اكتحل اكتحل وترا، وصلاة الوتر في الإسلام، سنة مؤكدة حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: بصيام ثلاثة أيام في كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام) - متفق عليه - وهي ختام لصلاة الليل، وعن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بينه وبين السائل، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ صَلَاةُ اللَّيْلِ؟ قَالَ «مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَصَلِّ رَكْعَةً وَاجْعَلْ آخِرَ صَلَاتِكَ وَتَرًا»^(٣). ووقتها بعد صلاة العشاء إلى الفجر، وعدد ركعاتها أقلها واحدة وأكثرها ثلاث عشرة، ومن سنن القراءة فيه ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الأولى بـ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى). وفي الثانية بـ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ). وفي الثالثة بـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ). فإذا فرغ قال عند فراغه:

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب لله مائة اسم غير واحد، حديث رقم: ٦٤١٠ (٨/ ٨٧) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم: ٦٩٨٥ (٨/ ٦٣).

(٢) سورة النحل: ٥١.

(٣) أم عطية الأنصارية، اسمها نسيبة بنت الحارث وقيل نسيبة بنت كعب قال: أحمد بن زهير: سمعت يحيى بن معين وأحمد بن حنبل يقولان: أم عطية الأنصارية نسيبة بنت كعب. قال أبو عمر: في هذا نظر لأن نسيبة بنت كعب أم عمارة. تعد أم عطية في أهل البصرة، كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، تمرض المرضى وتداوي الجرحى وشهدت غسل ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكت ذلك فأتقنت، حديثها أصل في غسل الميت، وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت، ولها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث روى عنها أنس بن مالك ومحمد بن سيرين وحفصة بنت سيرين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٩٥٧/١).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب ما يلقي شعر المرأة خلفها، حديث رقم: ١٢٦٣ (٢/ ٧٥).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب الحلق والجلوس في المسجد، حديث رقم: ٤٧٣ (١/ ١٠٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل، حديث رقم: ١٧٨٤ (٢/ ١٧٢).

(سبحان الملك القدوس) ثلاث مرات يطيل آخرهن^(١). وتأقي أهمية الوتر في التعبد من النوافل أنهما من أكد السنن الرواتب وأفضلها، ولهذا ما كان رسول الله ﷺ، وصحبه الكرام، والسلف الصالح يتركونها، سفراً ولا حضراً. قال الحافظ ابن حجر معلقاً على تبويب البخاري: "باب ساعات الوتر"، : (أي أوقاته ومحصل ما ذكره أن الليل كله وقت للوتر، لكن أجمعوا على ابتدائه من مغيب الشفق بعد صلاة العشاء، كذا نقله ابن المنذر، لكن أطلق بعضهم: أنه يدخل بدخول العشاء،.... عن مسروق من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر. والمراد بأوله بعد صلاة العشاء كما تقدم قوله إلى السحر، زاد أبو داود والترمذي حين مات، ويحتمل أن يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الأحوال، فحيث أوتر في أوله لعله كان وجعا، وحيث أوتر وسطه لعله كان مسافراً، وأما وتره في آخره فكأنه كان غالب أحواله، لما عرف من مواظبته على الصلاة في أكثر الليل والله أعلم، والسحر قبيل الصبح^(٢)

(٣) أحب الكلام إلى الله

الكلام في اللغة:

الكلام في اللغة من (كلم) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطقٍ مُفهم، والآخر على جراح. فالأول الكلام. تقول: كلمته أكلّمه تكلّماً؛ وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته. ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلمات وكلاماً. قال الله تعالى: (تُخْرِقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)^(٣) والأصل الآخر الكلم، وهو الجرح؛ والكلام: الجراحات، وجمع الكلم كلوم أيضاً. ورجل كليم وقوم كلمى، أي جرحى، فأما الكلام، فيقال: هي أرض غليظة. وفي ذلك نظر).

أورد الجوهري في الصحاح: (الكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير. والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات؛ لأنه جمع كلمة).

وفي لسان العرب لابن منظور: القرآن كلام الله وكلم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يُحد ولا يُعد وهو غير مخلوق، تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً وفي الحديث: أعوذ بكلمات الله التامات، قيل

(١) انظر: سنن النسائي-كتاب قيام الليل وتطوع النهار- باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر، حديث رقم: ١٤٣٦

(٢) (١٦٧/٢) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكين - حديث رقم: ٢١١٤٢ (٨٠/٣٥) صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على

المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٢، ص: ٤٨٧.

(٣) سورة النساء: ٤٦. وسورة المائدة: ١٣.

هي القرآن، قال ابن الأثير: إنما وصف كلامه بالتَّمام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب، كما يكون في كلام الناس وقيل معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه) لقد امتدح الله الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ووعدهم ما وعد غيرهم من أهل صفات الاستقامة مغفرة وأجراً عظيماً قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَرِهُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرِهَتْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (١).

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله لأحب الكلام في ذكره:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأْيَهُنَّ بَدَأْتَ. وَلَا تُسَمِّنَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا، وَلَا رَبَاحًا، وَلَا نَجِيحًا، وَلَا أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَنْتُمْ هُو؟ فَلَا يَكُونُ. فَيَقُولُ: لَا». إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ. فَلَا تَزِيدُنَّ عَلَيَّ (٢).

(١) سبحان الله: قال القرطبي: ("سُبْحَانَ" اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن، لأنه لا يجرى بوجوه الإعراب، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف لان في آخره زائدتين، تقول: سبحت تسبيحاً وسبحاناً، مثل كفرت اليمين تكفيراً وكفراناً. ومعناه التثنية والبراءة لله عز وجل من كل نقص. فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره) (٣)

(٢) الحمد لله: (قال ابن عباس: {الحمد لله} كلمة كل شاكر) (٤). وأورد القرطبي: (قال الطبري: {الحمد لله} ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يشنوا عليه فكأنه قال: قولوا: {الحمد لله}) (٥)

(٣) لا إله إلا الله: وتعني لا معبود بحق إلا الله، وفيها نفي الألوهية الحققة عن غير الله وإثباتها لله وحده لا شريك له. (٦)

(٤) الله أكبر: قال القرطبي: ((وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا) أي عظمه عظمة تامة. ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال: الله أكبر، أي صفة بأنه أكبر من كل شيء) (٧).

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الأدب - باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، حديث رقم: ٥٧٢٤ (٦/١٧٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٠، ص: ٢٠٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٢٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١، ص: ١٥٣ - ١٣٦.

(٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ص: ٥٣.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٠، ص: ٣٤٥.

إن هذه الكلمات المحبة إلى الله تعالى، كما أن لها الفضل العام في الذكر فلها الفضل الخاص بعد الصلوات المكتوبة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١). وتلاوة القرآن الكريم - كلام الله - وحفظه وتديره والعمل به، أفضل الذكر وأفضل الشكر، وكل الكلام المحب إلى الله مذكور فيه لفظاً ومعنى من التسييح والتهيل والتكبير والحمد والتوحيد، قال ابن حجر في الفتح: (وقال النووي: هذا الإطلاق في الأفضلية محمول على كلام الآدمي، وإلا فالقرآن أفضل الذكر، وقال البيضاوي: الظاهر إن المراد من الكلام كلام البشر، فإن للثلاث الأول وإن وجدت في القرآن، لكن الرابعة لم توجد فيه، ولا يفضل ما ليس فيه على ما هو فيه، قلت: ويحتمل أن يجمع بأن تكون من مضمرة في قوله أفضل الذكر لا إله إلا الله، وفي قوله أحب الكلام بناء على إن لفظ أفضل وأحب متساويان في المعنى، لكن يظهر مع ذلك تفضيل لا إله إلا الله لأنها ذكرت بالتنصيص عليها بالأفضلية الصريحة، وذكرت مع أخواتها بالأحبية فحصل لها التفضيل تنصيصاً وانضماماً والله أعلم)^(٢)

عن الأسود^(٣)، هو ابن سريع وكان شاعراً، قال: أتيت رسول الله، فقلت: يا رسول الله ألا أنشدك محامداً حمدت بها ربي فقال: «أما إن ربك يحب المحامد وما استترادني على ذلك»^(٤). جمع مَحْمَد (مَحَامِد) وهي دلالة على كثرة الحمد لله، قال الإمام الطبري: (وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله، ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنى، وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه)^(٥) معللاً بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم: ١٣٨٠ (٢/٩٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص: ٢٠٧.

(٣) الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن التزالي بن مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي، الشاعر المشهور روى له البخاري في تاريخه، قال غزوت مع النبي ﷺ أربع غزوات، قال البغوي: كان شاعراً وكان في أول الإسلام قاصاً، وأنه كان أول من قص في مسجد البصرة، وقال خليفة: كانت له دار بحضرة الجامع بالبصرة، توفي في عهد معاوية، وعن ابن معين: مات سنة اثنتين وأربعين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٧٤/١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين - حديث الأسود بن سريع، حديث رقم: ١٥٥٨٦ (٣٥٢/٢٤) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه، الحسن: وهو البصري لم يسمع من الأسود بن سريع. وقال الألباني: (أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (٤/١٦٦/٤١٦٤٥/٧٧٤)، وأحمد (٣/٤٣٠)، والطبراني في "الكبير" (١/٤٢١)، والحاكم (٣/٦١٤) والزبادة له وقال: "صحيح الإسناد! ووافقه الذهبي. قلت - الألباني - وهو منه عجيب، فقد قال في ترجمة الحسن هذا - وهو البصري - : "كان كثير التدليس، فإذا قال في حديث: "عن فلان" ضعف احتجاجه، ولا سيما عن قيل: إنه لم يسمع منهم كأبي هريرة ونحوه، فعدوا ما كان له عن أبي هريرة في جملة المنقطع". قلت - الألباني - وهذا الحديث منقطع لأنه لم يصرح بالسماع؛ ثم وجدت تصريحه من طريقين فخرجه في "الصحيحة" (٣١٧٩). وقال: في صحيح الأدب المفرد: حسن.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ١٣٧..

العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر، أي أن الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد. وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب الكلام إلى الله عز وجل أن يقول العبد سبحان ربي وبحمده»^(١).

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتثنيته، يتعاطفن حول العرش هن دوي كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به؟»^(٢).

(٤) سؤال الله

السؤال في اللغة:

السؤال في اللغة من (سأل) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال سأل يسأل سؤالاً ومسألةً. ورجل سُؤلةٌ: كثير السؤال).

أورد الجوهري في الصحاح: (وقوله تعالى: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ" أي عن عذابٍ. قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تخفّف همزته فيقال: سأل يسأل).

وفي لسان العرب: (والرَّجُلَانِ يَتَسَاءَلَانِ وَيَتَسَاءِلَانِ وَجَمْعُ الْمَسْأَلَةِ مَسَائِلٌ بِالْهَمْزِ فَإِذَا حَذَفُوا الْهَمْزَةَ قَالُوا: مَسْأَلَةٌ، وَتَسَاءَلُوا سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا).

لفظ الجلالة (الله) في اللغة:

أصل اللفظ في لفظ الجلالة (الله) كما أورد ابن فارس من (أله): الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود. ويقال تأله الرجل، إذا تعبد.

أورد صاحب الصحاح: (أله بالفتح إلهة، أي عبد عبادة. وإلهة أيضاً: اسم للشمس. والآلهة: الأصنام، سموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماءهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه. والتأليه: التعبد. والتأله: التمسك والتعبد).

وفي لسان العرب: (الإله الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع آلهة، والآلهة الأصنام، سموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها وأسماءهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه، وهو بين: الإلهة والآلهة).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنه، حديث رقم: ٢١٤٢٩ (٣٥ / ٣٣٩) وانظر: السنن الكبرى للنسائي - باب ذِكْرُ مَا اصْطَفَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنه، حديث رقم: ١٨٣٦٢ (٣٠ / ٣١٢) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير موسى بن مسلم الطحان فمن رجال أصحاب السنن عدا الترمذي وهو ثقة.

قال شارح كتاب التوحيد الشيخ عبد الله بن سليمان آل الشيخ: (الله علم على الرب تبارك وتعالى، ذكر سيبويه أنه أعرف المعارف، ويقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، إلى آخر السورة فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، واختلفوا هل هو اسم جامد أو مشتق على قولين أحدهما أنه مشتق، قال ابن جرير فإنه على ما روي لنا عن ابن عباس، قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

وذكر سيبويه عن الخليل أن أصله إله، مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة، قال سيبويه مثل الناس أصله أناس، وقال الكسائي والقراء أصله الإله، حذفوا الهمزة أدمغوا اللام الأولى في الثانية، وعلى هذا فالصحيح أنه مشتق من إله الرجل، إذا تعبد كما قرأ ابن عباس وَيَتْرَكَ وَإِلَهْتِكَ أَي: عبادتك، وأصله الإله أي المعبود، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام التي للتعريف فأدغمت إحداها في الأخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة، وفخمت تعظيما فقل الله، قال ابن القيم القول الصحيح أن الله أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، قال وزعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي^(١) أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشق منها، واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له^(٢) والقول هنا بالقدم إن كان في أصل الكلمة فإن الكلمات في سائر الأسماء ذات اشتقاق لفظي وتدل على معنى مقصود في اللغة شاء الله وقدره في لغة العرب بهذا اللفظ، وفي لغات الأجناس الأخرى له معنى يضبط فيه بمقاصد الشرع وحسب ما تدل عليه لغة العرب، وهذا اللفظ له وصفية خاصة في حق الله تعالى، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا فيه دلالة الصواب، وهو خلاصة قول ابن القيم يرحمه الله أما كون لفظ الجلالة (الله) مشتق من اسم قبله في الألوهية فهذا باطل، فإن الله هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء. والله أعلم. وما رود في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله لسؤاله مايلي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتِظَارُ الْفَرَجِ»^(٣).

أمر الله تعالى في كتابه الكريم أن يسأل من فضله، قال الله تعالى: (وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)^(٤) وحيث الدعاء مخ العبادة لما فيه من إظهار غاية التذلل والاستكانة لله تعالى فقد شرعت العبادات خضوعا لله وطلباً وقربة، قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)^(٥) وإن عدم التذلل والخضوع من دلائل الاستكبار وهذا أمر خطير على

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ص: ١٣ - ١٤.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: في انتظار الفرج، حديث رقم: ٣٥٧١ (٥/ ٥٦٥) وضعفه الألباني.

(٤) سورة النساء: ٣٢.

(٥) سورة غافر: ٦٠.

العبد في عقيدته وحياته وبعد مماته، لما ورد من الوعيد الشديد للمستكبرين ولما يسببه الكبر من خلل كبير في علاقات البشر، من فرض الصَّغَار وشيوع الاحتقار. وجعل الله تعالى سؤاله وطلبه من المحاب إليه ترغيباً منه جل وعلا لعباده في ذلك لما فيه من نفعهم ونجاتهم، وهو الغنى الحليم الجواد الكريم الذي لا ينقص ملكه من عطائه شيئاً، وإن فضله عظيم فيحب أن يسأل، وفي الحديث سلوا الله من فضله، قال المباركفوري (أي بعض فضله فإن فضله واسع وليس هناك مانع فإن الله يحب أن يسأل، أي من فضله لأن يده تعالى ملامى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار)^(١) وفي الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قول الله تعالى: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَآخِرُكُمْ وَإِنْسُكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ، وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ)^(٢) وهذا هو محل القصد أن تسأل الله من فضله فإن عطائه عظيم لا ينقص ولا ينقطع، فهو يحب أن يسأل من حاجات الدنيا والآخرة، أما السؤال للبيان العلمي، فإنه ليس محل قصد هنا، قال ابن الأثير: (السؤال في كتاب الله والحديث نوعان : أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تَمَسُّ الحاجة إليه فهو مباح أو مندوب أو مأمور به، والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت فهو مكروه ومنهي عنه، فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه، فإنما هو ردع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ)^(٣). وفي السنة كراهة السؤال عن المسائل الدقيقة التي لا يحتاج إليها؛ لأنها تثير الشبهات في الدين مما يؤدي إلى الضلال، قال الله تعالى: (يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا)^(٤) وفي الحديث النهي عن كثرة السؤال، قيل هو من هذا النوع وقيل هو سؤال الناس أموالهم من غير حاجة. والذي عليه مدار أقوال أهل الفقه في الدين، أن من يسأل الله تعالى عليه أن يلتزم آداب الدعاء والطلب، وتحري أوقات الإجابة، واختيار الأدعية الماثورة الجوامع منها والمفصل، وهي منثورة في كتب السنة، ومجموعة بين كتب أهل العلم، وكذلك على الداعي أن يعرف عظمة المسؤول ويوقن بالإجابة، ولا يستعجل، والله أعلم بما فيه خير العبد في السؤال والعطاء دنيا وآخرى، وخير الدعاء ما حث عليه الشارع عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ «ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية»^(٥). قال أبو الحسن المباركفوري : (قال الطيبي: إنما كانت العافية أحب

(١) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ٢٥١٤.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٦٧٣٧ (٨/ ١٦).

(٣) النهاية في غريب الأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط ١، ١٣٨٣هـ، ج ٢، ص: ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٤) المائدة: ١٠١.

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب ٨٥، حديث رقم: ٣٥١٥ (٥/ ٥٣٥) ضعف سنده الألباني، وصححه الحاكم.

لأنها لفظة جامعه لخير الدارين، من الصحة في الدنيا والسلامة فيها وفي الآخرة. لأن العافية أن يسلم من الأسماء والبلايا وهي الصحة ضد المرض - انتهى - . وقيل: المراد بالعافية: السلامة عن جميع الآفات الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة ^(١)

(٥) قطرتان وأثران في سبيل الله

قطرتان في اللغة:

قطرتان في اللغة من (قطر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (القاف والطاء والراء هذا بابٌ غير موضوع على قياس، وكلمة متباينة الأصول، وقد كتبناها. فالقَطْر: الناحية. والأقطار: الجوانب، ويقال: طعنه فقَطَره، أي ألقاه على أحد قُطْرَيْه، وهما جانباه. قال:

قد علِمْتُ سلمى وجاراتها *** ما قَطَرَ الفارسُ إلَّا أنا

والقَطْر: العود. قال طرفة:

وتنادى القومُ في نادِيهِمُ *** أقتارَ ذاك أم رِيحُ قُطْرُ

والقَطْر: قَطْر الماء وغيره. وهذا بابٌ ينقاس في هذا الموضع، لأنَّ معناه التسابع. ومن ذلك قَطَار الإبل. وتَقَاطَرَ القومُ، إذا جاؤوا أرسالاً، مأخوذاً من قَطَار الإبل)

أورد الجوهري في الصحاح: (القَطْر: المطر. والقَطْر: جمع قَطْرَة. وقد قَطَرَ الماء وغيره يَقْطُرُ قَطْراً) وفي لسان العرب لابن منظور: (قطر) قَطَرَ الماء والدَّمَع وغيرهما من السَّيَالِ يَقْطُرُ قَطْراً وقُطُوراً وقَطَرَاناً.... وفي التتيل العزيز سراييلهم من قَطِرَانٍ..... وقرأها ابن عباس: من قَطِرِ آن والقَطِرُ النُّحاسُ والآني الذي قد انتهى حَرُّه، والقَطِرَانُ اسم رجل سمي به، لقوله:

أنا القَطِرَانُ والشُّعْرَاءُ جَرَبِي وفي القَطِرَانِ للجَرَبِي هِنَاءُ.

وبعير مَقْطُورٌ ومَقْطَرَنٌ بالنون، كأنه رَدُّوه إلى أصله مَطْلِيٍّ بالقَطِرَانِ (

أثران في اللغة:

وأصل كلمة (أثران) كما أورد ابن فارس من (أثر) قال: (الهمزة والشاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي. قال الخليل: لقد أثرتُ بأن أفعل كذا، وهو همٌّ في عَزْمٍ..... قال الخليل: والأثر بَقِيَّة ما يُرى من كلِّ شيء وما لا يرى، بعد أن تبقى فيه عِلْقة)

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة

والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط ٣، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ج ٧ ، ص: ٣٥٩ .

أورد الجوهري في الصحاح: (والأثرُ بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف. وسُنُّ النبي ﷺ: آثاره. واستأثر فلان بالشيء، أي استبدَّ به، والاسم الأثرة بالتحريك).

وفي لسان العرب لابن منظور: (والأثرة الجذب والحال غير المرضية، قال الشاعر:
إذا خاف من أيدي الحوادث أثرة... كفاه حمار من غني مقيد).

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله لصاحب قطرتين وأثرين مايلي:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»^(١).

قال الله تعالى في حال الأنبياء وأتباعهم الأتقياء من ذرية آدم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٢٥﴾ خُلِفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ^(٢) إن الأنبياء هم القدوة الحسنة في الطاعة والخشية والتوبة والإنابة، فمن فضل الله العظيم وإسداء مننه الجسيمة، أن جعل عمل العبد في أدق وأحدق الظروف منالا للأجر، بل مُكسبا لمحبه جل وعلا، فعندما تتقاطر الدموع من خشية الله أو يقطر الدم من يعمل جاهدا في سبيل الله، سواء في قتال مشروع لأعداء الله أو عملا احتسبته لله، فقد مُنح محبة الله وفاز بها. وكذا ماخطا المرء خطوة إلى فريضة، أو سعى سعيا يبتغي به وجه الله، إلا كتب له أجر الأثر، واكتسب مرضاة الله ومحبتة. وهذا الحديث فيه دلالة على فضل البكاء من خشية الله، وللخلوة في ذلك ميزة في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة: (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) ^(٣) وقال الله تعالى في وصف الذين أوتوا العلم: قال الله تعالى: (قُلْ ءَامِنُوا بِمِةٍ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا لِلَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٢٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٢٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) ^(٤). وفيه دلالة لما للجهد في سبيل الله من المكانة العليا في الدين وأنه ذروة سنام الإسلام، ولما للذبح لله، والصدقة الجارية، والمشي إلى المساجد، والسعي في فرائض الإسلام ونوافله؛ من الخير للعبد في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَءَاثِرُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) ^(٥). قال المناوي في

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ - باب ماجاء في فضل المرباط، حديث رقم: ١٦٦٩ (٤/١٩٠) حسنه الألباني.

(٢) سورة مريم: ٥٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم: ٦٦٠ (١/١٣٣) وانظر صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ٢٤٢٧ (٣/٩٣)

(٤) سورة الإسراء: ١٠٩.

(٥) سورة يس: ١٢.

شرح الجامع الصغير: ((ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين قطرة دموع) أي قطراتها فلما أضيفت إلى الجمع أفردت ثقة بذهن السامع (من خشية الله) أي من شدة خوف عقابه أو عتابه) وقطرة دم قمرق في سبيل الله) أفرد الدم وجمع الدمع تنبيها على تفضيل اهراق الدم على تقاطر الدموع (وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله) الأثر ما يبقى بعده من عمل يجري عليه) فإن المتعبد لله خطواته إلى العمل الصالح أثر، وجراحات الجهاد في سبيل الله أثر، وانفطار الأقدام من القيام في الصلاة أثر، وآثار الحر والبرد على الجسد من وضوء أو سجود أو مشي للطاعاتن الأثر الحمود. كل ذلك له مقام المحبة والأجر من الله. والله واسع العطاء عظيم المن.

(٦) العطاس وحمد الله بعده

العطاس في اللغة:

العطاس في اللغة من (عطس) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والطاء والسين كلمة واحدة ثم تستعار، وهي العطاس، يقال: عَطَسَ يَعْطُسُ. ويقال للأنف مَعْطَسٌ، بالكسر والفتح في الطاء ويستعار ذلك فيقال: عَطَسَ الصُّبْحُ، إذا انفلق) أورد الجوهري في الصحاح: (وظي عطس: وهو الذي يستقبلك من أمامك).

وفي لسان العرب لابن منظور: ((عطس الرجل يَعْطِسُ بالكسر وَيَعْطُسُ بالضم عَطَسًا وَعُطَاسًا وَعَطْسَةً والاسم العُطَاس وفي الحديث كان يُحِبُّ العُطَاسَ ويكره التَّثَاؤُبَ قال ابن الأثير: إنما أحبَّ العُطَاسَ لأنه إنما يكون مع خفة البدن، وانفتاح المسام، وتيسير الحركات والتثاؤب بخلافه، وسبب هذه الأوصاف تخفيفُ الغذاء والإقلال من الطعام والشراب والمَعْطُسُ والمَعْطُسُ الأنف لأنَّ العُطَاسَ منه)

ومما ورد في السنة من محبة الله للعطاس بلفظ الحب الصريح وحب حمده بعده:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهُ فَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمْعُهُ أَنْ يُشَمَّتَهُ وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِذَا قَالَ هَا ضَحِكُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)^(١).

وعن معاذ بن رفاعه^(٢) عن أبيه قال: «صليت خلف رسول الله فَعَطَسْتُ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ، مَبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبَّنَا وَيَرْضَى، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ أَنْصَرَفَ فَقَالَ: مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الصَّلَاةِ ؟ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الصَّلَاةِ ؟ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، حديث رقم: ٦٢٢٣ (٨/ ٤٩)

(٢) معاذ بن رفاعه بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقى الأنصاري المدني أخو عبيد، أخرج البخاري في وصف الجنة والنار وفي شهود الملائكة بدرا. انظر التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٧١٢/٢) وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات روى له البخاري، وأبو داود والترمذي والنسائي. انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٢٢/٢٨).

الصلاة؟ فقال رفاعَةُ بْنُ رَافِعٍ بنُ عَفْرَاءَ: أنا يا رسولَ الله، قال: كَيْفَ قُلْتَ؟ قال قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طيبًا مباركًا فيه، مباركًا عليه، كما يُحِبُّ رَبُّنا ويرضَى فقال النَّبِيُّ ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ابتَدَرَهَا بِضْعَةٌ وثلاثونَ ملكًا أيُّهم يَصْعَدُ بِهَا». قال الترمذي: حديثُ رفاعَةَ حديثٌ حسنٌ وكانَ هذا الحديث عند بعضِ أهلِ العلم أَنَّهُ في التطوُّعِ لأنَّ غيرَ واحدٍ من التابعين قالوا: إذا عطَسَ الرجلُ في الصلاة المكتوبة إنما يَحْمَدُ الله في نفسه، ولم يُوسِّعُوا في أكثرَ من ذلك.^(١)

وللعطاس والتشاؤب آثارٌ صحيحة على البدن، وآثار دينية على المرء حال حدوثهما له (قال أبو سليمان الخطابي: معنى حب العطاس وحمده، وكراهية التشاؤب وذمه، أن العطاس إنما يكون مع انفتاح المسام، وخفة البدن، وتيسر الحركات، وسبب هذه الأمور تخفيف الغذاء، والإقلال من الطعام، والتشاؤب إنما يكون مع ثقل البدن، وامتلائه، وعند استرخائه للنوم، وميله إلى الكسل، فصار العطاس محمودا، لأنه يعين على الطاعات، والتشاؤب مذموما، لأنه يشييه عن الخيرات، فالحبة والكراهية تنصرف إلى الأسباب الجالبة لهما، وإنما أضيف إلى الشيطان، لأنه هو الذي يزين للنفس شهواتها، فإذا قال: ها، يعني: إذا بالغ في التشاؤب، ضحك الشيطان فرحا بذلك وقيل: ما تنأب نبي قط. والتشميت: هو الدعاء للعطاس بالخير، يقال: شمت العطاس وسمته بالشين والسين غير المعجمة، والشين المعجمة أعلى اللغتين، والسين من السميت، وهو القصد والهدي)^(٢) ومن أقوال الأطباء في تحليل أمر العطاس وفق معطيات وتطور الطب الحديث^(٣)، أنه من المؤثرات التنفسية على القلب وصحته، ومن أقولهم: أن الحكمة من قول "الحمد لله" بعد العطاس لأن القلب يتوقف عن النبض خلال العطاس، وأيضا تتوقف جميع أجهزة الجسم التنفسي والهضمي والبولي بما فيها القلب رغم إن وقت العطسة (ثانية أو الجزء من الثانية) وبعدها تعمل إن أراد الله لها أن تعمل، وكأنه لم يحصل شيء؛ لذلك كان حمد الله تعالى هو شكر الله على هذه النجاة. قال الإمام ابن القيم يرحمه الله: (ولما كان العطاس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه، التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة، شرع له حمد الله على هذه النعمة، مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة، التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها)^(٤)

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ماجاء في الرجل يعطس في الصلاة، حديث رقم: ٤٠٤ (٢/ ٢٥٤) وانظر: سنن النسائي - كتاب الافتاح - باب قول المأموم إذا عطس خلف الإمام، حديث رقم: ١٠٠٥ (١/ ٤٧٩) حسنه الألباني.

(٢) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ، ط ٢، ج ١٢، ص: ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٣) أمراض القلب والأوعية الدموية، الدكتور عزيز صالح جواد العزاوي، الأردن (عمان): دار الفكر، ط ١، ١٩٩٣ م.

ص: ٢٤.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرئوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ٢، ص: ٤٣٨.

(٧) الأخذ بالرخص وإتيان العزائم

الرخص في اللغة:

الرخصة في اللغة من (رخص) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الراء والخاء والصاد أصل يدل على لين وخلاف شدة. من ذلك اللّحم الرّخص، هو الناعم. ومن ذلك الرّخص: خلاف الغلاء. والرّخصة في الأمر: خلاف التشديد).

أورد الجوهري في الصحاح: (والرّخصة في الأمر: خلاف التشديد فيه. وقد رخص له في كذا ترخيصاً، فترخص هو فيه، أي لم يستقص. والرخص بالفتح: الناعم. يقال: هو رخص الجسد بين الرخصة والرخاصة).

وفي لسان العرب لابن منظور: (والرّخصة وهي الفرصة والرّفصة بمعنى واحد، ورخص له في الأمر أذن له فيه بعد النهي عنه، والاسم الرّخصة، والرّخصة والرّخصة ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه)

العزائم في اللغة:

العزائم في اللغة من (عزم) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والزاء والميم أصل واحد صحيح يدل على الصّريمة والقطع. يقال: عزمت أعزم عزمًا. ويقولون: عزمت عليك إلا فعلت كذا، أي جعلته أمرًا عزمًا، أي لا مثنوية فيه. ويقال: كانوا يرون لعزمة الخلفاء طاعة. قال الخليل: العزم: ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله، أي متيقنه. ويقال: ما لفلان عزيمة، أي ما يعزم عليه، كأنه لا يمكنه أن يصرم الأمر، بل يختلط فيه ويتردّد) أورد الجوهري في الصحاح: (قال الله تعالى: " ولم نجد له عزمًا " أي صريمة أمر. ويقال أيضًا: عزمت عليك، بمعنى أقسمت عليك. واعتزمت على كذا وعزمت بمعنى. والاعتزام: لزوم القصد في المشي. والعزائم: الرقى). وفي لسان العرب لابن منظور: (والصّريمة والعزيمة واحدة وهي الحاجة التي قد عزمت على فعلها يقال طوى فلان فؤاده على عزيمة أمر إذا أسرها في فؤاده والعرب تقول ما له معزم ولا معزم ولا عزيمة ولا عزم ولا عزمان وقيل في قوله لم نجد له عزمًا أي رأيًا معزومًا عليه والعزيم والعزيمة واحد يقال إن رأيته لذو عزم والعزم الصبر في لغة هذيل يقولون ما لي عنك عزم أي صبر).

لقد جاء الإسلام باليسر ورفع الحرج، وأمر الناس بما في الاستطاعة، وعذرهم بما، ورفع المشقة والعنت عنهم، قال الله تعالى: (هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)^(١)

ومما ورد في السنة من محبة الله لإتيان رخصه وعزائمه بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته^(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ)^(٢). ومن دروس الدعوة في موضوع الأخذ بالرخص وإتيان العزائم أعرض هنا قواعد يسير بها الداعية في طريق دعوته، وفي شأن هذا المستحب من الدين، خاصة كونه متعلقا بحياة الناس في أحكام الدين، ويكثر السؤال فيه، والنفوس مجبولة على البحث عن اليسير، أوجزها فيما يلي:

أولاً: إن الرخص الفقهية في الأحكام الشرعية تضافرت أدلتها، وحث المشرع عليها، والترغيب في الأخذ بها، وذلك بعد قيام أسبابها، وتوفر شروطها، وانتفاء موانعها. وحد حدودها، وتعيين مجالاتها وتبقى أنها إضافية أي أن كل أحد من المكلفين لحالته فقه خاص به، في الأخذ بالرخصة من عدمه. فمثلاً المشقة في السفر، التي تعتبر سبباً هاماً من أسباب الرخص تختلف قوة وضعفاً، وتزداد شدة وخفة، بحسب أحوال المسافرين، وأزمنة السفر، ومدته، ووسائله، وبحسب طبيعة الأعمال، ودرجة التصميم في العزائم، وما إلى هذا مما يتعذر ضبطه واطراده في جميع الناس، الأمر الذي جعل من الحكمة أن يعدل عن إناطة الحكم بذات المشقة، ويسند إلى أمر آخر مما يدل غالباً عليها، كما هو الحال في السفر، فقد أنيط به الحكم لأنه أقرب مظان حصولها. وقد ترك أمر المكلفين - مع ذلك - في أكثر الحالات موكولاً إلى الاجتهاد الشخصي والفقه النفسي، فرب مريض يقوى في مرضه على ما لا يقوى عليه الآخر، فتكون الرخصة مشروعة لأحد المريضين دون صاحبه، ورب مضطر قد اعتاد الصبر على الجوع والخصاصة فلا تختل مداركه بفقد الطعام بل تلحقه المشقة فقط، في حين تختل بفقده حال غيره، فهذا يجب عليه الترخص والأول يكون مخيراً فيه إذا خلا عن المرجح. ورب عامل حمله التحمس للعمل حتى خف عليه ما ثقل على غيره من الناس. فالأصل مراعاة الحال والمآل والاعتدال.

ثانياً: إن تتبع رخص المذاهب، والجري وراءها والتحایل لدخول منطقتها دون سبب وجيه؛ يعتبر هروباً من التكاليف، وتخلصاً من المسؤولية، وهدماً لعزائم الأوامر والنواهي، وجحوداً لحق الله تعالى في العبادة، وهضمًا لحقوق عباده، وهو يتنافى مع مقصد الشارع من شرع التخفيف عموماً والرخص بصفة خاصة، وقد عبر العلماء عن هذا العمل بأنه فسق لا يحل. وحكى ابن حزم الإجماع على اعتباره كذلك، وقال -

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٥٨٦٦ (١٠ / ١٠٧) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده قوي.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان - باب ماجاء في الطاعات وثوابها. حديث رقم: ٣٥٤ (٢ / ٦٩) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

نقلا عن غيره^(١):- لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.^(٢) كما نقلوا عن إسماعيل القاضي^(٣) أنه قال: دخلت على المعتضد فرفع إلي كتابا لأنظر فيه، وقد جمع فيه صاحبه الرخص من زلل العلماء، وما احتج له كل منهم، فقلت: مصنف هذا زنديق، فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: ولكن من أباح المسكر لم يبيح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبيح الغناء والمسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب.

ثالثا: إن الرخص أحكام الله تعالى شرعها لعباده في حالات خاصة، وهي من الدقة والخفاء، ولذلك تعين على المجتهدين أن يتحروا في الفتوى بما غاية التحري، وأن لا يراعوا من أحوال المستفتين سوى ما يساعدهم على الاهتداء إلى حكم المولى تبارك وتعالى، الذي يتلاءم مع أعمارهم ويتمشى مع أحوالهم، ذلك أن المفتي مخبر عن الله تعالى في حكمه، وأنه لا يجوز لأحد أن يفقي في دين الله إلا بالحق، الذي يعتقده أنه حق رضي بذلك من رضيه وسخطه من سخطه.

رابعا: إن الله يحب إتيان الرخص، كما في الأحاديث السابقة، ومنها قوله ﷺ: (إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه)^(٤) والأخذ بالرخص يعني تسهيل الحكم على المكلف لعذر حصل، قال ابن حجر: (وفيه دلالة على أن القصر للمسافر أفضل من الإتمام) ويجب الله إتيان العزائم أي مطلوبات الشرع الواجبة وهي الأصل، وهكذا فصل العلماء، قال المناوي: (إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه) جمع رخصة وهي مقابل العزيمة (كما يجب أن تؤتى عزائمه) أي مطلوباته الواجبة، فإن أمر الله تعالى في الرخصة والعزيمة واحد، فليس الأمر بالوضوء أولى من التيمم في محله، ولا الإتمام أولى من القصر في محله،

(١) أورد الشاطبي في الموافقات (قال سليمان التيمي: "إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله"، نقلا عن ابن عبد البر في الجامع بسند صحيح (٢/ ٩٢٧). وقال ابن عبد البر: "هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً". قاله في كتابه "بيان العلم" (٢/ ٨٢٧). انظر: الموافقات للشاطبي (١٣٥/٥).

(٢) كان المعنى يجعل هذه الرخص من زلات العلماء، أي التي من الفتاوى، ولولا أنها كذلك ما كانت شروراً. قلت: المعنى يتضح إذا علمنا بأنه لا يقصد بهذا الكلام - الشرور - الرخص المعتبرة بالدليل الشرعي الصحيح وإنما القائمة على الاجتهاد أو النقل الضعيف أو الحكم القائم على الدليل المرجوح. أو تتبع الفتوى القائمة على اختلاف المذاهب. والله أعلم.

(٣) إسماعيل القاضي الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف. مولده سنة تسع وتسعين ومئة، واعتنى بالعلم من الصغر. وأخذ الفقه عن أحمد بن المعدل، وطائفة، وصناعة الحديث عن علي بن المديني، وفاق أهل عصره في الفقه. قال أبو بكر الخطيب: كان عالماً متقناً فقيهاً، شرح المذهب واحتج له، وصنف "المسند" وصنف علوم القرآن، وجمع حديث أيوب، وحديث مالك. استوطن بغداد، وولي قضاءها إلى أن توفي. وتقدم حتى صار عالماً، ونشر مذهب مالك بالعراق. وله كتاب "أحكام القرآن"، لم يسبق إلى مثله، وكتاب "معاني القرآن"، وكتاب في القراءات. قال ابن مجاهد: سمعت المبرد يقول: إسماعيل القاضي أعلم مني بالتصريف. ولي قضاء بغداد ثنتين وعشرين سنة، وولي قبلها قضاء الجانب الشرقي، في سنة ست وأربعين ومئتين، وكان وافر الحرمة، ظاهر الحشمة، كبير الشأن، توفي في شهر ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣٩/١٣).

(٤) انظر: صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان - باب ماجاء في الطاعات وثوابها. حديث رقم: ٣٥٤. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

فيطلب فعل الرخص في مواضعها والعزائم كذلك، فإن تعارضا في شيء واحد راعى الأفضل، قال القاضي: والعزيمة في الأصل عقد القلب على الشيء، ثم استعمل لكل أمر محتوم، وفي اصطلاح الفقهاء: الحكم الثابت بالإمالة كوجوب الصلوات الخمس وإباحة الطيبات، قال ابن تيمية: ولهذا الحديث وما أشبهه كان المصطفى ﷺ يكره مشابهة أهل الكتاب فيما عليهم من الآصار والأغلال، ويزجر أصحابه عن التبتل والترهب^(١)

خامسا: إن الرخص شرعها الله سبحانه لليسير على العباد، ولأن الشريعة جاءت باليسير ودفع المشقة عن العباد، وهذا مسطر بيانه في الكتاب والسنة، وقد حدد أهل العلم أسبابا سبعة في الأخذ بالرخص الشرعية:

١) المرض: وهو سبب لترك الصيام على خلاف القدرة وعدمها، وسبب للإتيان بالأوامر على الاستطاعة، مثل الصلاة قائما فإن لم يستطع فقاعدا وإلا فيضطجع وهكذا، وكذلك سبب لترك الجماعة للرجال والجهاد والحج وغير ذلك.

٢) السفر: وهو سبب لترك الجمع والجماعة، وسبب لترك الصيام في رمضان، وسبب لإطالة مدة المسح على الخفين أكثر من مدتها للمقيم، وسبب لقصر الصلاة.

٣) النسيان: سبب لإسقاط الإثم والمؤاخذه في الآخرة، مثل لو أنه جامع في نهار رمضان لا يأثم ولا يؤاخذ بالآخرة إذا كان ناسيا، وكذا لو نسي وأكل وشرب في نهار رمضان، وكذا لو فعل محظورا من محظورات الإحرام وهو محرم.

٤) الإكراه: لو أكره العبد على الكفر بالله وإلا قتل أو شرب أو أكل المحرم، فلا يؤاخذ على فعله ولا يأثم، فهو سبب للوقوع بالمحذور دفعا للأذى المهلك الذي يحتمل وقوعه.

٥) الجهل: إذا لم يقع منه تقصير في التعلم، فإن الجاهل لا يؤاخذ على فعله مثل لو فعل محظورا بجهل تحريمه، مثل الذي يقع على أهله في نهار رمضان جاهلا بالحكم، فإنه لا يؤاخذ ولا تلزمه الكفارة.

٦) ضعف الخلق: وهو من أسباب الرخص والتسهيل مثل الصبي والمجنون وإسقاط التكليف عنهما، وكذا النساء تخفيف التكليف عنهن مثل أنهن لا يقضين ما فاتهن من صلاة بعد الحيض وكذا ليس عليهن جمع ولا جماعة ولا جهاد.

٧) عموم البلوى: وهو في الأمر الذي يشق على الإنسان الانفكاك عنه مثل النجاسة اليسيرة التي يشق الاحتراز عنها وكالذي ابتلي بسلس البول فإنه إن دخل في الصلاة وقطر فصلاته صحيحه ولا نلزمه بالإعادة ومثله من به ريح لا يفارقه، فإذا خرج منه الريح في أثناء الصلاة وقد توضع قبلها فلا يؤاخذ.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية

أما بالنسبة للأخذ بالرخص فقد تقرر عند أهل العلم في أربع درجات:

- ١- التخيير بين الأخذ بالرخصة وعدم الأخذ بها، مثل المسافر له الفطر وله الصوم إذا استوى عنده الأمران، لقول النبي عليه الصلاة والسلام لحمزة الأسلمي، عن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: أَصُومُ فِي السَّفَرِ وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيَامِ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَصُمْ وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ^(١).
- ٢- تفضيل الأخذ بالرخص: مثل قصر الصلاة في السفر ولم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه أتم في السفر ومداومته على ذلك دليل على الأفضلية.
- ٣- تفضيل الترك للرخصة وليس وجوباً بل الأفضل: مثل الصبر على الصيام في السفر مع قوة بدنية وقدرة نفسية وارتفاع الضرر، ومثل أن يكره على الكفر بالله أو سب الله ورسوله، إن أراد أن يأخذ بالرخصة له ذلك، وإن صبر وإن قتل فهو أفضل له، وقد كان هذا حال رسل الله عليهم السلام مع أقوامهم. قال الله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِأَلْبَتِلٍ يُبْذِرُوهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)^(٢) وقال الله تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ)^(٣).
- ٤- وجوب الأخذ بالرخصة: مثل شرب الخمر لمن ليس لديه ماء وقد غص بالطعام، وكذا أكل لحم الميتة والختير للمضطر دفعا للهلكة عن نفسه، وهذه الأمور لما كانت سببا للحياة أبيحت بل وجب فعلها؛ فيدفع الضرر الأكبر وهو الهلاك بارتكاب الضرر الأخف وهو أكل الميتة.

ثالثاً: محاب الله الأخلاقية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) مكارم الأخلاق

مكارم الأخلاق في اللغة:

المكارم في اللغة من (كرم) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشيء في نفسه أو شَرَفٌ في خُلُقٍ من الأخلاق يقال رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كريم. وأكرم الرجل، إذا أتى بأولادٍ كرام. واستكرم: اتَّخَذَ عِلْقًا كريماً. وكُرم السَّحابُ: أتى بالغيث. وأرضٌ مكرمةٌ للنبات، إذا كانت جيدة النبات. والكرم في الخُلُقِ يقال هو الصَّفَحُ عن ذنب المذنب. قال عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتيبة: الكريم: الصَّفوح. والله تعالى هو الكريم الصَّفوح عن ذنوب عباده المؤمنين. والأصل الآخر الكرم، وهي القِلادة).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب الصوم في السفر والإفطار، حديث رقم: ١٩٤٣ (٣/ ٣٣)

(٢) سورة غافر: ٥ .

(٣) سورة: المائدة : ٧٠ .

أورد الجوهري في الصحاح: (الكَرَمُ: ضِدُّ اللُّؤْمِ. وَقَدَّرَمَ الرَّجُلَ بِالضَّمِّ فَهُوَ كَرِيمٌ، وَقَوْمٌ كِرَامٌ وَكُرَمَاءُ، وَنِسْوَةٌ كَرَامٌ. وَيُقَالُ رَجُلٌ كَرَمٌ أَيْضًا، وَامْرَأَةٌ كَرَمٌ)

وفي لسان العرب لابن منظور: (الكَرِيم من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجوادُ الْمُعْطِي الذي لا يَنْقُذُ عَطَاؤُهُ، وهو الكريم المطلق والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكريم اسم جامع لكل ما يُحْمَدُ، فالله عز وجل كريم حميد الفاعل ورب العرش الكريم العظيم..... قوله « وَمَكْرَمٌ وَمَكْرَمَةٌ » ضبط في الأصل والمحكم بفتح أولهما وهو مقتضى إطلاق المجد).

الأخلاق في اللغة من (خلق) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((خلق) الخاء واللام والقاف أصلاً: أحدهما تقدير الشيء، والآخر مَلَا سَةِ الشيء).

أورد الجوهري في الصحاح (ويقال: هذه قصيدة مَخْلُوقَةٌ، أي منحولةٌ إلى غير قائلها. وَالْخُلُقُ وَالْخُلُقُ: السَّجِيَّةُ. يُقَالُ: خَالِصُ الْمُؤْمِنِ وَخَالِقُ الْفَاجِرِ. وَفُلَانٌ يَتَخَلَّقُ بِغَيْرِ خُلُقِهِ، أي يتكَلَّفُه. قال الشاعر: إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ. وَالْخَلَاقُ: النَّصِيبُ؛ يُقَالُ: لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْأَخْلَقُ: الْأَمْلَسُ الْمَصْمُتُ. وَصَخْرَةٌ خَلْقَاءُ بَيْنَهُ الْخُلُقُ، أي ليس فيها وَصَمٌ وَلَا كَسْرٌ).

وفي لسان العرب لابن منظور: (الْخُلُقُ بضم اللام وسكونها وهو الدِّين والطَّبَعُ والسَّجِيَّةُ، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة).

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح لمن حسن خلقه مايلي:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(١) بْنِ الْحَارِثِ الْمَخْزُومِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ دَقِيقَهَا وَسَفَسَافَهَا) ^(٢) وفي رواية عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا) ^(٣).

(١) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، قيل كان ابن عشر في حياة النبي ﷺ، وخرج أبوه بعد النبي ﷺ لما خرج إلى الجهاد بالشام فمات أبوه في طاعون عمواس سنة ثمانية عشرة وتزوج عمر أمه فنشأ في حجر عمر، فسمع منه ومن غيره وتزوج بنت عثمان، ثم كان ممن ندبه عثمان لكتابة المصاحف من شباب قريش، قال ابن سعد: كان من أشرف قريش وقال ابن حبان مات سنة ثلاث وأربعين انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢٩/٥).

(٢) السَّفَسَافُ: الرديء من كل شيء، والأمرُ الحقير. انظر: الصحاح للجوهري (٣١٩/١) وشعر سَفَسَافٌ رَدِيءٌ وَسَفَسَافُ الْأَخْلَاقِ رَدِيئُهَا. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥٢/٩).

(٣) الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب بن أبو محمد المصري، (ت: ١٩٧هـ)، المحقق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، الرياض: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٥، ص: ٥٩٢. انظر: باب العزلة.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير. حديث رقم: ٢٨٢٦ (٣/٢١٤).

وعن جابر رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّرَّارُونَ»^(١) وَالتَّشَدُّقُونَ وَالتَّمْتِيقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الشَّرَّارِينَ وَالتَّشَدِّقِينَ فَمَا التَّمْتِيقُونَ؟ قَالَ التَّكَبُّرُونَ»^(٢).

امتدح الله رسوله الكريم بالخلق العظيم ، قال الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(٣) فَإِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُتَخَلِّقَ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ لَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا يُؤَكِّدُ هَذَا الْفَضْلَ وَيُوضِحُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ مِنَ الْحَدِيثِ مَا عُلِقَ بِهِ النَّوَوِيُّ عَلَى قَوْلِهِ رضي الله عنه: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا)^(٤) بقوله: (فِيهِ الْحَثُّ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ صَاحِبِهِ. وَهُوَ صِفَةُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بِذَلِكَ الْمَعْرُوفِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَطَلَاةُ الْوَجْهِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: هُوَ مُخَالَطَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ، وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ، وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتِمَالُهُمْ، وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْكِبَرِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ. وَمُجَانَبَةُ الْغِلْظِ وَالْعُصْبِ، وَالْمُؤَاخَذَةِ. قَالَ: وَحَكَى الطَّبْرِيُّ خِلَافًا لِلْسَّلَفِ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ هَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ أَمْ مُكْتَسَبٌ؟ قَالَ الْقَاضِي: وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَةٌ، وَمِنْهُ مَا يُكْتَسَبُ بِالتَّخَلُّقِ وَالِاقْتِدَاءِ بِغَيْرِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(٥). وَمِنْ بَيَانِ النَّبِيِّ رضي الله عنه فِي الْحَدِيثِ يَظْهَرُ أَنَّ الْكِبَرَ مِنْ أَسْوَأِ الْأَخْلَاقِ وَوَسِيلَتَهُ اللَّفْظِيَّةُ التَّمْتِيقُ، وَالتَّمْتِيقُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَفْتَحُونَ بِهِ أَفْوَاهَهُمْ، مَأْخُودٌ مِنَ الْفَهْقِ وَهُوَ الْإِمْتِلَاءُ وَالِاتِّسَاعُ وَقِيلَ (وَالْفَيْهَقُ: الْوَاسِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) كَذَا فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ^(٦) وَالْمَعْنَى يَتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ إِظْهَارًا لِفَصَاحَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ وَاسْتِعْلَانِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ. وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (الشَّرَّارُ بَثَائِنٌ مِثْلَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ تَكْلُفًا)^(٧) وَهَذَا الْبَيَانُ مِنَ النَّبِيِّ رضي الله عنه لِهَذِهِ الصِّفَاتِ السَّيِّئَةِ فِي الْخُلُقِ الْمُبْعَدَةِ لِلْمُسْلِمِ عَنْ مَقَامِ الْقُرْبِ مِنَ النَّبِيِّ رضي الله عنه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاسْتِحْقَاقِ الْبُغْضِ لَهُمْ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ ضَرِيرٌ فِي الْخُلُقِ وَالْمَصِيرِ، يُوْجِبُ الْحَذَرَ الشَّدِيدَ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ: الشَّرُّورَةُ وَالتَّشَدُّقُ وَالتَّكَبُّرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) التَّرْتُّرَةُ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَتَرْدِيدُهُ. يُقَالُ: ثَرَثَ الرَّجُلُ، فَهُوَ ثَرَثًا مَهْذَارًا. انظر: الصحاح للجوهري (٦٩/١) ورجل ثَرُثَ وَثَرَثًا مُتَشَدِّقٌ كَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْأُنْتَى ثَرَّةٌ وَثَرَثَارَةٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠١/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله رضي الله عنه - باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم: ٢٠١٨ (٣٧٠/٤). صححه الألباني.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب صفة النبي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٥٩٩ (١٨٩/٤). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب كثرة حياته رضي الله عنه، حديث رقم: ٦١٧٧ (٧٨/٧).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٥، ص: ٧٧-٧٨.

(٦) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١ م، ج ٥، ص: ٢٦٢.

(٧) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ، ج ٣، ص: ٢٧٧.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُؤَطَّنُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَاءُونَ، بِالْتَمِيمَةِ. الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْحَبَّةِ، الْمُتَلَمِّسُونَ، لِلْبَرَاءِ الْعَيْبِ" ^(١).

إن حسن الخلق من الإيمان وهو ما يؤكد محبة النبي ﷺ للمؤمن حسن الخلق، قال الحلبي ^(٢) في معنى قول النبي ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) ^(٣): (دل على أن حسن الخلق إيمان وعدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيمانا من بعض، ومن ثم كان المصطفى ﷺ أحسن الناس خلقا لكونه أكملهم إيمانا) ^(٤) وفي الحديث: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُؤَطَّنُونَ أَكْنَافًا) دلالة على فضل التواضع وأنه درجة عظيمة في حسن الخلق، وأن من الشر بمكان في الخلق نشر القطيعة بين الناس بالتميمة وتمزيق أواصر الألفة والمحبة، وقذف البراء بالعيب وفي رواية العنت وهو الزنا. (قال المبرد: قولهم فلان موطأ الأكناف أي أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه من التوطئة) ^(٥). وقد تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق، من المكارم والمحاسن والألطف والألفاظ وغيرها، وأن المعنى الموحد لها بما أقرته الشريعة والعقول والفطر السليمة، أن للخلق الحسن وصاحبه درجات سامية بين الناس، ودرجات عالية في الجنة، من أجلها مقام القرب من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة وكسب محبته في الدنيا، ومن عجزت به نفسه عن الحسن في الأخلاق فليتحلق أي يتكلفه - وإن التخلق يأتي دونه الخلق - فمن تحلق الخلق الطيب الحسن، وخالف الناس به وعاشرهم على أخلاقهم فاز وحاز الفضل، وثبت في السنة من حديث قول النبي ﷺ: (إن الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) ^(٦) يعني: المتنفل بالصيام، والمتنفل بالقيام فحسن الخلق الذي يبذله دائما طاعة من طاعات الله تعالى، فيكون في عبادة دائمة، وحسن الخلق تارة يكون "طبعاً"، وتارة يكون "حملاً"، يلزم النفس بذلك وهو أعظم أجرا ممن

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير. حديث رقم: ١٨٣ (١٩/٨٠).

(٢) الحلبي العلامة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النهر، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي: صاحب وجوه حسان في المذهب، وكان من أذكى زمانه ومن فرسان النظر، له يد طولى في العلم والأدب؛ أخذ عن الأستاذ أبي بكر القفال، مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فقيلاً: بمرجان فحمل ونشأ ببخارى، وقيل: بل ولد ببخارى، له تصانيف مفيدة، حدث عنه أبو عبد الله الحاكم مع تقدمه ونبله والحافظ أبو زكريا عبد الرحيم البخاري وآخرون؛ وهو من فرسان هذا الشأن مع أن له فيه عملاً جيداً؛ يقع لي حديثه عالياً. توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعمائة. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/١٥٦).

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب الدليل على زيارة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: ٤٦٨٤ (٤/٣٥٤). وانظر: سنن الترمذي - كتاب الرضاع - باب ماجاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم: ١١٦٢ (٣/٤٦٦) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٧٤٠٢ (١٢/٣٦٤) تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح. قال الألباني: حسن صحيح تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ٢، ص: ١٢٤.

(٥) الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ج ٤، ص: ٦٨.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٠١٣ (٤١/٤٧٠) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح لغيره.

يفعله على وفق الطبيعة، يعني: لا يتكلف فيه؛ لأن القاعدة المقررة عند العلماء (الأجر على قدر المشقة) ومعناها الصحيح كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ رِضَاهُ أَوْ مَحَبَّتُهُ فِي مُجَرَّدِ عَذَابِ النَّفْسِ وَحَمْلِهَا عَلَى الْمَشَاقِّ؛ حَتَّى يَكُونَ الْعَمَلُ كُلَّمَا كَانَ أَشَقَّ كَانَ أَفْضَلَ، كَمَا يَحْسَبُ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَالِ أَنَّ الْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. لَا. وَلَكِنَّ الْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ مَنَفَعَةِ الْعَمَلِ وَمَصْلَحَتِهِ وَفَائِدَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ طَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَأَيُّ الْعَمَلَيْنِ كَانَ أَحْسَنَ وَصَاحِبُهُ أَطْوَعَ وَأَتْبَعَ كَانَ أَفْضَلَ. فَإِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِالكَثَرَةِ. وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِمَا يَحْصُلُ فِي الْقُلُوبِ حَالِ الْعَمَلِ)^(١) وأجل ما تخلق به المسلم آداب دينه وأوامر ربه بالاتباع وعن نواهيهِ بالامتناع؛ لذا انقسم الناس في أخلاقهم وأعمالهم ومصيرهم بين البر والفاجر والمفلح والخاسر.

(٢) الحياء والستر

معنى الحياء في اللغة:

الحياء في اللغة من (حيي) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الحاء والياء والحرف المعتل أصلاً: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي [هو] ضد الوقاحة).

أورد الجوهري في الصحاح: (وأحيا القوم، أي صاروا في الحياء، وهو الخصب. وقد أتيت الأرض فأحييتها، أي وجدتها خصبة. واستحياء واستحيا منه بمعنى، من الحياء. ويقال استحييت بياء واحدة، وأصله استحييت)

وفي لسان العرب لابن منظور: (والمحيي جماعة الوجه وقيل حره وهو من الفرس حيث انفرق تحت الناصية في أعلى الجبهة وهناك دائرة المحيا والحياء التوبة والحشمة وقد حيي منه حياء واستحيا واستحي حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين)

معنى الستر في اللغة:

الستر في اللغة من (ستر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والتاء والراء كلمة تدل على الغطاء. تقول: سترت الشيء سترًا. والستر: ما استترت به، كائنًا ما كان. وكذلك الستار) أورد الجوهري في الصحاح: (والستر بالفتح: مصدر سترت الشيء أستره، إذا عطيته، فاستتر هو. وتستر، أي تغطي. وجارية مسترة، أي مخدرة)

وفي لسان العرب لابن منظور: (قوله «ستير يحب» كذا بالأصل مضبوطاً، وفي شروح الجامع الصغير ستر بالكسر والتشديد) السَّتَرُ سَتِيرٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعل أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون).

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ٢٥، ص: ٢٨١.

ولقد وصف الله رسوله بالحياء، وأن الحياء يتوافق مع الحق ولا يمنعه، قال الله تعالى: (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)^(١)

ومما ورد في السنة من محبة الله للحياء والستر بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عَنْ يَعْلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبِرَازِ بِلَا إِزَارٍ؛ فَصَعِدَ الْمَنِيرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ»^(٢).

وعن عكرمة، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي أُمِرْنَا فِيهَا بِمَا أُمِرْنَا وَلَمْ يَفْعَلْ بِهَا أَحَدٌ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَزِدَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ}. قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ إِلَى {عَلِيمٍ حَكِيمٍ}. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتَرَ، وَكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِيُبَيِّنَهُمْ سَتُورٌ وَلَا حِجَالٌ قَرِيبًا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالاسْتِزْدَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ بِالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ»^(٣).

قال الله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَزِدَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ}^(٤) أورد ابن كثير في تفسيره أن هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلا جدا، لذا أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس (عن سعيد بن جبيرة قال: قال ابن عباس: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَزِدَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ})^(٥) إلى آخر الآية، والآية التي في سورة النساء: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)^(٦)، والآية التي في الحجرات: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^(٧)،^(٨)

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الحمام - باب النهي عن التعري، حديث رقم: ٤٠١٤ (٧٠/٤) وانظر: سنن النسائي - كتاب الغسل والتميم - باب الاستنار في الغسل، حديث رقم: ٤٠٤ (٢١٨/١) صححه الألباني.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب الاستئذان في العورات الثلاث، حديث رقم: ٥١٩٤ (٥١٤/٤) قال الألباني: حسن الإسناد موقوف.

(٤) سورة النور: ٥٨.

(٥) سورة النور: ٥٨.

(٦) سورة النساء: ٨.

(٧) سورة الحجرات: ١٣.

(٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٨٢.

إن الإسلام منار الخير والعدل، ومسار الطهارة في النفس والعلاقات والمعاملات، والحياء خصلة من خصاله السامية، وحلة من حلاياه الجميلة، بل الحياء رأس الفضائل الخلقية، ومن عماد الشعب الإيمانية، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" ^(١) من رافقه هذا الخلق العظيم عاش في صلاح وخير، ومن نزع منه حرم الخير الكثير وخسر الخسران المبين، فيوم يترع الحياء من المرء، فإنه ينطلق في غرائزه وشهواته، انطلاق السائمة في مرعاها، ويدوس في سبيلها أركى العواطف والمبادئ، ويرتفع في غضاضة وفضاضة، دون رحمة وشفقة، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، يرى الرذيلة فضيلة، ويتمادى في غيه وضلاله، ويفخر مجرمه وذنبه، لايهمه جهر وخفاء، كاشف ستره أمام الخلق والخالق، فليس له كرامة، وأنى تكون له سعادة عن أبي مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) ^(٢). وليس هذا القول إغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء، كما يتوقعه من أعياء الفهم وأخذ جهل معاني الكلمات، بل معناه في فهم العلماء "أن من لم يستح - دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء، لا يردعه عنه رادع، فليستح المرء فإن الحياء يردعه " لأن الكلام خرج من النبي عليه الصلاة والسلام مخرج الدم لا مخرج المدح. والحياء شعبة من شعب الإيمان، وهو على ثلاثة أقسام:

(١) الحياء من الله فيكون بامتنال الأوامر، والكف عن الزواجر، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "استحيوا من الله عز وجل حق الحياء. فقيل: يا رسول الله فكيف نستحي من الله عز وجل حق الحياء؟ قال: من حفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وترك زينة الحياة الدنيا، وذكر الموت والبلوى، فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء" ^(٣).

(٢) الحياء في خصوص المرء مع الناس، فيكون بكف الأذى، وترك الجاهرة بالقبيح، فمن تقوى الله اتقاء باطل الناس وكف الشر عنهم، "وشر الناس يوم القيامة من اتقاء الناس اتقاء شره" فالحياء من الناس من كمال المروءة وطباع الرجولة، فمن نزع جلباب الحياء عنه قلت مروئته وظهرت بذاءته، وساء مدخله ومخرجه، وأنتن مجلسه وعافه جليسه."

(٣) الحياء من النفس ويكون بالعفة وصيانة الخلوات، باتقاء الحرمات ولزوم الطاعات وأن يكون قلبه راعياً لعمله بالحياء فيكون سواء بسواء سرا وجهراً. وتكون له خليفة:

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب شعب الإيمان، حديث رقم: ١٦١ (٤٦/١).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إذا لم يستحي فاصنع ما شئت، حديث رقم: ٣٤٨٤ (٤/ ١٧٧).

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٢٤٥٨ (٤/ ٦٣٧). وانظر:

مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٧١ (٦/ ١٨٧) حسنه الألباني.

فسري كإعلاني وتلك خليقتي *** وظلمة ليلى مثل ضوء فهاريا^(١)

دعا قوم رجلاً كان يألف عشرتهم ويأنسوا بمجلسه، فلم يجبههم ذات ليلة وقال: إني دخلت البارحة في الأربعين، وأنا أستحي من سني، ومن أثر السير أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر^(٢):

يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ *** أَوْ يُحْدِثَنَّ لَكَ طُولُ الدَّهْرِ نَسِيَانَا

إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا دُوَّ الْعَقْلِ سَاتِرُهُ *** مِنْ حَاجَةٍ وَأَمِيْتُ السَّرَّ كِتْمَانَا

وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ بِهَا *** جَعَلْتُهَا لِلَّتِي أَخْفَيْتُ عَنْوَانَا

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ *** وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ غُرِيَانَا

الحياء نوعان: ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "الحياء خير كله"^(٣). فهو يكف عن ارتكاب القبائح، ودناءة الأخلاق، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار. أما ما كان مكتسباً فيكون بمعرفة الإنسان لربه وعظمته، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؛ فيحسن الأعمال ويصطفى الآداب، فذلك دليل الإيمان ونور اليقين، فتكون عاقبته مع المتقين. ومفتاح ذلك الحياء من الله عَنْ سَلْمَانَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٤). والحياء من أجل مظاهره الستر. وإن المفهوم الشرعي للستر في حقيقة: هو تغطية لهنات وعيوب المخطئ وإخفائها، وكذلك ستر عورته وسوءته عن الناس، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»^(٥). أما الستر في الذنوب والخطايا، لا يعني بالتحديد تخصيصه بكل ذي ذنب أو خطأ، بل الضابط في هذا هو المجاهرة بالمعصية من عدمها، لأنه بمجاهرتة استخف بحق الله سبحانه وتعالى، وقد تورثه هذه المجاهرة إلى إقامة الحد عليه أو التعزير، مع مراعاة ضوابط التشهير، فلا بد من مراعاة المصالح والمفاسد في ذلك. يقول الإمام أحمد يرحمه الله: (وَالنَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَى مُدَارَاةٍ وَرَفَقٍ، الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ بِلَا غِلْظَةٍ إِلَّا رَجُلٌ مُعْلَنٌ بِالْفِسْقِ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ نَهْيُهُ وَإِعْلَامُهُ لَأَنَّهُ يُقَالُ لَيْسَ لِفَاسِقٍ

(١) ورد عن ابن الحاجب في مجاوبة ابن الرومي، انظر: ربيع الأبرار لأبي القاسم الزمخشري، ص: ٣٥٦.

(٢) من قول سوار بن المضرب، ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (١٣٨/٢).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب شعب الإيمان، حديث رقم: ١٦٦ (١/٤٧).

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الوتر - باب الدعاء، حديث رقم: ١٤٩٠ (١/٥٥٣) وانظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٥٥٦ (٥/٥٥٦) صححه الألباني.

(٥) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب تحريم النظر إلى العورات، حديث رقم: ٧٩٤ (١/١٨٣).

حُرْمَةُ فَهْؤُلَاءِ لَا حُرْمَةَ لَهُمْ^(١) ، وقد بنا كلامه - يرحمه الله - فيما يظهر بما ثبت عند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: " كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من الجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويكشف ستر الله عنه "^(٢). لا ريب أن سترَ العيوب والذنوب والأخطاء نعمة من نعم الله الجليلة على عباده.. فلو أنه عزَّ وجلَّ أبدى عُيُوبَ الخلق لَفَضَحَهُمْ وَهَتَكَ أَسْتَارَهُمْ وَكَشَفَ عَوْرَاتِهِمْ؛ ولكنه جلَّ جلاله أرحم الراحمين، ويُمهلُ العاصي والشارد والغافل؛ فلا يريد أن يفضَحَ عباده؛ بل يريد أن يتوبَ عليهم ليتوبوا إن الله هو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. لا شك أن المتبع للعوامل المساعدة على الستر سيجد أنها كثيرة، لكن يمكن تقسيمها من باب التقريب إلى عاملين:

أولاً: عوامل راجعة لذات المخطئ: ولعل من أبرز هذه العوامل: التأثير القلبي واستشعار المخطئ لعظم الذنب الذي وقع منه، وظهور شرارة شروط التوبة - التي نص عليها أهل العلم - عليه، وتزليلها على واقعه. ويدل على ذلك ما جاء في قصة التي زنت في عهد النبي - عليه الصلاة والسلام - فإن النبي - عليه الصلاة والسلام أعرض عنها ولم يفرح بخبرها، ولما أصرت وألحت على النبي ﷺ تريد تطهير نفسها، أمرها، بالرجوع حتى تضع ثم عادت ، ثم أمرها بالرجوع حتى تكمل الرضاغة، ثم عادت، وأقيم عليها الحد، وهذا هو الإسلام أمر بالستر ، ووجه المذنب بالستر، وأن يكفي بستر الله عليه، ويتوب عما هو عليه.

ثانياً: عوامل راجعة لنوع الخطأ: وهذه العوامل ينبغي أن تراعى فلا يعقل أن ينظر في الستر على مرتكب الكبيرة، كما يجب أن ينظر في الستر على مرتكب الصغيرة، ولا يمكن كذلك أن ينظر لمن خطؤه موجب للحد، كمن خطؤه لا يوجب الحد، ولا أن نتعامل مع المرأة في الستر كما نتعامل مع الرجل... وهكذا. وفي حقيقة الستر الشرعية من مواقف السلف من يرى الستر مطلقاً حتى وإن ارتكب معصية توجب حداً: ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: " لو أخذت سارقاً لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله "^(٣). وأصرح من ذلك وأقوى في الاستدلال ما ورد من فعل المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فقد جاء في حديث أبي أمامة المخرج في الصحيحين قال: " : بينما رسول الله في المسجد ونحن قعود معه إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله: إني أصبت حداً فأقمه علي، فسكت عنه، ثم أعاد فقال: يا رسول الله: إني أصبت حداً فأقمه علي، فسكت عنه، وأقيمت الصلاة، فلما انصرف نبي الله

(١) الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ج ١، ص: ٢١٢ .

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم: ٦٠٦٩ (٢٠/٨)

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط ٤، ج ٦، ص: ٢٢٤٩. نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائفها، أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر السامري الخرائطي، تحقيق: د. عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري، الناشر: مكتبة الرشد، ص ٤٩٣ .

قال أبو أمامة: فاتبع الرجل رسول الله حين انصرف، واتبعت رسول الله أنظر ما يرد على الرجل، فلحق الرجل رسول الله فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقمه علي، قال أبو أمامة: فقال له رسول الله: "أرأيت حين خرجت من بيتك، أليس قد توضأت فأحسنست الوضوء؟ قال بلى يا رسول الله. قال: فقال له رسول الله: فإن الله قد غفر لك حدك، أو قال: ذنبك" (١). والمتأمل في الحديث يتجلى له بوضوح عدم رغبة النبي ﷺ مفاتحة الرجل في ذنبه الذي ارتكبه، بل إنه أعرض عنه، ولما انقضت الصلاة لم يبحث عنه، وإنما انصرف ولحق به الرجل، وكل ذلك يدل على التأكيد على أهمية الستر وفضله، لمن يتأمل هذا الهدى النبوي، بل حتى الشهادة في مثل هذه القضايا ينبغي علينا أن نلاحظ أن ثلاثة أرباع الشهادة التامة فيها، تنقلب ردعاً للشاهد وزجراً له عن النفوذ بالشهادة، فإن لم يكتمل عدد الشهود الأربعة يعد من شهد من الآثمين المتلبسين بجريمة القذف؛ وذلك من الحكمة في الستر وأن يظل المخطئ في حدود الستر المنجية من العقاب. وأما عن الآثار الإيجابية المترتبة على الستر سواء على الفرد أو المجتمع فهي كثيرة يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

أولاً: استشعار فضل الستر، وأن الله يستر من ستر عبداً مذنباً، فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: " لا يستر عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة" (٢)، وأن الله يحب الستر وأنه ستر.

ثانياً: رجوع المستور عليه وتوبته، وليعلم من أنعم الله عليه بالستر بين عباده أن الله يمهّل ولا يهمل، وأن الله قادر على أن يكشف ستره إذا هو كشف الستر الذي بينه وبين الله، وأن الله مطلع عليه وأن من قام بالستر عليه لم يستره عن عين الله، قال تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) (٣)

ثالثاً: أن الستر علاج اجتماعي لكثير من المشكلات الاجتماعية والمثالب الشخصية، حيث تختفي فيه كثير من أمراض المجتمع؛ فيكون ظاهر الناس الأخلاق الحميدة والأفعال الطيبة، وتختفي معالم السوء والشر عن أعين الناس صغاراً وكباراً. وبذلك يعلو الخير على الشر.

رابعاً: انتشار المحبة والألفة بين الناس، وفشو حسن الظن بين المؤمنين، قال تعالى:

(يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ تَوَّابٌ) (٤) الآية. قال القرطبي في تفسيره حول القيود الشرعية للظن: (قال علماؤنا: فالظن هنا وفي الآية هو التهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو قهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك. ودليل كون

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات)، حديث رقم: ٧١٨٣ (١٠٣/٨).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة، حديث رقم: ٦٧٦٠ (٢١/٨).

(٣) سورة فصلت: ٢٢.

(٤) سورة الحجرات: ١٢.

الظن هنا بمعنى التهمة قول تعالى: "وَلَا تَجَسَّسُوا" وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة. فهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب. وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهده منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث^(١)

(٣) العفو

العفو في اللغة:

العفو في اللغة من (عفا) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (ومن الباب العافية: دفع الله تعالى عن العبد، تقول عافاه الله تعالى من مكروهة، وهو يعافيه معافاةً. وأعفاه الله بمعنى عافاه. والاستعفاء: أن تطلب إلى من يكلفك أمراً أن يعفبك منه)
أورد الجوهرى في الصحاح: (وعَفُو المال ما يفضل عن النفقة. يقال: أعطيته عفو المال، يعني بغير مسألة. قال الشاعر:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوْدَتِي *** وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ)

وفي لسان العرب لابن منظور: (قال ابن الأنباري: في قوله تعالى (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذُنْ لَهُمْ) مَحَا اللَّهُ عَنْكَ، مأخوذ من قولهم عَفَتِ الرياحُ الآثارَ، إِذَا دَرَسَتْهَا وَمَحَتْهَا، وَقَدْ عَفَتِ الْآثَارُ تَعَفُّوا عَفُوءاً).

لقد أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالعفو والصفح، ومن صفاته سبحانه وتعالى العفو، قال الله تعالى:

(إِنْ تُبَدُّواْ خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوْهُ أَوْ تُعَفُّوْهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)^(٢)، ومما رُود في السنة بلفظ الحب الصريح من

محبة الله للعفو مايلي:

عن أبي ماجد الحنفي^(٣) قال: (كنت قاعدا مع، عبد الله، قال: إِنِّي لَأَذْكُرُ أَوَّلَ رَجُلٍ قَطَعَهُ، أَتَيْ بِسَارِقٍ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، وَكَأَنَّمَا أَسْفَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ؟ قَالَ: وَمَا

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ١٩، ص: ٢٧٥.

(٢) سورة النساء: ١٤٩.

(٣) أبو ماجد الحنفي العجلي، ويقال ماجدة الفراء العجلي الكوفي عن بن مسعود، قيل اسمه عائذ بن نضلة، مجهول لم يرو عنه غير يحيى

الجابري، قال الدارقطني: مجهول متروك. انظر: لسان الميزان لابن حجر (٩ / ٤٨١).

يَمْنَعُنِي، لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ أَنْ يُقِيمَهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ} (١).

إن للعباد حقوق أوجبها الله وشرعها، وله سبحانه حقوقه العظيمة، ومن أجلها تحقيق التوحيد، فإن العباد فيما بينهم تصلهم علاقات مختلفة دينية وبدنية ومالية وأسرية واجتماعية، ولا بد من وجود الزل؛ لأن الإنسان خطاء فأمر سبحانه بالعفو والصفح، وجعل له قدرا وأجرا عظيما، بل ربط عفوهُ سبحانه عمن عفا وأصلح وإحسانه سبحانه لمن أحسن فمن صفاته العفو. ومن أسمائه العَفُوُّ وأنه يحب العفو قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٢) أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم فيسدل عليهم ستره، ويعاملهم بعفوهِ التام الصادر عن قدرته. ومن دلالات الحديث ما أمر به الرسول ﷺ في حالة هذا السارق الذي أقيم عليه الحد، فجعل عدم العفو سبيل معونة للشيطان على الإنسان، ولو عفا صاحب الحق قبل أن يصل الأمر إلى السلطان، لكان فيه مصالح عظيمة من المعونة على التوبة وصالح الجاني والحفاظ على سلامة الروابط بين المسلم وأخيه، وما يحصل عليه من الأجر والفضل.

(٤) الجمال

الجمال في اللغة:

الجمال في اللغة من (جمل) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((جمل) الجيم والميم واللام أصلا: أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر حُسْنٌ. فالأول قولك أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ، وهذه جُمْلَةُ الشَّيْءِ. وَأَجْمَلْتُهُ حَصَلْتُهُ. وقال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) (٣).

ويجوز أن يكون الجَمَل من هذا؛ لعظم خلقه. والجَمَل: حَبْلٌ غليظ، وهو من هذا أيضاً. ويقال أَجْمَلَ القَوْمُ كَثُرَتْ جَمَالُهُمْ. والجَمَالِي: الرَّجُلُ العظيم الخلق، كأنه شَبَّهَ بالجمال.

والأصل الآخر الجَمَال، وهو ضدُّ القبح. ورجلٌ جميلٌ وجَمالٌ. قال ابن قتيبة: أصله من الجَمِيل وهو وَدَكُ الشَّحْمِ المَذَابِ. يراد أن ماء السَّمَنِ يجري في وجهه. ويقال جَمَالُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، أي اجْمُلْ ولا تَفْعَلْهُ. قال أبو ذؤيب:

جَمَالُكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَرِيحُ *** سَتَلْقَى مَنْ تُحِبُّ فَتَسْتَرِيحُ (

أورد الجوهر في الصحاح: (الجَمَلُ من الإبل. قال الفراء: الجَمَلُ: زوج الناقة، والجمع جَمالٌ وأَجْمالٌ وجمالاتٌ وجمائلٌ. والجامِلُ: القطيع من الإبل مع رُعَاتِهِ وأربابه. قال الشاعر:

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٤١٦٨ (٧/ ٢٣٢) تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن بشواهد وهذا إسناد ضعيف. قال الألباني: الحديث عندي حسن، فإن جله قد ثبت مفرقا في أحاديث، فقوله: " لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم "، أخرجه البخاري.

(٢) سورة الشورى: ٢٥.

(٣) سورة الفرقان: ٣٢.

لهم جاملٌ ما يهدأ الليلَ سامرُهُ . وتقول: اسْتَجْمَلَ البعيرُ، أي صار جملاً وإنما يسمى جملاً، إذا أَرَبَعَ. والجمالةُ: أصحاب الجمال، مثل الحيالة والحمارة. والجمالُ: الحُسْنُ وقد جَمَلَ الرجلُ بالضم جمالاً فهو جميلٌ، والمرأة جميلةٌ وجملاً أيضاً، عن الكسائي. وأنشد:

فَهِيَ جَمَلَاءُ كَبْدَرٍ طَالِعٍ *** بَدَتْ الخَلْقَ جَمِيعاً بِالْجَمَالِ

وفي لسان العرب لابن منظور: (والجمال مصدر الجميل، والفعل جَمَلَ، وقوله عز وجل: ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. أي بهاء وحسن. ابن سيده: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق، وقد جَمَلَ الرجل بالضم جمالاً فهو جميل، وجمال بالتخفيف هذه عن اللحياني، وجمال الأخيرة لا تُكسَر، والجمال بالضم والتشديد أجمل من الجميل، وجملة أي زينته والتجمل تكلف الجميل)

لقد أمر الله تعالى رسوله الكريم، بالهجر الجميل والصبر الجميل والصفح الجميل، قال الله تعالى: (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ وَاصْصَبْ الْجَمِيلُ)^(١) والجمال ظاهر وباطن، ومما ورد في السنة من محبة الله للجمال بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ »^(٢). وهذا الحديث يعارض الحديث الضعيف بعده ويؤكد ضعفه لتعارض ظاهر اللفظ بينهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُتَبَدِّلَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا لَبَسَ)^(٣). والدخول إلى باب الزهد من هذا الحديث له صلة باختيار الملابس وإن قل شأنه في نظر الناظر، أما أن تكون البدالة صفة محبوبة فهذا معارض لأدلة الشرع التي تأمر بعزة وقوة المؤمن وجماله، ومنها قول الرسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ » قال الإمام النووي في معناه من حيث وصف الله بالجمال وتسميته بالجميل (وقوله ﷺ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ اختلّفوا في معناه، فقليل إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل، وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال، وقيل جميل بمعنى مُجَمِّلٍ، ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع، وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: معناه جليل^(٤)، وحكى الإمام أبو سليمان

(١) سورة الحجر: ٨٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ٢٧٥ (٦٥/١).

(٣) انظر: شعب الإيمان للبيهقي، كتاب الملابس والزّي والأواني وما يكره منها - فصل: فيمن اختار التواضع في اللباس، حديث رقم: ٥٧٦٥ (٢٤٦/٨).

(٤) ظاهر القول فيه التأويل، وهو مخالف لأصل معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات الذي يقوم على عدم التأويل والتكييف والتحريف، والقول الصحيح في أن الله جميل هو: أن الله جميل جمالا كاملا مطلقا، يليق بجلاله، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والله جميل الجمال المطلق، وثبت هذا الاسم من خلال نصوص السنة كما ورد في الحديث المنصوص عليه أعلاه. وهو من الأسماء الحسنى التي جمعها

الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة أي مالكهما، وقيل معناه جميل الأفعال بكم، باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه، واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح، ولكنه من أخبار الآحاد وورد أيضا في حديث الأسماء الحسنى، وفي إسناده مقال. والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى، ومن العلماء من منعه، قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين رحمه الله تعالى: ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم، فإن الأحكام الشرعية تنلقى من موارد الشرع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم لكننا مثبتين حكما بغير الشرع، قال: ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به الشرع، ولكن ما يقتضى للعمل وإن لم يوجب العلم فإنه، كاف إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بهن في تسمية الله تعالى ووصفه، هذا كلام إمام الحرمين ومحلله من الإتيان والتحقيق بالعلم مطلقا، وبهذا الفن خصوصا معروف بالغاية العليا، وأما قوله لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم لأنه ذلك لا يكون إلا بالشرع، فهذا مبني على المذهب المختار في حكم الأشياء قبل ورود الشرع، فإن المذهب الصحيح عند المحققين من أصحابنا، أنه لا حكم فيها لا بتحليل ولا تحريم ولا إباحة ولا غير ذلك، لأن الحكم عند أهل السنة لا يكون إلا بالشرع، وقال بعض أصحابنا أنها على الإباحة، وقال بعضهم على التحريم، وقال بعضهم على الوقف لا يعلم ما يقال فيها، والمختار الأول والله أعلم. وقد اختلف أهل السنة في تسمية الله تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه، فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب الله أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه، فإن ورد خبر واحد، فقد اختلفوا فيه فأجازه طائفة وقالوا: الدعاء به والثناء من باب العمل، وذلك جائز بخبر الواحد، ومنعه آخرون لكونه راجعا إلى اعتقاد ما يجوز أو يستحيل على الله تعالى وطريق هذا القطع، قال القاضي والصواب جوازه لاشتماله على العمل لقوله الله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها والله أعلم^(١)

إن الجمال بقسميه الباطن والظاهر يمثل إثارة للحب، وعناية المرء بالجمال هو من مأمورات الشرع ومندوحاته، وأن من يعتني بالظواهر دون البواطن، فإنه لا يحقق معنى الجمال المتكامل، وكثير من يغفل عن هذا الميزان، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين من الكتاب والسنة في كتابه (شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) ص: ٥٦. وهذا الكتاب مؤصل في عقيدة أهل السنة والجماعة في باب صفات الله وأسمائه الحسنى.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٢، ص: ٩٠ - ٩١.

خُلِقِي^(١). فكأنها رسالة إلى العناية بالباطن - ومن ذلك القلب والأخلاق - أمرٌ هو من صلب ديننا وشرعنا، ومقصد هامٌّ من مقاصد الشريعة الغراء، وأن من يعتني بمظهره الخارجي فقط ويدع الأمراض المعنوية والنفسية تفعل فعلها في داخله، فهو غافل لا يدرك المصلحة الشرعية وعنده خلل في مقاييس الجمال. لأن لكل شيء وضع جمالي يناسب الحال، فإن جمال القلب بمحبة الله والخوف منه والرجاء، وجمال اللسان بالصمت وذكر الله، وجمال الكلام بالصدق، وجمال الحال بالاستقامة، وجمال العقل بالعلم، والجمال كله في توحيد الله والعبادة والشكر له وحسن الطاعة. وهكذا فإن مناسبة الحال لكل شيء بالعناية به تصفي عليه معنى الجمال الحقيقي. كقول عمرو بن معد يكرب^(٢):

لَيْسَ الْجَمَالَ بِمِثْرٍ *** فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بَرْدًا
إِنَّ الْجَمَالَ مَآثِرٌ *** وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ مَجْدًا

الجمال هو ضد القبح، ويوصف الجمال بالحسن، ولا ريب أن النفوس بطبيعتها تحب كل حسن وجميل في الخلق والخلق والمكان والزمان ولكل جزء في هذه الحياة مقاييس جمالية يحتكم الناس إليها في تحديد مدى الجمال سواء كانت عرفية أو عقلية أو شرعية ومن الأهمية بمكان هنا أن نعلم أن الإسلام قد أضفى بتشريعاته على الحياة جميع أشكال الجمال المادية والمعنوية، ومن هدي الكتاب والسنة في محبة الجمال أن الله تعالى جميل يحب الجمال، والجمال له جمالا كاملا يليق بجلاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والجمال الذي يحبه في الخلق هو ما جاء منهم موافقا للشرع من الأوامر والنواهي. وأيضا أن النبي ﷺ أوتي من الجمال ما وصفت ملامس يده بالحرير وريحه بأحسن الطيب ووجهه بفلقة القمر، فمن حديث توبة كعب بن مالك: (قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ « أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ ». قَالَ فَقُلْتُ أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالَ « لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ - قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ)^(٣) ومن المعلوم بحقيقة الواقع أن منظر العين إلى مناظر الطبيعة الجميلة في الإنسان والحيوان

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨٢٣ (٤٠٣/١) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن. وصحح الألباني في إرواء الغليل دعاء: اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي. قال: رواه البيهقي عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَرَفَعَهُ أَيْضًا أَبُو شَهَابٍ الْحَنَاطِيُّ عَبْدُ رَبِّهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي " ١٨٨٤ (٦٢/١١)، ورواه ابن مردويه وزاد وحرم وجهي على النار. انظر: الدعاء للطبراني - باب القول عند النظر في المرأة.

(٢) لباب الآداب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النعالي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن ليج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ، ص: ١٤٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم: ٤٤١٨ (٣/٦) وانظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم: ٧١٩٢ (٨/١٠٥).

والنبات والكون وفي كل شيء وسيلة عليها الاعتماد في الجمال ، والعيون نفسها نوع جمالي تنظر إليها العيون وتتغنى بجمالها. لذا فإن الجمال صفة تتشكل من صفات وتورث صفات ولعل أبرز ما يطفئ نور الجمال في البشر صفة الكبر وأبرز ما يزيد جمالها جمالا الحياء في النساء والحلم في الرجال. والجمال الحقيقي هو اتساق بين المظهر والمخبر، ونسق في أجزاء الجمال بنوعيه: الجمال المعنوي والجمال المادي كل في محله.

كان من بين الصحابة على عهد رسول الله ﷺ صحابي اسمه زاهر بن حرام الأشجعي، وكانت به دمامة - رضي الله عنه - وكان لحبه الجم لرسول الله ﷺ يتفقده ببعض طعام أهل البادية، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يُبادلُه الهدية بالهدية، ويمنحه مشاعر الحب. وذات يوم رآه رسول الله ﷺ في سوق المدينة وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره زاهر، فقال: أرسلني، مَنْ هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألُو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ يشتري العبد؟)) فقال: يا رسول الله، إذا - والله - تجديني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: ((لكن عند الله لست بكاسد)) أو قال: ((لكن عند الله أنت غال))^(١).

ولنعلم أن الجمال كلمة ذات معان عظيمة، وذات أبعاد عميقة، ويختلف الناس في تحديد أبعادها وحصر معانيها، فالكل ينظر إليها من زاوية محددة في شخصيته وما تمثله في حياته، أو ما يظهر إليه من خلال فكره، وعليه فإن الجمال ما عظمه الشخص لحسن يراه، أو وصف فاق به غيره في النواحي المعنوية أو المادية ظاهراً وباطناً، وقد أمر الله تعالى نبينا بالصفح الجميل.

(٥) المدح والعذر والغيرة والخيلاء

المدح والعذر في اللغة:

المدح في اللغة من (مدح) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الميم والذال والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على وصف محاسن بكلام جميل. ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا: أَحْسَنَ عَلَيْهِ الثَّنَاءُ. وَالْأُمْدُوحة: الْمَدْحُ. وَيُقَالُ الْمَقْبَةُ أُمْدُوحةٌ أَيْضًا. قَالَ:

لو كان مِدْحَةٌ حَيٌّ مُنْشَرًّا أَحَدًا *** أَحْيَا أَبَاكُنَّ يَا لَيْلَى الْأُمَادِيحُ^(٢))

أورد الجوهري في الصحاح: وَتَمَدَّحَتْ خَوَاصِرُ الْمَاشِيَةِ، أَيِ اتَّسَعَتْ شِبَعًا، مِثْلُ تَنَدَّحَتْ. وَقَالَ الرَّاعِي يَصِفُ فَرَسًا: فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ^(٣) تَمَدَّحَتْ *** خَوَاصِرُهَا وَازْدَادَ رَشْحًا وَرِيدُهَا^(٤).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٦٤٨ (٩٠/٢٠) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) البيت من أقوال: الهذلي: انظر: شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. ص: ٥٤.

(٣) العكيس من اللبن: الحليب تصبُّ عليه الإهالة انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس. (١٠٧/٤)

(٤) انظر: ديوان الراعي النميري، الراعي عُيَيْد بن حُصَيْن بن معاوية بن جندل، النميري. ص: ٨١.

وفي لسان العرب لابن منظور: (والممادحُ ضدُّ المقابحِ وامتدَّحتِ الأرضُ وتمدَّحتِ اتسعت)
العذر في اللغة:

العذر في اللغة من (عذر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والذال والراء بناء صحيح له فروغٌ كثيرة، ما جعلَ الله تعالى فيه وجهَ قياسٍ بَتَّةً، بل كلُّ كلمةٍ منها على نحوها وجهتها مفردة. فالعُذرُ معروف، وهو روم الإنسان إصلاح ما أنكرَ عليه بكلام. يُقال منه: عذَرْتُهُ فَأَنَا أَعَذِرُهُ عَذْرًا، والاسم العُذرُ). أورد الجوهري في الصحاح: (والعُذرة: كواكبُ في آخرِ الجرةِ خمسة. والعُذرةُ: البَكَارَى. والعذراء: البكر). وفي لسان العرب لابن منظور: ((عذر) العُذرُ الحجة التي يُعْتَذِرُ بها والجمع أَعذارٌ..... ومنه حديث الإفك فاستَعَذَرَ رسولُ الله ﷺ من عبد الله بن أبي، وقال وهو على المنبر من يَعْذِرُنِي من رجل قد بلغني عنه كذا وكذا ؟).

ومما ورد في السنة بلفظ الحب الصريح من محبة الله تعالى للعذروالمدح والغيرة والخيلاء مايلي:

(١) عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ عَنْهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغَيْرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَغَيْرُ مِنَ اللَّهِ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحَةُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ ». (١).

(٢) عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: لَا أَحَدَ أَغَيْرُ مِنَ اللَّهِ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ لِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ قُلْتُ سَمِعْتُهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَرَفَعَهُ، قَالَ: نَعَمْ. (٢).

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل، وأبان الصراط المستقيم ببيان ما يحبه وما يفضيه، وهو بذلك قد أعذر العصاة وأنذر الناس وأقام الحجة عليهم، ومنع سلطان الشيطان عن عباده المتقين المخلصين، قال الله تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (٣) وقال سبحانه: (بَلْ آتَيْنَاهُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةً ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) (٤) فمع العذارة بالبيان يكون العدل في الحساب، ومع النذارة

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب المحاريب من أهل الكفر والردة - باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، حديث رقم: ٧٤١٦ (٩/١٢٣) وانظر: صحيح مسلم- كتاب اللعان، حديث رقم: ٣٨٣٧ (٤/٢١١).

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب التفسير- سورة الأنعام- باب قوله (ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) حديث رقم: ٤٦٣٤ (٦/٥٧).

(٣) سورة النساء: ١٦٥.

(٤) سورة القيامة: ١٥.

بالبلاغ يكون الحق في العقاب، والله سبحانه الحكيم العدل في أمره وقضائه، وقيل قد أعذر من أنذر، فإن من محاب الله أن يعذر وينذر قبل أن يأخذ بالعقوبة، فقال سبحانه: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا) ^(١)، قال النووي يرحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: ((وَالْغَيْرَةُ بَفَتْحِ الْغَيْنِ، وَهِيَ فِي حَقِّهَا: الْإِنْفَةُ، وَأَمَّا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ فَسَّرَهَا هُنَا فِي حَدِيثِ عَمْرِو النَّاقِدِ بِقَوْلِهِ ﷺ: (وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ) (أَي: غَيْرَتَهُ مِنْهُ وَتَحْرِيمَهُ) ^(٢). قَوْلُهُ ﷺ: (وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى) حَقِيقَةُ هَذَا مَصْلَحَةُ لِلْعِبَادِ، لِأَنَّهُمْ يُشْنُونَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيُشَبِّهُهُمْ فَيَنْتَفِعُونَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، لَا يَنْفَعُهُ مَدْحُهُمْ، وَلَا يَضُرُّهُ تَرْكُهُمْ ذَلِكَ. وَفِيهِ: تَنْبِيهُ عَلَى فَضْلِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ، وَسَائِرِ الْأَذْكَارِ)) ^(٣). فقد وعد الله عباده الجنة ووصفها لهم بما يرون من نعيم الدنيا، وهي في حقيقتها فيها ما لا عين رأت وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من النعيم واللذة، فشمروا المشمرون من عباد الله وطلبوا محبته بالعبادة والدعاء والذكر، ثناء عليه، وإلحاحا وتضرعا وسؤالا طلبا للجنة ونيعمها، وحبا في الله وما وعد، فإنه سبحانه يحب المدح والثناء وهو الغني الكريم، وهو المستحق له على وجه الكمال في الوصف والحال. فأحل سبحانه الحلال وحرم الحرام وجعل محارمه حمي، وجعل الجنة لمن اتقى، ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي عده العلماء من أصول الدين الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات قال: (فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ) قال ابن رجب في شرحه ^(٤) لهذا الحديث: (ويستدل بهذا الحديث من يذهب إلى سد الذرائع إلى المحرمات وتحريم الوسائل إليها) وقال النووي في شرح صحيح مسلم: (وَلِلَّهِ تَعَالَى أَيْضًا حِمَى وَهِيَ مَحَارِمُهُ، أَيْ: الْمَعَاصِي الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ، كَالْقَتْلِ وَالزَّنا وَالسَّرِقَةِ وَالْقَذْفِ وَالْخَمْرِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَأَكْلَ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، فَكُلَّ هَذَا حَمَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْ دَخَلَهُ بَارِتِكَابَهُ شَيْئًا مِنَ الْمَعَاصِي اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، وَمَنْ قَارَبَهُ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، فَمَنْ احْتَنَطَ لِنَفْسِهِ لَمْ يُقَارِبْهُ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ يُقَرِّبُهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الشُّبُهَاتِ) ^(٥).

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) الله سبحانه وتعالى يغفر، كما ثبت في الحديث الصحيح المنصوص عليه أعلاه، غيرة تليق بجلاله وعظمته، فمن صفاته (الغيرة) ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، أما الحلال والحرام فهو شرعه الذي جاءت به الرسل.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٧، ص: ٧٧.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ٧٣.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١١، ص: ٢٨.

(٣) عن ابن جابر بن عتيك الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة، وأما الخيلاء التي يحب الله أن يتخيل العبد بنفسه الله عند القتال، وأن يتخيل بالصدقة»^(١). وفي رواية أبي داود: (وأن من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب الله، فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي قال موسى^(٢) والفخر^(٣)).

إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة وهي غيرة الإنسان على أهله في ريبة أي في أمر محرم خشية حصوله، وهذا مما يحبه الله عز وجل، والغيور هو ضد الديوث الذي يقر الخبث في أهله ولا يبالي ولا يهتم. والغيرة فيما أباحه الشرع غيرة يبغضها الله، ومن أمثلة ذلك كون الإنسان يغار على نكاح قرأته وزواجهم ويمنع ذلك ويكرهه، فالغيرة فيه وكراهية ذلك أمر مبعوض عند الله عز وجل، فالغيرة في الريبة أي: فيما حرمه الله فهي محمود، والغيرة في غير الريبة، أي: فيما أباحه الله فهي مذمومة.

و من دلالة الحديث أيضا أن الخيلاء في الحرب سائغة شرعاً وعقلاً، وهي في الأصل من الأفعال غير السائغة شرعاً، لا تجوز، فإن الله تعالى قد ذم المختال الفخور وبين أنه لا يحبه كما سيأتي بيانه في المطلب التالي في وصف (مساخط الله)، ولكن هذا الفعل في حال الحرب سائغ وجائز؛ لأنه يدل على الثبات والقوة ورباطة الجاش وعزة النفس، ويدل على شجاعة الرجل وعدم خوفه، فأبيح في حالة الحرب لما فيه من عزة الإسلام والمسلمين وبه عمل الصحابة رضوان الله عليهم كما كان من موقف أبي دجانة في غزوة أحد روى الطبراني في المعجم الكبير (أن أبا دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ أَعْلَمَ بِعِصَابَةِ حَمْرَاءَ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ: "إِنَّهَا مِشْيَةُ يُبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ")^(٤). وقوله ﷺ: (واختياله عند الصدقة) يعني كونه يجود بالصدقة ويبدلها، قال الخطابي في معالم السنن: (قلت معنى الاختيال في الصدقة أن يهزه أريحية السخاء فيعطيه طيبة نفسه بها من غير من ولا تصريد^(٥))^(٦) ويترتب على ذلك

(١) انظر: سنن النسائي - كتاب الزكاة - باب الاختيال في الصدقة، حديث رقم: ٢٣٥٠ (٦٢/٣) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند

الأنصار رضي الله عنهم حديث رقم: ٢٣٧٤٧ (١٥٦/٣٩) حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٢) هو موسى بن إسماعيل، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الخيلاء في الحرب، حديث رقم: ٢٦٦١ (٤/٣) حسنه الألباني.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير. حديث رقم: ٦٣٨٨ (٢١٨/٦).

(٥) الصرد: البحت الخالص. يقال: أحبه حباً صرداً. وتبيد صرداً. وكذب صرداً. والصدرد: البرد، فارسي معرب. تقول: يوم صرد. انظر:

الصاحح للجوهري (٣٨٤/١) ويوم صرد وكيلة صرد شديدة البرد. وانظر: لسان العرب لابن منظور (٢٤٨/٣).

(٦) معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي، حلب: المطبعة العلمية، ط ١، ١٣٥١هـ، ج ٢، ص: ٢٧٦.

اقتداء به ومتابعة له، فإن ذلك سائق في الشرع قال الله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ)^(١) ومن حكمة إبداء الصدقة ما يعود على الفقراء والأغنياء واجتماع من النفع العظيم. بل إن الصدقات نوع من السخاء المندوب إليه في الشرع ويكمن في عدة وجوه. أولها: سخاء الإنسان على نفسه فتعاليم الإسلام، توصي بأن يكرم المرء نفسه وأن يشبع فمهما من الحلال فيصدها بذلك عن الحرام كما يصونها من مظاهر الفاقة التي تخدش مكانتها في اجتماع وتبسط بها دون المستوى الواجب لعزة المسلم، كما يكون السخاء في سعة الإنسان ونفقتة على أهله وولده، في نطاق القصد الذي لا إسراف فيه ولا تبذير، والسخاء واجب على الأقرباء قبل غيرهم وهو سمة المسلم في بذل المعروف والإنفاق في أوجه الخير بما ينفع الإنسانية ويدفعها إلى تحقيق العبودية لله جل وعلا، فالسخاء ليس مقتصرًا على بذل المال فحسب، بل مفهومه أوسع، وصوره أعم وأشمل. وما ورد في محبة الله للسخي الجاهل دون البخيل العابد فضيف جدا^(٢) في تحقيق أهل الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (وَالسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ. وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ. وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ). والله أعلم.

رابعاً: محاب الله العملية الواردة في السنة بلفظ الحب

(١) الرفق

معنى الرفق في اللغة:

الرفق في اللغة من (رفق) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الراء والفاء والقاف أصل واحد يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف. فالرفق: خلاف العنف؛ يقال رفقت أرقت).

هذا هو الأصل ثم يشتق منه كل شيء يدعو إلى راحة وموافقة. والرفق مرفق الإنسان؛ لأنه يستريح في الاتكاء عليه)

أورد الجوهري في الصحاح: (ومرافق الدار: مصاب الماء ونحوها. والمرفقة بالكسر: المخدعة. وقد تمرق. إذا أخذ مرفقة. وبات فلان مرفقاً، أي متكناً على مرفق يده. وناقاة رفقاء، وجمل أرقت: بين الرفق، وهو انتفال المرفق عن الجنب. وماء رفق ومرتع رفق، أي سهل المطلب)

(١) سورة البقرة: ٢٧١.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ماجاء في السخاء، حديث رقم: ١٩٦١ (٣٤٢/٤) قال الألباني: ضعيف جدا.

وفي لسان العرب لابن منظور: (ورافق الرجل صاحبه، ورَفِيقُك الذي يُرافِقُك، وقيل هو صاحب في السفر خاصة، الواحد والجمع في ذلك سواء، مثل الصديق، قال الله تعالى: (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)^(١). وقد يجمع على رُفقاء)

ومما ورد في السنة من محبة الله للرفق بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ »^(٢).

إن خلق الرفق والتيسير في التعامل، حثت عليه الشريعة وتأكدت أهميته في الدين، قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحَمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)^(٣) وتمحور مجاله في القول والعمل من لطافة اللفظ، وصنيع المعروف وحنو العاطفة، فمن حرم الرفق فقد حرم خيرا كثيرا، ومن أوتيَه فقد أوتي خيرا كثيرا، والله سبحانه وتعالى رفيق فقد سبقت رحمته غضبه وبعث نبينا ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وبالناس رفيقاً، وأخبرنا أن كل عمل يخلو من الرفق والسهولة يكون مآله إلى سوء، فقال: ﷺ (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يترع من شيء إلا شانه). وأخبر أن الله تعالى يوفق المترفق وسيجزيه أحسن الجزاء في الدنيا بتيسير أعماله، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والرفق هو دأب الأنبياء، فإن الله تعالى لما أرسل موسى إلى فرعون الطاغية الظالم المتكبر ومدعي الألوهية.. والذي قتل بني إسرائيل وأفسد في الأرض. وكذب الرسل واستعلى وأدبر واستكبر، ومع ذلك لما أرسل الله موسى وهارون عليهما السلام إليه أمرهما الله بالقول اللين لأنه أدعى لاستجابة المدعو، قال سبحانه: (أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) ﴿٢٥﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ^(٤) وكذلك ندرك غاية الرفق وعظم اللين والسهولة في دعوة إبراهيم لأبيه إلى الإسلام في سورة مريم (٤١ - ٥٠) وابتدأها بقوله: (يَأْتِ) مبينا له الهدى والعلم بالحجة والبرهان، وكاشفا له الضلال وخداع الشيطان، فاستكبر أبوه وهدده بالرجم، وقال: (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا). فرد إبراهيم بكل رفق ولين قائلاً: (سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً)؛ فكان الأنبياء عليهم السلام يصلون بالرفق واللين إلى ما لا يصل إليه غيرهم.. وفي هذا الحديث جعل النبي ﷺ الرفق أصلاً من أصول الدين في المعاملة مع النفس والخلق والناس أجمعين، صديقهم وعدوهم، وهو ديدن الدعاة إلى الله ومن أساليب الدعوة المطلوبة لأنه من الحكمة، والدعاة أولى به من عامة الناس، قال الله تعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)^(٥).

(١) سورة النساء: ٦٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب استئابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب إذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله السام عليك، حديث رقم: ٦٩٢٧ (١٦/٩) وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق، حديث رقم: ٦٧٦٦ (٢٢/٨).

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) سورة طه: ٤٣ - ٤٤.

(٥) سورة فصلت: ٣٤.

(٢) السماحة في البيع والشراء والقضاء

معنى السماح في اللغة :

السماح في اللغة من (سمح) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة). أورد الجوهري في الصحاح: (السماح والسماحة: الجود. وسَمَحَ به: أي جاء به. وسَمَحَ لي: أعطاني. وما كان سَمَحاً ولقد سَمَحَ بالضم، فهو سَمَحٌ، وقومٌ سَمَحَاءُ، كأنه جمع سَمِيح) وفي لسان العرب لابن منظور: (وقولهم الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ ليس فيها ضيق ولا شدة، وما كان سَمَحاً، ولقد سَمَحَ بالضم سَمَاحَةً وجاد بما لديه، وأسَمَحَتِ الدابة بعد استصعاب لانت وانقادت، ويقال سَمَحَ البعير بعد صُعوبته إذا ذلَّ، وأسَمَحَتْ قُرُونُهُ لذلك الأمر إذا أطاعت وانقادت) إن المعاملات التجارية ضبطت في الإسلام بضوابط شرعية، حرصت من خلالها على حفظ الحقوق والمصالح الفردية والجماعية، الخاصة والعامة، وجعل التراضي والوضوح والوفاء أهم العناصر في العقود، قال الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل، أي: بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية، كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الخيل)^(٢)

ومما ورد في السنة من محبة الله للسماحة في البيع والشراء والقضاء بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء)^(٣). هذا الحديث وغيره من الأحاديث جاءت عن النبي ﷺ تدعو إلى السماحة في البيع والشراء وحسن التقاضي والقضاء، وهذا كله راجع إلى حسن الخلق، فالإنسان المؤمن يتعامل مع الخلق المعاملة التي يجب أن يتعامل معه بها، فيحسن خلقه ويتغني بذلك رضوان الله تبارك وتعالى، وأيضاً يتغني بذلك حب الناس، فإن الإنسان إذا أحبه الله سبحانه جعل محبته في قلوب الخلق، فيدعون لهذا الإنسان الذي فيه السماحة وفيه حسن الخلق وفيه اللين، فهو هين لين مع الناس ويكسب رحمة الله، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى)^(٤) (والسماحة هي السهولة، فالإنسان عندما يسمح بماله، أي: يعطي ويبدل ماله، ويسمح فيكون سهلاً في عطائه

(١) سورة النساء: ٢٨ - ٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٢٦٨.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب البيوع عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ١٣١٩ (٣/ ٦٠٩). صححه الألباني.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فيطلبه في عفاف، حديث رقم: ٢٠٧٦ (٥٧/٣).

ومعاملاته، أخبر عمن هذه حاله بأن الله سبحانه قد رحمه. قال ابن بطال في شرح هذا الحديث: (فيه : الحُضُّ على السماحة وحسن المعاملة ، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها ، وترك المشاحة، والرقعة في البيع ، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه لأن النبي عليه السلام لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة ، فأما فضل ذلك في الآخرة ، فقد دعا عليه السلام بالرحمة لمن فعل ذلك ، فمن أحب أن تناله بركة دعوة النبي - عليه السلام - فليقتد بهذا الحديث ويعمل به . وفي قوله عليه السلام: (إذا اقتضى) حض على ترك التضييق على الناس عند طلب الحقوق، وأخذ العفو منهم ^(١) وكذلك أمر الله بالصبر والمغفرة بين عباده، قال الله تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ^(٢) فإن هذا من السماحة، وكذلك إنظار المعسر فيما أمر الله به، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ دُورُ عُسْرٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ^(٣).

(٣) إتقان العمل

الاتقان في اللغة:

الاتقان من (تقن) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (التاء والقاف والنون أصلان: أحدهما إحكام الشيء، والثاني الطين والحماة)

أورد الجوهري في الصحاح: (إِتْقَانُ الْأَمْرِ: إِحْكَامُهُ. وَرَجُلٌ تَقَنَّ بِكَسْرِ التَّاءِ: حَازِقٌ) وفي لسان العرب لابن منظور: (ويقال زَرَعْنَا فِي تَقَنَّ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ أَوْ خَبِيثَةٍ فِي تَرْبَتِهَا، وَالتَّقَنَّ الطَّبِيعَةُ، وَالْفَصَاحَةُ مِنْ تَقَنَّهُ أَيَّ مِنْ سُوْسِهِ وَطَبْعِهِ، وَأَتَقَنَّ الشَّيْءَ أَحْكَمَهُ وَإِتْقَانُهُ إِحْكَامُهُ، وَالْإِتْقَانُ الْإِحْكَامُ لِلْأَشْيَاءِ. وَفِي التَّرْتِيلِ الْعَزِيزُ: صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ)

ومما ورد في السنة من محبة الله إتقان العمل بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " أَرَهَقُوا الْقُلَّةَ " قَالَ أَبُو حَفْصٍ: - يَعْنِي مُطِينَ ^(٤)، أَيِ اذْنَوَا إِلَيْهَا - فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَقَنَّهُ " ^(٥).

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٦، ص: ٢١٠ - ٢١١.

(٢) سورة الشورى: ٤٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٤) مطين الشيخ الحافظ الصادق، محدث الكوفة، أبو جعفر، محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، الملقب بمطين. وسئل عنه السدرا قطني فقال: ثقة جبل. قال الذهبي: صنف " المسند " و " التاريخ "، وكان متقنا. عاش خمسا وتسعين سنة. وقال الخليلي: ثقة حافظ. وقيل لمطين: لم لقب بهذا؟ قال: كنت صبياً أَلْعَبُ مع الصبيان، وكنت أطولهم، فنسيح ونخوض، فيطبنون ظهري، فيصر بي يوما أبو نعيم فقال لي: يا مطين! لم لا تحضر مجلس العلم؟ فلما طلبت الحديث مات أبو نعيم، وكتبت عن أكثر من خمس مئة شيخ. توفي في ربيع الآخر، سنة سبع وتسعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢/١٣).

(٥) انظر: شعب الإيمان للبيهقي - كتاب: الأمانات وما يجب من أدائها لأهلها، حديث رقم: ٤٩٢٩ (٢٣٢/٧). حسنه الألباني، وقال: و للحديث شاهد يقويه بعض القوة وهو بلفظ: " إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن ". أخرجه البيهقي. في " الشعب "

وَعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ " وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبْدِانَ: " الشَّابُّ الْمُحْتَرِفُ " " تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو الرَّبِيعِ، عَنْ عَاصِمٍ وَلَيْسَا بِالْقَوَيْنَيْنِ " (١).

العمل معنى من معاني الحياة الإنسانية، يتخذ منه الإنسان سبباً لرزقه ومظهراً للتعبير عن نشاطه وإسهامه في حركة الحياة، وأعظم الغايات حين يكون مخلصاً يتعبد الله به، وهو يتسع في شموليته ليشمل كل ما يصدر عن الإنسان من فعل، سواء كان كدحا لطلب الرزق أو عملاً تعبدياً مشروعاً، ويضيق في خصوصيته ليقصر على مهنة الإنسان التي يسهم بها في بناء مجتمعه، والمعني هنا هو كيفية أداء هذه الأعمال؟ هل هي على وجه الإتقان والإحسان؟ أم على وجه التقصير والإهمال؟ فإن شريعتنا الإسلامية من ضمن ما تأمرنا به، تأمرنا بإتقان العمل، وألا نجعله أمراً دنيوياً نبتغي به منفعة عاجلة فحسب، بل نجعله أمراً تعبدياً نتقرب به إلى الله تعالى، والمراقبة شاهد على الحسن والقبح في الأعمال، قال الله تعالى: (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٢) وبالتدقيق في ألفاظ الحديث الشريف نجد في قوله: (عملاً) جاء نكرة والنكرة تدل على العموم، هكذا من دون تعريف، ولا تحديد لنوع العمل، إيماء بأن الله تعالى يحب أن يكون الإتقان سلوكاً للمؤمن في كل أعماله، فهو يحسن القيام بمهنته وعباداته ومعاملاته، وعليه نعلم أن إتقان العمل من الإحسان والله يحب المحسنين.

(٤) أثر نعمة الله على عبده

النعم في اللغة:

النعم في اللغة من (نعم) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((نعم) النون والعين والميم فروعها كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل، واحد يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح. منه النعمة: ما يُنعم الله تعالى على عبده به من مالٍ وعيش. يقال: لله تعالى عليه نعمة. والنعمة: المنّة، وكذا النعماء) أورد الجوهري في الصحاح: (النِّعْمَةُ: اليَدُ، والصَّنِيعَةُ، والمنَّةُ، وما أُنعمَ به عليك. وكذلك النُّعْمَى. فإن فتحت النون مددت فقلت: النِّعْمَاءُ. والنِّعْمُ مثله. وفلانٌ واسعُ النِّعْمَةِ، أي واسع المال. وقولهم: إن فعلتَ ذاك فيها ونِعمتَ: يريدون نِعمتَ الحِصْلَةِ. والتاء ثابتة في الوقف. ونِعمَ وبئس: فعلان ماضيان لا يتصرفان تصرّف سائر الأفعال، لأنَّهما استعملَا للحال بمعنى الماضي. فنِعمَ مدحٌ، وبئسَ ذمٌّ.)، وفي لسان العرب لابن منظور: (وأما قول الله عز وجل: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ. فَإِنَّ الْفِرَاءَ قَالَ: الْأَنْعَامُ ههنا بمعنى النِّعم، والنِّعم تذكر وتؤنث، ولذلك قال الله عز وجل مِمَّا فِي بُطُونِهِ، وقال في موضع آخر

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي - كتاب: التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره، حديث رقم: ١١٨١ (٤٤١/٢). ضعفه الألباني في الترغيب والترهيب.

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

مما في بطونها، وقال الفراء: النَّعَم ذكر لا يؤنث ويجمع على نُعْمَانٍ مثل حَمَلٍ وحُمْلَانٍ، والعرب إذا أفردت النَّعَم لم يريدوا بها إلا الإبل، فإذا قالوا الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم).

ومما ورد في السنة من محبة الله أن يرى أثر نعمته على عبده بلفظ الحب الصريح ما يلي:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»^(١). وفي حديث أبي الأحوص الجشمي^(٢) عن أبيه قال: (رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيَّ أَطْمَارًا، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مَالٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ آتَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ، قَالَ: فَاتْرَ نَعَمَ اللَّهِ وَكَرَامَتَهُ عَلَيْكَ)^(٣). فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ، أَنْ يَبْدِيَ الْعَبْدُ، وَيُظْهِرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَا مَانِعَ مِنَ التَّقَشُّفِ أَحْيَانًا، أَوِ الْبَذَاذَةِ، إِذَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ، وَأَنْ يَعُودَهَا، وَأَنْ يَرُوضَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا، فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي بَابِ الزَّهْدِ الْحَمُودِ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَبَسَ الشِّيَابَ الْحَسَنَةَ الطَّيْبَةَ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي بَابِ الْغِنَى الشَّاكِرِ. وَإِذَا لَبَسَ الشِّيَابَ الْبَذْلَةَ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ التَّوَاضُعَ، لَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ الرِّيَاءَ وَالسَّمْعَةَ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ إِظْهَارَ الْمَخَالَفَةِ، أَوْ إِظْهَارَ التَّقَشُّفِ أَمَامَ النَّاسِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ كَسْرَ نَفْسِهِ، فَلَا بَأْسَ. وَعَلَى ذَلِكَ يَتَزَلَّ حَدِيثُ أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَسْمَعُونَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٤). يَعْنِي التَّفَحُّلَ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ هُوَ أَبُو أَمَامَةَ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ. وَعَلَى هَذَا تَتَزَلُّ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي الزَّهْدِ وَالتَّقَشُّفِ وَالْإِقْلَالِ مِنَ الدُّنْيَا، وَهَكَذَا كَانَ هَدْيُهُ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا، وَلَا يَرُدُّ مَوْجُودًا، لَا فِي مَطْعَمِهِ، وَلَا فِي مَشْرَبِهِ، وَلَا فِي مَلْبَسِهِ ﷺ يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ يَرْحِمُهُ اللَّهُ تَعَالَى: (النَّعَمُ ثَلَاثَةٌ: نِعْمَةٌ حَاصِلَةٌ يَعْلَمُ بِهَا الْعَبْدُ، وَنِعْمَةٌ مُنْتَظَرَةٌ يَرْجُوهَا، وَنِعْمَةٌ هِيَ فِيهَا لَا يَشْعُرُ بِهَا، وَهُوَ فِيهَا لَا يَشْعُرُ بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِقَامَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ، عَرَفَهُ نِعْمَتُهُ الْحَاضِرَةُ وَأَعْطَاهُ مِنْ شُكْرِهِ قِيدًا بِهَا؛ حَتَّى لَا تَشْرُدَ فَإِنَّهَا تَشْرُدُ بِالْمَعْصِيَةِ وَتَقِيدُ بِالشُّكْرِ، وَوَفْقَةُ لِعَمَلٍ يَسْتَجْلِبُ بِهِ النِّعْمَةَ الْمُنْتَظَرَةَ، وَبَصَرُهُ بِالطَّرِيقِ الَّتِي تَسُدُّهَا وَتَقْطَعُ طَرِيقَهَا وَوَفْقَةُ لاجْتِنَابِهَا، وَإِذَا بِهَا قَدْ وَافَتْ إِلَيْهِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُودِ، وَعَرَفَهُ النَّعَمُ الَّتِي هِيَ فِيهَا،

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته عبده، حديث رقم: ٢٨١٩

(٥/١٢٣) قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) عوف بن مالك بن نضلة بن جريج أبو الأحوص الجشمي الكوفي، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، روى عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى، وروى عنه بن أخيه أبو الزعراء وأبو إسحاق وخلق، ثقة، قتله الخوارج في أيام الحجاج بن يوسف. انظر: رجال صحيح مسلم لأبي بكر الأصبهاني (٩٨/٢) وانظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١٠١/٢) وانظر الجرح والتعديل لابن المنذر (١٤/٧).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين - حديث مالك بن نضلة أبي الأحوص - حديث رقم: ١٥٩٢٨ (٣/٤٧٣) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الرجل - باب النهي عن كثير من الإفراه - حديث رقم: ٤١٦٣ (٤/١٢٥) تعليق صححه الألباني.

فلا يشعر بها^(١) ونعلم من ذلك أن الواجب في النعم حمد الله وإظهارها و الشكر عليها وعدم الغفلة عن ذلك فإنه بالشكر تدوم النعم، لأن أية نعمة إذا شكرتها أحيتها وزادت، فإن كفرتها أمتها وفقدت. فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده ألهمه شكرها، قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)^(٢) قال السعدي في تفسيره (وقال لهم حاثا على شكر نعم الله: { وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ } أي: أعلم ووعد، { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } من نعمي { وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك^(٣)

المطلب الثاني

مساخط الله في الكتاب والسنة

إن ما يسخط الله ويغضبه تقوم عليه شقاوة الإنسان، وهو طريق هلكة في مرحلة الابتلاء التي يمر بها الناس على هذه الأرض، والسبيل الأوحى لمعرفة ما يسخط الله ويغضبه في الدين مصدرا الشريعة الخاتمة السمحة: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتوصف مساخط الله فيهما بالشرك والباطل والخبائث، ومساوي الأخلاق وقبائح الأعمال والأقوال، وكل المنهيات مساخط لله يقوم عليها فساد الدنيا والدين، ومما يجب معرفته أن مساخط الله لا تدرك إلا من طريق الشرع؛ لأن الأصل في الأشياء الحل ولا تحرم الأشياء ولا تحل إلا بمقتضى الشارع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية، والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل، فإن التمييز بين جنس المعروف، وجنس المنكر، أو جنس الدليل، وغير الدليل، يتييسر كثيرا. فأما مراتب المعروف والمنكر، ومراتب الدليل، بحيث يقدم عند النزاحم أعرف المعروفين وينكر أنكر المنكرين، ويرجح أقوى الدليلين، فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين. فالمراتب ثلاث:

أحدها: العمل الصالح المشروع الذي لا كراهة فيه.

(١) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣ هـ ص ١٧٢.

(٢) سورة إبراهيم: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ٤٢٢.

والثانية: العمل الصالح من بعض وجوهه، أو أكثرها إما لحسن القصد، أو لاشتماله مع ذلك على أنواع من المشروع.

والثالثة: ما ليس فيه صلاح أصلاً: إما لكونه تركاً للعمل الصالح مطلقاً، أو لكونه عملاً فاسداً محضاً^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِيَدِهِ رَايَتَانِ، رَايَةٌ بِيَدِ مَلِكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لَمَّا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اتَّبَعَهُ الْمَلِكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلِكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لَمَّا يُسْخِطُ اللَّهُ اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»^(٢).

وعلى هذا الوصف الإجمالي فقد قمت بتصنيف مساخط الله الواردة في الكتاب والسنة المنهي عنها بنفي المحبة لها وفق الذكر الصريح بلفظ عدم الحب، إلى قسمين:

القسم الأول

مساخط الله الواردة في القرآن الكريم بنفي المحبة من الله لها

- (١) الظلم. والله لا يحب الظالمين (٢) الفساد. والله لا يحب المفسدين (٣) الكفر. والله لا يحب الكافرين (والله لا يحب كل كفار أثيم) (٤) الاعتداء. والله لا يحب المعتدين (٥) السرف وإن الله لا يحب المسرفين (٦) الاختيال والفخر. والله لا يحب كل مختال فخور (٧) الخيانة. وإن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً، وإن الله لا يحب الخائنين (٨) الكبر. والله لا يحب المستكبرين (٩) الفرح. والله لا يحب الفرحين (١٠) الجهر بالسوء من القول. ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم.

القسم الثاني

مساخط الله الواردة في السنة النبوية بنفي المحبة من الله لها

- (١) الفحش و التفحش.
- (٢) الاضطجاع على البطن.
- (٣) العقوق.
- (٤) لي اللسان بالكلام ورفع الصوت على المتحدث والجدال.
- (٥) الإسبال في الإزار للرجال.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤١١هـ، ج ٢، ص: ٦٢٢ - ٦٢٣.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٢٨٦ (٤١/١٤) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

القسم الأول

مساخط الله الواردة في القرآن الكريم بنفي المحبة من الله لها

(١) الظلم

الظلم في اللغة:

الظلم في اللغة من (ظلم) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الطاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وَضَعُ الشَّيْءِ غيرَ موضعه تعدياً..... قال كعب:

أنا ابنُ الذي لم يُخزني في حياته *** قديماً ومن يشبه أباهُ فما ظلمُ

وأنشد بيت زهير:

هو الجوادُ الذي يُعطيك نائلَهُ *** عفواً ويُظلمُ أحياناً فيظلمُ (

أورد الجوهري في الصحاح: (وظلم الوادي، إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن بلغه قبل ذلك. والأرض المظلومة: التي لم تُحفر قط ثم حفرت. وذلك التراب ظليماً)

وفي لسان العرب لابن منظور: (وأصل الظلم الجورُ ومجاوزة الحدِّ، ومنه حديث الوُضوء فمن زاد أو نقص فقد أساء وظلم، أي أساء الأدب بتركه السُّنة والتَّأدُّب بأدب الشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء، وفي الترتيل العزيز: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ورؤي ذلك عن حذيفة وابن مسعود وسلمان، وتأولوا فيه قول الله عز وجل: إن الشرك لظلم عظيم. والظلم الميلُ عن القصد، والعرب تقول الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه أي لا تجر عنه).

وهنا أعرض الآيات الواردة في القرآن الكريم بلفظ عدم الحب الصريح من نفي محبة الله للظلم والظالمين:

(١) قال الله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^(١).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: (وأما قوله: "والله لا يحب الظالمين"، فإنه يعني: والله لا يحب من ظلم غيره حقاً له، أو وضع شيئاً في غير موضعه. فنفي جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده، فيجازي المسيء ممن كفر جزاءً المحسنين ممن آمن به، أو يجازي المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه، جزاءً المسيئين ممن كفر به وكذب رسله وخالف أمره ونهيه. فقال: إني لا أحب الظالمين، فكيف أظلم خلقي؟ وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان خرج مخرج الخبر، فإنه وعيدٌ منه للكافرين به وبرسله، ووعدٌ منه للمؤمنين به وبرسله، لأنه أعلم الفريقين جميعاً أنه لا يخسُ هذا المؤمن حقه، ولا يظلمُ كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه، فيكون لها بوضعها في غير أهلها ظالماً)^(٢).

(١) سورة آل عمران: ٥٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٤٦٦.

(٢) قال الله تعالى: (إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِثْلُهُ^١ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ^٢ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ^(١)).

ذكر الإمام ابن جرير الطبري في تفسير قول الله تعالى: (والله لا يحب الظالمين) قولين في فئتين يجمع بينهما ظلم المعصية:

(١) يعني به: الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم.

(٢) أي: المنافقين الذي يظهرون بالسنن الطاعة، وقلوبهم مصرة على المعصية.^(٢)

و درجات الظلم تتفاوت طردا بتفاوت درجات المعاصي، وفي تحريم الظلم ونفي محبة الله للظالمين مناط حفظ الحقوق، حقوق الله وأعظمها التوحيد والعبادة، وحقوق الآدميين وأعظمها عصمة النفس والمال والعرض إلا بحقه الشرعي، وحقوق الخلق عامة وأعظمها حق الحياة والوجود، والتسبيح لله تعالى. وميزان المسلم أن يتعامل مع الناس وغيرهم بالعدل، وهي من أعظم الصفات وأجل السمات .

(٢) الفساد

الفساد في اللغة:

الفساد في اللغة من (فسد) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الفاء والسين والذال كلمة واحدة، فَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ فَسَادًا وَفُسُودًا، وَهُوَ فَاسِدٌ وَفَسِيدٌ)

أورد الجوهري في الصحاح: (ولا يقال: انْفَسَدَ. وَأَفْسَدْتُهُ أَنَا. وَالْإِسْتِفْسَادُ: خِلَافُ الْإِسْتِصْلَاحِ. وَالْمَفْسَدَةُ: خِلَافُ الْمَصْلُحَةِ).

وفي لسان العرب لابن منظور: (وَفَسَدَ الشَّيْءُ إِذَا أَبَارَهُ، وَقَالَ ابْنُ جَنْدَبٍ: وَقُلْتُ لَهُمْ قَدْ أَدْرَكْتَكُمْ كِتَابِيَّةٌ مُفْسِدَةٌ الْأَدْبَارِ مَا لَمْ تُخَفَّرْ، أَيِ إِذَا شَدَّتْ عَلَى قَوْمٍ قَطَعَتْ أَدْبَارَهُمْ مَا لَمْ تُخَفَّرِ الْأَدْبَارُ أَيِ لَمْ تَمْنَعْ)

وهنا أعرض الآيات الواردة في القرآن الكريم بلفظ عدم الحب الصريح من نفي محبة الله للفساد والمفسدين:

(١) قال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ^(٣) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ^(٤) وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ^(٥))

وقد ورد في سبب نزولها ثلاث^(٦) روايات:

(١) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٢٤٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٢٢٩ - ٢٣٠.

الأولى: أورد الإمام ابن جرير القول في سبب التزول عن السدي: "ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام"، قال: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي - وهو حليفٌ لبني زهرة - وأقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أنني صادق! وذلك قوله: "ويشهد الله على ما في قلبه" ثم خرج من عند النبي ﷺ فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر، فأحرق الزرع، وعقر الحُمُر.

الثانية: أورد الإمام ابن جرير القول في سبب التزول عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أصيبت هذه السرية أصحاب خبيب بالرجيع بين مكة والمدينة، فقال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المقتولين الذين هلكوا هكذا! لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر في الشهادة والخير من الله.

الثالثة: قال الإمام ابن كثير: (وقيل: بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم. وهذا قول قتادة، ومجاهد، والربيع^(١) بن أنس، وغير واحد، وهو الصحيح)^(٢).

ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: (فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث، وهو: محل نماء الزروع والثمار والنسل، وهو: نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما. وقال مجاهد: إذا سعى في الأرض فساداً، منع الله القطر، فهلك الحرث والنسل. {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادُ} أي: لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك.

وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} أي: إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق - امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: (وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ بِالَّذِينَ يَأْتِيَانَهُمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَوْلَاكُمْ أَلَا تُرْءَوْا وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَيِّنَاتٍ مِّنْ كُتُبِ الْمَصِيرِ)^(٣)، ولهذا قال في هذه الآية: {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} أي: هي كافيته عقوبة في ذلك)^(٤).

(٢) قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمَا مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ

(١) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي. بصري. سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، والحسن البصري. وكان عالم مرو في زمانه، قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن أبي داود: سجن بمرو ثلاثين سنة. قلت: سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه. يقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومئة. حديثه في السنن الأربعة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٠/٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٥٦٢.

(٣) سورة الحج: ٧٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٥٦٤.

أَطْفَاَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ^(١)

أورد أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية شخصين من اليهود فنحاص بن عازوراء وشاس بن قيس:

١- قال البغوي: (قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في أمر رسوله ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق نسبه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك. قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها)^(٢).

٢- قال الإمام ابن كثير في تفسيره (عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود، يقال له: شاس بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)^(٣) (٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري: (يقول تعالى ذكره: ويعمل هؤلاء اليهود والنصارى بمعصية الله، فيكفرون بآياته ويكذبون رسله، ويخالفون أمره ونهيه، وذلك سعيهم فيها بالفساد "والله لا يحب المفسدين"، يقول: والله لا يحب من كان عاملاً بمعاصيه في أرضه)^(٥).

٣) قال الله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)^(٦)

قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) أي أطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة، فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي. قوله تعالى: (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) اختلف فيه، فقال ابن عباس والجمهور: لا تضع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحاً في دنياك، إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها. فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة. وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضع حظك من دنياك في تمتع بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٣، ص: ٧٦.

(٣) سورة المائدة: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٣، ص: ١٤٦.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١٠، ص: ٤٦١.

(٦) سورة القصص: ٧٧.

الذي يشتهي. وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية التَّوْبَةِ من الشدة، قاله ابن عطية. قلت: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: أحرت لندياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعن الحسن: قدم الفضل، وأمسك ما يبلغ. وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف. وقيل: أراد بنصيبه الكفن. فهذا وعظ متصل، كأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن. ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله *** رداء إن تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

وهي القناعة لا تبغي بها بدلا *** فيها النعيم وفيها راحة البدن
أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها *** هل راح منها بغير القطن والكفن

قال ابن العربي^(١): وأبدع ما فيه عندي قول قتادة: ولا تنس نصيبك الحلال، فهو نصيبك من الدنيا ويا ما أحسن هذا. (وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) أي أطع الله وأعبده كما أنعم عليك. منه الحديث: ما الإحسان؟ قال: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) وقيل: هو أمر بصلة المساكين. قال ابن العربي: فيه أقوال كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله. وقال مالك: هو الأكل والشرب من غير سرف. قال ابن العربي: أرى مالكا أراد الرد على الغالين في العبادة والتقشف، فإن النبي ﷺ كان يحب الحلواء، ويشرب العسل، ويستعمل الشواء، ويشرب الماء البارد. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع (وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) أي لا تعمل بالمعاصي (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)^(٢)

(٣) الكفر

الكفر في اللغة:

الكفر في اللغة من (كفر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنى واحد، وهو السُّتْرُ والتَّغْطِية. يقال لمن غطَّى دِرْعَهُ بثوبٍ: قد كَفَرَ دِرْعَهُ. والمُكْفَرُ: الرَّجُلُ المَتَغَطِّيُّ بسلاحه. فأما قوله:

(١) الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الاشيلي المالكي، صاحب التصانيف. ولد في سنة ثمان وستين وأربع مئة. وكان أبوه أبو محمد من كبار أصحاب أبي محمد بن حزم الظاهري بخلاف ابنه القاضي أبي بكر، فإنه منافر لابن حزم، ارتحل مع أبيه، إلى بغداد ودمشق وبيت المقدس ومصر، وتفقه بالإمام أبي حامد الغزالي، والفقيه أبي بكر الشاشي، والعلامة، الأديب أبي زكريا التبريزي، وجماعة. ورجع إلى الأندلس في سنة إحدى وتسعين وأربع مئة. رجع إلى الأندلس بعد أن دفن أباه في رحلته - أظن ببيت المقدس - وصنف، وجمع في فنون العلم و برع، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً. واشتهر اسمه، وكان رئيساً محتشماً، وافر الأموال، وكان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشامل، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية، فحمدت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة، فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه. كان القاضي أبو بكر ممن يقال: إنه بلغ رتبة الاجتهاد. قال أبو القاسم بن بشكوال: توفي ابن العربي بفاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٧/٢٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ١٣، ص: ٣١٤ - ٣١٥.

حتى إذا أَلَقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ *** وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا^(١)

فيقال: إِنَّ الكافر: مَغِيبُ الشَّمْسِ. ويقال: بل الكافر: البحر. وكذلك فُسِّرَ قولُ الآخر. والنهر العظيم كافر، تشبیهً بالبحر. ويقال للزَّارِعِ كافر، لَأَنَّهُ يُعْطِي الحَبَّ بِتُرَابِ الأرض. قال الله تعالى: (أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)^(٢) والكُفْرُ: ضِدُّ الإِيمَانِ، سَمِيَ لَأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الحَقِّ. وكذلك كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسِتْرُهَا. والكافور: كَمُ العَنْبِ قَبْلَ أَنْ يُنَوَّرَ. وَسَمِيَ كَافُورًا لَأَنَّهُ كَفَرَ الوَلِيعَ، أَي غَطَّاهُ (أورد الجوهرى في الصحاح: (والكُفْرُ أَيْضًا: الْقَرِيَةُ

وفي لسان العرب لابن منظور: (وَسَمِيَتِ الْكُفَّارَاتُ كُفَّارَاتٍ؛ لِأَنَّهَا تُكْفِّرُ الذُّنُوبَ أَي تَسْتَرُهَا، مِثْلَ كُفَّارَةِ الْإِيمَانِ وَكُفَّارَةِ الظُّهَارِ وَالْقَتْلِ الخَطِإِ، وَقَدْ بَيَّنَّهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَأَمَرَ بِهَا عِبَادَهُ) الأثِيم في اللغة:

أصل كلمة (الأثِيم) كما أورد ابن فارس في معجم مقاييس اللغة من (أثم) قال: (الهمزة والثاء والميم تدلُّ على أصل واحد، وهو البطء والتأخُّر. يقال ناقة آثمة أي متأخرة) أورد الجوهرى في الصحاح: (الأثم: الذنبُ. وقد أثمَّ الرجل بالكسر إثمًا ومأثمًا، إذا وقع في الإثم، فهو آثمٌ وأثِيمٌ، وأثومٌ أَيْضًا. وَأَثَمَهُ اللَّهُ فِي كَذَا يَأْثُمُهُ وَيَأْثُمُهُ، أَي عَدَّه عَلَيْهِ إِثْمًا، فَهُوَ مَأْثُومٌ. وَأَنشَدَ الْفَرَّاءُ: (فَهَلْ يَأْثُمُنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا... وَعَلَّلْتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفَرِ) (٣)

وفي لسان العرب لابن منظور: (قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَجَنَّبْتُ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ تَأْثِمًا إِلَّا إِنْ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ

ورجل أَثَامٌ من قوم آثمين وأثِيمٌ من قوم أُثِمَاءَ، وقوله عز وجل: إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ، قال الفراء: الأثِيمُ الفاجر)

الآيات الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للكافرين بلفظ عدم الحب الصريح:

(١) قال الله تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)^(٤)

وذكر في سبب نزول هذه الآية ثلاث^(٥) روايات:

الأولى: نزلت في قريش وعبادتها للأصنام من تماثيل الصالحين وادعائهم أنها تقرهم إلى الله.

(١) هذا البيت من قول لبيد. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة. ص: ١٢٨.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

(٣) هذا البيت من قصيدة لنصيب بن رباح الأسود الحبكي. انظر: فرحة الأديب، لأبي محمد الأعرابي. ص: ٣٣.

(٤) سورة آل عمران: ٣٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٣٢٢.

الثانية: نزلت في عبد الله بن أبي في قوله النفاق أن النبي ﷺ يأمرهم بحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم.

الثالثة: نزلت في وفد نجران من النصارى الذين قدموا المدينة ولم يؤمنوا ولم يجرؤوا على المباهلة.

قال الإمام الطبري: (عني بذلك جل ثناؤه: قل، يا محمد، هؤلاء الوفد من نصارى نجران: أطيعوا الله والرسول محمداً، فإنكم قد علمتم يقيناً أنه رسولي إلى خلقي، ابتعثته بالحق، تجدونه مكتوباً عندكم في الإنجيل، فإن تولّوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك، وأعرضوا عنه، فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم، بجحودهم نبوتك، وإنكارهم الحق الذي أنت عليه، بعد علمهم بصحة أمرك، وحقيقة نبوتك)^(١)

وقال السعدي يرحمه الله في تفسيره: (وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالاً لأمر الله هو من طاعته، فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون { فإن تولوا } أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ)^(٢) فلهذا قال: { فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين } بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي^(٣). ثم قال يرحمه الله: (ثم قال: { وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } أي: باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته. ثم قال أمراً لكل أحد من خاص وعام: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا } أي: خالفوا عن أمره { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقليين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء - بل المرسلون، بل أولو العزم منهم - في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته)

(٢) قال الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿١٢٨﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)^(٤)

(١) سورة الحج: ٤ .

(٢) سبق تخريجه. انظر: فهرس الأحاديث .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٢٨.

(٤) سورة الروم: ٤٥ .

قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى آمراً عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته، والمبادرة إلى الخيرات: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} أي: يوم القيامة، إذا أراد كونه فلا راداً له، {يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ} أي: يتفرقون، ففريق في الجنة وفريق في السعير؛ ولهذا قال: {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ} أي: يجازيهم مجازاة الفضل: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله، {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} ومع هذا هو العادل فيهم، الذي لا يجور^(١).

٣) قال الله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ كُفَّرُوا بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٢)

قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} أي: لا يحب كفور القلب أثيم القبول والفعل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل^(٣)). وقال السعدي في تفسير هذه الآية: (قال تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا} أي: يذهب ويذهب بركته ذاتا ووصفا، فيكون سببا لوقوع الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له إلى النار {ويربي الصدقات} أي: ينميها ويترل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والخسنة إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده {والله لا يحب كل كفار} لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله {أثيم} أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته^(٤)).

(٤) الاعتداء

الاعتداء في اللغة:

الاعتداء في اللغة من (عدو) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والذال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٣٢١.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٧١٥ - ٧١٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٦٦.

يقتصر عليه. من ذلك العدو، وهو الحُصْر. تقول: عدا يعدو عدواً، وهو عاد. قال الخليل: والعدو مضموم مثقل، وهما لغتان: إحداهما عدو كقولك غزو، والأخرى عدو كقولك حضور وقعود (

أورد الجوهري في الصحاح: (والعداء بالفتح والمد: طوار كل شيء، وهو ما انقاد معه من عرضه وطوله. والعداء أيضاً: تجاوز الحد والظلم.

وتعادى القوم، إذا أصاب هذا مثل داء هذا من العدوى، أو يموت بعضهم في إثر بعض. قال الشاعر:

فما لك من أروى تعاديت بالعمى *** ولا قيت كلاباً مطلاً ورامياً

والعدوان: الظلم الصراح. وقد عدا عليه، وتعدى عليه، واعتدى كله بمعنى. وعوادي الدهر: عوائقه. قال الشاعر:

هَجَرَتْ غَضُوبٌ وَحُبٌّ مِنْ يَتَجَنَّبُ *** وَعَدَتْ عَوَادٍ دُونَ وَلَيْكَ تَشَعُّبُ

والعدوة والعدوة: جانب الوادي وحافته. قال الله تعالى: (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) ^(١). والجمع عداء. وقال أبو عمرو: العدوة والعدوة: المكان المرتفع (

وفي لسان العرب لابن منظور: (يقال للواحد والاثنين والجمع: عدو. قال الله تعالى في قصة إبراهيم: (فَلَيْتُمْ عَدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) ^(٢) والعدي والعدى والعادي والعداة. وأما العدواء فالأرض اليابسة الصلبة، وإنما سميت بذلك لأن من سكنها تعداها (

الآيات الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للمعتدين بلفظ عدم الحب الصريح:

(١) قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ^(٣)

قال الإمام الطبري في تفسيره: (عن أبي العالية ^(٤) في قوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، وكيف عمّن كف عنه حتى نزلت سورة براءة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال: هذه منسوخة بقوله: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) ^(٥) وفي هذا نظر؛ لأن قوله: {الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} إنما هو تهيج وإغراء بالأعداء الذين همّتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم، كما قال: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) ^(٦)؛ ولهذا قال في هذه الآية: (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم) ^(٧) أي: لتكن همّتكم منبعثة على قتالهم، كما أن همّتهم منبعثة على قتالكم، وعلى

(١) سورة الأنفال: ٤٢ .

(٢) سورة الشعراء: ٧٧ .

(٣) سورة البقرة: ١٩٠ .

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) سورة التوبة: ٥ .

(٦) سورة التوبة: ٣٦ .

(٧) سورة البقرة: ١٩١ .

إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها، قصاصاً. وقد حكى عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أن أول آية نزلت في القتال بعد الهجرة، (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا)^(١) وهو الأشهر وبه ورد الحديث. وقوله: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي - كما قاله الحسن البصري - من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ومقاتل بن حيان، وغيرهم. ولهذا جاء في صحيح مسلم^(٢)، عن بُريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول: "اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغْلُوا، ولا تَغْدُرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا أصحاب الصوامع". رواه الإمام أحمد^(٣).

(٢) قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٤) ورد في سبب نزول هذه الآية أربع^(٥) روايات:

الأولى: عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا: نقطع مَذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأرسل إليهم، فذكر لهم ذلك: فقالوا: نعم، فقال النبي ﷺ: "لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي فهو مِنِّي، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مِنِّي".^(٦) رواه ابن أبي حاتم.

الثانية: عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالشوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٧) ^(٨).

(١) سورة الحج: ٣٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب تأمير الأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو، حديث رقم: ٤٦١٩ (٥/١٣٩).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٥٢٣ - ٥٢٤.

(٤) سورة المائدة: ٨٧.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ١٦٩ - ١٧١. و تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ١٧١ - ١٧٢.

(٦) ورد مثله في حق عثمان بن مظعون، وآخرين من الصحابة، انظر: صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح، حديث رقم: ٥٠٦٣ (١٧/٨٤). وانظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة.

(٧) سورة المائدة: ٨٧.

(٨) انظر: صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب ما يكره من التبتل والخصاء، حديث رقم: ٥٠٧٥ (٤/٧) وانظر: صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة، حديث رقم: ٣٤٧٦ (٤/١٣٠).

الثالثة: عن مجاهد قال: أراد رجال، منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو، أن يَتَّبِعُوا ويَخْصُوا أنفسهم ويلبسوا المسوح، فزلت هذه الآية إلى قوله: {وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} قال ابن جريج، عن عكرمة: أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالمًا مولى أبي حذيفة في أصحاب تبتلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرّموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالإخصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فزلت: (يَتَأَيُّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين يريد: ما حرّموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا عليه من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الإخصاء، فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: "إن لأنفسكم حقًا، وإن لأعينكم حقًا، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا". فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت.

الرابعة: عن السدي في قوله: (يَتَأَيُّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ^(١) وذلك أن رسول الله ﷺ جلس يومًا فذكر الناس، ثم قام ولم يزددهم على التخويف، فقال ناس من أصحاب النبي ﷺ، كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون: ما خفنا إن لم نحدث عملاً فإن النصراني قد حرّموا على أنفسهم، فنحن نحرم. فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والودك، وأن يأكل بنهار، وحرم بعضهم النوم، وحرم بعضهم النساء، فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو من أهله ولا تدنو منه. فأتت امرأته عائشة، رضي الله عنها، وكان يقال لها: الحولاء، فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي ﷺ: ما بالك يا حولاء متغيرة اللون، لا تمتشطين، لا تتطيبين؟ قالت: وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع عليّ زوجي وما رفع عني ثوبًا، منذ كذا وكذا. قال: فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن، فقال: "ما يضحكن؟" قالت: يا رسول الله، إن الحولاء سألتها عن أمرها، فقالت: ما رفع عني زوجي ثوبًا منذ كذا وكذا. فأرسل إليه فدعاه، فقال: "ما لك يا عثمان؟" قال: إني تركته لله، لكي أتخلّي للعبادة، وقص عليه أمره، وكان عثمان قد أراد أن يحب نفسه، فقال رسول الله ﷺ: "أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك". فقال: يا رسول الله، إني صائم. فقال: "أفطر". فأفطر، وأتى أهله، فرجعت الحولاء إلى عائشة - زوج رسول الله ﷺ - وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت، فضحكت عائشة وقالت: ما لك يا حولاء؟ فقالت: إنه آتاها أمس، وقال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والنوم؟ ألا إني أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عني فليس مني". فزلت: (يَتَأَيُّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) ^(٢) يقول لعثمان "لا تحبّ

(١) سورة المائدة: ٨٧.

(٢) سورة المائدة: ٨٧.

نفسك، فإن هذا هو الاعتداء". وأمرهم أن يكفروا عن أيماهم، فقال: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ)^(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره. وقوله: { وَلَا تَعْتَدُوا } {يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ المراد منه: ولا تبالغوا في التضيق على أنفسكم في تحريم المباحات عليكم، كما قاله من قاله من السلف. ويحتمل أن يكون المراد: كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)^(٢) وقال: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)^(٣) فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط؛ ولهذا قال: { لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }.

(٣) قال الله تعالى: (أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٤) أورد ابن كثير في تفسيره: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } [قيل] معناه: تذللًا واستكانة، و { خُفْيَةً } كما قال: (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)^(٥) وفي الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ: "أيها الناس، اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب الحديث. وقال ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس في قوله: { تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } قال: السر. وقال ابن جرير: { تَضَرُّعًا } تذللًا واستكانة لطاعته. { وَخُفْيَةً } يقول: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاة. وقال عبد الله بن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبدًا. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: (أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٦) وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا رضي فعله فقال: (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)^(٧). وقال ابن جريج: يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة، ثم روي عن عطاء

(١) سورة المائدة: ٨٩.

(٢) سورة الأعراف: ٣١.

(٣) سورة الفرقان: ٦٧.

(٤) سورة الأعراف: ٥٥.

(٥) سورة الأعراف: ٢٠٥.

(٦) سورة الأعراف: ٥٥.

(٧) سورة مريم: ٣.

الخراساني، عن ابن عباس في قوله: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} في الدعاء ولا في غيره. وقال أبو مجلز^(١): {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} لا يسأل منازل الأنبياء. وقال الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِي، حدثنا شعبة، عن زياد ابن مَخْرَاق، سمعت أبا نَعَامَةَ عن مولى لسعد؛ أن سعداً سمع ابناً له يدعو وهو يقول: اللهم، إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحوا من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها. فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً، وتعوذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء". وقرأ هذه الآية: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) وإن بحسبك أن تقول: "اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل" ورواه أبو داود، من حديث شعبة، عن زياد بن مَخْرَاق، عن أبي نَعَامَةَ، عن ابن لسعد، عن سعد، فذكره والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا عَفَّان، حدثنا حَمَّاد بن سلمة، أخبرنا الجريري، عن أبي نَعَامَةَ: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم، إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني، سل الله الجنة، وعذبه من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور". وهكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفان به. وأخرجه أبو داود^(٢)

(٥) الإسراف

الإسراف في اللغة:

الإسراف في اللغة من (سرف) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والراء والفاء * أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً للشيء. تقول: في الأمر سرف، أي مجاوزة القدر.... وأما الإغفال فقول القائل: "مررت بكم فسرفتكم"، أي أغفلتكم. وقال جرير:

أَعْطُوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَةٌ *** ما في عطائهم من ولا سرف

ويقولون إنَّ السَّرْفَ: الجهل. والسَّرْفُ: الجاهل. ويحتجُّون بقول طرفة:

إنَّ امرأ سرف الفؤاد يرى *** عسلاً بماء سحابة شَمِي (

أورد الجوهري في الصحاح: (السرف: ضدُّ القصد. والسرف: الإغفال والخطأ. وقد سرفتُ الشيء بالكسر، إذا أغفلته وجهلته)

(١) لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي البصري الأعور الأسود، أخرج له البخاري في الحج والوتر والاستئذان وغير موضع، عن سليمان التيمي وعاصم الأحول وأبي هاشم الرماني، عنه عن بن عباس وأنس بن مالك وقيس بن عباد، قال عمرو بن علي: مات سنة تسع ومائة، قال أبو حاتم: هو بصري ثقة. انظر: التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٣/١٣٧٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٤٢٨ - ٤٢٩.

وفي لسان العرب لابن منظور: (والإسرافُ في النفقة: التبذيرُ. والسُرْفَةُ: دَوِيَّةٌ تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا بَيْتاً مَرَبَعاً مِنْ دِقَاقِ الْعِيدَانِ، تَضُمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِلَعَابِهَا عَلَى مِثَالِ النَّاوُوسِ^(١)، ثُمَّ تَدْخُلُ فِيهِ وَتَمُوتُ. يُقَالُ فِي الْمِثْلِ: هُوَ أَصْنَعُ مِنْ سُرْفَةٍ)

الآيات الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للمُسْرِفِينَ بلفظ عدم الحب الصريح:

(١) قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)^(٢)

قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} قيل: معناه: ولا تسرفوا في الإعطاء، فتعطوا فوق المعروف. وقال أبو العالية^(٣): كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً، ثم تباروا فيه وأسرفوا، فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا}. وقال ابن جريج^(٤): نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جد نخلا. فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته. فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} رواه ابن جرير، عنه. وقال ابن جريج، عن عطاء: ينهى عن السرف في كل شيء. وقال إياس بن معاوية^(٥): ما جاوزت به أمر الله فهو سرف. وقال السدي^(٦) في قوله: {وَلَا تُسْرِفُوا} قال: لا تعطوا أموالكم، فتقعوا فقراء.

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب^(٧)، في قوله: {وَلَا تُسْرِفُوا} قال: لا تمنعوا الصدقة فتعصوا. ثم اختار ابن جرير قول عطاء: إنه نهى عن الإسراف في كل شيء. ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر - والله أعلم - من سياق الآية حيث قال تعالى: {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [أن يكون عائداً على الأكل، أي: ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن، كما قال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}]^(٨) وفي صحيح البخاري^(٩) تعليقاً:

(١) الناووس: من نوس وهو ما يصنع للميت ويوضع فيه كالتابوت في مقابر النصارى. هكذا في نفس المصدر (لسان العرب).

(٢) سورة الأنعام: ١٤١.

(٣) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٥) أبو وائلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سؤدة بن سارية بن ذبيان بن سليم بن أوس بن مزينة المزني؛ البلغ والألمعي المصيب، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة، ورأساً لأهل الفصاحة والرجاحة، كان صادقا الظن لطيفاً في الأمور، مشهوراً بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله ﷺ، توفي في سنة اثنتين وعشرين ومائة، وعمره ست وسبعون سنة. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: (٢٤٧/١).

(٦) سبقت ترجمته، انظر فهرس الأعلام.

(٧) سبقت ترجمته، انظر فهرس الأعلام.

(٨) سورة الأعراف: ٣١.

(٩) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس (١٨٢/٧)

"كلوا واشربوا، والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة" وهذا من هذا، والله أعلم^(١)

(٢) قال الله تعالى: {يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٢).
(قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} وقال البخاري: قال ابن عباس: كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة)^(٣) ، وأورد أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية روايتين^(٤):

الأولى: عن ابن عباس قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء: الرجال بالنهار، والنساء بالليل. وكانت المرأة تقول:

اليومَ يبدؤ بعضه أو كُله *** وما بدأ منه فلا أحله...

فقال الله تعالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}

الثانية: عن أنس مرفوعاً؛ أنها أنزلت في الصلاة في النعال. قال الإمام ابن كثير (ولكن في صحته نظر والله أعلم. وهذه الآية، وما ورد في معناها من السنة، يستحب التجميل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك، ومن أفضل الثياب البياض)^(٥).

وقال ابن جرير: (وقوله: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} يقول الله: إن الله تعالى لا يحب المتعدين حدّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحل أو حرّم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل، ويحرم ما حرّم، وذلك العدل الذي أمر به)^(٦).

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٣ ، ص: ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٣ ، ص: ٤٠٦.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٢٠هـ، ج ٣ ، ص: ١٦٩ - ١٧١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٣ ، ص: ٤٠٦.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٢٠هـ، ج ١٢ ، ص: ٣٩٥.

(٦) الاختيال والفخر

الاختيال في اللغة:

الاختيال في اللغة من (خيل) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الخاء والياء واللام أصل واحد يدل على حركة في تلون. فمن ذلك الخيال، وهو الشخص. وأصله ما يتخيّل الإنسان في منامه؛ لأنّه يشبهه ويتلون. ويقال خيّل للناقة، إذا وضعت لولدها خيلاً يفزع منه الذئب فلا يقربه. والخيل معروفة. وسمعت من يحكي عن بشر الأسدي عن الأصمعي قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، وعنده غلام أعرابي فسئل أبو عمرو: لم سميت الخيل خيلاً؟ فقال: لا أدري. فقال الأعرابي: لا ختيالها. فقال أبو عمرو: اكتبوا. وهذا صحيح؛ لأن المختال في مشيته يتلون في حركته ألواناً. والأخيّل: طائر، وأظنه ذا ألوان، يقال هو الشقراق. والعرب تتشاءم به).

أورد الجوهري في الصحاح: (وقد خال الرجل فهو خائل، أي مختال. قال الشاعر:

فإن كنت سيدنا سُدّتنا *** وإن كنت للخال فاذهب فخل

وجمع الخائل خالّة، وكذلك رجل أخائل، أي مختال. والخال: الغيم. وقد أخالت السحاب وأخيّلت وخايّلت، إذا كانت تُرَجّى المطر)

وفي لسان العرب لابن منظور: (المختال الصلف المتباهي الجهول، الذي يأنف من ذوي قرابته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، ولا يُحسن عشرتهم ويقال هو ذو خيلة)

الفخر في اللغة:

الفخر في اللغة من (فخر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الفاء والخاء والراء أصل صحيح، وهو يدل على عظم وقدم. من ذلك الفخر. ويقولون في العبارة عن الفخر: هو عدّ القديم، وهو الفخر أيضاً. قال أبو زيد: فخرت الرجل على صاحبه أفخره فخراً: أي فضّلته عليه. والفخير: الذي يفاخره، بوزن الخصيم. والفخير: الكثير الفخر. والفاخر: الشيء الجيد. والتفخر: التعظم. ونخلة فخور: عظيمة الجذع غليظة السعف)

أورد الجوهري في الصحاح: (ناقة فخور، هي العظيمة الصرع الضيقة الأحاليل. والفخار: الخزف. والفاخر من البسر: الذي يعظم ولا نوى له. والفاخور: ضرب من الرياحين. فخر فلان متفخر أي متعظم متفحش).

وفي لسان العرب لابن منظور: (وَفَخَّارَةُ الْفَخَّارُ ضَرْبٌ مِنَ الْخَزَفِ مَعْرُوفٌ تَعْمَلُ مِنْهُ الْجِرَادُ^(١) وَالْكِيزَانُ^(٢) وَغَيْرُهَا وَالْفَخَّارَةُ الْجَرَّةُ وَجَمْعُهَا فَخَّارٌ مَعْرُوفٌ وَفِي التَّرْتِيلِ مِنْ صَلَّالٍ كَالْفَخَّارِ) الآيات الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للمختالين فخرا بلفظ عدم الحب الصريح:

(١) قال الله تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)^(٣) أورد ابن كثير في تفسيره: (وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} أي: مختالا في نفسه، معجبا متكبرا، فخورا على الناس، يرى أنه خير منهم، فهو في نفسه كبير، وهو عند الله حقير، وعند الناس بغيض). قال مجاهد في قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا} يعني: متكبرا {فَخُورًا} يعني: يُعَدُّ مَا أُعْطِيَ، وهو لا يشكر الله، عز وجل. يعني: يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه، وهو قليل الشكر لله على ذلك^(٤). وهو ما علمناه من الحديث السابق في مطلب محاب الله عند أبي داود في سننه^(٥) قوله ﷺ: (وَأَنْ مِنَ الْخِيَلِ مَا يَبْغِضُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللَّهُ، فَأَمَّا الْخِيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَأَمَّا الَّتِي يَبْغِضُ اللَّهُ فَاخْتِيَالُهُ فِي الْبَغْيِ قَالَ مُوسَى وَالْفَخْرُ). أي: كونه يختال على أحد باغياً عليه ومعتدياً عليه، ويتعاضم عند ما يقتل إنساناً معصوماً، أو عندما يأخذ مالا لغيره، فإن هذا مما يبغضه الله عز وجل، فإن المخيلة مظهر من مظاهر الفخر والاختيال المحرمة في الشرع أصلاً.

(٢) قال الله تعالى: (وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)^(٦) أورد ابن كثير: (وقوله: {وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} يقول: لا تُعْرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم ولكن أَلِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في

(١) الجيم والراء والذال أصل واحد، وهو بُدُوُّ ظاهِرِ الشَّيْءِ حيث لا يَسْتُرُهُ سَاتِر. ثم يحمل عليه غيره ممَّا يشاركه في معناه. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٢/١) والجَرْدُ: فضاء لا نبات فيه. والجَرْدَةُ بالفتح: البُرْدَةُ الْمُتَجَرِّدَةُ الْخَلْقُ. التجريدُ: التعرية من الثياب. وَتَجْرِيدُ السِّيفِ: انتزاعه. والتجريدُ: التشذيبُ. والتَجَرُّدُ: التعرِّي انظر: الصحاح للجوهري (٨٦/١) وكل شيء قشرته عن شيء فقد جردته عنه والمقشور مجرود وما قشر عنه جُرادة انظر: لسان العرب لابن منظور (١١٥/٣) والجراد أوعية فخارية ملساء لحفظ الماء وتبريده.

(٢) من (كوز) الكاف والواو والراء أصل صحيح يدل على تَجْمُع. والكُوز للماء من هذا، لأنه يجمع الماء. واكتاز الماء: اغترفه.

انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٦/٥) والجمع أَكْوَارٌ وَكِيزَانٌ وَكُوزَةٌ حكاها سيبويه، مثل عُودٍ وَعِيدَانٍ وَأَعْوَادٍ وَعَوْدَةٍ انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٠٢/٥).

(٣) سورة النساء: ٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الخيلاء في الحرب، حديث رقم: ٢٦٦١ (٤/٣) حسنه الألباني.

(٦) سورة لقمان: ١٨.

الحديث^(١): "ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُنَبِّسٌ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، والمخيلة لا يحبها الله"^(٢).

قال ابن جرير: (وأصل الصَّعَر: داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها، حتى تُلَفَّت أعناقها عن رؤوسها، فشبّه به الرجل المتكبر، ومنه قول عمرو بن حُني التَّغْلبي:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ *** أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا^(٣))

وأورد ابن كثير أيضاً، قوله: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي: جذلاً متكبِّراً جباراً عنيداً، لا تفعل ذلك يَغضُك الله؛ ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره، وقال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} (٤) (٥)

٣) قال الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (٦) هاتان الآيتان الكريمتان من أدل الأدلة لإبطال ما عليه القدرية^(٧) من الضلالة في نفي القدر. قال الإمام ابن كثير في تفسيرها: (يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ} أي: في الآفاق وفي نفوسكم {إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة. وقال بعضهم: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} عائد على النفوس. وقيل: عائد على المصيبة. والأحسن عوده على الخليقة والبرية؛ لدلالة الكلام عليها)^(٨)

وقال الإمام الطبري في هذه الآية: (وقوله: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} يقول: والله لا يحب كل

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٠٦٣٥ (٢٣٧/٣٤) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٣٣٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٠، ص: ١٤٣.

(٤) سورة الإسراء: ٣٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٣٣٩.

(٦) سورة الحديد: ٢٣.

(٧) القدرية: هم نفاة القدر، وهم من قال: إن الله لم يخلق أفعال العباد وإن المعاصي لم يقدرها على العباد ولم يخلقها، وأن العباد هم يخلقون أفعالهم. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للكائني (٧٢٠/٤)، ومن القدرية الجبرية وهم نفاة الاختيار، وأن العباد مجبورون على ما يفعلون بقدر الله عليهم وليس لهم اختيار فيما يفعلون.

(٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٢٦ - ٢٧.

متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس. القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} ^(١) يقول تعالى ذكره: والله لا يحب كل مختال فخور، البخلين بما أوتوا في الدنيا على اختياهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويشحون به، وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل ^(٢).

(٧) الخيانة

الخيانة في اللغة:

الخيانة في اللغة من (خون) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الخاء والواو والنون أصل واحد، وهو التنقص. يقال خائنه يخونه خوئاً. وذلك نقصان الوفاء. ويقال تخونني فلان حقاً، أي تنقصني. أورد الجوهري في الصحاح: (وقومٌ خوئَةٌ، كما قالوا حوكةً. وخوئَةٌ: نسبه إلى الخيانة. والخوئان: الأسد) وفي لسان العرب لابن منظور: (ويقال تخونته الدهور وتخوفته أي تنقصته، والتخون له معنيان أحدهما التَّنْقُصُ والآخر التَّعَهُدُ، ومن جعله تعهداً جعل النون مبدلة من اللام يقال تخونه وتخوله بمعنى واحد، والخون فترة في النظر، يقال للأسد خائن العين من ذلك وبه سمي الأسد خوئاناً، وخائنة الأعين ما تُسارق من النظر إلى ما لا يحل).

الآيات الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للخائنين إنما بلفظ عدم الحب الصريح:

(١) قال الله تعالى: (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) ^(٣)

أورد ابن كثير في تفسيره: (عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن نفرا من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فسروا درع لأحدهم، فأظن بها رجل من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: إن طُعْمَةَ بن أبيرق سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء، وقال لنفر من عشيرته: إني غَيَّبْتُ الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده. فانطلقوا إلى نبي الله ﷺ ليلاً فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء. وإن صاحب الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علماً، فاعذروا صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه. فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا) ^(٤) [يقول: احكم بما أنزل الله إليك في الكتاب] وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَلَا

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٣، ص: ١٩٩.

(٣) سورة النساء: ١٠٧.

(٤) سورة النساء: ١٠٥.

تُجَدِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا^(١) ثم قال للذين أتوا رسول الله ﷺ مُسْتَخْفِينَ بالكذب: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) هَذَا تَمَّ هَذَا لَا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا^(٢) يعني: الذين أتوا رسول الله ﷺ مستخفين يجادلون عن الخائنين ثم قال: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)^(٣) يعني: الذين أتوا رسول الله ﷺ مستخفين بالكذب، ثم قال: (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)^(٤) يعني: السارق والذين جادلوا عن السارق. وهذا سياق غريب وكذا ذكر مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها أنزلت في سارق بني أريق على اختلاف سياقاتهم، وهي متقاربة^(٥)

قال الإمام الطبري في تفسيره: (يعني بذلك جل ثناؤه: "ولا تجادل" يا محمد، فتخاصم—"عن الذين يختانون أنفسهم"، يعني: يختنون أنفسهم، يجعلونها خبونة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله، وهم بنو أريق. يقول: لا تخصص عنهم من يطالبهم بحقوقهم وما خانوه فيه من أموالهم—"إن الله لا يحب من كان خَوَّانًا أَثِيمًا"، يقول: إن الله لا يحب من كان من صفته خيانة الناس في أموالهم، وركوب الإثم في ذلك وغيره مما حرّمه الله عليه)^(٦)

٢) قال الله تعالى: (وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)^(٧)

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه {وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ} قد عاهدكم {خِيَانَةً} أي: نقضًا لما بينك وبينهم من الموائيق والعهود، {فَإَنْذِرْ إِلَيْهِمْ} أي: عهدهم {عَلَى سَوَاءٍ} أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك، قال الراجز. فَاضْرِبْ وَجُوهَ الْغُدرِ - الْأَعْدَاءِ - حتى يجيئك إلى السواء، وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله: {فَإَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} أي: على مهل، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} أي: حتى ولو في حق الكفارين، لا يجها أيضًا^(٨). عن سلمان يعني الفارسي عليه السلام: أنه انتهى إلى حصن - أو: مدينة - فقال لأصحابه: دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال: إنما كنت رجلاً منهم فهداني الله عز وجل للإسلام، فإذا أسلمتم فلکم ما لنا

(١) سورة النساء: ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة النساء: ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) سورة النساء: ١١٠.

(٤) سورة النساء: ١١٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٤٠٥.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٩، ص: ١٩٠.

(٧) سورة الأنفال: ٥٨.

(٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٧٩.

وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم نابذناكم على سواء، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله^(١).

(٣) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)^(٢)

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (يجزى تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلوهم وينصرهم، كما قال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (٣) وقال: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٤) وقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الخيانة في العهود والمواثيق، لا يفني بما قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف بها)^(٥).

(٨) الاستكبار

الاستكبار في اللغة:

الاستكبار في اللغة من (كبر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصَّغَر. يقال: هو كَبِيرٌ، وكُبَارٌ، وكُبَارٌ. قال الله تعالى: (وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كُبَرًا) (٦). والكِبَرُ: مُعْظَمُ الأَمْرِ، قوله عزَّ وعلا: (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) (٧)، أي مُعْظَمُ أَمْرِهِ. ويقولون: كِبَرُ سياسةِ القوم في المال. فأَمَّا الكِبَرُ بضم الكاف فهو القُعدد. يقال: الولاء للكِبَر، يراد به أقعد القوم في النَّسَب، وهو الأقربُ إلى الأب الأكبر)

أورد الجوهري في الصحاح: (وقولهم: توارثوا المجد كابراً عن كابرٍ، أي كَبِيراً عن كَبِيرٍ في العزِّ والشرف. وأكْبَرْتُ الشيء، استعظمته)

وفي لسان العرب لابن منظور: (قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى المتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل المتعالي عن صفات الخلق، وقيل المتكبر على عِتَاةِ خَلْقِهِ، والتاء فيه للتفرد والتَّخْصُّصِ لا تاء التَّعَاطِي والتَّكَلُّفِ، والكِبَرِيَاءُ العِظَمَةُ والمَلِكُ، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى)

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٧٢٦ (١٢٩/٣٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) سورة الحج: ٣٨.

(٣) سورة الزمر: ٣٦.

(٤) سورة الطلاق: ٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ٤٣٣.

(٦) سورة نوح: ٢٢.

(٧) سورة النور: ١١.

الآية الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للمستكبرين بلفظ عدم الحب الصريح هي:

قال الله تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) ^(١)

قال الإمام الطبري في تفسيره: (يعني تعالى ذكره بقوله: لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من إنكارهم ما ذكرنا من الأنباء في هذه السورة، واعتقادهم نكير قولنا لهم: إلهكم إله واحد، واستكبارهم على الله، وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه) (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) يقول: إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحده ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد. كما حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: ثنا مسعر، عن رجل: أن الحسن بن علي كان يجلس إلى المساكين، ثم يقول (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) ^(٢) وأورد القرطبي في تفسيره قول العلماء في صفة الكبر: (قال العلماء: وكل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر، فإنه فسق يلزمه الإعلان، وهو أصل العصيان كله. وفي الحديث الصحيح "إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطوهم الناس بأقدامهم لتكبرهم") ^(٣).

(٩) الفرح بغير الحق

الفرح في اللغة:

الفرح في اللغة من (فرح) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الفاء والراء والحاء أصلان، يدل أحدهما على خلاف الحزن، والآخر الإثقال.

فالأَوَّلُ الْفَرَحُ، يقال فَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا، فهو فَرِحٌ. قال الله تعالى: (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) ^(٤) وأما الأصل الآخر فالإفراح، وهو الإثقال.... قالوا: هذا الذي أثقله الدين. قال:

إذا أنت لم تَبْرَحْ تَوَدِّي أمانةً *** وتحملُ أخرى أفرحتك الودائع ^(٥)

وأورد صاحب الصحاح: (وتقول: لك عندي فَرَحَةٌ إن بشرتني، وفُرْحَةٌ. والمفرح: الذي يَفْرَحُ كلما سره الدهر. والمفرح: دواء معروف) وفي لسان العرب لابن منظور: (والفرح أيضا البطر، وقوله تعالى: لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يحب الفرحين. قال الزجاج معناه والله أعلم لا تَفْرَحْ بكثرة المال في الدنيا لأن الذي يَفْرَحُ بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة، وقيل لا تَفْرَحْ: لا تأشُرْ، والمعنيان متقاربان لأنه إذا سرَّ ربما أشَرَ)

(١) سورة النحل: ٢٣.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٧، ص: ١٨٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد السبرودي و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ١٠، ص: ٩٥.

(٤) سورة غافر: ٧٥.

(٥) هذا البيت للمفضل الضبي، انظر المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء لأبي الحسن الآمدي. ص: ٢٧.

الآية الواردة في القرآن الكريم بنفي محبة الله للفرحين بلفظ عدم الحب الصريح:

قال الله تعالى: (إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحَهُ لَتَتَوَّاهُ بِالْعُصْبَةِ ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لَا تَفَرِّحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) ^(١)

أورد ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (عن ابن عباس قال: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} قال: كان ابن عمه) ^(٢).

وأورد الإمام الطبري القول في تفسيره للفرح المانع من محبة الله بالبطر والأشر، قال: (وقوله: (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) يقول: إذ قال قومه: لا تبغ ولا تبطر فرحا، إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين) ^(٣) ومن دلالة الآية الكريمة الموازنة بين الدنيا والآخرة يكون بتسخير الأولى للآخرة وأن الفرح على قسمين:

(١) فرح محمود: وهو فرح سرور بنعم الله والسعادة بها، وتسخيرها في طاعته وشكره عليها.

(٢) فرح مذموم: وهو الفرح الذي يؤدي إلى فساد وهو فرح البطر والفخر، والاعتزاز والكبر، والخيلاء والمرح، مبتداه الغرور ومنتهاه الهلكة والتبار؛ لما يؤول إليه صاحبه من الفساد في النفس والمال والدنيا والدين والله لا يحب الفساد.

(١٠) الجهر بالسوء من القول بدون مظلمة

الجهر في اللغة:

الجهر في اللغة من (جهر) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الجيم والهاء والراء أصل واحد، وهو إعلان الشيء وكشفه وعُلوّه. يقال جَهَرْتُ بالكلام أعلنت به. ورجلٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ، أي عاليه. قال:

أَخَاطِبُ جَهْرًا إِذْ لَهْنٌ تَخَافْتُ *** وَشَتَانٌ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَنْطِقِ الْخَفِ

ومن هذا الباب: جَهَرْتُ الشَّيْءَ، إذا كان في عينك عظيماً

أورد الجوهري في الصحاح: رأيت (جَهْرَةً، وكلمته جهرة. وَجَهَرْتُ البئرَ واجْتَهَرْتُهَا، أي نَقَيْتَهَا وأَخْرَجْتُ ما فيها من الحَمَاءِ. وهي بئرٌ مَجْهُورَةٌ. وقال: إذا وَرَدْنَا آجِنًا جَهْرُنَاهُ أو خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ عَمَرْنَاهُ).

(١) سورة القصص: ٧٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٢٥٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٩، ص: ٦٢٢.

وفي لسان العرب لابن منظور: (والجَهْورِيُّ والحروفُ المَجْهُورَةُ ضد المهموسة وهي تسعة عشر حرفاً قال سيبويه معنى الجَهْرِ في الحروف: أنها حروف أُشْبِعَ الاعتمادُ في موضعها حتى منع النَّفْسُ أَنْ يَجْري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، غير أن الميم والنون من جملة المجهورة وقد يعتمد لها في الفم والخياشيم فيصير فيها غنة، فهذه صفة المجهورة ويجمعها قولك « ظِلٌّ قَوْ رِبْضٍ إِذْ غَزَا جُنْدٌ مُطِيعٌ » (السوء في اللغة:

السوء في اللغة من (سوء) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (فَأَمَّا السِّينُ والوَاوُ والهمزة إنما هي من باب القُبْح. تقول رجلٌ أسوأ، أي قبيحٌ، وامرأةٌ سَوَاءٌ، أي قبيحة.)

أورد صاحب الصحاح: (وأساء إليه: نقيض أحسن إليه. والسُّوَاى نقيضُ الحُسْنِ، وفي القرآن: (ثُمَّ كَانَ عَنِيقَةَ الَّذِينَ أَشْرَوْا سُوءًا)^(١) يَعْنِي النَّارَ. وَالسَّيِّئَةُ أَصْلُهَا سَيِّئَةٌ، فَقَلِبْتَ الْوَاوَ يَاءً وَأُدْغِمْتَ. ويقال: فلان سَيِّئٌ الاختيار، وقد يُخَفَّفُ. قال الطُّهْرِيُّ:

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ *** وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَلْظٍ بَلِينِ (

وفي لسان العرب: (وَالسَّوْءَةُ السَّوْءُ الْمَرْأَةُ الْمُخَالِفَةُ، وَالسَّوْءَةُ السَّوْءُ الْخَلَّةُ الْقَبِيحَةُ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ قَبِيحَةٍ أَوْ فَعْلَةٍ قَبِيحَةٍ فَهِيَ سَوَاءٌ)

القول في اللغة:

القول في اللغة من (قول) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الْقَافُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَقُلُّ كَلِمُهُ، وَهُوَ الْقَوْلُ مِنَ التَّنْقِيطِ. يُقَالُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا. وَالْمَقُولُ: اللِّسَانُ. وَرَجُلٌ قَوْلَةٌ وَقَوْلٌ: كَثِيرُ الْقَوْلِ)

أورد الجوهري في الصحاح: (والجمع أقوالٌ وأقوالٌ أيضاً، ومن جمعه على أقوالٍ لم يجعل الواحد منه مشدداً. والقَوْلُ: جمع قائل. والقَالُ: الخشبة التي تضربُ بها القُلَّةُ. ويقال: قَوْلْتَنِي مَا لَمْ أَقُلْ، وَأَقُولْتَنِي مَا لَمْ أَقُلْ، أَيِ ادَّعَيْتَهُ عَلَيَّ. وَتَقَوْلٌ عَلَيْهِ: أَيِ كَذَبَ عَلَيْهِ. واقتالَ عَلَيْهِ: تَحَكَّمَ)

وفي لسان العرب لابن منظور: (الْقَوْلُ الْكَلَامُ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَهُوَ عِنْدَ الْحَقِّقِ كُلُّ لَفْظٍ قَالَ بِهِ اللِّسَانُ تَامًّا كَانَ أَوْ نَاقِصًا، تَقُولُ قَالَ يَقُولُ قَوْلًا، وَالْفَاعِلُ قَائِلٌ وَالْمَفْعُولُ مَقُولٌ)

الآية الواردة في القرآن الكريم بلفظ عدم الحب الصريح، من نفي محبة الله للمجاهرين بالسوء من القول، هي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا)^(٢)

(١) سورة الروم: ١٠.

(٢) سورة النساء: ١٤٨.

أورد ابن كثير في تفسيره: (عن ابن عباس: { لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ } يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: {إِلَّا مَنْ ظَلِمَ} وإن صبر فهو خير له وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللهم أعني عليه، واستخرج حقي منه. وفي رواية عنه قال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه وقال عبد الكريم^(١) بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن إن افتري عليك فلا تفتري عليه؛ لقوله: (وَلَمَنْ آتَتْكُمْ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ)^(٢) ^(٣). وقد استثنى العلماء من الجهر بالسوء ما يباح من الغيبة، قال النووي في رياض الصالحين: (اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو ستة أسباب:

الأول: النظم، فيجوز للمظلوم أن ينظم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمي فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجوا قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة. ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة. ومنها إذا أراد متفقها يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر

(١) عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد الحراشي الأموي مولاهم، روى عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير و طائوس وعكرمة وطائفة، وروى عنه مالك وابن جريج والسفيان وخلق، وثقه أحمد والعجلي وغير واحد، وقال الحميدي عن سفيان: كان حافظاً، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، مات سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: إسعاف المبطل برجال الموطأ (١٩/١).

(٢) سورة الشورى: ٤١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٤٤٢ - ٤٤٣.

المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتنفطن لذلك.

ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بالألا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً، أو مغفلاً، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستدل به.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره، من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب الأعمش، والأعرج والأصم، والأعمى والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه^(١).

والجهر بالسوء من القول يدخل فيه الغيبة والنميمة، والفحش والتفحش، وكل ما يؤدي من القول، وهو في حق المسلم اجترأ على حقه وطعن في العرض المحرم، وفي حق الكافر ظلم وتجاوز؛ لأن الإسلام أمرنا بالإحسان ومنه القول الحسن، وأخطر ما يكون على الناس حينما يكون الاجترأ، في حق الولاية والعلماء، لأنه مفسدة متعددة إلى العامة؛ باختلال الثقة في القائمين على المصالح الدنيوية والدينية للناس، وقد يؤدي إلى فساد عام وفتن عمياء، فيجب أن يسلم منه المجتمع بالنصيحة القائمة على الكتاب والسنة، ويجب أن يخلو منه المجتمع الدعوي؛ لأنهم القدوة وهدفهم وغايتهم الهداية والخيرية بالدعوة إلى الله تعالى، وهو في حقهم ألزم من غيرهم.

(١) رياض الصالحين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: مصطفى محمد أبو المعاطي، القاهرة: دار الغد الجديد، ط ١، ١٤٢٨هـ، ص:

القسم الثاني

مساخط الله الواردة في السنة النبوية بنفي محبة الله لها

(١) الفحش والتفحش.

(٢) الاضطجاع على البطن.

(٣) العقوق.

(٤) لي اللسان بالكلام ورفع الصوت على المتحدث والجدال.

(٥) الإسبال في الإزار للرجال.

(١) الفحش والتفحش

الفحش والتفحش في اللغة:

الفحش في اللغة من (فحش) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الفاء والحاء والشين كلمة تدلُّ على فُجِح في شيء وشناعة. من ذلك الفُحْش والفُحْشاء والفاحشة. يقولون: كلُّ شيء جاوزَ قَدْرَه فهو فاحش؛ ولا يكون ذلك إلا فيما يُتكرَّره)

أورد الجوهر في الصحاح: (ويسمى الزنى فاحشةً. وقول طرفة:

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي *** عَقِيلَةَ مالِ الفاحشِ المتشددِّ

يعني الذي جاوزَ الحدَّ في البخل. وأفحشَ عليه في المنطق، أي قال الفُحْشَ، فهو فحَّاشٌ. وتَفَحَّشَ في كلامه) وفي لسان العرب: (قال ابن بري: الفاحشُ السيِّءُ الخلقُ المتشددُ البخيلُ)

لقد نهى الله تعالى في كتابه الكريم عباده عن الفحشاء، ونهى عن نفسه الأمر بها، قال الله تعالى

(قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(١) وما ورد في السنة بلفظ عدم الحب الصريح

للفحش والتفحش ونفي المحبة لها:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الْفُحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، (وَأَمَرَهُمْ) بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، (وَأَمَرَهُمْ) بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا»^(٢).

(١) سورة الأعراف: ٢٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٦٧٤١ (٨ / ١٨). انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب التفسير - باب سورة الحشر (ويؤثرون على أنفسهم)، وانظر: مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

إن من أبرز الثوابت في العلاقات بين الناس إقامة العدل في الحقوق، فحذر الله من الظلم وإن من أبرز المسلمات عدم التعدي على الحدود والمحرمات فحذر الله من الفحش والتفحش. فالزنا الحسي أو السمعي أو اللفظي إنما هو من الفحش ومن وقع فيه مرة فهو على فحش ومن اقترب منه طالباً له أو مارسه متصفاً به فأصبح صبغة له فذلك من التفحش. فإن الفحش والتفحش، لكل منهما حد في المعنى حاولت حصره في تعريف يقرب المعنى ويفرق بين الفحش والتفحش على نحو ما يلي :

الفحش: صفة الفعل أو القول في تجاوزة للشرع والعقل أو العرف في ذات الفعل أو القول والاتصاف به ولو على القليل يطلق عليه فحشاً، فإن الله لا يحب من كان ذا وصفه. وإن الفاحشة والفحشاء تطلق في غالب الكلام على إظهار العورات والزنا حساً ولفظاً وسماعاً.

التفحش: طلب الفعل أو القول في مجاوزة للشرع والعقل أو العرف وكثير الفحش وشنيعه يطلق عليه تفحشاً فإن الله لا يحب من كان ذا وصفه.

قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ^(١) يقول الإمام الطبري في تفسيره : (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه، ولا تفتفوا آثاره، يا شاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذا اعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء، وهي الزنا، والمنكر من القول ^(٢) وخطوات الشيطان ظاهرة وباطنة وكثيرة ومتنوعة لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، ويدخل عليه من باب الشهوات وباب الشبهات. وقوة الإيمان، والقيام بالطاعات من الفرائض والنوافل، والالتزام بالأذكار الشرعية، هي الوسائل الطاردة لوساوسه، والمعثرة لخطواته، والمغلقة لأبوابه .

(٢) الاضطجاع على البطن

الاضطجاع في اللغة:

الاضطجاع في اللغة من (ضجع) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الضاد والجيم والعين أصل واحد يدل على لصوق بالأرض على جنب)

أورد الجوهري في الصحاح: (وضجِعَكَ: الذي يُضَاجِعُكَ. والتَضَجُّعُ في الأمر: التقصيرُ فيه. ويقال: ضَجَعَتِ الشمس، إذا دنت للمغيب، مثل ضَرَعَت. وتَضَجَّعَ في الأمر، أي تَقَعَّدَ ولم يقم به. وتَضَجَّعَ السحابُ: أَرَبَّ بالمكان. ورجلٌ ضَجَعَةٌ: يُكْثِرُ الاضطجاعَ كسلاً. قال الفراء: إذا كثرت الغنمُ فهي الضاجعةُ والضجعاء. والضَّوَجُ: الهضابُ. قال النابغة: ودوني رَاكِسٌ والضَّوَجُ)

(١) سورة النور: ٢١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٩، ص: ١٣٤.

وفي لسان العرب لابن منظور، ورد الإبدال الحاصل فيها: (هذه الطاء تاء في الأصل ولكنه قبح عندهم أن يقولوا اضجع فأبدلوا التاء طاء وله نظائر) وفي الحديث كانت ضجعة رسول الله ﷺ أدمًا حشوها ليف، الضجعة بالكسر من الاضطجاع وهو النوم كالجلسة من الجلوس.

ومما ورد في السنة بلفظ عدم الحب الصريح من نفي محبة الله للاضطجاع على البطن :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: (إِنَّ هَذِهِ لَضِجْعَةٌ مَا يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)^(١). وهذه الضجعة - أي على البطن - مخالفة لطبيعة التكريم والأمان الذي يرافق المسلم في حياته، يقظة ومناما، والحكم من النهي عن هذه الضجعة كثيرة، وأهمها مخالفة القائم بها للسنن الواردة عن النبي ﷺ في النوم، حيث كان ﷺ ينام على شقه الأيمن واضعا كفه الأيمن تحت خده الأيمن، بوب البخاري يرحمه الله باب وضع اليد اليمنى تحت الخد اليمنى. عَنْ حُذَيْفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)^(٢) والنوم على الشق الأيمن سنة أمر بها النبي ﷺ، وأمر المسلم بذكر الله من التسبيح والتحميد والتكبير، والأدعية الإيمانية، والأذكار الحافظة للمسلم من الشيطان وسوء الختام، ومن أحاديث هذه السنن، مايلي :

عن عروة بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بِالْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ، قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَتِينَ الْفَجْرُ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ)^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْزِعْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، ثُمَّ لِيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيَضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: رَبِّ بَكَ وَضَعْتُ جَنِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا حَفِظْتَ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)^(٤).

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ، وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٧٨٦٢ (١٣ / ٢٥١) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث قوي. وظاهر الإسناد أنه حسن.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب وضع اليد اليمنى تحت الخد اليمنى. حديث رقم: ٦٣١٤ (٨ / ٨٥)

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب من انظر الإقامة. حديث رقم: ٦٢٦ (١ / ١٢٨)

(٤) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الدعاء - باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم: ٣٨٧٤ (٥ / ٤٠) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٧٣٦٠ (١٢ / ٣١٦) صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

مَنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ فَرَدَّدَتْهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغَتْ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ قَالَ: لَا وَبَيْتِكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ^(١). قال ابن حجر في الفتح: (وقال النووي في الحديث ثلاث سنن:

إحداها: الوضوء عند النوم وإن كان متوضئاً كفاه لأن المقصود النوم على طهارة. ثانيها: النوم على اليمين.

ثالثها: الختم بذكر الله. وقال الكرمانى^(٢) هذا الحديث يشتمل على الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إجمالاً، من الكتب والرسول من الاهليات والنبويات، وعلى إسناد الكل إلى الله من الذوات والصفات والأفعال؛ لذكر الوجه والنفس والأمر، وإسناد الظاهر مع ما فيه من التوكل على الله والرضا بقضائه، وهذا كله بحسب المعاش، وعلى الاعتراف بالثواب والعقاب خيراً وشرّاً^(٣)

(٣) العقوق

العقوق في اللغة:

العقوق في اللغة من (عق) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والقاف أصل واحد يدلُّ (على الشَّقِّ)، وإليه يرجع فروع الباب بلطف نظر. قال الخليل: أصل العقِّ الشَّقُّ. قال: وإليه يرجع (العقوق).

أورد الجوهري في الصحاح: (العَقِيقَةُ: صوت الجَذَعِ. وشَعَرُ كُلِّ مَوْلُودٍ مِنَ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ الَّذِي يُولَدُ عَلَيْهِ عَقِيقَةٌ، وَعَقِيقٌ، وَعِقَّةٌ أَيْضاً بِالْكَسْرِ).

وفي لسان العرب لابن منظور: (وعَقَّ والدَه يَعْقُهُ عَقًّا وَعُقُوقًا وَمَعَقَّةً، شَقَّ عصا طاعته، وعَقَّ والديه قطعهما ولم يصلِّ رَحِمَهُ منهما، وقد يُعَمُّ بلفظ العُقُوقِ جميع الرِّحِمِ). لقد أمر الله في كتابه الكريم بالإحسان إلى الوالدين وحذر من عقوقهما، وبين خسارة من عصاهما في أهم موجبات الدين وهو الإيمان، قال الله تعالى: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبَلَّكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب فضل من بات على الوضوء. حديث رقم: ٢٤٧ (٥٨/١)

(٢) الإمام، العلامة، أبو مُحَمَّدٍ حَرْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكِرْمَانِيُّ، الْفَقِيه، تَلَمَّذُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ. رَحَلَ وَطَلَبَ الْعِلْمَ. وَأَخَذَ عَنْ: أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ الْحُمَيْدِيِّ، وَأَبِي عُبَيْدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهُوَيْه. قَالَ الْخَلَالُ: كَانَ رَجُلًا جَلِيلًا، حَسَنِي الْمَرْوُذِيِّ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِ. قِيدَ تَارِيخٍ وَقَاتَهُ عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعٍ، فِي سَنَةِ ثَمَانَيْنِ وَمِائَتَيْنِ. عُمَرُ، وَقَارَبَ التَّسْعِينَ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٤٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص: ١١٢ - ١١٣.

فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ إِيَّاهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ^(١) وما ورد في السنة بلفظ عدم الحب الصريح من نفي محبة الله للعقوق :

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ ؟ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْعُقُوقَ وَكَأَنَّهُ كَرِهَ الْأَسْمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا نَسْأَلُكَ عَنْ أَحَدِنَا يُؤَلَّدُ لَهُ ؟ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنْسُكَ عَنْ وَلَدِهِ فَلْيَفْعَلْ ، عَنْ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ قَالَ : وَسُئِلَ عَنِ الْفَرَعِ ؟ قَالَ : وَالْفَرَعُ حَقٌّ ، وَأَنْ تَتْرُكَهُ حَتَّى يَكُونَ شُغْرُبًا^(٢) أَوْ شُغْرُوبًا ابْنِ مَخَاضٍ أَوْ ابْنِ لَبُونٍ ، فَتَحْمِلَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ تُعْطِيَهُ أَرْمَلَةً ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذْبَحَهُ يُلْصَقُ لَحْمُهُ بِوَبَرِهِ ، وَتُكْفَى إِنْاءَكَ ، وَتُوَلَّهَ نَاقَتَكَ ، وَقَالَ : وَسُئِلَ عَنِ الْعَتِيرَةِ ؟ فَقَالَ : الْعَتِيرَةُ حَقٌّ . قَالَ : بَعْضُ الْقَوْمِ لِعَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ : مَا الْعَتِيرَةُ ؟ قَالَ : كَانُوا يَذْبَحُونَ فِي رَجَبٍ شَاةً فَيَطْبَحُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ^(٣) .

قال الله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا^(٤)) ومن حقيقة الحق للوالدين أنهما سبب في وجود الولد، فوجب البر بهما، فإن الوالد يقوم بالإنفاق والارتفاق.. والوالدة بالولادة والإشفاق. ولله سبحانه وتعالى نعمة الخلق والإيجاد، ومن بعد ذلك للوالدين نعمة التربية والإيلاء. وما قرره السلف الصالح من الفقه في الدين: ثلاث آيات مقرونات بثلاث، ولا تقبل واحدة بغير قرينتها:

١- وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (التغابن: ١٢)، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

٢- وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (البقرة: ٤٣)، فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

٣- أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ (لقمان: ١٤)، فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

(١) سورة الأحقاف: ١٧ - ١٨.

(٢) (شغزب) الشَّغْرَبَةُ الْأَخْذُ بِالْغُنْفِ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَصْعَبٍ ، وفي الحديث حتى يكون شُغْرُبًا قال ابن الأثير: كذا رواه أبو داود في السنن. قال الحرُّبِيُّ والذي عندي أنه زُخْرُبًا وهو الذي اشتدَّ لحمه وغلظَ. والزُّخْرُبُ بالضم وتشديد الباء القويُّ الشديداً، وقيل الغليظُ وقيل هو من أولاد الإبل الذي قد غلظَ جسمه واشتدَّ لحمه، يقال: صار ولد الناقة زُخْرُبًا إذا غلظَ جسمه واشتدَّ لحمه، وفي الحديث: أنه ﷺ سئل عن الفرع وذبحه، فقال: هو حقٌّ ولأن تتركه حتى يكون ابن مَخَاضٍ أَوْ ابْنُ لَبُونٍ زُخْرُبًا، خيرٌ من أن تُكْفَى إِنْاءَكَ ، وتُوَلَّهَ نَاقَتَكَ. الفرعُ أَوَّلُ ما تلده الناقةُ كانوا يذبحونه لأهنتهم فكَرِهَ ذلك، وقال: لأن تتركه حتى يكبر ويتنفَّع بلحمه، خيرٌ من أن تذبحه فينقطع لبنُ أمه فتكفَى إِنْاءَكَ الذي كنت تحلبُ فيه، وتَجْعَلُ نَاقَتَكَ وَالْهَيْهَ بَقْدًا ولدها، انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٠٥/١) و (٤٤٧/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٧١٣ (٣٢٠/١١) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٤) الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

ولأجل ذلك تكررت الوصايا في كتاب الله تعالى والالزام ببرهما والإحسان إليهما، والتحذير من عقوقهما أو الإساءة إليهما، بأي أسلوب كان، قال الله تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^(١) وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا^(٢)) ، وقال الله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا^(٣)). وقال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي غَامٍ إِنَّ أَشْكُرْلِي وَلَوْلَا دَيَّاكَ إِلَى الْمَمِّصِ)^(٤). فوضحت هذه الآيات ما للوالدين من جميل عظيم، وفضل كبير على أولادهما، خاصة الأم، التي قاست الصعاب والمكاره بسبب المشقة والتعب، وأما الوضع: فذلك إشراف على الموت، لا يعلم شدته إلا من قاساه من الأمهات. وفي سنة رسول الله جاء التأكيد على وجوب برّ الوالدين والترغيب فيه، والترهيب من عقوقهما. وفي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق بحسن صحابي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك)^(٥). وكما أن بر الوالدين هو هدي نبينا محمد فهو كذلك هدي الأنبياء قبله قولاً وفعلًا، وقد سبق بيان هدي نبينا محمد في ذلك من قوله. أما من فعله فإنه لما مرّ على قبر والدته آمنة بنت وهب بالأبواء^(٦) حيث دفنت - وهو مكان بين مكة والمدينة - ومعه أصحابه وجيشه وعددهم ألف فارس، وذلك عام الحديبية، فتوقف وذبح يزور قبر أمه، فبكى رسول الله - بأبي هو وأمّي - وأبكى من حوله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»^(٧). وأثنى الله على يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال تعالى: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا)^(٨). إلى غير ذلك من أقوال النبيين عليهم السلام التي ذكرت في كتاب الله تعالى والسنة المطهرة، في شأنهم مع والديهم وأولادهم. وهكذا كان السلف الصالح من هذه الأمة أحرص الناس على البر بوالديهم. وعقوق الوالدين له صور عديدة ومظاهر كثيرة لا تحفى، فيجب الحذر كل الحذر من عقوق الوالدين فكره ﷺ اللفظ كما في الحديث، فكيف بأعمال تعد في الدين من الكبائر؟ عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، قال: قال

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) سورة العنكبوت: ٨.

(۳) سورة لقمان: ۱۴.

(٤) انظر : صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب البر والصلة، حديث رقم : ٥٩٧١ (٢/٨). وانظر : صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب بر الوالدين وأنها أحق به، حديث رقم : ٦٦٦٤ (٢/٨).

(٥) الألباء: قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله ﷺ أمانة توفيت وهو ابن ست سنين بالاباء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة. انظر : السيرة النبوية لابن كثير (٢٣٥/١).

(٦) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، حديث رقم: ٢٣٠٣ (٦٥/٣).

(۷) سورة مريم: ۱۴.

النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجُلُوسٌ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ^(١).

(٤) لي اللسان بالكلام ورفع الصوت على المتحدث والجدال

اللي في اللغة:

اللي في اللغة من (لوي) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (اللام والواو والياء أصلٌ صحيح، يدلُّ على إمالةٍ للشيء. يقال: لَوَى يَدَهُ يَلْوِيهَا. وَلَوَى بِرَأْسِهِ: أَمَالَهُ. وَاللَّوِيُّ: مَا ذَبَلَ مِنَ الْبَقْلِ، وَسُمِّيَ لَوِيًّا لِأَنَّهُ إِذَا ذَبَلَ التَوَى وَمَالَ. وَاللَّوَاءُ معروفٌ، وَسُمِّيَ لِأَنَّهُ يَلْوَى عَلَى رُمَحِهِ. وَاللَّوِيَّةُ: مَا ذُخِرَ مِنْ طَعَامٍ لِغَيْرِ الْحَاضِرِينَ، كَأَنَّهُ أَمِيلٌ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَأَلْوَى بِالْشَيْءِ، إِذَا أَشَارَ بِهِ كَالْيَدِ وَنَحْوِهِ. وَأَلْوَى بِالْشَيْءِ: ذَهَبَ بِهِ، وَكَأَنَّهُ أَمَالَهُ إِلَى نَفْسِهِ)

أورد الجوهر في الصحاح: (لَوِيْتُ الْحَبْلَ: فَتَلْتَهُ. وَلَوَى الرَّجُلُ رَأْسَهُ وَأَلْوَى بِرَأْسِهِ: أَمَالَ وَأَعْرَضَ).

وفي لسان العرب لابن منظور: (وفي التزويل العزيز في ذكر المنافقين: لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ، وَلَوَّوْا قُرَى بِالْتَشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَلَوَّيْتُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فِي الْحُصُومَةِ شَدَدًا لِلْكَثْرَةِ وَالْمُبَالَغَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ. وَأَلْوَى الرَّجُلُ بِرَأْسِهِ وَلَوَى رَأْسَهُ أَمَالَ وَأَعْرَضَ، وَأَلْوَى رَأْسَهُ وَلَوَى بِرَأْسِهِ أَمَالَهُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ.... يقال فلان لا يعرف الحَوَّ من اللَوِّ أَي لا يعرف الكلامَ البَيِّنَ من الخَفِيِّ).

لقد بين الله صفات المنافقين في كتابه الكريم من سور عديدة منه البقرة والتوبة والمنافقين، وتجلت صفاتهم، لكل من يراهم، من لحن القول والكذب والخيانة والخداع، قال الله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ^ط وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ^ط فَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ^(٢))

ومما ورد في السنة بلفظ عدم الحب الصريح من نفي محبة الله لمن يلوي لسانه بالكلام تكبرا وتشدقا واستهزاء:

(١) عَنْ وَائِلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ شَارَةٌ حَسَنَةٌ، مَا أَدْرِي مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَبْهَى لِعَيْنِي مِنْهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَتَكَلَّمُ كَلَامًا، إِلَّا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَنْ يَعْلُوَ كَلَامُهُ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ هَذَا وَحَزْبُهُ يَلُوُونَ بِاللِّسَنَتِهِمْ لِلنَّاسِ لِيَّ الْبَقَرَةَ لِسَانَهَا بِالرَّاعِي كَذَلِكَ يَلْوِي اللَّهُ وُجُوهَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ فِي النَّارِ"^(٣).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الشهادات - باب ما قيل في شهادة الزور، حديث رقم: ٢٦٥٤ (١٧٢/٣) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم: ٢٦٩ (٦٤/١).

(٢) سورة المنافقون: ٤.

(٣) انظر: شعب الإيمان للبيهقي - كتاب حفظ اللسان - فصل في السكوت عن كل مالا يعنيه، حديث رقم: ٤٦١٩ (٤٣/٧).

إن لي الرأس إعراضاً عن الحق. ولي اللسان تشدقاً واستكباراً واستهزاء، مع حسن المظهر وخبث الباطن من صفات المنافقين، ومن صفات أهل التحريف من أهل الكتاب فقد قال الله تعالى في حق المنافقين: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) ^(١)، وقال تعالى في حق أهل الكتاب: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ^(٢)، قال الإمام ابن كثير في تفسيره:

(يخبر تعالى عن اليهود، عليهم لعائن الله، أن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليؤهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله) ^(٣)؛ ولأن الأعراض عن الحق طريق الضلال، فإن كثرة الكلام بالقليل والقال مظنة الاختلاف والإثم والجدال، وكذلك كثرة السؤال في مسائل الدين مظنة الشك والريبة، وقد تؤدي إلى الضلال والإضلال، وكثرة السؤال من المال مظنة الكساد ونقصان المروءة، ففي الحديث ما يبين أن ذلك من مساخط الله فإنه عز وجل لا يحبها.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ قِيلَ وَقَالَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَلَا كَثْرَةَ السُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يُحِبُّ الْمُخْتَالَ، وَلَا الْجَافِي، وَلَا الْمَنَانُ الَّذِي يَمْنُ بِالْقَلِيلِ، قَالَ: وَلَا أَحَبُّ الدَّوْاقِ ^(٤) مِنَ الرَّجَالِ، وَلَا الدَّوْاقَةُ مِنَ النِّسَاءِ ^(٥). وعند البخاري عن المغيرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُفُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ^(٦). قال الشيخ ابن عثيمين: (في شرح كتاب رياض الصالحين: (فيما جاء في الكبر والإعجاب). والكبر: هو الترفع واعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلاً عليهم. والإعجاب: أن يرى الإنسان عمل نفسه فيعجب به، ويستعظمه ويستكثره. فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خلق مذموم الكبر والإعجاب. والكبر نوعان: كبر على الحق، وكبر على الخلق) ^(٧) وفي الحديث التحذير من الاختيال والجفاء والمن؛ لأنها من مساخط الله:

(١) سورة المنافقون: ٥.

(٢) سورة آل عمران: ٧٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٦٥.

(٤) (ذوق) الدال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجازاً فيقال: دُفَّت المأكول أذوقه ذوقاً. ودُفَّت ما عند فلان: اختبرته. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٦٤).

(٥) الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب بن أبو محمد المصري، (ت: ١٩٧هـ)، المحقق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، الرياض: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص: ٥٤٠. انظر: باب العزلة.

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب في الاستقراض - باب ما ينهى عن إضاعة المال، حديث رقم: ٢٤٠٨ (٣/١٢٠) وانظر صحيح مسلم - كتاب الأقضية - باب النهي عن كثر المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، حديث رقم: ٤٥٨٠ (٥/١٣٠).

(٧) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن عثيمين، تحقيق: عبد الله الطيار، الرياض: دار الوطن، ط ١، ١٤١٦هـ. ج ٦، ص: ٢٣٢ - ٢٣٣.

و الاختيال: هو علو النفس والإعجاب بها ويظهر في الهيئة واللباس والمشية والكلام وغيرها. وهو مذموم وله صور محمودة ذكرناها سابقاً^(١).

والجفاء: وهو البعد ومنه جفاء القلب بالبعد عن الله والجفاء عن الأقارب بالقطيعة وعدم الصلة وجفاء الناس بالغلظة وسوء المعاملة وهو مذموم شرعاً. وفي الحديث: (الجفاء في النار)^(٢).

والمنان: وهو المن بالعطية من الصدقات والهبات فيعطي ويعدد فضائله على من أعطى قولاً وعملاً. وهو مذموم شرعاً، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مِنْهُ وَالْمُنَقِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْفَاجِرِ وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ)^(٣).

(٥) الإسبال في الإزار للرجال

الإسبال في اللغة:

الإسبال في اللغة من (سبل) كما ورد عن ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين والباء واللام أصل واحد يدل على إرسال شيء من علو إلى سفلى، وعلى امتداد شيء)

أورد الجوهري في الصحاح: (السَّيْلُ بالتحريك: المطر. والسَّيْلُ أيضاً: السُّبُلُ. وقد أَسْبَلَ الزرع، أي خرج سُبُلُهُ. وقول الشاعر:

وخيّل كأسراب القَطَا قد وَرَعَتْهَا *** لها سَبَلٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ^(٤)

يعني به الرمح. وَأَسْبَلَ المطرُ والدمعُ، إذا هطل. وقال أبو زيد: أَسْبَلَتِ السَّمَاءُ؛ والاسمُ السَّبَلُ، وهو المطر بين السحاب والأرض حين يخرج من السحاب ولم يصل إلى الأرض. وَأَسْبَلَ إِزَارَهُ، أي أرخاه. والسَّبَلُ: داءٌ في العين شبه غشاوة كائنها نسج العنكبوت بعروق حمراء. والسَّبَلُ: الطريق، يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي"^(٥) وفي لسان العرب لابن منظور: (وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ فَهُوَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ، أَيِ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ، واستعمال السَّبِيلِ في الجهاد أكثر لأنه السَّبِيلُ الذي يقاتل فيه على عقد الدين).

لقد أمر الله بني آدم بالزينة، واللباس الساتر للعورة، وحثهم على التقوى خير لباس، وهو اتباع ما أمر الله به على الطلاق، والانتهاء عما نهى عنه، قال الله تعالى: (يَبْنَئِ عَادَمٌ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ اتَّقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ)^(٦).

(١) الباب الأول: الفصل الثاني: المبحث الأول: المطلب الثاني: مسأخط الله الواردة في القرآن الكريم، رقم (٥) الاختيال والفخر.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک. انظر: كتاب الإيمان. وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السعة بالخلف، حديث رقم: ٣٠٧ (٧١/١).

(٤) هذا البيت نجمع بين هلال بن خالد بن مالك بن هلال. انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، (٤٢٩/١٠).

(٥) سورة يوسف: ١٠٨.

(٦) سورة الأعراف: ٢٦.

وما ورد في السنة بلفظ عدم الحب الصريح من نفى محبة الله للمسيكين ما يلي:

عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ أخذ بحجرة سفيان بن أبي سهل^(١) وهو يقول: يا سفيان بن أبي سهل لا تسبل إزارك، فإن الله لا يحب المسيكين»^(٢).

وعن أبي جري جابر بن سليم، قال: «رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين، قال: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت، قل السلام عليك. قال قلت: أنت رسول الله؟ قال: أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرر فدعوتك كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوتك أثبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فصلت راحلتك فدعوتك ردها عليك. قال قلت: اعهد إلي. قال: لا تسبني أحداً. قال: فما سببت بعده حرّاً ولا عبداً ولا بغيراً ولا شاة. قال: ولا تحقرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف وأرفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعنين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبأل ذلك عليه»^(٣).

إن المسلم جميل في باطنه بما يحمله من عقيدة التوحيد الخالص والإيمان بالله جل وعلا، وجميل في ظاهره بنظافة بدنه ونضارة ملبسه وحسن أخلاقه ولزوم السنة في ذلك، كما هو جميل بالموازنة ولزوم الحكمة بما يحقق مصالح الشرع ومقاصد الدين في عمومهم، وعدم مخالفة الناس بالشذوذ في المظهر أو التنطع أو فرض ما ألزم به نفسه على الآخرين، ولكن الدين النصيحة والرفق ما كان في شيء إلا زانه، والنصيحة به فيها جمال، وما ذكره النووي في مسألة الإسبال في اللباس قوله (الحديث الصحيح أن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة، وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء، فإن كان لغيرها فهو مكروه، وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء وهكذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا، وأجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء، وقد صح عن النبي ﷺ الإذن لمن في

(١) سفيان بن سهل أو بن أبي سهل الثقفي، له ذكر في حديث المغيرة بن شعبه، روى أحمد والنسائي وابن حبان وغيرهم من حديث عبد الملك بن عمير عن حصين بن عقبة عن المغيرة بن شعبه، قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو أخذ بحجرة سفيان بن أبي سهل وهو يقول: لا تسبل إزارك لفظ أحمد. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٢٣/٣).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، حديث رقم: ١٨١٥١ (٨٤/٣٠) وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب - اللباس - باب موضع الإزار، أين هو، حديث رقم: ٣٥٧٤ (٣٢٧/٥) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف. قال الألباني: وهذا إسناده ضعيف؛ لسوء حفظ شريك - وهو ابن عبد الله القاضي - ثم وجدت للحديث شاهدين يتقوى بهما، وبالجملة " فالحديث حسن بمجموع طرقه.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب - اللباس - باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث رقم: ٤٠٨٦ (٩٨/٤) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين - حديث جابر بن سليم رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٠٦٣٢ (٢٣٤/٣٤) صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

إرخاء ذيولهن ذراعاً والله أعلم. وأما القدر المستحب فيما يتزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر المذكور^(١) وفي حديث أبي سعيد: إزاره المؤمن إلى أنصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما أسفل من ذلك فهو في النار. فالمستحب نصف الساقين، والجائز بلا كراهة ماتحته إلى الكعبين، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فممنوع تنزيه، وأما الأحاديث المطلقة بأن ماتحت الكعبين في النار، فالمراد بها ما كان للخيلاء لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد والله أعلم، قال القاضي قال العلماء وبالجملية يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد في اللباس من الطول والسعة^(٢) ومن أحاديث الباب التي عليها الاعتماد في الحكم والتدليل في الإسبال ما يلي:

عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنه قال سألت أبا سعيد عن الإزار فقال أنا أخبرك بعلم سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما أسفل من ذلك ففي النار ما أسفل من ذلك ففي النار لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً)^(٣).

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار^(٤).

وعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ أَحَدَ شَقِيَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْحِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهِدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خِيَلَاءَ) قَالَ مُوسَى فَقُلْتُ لِسَالِمٍ أَذْكَرَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ جَرِّ إِزَارَةٍ قَالَ لَمْ أَسْمَعْهُ ذَكَرَ إِلَّا ثَوْبَهُ.^(٥)

(١) الكلام للنووي يرحمه الله . وقد أوردت بعد كلامه مباشرة الحديث والشواهد الأخرى.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٤، ص: ٦٢ - ٦٣.

(٣) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب اللباس - باب موضع الإزار أين هو، حديث رقم: ٣٥٧٣ (٣٢٦/٥) وانظر: موطأ مالك - كتاب اللباس - باب ما جاء في إسبال الرجل ثوبه، حديث رقم: ٣٣٩٠ (١٣٤١/٥). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: ١١٠٠٩ (٤٩/١٧) وصححه الألباني.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، حديث رقم: ٥٧٨٧ (١٤١/٧)

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣٦٦٥ (٦/٥)

المبحث الثاني

تأثير المحبة في العلاقات

إن المحبة هي إحدى الوسائل القوية في بناء العلاقات الشخصية بين ، والتآلفية بين البشر وغيرهم، ويهمننا هنا الوقوف على ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص بلفظ الحب الصريح في مجالات الجذب أو التنفير، والموضحة لدور المحبة ومدى تأثيرها الإيجابي والسلبي في تكوين العلاقات بين الناس، ولأهمية ذلك في الدعوة إلى الله تعالى من خلال إقامة المحبة في العلاقات الدعوية. فإني أستفهم هنا بسؤالين؛ لكي أؤكد أصل الإجابة العلمية كمنطلق في هذا المبحث:

هل كل محبة في العلاقات تعد محمودة، وتبنى من خلالها الصلات الحميدة ؟

وهل كل محبة في العلاقات تعد مذمومة، وتبنى من خلالها الصلات الذميمة ؟

وقد أوضحنا الجواب العلمي عليهما بما ورد في الكتاب والسنة من حيث النفع والضرر في الفصل الأول من هذا الباب، عند بيان أنواع المحبة وأحكامها. وحقيقة المحبة صفة ترتبط بسمات فطرية ومكتسبة في تكوين الخلق الإنساني نستوضحه من هذا الحوار أو النقاش ، حوار بين الصابئة وأهل الملة الحنيفية (قالت الصابئة: نوع الإنسان ليس يخلو من قوتي الشهوة والغضب، وهما يترعان إلى البهيمية والسبعية، وينازعان النفس الإنسانية إلى طباعها فيثور من الشهوة: الحرص والأمل، ومن الغضب: الكبر والحسد إلى غيرهما من الأخلاق الذميمة، فكيف يماثل من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما وعن لوازمهما ولواحقهما: صافية أوضاعهم عن النوازع الحيوانية كلها، خالية طباعهم عن القواطع البشرية بأسرها، لم يحملهم الغضب على حب الجاه، ولا حملتهم الشهوة على حب المال، بل طباعهم مجبولة على المحبة والموافقة وجواهرهم مفطورة على الألفة والاتحاد ؟

أجاب الحنفاء: بأن هذه المغالطة مثل الأولى حذو النعل بالنعل فإن في طرف البشرية نفسين:

نفس حيوانية لها قوتان: قوة الغضب وقوة الشهوة.

ونفس إنسانية لها قوتان: قوة علمية وقوة عملية.

وبتينك القوتين لها أن تجمع وتمنع، وبهاتين القوتين لها أن تقسم الأمور وتفصل الأحوال، ثم تعرض الأقسام والأحوال على العقل فيختار العقل الذي هو كالبصر النافذ له من العقائد الحق دون الباطل، ومن الأقوال الصدق دون الكذب، ومن الأفعال الخير دون الشر.

ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية: الشدة والشجاعة والحمية، دون الذلة والجبن والندالة.

ويختار بها أيضا من لوازم القوة الشهوية: التآلف والتودد والبداذة، دون الشره والمهانة والחסاسة.

فيكون من أشد الناس حمية على خصمه وعدوه، ومن أرحم الناس تذلا وتواضعا لوليه وصديقه، وإذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين واستعملهما في جانب الخير، ثم يترقى منه إلى إرشاد الخلائق في تركية النفوس عن العلائق وإطلاقها عن قيد الشهوة والغضب، وإبلاغها إلى حد الكمال. ومن المعلوم أن كل نفس شريفة عالية زكية هذه حالها، لا تكون كنفس لا تنازعها قوة أخرى على خلاف طباعها، وحكم العين العاجز في امتناعه عن تنفيذ الشهوة، لا يكون كحكم المتصون الزاهد المتورع في إمساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه، فإن الأول: مضطر عاجز والثاني: مختار قادر حسن الاختيار جميل التصرف، وليس الكمال والشرف في فقدان القوتين وإنما الكمال كله في استخدام القوتين^(١) وهنا نركز النظر العلمي في المحبة، كونها وسيلة مؤثرة في العلاقات البشرية. ومرتبطة بالقوى المحكمة في شخصية الإنسان وتصرفاته وأخلاقه؛ وبما أن نتائج هذا التأثير قد أوضحت سلفا حيث كانت بين الحمد والذم شرعا وبين ما هو فطري ومكتسب طبعا وبين ما له حكم خاص في حاله ومآله. فإننا في هذا المبحث نعرض تأثير المحبة في العلاقات من خلال نصوص الكتاب والسنة في مطلبين:

المطلب الأول: الصلات الحميدة.

المطلب الثاني: الصلات الذميمة.

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاي، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ، ج ٢،

المطلب الأول

الصلات الحميدة

(١) صلة التأخي في الله:

لقد نظم الإسلام علاقة المسلمين بعضهم ببعض، في خصوص الأمور وعمومها ومن أعظم ما جاء به من النظم العامة، مبدأ المؤاخاة القائم على أصل الدين الحق، فقد آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١) قال ابن عاشور في تفسيره: (وجملة {يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} حال من الذين تبوءوا، وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين، وشأن القبائل أن يتخرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم. ومن آثار هذه المحبة ما ثبت في الصحيح من خبر سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف إذ عرض سعد عليه أن يقاسمه ماله وأن يتزل له عن إحدى زوجتيه، وقد أسكنوا المهاجرين معهم في بيوتهم ومنحوهم من نخلهم، وحسبك الأخوة التي آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار)^(٢) فقد قامت العلاقات بين المسلمين على الإيمان وأصبحت حقوق الإسلام هي رابط الأخوة وميثاق العلاقة بينهم، قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٣) ومن أواصر التماسك في العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم، هو ما أمر به الإسلام من الحث على التساوي في محبة الخير ودفع الشر، ومن الترغيب في بيان وإعلان الحب بينهما وعدم إخفائه، عن أنس بن مالك ؓ: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أحب فلاناً فقال النبي ﷺ: فأخبرته؟ قال: لا، قال: فأخبره، قال: فلقية بعد، فقال: والله إني لأحبك في الله، فقال له: أحبك الذي أحببته له»^(٤). وعنه ؓ أيضاً، عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٥). فإن المحبة بين المسلمين هي الصلة التي يجب لزومها، حيث جاءت بأمر رباني، ووظفت

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٨، ص: ٨٢.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه حديث رقم: ٥١٢٧ (٤/٩٥٥) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٤٣٠ (١٩/٤١٨) حسنة الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣ (١٢/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: ١٧٩ (٤٩/١).

في جمع تعدد الأجناس بين المسلمين، في إخاء متجانس قام على توظيف الفطرة والاختيار الحسن في مكاسبها الأخوية، قال ابن أبي الدنيا: (والمؤاخاة في الناس تكون على وجهين: أحدهما: أخوة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار. والثانية: مكتسبة بالقصد والاختيار. فأما المكتسبة بالاتفاق فهي أوكد حالا، لأنها تنعقد عن أسباب تعود إليها، والمكتسبة بالقصد تنعقد لها أسباب تنقاد إليها، وما كان جارياً بالطبع، فهو ألزم مما هو حادث بالقصد) ومن أحسن ما يجل الإخاء في الله الإيثار، وله أوجه عديدة تقتضيها متطلبات الإنسان في ظروف الحياة، وهنا يشعر المسلم بقيمة الأخوة الإسلامية، ومن مواقف الرعيل الأول نستطلع أمثالا كثيرة في الإيثار ونأخذ منها الدروس والعبر، في المحبة وآثارها في علاقة المسلم بالمسلم، ومن هذه المواقف: ما كان في يوم الحديبية، عن سلمة رضي الله عنه قال: «جاءني عمي عامر فقال: أعطني سلاحك، قال: فأعطيته، قال: فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أبغني سلاحك، قال: أين سلاحك؟ قال: قلت: أعطيته عمي عامراً، قال: ما أجد شهك إلا الذي قال: هب لي أخاً أحب إليّ من نفسي قال: فأعطيني قوسه ومجانه وثلاثة أسهم من كنانته»^(١).

وفي رواية أخرى قال: (اللهم ابغني حبيباً هو أحب إليّ من نفسي، وضحك)^(٢). وهكذا متى سقطت الدنيا في القلب وحلت مكان الدين أو زاحمته تتغير المعاملات بين المسلمين؛ فيتبدل الإيثار المقدم للغير بالاستئثار بالنفس ولها، ويكون المال حظ المرء بدلا من أخيه وتضعف العلاقة بين المسلم وأخيه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يقول: (لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحقّ من أخيه المسلم، ثم لقد رأيتنا بآخرة الآن وللدينار والدرهم أحبُّ إلى أحدنا من أخيه المسلم)^(٣). يتحدث ابن عمر رضي الله عنهما عن زمانه، فكيف لو رأى أهل زماننا في حب المال وعدم الاكتراث في جمعه من حرام أو حلال؟ أو رأى حالهم في القطيعة والشقاق وسوء الأخلاق والفتن والافتتان؟ نسأل الله حسن الحال والمآل وأن يعيننا على أداء حقوق إخواننا المسلمين، عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «للمسلم على المسلم ستٌّ بالمعروف: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ وَيَعُوذُهُ إِذَا مَرَضَ، وَيَتَّبِعُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٤).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث رقم: ١٦٥٤٤ (٧٩/٢٧) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث رقم: ١٦٥١٨ (٤٥/٢٧) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٥٥٦٢ (٩/٣٩٥) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف. قال الألباني: أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١١١). قلت: ورجاله ثقات رجال الشيخين غير ليث.

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في تسميت العاطس، حديث رقم: ٢٧٣٦ (٨٠/٥) وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في عيادة المريض، حديث رقم: ١٤٣٣ (٥/٣) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٦٧٣ (٩٥/٢) قال الألباني: ضعيف هو، صحيح دون زيادة وحسب وهي ثابتة في حديث آخر.

٢) صلة التآسي بالقدوة الصالحة:

إن مقياس الصلاح لدى الفرد المسلم، ينطلق من ثوابت العقيدة في نفسه، وأصلها الإيمان بالله تعالى، ولزوم السنة باتباع أثر النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والصالحين، ويمثل ذلك الحب الصادق للنفس بنفاذها مسالك أهل التقى واقتفاء طريق أهل الصلاح. قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»^(١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وَضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالْقَبْرِ فَجَاءَ عَلِيٌّ ﷺ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيِ الصَّفُوفِ فَقَالَ: هُوَ هَذَا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، مَا مِنْ خَلْقٍ اللَّهُ تَعَالَى أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ لَقَاهُ بِصَحِيفَتِهِ بَعْدَ صَحِيفَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ هَذَا الْمَسْجِي عَلَيْهِ ثَوْبُهُ»^(٢). وهكذا يكون الحب عندما يحرك المشاعر في الأسوة، يدفع بالشخص إلى مراقبة الله تعالى ومتابعة الصالحين، وتمني مساواتهم في الأعمال الصالحة، عاش عمر رضي الله عنه، جريئا في الحق ومات شهيدا، وعاش علي رضي الله عنه شجاعا في الحق ومات شهيدا. وكما للحب في قلب صاحبه حركات، فإنه أيضا، له في وجه صاحبه إشراقات، تتمتع بها العيون، وخير ما تتمتع به العيون في الدنيا رؤيا النبي ﷺ، عن عبد الجبار بن وائل بن حجر عن أبيه قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ لِي مِنْ وَجْهِهِ مَا لَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْ وَجْهِهِ، رَجُلٌ مِنْ بَادِيَةِ الْعَرَبِ صَلَّيْتُ خَلْفَهُ وَكَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ كَلِمًا كَبِيرًا وَرَفَعَ، وَوَضَعَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَيَسْلَمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ»^(٣). وهذا أنس رضي الله عنه في حديثه عن مجلس النبي ﷺ يقدم لنا أنموذجا فريدا في جانب من جوانب التواضع النبوي، وصورة صادقة في الحب، عن أنس قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، فَمَا نَقُومُ لَهُ لَمَّا نَعْلَمُ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِدَلِكِ»^(٤). وهو أيضا يقدم لنا قاعدة هامة في التآسي، أن من كمال الاقتداء اتباع الرغائب الشرعية والنفسية لمن يقتدي به محافظة على المحبة بين المقتدي والمقتدى به، أما أصل الاقتداء يجب أن يكون في الحق سواء كانت الصلة بين الولد ووالده أو التلميذ ومعلمه أو الصديق وصديقه. وتسعد النفوس المؤمنة بذكرى الصالحين، وتفرح برؤية ما يذكر بهم في الحال والمآل، وترغب أن تصل إلى ما وصلوا إليه من الخير، عَنْ ابْنِ عُمرَ أَنَّهُ رَأَى رُفْقَةً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ رَحَالُهُمُ الْأَدَمُ فَقَالَ مَنْ أَحَبُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَشْبِهِ رُفْقَةٍ كَانُوا بِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ^(٥).

٣) صلة الشهادات:

شهادة الحق هي الفاصل في معنى الحب والكراهة، كما هي الفاصل في معنى الحق والباطل. وشهادة الباطل هي قلب لمعان الحب والكراهية، فإن كنت محبا لك يجب أن أبين لك صفات الحق التي فيك وأكره لك الباطل وأبينه

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٨٦٦ (٢/٢١٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٨٦١ (٣١/١٥٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٥٢٦ (٧/٢٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب في الفرش، حديث رقم: ٤١٤٦ (٤/١١٩). صححه الألباني.

لك، وإن كنت كارها لك، فقد أعطي عنك شهادة باطلة تصفك بما ليس فيك. وقد أصفك بما فيك فتقع عليك شهادة الحق. هذه الحقائق جعلت من الضرورة بمكان أن يدرك كل امرئ قيمة وجوده بين الناس حين يتعايش معهم، وأنهم في علاقة تعامل وتقدير تقوم عليها شهادات وصلات ومنافع كثيرة منها: الشهادات المالية، شهادات الوصاية، شهادات العبادات، شهادات الجنایات وغيرها، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُكْرًا لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوَّلَ الدِّينِ وَالْآخِرِينَ) ^(١) ولعل من أهم الشهادات ما قام على المحبة وتعلق به المصير عن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ بجنابة على رسول الله ﷺ فقال: «أثنوا عليها» فقالوا: كان ما علمنا، يحب الله ورسوله وأثنوا عليه خيراً، فقال: «وَجَبَتْ» ثم مر عليه بجنابة أخرى، فقال: «أثنوا عليها» فقالوا: بنس المرء كان في دين الله فقال: «وَجَبَتْ أَنْتُمْ شُكْرًا لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ» ^(٢). الشهادة بالحلب دليل على الصلة الحميدة بين الناس، وهامهم السلف في سيرهم يشهد بعضهم لبعض بما سمع فيهم من الحق عن مصعب بن سعد أن معاذاً قال: والله إن عمر في الجنة، وما أحب أن يجرى حر النعم، وأنكم تفرقتم قبل أن أخبركم أثنا عليها لم قلت ذلك، ثم حدثتهم الرؤيا ^(٣) التي رأى النبي ﷺ في شأن عمر قال: ورؤيا النبي ﷺ حق. ^(٤) وتبقى محبة النبي ﷺ وشهادته أعلى المقامات في صلة الشهادات بين المسلمين، عن الحسن قال: «قال رجل لعمر بن العاص: رأيت رجلاً مات رسول الله ﷺ وهو يحبه أليس صالحاً؟ قال: بلى، قال: قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك وقد استعملك، فقال: قد استعملني فوالله ما أدري أحباً كان لي منه أو استعانة بي، ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر» ^(٥). فحري بالمسلم أن يسعى لكسب محبة الله ورسوله ﷺ والناس، فإن الخيرية عندما تسمو بها شخصية المرء بين الناس، يجونه، وعندما تسقط شخصيته بينهم لشر يبدو منه، يكرهونه. فإن شهادتهم في كلا الحالين لها اعتبار الشاهد الناظر لذا كان لزاماً على المسلم أن يتصف بالخيرية، ويسعى لكسب محبة الناس والداعية إلى الله في هذا الباب أولى من غيره.

٤) صلة الأرحام والأقارب:

إن من أعظم ما أمر الله به أن يوصل ذوي القربى، من ذوي الأرحام، والرحم بما تعظم المسألة قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ^(٦) وقد حذر الله من قطعها، وجعل ذلك من محال اللعنة في

(١) سورة النساء: ١٥٣.

(٢) أصله في الصحيحين، وهذه رواية الإمام أحمد في مسند، حديث رقم: ١٣٠٦٢ (١٩٧/٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجنائز-باب ثناء الناس على الميت، حديث رقم: ١٣٦٧ (٩٧/٢) وانظر: صحيح مسلم-كتاب الجنائز-باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حديث رقم: ٢٢٤٣ (٥٣/٣).

(٣) روي البخاري في الجامع الصحيح: باب مناقب عمر رضي الله عنه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مذبذباً، فبكي وقال: أَعْلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٠٣٤ (٣٦٣/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح لغيره.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٨٠٨ (٣٤٢/٢٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه منقطع فالحسن وهو البصري لم يسمع من عمرو بن العاص.

(٦) سورة النساء: ١.

القرآن الكريم، وجعل النبي ﷺ القطيعة لها من مُحَرَّمَات دخول الجنة، قال الله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ) ^(١) وعن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ ». قَالَ: ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعٌ رَحِمٍ ^(٢). وهذه الصلة - صلة الرحم - من الصلوات الحميدة التي تقوى بها المحبة بين ذوي الأرحام، وتدفع المحبة لها لما فيها من الخير والأثر العجيب الذي لم يكن في غيرها من الصلوات حيث أن من ثمارها طول العمر على حسن عمل وبركة في الرزق على حال سعة وهذا محبوب للناس والكل يحرص عليه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَسِرْ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ^(٣).

٥) صلة النصرة للدين بالنفس والولد وصلة المعونة في قضاء الدين:

إن محبة النفس والولد تقود الإنسان لأن يقدم بها أشرف المنازل، وأعلى المقامات، ويمثل الجهاد ذروة سنام الإسلام، ولقد ضرب لنا النبي ﷺ والصحاب الكرام رضي الله عنهم أروع الأمثلة في التضحية، وهذا هو عبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنهما يقدم لنا مثلاً أعلى في صلة النصرة لدين الله بينه وبين ولده، فمن أحداث غزوة أحد، عن جابر بن عبد الله، قال: (خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين ليقاتلهم وقال أبي عبد الله: يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا، فإني والله لولا أنني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي. قال: فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي ألا إنَّ النبيَّ ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا بهما فدفنهما حيث قتلا، فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبد الله، والله لقد أثار أباك عمل معاوية، فبدأ فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفتته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل فواريته ^(٤). فمن الصلوات الحميدة بين أفراد الأسرة التعاون على القيام بأعباء الحياة من رعاية النساء والولدان والقيام بشؤون اليتامى، ومن الصلوات الاجتماعية الحميدة، أيضاً، التعاون على قضاء الدين وإكرام الضيف بما يجب وبما يحب، ونستلهم هذا الدرس من حديث جابر رضي الله عنه (قال: وترك أبي عليه ديناً من التمر فاشتد علي بعض غرمائه في التقاضي، فأتيته نبي الله ﷺ فقلت: يا نبي الله إن أبي أصيب يوم كذا وكذا وترك علي ديناً من التمر واشتد علي بعض غرمائه في التقاضي فأحب أن تعينني عليه، لعله أن

(١) سورة محمد: ٢٣ - ٢٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إثم القاطع، حديث رقم: ٥٩٨٤ (٥/٨) وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٦٦٨٤ (٧/٨).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٣٤٠١ (٩٣/٢١) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٥٢٨١ (٤١٩/٢٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير نبيح العري فقد روى له أصحاب السنن وهو ثقة.

ينظرني طائفة من تمره إلى هذا الصرام المقبل فقال: «نَعَمْ آتَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَرِيباً مِنْ وَسْطِ النَّهَارِ» وجاء معه حواريه^(١)، ثم استأذن ودخل فقلت لامرأتي إِنْ النَبِيِّ ﷺ جَاءَنِي الْيَوْمَ وَسْطَ النَّهَارِ، فَلَا أُرِيْتُكَ، وَلَا تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي بِشَيْءٍ، وَلَا تَكَلِّمِيهِ، فَدَخَلَ، فَفَرَشْتُ لَهُ فِرَاشاً وَوَسَادَةً فَوَضَعَ رَأْسَهُ، فَنَامَ قَالَ: وَقُلْتُ لِمَوْلَى لِي أَذْبَحَ هَذِهِ الْعِنَاقَ وَهِيَ دَاجِنٌ سَمِينَةٌ وَالْوَحَا^(٢) وَالْعَجَلُ أَفْرَغَ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَكَ فَلَمْ نَزَلْ فِيهَا حَتَّى فَرَعْنَا مِنْهَا، وَهُوَ نَائِمٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَيْقِظَ يَدْعُو بِالطَّهْوَرِ، وَإِنِّي أَخَافُ إِذَا فَرَغَ أَنْ يَقُومَ، فَلَا يَفْرُغُنِي مِنْ وَضُوئِهِ حَتَّى تَضَعَ الْعِنَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ: «يَا جَابِرُ اتَّبِعْنِي بِطَهْوَرٍ» فَلَمْ يَفْرُغْ مِنْ طَهْوَرِهِ حَتَّى وَضَعْتُ الْعِنَاقَ عِنْدَهُ فَظَنَرْتُ إِلَيَّ فَقَالَ: «كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ حُبَّنَا لِلْحَمِّ، اذْغُ لِي أَبَا بَكْرٍ» قَالَ: ثُمَّ دَعَا حَوَارِيَهُ الَّذِينَ مَعَهُ فَدَخَلُوا فَضْرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ كُلُّوا» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَ لَحْمٌ مِنْهَا كَثِيرٌ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ مَجْلَسَ بَنِي سَلَمَةَ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، مَا يَقْرِبُهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْذَوْهُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَامَ وَقَامَ أَصْحَابُهُ فَخَرَجُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَايِكَةِ» وَاتَّبَعْتُهُمْ حَتَّى بَلَغُوا أَسْكَفَةَ الْبَابِ قَالَ: وَأَخْرَجْتَ امْرَأَتِي صَدْرُهَا وَكَانَتْ مُسْتَتِرَةً بِسَقِيفٍ فِي الْبَيْتِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلِّ عَلَيَّ وَعَلَى زَوْجِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَالَ: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى زَوْجِكَ» ثُمَّ قَالَ: «اِذْغُ لِي فُلَاناً» لَغَرِيمِي الَّذِي اشْتَدَّ عَلَيَّ فِي الطَّلَبِ. قَالَ: فَجَاءَ فَقَالَ: «أَيُّسَرُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْزِي إِلَى الْمَيْسَرَةِ طَائِفَةً مِنْ ذَيْنِكَ الَّذِي عَلَى أَبِيهِ إِلَى هَذَا الصَّرَامِ الْمُقْبِلِ» قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وَاعْتَلَّ وَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ مَا لِي يَتَامَى» فَقَالَ: «أَيُّنَ جَابِرُ» فَقَالَ: أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «كُلْ لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَوْفَ يُوفِيهِ» فَظَنَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا الشَّمْسُ قَدْ دَلَّكَتْ، قَالَ: «الصَّلَاةُ يَا أَبَا بَكْرٍ» فَنَادَفَعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: قَرَّبَ أَوْعَيْتُكَ فَكَلْتُ لَهُ مِنَ الْعَجْوَةِ فَوَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَفَضَلَ لَنَا مِنَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا، فَجِئْتُ أَسْعَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِهِ كَأَنِّي شَرَارَةٌ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ صَلَّى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ تَرَأْنِي كَلْتُ لَغَرِيمِي تَمْرَهُ فَوَفَاهُ اللَّهُ، وَفَضَلَ لَنَا مِنَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «أَيُّنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَجَاءَ يَهْرُولُ فَقَالَ: «سَلْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ غَرِيمِهِ وَكَمْرِهِ» فَقَالَ: مَا أَنَا بِسَائِلِهِ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَوْفَ يُوفِيهِ، إِذْ أَخْبَرْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَوْفَ يُوفِيهِ فَكُرِّرَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِسَائِلِهِ وَكَانَ لَا يَرَاجِعُ بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا جَابِرُ مَا فَعَلَ غَرِيمُكَ وَتَمَرُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ وَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَفَضَلَ لَنَا مِنَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا فَرَجَعْتُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَلَمْ أَكُنْ نَهَيْتُكَ

(١) الحوارية من (حور) الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٥/٢) وقال الزجاج الحواريون خُلصَانُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَصَفُوهُمْ قَالَ وَالِدِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمِّي وَحَوَارِيٌّ مِنْ أُمَّتِي أَيَّ خَاصَتِي مِنْ أَصْحَابِي وَنَاصِرِي قَالَ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ حَوَارِيُونَ وَتَأْوِيلُ الْحَوَارِيِّينَ فِي اللُّغَةِ الَّذِينَ أُخْلِصُوا وَتُقُوا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَكَذَلِكَ الْحَوَارِيُّ مِنَ الدَّقِيقِ سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُتَّقَى مِنْ لُبَابِ الْبُرِّ انظر: لسان العرب لابن منظور (٢١٧/٤).

(٢) الْوَحْيُ: السَّرِيعُ: وَالْوَحْيُ: الصَّوْتُ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٣/٦) وَالْوَحْيُ عَلَى فَعِيلِ السَّرِيعِ، يُقَالُ مَسَوْتُ وَحْيً وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الْوَحَا الْوَحَا أَيُّ السَّرْعَةِ السَّرْعَةُ يَمْدُ وَيَقْصُرُ، يُقَالُ تَوَحَّيْتُ تَوْحَيًّا إِذَا أَسْرَعْتُ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ بِفَعْلٍ مَضْمَرٍ وَاسْتَوْحَيْنَاهُمْ أَيُّ اسْتَصْرَخْنَاهُمْ، وَاسْتَوْحَ لَنَا بَنِي فُلَانٍ مَا خَبَرَهُمْ أَيُّ اسْتَخْبَرَهُمْ، وَقَدْ وَحَى وَتَوَحَّى بِالشَّيْءِ أَسْرَعَ، وَشَيْءٌ وَحِيٌّ عَجَلٌ مُسْرِعٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٧٩/١٥).

أن تكلمي رسول الله ﷺ قالت: أكنت تظن أن الله عز وجل يورد رسول الله ﷺ بيتي ثم يخرج ولا أسأله الصلاة عليّ وعلى زوجي قبل أن يخرج^(١).

٦) صلة البيعة والنصرة على الحق:

إن البيعة من الأصول الاجتماعية في بناء المجتمع المسلم ومن الأهمية بمكان في تماسكه وحمائته، وعليها يعقد الأمر في جميع شؤون المسلمين ولها ضوابط شرعية وأحكام تختلف باختلاف الأحوال، وهنا نعرض البيان بأهمية البيعة، كونها من الصلوات الحميدة الثابتة في الكتاب والسنة، فإن البيعة الكبرى هي ما تكون للإمام الأعظم من أهل الحل والعقد والرعية، وهي محل القصد، وقد ثبتت بواقع الحال في عهد النبي ﷺ وللخلفاء الراشدين من بعده وأمر الله تعالى بطاعة ولي الأمر، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ؓ قَالَ: (بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ، وَأَنْ نَقُومَ، أَوْ نَقُولَ - بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً)^(٣). والبيعة تعنى الاتفاق العام والوحدة وهما من مقومات التماسك الاجتماعي، وقد حدثت بيعات خاصة هامة في السيرة النبوية، فيها دروس عظيمة للأمة، وتنطلق من الصلوات الحميدة بين المسلمين، منها بيعتنا العقبة وبيعة الرضوان، قال الله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)^(٤) وبيعة الرضوان من البيعات المشهورة في السيرة النبوية، والمشهودة من النبي ﷺ حيث عقدت بين النبي ﷺ والمؤمنين الذين معه، في السنة السادسة من الهجرة حين مضيهما للعمرة فمنعتهم قريش وقد بلغ الأمر إلى حد استلزم المناجزة فتمت البيعة على ذلك وانتهى الأمر إلى الصلح بين المؤمنين والمشركين، قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وقد تقدم ذكر عدتهم، وأنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية) ومن البيعات المشهورة في السيرة النبوية بيعة العقبة الثانية، وفيها كثير من الدروس المتعلقة بالدعوة والصلوات الحميدة، وسوف أعرضها هنا حسب رواية كعب بن مالك ؓ لها في جزأين تتضح منها الدروس المستفادة في صلة النصرة، وفق ما يلي:

أ) نصرة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم لابن أخيه محبة له، ولما يعلم من حال دعوته وقد أسلم متأخراً يوم الفتح. وشاهدها من الرواية: (وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٥٢٨١ (٤١٩/٢٣) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير نبيح العتري فقد روى له أصحاب السنن وهو ثقة.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب كيف يبايع الإمام الناس، حديث رقم: ٧١٩٩ (٧٧/٩).

(٤) سورة الفتح: ١٨.

ابن أخيه ويتوثق له). عن عبيد الله بن كعب^(١) وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعب بن مالك وكان كعب ممن شهد العقبة بايع رسول الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت والله رأياً وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟ قال: قلنا له: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها، قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه، فقال: إني أصلي إليها، قال: فقلنا له: لكننا لا نفعل، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة قال أخي: وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبي إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة، قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ قال: قلنا: لا قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم، قال: وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟» قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومهم، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «الشَّاعِرُ» قال: نعم، قال: فقال البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، وهداني الله للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، صليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «لَقَدْ كُنْتُ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتُ عَلَيْهَا» قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا. نحن أعلم به منهم، قال: وخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غداً، ثم دعوته إلى الإسلام وأخبرته بجميعاد رسول الله ﷺ

(١) عُيِدَ اللَّهُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ السَّلَمِيِّ، أَبُو فَضَالَةَ الْمَدِينِيِّ، أَخُو عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمُعَيْدُ بَنِي كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ. رَوَى عَنْ: ابْنِ أَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ، وَأَخُوهُ مُعَيْدُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: ثِقَةٌ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً. قَلِيلُ الْحَدِيثِ. وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي كِتَابِ "الثِّقَاتِ"، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ أَصِيبَ بِصُرِهِ. وَكَانَ أَعْلَمَ قَوْمَهُ وَأَوْعَاهُمْ لِأَحَادِيثِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٥/١٩).

وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائهم، نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة هي أم منيع، قال: فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له.

ب) بيعة الأنصار للنبي ﷺ على النصر والمنعة في بداية أمر الرسالة والدعوة، قبل الهجرة، وتمت في ليلة من ليالي الحج، فقد انطلقت من محبة المبايعين للحق، وأعطتهم الجرأة في الحق، وشاهدها من الرواية قولهم للنبي ﷺ (فخذ لنفسك ولربك ما أحببت).

قال الراوي: (فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج قال: وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه وهو في عز من قومه ومنعة في بلده قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت: فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام قال: «أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرننا، فبايعنا رسول الله ﷺ فنحن أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها يعني العهود فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بَلِ الدِّمُ الدِّمُ، وَالهْدْمُ الهْدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ» وقد قال رسول الله ﷺ: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وأما معبد بن كعب فحدثني في حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباب، والجباب: المنازل هل لكم في مذمم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم؟ قال علي يعني ابن إسحاق^(١) ما يقول عدو الله محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا أَذْبُ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَذْيَبٍ، اسْمَعْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَفْرَعَنَّ لَكَ» ثم

(١) المحدث، أبو الحسن علي بن إسحاق بن عيسى بن زاطيا المخرمي البغدادي. سَمِعَ: مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ بْنُ الرِّيَّانِ، وَدَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَجَمَاعَةٌ. وَعَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ، وَأَبُو حَفْصٍ بْنُ الرِّيَّانِ، وَأَبْنُ بُوَيْخٍ الدَّقَاقُ، وَعَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْحَرَبِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ السَّيِّتِيِّ وَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ. قُلْتُ: كُفَّ بَصَرُهُ بِآخِرَةِ تَوَفِّي: فِي جُمَادَى الْأُولَى، سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثٍ مِائَةٍ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧/٢٧٩)

قال رسول الله ﷺ: «ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ» قال: فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فإنا قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أُؤَمِّرْ بِذَلِكَ» قال: فرجعنا فمنا حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحد أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم، قال: فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا قال: فبعضنا ينظر إلى بعض، قال: وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان، قال: فقللت كلمة: كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيد من ساداتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش. فسمعها الحارث فخلعها ثم رمى بهما إلي فقال: والله لنتعلنهما قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى فاردد عليه نعليه قال: فقللت: والله لا أردهما قال: والله صلح والله لئن صدق الفال لأسلبينه فهذا حديث كعب بن مالك من العقبة وما حضر منها.^(١)

٧) الصلة العلمية:

إن طلب العلم أس النجاح في الحياة، ومن لم يكن على علم بما يجب أن يعمل، يصل إلى الفشل، ومن تعلم علما من غير مصدره الموثوق، لبث في جهل مركب منكوس يضر نفسه ويضر غيره، لذا حرص الأنبياء وأهل الصلاح على طلب العلم من منابعه الصافية، وضرب الله لنا أمثلة عديدة في كتابه الكريم معظمها شأن العلم وأهله الذين وصفهم بالخشية، قال الله تعالى: (الْمَرْتَرَانُ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَانِي وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ^(٢). ومن سير الأنبياء في طلب العلم - الرحلة العلمية العجيبة - رحلة موسى عليه السلام في مقصده للخضر وتكوين الصلة العلمية بينهما، وجاء ذكرها بالبيان المفصل في سورة الكهف والسنة النبوية ولا تنقطع الدروس الدعوية والعلمية منها، فمن حديث أبي بن كعب ؓ عند البخاري: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا)^(٣). فإن صلة العالم والمتعلم ذات شروط وضوابط وآداب، من أصولها محبة العلم والاحترام المتبادل، وفي الإسلام تكون المحبة شرطاً في تكوين العلاقة بينهما ومتعدية لمحبة الأخوة، لوجود الفاضل والمفضول، وتنطلق منها بقية الآداب في حسن الطلب المتعلق بالطالب وحسن الأداء المتعلق

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند مكين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٨٣٦ (٣/٤٦٠). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث قوي وهذا إسناد حسن.

(٢) سورة فاطر: ٢٧ - ٢٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب العلم - باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكمل العلم إلى الله، حديث رقم: ١٢٢ (١/٣٥).

بالعلم. وحسن المعاشرة وسلامة المنهج في المناقشة والمحاورة والمجادلة وأدب الخلاف في حق طلاب العلم والعلماء، عن هشام عن محمد قال: «دخلت مسجد الجامع فإذا عمرو بن وهب الثقفي^(١) قد دخل من الناحية الأخرى فالتقينا قريباً من وسط المسجد، فابتدأني بالحديث وكان يحب ما ساق إليّ من خير، فابتدأني بالحديث فقال: كنا عند المغيرة بن شعبة — فزاده في نفسي تصديقاً الذي قرب به الحديث — قال: قلنا: هل أمّ النبي ﷺ رجل من هذه الأمة غير أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه؟ قال: نعم، كنا في سفر كذا وكذا فلما كان في السحر ضرب رسول الله ﷺ عنق راحلته وانطلق، فتبعته فتغيب عني ساعة ثم جاء، فقال: حاجتك؟ فقلت: ليست لي حاجة يا رسول الله، قال: هل من ماء؟ قلت: نعم، فصببت عليه فغسل يديه ثم غسل وجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه وكانت عليه جبة له شامية فضاقت فأدخل يديه فأخرجهما من تحت الجبة، فغسل وجهه وغسل ذراعيه ومسح بناصيته ومسح على العمامة وعلى الخفين ثم لحقنا الناس وقد أقيمت الصلاة و عبد الرحمن بن عوف يؤمهم وقد صلى ركعة فذهبت لأودنه فنهاني فصلينا التي أدركنا وقضينا التي سبقنا بها»^(٢).

ومن أهم ما يمكن التمسك به لإنقاذ الأمة من غياهب الجهل وغيابهم الفتن محبة العلماء الثقات الراسخين في العلم، عن وبرة، قال: (سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَقَدْ أَحْرَمْتُ بِالْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ فَلَانٍ يَكْرَهُهُ وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ. رَأَيْنَاهُ قَدْ افْتَسَنَهُ الدُّنْيَا. فَقَالَ: وَأَيْنَا (أَوْ أَيُّكُمْ) لَمْ تَفْتَسَنَهُ الدُّنْيَا؟ ثُمَّ قَالَ: رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ. وَطَافَ بِالْبَيْتِ. وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. فَسُنَّةُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبَعَ، مِنْ سُنَّةِ فَلَانٍ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا)^(٣).

وإن من دواعي المحبة وتأثيرها في العلاقات بين الناس ومما يقوي الصلات الحميدة بينهم سؤال أهل العلم — أهل الذكر — الذين أخلصوا دينهم لله، بل من بركة الله في علمهم أن تتقبلهم الأمة الصالحة بالقبول ولم يكونوا من علماء الدنيا والمنصب والمال، قال الله تعالى: (فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(٤) وأطيب ما يسوق المرء المسلم لأخيه ويديه له ويبتدره به، علم ينتفع به، فإن حديث العلم يذهب غشاوة الجهل ويجلو القلوب صفاء ووداً، خلاف غيره من الأحاديث العامة التي إن نجت مجالسها وسلمت من الغيبة والنميمة والكذب، لم تسلم من ضياع الوقت في غير حقه، بما يكسب الأبدان ثقلاً، والقلوب ظلمة، وكان ديدن الصالحين تتبع العلماء الراسخين

(١) عمرو بن وهب الثقفي بصري، تابعي ثقة، روى عن المغيرة بن شعبة، وروى عنه محمد بن سيرين، انظر: الثقات لابن حبان (١٦٩/٥) ومعرفة الثقات للعجلي (١٨٧/٢).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد — أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨١٦٤ (١٠١/٣٠) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٣) انظر: صحيح مسلم — كتاب الحج — باب ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة من الطواف والسعي، حديث رقم: ٣٠٥٧ (٤/٥٣).

(٤) سورة النحل: ٤٣ — ٤٤.

في العلم، وكان طريق الأنبياء توجيه الأتباع إلى أخذ العلم من عالمه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب ويقول: مهلاً يا قوم بهذا أهلكم الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم يزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»^(١). وتوثيق الأخبار بالكتابة والحفظ ومعرفة الرجال العدول من غيرهم، مع دراسة متون النقل وموافقتها لنصوص الشرع إن له الارتباط المتين بالصلة العلمية بين المنقول عنه وبين الناقل والمنقول، وإن السماع المباشر أوثق علماً لما ينقل، عن عطية العوفي قال: «سألت زيد بن أرقم، فقلت له: إن ختنا لي حدثني عنك بحديث في شأن علي رضي الله تعالى عنه يوم غدير خم، فأنا أحب أن أسمع منك؟ فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك مني بأس، فقال: نعم، كنا بالجحفة فخرج رسول الله ﷺ إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي رضي الله تعالى عنه فقال: يا أيها الناس أستم تعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه. قال: فقلت له: هل قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: إنما أخبرك كما سمعت»^(٢).

وهنا في هذا الأثر يتبين لنا العظمة في المحبة، ودورها في تقبل العلم ممن أحببته، على ثقة بعلمه وتقوى في دينه، وعليه فإن أعظم ما يأخذ المرء من الدين، ما يأخذه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ وبذا يلزم السنة ويوفق إلى طريق الجنة وهو مسلك السلف الصالح في تأصيل علمهم يأخذ بعضهم من بعض على محبة وتقوى، عن ابن عباس، قال: سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ: مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّهِمْ إِلَيَّ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَعَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ»^(٣).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦٧٠٢ (٣٠٤/١١) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح وهذا إسناد حسن.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٩٢٧٩ (٢٩/٣٢) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، حديث رقم: ٥٨٤ (١٢٠/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، حديث رقم: ١٩٥٧ (٢٠٦/٢).

٨) صلة الصداقة:

الصداقة مشتقة من (صدق) والصاد والذال والقاف كما أورد ابن فارس في معجمه^(١) (تدل على القوة في الشيء، والصدق ضد الكذب والكذب لا قوة له فهو باطل). والصداقة بين الناس مشتقة من الصدق في المودة. ويدل عليها ملازمة الصديق لصديقه، ومن أروع حقائق الصداقة والصديقية ما كان من صداقة أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ، وتصديقه به، فهو أول من آمن به من الرجال، يصدقه إذا كذبه الناس، كما في قصة الإسراء والمعراج، يقدم ماله كله لله ولرسوله ﷺ، ويزوجه ابنته، ويهاجر معه في رحلة يحفها الخطر من كل جانب، ويضحى بنفسه يمشي أمامه إذا تذكر الرصد، ويمشي خلفه إذا تذكر الطلب، يعيش وفيًا له في كل حياته وبعد مماته، وماذا يتمنى عند موته رضي الله عنه، جاء الخبر عن عائشة رضي الله عنها قالت: « إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا ؟ قالوا يوم الاثنين، قال: فإن متُّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام والليالي إليَّ أقربها من رسول الله ﷺ »^(٢).

إن الصداقة من الصلات الحميدة، فما كان منها قائم على الهدى والحق، والإخلاص والتعاون على البر والتقوى، كان لله وفي الله، وله حسن العاقبة. وما كان منها قائم على الضلال والباطل والنفاق، والتعاون على الإثم والعدوان، فإنها تقوم على الهوى، وتورد الردى، وتجعل العاقبة في حسرة وندم، قال الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾)^(٣). ولا شك أن مواقف الحياة لا تصفو من كدر، ولا تسلم من خلاف، ولكن معدن الصداقة الأصيل يمثله الحب الصادق، فمهما اعتراه من مضارب الخلاف، يبقى على أصله ويصير الشقاق إلى وفاق. عن خالد بن الوليد، قال: كان بيني وبين عمار كلام، فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكو خالدًا إلى رسول الله ﷺ فجاء خالد وعمار يشكوان، فجعل يُغلظ له، ولا يزيده إلا غلظ، والنبي ساكت فبكى عمار. فقال: يا رسول الله ألا تراه، قال: فرفع النبي رأسه، قال: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله»، قال خالد: فخرجت فما كان شيء أحب إليَّ من رضي عمار، فلقيته فرضي.^(٤)

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣. ص: ٣٣٩.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٥ (١ / ٢١٨) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) سورة الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٨١٤ (٢٨ / ١٢) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح. قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

٩) صلة النصرة والمحبة:

إن الإسلام لم يعمل على تغييب القوميات، والجنسيات، أو القبائل والعشائر، أو الأوطان، من حيث وجودها، ومن حيث انتساب الإنسان لها، وكم من آي في القرآن الكريم تنسب الأنبياء إلى أقوامهم وتحدد أوطانهم، وما أكثر الأدلة الشرعية الدالة على ذلك، ولم يمنع الإسلام المرء من أن يقول عن نفسه، بأنه عربي أو فارسي أو رومي، أو يماني أو شامي أو مصري، أو حبشي أو قرشي أو خزرجي، أو من قبيلة كذا وكذا... كما لم يمنعه من التعبير عن الحب والحنين لما ألفه من أوطان وديار.. فهذا وارد، والشارع أقره ولم يلغه، ولكن عمل على تصويب المقاصد والنيات ونبد العصبية وتهديب العلاقات وتصحيح المفاهيم، وتقوية الصلات الحميدة، وعمل على التعايش بين أهل الملل والنحل ومختلف الأجناس والألوان في وطن واحد، تتبادل بينهم المنافع وتتحقق لهم المصالح، فإن الانتساب أمر من الأمور المعلومة في الدين بالضرورة ولا يجادل فيها. ولكن الذي منع منه الإسلام وعمل على إلغائه هو تلك العصبية الجاهلية لتلك القوميات والجنسيات، وتلك الأوطان والقبائل وغيرها من الانتماءات التي تغيب معها عقيدة الولاء والبراء في الله أو التي تسبب الفتن وتمزق الوطن الواحد وتذكي نار الحرب أو تشيع الفوضى والفرقة والشتات تحت الشعارات الوهمية والتعددية الطائفية والعصبية القبلية وغيرها، عن عباد بن كثير الشامي^(١) من أهل فلسطين عن امرأة منهم يقال لها فسيلة^(٢) أنها قالت: سمعت أبي يقول: «سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: لا، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم»^(٣). فمن حق النصرة الشرعي لمن تحب له الخير أن تعينه بكف الظلم عنه، وكفه عن ظلم الآخرين، وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد النداء فيها عاما لبني آدم والناس عامة وأهل الإيمان منهم خاصة بقوله تعالى: (يَتَّخِذُهَا النَّاسُ) و (يَتَّبِعُ آدَمَ) و (يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) و (يَتَّخِذُهَا الْإِنْسَانُ) ففي أهم مقومات الحياة وهو اتباع الحق، وتبصير الإنسان بسبل العيش السعيد والبداية والمصير، يدعو الرب سبحانه وتعالى الناس كافة؛ لتحقيق العبادة له سبحانه وحده لا شريك له، فلم تكن الدعوة والنداء هنا لقبيلة أو عصبية أو لون أو جنس، أو في زمن دون آخر، أو مكان دون مكان؛ ولكن الحق هو الغاية، والتعاون عليه هو سبيل

(١) عباد بن كثير الرملي، الفلسطيني، الشامي، يروي عن: عروة بن روم، وحوشب. وعنه: زيد بن أبي الزرقاء، ويحيى بن يحيى، ويحيى بن معين. ووثقه هو وابن المديني. وقال البخاري: فيه نظر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠٧/٧).

(٢) هي فسيلة بنت وائلة بن الأسقع الليثي، و قيل اسمها جميلة روت عن أبيها، جزم بن عساكر ومن تبعه بأن فسيلة هي بنت وائلة المبهمة في هذه الرواية. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣٢١/٧) والدها وائلة من الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن سعد: كان من أهل الصفة فلما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام، وقال أبو حاتم: نزل الشام وكان يشهد المغازي بدمشق وحص. مات بدمشق في سنة ثلاث وثمانين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥٩١/٦)

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٩٨٩ (١٩٦/٢٨) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن.

المداية. وإن المتتبع لمواقف السنة النبوية القولية والعملية والتقريبية؛ يجدها تدعو إلى نفس الهدف والغاية، بميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ)^(١). وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم العنصرية المميزة بين البشر، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة هي (التقوى)، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان. ومن التقوي محبة النبي ﷺ والحذر من إيذائه في نفسه، وأهله ودينه بأي وجه من الوجوه، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ^(٢) أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكَحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَلَا آذَنْ لَهُمْ. ثُمَّ لَا آذَنْ لَهُمْ. ثُمَّ لَا آذَنْ لَهُمْ. إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيُنْكَحَ ابْنَتَهُمْ. فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي. يَرِيئُنِي مَا رَأَيْتُهَا وَيُؤْذِنُنِي مَا آذَاهَا»^(٤).

(وفي الرواية الأخرى: إني لست أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا. وفي الرواية الأخرى: أن فاطمة مضغة مني وأنا أكره أن يفتنوها)^(٥) أورد النووي في شرحه للحديث: (قال العلماء في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال، وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحا وهو حي، وهذا بخلاف غيره، قالوا وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ لست أحرم حلالا، ولكن فهمي عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين: إحداهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه فنهى عن ذلك، لكمال شفقتة على

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي، مكي، أبو بكر الأحول، ويقال أبو محمد، وكان قاضيا على عهد ابن الزبير، روى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعائشة، وروى عنه ابن جريج وعبد الجبار ابن الورد. انظر: الجرح والتعديل لابن المنذر (٩٩/٥) والأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم (٢/ ٢٤١). وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان، معدود في طبقة عطاء، وقد ولي القضاء لابن الزبير، والأذان وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم، مات سنة سبع عشرة ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨٨/٥).

(٣) المسور بن مخزوم بن نوفل القرشي الزهري أبو عبد الرحمن، أمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وقدم به أبوه المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان، وقبض النبي ﷺ والمسور ابن ثمان سنين وسمع من النبي ﷺ وحفظ عنه، وحدث عن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن عوف، وكان فقيها من أهل الفضل والدين لم يزل مع خاله عبد الرحمن بن عوف مقبلا ومديرا في أمر الشورى وبقي بالمدينة إلى أن قتل عثمان ثم انحدر إلى مكة فلم يزل بها حتى توفي معاوية، ذكره ربيعة بن يزيد فلم يزل بمكة حتى قدم الحصين بن غمير مكة لقتال ابن الزبير، وفي حصاره ومحاربه أهل مكة أصاب المسور حجر من حجارة المنجنيق وهو يصلي في الحجر فقتله، سنة أربع وستين وصلى عليه ابن الزبير بالحجون وهو معدود في المكيين توفي وهو ابن اثنتين وستين سنة. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٦٧٧/١).

(٤) - انظر: صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، حديث رقم: ٥٢٣٠ (٣٧/٧). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام، حديث رقم: ٦٤٦٠ (١٤٠/٧).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٩١١ (٢٢٦/٣١) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

علي وعلی فاطمة. والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة، وقيل ليس المراد به النهي عن جمعهما بل معناه أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، كما قال أنس بن النضر: والله لا تكسر ثنية الربيع^(١) ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى لا أحرم حلالاً، أي لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه وإذا حرمه لم أحلله، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله^(٢) وهنا نعلم أن تعدد الزوجات بما حدد الشرع أمراً مباحاً ومندوباً إليه، بشرط العدل، ومما قرر العلماء أن حماية النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها من الأذى لها أو لنسبه، أمر فيه خصوصية له ﷺ.

١٠) الصلة الزوجية:

لقد خلق الله بني آدم من ذكر وأنثى، وجعل بين الزوجين مودة ورحمة، قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)^(٣) وقد أمر الإسلام الرجل بحسن العشرة، وأداء الحقوق التي للزوجة بمعروف وإحسان، في حال الإمساك أو حال التسريح، قال الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)^(٤) وقال سبحانه: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٥) كذلك، فإن الله أمر المرأة بطاعة الزوج في المعروف وأداء الحقوق، وإن كانت العلاقة بينهما قامت على حب الولد وإمتاع النفس بما وضعه الله في الجسد من الشهوة، فإن السعادة الزوجية تقوم على بقاء الحب بينهما، وعوامل بقاءه كثيرة جداً، من أهمها: تقوى الله في الحقوق والواجبات المفروضة لهما وعليهما، ولما نعلم من أن العلاقة الزوجية من أهم الصلات الحميدة التي يقوم عليها المجتمع؛ فإن الحفاظ عليها من الواجبات وإن زرع الحب من أول الأيام أهم وسيلة في الحفاظ على الكيان الأسري، ولنا في رسول الله أسوة حسنة في تعامله مع زوجاته رضي الله عنهن، حيث كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش

(١) الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية أخت أنس بن النضر وعمة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وهي والدة حارثة بن سراقة، وفيه قولها أخبرني عن حارثة فإن يكن في الجنة صبرت واحتسبت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء فقال لها النبي ﷺ إنه أصاب الفردوس - الحديث - وفي صحيح البخاري عن أنس أن الربيع بنت النضر عمته لطمت إنساناً فطلبوا العفو، فأبوا، فطلبوا الأرض، فأبوا، فقال رسول الله ﷺ كتاب الله القصاص فقال أنس بن النضر أيكسر سن الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا يكسر سنّها، فرضوا بالأرض، فقال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرة، منهم أنس بن النضر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦٤٢/٧).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٦، ص: ٢ - ٤.

(٣) سورة الروم: ٢١.

(٤) سورة النساء: ١٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٢٨.

ذَاتِ السَّلَاسِلِ. فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: (أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا^(١). وقد تزوجها وهي صغيرة السن، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فترلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فوفى جُميمة^(٢)، فَأَتَنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ^(٣) — وإني لفي أرجوحة ومعِي صَوَّاحِبٌ لِي — فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أُدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ^(٤) حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي. ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدَخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ. فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرْعَنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ^(٥). وعندما علم المسلمون قدر حبه لها رضي الله عنها أرادوا كسب حبه بحبها لها، عند البخاري: عن عُرْوَةَ: «كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ»^(٦).

(١١) صلة الشفاعة:

إِنَّ الشَّفَاعَةَ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تَكْوِينِ الْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْجَمْعِ الْمُسْلِمِ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ، أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: (اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلِيَقْضِ اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة ذات السلاسل وهي غزوة لحم وجذام، حديث رقم: ٣٦٦٢ (٥/٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٢٨ (١٠٩/٧).
(٢) الجيم والميم في المضاعف له أصلان: الأول كثرة الشيء واجتماعه، والثاني عَدَمُ السَّلَاحِ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٩/١) وَجَمَّاهُ وَجَمَّمَهُ بِالْتَحْرِيكِ وَهُوَ مَا عَلَا رَأْسَهُ، وَالْجُمَّةُ بِالضَّمِّ مُجْتَمَعُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَقْرَةِ وَفِي الْحَدِيثِ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُمَّةٌ جَعْدَةٌ، الْجُمَّةُ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ مَا سَقَطَ عَلَى الْمُنْكَبَيْنِ، وَقَدْ وَفَتْ لِي جُمِيمَةٌ أَيْ كَثُرَتْ وَالْجُمِيمَةُ تَصْغِيرُ الْجُمَّةِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠٤/١٢).

(٣) أم رومان يقال بفتح الراء وضمها هي بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة، وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك بن كنانة، امرأة أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهم، توفيت في حياة رسول الله ﷺ، وقبرها واستغفر لها، وذلك في سنة ست من الهجرة فترل رسول الله ﷺ وقال: اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك، وكانت وفاتها سنة أربع أو خمس عام الخندق، وقال الزبير: سنة ست في ذي الحجة. وكذلك قال الواقدي: سنة ست في ذي الحجة، كانت أم رومان الكنانية تحت عبد الله بن الحارث بن سبخرة بن جرثومة الخير بن عادية بن مرة الأزدي وكان قدم بها مكة، فحالف أبا بكر قبل الإسلام وتوفي عن أم رومان فولدت لعبد الله الطفيل ثم خلف عليها أبو بكر، فالطفيل أخو عائشة وعبد الرحمن لأُمهما. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٩٥١/١).

(٤) (نَهَج) النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرُ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمُنْهَاجِ. وَالْمُنْهَاجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمُنَاهِجُ. وَالْآخَرُ الْإِنْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فَلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مِهْورًا مَنقُطَعَ النَّفْسِ. وَضَرِبْتَ فَلَانًا حَتَّى أُنْهَجَ، أَيْ سَقَطَ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦١/٥).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدمه المدينة وبنائه بها، حديث رقم: ٣٨٩٤ (٥/٥٥).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب المحبة وفضلها والتحريض عليها - باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نساؤه دون بعض، حديث رقم: ٢٥٨١ (١٥٦/٣).

رَسُولُهُ مَا شَاءَ^(١). وما يتقدم لها إلا من قامت له المحبة في القلب أو كانت له المكانة في المجتمع بالمال والجاه، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ قُرَيْشًا أَهْمَهُمْ شَأُنُ الْمُخْزُومِيَةِ فَقَالُوا: مَنْ يَجْتَرِءُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢). وكان أسامة بن زيد وأبوه رضي الله عنهما، من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ. وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ»^(٣) وعندما شفع أسامة ﷺ في شأنها؛ شدد النبي ﷺ عليه القول، ولم يجبه في شفاعته بقوله: (أتشفع في حد من حدود الله)، بل خطب الناس موضحاً خطورة الشفاعة السيئة التي بمقتضاها تضيع حقوق الناس ويتعدى على حدود الله فإن الشفاعة كغيرها من الصلوات الحميدة تخضع لضوابط الشريعة فكما للشافع من الأجر في قضاء الحاجات، ودفع المضرات بشفاعته، فإن عليه من الوزر بقدر ما يشفع فيه من السيئات في هضم الحقوق ودفع الحدود، وحماية الباطل والهروب عن الواجبات، قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا)^(٤)، ومن الجميل في الشفاعة أن محبة الشخص تشفع في محبة بنيه، عن الزهري، قال: حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ مَوْلَى أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ «أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ دَخَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ، فَلَمْ يُتِمِّمْ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ فَقَالَ: أَعَدُّ. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: الْحَجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ ابْنِ أُمِّ أَيْمَنَ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَوْ رَأَى هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَحَبَّهُ. فَذَكَرَ حُبَّهُ وَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ». قال: وزادني بعض أصحابي عن سليمان «وكانت حاضنة النبي ﷺ»^(٥).

١٢) صلة التناصح:

إن مبدأ التناصح في الإسلام أمر يقوم عليه الدين بل الدين النصيحة، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٦). وإن العلاقة بين الناصح والمنصوح من الصلوات الحميدة التي تقوم على محبة الحق والتواصي به، وعليها يقوم

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب قول الله تعالى (من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً، حديث رقم: ٦٠٢٨ (١٢/٨)

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ عليه وسلم- باب ذكر أسامة بن زيد، حديث رقم: ٣٤٧٥ (٤/١٧٥) انظر: صحيح مسلم- كتاب الحدود- باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم: ٤٥٠٦ (٥/١١٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٧٣٠ (٥/٢٣) وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب فضائل زيد بن حارث وأسماء بن زيد رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦٤١٧ (٧/١٣١).

(٤) سورة النساء: ٨٥.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب ذكر أسامة بن زيد، حديث رقم: ٣٧٣٧ (٥/٢٤)

(٦) انظر: صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٢٠٥ (١/٥٣).

صلاح الناس، ولقد قامت رسالات الأنبياء عليها قال الله تعالى في حق قوم شعيب عليه السلام: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِمَ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ) ^(١) وقال الله تعالى في حق نبيه ورسوله صالح عليه السلام: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِمَ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ) ^(٢) ذكر الشوكاني في فتح القدير عند تفسير الآية: (وَقَالَ) {لهم هذه المقالة {لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} ويحتمل أنه قال لهم هذه المقالة بعد موثم على طريق الحكاية لحالهم الماضية. كما وقع من النبي ﷺ من التكليم لأهل قليب بدر بعد موثم، أو قالها لهم عند نزول العذاب بهم، وكأنه كان مشاهداً لذلك، فتحسر على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب، ثم أبان عن نفسه أنه لم يأل جهداً في إبلاغهم الرسالة ومحض النصح، لكن أبوا ذلك فلم يقبلوا منه، فحق عليهم العذاب، ونزل بهم ما كذبوا به واستعجلوه ^(٣) ومن صفات الناصح الأمانة في النصح وهو من حق المسلم على أخيه المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» ^(٤). ومعنى النصيحة بين الأخوين المسلمين، قال النووي (وإذا استنصحك فمعناه طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه ولا تداهنه ولا تغشه ولا تمسك عن بيان النصيحة) ^(٥) ومعنى ذلك أن يجتهد الناصح في الوصول إلى كمال الإحاطة بجوانب موضوع النصيحة؛ فيصل بالمنصوح إلى حال السلامة من المrehوب أو الإقبال على المرغوب، والنصيحة هي من محض الخبة، عن علي، قال: قال (لي) رسول الله: «يا علي، أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، وأكرهُ لك ما أكرهُ لنفسي، لا تُقَعِّبَنَّ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ» ^(٦). وتأخذ النصيحة أساليب عديدة في القول أو الفعل، ولعل من أهم شروطها في الحال الفردية أن تكون في السر في غالب أمرها، فإنها أدعى للاستجابة والقبول، وقد تبلغ من الناصح مبلغ التفضيل على النفس في تقديم الخير لغيره، وهذا ما فعله أبو بكر رضي الله عنه في نصحه للأمة، حين

(١) سورة الأعراف: ٩٣.

(٢) سورة الأعراف: ٧٩.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ، ج ٢، ص: ٣١٢.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم: ٥٧٧٨ (٣/٧).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٤، ص: ١٤٣.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء في كراهية الإقعاء في السجود، حديث رقم: ٢٨٢ (٧٢/٢) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٤٤ (٤٠٢/٢) ضعفه الألباني. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث علي، إلا من حديث أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي. وقد ضعف بعض أهل العلم الحارث الأعور. والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم: يكرهون الإقعاء.

ولايته للخلافة فأمضى ما عقده رسول الله ﷺ لجيش أسامة، وجمع القرآن وحارب المرتدين، وجعل ميراث النبي ﷺ على ما أسنه، بأنه صدقة، وهذا ما أبانه لآهل بيت النبي ﷺ المفضلين عنده من أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين، عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر، تسأله ميراثها من النبي ﷺ، مما آفاه الله على رسوله ﷺ، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعني مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل). وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، فتشهد علي ثم قال إنا قد عرفنا يا أبكر فضيلتك وذكر قربانهم من رسول الله ﷺ وحقهم، فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده لقربة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرباني^(١). ومن أصول القول في النصيحة أن الاستجابة للناصحين المخلصين يوصل إلى طريق قويم، وأن العناد في مواجهة الناصحين وعدم قبول النصح منهم، أو طردهم، وإغلاق طرق النصح عليهم طريق معوج، ومصير مهلكة للفرد والجموع.

١٣) صلة الضيافة والعطاء:

إكرام الضيف من الإيمان، وحق الضيف في الإسلام يوم وليلة، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَبْعُنَا فَتَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ»^(٢). قال الإمام النووي: (والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين، وقد أوجبها الليث^(٣) ليلة واحدة واحتج بالحديث: ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم^(٤) وبحديث عقبة: إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بحق الضيف فاقبلوا، وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم. وعامة الفقهاء على أنها من مكارم الأخلاق، وحثهم قوله ﷺ: جائزته يوم وليلة. والجائزة العطية والمنحة والصلة، وذلك لا يكون إلا مع الاختيار،

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٧١١ (٢٠/٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي ﷺ: (لا نورث ما تركناه صدقة) ، حديث رقم: ٤٦٧٩ (١٥٣/٥)

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المظالم - باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، حديث رقم: ٦١٣٧ (٣٢/٨) وانظر: صحيح مسلم - كتاب اللقطة - باب الضيافة ونحوها، حديث رقم: ٤٦١٣ (١٣٨/٥).

(٣) الليث بن سعد الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها أبو الحارث الفهمي مولاها، الأصبهاني الأصل المصري، حدث عن عطاء بن أبي رباح ونافع العمري وابن أبي مليكة وسعيد المقبري، والزهري وأبي الزبير المكي وخلق كثير. حدث عنه محمد بن عجلان وهو شيخه وابن وهب وسعيد بن أبي مريم وخلائق. حج سنة ثلاث عشرة وله تسعة عشر عامًا؛ فلحق الكبار وكان كبير الديار المصرية وعالمها الأنبل، كان الشافعي يتأسف على فواته وكان يقول: هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. وقال أيضا: كان أتبع للأثر من مالك. وهو إمام حجة. مات سنة خمس وسبعين ومائة وله إحدى وثمانون سنة. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (١٦٤/١).

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأطعمة - باب ما جاء في الضيافة، حديث رقم: ٣٧٥٢ (٣٩٨/٣). صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وقوله ﷺ فليكرم وليحسن يدل على هذا أيضا، إذ ليس يستعمل مثله في الواجب، مع أنه مضموم إلى الإكرام للجار والإحسان إليه، وذلك غير واجب، وتأولوا الأحاديث أنها كانت في أول الإسلام إذ كانت المواساة واجبة^(١) وقد أوجب بعض الفقهاء إكرام الضيف على أهل الوبر دون أهل المدر، وأهل الوبر^(٢) - البادية - يمر بهم المسافر في مشقة من السفر، وقد يتعين عليهم إكرامه لحاجة أو مخافة هلكة. أما أهل المدن والمستقر فإن نزول الضيف بهم متعذر بوجود كثرة الناس، ووجود المحلات التجارية من المنازل والأسواق وغيرها، مما يأوي الغريب إليه ويسد حاجته. ولكن من قصد المتزل الخاص فقد حق له ما يحق لغيره من ذوي الحاجة أو الطلب من القبول أو الرد، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ^(٣) فإن من شيم أهل الكرم فتح الأبواب، واستقبال الضيوف والزوار من الأصحاب والإخوان، ما لم يمنعه عذر مشروع، عن أبي هريرة «أصابني جهد شديد، فلقيت عمر بن الخطاب، فاستقرأته آية من كتاب الله، فدخل داره وفتحها علي، فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسي فقال: يا أبا هريرة، فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي، فانطلق بي إلى رحله فأمر لي بعس^(٤) من لبن فشربت منه، ثم قال: عُد فاشرب يا أبا هريرة، فعدت فشربت، ثم قال: عد فعدت فشربت حتى استوى بطني فصار كالقدح. قال: فلقيت عمر وذكرته له الذي كان من أمري وقلت له: فوَلَّى ذَلِكَ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقْرَأْتُكَ الْآيَةَ وَلَأَنَا أَقْرَأُهَا مِنْكَ. قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لَأَنْ أَكُونَ أَدْخَلْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ حَمْرِ النَّعَمِ»^(٥). إن هذه المقولة من عمر رضي الله عنه تؤكد صفات الكرم النابعة من الحب والأخوة والإيمان، ومنها درس في محبة تكوين الصلات الحميدة بين المسلمين في حق الضيافة والعطاء، وقد تعطي من المال أو غيره تألفا للقلوب المحبة للمال، كي تكسب أجر اهتمامهم إلى الإسلام، أو الثبات عليه، عن عمرو بن تغلب (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ أَوْ سَبِي فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا، فَلَبَّغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ أَتْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لَمَّا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٢، ص: ١٨.

(٢) الوبر: الواو والباء والراء كلمات لا تنقاس، بل هي منفردة. فالوبر معروف. والوبر: دابة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨١/٦) الوبر صوف الإبل والأرانب ونحوها والجمع أوبر، وفي الحديث: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِ الْوَبْرِ وَالْمَدَرِ، أي أهل البوادي والمُذَنِّ والقُرى وهو من وبر الإبل لأن بيوتهم يتخذونها منه، والمدر جمع مدرّة وهي البنية، انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٧١/٥).

(٣) سورة النور: ٢٧ - ٢٨.

(٤) العين والسين أصلان متقاربان: أحدهما الدنو من الشيء وطلبه، والثاني خفة في الشيء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢/٤) العس: القدح الكبير وجمعه: عسّاس وأعسّاس. انظر: المنهاج للنووي (١٠٦/٧).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب وقول الله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم)، حديث رقم: ٥٣٧٥ (٦٨/٧).

وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمَرُو بَنُ تَغْلِبَ، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ^(١). إن صلة العطاء تدخل فيها الهبات والهدايا والصدقات وغيرها، وهي وسيلة تؤدي إلى الألفة والمحبة، ولكن في مواقف معينة منعها يكون من محبة، كما كان من موقف النبي ﷺ في هذا الحديث حيث تركهم لما في قلوبهم من الغنى والخير والإيمان، وهذه تزكية من الرسول ﷺ لهم، فقد كانت لهم أفضل من العطاء المادي، ومن ذلك درس عظيم فمن حرمة العطاء المادي أو المادي، فكن مبادرا له بالبديل من العطاء المعنوي الحقيقي في ذاته وصفاته أو وعده بأمل صادق في مستقبل الأيام بإذن الله ومشيتته.

١٤) صلة الجيرة:

لقد عظم الله ورسوله ﷺ حق الجار على الجار، قال الله تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)^(٢) وصلة الجيرة رغم تنوعها فإن مقام الحب فيها يكون بالبر والصلة، وحسن العشرة، وإن لم يكن الجار مسلما، أما الحب العقدي فلا حق فيه إلا لمسلم، بل أصل المسألة فيه يعود إلى ضوابط الولاء والبراء، ولقد وصى النبي ﷺ بالجار، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ)^(٣). قال ابن حجر في شرح الحديث: (واختلف في المراد بهذا التورث، فقليل يجعل له مشاركة في المال بفرض سهم معطاه مع الأقارب، وقيل المراد أن يتزل منزلة من يرث بالبر والصلة، والأول أظهر، فإن الثاني استمر والخبر مشعر بأن التورث لم يقع، ويؤيده ما أخرجه البخاري من حديث جابر نحو حديث الباب بلفظ: حتى ظننت أنه يجعل له ميراثا. وقال بن أبي حمزة^(٤) الميراث على قسمين: حسي ومعنوي، فالحسي هو المراد هنا، والمعنوي ميراث العلم ويمكن أن يلحظ هنا أيضا، فإن حق الجار على الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه والله أعلم، واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق، والصديق والعدو والغريب، والبلدي والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى، كذلك فيعطي كل حقه

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب من قال في الخطبة بعد الشاء أما بعد، حديث رقم: ٩٢٣ (١٠/٢).

(٢) سورة النساء: ٣٦

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار، حديث رقم: ٦٠١٥ (١٠/٨) وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب الوصية بالجار والإحسان إليه، حديث رقم: ٦٨٥٤ (٣٧/٨).

(٤) أحمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن الوليد بن محمد بن وليد بن مروان، الإمام المعمر المسند، أبو العباس ابن أبي حمزة المرسى الأموي مولا هم المرسى المالكي. صهر أبي الوليد الباجي، سمع أباه، وأبا بكر بن أبي جعفر، وهشام بن أحمد، توفي سنة (٥٣٣ هـ) انظر: التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (١/ ١٠٨) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٩١).

بحسب حاله، وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي، وقد حمله عبد الله بن عمرو أحد من روى الحديث على العموم، فأمر لما ذبحت له شاة أن يهدي منها لجاره اليهودي، أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وحسنه^(١) بل ورد في الحديث الدعوة إلى التساوي في المحبة، من محبة الخير للجار كنفسه، وأيضا، دفع الشر عنها. عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ (أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ) مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢). فإن حق الجار عظيم في الأجر والثوبة وله من الفوائد الاجتماعية والنفسية ما لا يحصر وأعظمها تحقيق الأمن النفسي والاجتماعي عندما يؤدي الجار حق جاره.

١٥) صلة الوصاية:

الوصية حق في عنق المسلم على نفسه، فيما يستحق الوصية عليه، من الحقوق والواجبات الشخصية والشرعية، وهي من الصلوات الحميدة في المجتمع المسلم قال الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٣) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ)^(٤) والموصون والأوصياء أمناء على ما استوصوا وما استوصوا عليه، وتكون الوصية من كامل الأهلية بالعقل والبلوغ والحرية والاختيار، وهي في حق اليتامى والأرامل والضعفاء قرينة إلى الله تعالى وأمانة، قال الله تعالى: (وَابْتَغُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى حَسِيبًا بِاللَّهِ)^(٥). وكما هي مشروعة؛ فإن قبولها مشروع لمن كان على ثقة من نفسه بحملها، أما من عرف الضعف في نفسه، أو خشي التهمة بالنقص أو أكل الباطل فعليه أن يتره نفسه عن مواطن التهم، خشية ما يلحق به من الإثم والضرر. عند البخاري، عن نافع قال: ما ردَّ ابن عمر على أحد وصيته. وكان ابن سيرين: أحب الأشياء إليه في مال اليتيم أن يجتمع إليه نصحاه وأولياؤه، فينظروا الذي هو خير له. وكان طاوس: إذا سئل عن شيء من أمر اليتامى قرأ: (والله يعلم المفسد من المصلح) وقال عطاء في يتامى الصغير والكبير: ينفق الولي على كل إنسان بقدره من

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٤٤١ - ٤٤٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: ١٨٠ (١/٤٩).

(٣) سورة البقرة: ١٨٠ - ١٨١.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الوصايا - باب الوصايا، حديث رقم: ٢٧٣٨ (٢/٤) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الوصية - حديث رقم: ٤٢٩٤ (٥/٧٠).

(٥) سورة النساء: ٦.

حصته ، قال ابن حجر: (قوله ما رد ابن عمر على أحد وصيته يعني أنه كان يقبل وصية من يوصي إليه قال ابن التين^(١) كأنه كان يبتغي الأجر بذلك لحديث أنا وكافل اليتيم كهاتين الحديث). وهي من باب التكافل الذي حث عليه الدين ولها ضوابط فقهية - ليست محل بحث هنا - من أهمها أهلية الموصي والموصى إليه وحفظ الأمانة في الموصى عليه وتكمل بالشهادة عليها وألا وصية لوارث، روى أصحاب المغازي أن رسول الله قال يوم الفتح: (لا وصية لوارث)^(٢). وقد تأخذ المحبة المورث تجاه بعض أبنائه أو زوجاته أو ممن يرى حاجته للمال دون غيره، فيخصه بوصية خاصة من الميراث، وهذا من المنوعات شرعا، للحديث السابق، ولما له من المؤثرات على علاقة الورثة بعضهم مع بعض بعد وفاته؛ لأن النفس مجبولة على محبة المال والاستكثار منه، ويؤدي ذلك إلى الخصومة والتنازع، وقد يكون التخصيص لأحد الورثة مدفوعا بالمحبة دون غيره وهذا ظلم للآخرين من الورثة والله لا يحب الظالمين، والله يحب الحسنيين ، بل من المطلوب الشرعي العدل بين الأبناء والزوجات، في الحياة، وهو بعد الممات من باب أولى في حقوق فرضها الله بعدله وحكمته.

(١) عبد الواحد بن التين، أبو محمد، الصفاقسي، المغربي، المالكي. الشهير بابن التين، فقيه محدث مفسر. له اعتناء زائد في الفقه ممزوج بكثير من كلام المدونة وشرحها، عاش في ٦١١هـ. من تصانيفه: "المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح". انظر: هدية العارفين لإسماعيل الباباني البغدادي.

(٢) قال البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا - باب لا وصية لوارث. انظر: صحيح البخاري (٤/٤).

المطلب الثاني

الصلات الذميمة

(١) التعاون على الإثم والعدوان:

إن من الصلات الذميمة التي حرمها الإسلام، التعاون على الإثم والعدوان، وهي مضادة لمقاصد شريعة الإسلام السمحة، التي تدعو إلى التعاون على البر والتقوى، وهي قاعدة عريضة تشمل شؤون الحياة، فإن التعاون المذموم فيه فساد في الأرض ونشر للظلم، ولا يدفعه إلا العدل ونصرة الحق وإقامته على النفس ومن تحب ومن لا تحب، عن عائشة رضي الله عنها: «أن قريشاً أتهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١). ومدار التعاون على الإثم والعدوان، خلو القلب من حب الخير وانصرافه إلى الشر، ويولد هذا قسوة في القلب وبغضا وحقدا، وانحرافا في الذات ومجالات الحياة، مما يؤدي بالناس إلى حياة الشقاء والكدر، وفي هذا الحديث والذي يليه، مشهد من المشاهد التي حدثت في عهد النبي ﷺ لمثل هذا الانحراف الذي أحدثه الشيطان بترغاته وتحريشه فقام رسول الله ﷺ بعلاجه، ولنا فيه درس كريم في كيفية علاج الصلات الذميمة، عن عبد الله بن بريدة، حدثني أبي بريدة قال: أَبْغَضْتُ عَلِيًّا بُغْضًا لَمْ أَبْغِضْهُ أَحَدًا قَطُّ. قَالَ: وَأَحْبَبْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ أَحِبَّهُ إِلَّا عَلَى بُغْضِهِ عَلِيًّا. قَالَ: فَبِعَثَ ذَاكَ الرَّجُلُ عَلَى خَيْلٍ فَصَحَبْتُهُ مَا أَصْحَبُهُ إِلَّا عَلَى بُغْضِهِ عَلِيًّا. قَالَ: فَأَصَبْنَا سَبِيًّا. قَالَ: فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْعَثْ إِلَيْنَا مِنْ يُخَمِّسُهُ. قَالَ: فَبِعَثَ إِلَيْنَا عَلِيًّا، وَفِي السَّبْيِ وَصِيفَةٌ هِيَ مِنْ أَفْضَلِ السَّبْيِ فَخَمَّسَ، وَقَسَمَ فَخَرَجَ رَأْسُهُ يَقْطُرُ قُلُوبًا: يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا هَذَا؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْوَصِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي السَّبْيِ، فَإِنِّي قَسَمْتُ وَخَمَّسْتُ فَصَارَتْ فِي الْخُمُسِ، ثُمَّ صَارَتْ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ صَارَتْ فِي آلِ عَلِيٍّ وَوَقَعَتْ بِهَا. قَالَ: فَكَتَبَ الرَّجُلُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: ابْعَثْنِي فَبَعَثَنِي مُصَدِّقًا. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ الْكِتَابَ وَأَقُولُ: صَدَقَ. قَالَ: فَأَمْسَكَ يَدَيَّ وَالْكِتَابَ، وَقَالَ: أَتُبْغِضُ عَلِيًّا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَلَا تَبْغِضْهُ، وَإِنْ كُنْتُ تُحِبُّهُ فَارْزُدْ لَهُ حُبًّا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَنَصِيبُ آلِ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيفَةٍ، قَالَ: فَمَا كَانَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرُ أَبِي بُرَيْدَةَ^(٢). إن المتأمل في موقف بريدة يرى التدرج في

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان، حديث رقم: ٣٤٧٥ (١٧٥/٤)

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٩٦٧ (٦٥/٣٨) تعليق شعيب الأنطاوي على المسند:

حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

العداوة: البغض، ثم البغض الشديد، ثم محبة من مثله في البغض تعاوناً على الإثم، ثم تحين الفرص للانتقام، ثم الانتقام الفعلي. وكان من علاجه ﷺ كشف الحقيقة والقيام بعملية الإبدال للبغض بالحب، بل ورفع درجة الحب تأكيداً له ببيان حقيقة الأمر (فَارْزُدْ لَهُ حُبًّا)، ويجد المتأمل أن عملية الإبدال أنجح في زوال البغض بالكلية بإيضاح الحقيقة، وبما أن الحب والبغض من الأمور القلبية، فإن عملية الإبدال تحتاج إلى خطوات قولية وعملية؛ تؤكد ذلك وتشبته وتعين على الاستمرار عليه .

ومن التعاون على الإثم الإصرار على الكفر، وإخفاء الحق ومحاربتة، ويتضح ذلك من مواقف اليهود والمنافقين المتكررة على مدى التاريخ في الصراع بين الحق والباطل ، ومن تلك المواقف ، محاربتهم للإسلام في أول عهده ، قال الله تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١))

أورد أهل التفسير أربع روايات^(٢) في سبب نزولها على ما يلي :

(١) عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو، تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله. وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا إليه، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا. فأنزل الله تعالى فيهم: "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" الآية.

(٢) عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب" إلى قوله: "ولهم عذاب أليم"، يعني فنحاصاً وأشيع وأشباههما من الأحرار، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة" ويجبون أن يحمداً بما لم يفعلوا"، أن يقول لهم الناس علماء، وليسوا بأهل علم، لم يملوهم على هدى ولا خير، ويجبون أن يقول لهم الناس: قد فعلوا.

(٣) عن علقمة بن أبي وقاص: أن مروان قال لرافع: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: "لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، ليعذبنا الله أجمعين!" فقال ابن عباس: ما لكم ولهذا! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود، فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه. ثم قال: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب"، الآية.

(٤) عن الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا"، فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: "قد جمع الله كلمتنا، ولم يخالف أحد منا أحداً [أن محمداً ليس بنبي]. وقالوا: "نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أهل الصلاة والصيام"، وكذبوا، بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله، قال الله: "يجبون أن يحمداً بما لم يفعلوا". أورد ابن حجر في الفتح المعنى الجامع الذي عليه

(١) سورة آل عمران : ١٨٨ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٤٦٥.

أهل التفسير لهذه الآية بمعرفة سبب نزولها، قال : (الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معاً، وبهذا أجاب القرطبي وغيره، وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد؛ فترلت ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا. وروى بن أبي حاتم من طرق أخرى عن جماعة من التابعين نحو ذلك، ورجحه الطبري، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب، وأحب أن يحمده الناس ويشنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم)^(١)

(٢) العصبية الجاهلية:

إن العلاقات القومية الداخلية والخارجية، تنبعث من أصول قامت عليها، سواء كانت أصول القرى أو أصول منهجية في الحياة عقدية أو سياسية، ولكل أصول مبادئ يحافظ عليها الجميع، وييدي احترامها ويقوم بالدفاع عنها ممن هو داخل في نطاقها، وهنا يجب أن نوضح أن هذه العلاقات متى ما تمثلت الظلم ونصرته فقد دخلت في الصلات الذميمة، وهي غالبية على كل من تحزب بقوم داخل النظام العام للمجتمع، ومن أحداث العصبية الجاهلية، ما كان في مسجد النبي ﷺ، ولقد كادت أن تقوم فتنة قتال بين الأوس والخزرج، وفي حضرة النبي ﷺ جراً ما أحدثه المنافق - عبد الله بن أبي سلول - من إثارة وفتنة بين المسلمين، فقد رمى أم المؤمنين عائشة المبرأة رضي الله عنها بالفاحشة، وقد تحدث في ذلك رجال من الخزرج منهم حسان رضي الله عنه، وعند البخاري من حديث الإفك: (فقام سعد بن معاذ، فقال: ائذن لي يا رسول الله أن تضرب أعناقهم. وقام رجل من بني الخزرج - وكانت أم حسان بن ثابت من رهن ذلك الرجل - فقال: كذبت، أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد)^(٢) هذا نتاج العصبية والحزبية إذا اجتمعا، فتنة وقتال، وفرقة وخلاف، وكل ذلك من الصلات الذميمة التي حذر الشرع منها، أما نصرته الحق والوقوف مع المظلوم، وردع ودفع الظالم وكفه عن ظلمه، فإنها ليست من العيبة الجاهلية، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ^(٣) الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيْدَعَنَّ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيْكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِجَلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ^(٤) ».

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٨، ص: ٢٣٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة النور - باب قوله (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)، حديث رقم: ٤٨٠٤ (١٠٦/٦).

(٣) من (عيب) العَبُّ شُرْبُ الماء من غير مَصٍّ وقيل أن يَشْرَبَ الماءَ ولا يَنْتَفِسَ، والعُبابُ كثرة الماء، والعُبابُ المَطَرُ الكثير، وَعَبَّ الثَّبْتُ أي طال، وعُبابُ السَّيْلِ مُعْظَمُهُ وارتفاعه وكثرته، عُبْيَةٌ وعُبْيَةُ أي كبر وفخر وعُبْيَةُ الجاهلية تُخَوِّثُهَا. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٧٢/١).

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في التفاخر بالأحساب، حديث رقم: ٥١١٨ (٤٩٢/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٧٣٦ (١٤ / ٣٤٩) حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

٣) الحسد والغيرة:

الحسد من أشنع الصلوات الذميمة، حيث يولد الحقد، والحقد ينتج عنه جرائم فظيعة منها القتل والسرقة وسائر الفتن، وقد نهى الإسلام عن الحسد، وأمرنا بالتعوذ من شر حاسد إذا حسد؛ لما له من عواقب وخيمة على الطرفين الحاسد والمحسود، وإن من أشد أضراره القطيعة بين الناس وفناء الحسنات، وهو مناقض لدواعي الإيمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِيحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ)^(١). ومن أضراره المادية والمعنوية الإصابة بالعين، وكما في الحديث: العين حق، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا »^(٢). فيجب على المسلم الحصن الوقائي منها، بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب، ولزوم الأذكار الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، وكذلك يكون التداوي منها. وخطر الحسد يتعدى الحاسد والمحسود إلى المجتمع فإن شره عميم، وبه تنتشر العداوة المنافية للمحبة، وتعم البغضاء المهلكة، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ)^(٣). ولعل من أعظم بواعث الحسد الغيرة، ومناظرة المرء لما عليه غيره من مال أو طيب حال، والمقارنة مع حاله، ولا علاج لهذه الحالة إلا بالقناعة والإيمان بالقضاء والقدر في الرزق وغيره، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمِّهِ مَا يَعَالِجُ الْحَسَدَ فِي نَفْسِ الْحَسَادِ، حَيْثُ يَحْسُ الْإِنْسَانُ بِالرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَيَنْصَرِفُ عَنْهُ هَيْبُ الْقَلْقِ، فَإِنَّ نَارَ الْحَسَدِ مُحْرِقَةٌ وَأَوَّلُ مَا تَحْرِقُ صَاحِبَهَا، عَنْ دَاوُدَ بْنِ رُشَيْدٍ رضي الله عنه يَقُولُ: (قَالَتْ حُكْمَاءُ الْهِنْدِ: لَا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ، وَلَا صِحَّةَ مَعَ نَهَمٍ، وَلَا ثَنَاءَ مَعَ كِبَرٍ، وَلَا صَدَاقَةَ مَعَ خَبٍّ، وَلَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ آدَبٍ، وَلَا بَرٍّ مَعَ شُحٍّ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ حِرْصٍ، وَلَا مَحَبَّةَ مَعَ هَزْوٍ، وَلَا وِلَايَةَ حُكْمٍ مَعَ عَدَمِ فِقْهِ، وَلَا عُذْرَ مَعَ إِصْرَارٍ، وَلَا سَلَامَ قَلْبٍ مَعَ الْغِيَةِ، وَلَا رَاحَةَ مَعَ حَسَدٍ، وَلَا سُودُودَ مَعَ انْتِقَامٍ، وَلَا رِئَاسَةَ مَعَ عَزَازَةِ نَفْسٍ وَعُجْبٍ، وَلَا صَوَابَ مَعَ تَرْكِ الْمَشَاوِرَةِ، وَلَا ثَبَاتَ مُلْكٍ مَعَ تَهَاوُنٍ وَجَهَالَةٍ وَزَرَءٍ)^(٤).

(١) انظر: سنن النسائي - كتاب الجهاد - باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، حديث رقم: ٣١٠٩ (٣٢٠/٦) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٤٧٩ (١٨٣/١٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: صحيح.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب الطب والمرض والرقى، حديث رقم: ٥٨٣١ (١٣/٧)

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - باب حديث رقم: ٢٥١٠ (٤/٦٦٤) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٤١٢ (٢٩/٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وفي صحيح سنن ابن ماجه. وأصله عند مسلم في صحيحه.

(٤) داود بن رشيد الإمام الحافظ الثقة، أبو الفضل الخوارزمي، ثم البغدادي مولى بني هاشم، رجال جوال، صاحب حديث، توفي في سابع شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين انظر: خلاصة تذهيب تذهيب الكمال لصفي الدين الأنصاري (١: ١٠٩) ورجال مسلم (١/ ١٩٥) ورجال مسلم (١/ ١٩٥) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٩٤).

(٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ، ج ١٧، ص: ١٥٦.

إن حب الذات هو الدافع الأول للحسد، ومن الصور الاجتماعية الكثيرة له: الحسد بين أصحاب الأموال كثرة وعدة، وفي الأولاد عدداً ومجداً، وفي الجاه مكانة وسلطة. وكذلك بين أهل العلم طلاباً ومعلمين ظهوراً وريّة، وبين أهل الصحة والجمال قوة وهيئة، وبين الضرائر من النساء طمعا وغيره. ها هي أم زوج النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها تحفف عن ابنتها ألم الأحران لما قيل فيها من خبر الإفك، وتذكرها ما للضرائر من دور في الحسد، فإن ألم المصيبة الكبير جعل التعبير عن الغيرة على لسانها يكون بلفظ الحسد، ولم يثبت في حادثة الإفك وقوع أمهات المؤمنين فيها - أي عائشة - بل الذي وقع في هذه الفتنة أهل النفاق وبعض الأخيار الذين سبقت عليهم العاطفة، وضعف الورع وزلل اللسان، ولم يدركوا خطره وتجاهلوا مبدأ الثبوت لضعف الورع، قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (ووعكت، فقلت لرسول الله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام. فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفلى وأبا بكر فوق البيت يقرأ. فقالت أمي: ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها وذكرت لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني. فقال: يا بنية، خفّضي عليك الشأن، فإنه والله لقلما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدتها وقيل فيها. وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني. قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله ﷺ قالت: نعم ورسول الله ﷺ. واستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه. قال: أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت^(١)).

وعلى ما سبق نعلم أن الحسد من أخطر الصلات الذميمة. ولم يرد فيه حمد إلا في اثنتين، كما في الحديث عند البخاري، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا^(٢)). وفي رواية عبد الله بن عمر عند مسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَتَصَدَّقَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ^(٣) ».

٤) نكاح الجاهلية:

إن الزواج من الصلات الحميدة، في تكوين العلاقات البشرية، وتبقى أشكال النكاح في الحياة الجاهلية من الصلات الذميمة؛ لما تمثله من خرق للمروءة، وتمزيق للكرامة، وخلط للأنساب، وانعكاس عن الفطرة

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة النور - باب قوله (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)، حديث رقم: ٤٧٥٦ (١٠٦/٦)

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب العلم - باب الاغتياب في العلم والحكمة، حديث رقم: ٧٣ (١/ ٢٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ومن فضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بما وعلمها، حديث رقم: ١٩٣٠ (٢٠١/٢) ..

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب اغتياب صاحب القرآن، حديث رقم: ٥٠٢٥ (١٩١/٦) وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ومن فضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بما وعلمها، حديث رقم: ١٩٣١ (٢٠١/٢).

السليمة في حياة الإنسان التي جاء بها الإسلام، فقد حرم الإسلام صور النكاح الجاهلي وضبط العلاقة الزوجية بسياج من الضوابط الشرعية الحكيمة، وحرم المحرمات من الأقارب ومنهن: حرمة نكاح الأمهات والبنات والأخوات، والعمات والحالات، وبنات الأخ وبنات الأخت، والأمهات والأخوات من الرضاعة، والربائب المدخول بأمهاتهن، والجمع بين الأختين، والجمع بين الزوجة وعمتها أو خالتها، والحصنات من المؤمنات، وزوجات الابن وزوجات الأب، قال الله تعالى: (وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدِلَ زَوْجَ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِيَّاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مَثَرُ مُبْدِئَةٍ ۖ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا^(١)). قال الجوهرى في الصحاح عند مادة (نكح): (النَّكْحُ والتَّكْحُ لغتان وهي كلمة كانت العرب تنزَّوج بها) وأورد ابن منظور في لسان العرب عند مادة (نكح): (ويقال نَكَحَ المطرُ الأرضَ إذا اعتمد عليها ونَكَحَ الثُّعَاسُ عَيْنَهُ وَنَاكَ المطرُ الأرضَ وَنَاكَ الثُّعَاسُ عَيْنَهُ إذا غَلَبَ عليها وامرأة ناكح بغير هاء ذات زوج) فإن محبة إشباع غريزة الشهوة الفطرية في الإنسان، فرضت التزاوج بين الذكر والأنثى. وأخذ الزواج أشكالاً عدة مع تطور الحياة الإنسانية على الأرض من زواج الأخ لأخته شريكة غيره في الحمل، من أولاد أبينا آدم الأوائل، وتطور من الزواج الفردي إلى الزواج التعددي، ولكل قوم حكم وشريعة تنظم هذا الأمر لأهميته في حماية الأسرة والمجتمع، وهذا يتحدد بمعرفة التاريخ البشري على هذه الأرض وتفرع الأنساب وفق ظروف الحياة المتمثلة في الهجرات الإنسانية وتعدد أسبابها: من التجارة والبحث عن الغذاء والمكان الآمن، والهروب من الحروب والمجاعات على مر العصور وغيرها. ويبقى من المسلمات أن القبيلة مجموعة من الأسر جمعهم الدم والنسب أو الحلف والعهد، ويظهر ذلك في المجتمعات القديمة بشكل جلي أما المجتمعات المعاصرة فقد انصهرت الأسرة الممتدة - من الفخذ والعشيرة والبطن والقبيلة - في الاندماج الاجتماعي متعدد الأجناس الذي يتشكل وفق القوانين والأنظمة الجديدة التي تركز في تكوين المجتمع على المصالح المشتركة، ضمن خطط شاملة تكفل التعايش بين جميع الأجناس، يقول الدكتور عبد الله الخريجي: (من الأمور المسلم بها في الدراسات التي تتناول القرابة، أن كافة المجتمعات القديمة قد نظرت إلى العلاقات القرابية على اعتبارها تتجاوز مجرد الوحدة الزوجية، سواء كانت تلك الوحدة ذات طابع نووي^(٢) أو ممتد، وعندما تقوم علاقات القرابة على أساس الدم؛ يصبح الشخص قريباً

(١) سورة النساء: ٢٠ - ٢٢ .

(٢) (نوي) النون والواو والحرف المعتل أصل صحيح يدل على معنيين: أحدهما مَقْصَدٌ لشيء، والآخر عَجْمٌ شيء. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٦/٥) والثَّوَاءُ عَجْمَةُ الثَّمَرِ والزَّيْبُ وغيرهما والثَّوَاءُ مَا بَيَّتَ عَلَى الثَّوَى. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٤٣/١٥). والأسرة النووية هي الأسرة الناشئة من الزوجين وما تفرع عنهما من الأبناء فقط، غير الأسرة الممتدة ذات الامتداد القبلي وما تفرع عنه من العشائر والبطون.

لغيره من الأفراد لجرد الاشتراك في تلك الرابطة (رابطة الدم)، حتى وإن لم تكن القرابة وثيقة^(١) واشتهرت بين العرب أربعة أشكال من الزواج في حياتهم الجاهلية، عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته «أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تُسمي من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل. ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جُمِعوا لها، ودعوا لهم القافة ثم أحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطته به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم»^(٢). الزواج هو الوحدة الشرعية الاجتماعية لإشباع الرغبات الفطرية بين الجنسين، وفق نظام يكفل الحقوق للطرفين، ويحقق التكامل الاجتماعي، وشرع الإسلام في الزواج شروطاً وتكاليف حقوقية واجبة، قبل الزواج وبعده، ووضح مراسم عقده من الإيجاب والقبول والمهر والوليمة، والمعاشرة بالمعروف، ولم يصدر من نظامه حصر الزواج في الأقارب، ولكن هذا الحصر توارثه المجتمع القبلي لارتباط القبيلة بشعائر زواجية خاصة وشعور بكيونة الوحدة الانتمائية، والتي تغذي القبيلة بالقوة العددية، في محيط بيئة القبيلة المكانية والزمانية. ويمثل هذا صورة غير محمودة في واقع الحياة، لما يسببه الزواج من الأقارب من الحصر الذي يؤدي إلى تعارض التعارف المحمود بين الشعوب والقبائل الذي ندب إليه الشرع، وهو أخف ضرراً مما أحدثته القوانين الوضعية والحياة المدنية في الأسرة المعاصرة، والذي ينظر إلى أغلبية المجتمعات الغربية أو الشرقية غير المسلمة يجد ما سببته هذه الأنظمة من شتات الأسرة وتشريد الأطفال وانعدام الأنساب وهضم الحقوق الفردية والاجتماعية التي تعاني منها تلك المجتمعات وتندر بالانهايار.

٥) نكاح المحارم:

لم يكن نكاح المحارم من الأقارب ضمن أنكحة الجاهلية المشتهرة بين العرب، إلا ما كان من الجمع بين الأختين أو نكاح زوجة الأب، وحيث نكاح المحارم الأقارب من الصلات الذميمة فقد حرمه الإسلام بنص

(١) علم الاجتماع العائلي، د. عبد الله الخريجي، القاهرة: دار الثقافة، ط ١، ١٤٠١ هـ، ص: ١٥٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب من قال لانكاح إلا بولي، حديث رقم: ٥١٢٧ (٧/ ١٥).

القرآن والسنة، وتظهر عظمة هذا الدين في التزاهة والطهارة التي شملت المشاعر النفسية والجسدية في الزواج وغيره، فلا يمكن الخلط بين عاطفة الأمومة وشهوة الجنس أبدا.. أبدا حتى في حق الحيوان البهيم، فكيف بالإنسان الذي ميزه الله بالعقل عن الحيوان، وكذلك زواج الأخ من أخته فإنه من الصلات الذميمة، بل حتى الجمع بين الأختين والزواج من الرئائس المدخول بأمهاتهن، عن عروة أن زينب بنت أبي سلمة^(١) أخبرته «أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ، قالت: قلت: يا رسول الله، انكح أختي ابنة أبي سفيان، قال: وتُحبين ذلك؟ قلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في الخير أختي. فقال: إن ذلك لا يحل لي. فقلت: يا رسول الله فوالله إنا نتحدث أنك تريد أن تنكح ذرة بنت أبي سلمة، فقال: ابنة أم سلمة؟ فقلت: نعم. فقال: فوالله لو لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي، إنما ابنة أخي من الرضاة، أرَضَعْتَنِي وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن»^(٢). وقد بين العلماء ما اتضح لهم من الحكمة الشرعية، من منع الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، أنه من أجل البعد عن مخالفة القطيعة؛ لما يحدث غالبا بين الضرائر من الغيرة، قال ابن حجر في الفتح: (وفي روايته عند بن حبان فهي أن تزوج المرأة على العمة والخالة وقال إنكن إذا فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن)^(٣).

٦) الدخول على غير المحارم:

لقد منع الشارع الاختلاط بين الذكور والإناث من غير المحارم، حفاظا على الكيان الاجتماعي من التحلل، وحرصا على تقوية التماسك الأسري وحمايته من ضياع الحقوق والأنساب؛ لأن دواعي الشهوة بين الجنسين تشعل القلوب شوقا لما ترى من المفاتن، وتشغل العقول وتصرفها عن المصالح المتعلقة بالأهل والأولاد، إلى علاقات ذميمة تبنى على الشهوة فقط، مما يفسد المصالح ويحدث المفاسد على المستوى الفردي والاجتماعي؛ لذا أوجب الإسلام الحجاب وحرّم الدخول على غير المحارم، وحذر من اختلاط المحارم في أوجه الشبهة المفضية إلى وقوع المحرمات، عَنْ عَمْرٍو^(٤) بَنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ

(١) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية، ربيّة رسول الله ﷺ، أمها أم سلمة زوج النبي ﷺ، كان اسم زينب برة فسمّاها رسول الله ﷺ زينب، ولدتها أمها بأرض الحبشة وقدمت بها وحفظت عن النبي ﷺ، ويروى أنها دخلت على النبي ﷺ وهو يغتسل فنضح في وجهها، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت، وكانت زينب بنت أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي، فولدت له وكانت من أفقه نساء أهل زمانها، وعن الحسن يقول: لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة فكان فيمن قتل ابنا زينب ربيّة رسول الله ﷺ فحملا ووضعها بين يديها مقتولين فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٩٠٨/١).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب (وأمهاتكم اللاقي أرضعنكم)، حديث رقم: ٥١٠٧ (٧/ ١١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب تحريم الربيّة وأخت المرأة، حديث رقم: ٣٦٦١ (٤/ ١٦٦).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ١٦١.

(٤) عمرو بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام المحدث أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي فقيه أهل الطائف، ومحدثهم، وكان يتردد كثيرا إلى مكة، وينشر العلم، وله مال بالطائف، وأمه حبيبة بنت مرة الجمحية. حدث عن أبيه فأكثر، وعن سعيد بن المسيب، وطاووس، وسليمان ابن يسار وغيرهم، عن أبي عمرو بن العلاء، يقول: كان لا

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١). وقال الله تعالى: «يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ لَكَ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»^(٢). وقد حدد الإسلام موجبات الرؤية واللقاء والحرمة والنكاح بين الذكور والإناث في العلاقات المشروعة وهي: النسب والزواج والمصاهرة والرضاعة ولكل علاقة بياها الخاص بأحكامها في أبواب الفقه، وأضعف هذه الموجبات الرضاعة لقلّة تكوين العلاقات من خلالها ولوجود ما يغني عنها، وهي أصل في الحكم ومستثنى في الوجود لغلبة وجود الأمهات والمغذيات خاصة في عصر ما بعد الإسلام، قال ابن قدامة في المغني: (الأصل في التحريم بالرضاع الكتاب والسنة والأجماع؛ وأما الكتاب فقول الله تعالى: {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ}^(٣). ذكرهما الله سبحانه في جملة المحرمات. وأما السنة، فما روت عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {إِنَّ الرِّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ}^(٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي لَفْظٍ: {يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحَرِّمُ مِنَ النَّسَبِ}. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بِنْتِ حَمْزَةَ: لَا تَحُلْ لِي، يَحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحَرِّمُ مِنَ النَّسَبِ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ}. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ، نَذَرْتُ أَكْثَرَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَضَاعِيفِ الْبَابِ. وَأَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ عَلَى التَّحْرِيمِ بِالرِّضَاعِ. إِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَإِنَّ تَحْرِيمَ الْأُمِّ وَالْأُخْتِ ثَبَتَ بِنَصِّ الْكِتَابِ، وَتَحْرِيمُ الْبِنْتِ ثَبَتَ بِالتَّحْنِيبِ، فَإِنَّهُ إِذَا حُرِّمَتِ الْأُخْتُ فَلَبِنَتْ أُولَى، وَسَائِرُ الْمُحَرَّمَاتِ ثَبَتَ تَحْرِيمُهُنَّ بِالسُّنَّةِ. وَتَثَبَّتِ الْمُحَرَّمِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا فَرَعٌ عَلَى التَّحْرِيمِ إِذَا كَانَ بِسَبَبٍ مُبَاحٍ، فَأَمَّا بَقِيَّةُ أَحْكَامِ النَّسَبِ؛ مِنَ النِّفَاقَةِ، وَالْعَتَقِ، وَرَدِّ الشَّهَادَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ؛ لِأَنَّ النَّسَبَ أَقْوَى مِنْهُ، فَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ، وَإِنَّمَا يُشَبَّهُ بِهِ فِيمَا نَصَّ عَلَيْهِ فِيهِ^(٥) وأما استحلال الدخول على المحارم من باب الرضاعة في حال الكبر بعد العامين فكانت عائشة رضي الله عنها ترى رضاعة الكبر تحرم لما فقهاه مواروته في خبر سالم مع امرأة أبي حذيفة، عن عائشة زوج النبي ﷺ وَ أُمِّ سَلَمَةَ: «أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ بَنَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَ تَبْنَى سَالِمًا وَأَتَكَحَهُ ابْنَةُ أَخِيهِ هِنْدُ بِنْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُوَ

يعاب على قتادة وعمرو بن شعيب، إلا أنهما كانا لا يسمعان شيئا إلا حدثا به. وعن أحمد بن حنبل، يقول: له أشياء مناكير، وإنما نكتب حديثه نعتير به، فأما أن يكون حجة، فلا. قال ابن عدي: هو في نفسه ثقة، إلا إذا روى عن أبيه، عن جده يكون مراسلا، لأن جده عنده محمد بن عبد الله بن عمرو، ولا صحبة له. قال يحيى بن معين: هو ثقة، بلي بكتاب أبيه عن جده. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٥/٥).

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: ٤٩٥ (١٨٥/١). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو، حديث رقم: ٦٦٨٩ (٢٨٤/١١) قال الألباني: حسن صحيح. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٣) سورة النساء: ٢٣.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الخمس - باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نسب من اليوت إليهن، حديث رقم: ٣١٠٥ (٨٢/٤). انظر: صحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب ما يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، حديث رقم: ٣٦٤١ (١٦٢/٤).

(٥) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ - ج ٩، ص: ١٩٢.

مَوْلَى لَامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَمَا تَبَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا، وَكَانَ مَنْ تَبَنَّى رَجُلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَرَزَّ ثَمِيرَانَهُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ {أُدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ} - إِلَى قَوْلِهِ - فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} فَرَدُّوا إِلَى آبَائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ لَهُ أَبٌ كَانَ مَوْلَى وَأَخًا فِي الدِّينِ، فَجَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو الْقُرَشِيِّ ثُمَّ الْعَامِرِيُّ وَهِيَ امْرَأَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا فَكَانَ يَأْوِي مَعِيَ وَمَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ وَيَرَانِي فَضْلًا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَكَيْفَ تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: أَرْضِعِيهِ، فَأَرْضَعَتْهُ خَمْسَ رَضَعَاتٍ، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَبِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَأْمُرُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهَا وَبَنَاتِ إِخْوَانِهَا أَنْ يُرَضَّعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا خَمْسَ رَضَعَاتٍ ثُمَّ يَدْخُلَ عَلَيْهَا. وَأَبَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَدْخُلْنَ عَلَيْهِنَّ بِتِلْكَ الرِّضَاعَةِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى يُرَضَّعَ فِي الْمَهْدِ، وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ: وَاللَّهِ مَا تَدْرِي لَعَلَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِسَالِمِ دُونَ النَّاسِ»^(١). و تقرير أهل العلم في هذا الخبر^(٢) أنه خاص في سالم دون غيره؛ لأنه يخالف ما نص عليه القرآن من تحديد كمال الرضاعة بالسنتين، قال ابن قدامة في المغني: (وَلَنَا، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ} فَجَعَلَ تِمَامَ الرِّضَاعَةِ حَوْلَيْنِ، فَبِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا حُكْمَ لَهَا بَعْدَهُمَا. وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْظُرْنَ مِنْ إِخْوَانِكُنَّ، فَإِنَّمَا الرِّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ {الشَّافِعِيُّ}. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعِ، إِلَّا مَا فَتَقَ الْأُمَمَاءُ، وَكَانَ قَبْلَ الْفُطَامِ}. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَعِنْدَ هَذَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُ خَبَرِ أَبِي حُذَيْفَةَ عَلَى أَنَّهُ خَاصٌّ لَهُ دُونَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣) وعليه نعلم أن من أراد أن يدخل من باب الرضاعة في كشف الحجاب الشرعي الملزم بينه وبين غير المحارم في الحولين - سن الرضاعة - فذلك محله، أما في سن الكبر بعدهما كما في خبر سالم فهو محل خلاف ليس هنا مكان بسطه، ولكن تقرير أهل العلم أنه قول شاذ مخالف لعموم النصوص ومخالف لقول الجمهور ومخالف لطبيعة العلاقات الفطرية بين البشر، مما يجعل الأخذ به يدخل في باب الريبة المفضي للحرام، أما الدخول على غير المحارم والاختلاط بينهم في خلوة، أو شكل متكرر يؤدي إلى مفساد في العلاقات فهو محذور شرعاً، ودخل في مضمون الصلوات الذميمة. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إياكم والدخول على النساء! فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت. قال: وفي الباب عن عمر و جابر و عمرو بن العاص، قال أبو عيسى حديث عقبة بن عامر حديث حسن صحيح، وإنما معنى كراهية

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب النكاح - باب ما جاء في رضاعة الكبير، حديث رقم: ٢٠٦٣ (١٨٠/٢). أصل الحديث عند مسلم. صححه الألباني. وانظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٦٣٣٠ (٣٥١/٤٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٢) عَنْ زَيْنَبَ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِعَائِشَةَ: إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْغُلَامُ الْأَيْتَعُ الَّذِي مَا أُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ، قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَمَا لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَةٌ، قَالَتْ: إِنَّ امْرَأَةَ أَبِي حُذَيْفَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ سَالِمًا يَدْخُلُ عَلَيَّ، وَهُوَ رَجُلٌ وَفِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ شَيْءٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْضِعِيهِ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْكَ». انظر: صحيح مسلم - كتاب الرضاع - باب رضاعة الكبير، حديث رقم: ٣٦٧٦ (١٦٩/٤).

(٣) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ - ج ٩، ص: ٢٠٠.

الدخول على النساء، على نحو ما روي عن النبي ﷺ قال: لا يخلون رجلا بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، ومعنى قوله (الحمو) يقال: هو أخو الزوج كأنه كره له أن يخلوا بها.^(١)

(٧) الزنا :

إن الزنا قبل وقوعه له مقدمات ودواعي، قد حذر الشرع من الاقتراب منها؛ حفظا للمسلم من الوقوع في المعصية الكبيرة وهي (الزنا) قال الله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)^(٢) قال الشيخ السعدي: (والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: "من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه" خصوصا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه. ووصف الله الزنى وقبحه بأنه {كَانَ فَاحِشَةً} أي: إنما يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله، وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها، وإفساد الفراش واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفاسد. وقوله: {وَسَاءَ سَبِيلًا} أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم)^(٣) وغريزة الشهوة المسماه عند المعاصرين الغريزة الجنسية هي أصل فطري لدى الذكور والإناث، يمكن تهيئته وإشباعه بالوسيلة المقرره في الشرائع والأنظمة الاجتماعية، والمتفق عليها عرفا وعقلا، وهي (الزواج) وألحق به في الإسلام ما ملكت يمين الرجل. والزنا له أسباب عديدة تربوية واجتماعية وسلوكية وقد حذر الإسلام منها، ومن أخطرها: الخلوة، والنظرة، قال الله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)^(٤) وفي قصة نبي الله يوسف عليه السلام، مع امرأة العزيز أروع المثل في العفاف؛ حيث دعا الشيطان امرأة العزيز بسبب الخلوة والحب المنحرف إلى الزنا، فنادت به المرأة وعصم الله النبي الكريم فقال (معاذ الله)، وقد شهد نساء عصرها بضلال هذا الحب، القائم على الخيانة، قال الله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^(٥) وهذا الموقف العظيم يتكرر في حياة البشر، وقد بينت السنة النبوية أن لمن عصم نفسه، وقال: (إني أخاف الله) فضل عظيم؛ فهو من السبعة^(٦) الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال، فقال: (إني أخاف الله). وفي هذا الزمن الذي نعيشه كثر الاختلاط بين الذكور والإناث في مجالات الحياة، وحوربت العفة وأصبح المنكر عليه عدم الاختلاط، بل تسن القوانين مخاربة العفة الشرعية التي جاء بها الإسلام، وأخذ دعاة الباطل والشهوات إلى إشاعة ما يدعو إلى

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الرضاع - باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، حديث رقم: ١١٧١ (٣/٤٧٤) صححه الألباني.

(٢) سورة الإسراء: ٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٤٥٧.

(٤) سورة النور: ٣٠ - ٣١.

(٥) سورة يوسف: ٣٠.

(٦) ورد الحديث بأكمله في هذه الدراسة. انظر: فهرس أطراف الحديث: سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

الانحراف الجنسي في العالم، ومن ذلك دعوى عيد الحب، الباطل المبتدع ، الذي هو من مخلفات الرومان الوثنية ومن قلدهم من النصارى، ومن ثم الدعوة إلى الانحراف في حياة البشر بإشاعة العلاقات الشاذة بين الجنسين أو بين الجنس الواحد. وهذا كله من الصلات الذميمة في العلاقات الإنسانية المخالفة لأوامر الشريعة.

٨) عيد الحب: (يوم فالنتين Valentine,s DAY)

يعتبر عيد الحب من أبرز الانحرافات في العلاقات القائمة على المحبة، ويمثل صورة من العلاقات الذميمة. وقد كتب أكثر من محقق^(١) حول التأصيل التاريخي لهذا العيد، ومجمل القول فيه أن عيد الحب من أعياد الرومان الوثنيين، إذ كانت الوثنية سائدة عند الرومان قبل ما يزيد على سبعة عشر قرناً. وهو تعبير في المفهوم الوثني الروماني عن الحب الإلهي.

ولهذا العيد الوثني أساطير عند الرومان، وعند ورثتهم من النصارى، ومن أشهر هذه الأساطير: أن الرومان كانوا يعتقدون أن (رومليوس) مؤسس مدينة (روما) أَرْضَعَتْهُ ذات يوم ذئبة فأمدته بالقوة ورجاحة الفكر. فكان الرومان يحتفلون بهذه الحادثة في منتصف شهر فبراير من كل عام احتفالاً كبيراً وكان من مراسيمه أن يذبح فيه كلب وعذرة، ويدهن شابان مفتولا العضلات جسميهما بدم الكلب والعذرة، ثم يغسلان الدم باللبن، وبعد ذلك يسير موكب عظيم يكون الشبان في مقدمته يطوف الطرقات. ومع الشابين قطعتان من الجلد يلطخان بهما كل من صادفهما، وكان النساء الروميات يتعرضن لتلك اللطمات مرحبات، لاعتقادهن بأنها تمنع العقم وتشفيه. أما ارتباطه بديانة النصرانية يبدأ من علاقته بالقديس (فالنتين Valentine) حيث هذا الاسم مرتبط باثنين من قدامى ضحايا الكنيسة النصرانية. قيل: إنهما اثنان، وقيل: بل هو واحد توفي في روما إثر تعذيب القائد القوطي (كلوديوس) له حوالي عام ٢٩٦م. وبنيت كنيسة في روما في المكان الذي توفي فيه عام ٣٥٠م تخليداً لذكوره. ولما اعتنق الرومان النصرانية أبقوا على الاحتفال بعيد الحب السابق ذكره؛ لكن نقلوه من مفهومه الوثني (الحب الإلهي) إلى مفهوم آخر يعبر عنه بشهداء الحب، ممثلاً في القديس فالنتين الداعية إلى الحب والسلام الذي استشهد في سبيل ذلك حسب زعمهم. وسمي أيضاً (عيد العشاق) واعتبر (القديس فالنتين) شفيع العشاق وراعيهم. وكان من اعتقادهم الباطلة في هذا العيد أن تكتب أسماء الفتيات اللاتي في سن الزواج في لفافات صغيرة من الورق، وتوضع في طبق على منضدة، ويدعى الشبان الذين يرغبون في الزواج ليخرج كل منهم ورقة، فيضع نفسه في خدمة صاحبة الاسم المكتوب لمدة عام يختبر كل منهما خلق الآخر، ثم يتزوجان، أو يعيدان الكرة في العام التالي يوم العيد أيضاً. وقد ثار رجال الدين النصراني على هذا التقليد، واعتبروه مفسداً لأخلاق الشباب والشابات فتم إبطاله في إيطاليا التي كان مشهوراً فيها، ثم تم إحياءه في القرنين الثامن عشر

(١) رؤية شرعية في عيد الحب. جواز بن عبد الرحمن الجماز. مجلة البيان ، لندن : المنتدى الإسلامي، (العدد: ٢٢١) ، ص: ٣.

والتاسع عشر الميلاديين، حيث انتشرت في بعض البلاد الغربية محلات تباع كتباً صغيرة تسمى (كتاب الفالنتين) فيها بعض الأشعار الغرامية؛ ليختار منها من أراد أن يرسل إلى محبوبته بطاقة تهنئة، وفيها مقترحات حول كيفية كتابة الرسائل الغرامية والعاطفية. ومما قيل في سبب هذا العيد أيضاً أنه لما دخل الرومان في النصرانية بعد ظهورها، وحكم الرومان الإمبراطور الروماني (كلوديوس الثاني) في القرن الثالث الميلادي منع جنوده من الزواج؛ لأن الزواج يشغلهم عن الحروب التي كان يخوضها، فتصدى لهذا القرار (القديس فالنتين) وصار يجري عقود الزواج للجنود سرا، فعلم الإمبراطور بذلك فزج به في السجن، وحكم عليه بالإعدام. وفي سجنه وقع في حب ابنة السجن، وكان هذا سراً حيث يحرم على القساوسة والرهبان في شريعة النصارى الزواج، وتكوين العلاقات العاطفية، وإنما شفع له لدى النصارى ثباته على النصرانية، حيث عرض عليه الإمبراطور أن يعفو عنه على أن يترك النصرانية ليعبد آلهة الرومان، ويكون لديه من المقربين ويجعله صهراً له، إلا أن (فالنتين) رفض هذا العرض وآثر النصرانية؛ فنفذ فيه حكم القتل يوم ١٤ فبراير عام ٢٧٠ ميلادي ليلة ١٥ فبراير، عيد (لوبر كليا)، ومن يومها أطلق عليه لقب قديس. وقد جعل البابا من يوم وفاة القديس فالنتين ١٤/فبراير/٢٧٠م عيداً للحب ومن أهم شعائهم في هذا العيد:

(أ) إظهار البهجة والسرور فيه، كحالمهم في الأعياد المهمة الأخرى.

(ب) تبادل الورود الحمراء، وذلك تعبيراً عن الحب الذي كان حباً إلهياً عند الوثنيين وعشاقاً عند النصارى، ولذلك سمي عندهم بعيد العشاق.

(ج) توزيع بطاقات التهنئة به، وفي بعضها صورة (كيوبيد) وهو طفل له جناحان يحمل قوساً ونشاباً. وهو إله الحب عند الأمة الرومانية الوثنية، تعالى الله عن إفكهم وشركهم علواً كبيراً.

(د) تبادل كلمات الحب والعشق والغرام في بطاقات التهنئة المتبادلة بينهم - عن طريق الشعر أو النثر أو الجمل القصيرة، وفي بعض بطاقات التهنئة صور ضاحكة وأقوال هزلية، وكثيراً ما كان يكتب فيها عبارة (كن فالنتينيا) وهذا يمثل المفهوم النصراني له بعد انتقاله من المفهوم الوثني.

(هـ) تقام في كثير من الأقطار النصرانية حفلات فهارية، وسهرات ليلية مختلطة راقصة، ويرسل كثير منهم هدايا منها: الورود وصناديق الحلوى إلى أزواجهم وأصدقائهم ومن يحبونهم.

ومن نظر إلى ما سبق عرضه من أساطير حول هذا العيد الوثني يتضح له ما يلي:

أولاً: أن أصله عقيدة وثنية عند الرومان، يعبر عنها بالحب الإلهي للوثن الذي عبده من دون الله تعالى. فمن احتفل به فهو يحتفل بمناسبة شركية تعظم فيها الأوثان.

ثانياً: أن نشأة هذا العيد عند الرومان، مرتبطة بأساطير وخرافات لا يقبلها العقل السوي، فضلاً عن عقل مسلم يؤمن بالله تعالى وبرسله عليهم السلام. فهل يقبل العقل السوي أن ذئبة أرضعت مؤسس مدينة روما

وأمدته بالقوة ورجاحة الفكر، على ما في هذه الأسطورة مما يخالف عقيدة المسلم لأن الذي يمد بالقوة ورجاحة الفكر هو الخالق سبحانه وتعالى.

ثالثاً: أن من الشعائر البشعة لهذا العيد عند الرومان، ذبح كلب وعزة ودهن شابين بدم الكلب والعزة ثم غسل الدم باللبن... الخ، فهذا مما تنفر منه الفطر السوية ولا تقبله العقول الصحيحة.

رابعاً: أن هذا العيد تم إبطاله من قبل رجال الدين النصراني في إيطاليا، معقل الكاثوليك، لما فيه من إشاعة الأخلاق السيئة والتأثير على عقول الشباب والشابات، فكان الأولى بالمسلمين أن ينبذوه ويحذروا منه ويقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاهه.

وقد يقول قائل: لماذا لا نحتفل نحن المسلمين بهذا العيد ؟

وللإجابة على ذلك أوجه عدة منها:

الوجه الأول: أن الأعياد في الإسلام محددة وثابتة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، وهي كذلك من صلب عبادتنا يعني ذلك أنها توقيفية، شرعها لنا الله ورسوله ﷺ وبما أن عيد الحب يرجع إلى العهد الروماني، وليس الإسلامي فإن هذا يعني أنه من خصوصيات النصارى وليس للإسلام والمسلمين فيه حظ ولا نصيب، فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد، كانوا مختصين به فلا يشاركونهم فيه مسلم، كما لا يشاركونهم في شرعتهم ولا قبلتهم.

الوجه الثاني: أن الاحتفال بعيد الحب فيه تشبه بالرومان الوثنيين، ثم بالنصارى الكتائبيين فيما قلدوا فيه الرومان، وليس هو من دينهم. وإذا كان يمنع من التشبه بالنصارى فيما هو من دينهم حقيقة - إذا لم يكن من ديننا - فكيف بما أحدثوه في دينهم، وقلدوا فيه عباد الأوثان!!

وعموم التشبه بالكفار - وثنيين أو كتائبيين - محرم، سواء كان التشبه في عباداتهم - وهي الأخطر - أو في عاداتهم وسلوكياتهم، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع. والتقليد يحدث خللاً في شخصية المسلم، من الشعور بالنقص والصغار، والضعف والانهمامية، ثم البعد والعزوف عن منهج الله وشرعه، فقد أثبتت التجربة أن الإعجاب بالكفار وتقليدهم سبب لحبهم، والثقة المطلقة بهم والولاء لهم، والتكبر للإسلام ورجاله، وأبطاله، وتراثه وقيمه والجهل به.

الوجه الثالث: أن المقصود من عيد الحب في هذا الزمن إشاعة اخبة بين الناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، ولا شك في حرمة محبة الكفار ومودتهم.

الوجه الرابع: أن المحبة المقصودة في هذا العيد منذ أن أحياه النصارى، هي محبة العشق والغرام خارج إطار الزوجية، ونتيجة ذلك: انتشار الزنى والفواحش، ولذلك حاربه رجال الدين النصراني في وقت من الأوقات وأبطلوه ثم أعيد مرة أخرى. وأكثر الشباب يحتفلون به لما فيه من تحقيق لشهواتهم، دون النظر إلى ما فيه من تقليد ومشاهدة، وحقيقة بهذا البلاء، يتوصلون إلى الكبائر من زنا ونحوه عن طريق مشاهدة

النصارى فيما هو من عباداتهم والذي يخشى أن يكون كفراً. (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ^(١) قال السعدي في تفسيره: ({ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ } أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة { فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي: موجه للقلب والبدن، وذلك لعشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراسته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟" وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة. وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلون. { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } قد أحاط بكم من كل جانب { وَرَحْمَتُهُ } عليكم { وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم أثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه) ^(٢).

وهل يعني هذا حرماننا من الحب، والتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا، فما الخذور في ذلك؟ والقول هنا لأهل العلم ومما أوضحوا من أمور تجلي الحقيقة الشرعية لعيد حب: أولاً: من الخطأ الخلط بين ظاهر مسمى اليوم وحقيقة ما يريدون من ورائه، فالحب المقصود في هذا اليوم هو العشق والهيام واتخاذ الأخدان والخلان والخليلات، والمعروف عنه أنه يوم الإباحية والجنس عندهم بلا قيود أو حدود، وهؤلاء لا يتحدثون عن الحب الطاهر بين الرجل وزوجته والمرأة وزوجها. أو الحب الإيماني.

ثانياً: لا يوجد دين يبحث أبناءه على التحابب والمودة والتآلف كدين الإسلام، وهذا في كل وقت وحين لا في يوم بعينه بل حث على إظهار العاطفة والحب في كل وقت. ثالثاً: إن الحب في الإسلام أعم وأشمل وأسمى، من قصره على صورة واحدة، وهي الحب بين الرجل والمرأة، بل هناك مجالات أشمل وأرحب وأسمى، فهناك حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وحب أهل الخير والصالح وحب الدين ونصرتة، وحب الشهادة في سبيل الله، وهناك محاب كثيرة، فمن الخطأ والخطر إذن قصر هذا المعنى الواسع على هذا النوع من الحب.

(١) سورة النور: ١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٥٦٣.

والحقيقة أن الدعوة إلى عيد الحب، دعوة لمزيد من الانحلال والفجور، وإقامة العلاقات المحرمة. وإن الزوج الصادق في محبة زوجته، لا يحتاج لتذكيره بالمحبة في هذا العيد، فهو يعبر عن حبه لزوجته في كل وقت وحين. وموقف المسلم من عيد الحب يتضح فيه صدق إيمانه، وحسن إسلامه، فيبادر إلى عدم الاحتفال به، أو مشاركة المحتفلين به في احتفالهم، أو الحضور معهم لما سبق من البيان على تحريم الاحتفال بأعياد الكفار. وعدم إعانة الكفار على احتفالهم؛ لأنه شعيرة من شعائر الكفر، فأعانتهم وإقرارهم عليه، إعانة على ظهور الكفر وعلوه وإقرار به. والمسلم يمنعه دينه من إقرار الكفر والإعانة على ظهوره وعلوه. وعدم إعانة من احتفل به من المسلمين، بل الواجب الإنكار عليهم، لأن احتفال المسلمين بأعياد الكفار منكر يجب إنكاره. والواجب توضيح حقيقة هذا العيد وأمثاله من أعياد الكفار لمن اغتر بها من المسلمين، وبيان ضرورة تميز المسلم بدينه والحفاظة على عقيدته مما يخل بها، نصحا للأمة وأداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن فتاوى علماء المسلمين حول عيد الحب: فتوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين^(١) - يرحمه الله -:

السؤال: فقد انتشر في الآونة الأخيرة الاحتفال بعيد الحب - خاصة بين الطالبات - وهو عيد من أعياد النصارى، ويكون الزي (الملبس) كاملاً باللون الأحمر والحداء، ويتبادلن الزهور الحمراء.. نأمل من فضيلتكم بيان حكم الاحتفال بمثل هذا العيد، وما توجيهكم للمسلمين في مثل هذه الأمور والله يحفظكم ويرعاكم؟

فأجاب يرحمه الله: الاحتفال بعيد الحب لا يجوز لوجوه:

الأول: إنه عيد بدعي لا أساس له في الشريعة.

الثاني: أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة، المخالفة لهدي السلف الصالح - رضي الله عنهم - فلا يحل أن يحدث في هذا اليوم شيء من شعائر العيد، سواء في المآكل أو المشارب أو الملابس، أو التهادي أو غير ذلك، وعلى المسلم أن يكون عزيزاً بدينه، وأن لا يكون إمعة يتبع كل ناعق. أسأل الله أن يعيد المسلمين من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يتولانا بتوليته وتوفيقه. والله أعلم.

كما سئلت اللجنة الدائمة سؤالاً حول هذا العيد هذا نصه:

يحتفل بعض الناس في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير (٢/١٤) من كل سنة ميلادية بيوم الحب (فالنتين داي)، ويتهادون الورود الحمراء ويلبسون اللون الأحمر، ويهتنون بعضهم وتقوم بعض محلات الحلويات بصنع حلويات باللون الأحمر، ويرسم عليها قلوب، وتعمل بعض المحلات إعلانات على بضائعها التي تخص هذا اليوم فما هو رأيكم؟

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الرياض: دار الوطن، ١٤١٣ هـ، ج ١٦، ص: ١٩٩.

فأجابت اللجنة^(١): يحرم على المسلم الإعانة على هذا العيد، أو غيره من الأعياد المحرمة، بأي شيء من أكلٍ أو شرب أو بيع أو شراء، أو صناعة أو هدية أو مراسلة أو إعلان، أو غير ذلك؛ لأن ذلك كله من التعاون على الإثم والعدوان، ومعصية الله والرسول، والله جل وعلا يقول: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) ويجب على المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة في جميع أحواله، لاسيما في أوقات الفتن وكثرة الفساد، وعليه أن يكون فطناً حذراً من الوقوع في ضلالات المغضوب عليهم، والضالين والفاسقين الذين لا يرجون الله وقاراً، ولا يرفعون بالإسلام رأساً، وعلى المسلم أن يلجأ إلى الله تعالى بطلب هدايته والثبات عليها، فإنه لا هادي إلا الله، ولا مثبت إلا هو سبحانه وبالله التوفيق. وصل الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

٩) حب الباطل على الحق:

يجتمع أهل الباطل في صلات ذميمة لتحقيق أهدافهم السيئة، متخذين وسائل القربى من الهدايا وغيرها معونة على الباطل، لأن قلوبهم اجتمعت على حب الضلال والإضلال، وكرهت الحق وصدت عنه، بل إن الإصرار على الباطل يدفعهم إلى الهجرة عن بلادهم، إلى البلاد البعيدة من أجل البقاء على ما أحبوا من الباطل، ولكن القلوب المظلمة إذا شاء الله أن يدخلها في النور دخلت، فإنه هو الهادي إلى سواء السبيل، نستنبط هذا من موقف عمرو بن العاص من دعوة الرسول ﷺ، قبل أن يدخل في الإسلام، عن عمرو بن العاص قال: «لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون مكاني ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً كبيراً منكراً، وأني قد رأيت رأياً، فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فأنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرف فلن يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: إن هذا الرأي، قال: فقلت لهم: فاجمعوا له ما تهدي له، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً، فخرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذا جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً قال: ثم قدمته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: يا أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيهِ لأقتله؟ فإنه قد

(١) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية رقم «٢١٢٠٣» وتاريخ ١١/٢٣/١٤٢٠هـ.

أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب ثم مدّ يده فضرب لها أنفه ضربة ظننت أن قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، فقال له: أسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك أكذاك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه، فإنه والله لعلّ الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: فبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده وبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً لرسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم وإن الرجل لنبي أذهب والله أسلم، فحتى متى؟! قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر وما تأخر؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: ياعمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت». قال ابن إسحاق^(١): وقد حدثني من لا أقم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما^(٢). ومن دروس هذا الموقف نصرة الله لدينه من معجزات هذا الدين فقد نصره بالمسلمين وغير أهل الملة، حيث يستقبل النجاشي ملك الحبشة - وهو نصراني - المهاجرين من المسلمين الذين فروا بدينهم من عذاب وشدة المشركين ويدخلهم في أرضه ويجعلهم تحت حمايته كجعفر بن أبي طالب ومن معه، وعندما يسمع منهم سورة مريم يؤمن بدين الإسلام والوحي والرسالة وهو على بعد من الرسول ﷺ مكانا وقرابة، وكذلك يستقبل المهاجرين من المشركين الذين فروا عن الهدى، محبة للباطل ويقف داعياً إلى الله - يدعوهم إلى الإسلام - وهم أقرب للرسول ﷺ مكاناً ونسباً، قال النجاشي: (ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه، فإنه والله لعلّ الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: فبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده وبايعته على الإسلام) وهذا رسول الهدى ﷺ يفتح باب الأمل أمام عمرٍ وكل من أسلم بأن الإسلام يَجِبُ ما قبله لتبقى الصلوات الحميدة فوق الصلوات الذميمة. وكذلك يضع ميزانا للعلاقات أن الصدق فيها يكون مع الحق، وإن الشرك حجاباً للحب، وإن كان الحب من طرف واحد - من مشرك لمسلم - يجب على المسلم أن يقف في حدود العلاقات العامة مع غير المسلمين، حتى يجتمع الحب مع الحق فتكون الصلوات الحميدة، وإلا لأدخله ذلك في الصفات الذميمة لأن الحب يورث حبا وبه قد ينصرف المسلم عن الإسلام، وقد أعطى النبي ﷺ لأمتة درساً في تكوين العلاقة مع غير المسلم ويتبين ذلك من رفض النبي ﷺ للهدية من حكيم بن حزام عندما كان مشركاً، عن عراك بن

(١) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المظلي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٧٧٧ (٣١٢/٢٩) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند:

إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

مالك أن حكيم بن حزام قال: كان محمد ﷺ أحب رجل في الناس إليّ في الجاهلية فلما تنبأ وخرج إلى المدينة شهد حكيم بن حزام الموسم وهو كافر، فوجد حلة لذي يزن تباع فاشتراها بخمسين ديناراً ليهدئها لرسول الله ﷺ، فقدم بها عليه المدينة فأراده على قبضها هدية فأبى قال عبيد الله: حسبت أنه قال: «إنا لا نَقْبَلُ شَيْئاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخَذْنَاهَا بِالْثَمَنِ» فأعطيته حين أبى عليّ الهدية.^(١)

إن تكوي العلاقة بين المسلم والكافر، تحكمها نصوص الشرع وأحكام الدين، وليست هي مطلقة الحكم، بل هي مقيدة: عقيدة بالولاء والبراء، وأشخاصاً بالزمان والمكان، ومعاملة بالأخذ والعطاء والبيع والشراء. والقاسم المشترك بين التنوع في الحكم، أن نعلم أن الإسلام دين عزة وقوة، ودين رحمة وهداية، ينظر إلى الإنسان باعتبار الأصل والخلقة فيراعي حق الإنسانية، ويحرص على هدايته إلى دين الله الحق، وينظر إلى الإنسان باعتبار العدل والحقوق والعيش السلمي، وحرية الديانة، بموجب الأحكام التي يعز بها الإسلام، وتقدر شعائره؛ لذا وجب على كل مسلم ألا يكون علاقة مع كافر إلا في الحدود الشرعية التي تتحقق بها مصالح الإسلام والمسلمين. وحذر الله من مكر الكافرين، وأن باب المحبة، يدخل منه إلى علاقات أعمق تضر بالمسلمين، فيجب الحد من العلاقات، إلا أن تكون تحت شعار ودثار الإسلام، مع بيان الغاية الحمودة شرعاً وعقلاً، قال الله تعالى: (هَتَأْتُمْ أَزْوَاجَ نَحْبُوبِهِمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُفُّوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)^(٢).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٣٢ (٣٩ / ٢٤) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح. وقال الحاكم: "صحيح الإسناد". و وافقه الذهبي.

(٢) سورة آل عمران: ١١٩.

الفصل الثالث

موجبات محبة الله في القرآن و السنة

المبحث الأول: تحقيق التوحيد

المطلب الأول :أقسام التوحيد

المطلب الثاني:الولاء و البراء

المبحث الثاني:الفرائض والنوافل

المطلب الأول:الفرائض

المطلب الثاني:النوافل

الفصل الثالث

موجبات محبة الله في القرآن والسنة

إن محبة الله ورسوله ﷺ مطلب لكل مسلم، ومن حظي بهذا الشرف فقد فاز فوزاً عظيماً، ويكمن بلوغ هذه الشرف في طاعة الله ورسوله ﷺ وعليها تقوم المحبة (كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ)^(١)، والناس في ذلك درجات ومراتب، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)^(٢) فإن محبة الطاعات الشرعية والقيام بها، هي الوسيلة والسبب الموصل إلى رضوان الله ومحبته، وتكون بالصبر المحمود: من الصبر على طاعة الرب المعبود، والصبر عن المعصية بلزوم الحدود، والصبر على البلاء المقدور، فكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان العبد أصبر على البلاء و الطاعة وأبعد عن المعصية، فإن المحبة دليل الطاعة، والمعصية تنافي المحبة، قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، قال الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٣) أورد ابن المنذر في تفسيره: (لِيَنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } قَالَ " كَانَ أَقْوَامٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّا نَحِبُ رَبَّنَا، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَتَّبِعُوا مُحَمَّدًا، وَجَعَلَ اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمًا لِحَبِّهِ)^(٤)

ولقد حدد شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية عشرة من الأسباب، الجالبة لمحبة الله تعالى في كتابه مدارج السالكين بقوله: (فصل في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة: أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة الحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال؛ فنصيبيته من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧١.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) كتاب تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: سعد بن محمد السعد، المدينة النبوية: دار المآثر، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ١٦٩.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبادئها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة^(١) والفرعونية^(٢) والجهمية^(٣) قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى الحبوب.

السادس: مشاهدة براه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت التزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطياب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطياب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب وملاك ذلك كله أمران: (١) استعداد الروح لهذا الشأن (٢) وانفتاح عين البصيرة وبالله التوفيق^(٤) عندما تكون البصيرة قائدة للروح والجسد، فإنه العبد يصل إلى منزلة العبودية لله تعالى، المنزلة المأمور بها شرعا، وأعظمها شأنًا تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، ولا شك أن هذه العبودية تحدث متعة تصير إلى لذات يستمتع بها العبد بالقرب من الله بطاعته، يحس بها في جسده، ويعرفها في نفسه، ويدركها بعقله، وتختلف هذه اللذات من شخص لآخر، حسب طاعته وقوة إيمانه، وتشمل أمر الدنيا والدين، وقد بين شيخ الإسلام يرحمه الله أن اللذات ثلاثة أجناس^(٥):

(١) المعطلة: هم الذين يعطلون أسماء الله تعالى وصفاته بالنفي أو التأويل الباطل. ويظهر فيهم من يعتقد الاتحاد والحلول، الذين يؤمنون بحلول الله في الأماكن والموجودات واتحاد الإله بالخلق.

(٢) الفرعونية: هم من انتهج نهج فرعون طاغية عصره ومصره من إنكار الربوبية والألوهية عن غيره .

(٣) هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي الضال، المبتدع الذي ظهر في زمن صغار التابعين، ويعتقدون أن الإيمان إقرار بالقلب دون القول والعمل، وأن الجنة والنار لم تخلقا، وتفتيان. والجهم من نفاة الصفات الأزلية و من الجبرية القائلة في مسألة القدر بخلق الله لأفعال العباد، وأنهم مجبورون على مايفعلون .انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٣، ص: ١٧ - ١٨.

(٥) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء - ط ١، ١٤٢٢ هـ، ج ٢، ص: ٢٤٦.

الأول: اللذة الحسية: وهي تظهر من جنس ما يحس بالجسد، كالأكل والنكاح ونحوهما مما يكون بإحساس الجسد فإن أنواع المأكول والملبوس يباشرها الجسد فإن هذه لذة جسدية حسية.

الثاني: اللذة الوهمية: وتكون مما يتخيله ويتوهمه بنفسه ونفس غيره، كالمديح له والتعظيم له والطاعة له، فإن ذلك لذية محبوب له، فإن فوات الكرامة بحيث لا يكون له قدر عند أحد ولا منزلة، يؤلمه ويؤلمه الذم والإهانة، كما يؤلمه الأكل والشرب الذي يضره، وأما الكرامة فهي في النفوس، إذا كانت النفوس ملائمة له وموافقة له، بأن يعتقد فيه ما يسره ويوافقها باخبة والتعظيم كان ذلك مما يوجب لذته.

الثالث: اللذة العقلية: وهي أن يكون ما يعلمه بقلبه وروحه وب عقله كذلك، كالتذاده بذكر الله ومعرفته، ومعرفة الحق، وتألمه بالجهل، إمّا البسيط وهو عدم الكلام والذكر، وإمّا المركب وهو اعتقاد الباطل، كما يتألم الجسد وتتألم الروح فكذلك القلب يتألم بعدم غذائه وهو العلم الحق وذكر الله تارة، والتغذي بالضد وهو ذكر الباطل واعتقاده أخرى.

ويتحقق للعبد محبة الله بأداء ما أوجبه عليه ربه تعالى، من التوحيد والعبادة، ويقوم التوحيد على أصلين من أصول العقيدة، وهما:

أولاً: تحقيق التوحيد بالإيمان بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته بالأدلة الشرعية والكونية.

ثانياً: الولاء والبراء، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الشرك والكفر والنفاق وأهلهم.

وتقوم عبادة الله وحده لا شريك له على فرعين من العبادات هما:

أولاً: الفرائض

ثانياً: النوافل.

وعلى هذا قمت بدراسة موجبات محبة الله في هذا الفصل من هذه الدراسة، في مبحثين، هما الطريقان الموصلان إلى محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله تعالى:

المبحث الأول: تحقيق التوحيد

المبحث الثاني: الفرائض والنوافل

المبحث الأول

تحقيق التوحيد

يمثل التوحيد عقيدة المسلم، وأصل تقوم عليه عبادته قولاً وعملاً، وقد أبان العلماء كيفية تحقيقه من خلال تأصيل كتب العقيدة، والرود التي حاجوا بها أهل الزيغ والبدع والانحراف في مضمون العقيدة، سواء في الذات الإلهية أو في معنى الإيمان، ودرجات المعصية، وأمور الغيب، ويوم المعاد. وبمقام التوحيد والدعوة إليه كان إبراهيم عليه السلام أمة لوحده، حين نبذ الشرك الذي عليه أبيه وقومه، وناظر قومه مشبها لهم بطلان ما هم عليه. ومثبثا الوحداية لله تعالى في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّزْتُ أَخَذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (١) وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَكْتُومًا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٢) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأِنْ لَمْ يَدِينَنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٣) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَتَقَوْمُ لِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٤) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٥) وقد اختلف المفسرون في هذا المقام، هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ ورأي ابن عباس رضي الله عنهما أنه مقام نظر، وهو اختيار ابن جرير مستدلاً بقوله: (لِنْ لَمْ يَدِينَنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) (٦) وقال ابن كثير: (والحق أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظراً لقومه، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرقهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبين أولاً أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تريغ عنه ميمناً ولا شمالات ولا تملك لنفسها تصرفاً، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة) (٧) واختار الشيخ السعدي أن المقام مقام مناظرة ومنها قوله ({ فَلَمَّا أَفَلَ } أي: غاب ذلك الكوكب { قَالَ لَأَحِبُّ الْآفِلِينَ } أي: الذي يغيب ويختفي عن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائماً بمصالح من عبده، ومدبراً له في جميع شئونه، فأما

(١) سورة الأنعام: ٧٤-٧٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٣، ص: ٢٩١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٣، ص: ٢٩٢.

الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخذه إلها إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟! ^(١) وقال قتادة: (علم أن ربه دائم لا يزول) ^(٢).

معنى التوحيد في اللغة:

إن التوحيد في اللغة من (وحد) قال ابن فارس في معجمه ^(٣): (الواو والحاء والdal: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدَة. وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله)، وفي الصحاح عند الجوهري: (ورجلٌ وَحْدٌ وَوَحْدٌ، أي منفردٌ. وتَوَحَّدَ برأيه، تَفَرَّدَ به. وتَوَحَّدَهُ الله بعصمته، أي عصَّمه ولم يَكُلْهُ إلى غيره) ^(٤) وجاء في لسان العرب لابن منظور: (والواحد اسم بني لِمُقْتَتَحِ العدد تقول جاءني واحد من الناس، ولا تقول جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى، وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل. وقال ابن الأثير في أسماء الله تعالى الواحد، قال: هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، قال الأزهري: وأما اسم الله عز وجل أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحادية غيره، لا يقال رجل أحد ولا درهم أحد، كما يقال رجل وحْدٌ أي فرد لأن أحداً صفة من صفات الله عز وجل التي استخلصها لنفسه، ولا يشركه فيها شيء وليس كقولك الله واحد وهذا شيء واحد، ولا يقال شيء أحد) ^(٥).

التوحيد في الاصطلاح الشرعي:

يأتي معنى التوحيد في الاصطلاح الشرعي في مقدمة علوم الدين، وقد سمي بالفقه الأكبر ^(٦)، لأنه أول ما يجب علمه وتعليمه، وهو أصول الإيمان والمعتقد؛ كونه فطرة وأصلاً في عقيدة المسلم، ويتقرر به الدخول

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٢٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٢٩١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٦، ص: ٩٠.

(٤) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ١٦٧.

(٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (وحد). ج ٣، ص: ٤٤٦.

(٦) قال شارح العقيدة الطحاوية في المقدمة: ((أما بعدُ) فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ عِلْمُ أَصُولِ الدِّينِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ، إِذْ شَرَفَ الْعِلْمُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ. وَهُوَ الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَقْهِ الْفُرُوعِ، وَلِهَذَا سَمِيَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَا قَالَهُ وَجَمَعَهُ فِي أَوْرَاقٍ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ "الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ" وَحَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضُرُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضُرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تُعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطَرَهَا، بِأَسْمَانِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِمَّا سِوَاهُ، وَيَكُونُ سَعْيُهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي (١/١٧).

في الإسلام لغير المسلم نطقاً بالشهادتين: (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله) ويُتَعَلَّم معناها العقدي في النفي والإثبات، ويُعْمَل بمقتضاها في العبادات والمعاملات (لا إله غيره) و (ألا إله بحق إلا الله) فمن معناها اللغوي يتضح المعنى الشرعي الواجب تحقيقه؛ فإن الإله مصدر (أَلَهُ يَأْلُهُ إِلَهَةً وَأُلُوهَةً) فإذا عَبَدَ الإنسان الإله مع الحب والذل والرضا. إذن صارت كلمة الإله أي: المعبود، والإلهة والألوهية أي: العبودية؛ إذا كانت مع المحبة والرضا تبين معنى الإله، أي: هو الذي يُعْبَدُ مع المحبة والرضا والذل. وهذا التفسير هو الذي تقتضيه اللغة؛ وذلك لأن كلمة (إله) هذه لها اشتقاقها الراجع إلى المصدر إِلَهَةً، الذي جاء في قراءة ابن عباس (وَالْهَتَكَ) في سورة الأعراف (وَقَالَ أَتَلَا مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) ^(١) يعني ويترك عبادتك، وأما مجيؤها في اللغة فهو من التأله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإله: هو الذي تأله القلوب: بكمال المحبة، والتعظيم، والإجلال، والرجاء والخوف) ^(٢). فالإله هو المعبود، ولا يصح أن يفسر الإله بمعنى رب مطلقاً؛ ورب بصيغة النكرة تطلق على المخلوقات كرب الدار ورب الإبل وغيرها، ولا تطلق بالتعريف إلا على الله رب العالمين، لأن الخصومة وقعت بين الأنبياء والمرسلين وبين أقوامهم في العبودية لا في الربوبية. فالمشركون أثبتوا آلهة وعبدوهم، كما قال الله تعالى (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) ^(٣) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ^(٤)، وكقوله تعالى (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا) ^(٥) يعني أجعل المعبودات معبوداً واحداً. وهذا يدل على أن هذا النفي في القول (وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ) راجع إلى نفي العبادة.

و هو قول أهل السنة، وقول أهل اللغة وقول أهل العلم من غير أهل البدع جميعاً، وهو المنعقد عليه الإجماع قبل خروج أهل البدع في تفسير معنى الإله. وهذا هو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يعني: لا معبود بحق إلا الله، قال الله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ^(٥) قرآن الله سبحانه بين أحقيته سبحانه للعبادة وبطلان عبادة ما سواه، دلّ على أن المراد في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هو نفي استحقاق العبادة لأحد غير الله عز وجل. قال ابن كثير في تفسيره: (أي: إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق، أي: الموجود الحق، الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه؛ لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذباباً لعجزوا عن ذلك؛

(١) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٢) المستدرک علی مجموع فتاویٰ شیخ الإسلام، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط ١، ١٤١٨ هـ، ج ١، ص: ١٥.

(٣) سورة مريم: ٨١-٨٢.

(٤) سورة ص: ٥.

(٥) سورة لقمان: ٣٠.

ولهذا قال: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَى الْكَبِيرِ) أي: العلي: الذي لا أعلى منه، الكبير: الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه^(١)

وعرف التوحيد شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات)^(٢)

وعرفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بأنه: أفراد الله بالعبادة (قال: "كتاب التوحيد. وقول الله - تعالى (وَمَا خَلَقْتُ آلِئِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)"^(٣) لِيُبَيِّنَ لكم ما هو معنى التوحيد ؟ بأن التوحيد معناه: أفراد الله بالعبادة، وليس معناه: الإقرار بالربوبية، بل معناه: أفراد الله بالعبادة، بدليل هذه الآية وغيرها)^(٤)

وعرفه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: بأنه (أفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات)^(٥)

ووصف التوحيد بأنه حياة الدين: (قال يحيى بن عمار^(٦) العلوم خمسة: فعلم هو حياة الدين وهو علم التوحيد، وعلم هو غذاء الدين وهو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث، وعلم هو دواء الدين وهو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها كما قال ابن مسعود، وعلم هو داء الدين وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدين وهو علم السحر ونحوه)^(٧)

وقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية التوحيد جماع الدين، حيث قال في إسلام الوجه لله: (وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصده لله، وهو محسن بالعمل الصالح المأمور به وهذان الأصلان جماع الدين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبد بما شرع، لا نعبد بالبدع)^(٨).

ويتضح لي معنى التوحيد من أقوال العلماء فيما سبق أنه: الاعتقاد بأن الله هو الإله الحق وهو الرب لا رب لنا سواه فهو رب العالمين، بما اتصف به من صفات الربوبية ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين،

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٣٥٠.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ، ج ١، ص: ١٢٩.

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٢٤.

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص: ١١.

(٦) يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنيس، الإمام المحدث الواعظ، شيخ سجستان، أبو زكريا، الشيباني النهدي السجستاني، نزيل هراة. وكان فصيحاً مفوهاً، حسن الموعظة، رأساً في التفسير، أكمل التفسير على المنبر في سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، ثم افتتح ختمة أخرى فمات وهو يفسر في سورة القيامة، وعاش تسعين سنة. قال السلفي في "معجم" بغداد: قال أبو إسماعيل الأنصاري: كان يحيى بن عمار ملكاً في زي عالم، كان له محب متمول يحمل إليه كل عام ألف دينار هروية، فلما مات يحيى، وجدوا له أربعين بدره لم يفك ختمها. وكان يحيى بن عمار من كبار المذكورين، توفي يحيى بن عمار بهراة، في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة. انظر: سير أعلام للذهبي (٤٨١/١٧).

(٧) أمراض القلب وشفاؤها، شيخ الإسلام / أحمد بن تيمية، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـ ط ٢، ص: ٣١.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، الرياض: مكتبة الرشد، ج ٢، ص: ٣٧٢ - ٣٧٣.

و هو المتفرد بما وصف به نفسه ووصفه به رسول ﷺ من الكمال والجمال في الأسماء والصفات على الحقيقة، بما يليق به سبحانه وبِعَظَمَتِهِ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو المستحق للعبادة دون سواه، فالتوحيد صرف العبادة لله وحده لا شريك له رب العالمين. وبذلك تكون النجاة لمن نفى الألوهية الحقة عن غير الله، وأثبتها لله وحده لا شريك له، وهذا معنى (لا إله إلا الله) وهو حق الله على العباد، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «بيننا أنا رديفُ النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرُّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: هل تدري ما حقُّ الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك. فقال: هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقُّ العباد على الله أن لا يُعَذِّبَهُمْ»^(١). ويتحقق التوحيد باليقين المبني على المعرفة الشرعية التامة، والعمل المخلص في تحقيق أمرين، هما المطلوبان في هذا المبحث:

- ١) جمع مقاصد التوحيد التي تتحقق بها عقيدة المسلم وهي أقسام التوحيد من الربوبية والألوهية لله تعالى وماله من الأسماء الحسنى والصفات العلى.
- ٢) تحقيق الولاء لمن رضي الله عنه ورسوله ﷺ ورضيا منا له الولاء، وتحقيق البراءة ممن تبرأ الله منه ورسوله ﷺ ورضيا لنا البراءة منهم.

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب اللباس- باب إرداف الرجل خلف الرجل، حديث رقم: ٥٩٦٧ (١٧٠/٧) وانظر: صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرر على النار، حديث رقم: ١٥٢ (٤٣/١).

المطلب الأول: أقسام التوحيد

إن أقسام التوحيد الثلاثة يدعو إليها القرآن الكريم في كل آياته، وتضمنتها سورة الفاتحة التي نقرأها في كل ركعة من صلاتنا، فإذا قرأنا: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فهذا من توحيد الربوبية، خلق الخلق سبحانه وأمدهم بالنعم فهو ربهم ومليكهم، وإذا قرأنا: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، فهذا من توحيد الأسماء والصفات، فالرحمة صفة الرب وسعت رحمته كل شيء فهو الرحمن بعباده وللمؤمنين رحمة خاصة وكان بالمؤمنين رحيمًا، ثم إذا قرأنا بعد ذلك: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، فهذا من توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، وإذا قرأنا: أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؛ فهذا الدعاء لتحقيق العبودية لله باقتضاء الصراط المستقيم وإخلاص الإرادة والطلب من الله سبحانه. فهو المستحق للعبادة دون سواه، وهو الله لا إله غيره بحق، ولا رب سواه بحق، قال الله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ^(١)، قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (شهد تعالى - وكفى به شهيدا، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين - {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلق، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه، كما قال تعالى: (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) ^(٢) ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ} وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام. {قَائِمًا بِالْقِسْطِ} منصوب على الحال، وهو في جميع الأحوال كذلك. {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} تأكيد لما سبق {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الذي لا يرام جنبه عظمة وكبرياء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره) ^(٣) وذكر القرطبي في تفسير هذه الآية قوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) كرر لأن الأولى حلت محل الدعوى، والشهادة الثانية حلت محل الحكم. وقال جعفر الصادق: الأولى: وصف وتوحيد، والثانية: رسم وتعليم، يعني قولوا لا إله إلا الله العزيز الحكيم ^(٤).

فأنواع التوحيد الثلاثة جاءت في الكتاب والسنة في معنى متحد مجمل ومفصل والأدلة عليه كثيرة، كما في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سِرِّيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) سورة النساء: ١٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٤٣.

فسألوه، فَقَالَ: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فَقَالَ النبي ﷺ أخبروه أن الله يحبها^(١) وعلماء الإسلام فهموا هذا المعنى من الوحيين وقسموا هذا التقسيم وعلا على غيره لوفائه بالمعنى المقصود وشموله الواضح الجامع المانع لأنواع التوحيد ولطمسه معالم الانحراف العقدي عند فرق الضلال والبدع ومن هؤلاء العلماء ابن مندة^(٢) - وهو من العلماء المتقدمين- في القرن الرابع، وشيخ الإسلام ابن تيمية في القرن السابع وغيرهما. قال ابن القيم يرحمه الله في رده على من عرف التوحيد^(٣) بأنه (تزييه الله عن الحدث) قال: قوله التوحيد تزييه الله عن الحدث، هذا الحد لا يدل على التوحيد الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه، وينجو به العبد من النار ويدخل به الجنة، ويخرج من الشرك، فإنه مشترك بين جميع الفرق وكل من أقر بوجود الخالق سبحانه أقر به، فعباد الأصنام والمجوس والنصارى واليهود والمشركون على اختلاف نحلهم، كلهم يزهون الله عن الحدث، ويثبتون قدمه حتى أعظم الطوائف على الإطلاق شركا وكفرا وإلحادا، وهم طائفة الاتحادية^(٤) فإنهم يقولون هو الوجود المطلق وهو قديم لم يزل وهو متره عن الحدث، ولم تنزل الأحداث تكتسي وجوده تلبسه وتخلعه، والفلاسفة الذين هم أبعد الخلق عن الشرائع وما جاءت به الأنبياء يثبتون واجب الوجود قديما مترها عن الحدث، والمشركون عباد الأصنام الذين يعبدون معه آلهة أخرى يثبتون قديما مترها عن الحدث، فالتزييه عن الحدث حق، لكن لا يعطي إسلاما ولا إيمانا ولا يدخل في شرائع الأنبياء ولا يخرج من نحل أهل الكفر ومللهم ألبتة^(٥)

التوحيد في العبادة، من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكدبين)^(٦)

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب التوحيد- باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أُمِّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حديث رقم: ٧٣٧٥ (١١٥/٩).

(٢) ابن مندة الإمام الكبير الحافظ الجود، أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن مندة، واسم مندة: إبراهيم بن الوليد بن سندة بن بطة بن أسستندار بن جهمار بخت العبدي مولاها الأصهباني، جد صاحب التصانيف الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد. ولد في حدود العشرين ومئتين في حياة جدهم مندة. سمع إسماعيل بن موسى السدي، وعبد الله بن معاوية الجمحي، وغيرهم من طبقتهما بالكوفة والبصرة وأصبهان، وجمع وصنف. مات ابن مندة في رجب سنة إحدى وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٨/١٤).

(٣) قاله ابن القيم في الرد على صاحب كتاب: منازل الساترين، عبد الله الأنصاري الهروي.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والجهمية نفاة الصفات تارة يقولون بما يستلزم الحلول والاتحاد، أو يصرحون بذلك. وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل، فنفاهم لا يعبدون شيئا، ومثبتهم يعبدون كل شيء". انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨/٦). وقال ابن القيم: (فإن كثيرا ممن ادعى التوحيد لم يفرد سبحانه من الأحداث، فإن من نفى مباينته لخالقه فوق سمواته على عرشه، وجعله في كل مكان بذاته لم يفردة عن الحدث، بل جعله حالا في الأحداث، مخالفا لها، موجودا فيها بذاته، وصوفية هؤلاء وعبادهم هم الحلولية، الذين يقولون إن الله عز وجل يحل بذاته في المخلوقات، وهم طائفتان طائفة تعم الموجودات بحلوله فيها، وطائفة تخص به بعضها دون بعض) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٤٤٥/٣).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٣، ص: ٤٤٤.

(٦) سورة النحل: ٣٦.

والتوحيد في العبادة أصل دعوة الرسل، قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)^(١) وبين الله تعالى مقولة من أرسل من الرسل، مؤكدين جوهر الرسالة - العبادة - وهو التوحيد، فكل منهم يقول: (يَقْوِمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)^(٢)

والتوحيد مفتاح دعوة الرسل وأول ما يدعو إليه دعاء الحق عن ابن عباسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: (إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلُّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَامَتَهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ)^(٣).

والدعوة إلى التوحيد هو منهج النبي ﷺ في دعوته، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)^(٤)

ولهذا فإن التوحيد أول واجب يجب على المكلف؛ بتحقيق: شهادة أن لا إله إلا الله. والتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يطلب الخروج به من الدنيا، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ». قال وهب بن منبه لمن سألته: (أليس (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة؟ قال: بلى. ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنانه فتح لك وإلا لم يفتح لك)^(٥) وأسنان هذا المفتاح هي شروط (لا إله إلا الله) وقد فصل فيها أهل العلم وموجزها: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والقبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للترك، والصدق المنافي للكذب، والإخلاص المنافي للشرك، والحببة المنافية للبغض. قال الله تعالى: (فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)^(٦).

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة هود: ٥٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)، حديث رقم: ٢٥ (١/١٤). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: ١٣٥ (١/٣٩).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، حديث رقم ٢٥ (١/١٤).

(٥) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٦هـ، ص: ٦٦.

(٦) سورة محمد: ١٩.

والتوحيد أصل الدين وأساس كل عبادة، ومنطلق لكل دعوة حق، مكث النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى توحيد الله، قبل أن تفرض الصلاة وبعدها، فأخذ يدعو إلى التوحيد وترك الشرك وخلع الأوثان، وهذا ما أُمِرَ به الرسل قبله، مما يدل على أهميته وعظمته، وعلو منزلته عند أهل الشرائع في جميع الرسالات قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ^(١) قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جراءاً عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله. فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد (قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به). فقلت: إني متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني.... الحديث ^(٢).

أولاً: توحيد الربوبية

قام توحيد الربوبية في النفوس البشرية بالفطرة، حيث يتفكر الإنسان في نفسه، ومن أوجده؟ وما سبب وجوده؟. ويتفكر في الموجودات حوله. فمن الفطرة التي جبل عليها الخلق أن يخضع الطفل لأمه، فمن بطنها وضع ومنها ثديها رضع، والحيوان الأليف يبقى عند صاحبه وبه يلف، وله ينقاد لما يقدم له من غذاء وعلف، وكذا الرياح تثير السحاب في ركاب، وتسوقه من بلد إلى بلد، ومنه يتساقط المطر، تقوم عليه حياة النبات والحيوان والبشر، والكون كله في حركة دائبة، وفلك سائرة، وما بُث فيه من كل دابة، خاضع لقدرة الخلاق العليم، وهو كما قال الله في حقه سبحانه: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) ^(٣) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ^(٤) ونعمه بعباده لا تعد ولا تحصى، ومتعمهم بالحياة إلى حين، خلق الخلق لعبادته، وأمدهم بالرزق بفضله ومن رحمته، عوناً على طاعته، وهو سبحانه ملاذ الإنسان وملجؤه، وله الخلق والأمر، تدل على عظمته آياته ومخلوقاته، يقول أبو العتاهية ^(٥):

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهَ * * أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ * * فِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب إسلام عمرو بن عبسة، حديث رقم: ١٩٦٧ (٢/٢٠٨).

(٣) سورة السجدة: ٨.

(٤) انظر: ديوان أبي العتاهية، ص: ٤٥.

وفي كل شيء له آية ** تدل على أنه الواحد

فإن التوحيد أمر فطري في نفوس البشر حيث فطر الله الناس عليه، قال الله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^(١) وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} ^(٢).

ثانيا: توحيد الألوهية

ويعرف هذا النوع من التوحيد في كتب المتقدمين من أهل العلم خاصة بتوحيد (الإرادة والقصد) أو توحيد (الطلب)، ومنه نعرف أن عزائم الإنسان فيما يريده ويطلبه ويقصده من العبادات يجب أن تكون مصروفة لله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)^(٣). أورد الإمام ابن كثير: (قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: (سورة الملك: ٢) لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا قال: "أخلصه وأصوبه". قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: "إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة "^(٤) فإن الإخلاص يعني حسن التوحيد والصواب يعني حسن العبادات، وبهما يحقق المسلم معنى الشهادتين أصلي الإسلام، وهما رأس الدين، وبذلك عبر عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية قال: (وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله. فإن الشهادة لله، بأنه لا إله إلا هو، تتضمن إخلاص الإلهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب ولا خوف ولا رجاء، ولا إجلال ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبة؛ بل لا بد أن يكون الدين كله لله)^(٥) وهذا النوع من التوحيد - الألوهية - هو الذي خالف فيه المشركون الأنبياء، حيث يعرفون أن الله ربهم ورب آبائهم، ولكن يشركون معه آلهتهم، وما كان عليه آباؤهم بطلب الشفاعة منهم، وفي الذبح والنذر والدعاء وسائر القربات، قال الله تعالى: (وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)^(٦) بل أعطوا تلك الآلهة الباطلة الحجة المساوية لحب الله، تعالى الله عما يصفون، قال الله تعالى

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب (لا تبدل خلق الله)، حديث رقم: ١٣٥٨ (٩٥/٢).

(٣) سورة الكهف: ١١٠.

(٤) تفسير القرآن الكريم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠ هـ، ص: ٧٨.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، الرياض: مكتبة الرشد،

ج ٢، ص: ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٦) سورة الزخرف: ٤٣.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) ^(١) وخالفوا بذلك أصل التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة من (التأله والحب والخوف والرجاء والتعظيم والإنابة والتوكل والاستعانة وابتغاء الوسيلة إليه، فهذا الإفراد وذلك الإفراد بهما بعثت الرسل وأنزلت الكتب وشرعت الشرائع، ولأجل ذلك خلقت السموات والأرض والجنة والنار، وقام سوق الثواب والعقاب) ^(٢) وأصبحوا لا يعرفون من العبادة إلا ما يقربونه إلى الأصنام والأوثان، فنسوا الله ومحو معنى التوحيد الخالص من حياتهم وما يظهر إلا في وقت الضيق ومظنة الهلاك، قال الله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) ^(٣) ولقد تقادم الجهل على بعض أهل زماننا في مرحلة الاستعمار الأجنبي، وما أصاب الأمة من الفرقة والضعف السلطاني والاقتصادي والعلمي، فهجرت السنن وتركت الفرائض، وظهرت البدع، وأخذت مظاهر الشرك في الظهور من دعاء الأموات والطواف بالقبور والذبح للأولياء والحلف بغير الله وغيرها، حتى نهض أهل التوحيد بواجب البيان، لأصل الدين الصحيح والندارة من الشرك ومظاهره وخطره، وما تزال الدعوة إلى هذا الأمر في حاجة إلى جهد كبير؛ لأن متعلقات الماضي من المظاهر الشركية ما زالت باقية، وهناك من جند نفسه جهلاً وعصبية للدفاع عنها، وزاد الأمر اتساعاً انفتاح أبواب الإعلام وقنوات الفضاء وشبكات المعلومات، مما رمى الأمة بوابل غزير من الشهوات والشبهات، فواجب الدعاة إلى الله أن يجعلوا العقيدة الصحيحة وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له في مقدمة دعوهم إلى الله.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات

ويعرف هذا النوع في كتب المتقدمين من أهل العلم خاصة بتوحيد (المعرفة والإثبات) ^(٤) أو (توحيد الخبر) والتوحيد كما عرفنا سابقاً إفراد الله بالعبادة، ومن هذا الإفراد كما ثبت عن علماء أهل الملة إفراد الله في الذات والصفات، اعتقاداً بما جاء به الوحي من خبر، وذلك بإثبات مباينة الرب تعالى للمخلوقات وعلوه فوق عرشه من فوق سبع سموات، كما نطق به الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها، وأخبرت به جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم. قال الله تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) ^(٥) كما يجب على المسلم معرفة الله بما جاءه من خبر الوحي في إثبات الأسماء والصفات على الحقيقة، وهو توحيد المعرفة والإثبات، ومعناه إفراد الله سبحانه بصفات كماله وجماله وإثباتها له على وجه التفصيل، كما أثبتتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ مترهة عن التعطيل والتحريف والتمثيل والتكليف والتشبيه والتأويل الباطل، قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ص: ١٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٤) انظر: العقيدة التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٥) سورة الأنعام: ١٨.

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١) بل ثبت له سبحانه حقائق الأسماء والصفات، وتنفي عنه فيها مماثلة المخلوقات، إثباتا في الإثبات ونفيا في النفي، وتحقيقا بلا تمثيل وتزيه بلا تحريف ولا تعطيل، كما قال في حقه سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)^(٢). وفي هذا النوع من أنواع التوحيد يكون إفراده سبحانه بعموم قضائه وقدره في جميع المخلوقات، وأنها كلها واقعة بمشيئته وقدرته وعلمه وحكمته ومرجعها إليه وواقعة تحت سلطانه وقهره وعدله. وأسماء الله كلها حسنى، وله صفات الكمال والجلال والجمال المطلقة على التمام والعلاء، مآثره سبحانه عن كل عيب ونقص، كالصاحبة والولد، وهو واحد لا شريك له، أحد لا ند له، والخلق خلقه والأمر أمره تبارك الله رب العالمين. ولم يرد في حصر أسمائه كأسماء بمعانيها حديث صحيح، أما العدد، فقد ورد في الصحيحين أن لله تسعة وتسعين اسما، حث الشارع على إحصائها وحفظها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا. مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ. يُحِبُّ الْوَثَرَ». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ «مَنْ أَحْصَاهَا»^(٣). ومحبة الله تعالى في التقرب إليه إيمانا به وثناء عليه ودعاء له بما طلب الدعاء به، يحرص المسلم على هذه الأسماء بالبحث والعد والإحصاء، وقيل في معنى أحصاها: البحث عنها، وقيل حفظها، وقيل الفهم لها والعلم بها، واجتهد العلماء قديما وحديثا، في حصر التسعة والتسعين من أسماء الله عز وجل، لعدم ورود حديث صحيح في حصرها إلا حديث واحد، ضعف العلماء سنده، وصححوها من المتن ما توافق مع الحديث الوارد في الصحيحين، وعدد من الأسماء الواردة فيه لتوافقها مع نصوص الكتاب والسنة، وهذا الحديث أورده هنا، لمعرفة ما فيه من الصواب، وذكرت تعليق بعض العلماء عليه في محل التخريج، عند الترمذي في السنن، قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْجُوزْجَانِيُّ حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ (أبي حمزة) عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيفُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِي الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُخْصِي الْمُبْدِي الْمُعِيدُ الْمُخْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب لله مائة اسم غير واحد، حديث رقم: ٦٤١٠ (٨/ ٨٧) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم: ٦٩٨٥ (٨/ ٦٣).

الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُنْتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنتَقِمُ الْعَفْوُ الرَّءُوفُ
مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِي الْمَغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النَّوْرُ الْهَادِي الْبَدِيعُ
الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»^(١).

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات، حديث رقم: ٣٥٠٧ (٥/ ٥٣٠) وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الدعاء - باب أسماء الله عز وجل، حديث رقم: ٣٨٦٠ (٢/ ١٢٦٩). قال أبو عيسى (الترمذي) هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث. وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناده صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث. وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه الأسماء وليس له إسناده صحيح. قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتابه (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) (ص: ٤٨): (ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (ص ٣٨٢، ج ٦) من مجموع ابن قاسم: (تعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه) وقال قبل ذلك (ص ٣٧٩): (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه) اهـ. وقال ابن حجر في ص ١٥-... "فتح الباري" (ص ٢١٥، ج ١١، ط السلفية): (ليست العلة عند الشيخين [البخاري ومسلم] تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج) اهـ. ولما لم يصح تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه، ورؤي عنهم في ذلك أنواع. وأورد القرطبي في كتابه الأسنى عن ابن العربي قوله (لا يعلم هل تفسير هذه الأسماء في الحديث، هل هي من قول الراوي؟ أم من قول النبي ﷺ؟ والظاهر أنها من قول الراوي لوجهين :

أحدهما : أن أصحاب الصحيح لم يذكروها .

والثاني : أن فيها تفسيراً بزيادة ونقصان، وذلك لا يليق بالمرتبة العليا النبوية .

قال القرطبي في كتابه (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى) : قلت : في كلامه هذا نظر، وإن كان سبقه إليه البيهقي وغيره على ما نبينه. وما بين : نقل عن أبي الحسن علي بن محمد الحصار الفقيه قوله: وما ذكره ابن العربي: من أنه لا يعلم هذه الأسماء في الحديث من قول الراوي؟ أو من قول النبي ﷺ؟ فاحتمال يتطرق لكل حديث فيلزم طرح كل حديث، والتوقف عنه، وكل اعتراض يؤدي إلى هذا فهو باطل مردود ولا ينبغي أن ترد الآي والأحاديث بالاحتمال العقلي، وإنما تحمل الآي والأحاديث على الاحتمال اللغوي، وهذا أصل عظيم في التأويل، في سائر أحكام الشريعة، فكيف في أسماء الله تعالى التي قد اتفق الجميع على أنه لا يجوز وضعها بالاجتهاد، بل الأقرب أن يقال : إنما أسقطها من قصر حفظه عن الإتيان بها على وجهها. قال (أي أبو الحسن الحصار): وهذا الحديث عندي حجة يجب قبوله والعمل به والرجوع إليه . انظر: الأسنى للقرطبي : ص: ٥٥ - ٥٨ .

المطلب الثاني: الولاء والبراء

أولاً: الولاء

الولاء في اللغة:

الولاء في اللغة من (ولي) قال ابن فارس في معجمه^(١): (الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب. من ذلك الوليُّ: القُرب. يقال: تَبَاعَدَ بعد وَلِيٍّ، أي قُرب. وجَلَسَ مِمَّا يَلِينِي، أي يُقَارِبُنِي) وورد عند الجوهري في الصحاح^(٢) (والوليُّ: ضدُّ العدوِّ. يقال منه: تَوَلَّاهُ. والمولى: المُعْتَقُ، والمُعْتَقُ، وابنُ العمِّ، والناصرُ، والجارُ. والوليُّ: الصَّهْرُ، وكلُّ من وَلِيَ أمرَ واحدٍ فهو وَلِيُّهُ. والمولى: الحليفُ) وجاء في لسان العرب^(٣) لابن منظور: (و تَوَلَّى عنه: أَعْرَضَ و وَلَّى هارباً، أي: أدبر)

الولاء في الاصطلاح الشرعي:

الولاء من لوازم كلمة التوحيد، ومعناه الشرعي مرتبط بالولاية وهي القرب والنصرة والحب ظاهراً وباطناً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الولاية ضد العداوة وأصل الولاية: المحبة والتقرب. وأصل العداوة: البغض والبعد)^(٤)، وقال الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ .. الآية^(٥)) نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بِأَنَّ اللَّاتِّصَافَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ مَانِعٌ مِنْ مُوَادَّةِ الْكُفَّارِ وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءِآبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ... الآية^(٦))^(٧) وقال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: (ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين.

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٦. ص: ١٤١.

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٥٦٠.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (ولي).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، الرياض: دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص: ٥٣.

(٥) سورة التوبة: ٢٣.

(٦) سورة المجادلة: ٢٢.

(٧) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص: ١١٥.

وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحضر على المهجرة ورفض بلاد الكفرة. فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب، خوطبوا بألا يوالوا الآباء والإخوة فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر. "إِنْ اسْتَحَبُّوا" أي أحبوا، كما يقال: استجاب بمعنى أجاب. أي لا تطيعوهم ولا تخصوهم. وخص الله سبحانه الآباء والإخوة إذ لا قرابة أقرب منها. فنفي الموالاتة بينهم كما نفاهما بين الناس بقوله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ) ^(١) ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان ^(٢).

وأوجه الولاية المطلوبة من المسلم محددة شرعاً، في قول الله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ^(٣) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ^(٤) (١) ولاية المسلم لله عز وجل:

عن ابن عباس قال: (أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك). رواه ابن جرير، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ^(٥) قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في شرح هذا الأثر: (قوله في أثر ابن عباس رضي الله عنهما: "من أحب في الله".

" من " : شرطية، وفعل الشرط أحب، وجوابه جملة: " فإنما تنال ولاية الله بذلك ". و " في " : يحتمل أن تكون للظرفية؛ لأن الأصل فيها الظرفية، ويحتمل أن تكون للسببية؛ لأن " في " تأتي أحيانا للسببية؛ كما في قوله (: دخلت امرأة النار في هرة أي: بسبب هرة. وقوله: " في الله ". أي: من أجله، إذا قلنا: إن " في " للسببية، وأما إذا قلنا: إنها للظرفية، فالمعنى: من أحب في ذات الله؛ أي: في دينه وشرعه، لا لعرض الدنيا.

قوله: " وأبغض في الله ": البغض الكره؛ أي: أبغض في ذات الله، فإذا رأى من يعصي الله كرهه. وفرق بين " في " التي للسببية و " في " التي للظرفية؛ فالسببية الحامل له على ائابة أو البغضاء هو الله، والظرفية موضع الحب أو الكراهة هو في ذات الله (، فيبغض من أبغضه الله، ويجب من أحبه الله. قوله: " ووالى في الله ": الموالاتة: هي ائابة والنصرة وما أشبه ذلك. قوله: " وعادى في الله ": المعاداة ضد الموالاتة؛ أي: يتعد عنهم ويبغضهم ويكرههم في الله.

(١) سورة المائدة: ٥١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد السردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط١٣٨٤هـ، ج ٨، ص: ٩٣ - ٩٤.

(٣) سورة المائدة: ٥٦ .

(٤) مُصَنَّف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العباسي الكوفي ، تحقيق : محمد عوامة. ج ١٣ ، ص : ٣٦٨ . كتاب : زهد الصحابة - باب كلام ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله: " فإنما تنال ولاية الله بذلك": هذا جواب الشرط؛ أي: يدرك الإنسان ولاية الله ويصل إليها؛ لأنه جعل محبته وبغضه وولايته ومعاداته لله^(١) وإذا علمنا أن التوحيد أس الدين، وبه يتميز أولياء الرحمن عن أولياء الشيطان. فإنه على حسب كمال توحيد العبد تكون ولاية الله له. ويتفاوت الناس في تحقيق ذلك، ومنه حرص السلف على تحقيق التوحيد، وأخلصوا دينهم لله، وعرفوا بالصدق والإيمان. والأنبياء والمرسلون هم أكمل الخلق توحيداً وتحقيقاً له، فإنهم قد حققوه بفعل الأوامر، وترك النواهي فكانوا أحق بولاية الله من المحبة والنصرة عن غيرهم، وقد أمنهم الله من الخوف والحزن ووعدهم الله بالبشرى في الدنيا والآخرة ومن تبعهم على التوحيد والهدى، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۚ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ أَفْوَزُ الْعَظِيمِ ۚ﴾^(٢) فإن المسلم بولايته لله من تحقيق التوحيد واتباع شرعه والمحبة في المعادة فيه استحق ولاية الله له، وولاية الله في القرآن نوعان:

(١) ولاية عامة: وهي التي يرزق الله جل وعلا بها كل أحد، لا يخرج عنها أحد عن أبي موسى عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ »^(٣). خلق الله سبحانه الخلق وأمدهم بسائر النعم من الرزق وما تقوم به الحياة بلاء للمؤمن والكافر، قال الله تعالى في حق ما يمد به الكافر: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثْمِلُ لَهُمْ خَيْرًا لِّنَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُثْمِلُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَذَابُ مُهَيْنٍ ۖ﴾^(٤) والإمداد بكل خير لأهل الكفر هذا من ولاية الله جل وعلا لهم، لكنها الولاية العامة، فتكون نعمة للمؤمن ونقمة على الكافر.

(٢) ولاية خاصة: وهي التي يحصل بها النصر من الله عز وجل لعبده، ويفوزه بمحبته سبحانه والقرب منه تعالى. ويتحقق له النجاء من مواطن الهلكة أو الفوز بمثوبة الصبر على الأذى والشهادة.

(٢) ولاية المسلم للرسول ﷺ:

تكون ولاية المسلم للرسول ﷺ بمحبته والإيمان برسائله وما جاء به، وما صح عنه، وتكون بنصرته في حياته، كما فعل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، حيث نالوا شرف الرؤية والنصرة والهجرة، وتكون بنصرة شرعه ودينه، والصلاة عليه في حياته وبعد مماته، وإظهار سنته، والدفاع عنه وعن سنته، عن عبد الله بن هشام قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص: ٥٦.

(٢) سورة يونس: ٦٢ - ٦٤.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، حديث رقم: ٧٢٥٨ (١٣٣/٨).

(٤) سورة آل عمران: ١٧٨.

نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ، فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ^(١). قال ابن حجر يرحمه الله: (فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا، ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خيّر بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي ﷺ، أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا. وليس ذلك محصورا في الوجود والفقْد. بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته، وقمع مخالفاتها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكير، فإن الأحبية المذكورة تعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان أما نفسه وأما غيرها، أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات هذا هو حقيقة المطلوب، وأما غيرها فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالا ومآلا، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب؛ علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات؛ فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره، لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضر ذلك والغفلة عنه، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم؛ لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بما أعلم والله الموفق)^(٢)

٣) ولاية المسلم للمؤمنين:

إن المحبة هي الوشيجة العظمى، التي انطلقت من الإيمان، والتقى عليها المسلمون، وتكون الولاية بينهم بالمودّة، والمحبة الموازية لمحبة النفس حال الكمال، وتكون بالنصرة، عن إسماعيل بن بشير^(٣) يقول سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصاري يقولان: قال رسول الله ﷺ: ما من امرئ يخذل امرأ مسلما، في موضع تنتهك فيه حرمة، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمة، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته^(٤) وهذا من نصرته في مظلمته أما نصرته على ظلمه فتكون بكفه عن الظلم، ومن مقتضيات المحبة والنصرة العون على البر والتقوى والطاعة لله ولرسوله والطاعة لأولي الأمر في المعروف، قال الله

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان والنذور - باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث رقم: ٦٦٣٢ (٨/١٢٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٦٠.

(٣) إسماعيل بن بشير مولى بني مغالة. سمع أبا طلحة وجابرا. ذكره البخاري في (التاريخ الكبير) وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، وعرفه بولاء بني سدوس. وقال العجلي: إسماعيل السدوسي ثقة، فلا أدري أهو إياه أم غيره، فينظر، والله أعلم. انظر: إكمال تذيب الكمال لعلاء الدين مغلطي بن قليج الحنفي (٢/١٥٦).

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب من رد عن مسلم غيبة، حديث رقم: ٤٨٨٦ (٤/٢٢٢). ضعفه الألباني

تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(١) قال ابن كثير، يرحمه الله: (لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: "المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً" وشبك بين أصابعه ^(٢) وفي الصحيح أيضاً: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" ^(٣) ^(٤). وولاية المسلم لأهل الإيمان تنطلق من الحبة الصادقة لله تعالى، وأحق الناس بهذه الولاية بعد الرسول ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه فهو أحب الناس للنبي ﷺ وخليفته من بعده، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشٍ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ «عَائِشَةُ». قُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ قَالَ «أَبُوهَا». قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ «عَمْرٌ». فَعَدَّ رَجُلًا ^(٥). واتفقت الأمة على ذلك وقبلت قدر الله فيها أنها لا تجتمع على ضلالة، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ) ^(٦). وقد فضل أهل الإسلام الخلفاء الراشدين الأربعة على الترتيب، وأهل السبق إلى الإسلام وأهل الهجرة، وأهل النصر، وأهل بدر وأهل البشارة بالجنة، والصحابة فضلاء على غيرهم، والصحابة يتفاضلون، فأفضلهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عن الجميع، الذين قال فيهم النبي عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ" ^(٧) ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة وهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم. ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان، قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب المظالم - باب نصر المظلوم، حديث رقم: ٢٤٤٦ (١٢٩/٣).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٦٧٥١ (٢٠/٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ١٧٤.

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي- باب غزوة ذات السلاسل وهي غزوة خيم وجذام، حديث رقم: ٣٦٦٢ (٥/٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، حديث رقم: ٦٣٢٨ (١٠٩/٧).

(٦) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب السواد الأعظم، حديث رقم: ٣٩٥٠ (٩٦ / ٥) ضعفه الألباني .

(٧) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في لزوم السنة، حديث رقم: ٤٦٠٩ (٣٢٩/٤). وانظر: سنن الترمذي - كتاب العلم عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم: ٢٦٧٦ (٤٤/٥) وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب المقدمة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم: ٤٢ (٧٦/١) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧١٤٤ (٣٧٣/٢٨).

فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا^(١). ثم الذين آمنوا وجاهدوا قبل الفتح، فهم أفضل من الصحابة الذين آمنوا وجاهدوا بعد الفتح، قال تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)^(٢) والمراد بالفتح: صلح الحديبية. ثم المهاجرون عموماً، ثم الأنصار؛ لأن الله قدّم المهاجرين على الأنصار في القرآن، وقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ^(٣)) وقال سبحانه: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^(٤)) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٥)) قالت العلماء في تقديم المهاجرين على الأنصار في القرآن دلالة على أفضليتهم، قال الشيخ صالح الفوزان: (فقدّم المهاجرين وأعمالهم على الأنصار وأعمالهم، مما دل على أن المهاجرين أفضل؛ لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم وهاجروا في سبيل الله، فدل على صدق إيمانهم، فجميع الصحابة يجب حبهم وموالاتهم، ولا نتدخل فيما حصل بينهم من حروب، فما حصل بينهم من الحروب فبتأويل منهم، فهم مجتهدون، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وكذلك عندهم من الحسنات والفضائل العظيمة التي تُكفّر ما يقع من الخطأ من بعضهم. فالواجب على المسلمين الترضي عنهم، وطلب العذر لهم، والدفاع عنهم، فمذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يتدخلون فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم؛ لما لهم من الفضل والسابقة؛ ولقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"^(٦) لفضلهم، فمن تدخل فيما حصل بين الصحابة وصار في قلبه شيء، فهذا زنديق^(٧)، فأما من قال: نتدخل فيما حصل بين الصحابة من باب البحث، فهذا خطر عظيم ولا يجوز، ولذلك لما سئل عمر بن عبد العزيز عما حصل بين

(١) سورة الفتح : ١٨ .

(٢) سورة الحديد : ١٠ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٤) سورة الحشر : ٩ .

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب

فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣ (٨/٥) وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث رقم: ٦٦٥١ (١٨٨/٧).

(٦) (زندق) الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية (زَندِ كِرَاي) يقول: بدوام بقاء الدهر (إنكار القيامة)، والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه، الزنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق وقال أحمد بن يحيى: ليس زنديق ولا قرّين من كلام العرب، وإنما تقول العرب: رجل زندق وزندقي إذا كان شديد البخل فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملجّد ودهري، وقال سيويه الهاء في زنادقة وفرّانة عوض من الباء في زنديق وفرّين وأصله الزناديق، الزنديق معرب والجمع الزنادقة وقد تَرَزَّدَقَ والاسم الزندقة. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤٧/١٠)

الصحابة قال: "أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمايتهم، فيجب أن نطهر ألسنتنا من أعراضهم". وقال عليه الصلاة والسلام: "هل أنتم تاركو لي أصحابي؟" ^(١) فلا نتدخل فيما حصل بين الصحابة؛ لأنه من مقتضى الإيمان ومن مقتضى النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامته المسلمين وخاصتهم ^(٢). وهذا المقام للصحابة الكرام رضي الله عنهم يعطي الولاء الصادق، لمن تبعهم بإحسان، من أهل الإيمان من علماء الأمة وعامتها. وأهل المعاصي لهم الولاء مع النصيح، كل حسب معصيته وللنصح قواعد ودرجات، أما أهل الكفر فلا ولاء لهم ولكن أمر الله بالمعروف والعدل معهم، ومنه مصاحبة الوالدين الكافرين بالمعروف وبرهما في غير الشرك والكفر، وكذلك إكرام الضيف والإحسان في المعاملة لمن على غير الديانة من أهل السلم، فإن ذلك ليس من الولاء المحرم للكافرين الذي هو أصل البراء. قال الله تعالى: (وَإِنْ جَنَدَ الْكَافِرُ عَلَى أَنْ تُوْثِقَ يَدَاكَ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ^(٣) وقال تعالى: (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ^(٤) فإن المعاملة الحسنة هي الأصل في أخلاق المسلم لكل الناس دون النظر إلى عقائدهم أو مكانتهم أو ألوانهم وهو أدعى لدخولهم في الإسلام وكسب أجر هدايتهم، وهي في حق الأقربين من أهل الكفر أولى، وبه نعلم أن الولاء ضده البراء.

ثانياً: البراء

البراء في اللغة:

البراء في اللغة من (برء) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يقال برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً. والبراء الله جل ثناؤه. قال الله تعالى: {فَتَوْبُوا إِلَى بَارئِكُمْ} (البقرة: ٥٤)، وقال أمية: الخالق البراء المصور. والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايالته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم ^(٥) وورد عند الجوهري في الصحاح: (وقلت في الجمع: نحن منه برءاء، مثل: فقيه وفقهاء، وبرءاء أيضاً، مثل: كريم وكرام، وأبرءاء، مثل: شريف وأشراف. وأبرياء أيضاً مثل نصيب وأنصباء، وبريئون. وامرأة بريئة، وهما بريئتان، برايا: ورجل بريء وبرءاء،

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الأعراف، حديث رقم: ٤٦٤٠ (٥٩/٦). ولم أجده إلا بلفظ: (هل أنتم تاركوا لي صاحبي).

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ج ١، ص: ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) سورة لقمان: ١٥.

(٤) سورة الممتحنة: ٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ١، ص: ٢٣٦.

مثل: عجيب وعُجاب^(١) وجاء في لسان العرب عند ابن منظور: (والعَرَبُ تقول نحنُ مِنْكَ الْبَرَاءُ والخَلَاءُ، والواحد والاثنان والجمعُ مِنَ المذكَرِ والمؤنثِ، يُقالُ بَرَاءٌ لَأَنَّهُ مُصَدَّرٌ، ولو قالَ بَرِيءٌ لَقِيلَ في الاثنينِ بَرِيئَانِ وفي الجمعِ بَرِيئُونَ وَبَرَاءٌ^(٢))

البراء في الاصطلاح الشرعي:

البراء من لوازم التوحيد، ومعناه في الشريعة مرتبط بالبراءة، وهي البعد والعداوة والبغضاء، وخصص في عدم القرب والحقبة من أعداء الله، فهو محقق لمعنى الولاء الشرعي بالقرب من الله والحب له ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وبالبعد عن أعداء الله من أهل الشرك والكفر وتحقيق العداوة لهم ولما هم عليه من الشرك والكفر، فالولاء يتحقق بالبراء، والبراء يتحقق بالولاء، قال الله تعالى في تحقيق إبراهيم عليه السلام لمعنى البراء الشرعي: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ^٣ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^(٤)) وقال الله تعالى: (وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ^(٥))

والأصل الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة في مخالطة المسلم لأهل الكتاب وأهل الأوثان؛ أن المسلم ذو شخصية مميزة، فهو مميز في عقيدته، وشريعته، وهيئته، ويخالطهم ويتعايش معهم، ويتبادل المنافع المشتركة معهم، حسب ضوابط الشريعة في كل جزئية من الحياة حربا وسلما، وذلك بما يحقق المصلحة للإسلام والمسلمين، ويشمل ذلك مسألة السكن في بلاد الكفر أو التشبه في اللباس والهيئة والبيع والشراء وغيرها، فالمفارقة لأهل الكتاب وأهل الأوثان هي الأصل، وقال الله تعالى: (يَتَّخِذُهَا الذِّينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ^٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٧) وقال الله تعالى من سورة الممتحنة في حق المشركين: (يَتَّخِذُهَا الذِّينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ^(٨)) وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ

(١) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ٤٢.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (برء).

(٣) سورة الممتحنة: ٤.

(٤) سورة التوبة: ١١٠.

(٥) سورة المائدة: ٥١.

(٦) سورة الممتحنة: ١.

فَهُوَ مِنْهُمْ». فإذا علمنا أن المفارقة هي الأصل نعلم أن الموافقة أمر طارئ، وعليه فالواجب على المسلم الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإيمان، ما دامت السبل ميسرة، فلا يرضى لنفسه السكن والعيش بين أظهر أهل الشرك والكفر، وله مكان بين أهل الإيمان، عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » ^(١). قال أبو الطيب أبادي في شرح سنن أبي داود: (فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْهَجْرَةَ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ. وَحَدِيثُ ^(٢) ابْنِ عَبَّاسٍ الْآتِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي الْمَعَالِمِ: (كَانَتْ الْهَجْرَةُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ فَرْضًا ثُمَّ صَارَتْ مَذْذُوبَةً، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجًا كَثِيرًا وَسَعَةً}: نَزَلَ حِينَ اشْتَدَّ أذى الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ وَجِبَتْ الْهَجْرَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَمَرُوا بِالْانْتِقَالِ إِلَى حَضْرَتِهِ لِيَكُونُوا مَعَهُ فَيَتَعَاوَنُوا وَيَتَنَاضَرُوا إِنْ حَزَبَهُمْ أَمْرٌ، وَلِيَتَعَلَّمُوا مِنْهُ أَمْرَ دِينِهِمْ. وَكَانَ عِظَمُ الْخَوْفِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَلَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةَ وَنَجَعَتْ بِالطَّاعَةِ زَالَ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَارْتَفَعَ وَجُوبُ الْهَجْرَةِ وَعَادَ الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ فَالْهَجْرَةُ الْمُنْقَطِعَةُ هِيَ الْفَرْضُ وَالْبَاقِيَةُ هِيَ النَّدْبُ، فَهَذَا وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ عَلَى أَنَّ بَيْنَ الْإِسْنَادَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا، إِسْنَادُ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَّصِلٌ صَحِيحٌ، وَإِسْنَادُ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ مَقَالٌ انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ. وَفِي شَرْحِ السُّنَنِ: يَحْتَمِلُ الْجَمْعُ بَأَنَّهُ يَكُونُ قَوْلُهُ " لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ " أَيُّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَوْلُهُ " لَا تَنْقَطِعُ " أَيُّ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ فِي حَقِّ مَنْ أَسْلَمَ ^(٣)) وعند تعارض المسائل، واختلاف الرؤية، بين أيهما أولى في موافقة المسلم لهم، أهل الكتاب أم أهل الأوثان ؟ فإن المسلم يقدم أهل الكتاب؛ لأنهم على شريعة وأصل الدين عندهم نبوة وتوحيد، وكتاب منزل، وإن ضلوا هم وأضلوا غيرهم، فلهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا، وتبقى مصلحة الإسلام في تقديم أهل الكتاب على أهل الأوثان، عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يحبُّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه» ^(٤).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٩٠٦ (١١١/٢٨). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب لا هجرة بعد الفتح، حديث رقم: ٢٧٨٣ (١٥/٤). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، حديث رقم: ٤٩٣٨ (٢٨/٦).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٨٨هـ، ج ٧، ص: ١٥٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٥٥٨ (١٨٩/٤).

قال ابن حجر يرحمه الله: (وكان السر في ذلك أن أهل الأوثان أبعد عن الإيمان من أهل الكتاب، ولأن أهل الكتاب يتمسكون بشريعة في الجملة، فكان يجب موافقتهم ليتألفهم ولو أدت موافقتهم إلى مخالفة أهل الأوثان، فلما أسلم أهل الأوثان الذين معه والذين حوله، واستمر أهل الكتاب على كفرهم، تمحضت المخالفة لأهل الكتاب، قوله ثم فرق بعد في رواية معمر، ثم أمر بالفرق ففرق، وكان الفرق آخر الأمرين، ومما يشبه الفرق والسدل صبغ الشعر وتركه كما تقدم^(١) ومنها صوم عاشوراء، ثم أمر بنوع مخالفة لهم فيه بصوم يوم قبله أو بعده، ومنها استقبال القبلة، ومخالفتهم في مخالطة الحائض، حتى قال اصنعوا كل شيء إلا الجماع، فقالوا ما يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه^(٢)) وتكون المحبة في الولاء والبراء مقام الاحتكم إليه، في مصداقية الولاء أو في صراحة البراء، وأوجه البراء التي عليها الاعتبار في الشرع، ما يلي:

- ١- البراء من الشرك وأهله، وقد أمر الشارع بدعوتهم إلى الإسلام.
- ٢- البراء من الكفر وأهله، وقد أمر الشارع بدعوتهم إلى الإسلام.
- ٣- البراء من النفاق ومن ثبت نفاقه من المنافقين، وقد أمر الشارع بمناصحتهم.
- ٤- البراء من البدع، وقد أمر الشارع بالحدز والتحذير منها ومناصحة أهلها.

وقد أوضحت سلفاً من أدلة أهل العلم، ما يبين مكان المحبة في تحقيق الولاء والبراء، عند بيان أنواع المحبة وأحكامها^(٣) ومنها محبة مع الله وهي أصل الشرك والكفر والنفاق. أما البدع في الدين، فقد حذر الله تعالى من البدعة في الدين؛ لأن الدين من عند الله، وقد أكمله سبحانه وتعالى على الوجه الذي رضىه للعالمين ديناً، قال الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٤) وحرم سبحانه الافتراء عليه وعلى رسوله ﷺ قال الله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ»^(٥) مَنَعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٥) وتعتبر البدعة في حقيقتها: أنها أمر مستحدث في الدين لا يقوم على دليل ولا برهان، بل تنبثق من اتباع الهوى واستحباب الصنيع الخدث، وهي افتتاح باب ضلالة وكل ضلالة في النار، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْدِرُ جَيْشٍ يَقُولُ «صَبَحَكُمْ وَمَسَّكُمْ

(١) من كلام المؤلف يرحمه الله.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٣٦١ - ٣٦٢.

(٣) المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

(٤) سورة المائدة : ٣.

(٥) سورة النحل: ١١٦ - ١١٧.

« وَيَقُولُ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ ». ثُمَّ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَا لَّا فَلَا هِلَّةَ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ »^(١). وهذه وصية النبي ﷺ للمسلمين في كل خطبة أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويجتنبوا المحدثات والبدع، ويؤكد على خطورة البدع ما تمثله من معنى الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، أو أن الرسول ﷺ لم يبلغ دين الله كاملا، ففيه رمية بالخيانة- نعوذ بالله من ذلك - وتشكيك الناس في دينهم، وكم من مريد للخير يضل طريقه إذا لم يسأل أهل العلم، عن عمر بن يحيى، قال: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا بَعْدُ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آتِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنَّ عَشْتَ فَسْتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، فَيَقُولُ: كَبُرُوا مِئَةً فَيَكْبُرُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ: هَلَّلُوا مِئَةً فَيَهْلَلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبَّحُوا مِئَةً فَيَسَبِّحُونَ مِئَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا، انْتَظَارَ رَأْيِكَ، أَوْ انْتَظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدُوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمَنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ فَوَقَّفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ فَعْدُوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَإِنَّا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَنِيتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُفْتَسِحُوا بِبَابِ ضَلَالَةٍ، قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا (أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)^(٢)، وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلَئِكَ الْحَلَقِ يُطَاعُونَا يَوْمَ النَّهْرِ وَأَنْ مَعَ الْخَوَارِجِ)^(٣).

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: ٢٠٤٢ (١١/٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: ٢٥٠٥ (١١٢/٣).

(٣) انظر: سنن الدارمي - باب كراهية أخذ الرأي، حديث رقم: ٢١٠ (٢٨٦/١). قال الألباني: و السياق للدارمي وهو أم، إلا أنه ليس عنده في متن الحديث: " يمرقون ... من الرمية ". وهذا إسناد صحيح.

فالأصل البراء من البدع ومناصحة أهلها، وألا يغتر المسلم برقة الفؤاد والتزهّد ومقدار البذل عندهم، أو ما هم عليه من الصيت والشهرة، بل عليه أن يجعل الدليل الشرعي هو الفاصل في الولاء والبراء دون غيره، وعن ابن المبارك^(١)، يَقُولُ: لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ أَنْ أَلْقَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَرَّرٍ^(٢)، لَأَخْتَرْتُ أَنْ أَلْقَاهُ ثُمَّ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ، كَانَتْ بَعْرَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ^(٣). وهو متروك في رجال الحديث لضعفه وقد وصف بالكذب والضعف (وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله إلا أنه يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم)^(٤).

(١) سبقت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٢) قال البخاري: عبد الله بن محمر العامري الجزري عن قتادة مُنْكَرَ الْحَدِيثِ. انظر التاريخ الأوسط للبخاري (٥٨٩/٣)

وعن حمدان بن علي الوراق أبي جعفر قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل عن عبد الله بن محمر فقال: ترك الناس حديثه. انظر: طبقات الخنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى (٣٠٩/١).

(٣) انظر: صحيح مسلم - المقدمة - باب الكشف عن معاييب رواة الحديث ونقله الأخبار وقول الأئمة في ذلك، حديث رقم: ٩٦ (٢١/١).

(٤) الضعفاء والمتروكين، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ، ج ٢، ص: ١٣٧.

المبحث الثاني: الفرائض والنوافل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَتِهِ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ^(١). إن هذا الحديث يشتمل على سببين من أهم الأسباب الموجبة لمحبة الله تعالى وهما: الفرائض والنوافل وفي مستوى التقديم والأفضلية في الأداء، من حيث الإيجاب الموصل لمحبة الله، فإن الفرائض هي المقدّمة والأفضل والأقوى في بلوغ المحبة، وبكثرة النوافل يبلغ العبد محبة الله أكثر، وتحقق الولاية للعبد بقدر أكبر، وعلى الوجه الأكمل، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين في شرح الأربعين النووية: (تتفاضل الأعمال من حيث الجنس، كما تتفاضل من حيث النوع، فمن حيث الجنس: الفرائض أحب إلى الله من النوافل، ومن حيث النوع: الصلاة أحب إلى الله مما دونها من الفرائض، ولهذا سأل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ: (أي الأعمال - العمل - أحب إلى الله ؟ فقال: (الصلاة على وقتها ^(٢)) فالأعمال تتفاضل في أجناسها، وتتفاضل أجناسها في أنواعها، بل وتتفاضل أنواعها في أفرادها، فكم من رجلين صليا صلاة واحدة، واختلفت مرتبتهما ومترلتهما عند الله، كما بين المشرق والمغرب ^(٣)) والفرائض والنوافل من أقسام الشريعة المعتمدة شرعا عند أهل الفقه والتأصيل، مثاله ما قاله البزدوي فيما أصّله، قال: (العزم: فهو القصد المتناهي في التوكيد، حتى صار العزم يمينا، وقال الله تعالى: (ولم نجد له عزما) أي لم يكن له قصد مؤكد في العصيان، وقال جل ذكره: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) ^(٤)) وأما الرخصة فتنبئ عن اليسر والسهولة يقال: رخص السعر، إذا تيسرت الإصابة لكثرة الأشكال وقلة الرغائب. والعزيمة: أربعة أقسام: فريضة وواجب وسنة ونفل، فهذه أصول الشرع، وإن كانت متفاوتة في أنفسها، أما الفرض: فمعناه التقدير والقطع في اللغة، قال الله تعالى: (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) ^(٥) أي قدرناها وقطعنا الأحكام فيها قطعا، والفرائض في الشرع، مقدرة لا تحتمل زيادة ولا نقصا، أي مقطوعة ثبتت بدليل لا شبهة فيه، مثل الإيمان والصلاة والزكاة والحج، وسميت مكتوبة، وهذا الاسم يشير إلى ضرب من التخفيف ففي التقدير والتناهي يسر، ويشير إلى شدة المحافظة والرعاية، وأما الواجب فإنما أخذ من

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب التواضع، حديث رقم: ٦٥٠٢ (١٠٥/٨).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم: ٢٦٤ (٦٣/١).

(٣) شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن عثيمين، الرياض: دار الفرياء، ط ٣، ١٤٢٥هـ، ص: ٤١١.

(٤) سورة الأحقاف: ٣٥ .

(٥) سورة النور: ١ .

الوجوب وهو السقوط، قال الله تعالى (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا)^(١) ومعنى السقوط أن ساقط علماً هو الوصف الخاص، فسمى به أول لما لم يفد العلم صار كالساقط عليه، لا كما يحمل. ويحتمل أن يؤخذ من الوجبة وهو الاضطراب، سمي به لاضطرابه، وهو في الشرع: اسم لما لزمنا بدليل فيه شبه، مثل تعيين الفاتحة، وتعديل الأركان، والطهارة في الطواف، وصدقة الفطر، والأضحية، والوتر.

والسنة معناها الطريق، والسنن: الطرق، ويقال: سن الماء إذا صبه، وهو معروف الاشتقاق، وهو في الشرع: اسم للطريق المسلك في الدين.

والنفل: اسم للزيادة في اللغة، حتى سميت الغنيمة نفلاً لأنها غير مقصودة، بل زيادة على ما شرع له الجهاد، وسمي ولد الولد نافلة لذلك.

وأما الفرض فحكمه الزوم علماً، وتصديقاً بالقلب، وهو الإسلام، وعملاً بالبدن، وهو من أركان الشرايع، ويكفر جاحده ويفسق تاركه بلا عذر، وأما حكم الوجوب فلزومه عملاً بمثلة الفرض، لا علماً على اليقين لما في دليله من الشبهة، حتى لا يكفر جاحده ويفسق تاركه، إذا استخف بأخبار الآحاد، فأما متأولاً فلا^(٢) وحقيقة المصطلحات يجب أن يعلم أنها أصبحت محل اجتهاد علماء أهل الأصول، وتم تحديد معالمها الشرعية، وتعريفاتها الأصولية، وفق مذاهب المؤصلين في الفقه، على اتفاق في الأصول واختلاف في الفروع. وفي هذا المبحث أُورِدَ ما دل عليه الكتاب والسنة بلفظ الحب الصريح على القيام بالفرائض والحث عليها في المطلب الأول ويليهما النوافل في المطلب الثاني.

(١) سورة الحج: ٣٦ .

(٢) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص: ٤٣٩ - ٤٤٠.

المطلب الأول: الفرائض

الفرائض في اللغة:

الفرائض في اللغة من (فرض) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الفاء والراء والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تأثيرٍ في شيء من حَزٍّ أو غيرِه. فالْفَرَضُ: الحَزُّ في الشيء. يقال: فَرَضْتُ الخَشْبَةَ. والحَزُّ في سِيَةِ القوسِ فَرَضٌ، حيث يقع الوتر. والفَرَضُ: الثَّقب في الزَّند في الموضع الذي يُقَدَح منه. والمَفَرَضُ: الحديدة التي يُحَزَّرُ بها. ومن الباب اشتقاق الفَرَض الذي أوجبه الله تعالى، وسمي بذلك لأن له معالمَ وحدوداً. ومن الباب الفُرْضة، وهي المَشْرَعَةُ في النَّهر وغيره، وسميت بذلك تشبيهاً بالحَزِّ في الشيء، لأنها كالحَزِّ في طَرْفِ النهر وغيره^(١)، وأورد الجوهري في الصحاح (وَفَرَضْتُ الرجلَ وأَفَرَضْتُهُ، إذا أعطيته. وقد فَرَضْتُ له في العطاء، وفَرَضْتُ له في الديوان. وَفَرَضَتِ البقرةُ تَفَرَضُ فُرُوضاً، أي كَبِرَتْ وطعنت في السن. ومنه قوله تعالى: (لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ)^(٢). وكذلك فَرَضَتِ البقرةُ تَفَرَضُ بالضم فَرَاضةً. والفَارِضُ والفَرَضِيُّ: الذي يعرف الفرائض. والفَارِضُ: الضخمُ من كلِّ شيء. وَفَرَضَ اللهُ علينا كذا وافْتَرَضَ، أي أوجب. والاسمُ الفريضةُ)^(٣) وفي لسان العرب لابن منظور ((فرض (فرضت الشيء أفرضه فرضاً وفرضته للتكثير أوجبته، وقوله تعالى: (سورة أنزلناها وفرضناها) ويقرأ وفرضناها فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه ألزمناكم العمل بما فرض فيها، ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين: أحدهما على معنى التكثير على معنى إنا فرضنا فيها فُرُوضاً، وعلى معنى بيننا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام والحدود، وقوله تعالى: قد فرض الله لكم تحلةً أيمانكم أي بينها، وافترضه كفرضه والاسم الفريضة وفرائض الله حدوده التي أمر بها ونهى عنها، وكذلك الفرائض بالميراث والفارض والفرضي الذي يعرف الفرائض ويسمى العلم بقسمة الميراث فرائض^(٤))

الفرائض في الاصطلاح الشرعي:

إن رسالة الإسلام شريعة جامعة، الدين فيها قائم على أركان وفرائض، وخصت كل جوانب الحياة بحدود تكفل الحياة الكريمة للناس، وتصل بهم إلى درجة الكمال في كل زمان ومكان، وهذا البناء لا يقوم ما لم تستقم أركانه، وما لم تصن حدوده، وكذلك كل فريضة لها أركان وحدود، عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٤. ص: ٤٨٨.

(٢) سورة البقرة: ٦٨.

(٣) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٣٢١.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (فرض). ج ٧، ص: ٢٠٢.

وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها^(١) حديث حسن. رواه الدار قطني وغيره. وفي الصحيحين عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والحج، وصوم رمضان)^(٢). فالركن في الدين عرفه المروزي بقوله مفارقاً بينه وبين السبب: (وأما الركن هو ما يلزم من عدمه العدم، ومن وجوده الوجود، مع كونه داخلاً في الماهية "فهو يخالف السبب، من حيث إن السبب خارج عن الماهية، أما الركن فهو داخل فيها - ويتفق الركن مع السبب، من حيث إن كلا منهما يؤثر بطرفي الوجود والعدم)^(٣) وعليه فإن الصلاة ركن من أركان الإسلام فمن تركها فقد كفر، فالمرء لا يكون مسلماً ما لم يكن مصلياً، فهي ركن في الإسلام وفعلها شرط وسبب من أسبابه.

والفرائض هي الواجبات التي أوجبها الله تعالى على عباده، وثبتت بأدلة قطعية، وأنها يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وهي في المقام الأول من العبادات، وبذلك عرفه أهل الأصول، وصفه الجصاص^(٤) بشرطين، بقوله: (بما كان في أعلى مراتب اللزوم، والثبوت). فالفرض هو اللازم والثابت في أعلى درجات الثبوت واللزوم، وقد ثبت أن الإمام البخاري يرحمه الله يرى أنهما - الواجب والفرض - في معنى واحد أي الفرائض هي الواجبات، قرر الإمام البخاري أن الزكاة واجبة فقال: ((باب وجوب الزكاة)) واستدل على ذلك بحديث: "أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم". واستدل البخاري بقوله (افترض) على الوجوب يدل على أنه يرى ترادفهما. كما يرى الإمام البخاري أن قيام الليل ليس واجباً فقال: ((باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب)). واستدل على ذلك بما ورد أن النبي ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم، وقال عن صلاة الليل: "لم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم". فاستدل بالنصوص الواردة بنفي الفرضية على نفي الوجوب، مما يدل على أنه يرى أنهما بمعنى واحد. وقرر الإمام البخاري وجوب صوم رمضان فقال: ((باب وجوب صوم رمضان)). واستدل على ذلك بما ورد في فرضية صوم رمضان فلما سأل الأعرابي رسول الله ﷺ: أخبرني بما فرض الله علي من الصيام. قال: "شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً"، وقال ابن عمر: "صام

(١) انظر: سنن الدارقطني - كتاب النذور، حديث رقم: ٤٣٩٦ (٣٢٥/٥). ضعفه الألباني في تحقيق رياض الصالحين .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب دعاؤكم إيمانكم، حديث رقم: ٨ (١١/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، حديث رقم: ١٢١ (٣٤/١).

(٣) قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ١، ص: ١٠١.

(٤) الفصول في الأصول، الإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية دولة الكويت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ٣، ص: ٢٣٦.

النبي ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك، وقالت: عائشة: أمر رسول الله ﷺ بصيامه - عاشوراء - حتى فرض رمضان". ومن قراءة هذا التبويب عند الإمام البخاري مقارنة مع الأدلة قرأ العلماء مما سبق ما يوضح أن الإمام البخاري يرى ترادف كلمتي (الواجب والفرض). ولا شك أن الفرائض أحق في القيام بها من النفل وأفضل في الثواب والأجر، نقل السيوطي في الأشباه والنظائر: (قال إمام الحرمين: قال الأئمة: خص الله نبيه ﷺ بإيجاب أشياء لتعظيم ثوابه، فإن ثواب الفرائض يزيد على ثواب المنسوبات بسبعين درجة و تمسكوا بما رواه سلمان الفارسي عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ قال في شهر رمضان من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) ^(١)؛ فقابل النفل فيه بالفرض في غيره، وقابل الفرض فيه بسبعين فرضاً في غيره، فأشعر هذا بطريق الفحوى أن الفرض يزيد على النفل سبعين درجة) ^(٢) وعن صهيب أنه سمع من أبي هريرة ومن أبي سعيد، يقولان: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكب، فأكب كل رجل منا يبكي، لا يدري على ماذا حلف، ثم رفع رأسه في وجهه البشري فكانت أحب إلينا من حمر النعم، ثم قال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الموبقات السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، وقيل له: ادخل بسلام» ^(٣). وهذا الحديث رغم ضعفه، فإن أركان الإسلام الخمسة من أسباب الفلاح ودخول الجنة، فمن أداها على الوجه الشرعي المطلوب كانت له نجات يوم القيامة، وهذا هو الأصل في الدعوة حيث أول ما يدعو الداعية إلى القيام بالفرائض، عن طلحة بن عبيد الله عليه السلام يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل، عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان قال هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة قال هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع قال فادبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص قال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق ^(٤). فإن أداء الفرائض وما يلحقها من التطوع من جنسها كالصلاة ومعها السنن الرواتب، وكصوم رمضان ومعها ست من شوال عدا يوم العيد، وكزكاة المال المفروضة ومعها صدقات عامة، وكأداء فريضة الحج ومعها حججات

(١) انظر: صحيح ابن خزيمة - باب فضائل شهر رمضان، رقم الحديث: ١٨٨٧ (٣/١٩١). وانظر: الدعوات الكبير للبيهقي، حديث رقم ٥٣٢: (٢/١٥١) وضعفه الألباني.

(٢) الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ص: ١٤٥.

(٣) انظر: سنن النسائي - كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة، حديث رقم: ٢٢٢٩ (٦/٣). وضعفه الألباني.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الزكاة من الإيمان، حديث رقم: ٤٦ (١٨/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، حديث رقم: ١٠٩ (٣١/١).

آخر في العمر، كل ذلك من الخير الذي يعين المسلم على الاستقامة، والنجاة يوم القيامة، قال الله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ صَالِحٍ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُ كَنُتُوبٌ) ^(١) والحساب يوم القيامة بالحسنات والسيئات والله غفور رحيم، وكما ورد في السنة يكون الحساب أولاً على الفرائض، والنوافل متممة لها، كلما نقصت فريضة في الأجر قال الله تعالى: (انظروا هل لعبدي من تطوع) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ، قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَأْتَكُنَّ وَهُوَ أَعْلَمُ: انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ» ^(٢) ونعلم من ذلك أن الفرائض والنوافل من موجبات محبة الله تعالى. وفي هذا المطلب أورد ما دل عليه الكتاب والسنة بلفظ الحب الصريح على القيام بالفرائض، والحث عليها ويليها النوافل في المطلب الثاني.

أولاً: فرائض الطهارة:

طهارة المسلم المادية في بدنه وثوبه ومكانه ترتبط بعبادته لله سبحانه، وذات اعتبار متكرر في الصلاة من أمرين: الوضوء والغسل، وقد حث الله تعالى عليها ببيان محبته لأهلها، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ) ^(٣) وقال الله تعالى: (لَمَسْجِدُ أُيُسُ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) ^(٤). فقد أثنى الله تعالى على المتطهرين، وقد فازوا بمحبة الله تعالى (عن عطاء: "إن الله يحب التوابين" قال التوابين من الذنوب "ويحب المتطهرين"، قال المتطهرين بالماء للصلاة) ^(٥) ومما ورد في الوضوء والغسل بلفظ الحب الصريح روايتين نقف على معنى الحب فيهما وفق ما يلي:

(١) الوضوء:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدْ مَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَفَيْنِ، فَاسْأَلُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَسَحَ: قَبْلَ نَزُولِ الْمَائِدَةِ، أَوْ بَعْدَ الْمَائِدَةِ؟ وَاللَّهُ مَا مَسَحَ بَعْدَ الْمَائِدَةِ، وَلَئِنْ أَمْسَحَ عَلَى ظَهْرِ

(١) سورة الأنبياء : ٩٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة- باب قول النبي ﷺ كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه، حديث رقم: ٨٦٤ (١/٣٢٢). وصححه الألباني.

(٣) سورة البقرة : ٢٢٢.

(٤) سورة التوبة : ١٠٨.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٣٩٥.

عَابِرٍ بِالْفَلَاقَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْسَحَ عَلَيْهِمَا^(١). وقد رد أهل العلم هذا القول لضعفه ومعارضته لحديث في الصحيحين وثبوت خلافه عن ابن عباس أنه مسح، وقول ابن عباس بنسخ حكم المسح على الخفين بعد نزول سورة المائدة التي فيها صفة الوضوء والأمر به، معارض للحديث المتفق عليه، حديث عبد الله بن جرير وغيره من الأحاديث الصحيحة ووضعت هذه الرواية عند العلماء محل ضعف لا يعتد بها للأحاديث الصحيحة، ولثبوت فعله رضي الله عنه المناقض لها.

وإن من أحكام الفقه المتفق عليها بين أهل الملة، ومن أصول الدين، أن الوضوء شرط لصحة الصلاة، عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: (لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه)^(٢) وبه طهارة في البدن، وبه طهارة الإنسان من الذنوب، وهو من الطاعات المقربة إلى الله تعالى، وقد وصفه سبحانه في كتابه الكريم وأمر المؤمنين به في قوله تعالى: (يَتَأَيُّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا) وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(٣) فمن أركانه غسل الرجلين إلى الكعبين. ويغني عن ذلك المسح على الخفين حال لبسهما على طهارة، رفعاً للحرَج ويسراً في الدين، حسب الضوابط الفقهية الملازمة لكل حال في حاله، وعمومها في المدة: يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام لبلاليهن للمسافر. عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًا بِمَا يَفْعَلُ، فَقُلْتُ: حَكٌّ فِي نَفْسِي مِنَ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ، فَهَلْ حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا فِيهِ، قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا إِذَا سَافَرْنَا أَمَرْنَا أَنْ لَا نَخْلَعَ خِفَافَنَا ثَلَاثًا، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ، فَقُلْتُ: هَلْ حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْهُوَى شَيْئًا؟ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَتَدَاوَاهُ رَجُلٌ كَانَ فِي أُخْرِيَاتِ الْقَوْمِ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْورِيٌّ، أَعْرَابِيٌّ جِلْفٌ جَافٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَهْ، فَإِنَّكَ قَدْ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٩٧٥ (١٢٣/٥). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف وصح عن النبي ﷺ أنه مسح بعد المائدة كما في البخاري ومسلم وصح عن ابن عباس أنه مسح فقد أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس: أنه مسح. وأخرج أيضاً عن عبد الله بن إدريس عن فطر، قال: قلت لعطاء: (يعني ابن أبي رباح) إن عكرمة يقول قال ابن عباس: سبق الكتاب الخفين فقال عطاء: كذب عكرمة، أنا رأيت ابن عباس يمسح عليهما وهذا إسناد صحيح. وأخرج هو والبيهقي عن موسى بن سلمة قال سألت ابن عباس عن المسح على الخفين فقال للمسافر ثلاثة أيام ولباليهن وللمقيم يوم وليلة. واللفظ للبيهقي وقال: هذا إسناد صحيح.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب التسمية على الوضوء، حديث رقم: ١٠٢ (٣٧/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها - باب ما جاء في التسمية في الوضوء، حديث رقم: ٣٩٧ (٤٢٩/١). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٩٤١٨ (٢٤٣/١٥).

(٣) سورة المائدة: ٦.

نُهِيتَ عَنْ هَذَا، فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَحْوٍ مِنْ صَوْتِهِ: هَاؤُمْ أَوْ هَاؤُ فَقَالَ لَهُ: الرَّجُلُ يُحِبُّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ: هُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ قَالَ: زَرَّ، فَمَا بَرَحَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى حَدَّثَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ، لَا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} إِلَى قَوْلِهِ {إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} (١). وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَمَّامٍ قَالَ: بَالَ جَرِيرٌ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقِيلَ: تَفْعَلُ هَذَا. فَقَالَ: نَعَمْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ. قَالَ الْأَعْمَشُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ (٢) جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ. (٣) ولقد ثبت نزول آية الوضوء في غزوة المريسيع (غزوة بني المصطلق) في السنة السادسة من الهجرة، بينما ثبت مسحه ﷺ على الخفين في غزوة تبوك من السنة التاسعة للهجرة، ومن قواعد النسخ والمنسوخ أن المتقدم لا ينسخ المتأخر.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم، عند حديث عبد الله بن جرير البجلي رضي الله عنه، في المسح على الخفين، قال: (أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر، سواء كان حاجة أو لغيرها، حتى يجوز للمرأة الملازمة بيتها، والزمن الذي لا يمشى، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج، ولا يعتد بخلافهم، وقد روى عن مالك رحمه الله تعالى روايات فيه، والمشهور من مذهبه كمذهب الجماهير، وقد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمسح على الخفين، وقد بينت أسماء جماعات كثيرين من الصحابة الذين روه في شرح المذهب، وقد ذكرت فيه جملاً نفيسة مما يتعلق بذلك وبالله التوفيق، واختلف العلماء في أن المسح على الخفين أفضل أم غسل الرجلين؟ فذهب أصحابنا (٤) إلى أن الغسل أفضل لكونه الأصل، وذهب إليه جماعات من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم، وذهب جماعات من التابعين إلى أن المسح أفضل، وذهب إليه الشعبي والحكم وحماد وعن أحمد روايتان أصحهما المسح أفضل، والثانية هما سواء، واختاره

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب في فضل التوبة والاستغفار، حديث رقم: ٣٥٣٦ (٥/٥٤٦). وانظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٠٩١ (١١/٣٠). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث المسح على الخفين منه صحيح لغيره.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده. قَالَ جَرِيرٌ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ اتَّخَذْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْتِي، ثُمَّ لَبَسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ قَالَ: فَقُلْتُ لِحَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَلْ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِي شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ فَقَالَ: إِنَّهُ سَيَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلَا وَإِنَّ عَلِيَّ وَجْهَهُ مَسْحَةٌ مَلَكٌ قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. انظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٦٨١٧ (٧/٢٦٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح الإسناد. وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "أَسَلَمْتُ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا". انظر: مشكل الآثار (٦/٢٩٩).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب المسح على الخفين، حديث رقم: ٦٤٥ (١/١٥٦).

(٤) أصحاب المذهب الشافعي.

ابن المنذر والله أعلم. قوله (كان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة)، معناه أن الله تعالى قال في سورة المائدة: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم. فلو كان إسلام جرير متقدما على نزول المائدة لاحتمل كون حديثه في مسح الخف منسوخا بآية المائدة، فلما كان إسلامه متأخرا علمنا أن حديثه يعمل به، وهو مبين أن المراد بآية المائدة غير صاحب الخف؛ فتكون السنة مخصصة للآية والله أعلم^(١) وقد صرح جمع من الحفاظ وأهل العلم بأن المسح على الخفين متواتر، وثبت لديهم سندا ومتنا. وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين، منهم العشرة المبشرون بالجنة.

(٢) الغسل:

عَنْ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّهَا اسْتُحِيضَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: إِنِّي اسْتُحِضْتُ حَيْضَةً مُنْكَرَةً شَدِيدَةً. قَالَ لَهَا: «اِحْتَشِي كُرْسُفًا»^(٢) قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ. إِنِّي أَتُحُّ ثَجًا. قَالَ: « تَلَجِّمِي وَتَحْيِضِي فِي كُلِّ شَهْرٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ اغْتَسِلِي غُسْلًا، فَصَلِّيْ وَصُومِي ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ، أَوْ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ. وَأَخْرِي الظُّهْرَ وَقَدِّمِي الْعَصْرَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَأَخْرِي الْمَغْرِبَ وَعَجِّلِي الْعِشَاءَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَهَذَا أَحَبُّ الْأَمْرَيْنِ إِلَيَّ »^(٣).

وفي أحكام حيض النساء أن الدماء التي تخرج من الفرج ثلاثة: دم حيض ويخرج حال الصحة سبعة أيام كل شهر على حال الغالب من النساء، وبه البلوغ إلى سن اليأس، ودم استحاضة وهو الخارج من المرأة في حال المرض لقوله ﷺ: (إنما ذلك عرق وليس بالحیضة)^(٤)، ودم نفاس وهو الخارج مع الولد وكل من هذه الدماء لها حكم خاص به في الشريعة، ويتميز دم الحيض عن دم الاستحاضة بلونه وشدته ورائحته الكريهة، وخلال مدة الحيض المعتبرة شرعا تمتنع المرأة عن الصلاة والصيام والجماع والطواف بالبيت ومس المصحف على قول من قال في قوله تعالى (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)^(٥) أي القرآن الكريم وليس اللوح المحفوظ، وفي حديث حمنة السابق توجيه كريم من النبي ﷺ المشرع عن ربه للمستحاضة على غير عادة النساء في الحيض بسبب مرض أو عرق بعدة أحكام:

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٣، ص: ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) (كرسف) الكُرسُفُ القُطن وهو الكُرسُوف واحدته كُرسُفة. انظر لسان العرب لابن منظور (٢٩٧/٩).

(٣) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها - باب ما جاء في البكر إذا ابتدئت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنيستها، حديث رقم: ٦٢٧ (١/٦٦٠). وانظر: مسند الإمام أحمد - من مسند القبائل، حديث رقم: ٢٧١٤٤ (٤٥/١٢١). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحيض - باب الاستحاضة، حديث رقم: ٣٠٦ (١/٦٨). وانظر صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب المستحاضة وغسلها وصلاتها، حديث رقم: ٧٧٩ (١/١٨٠).

(٥) سورة الواقعة : ٧٩ .

أ) تقدير مدة الحيض بستة أو سبعة أيام من الشهر، والالتزام بما يمنع فيها شرعا. ومن ثم القيام بالمشروعات في بقية الشهر.

ب) جواز جمع صلاتي الظهر والعصر، جمع تقديم أو تأخير، وكذلك صلاتي المغرب والعشاء مع الغسل لكل فريضة في حال الجمع، وهذا من يسر الدين في أحكامه، ومراعاة أحوال المكلفين، ومنه قول حمزة رضي الله عنها: (هذا أحب الأمرين إلي) أي الجمع والغسل لكل صلاتين بدل الغسل لكل صلاة. قال القرطبي في تفسيره: (وصفة غسل الحائض صفة غسلها من الجنابة، وليس عليها نقض شعرها في ذلك، لما رواه مسلم^(١) عن أم سلمة قالت قلت: يا رسول الله، إني أشد ضفر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: " لا إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين " وفي رواية: أفأنقضه للحيضة والجنابة؟ فقال: " لا " زاد أبو داود: " واغمزي قرونك عند كل حفة " ^(٢) وقال أيضا: (وقال جمهور العلماء: المستحاضة تصوم وتصلي وتطوف وتقرأ، ويأتيها زوجها. قال مالك: أمر أهل الفقه والعلم على هذا، لأن كان دمها كثيرا، رواه عنه ابن وهب. وكان أحمد يقول: أحب إلي ألا يطأها إلا أن يطول ذلك بها) ^(٣)

ج) الغسل في عمومته من المستحبات الشرعية، وفي أحكام العبادات واجب وسنة. قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في شرحه ل زاد المستقنع: (قوله: « وَيُسْتَحَبُّ غُسْلُهَا لِكُلِّ صَلَاةٍ » أي غُسل المستحاضة لوقت كل صلاة؛ لا لفعل كل صلاة. والدليل على ذلك: أمره ﷺ بذلك^(٤). وهذا إذا قويت أن تغتسل لكل صلاة، وإلا فإنها تجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فبدلاً من أن تغتسل خمس مرّات تغتسل ثلاث مرّات، مرّة للظهر والعصر، ومرّة للمغرب والعشاء، ومرّة للفجر. وهذا الاغتسال ليس بواجب، بل الواجب ما كان عند إدار الحيض، وما عدا ذلك فهو سنة. وفيه فائدة من الناحية الطبية، لأنه يوجب تقلص أوعية الدّم، وإذا تقلصت انسدت، فيقلّ التّزيف، وربما ينقطع بهذا الاغتسال؛ لأنّ دم الاستحاضة دم عرق، ودم العرق يتجمّد مع البرودة)^(٥)

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب حكم صفات الغسلة، حديث رقم: ٧٧٠ (١/١٧٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٩٠.

(٣) المرجع السابق: ج ٣، ص: ٨٦.

(٤) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ اسْتَحِضَتْ سَعًى سَنِينَ فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَغْتَسِلَ فَقَالَ هَذَا عِرْقٌ فَكَأَنَّكَ تَغْتَسِلُ لِكُلِّ صَلَاةٍ. رواه البخاري.

(٥) الشرح المنع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص: ٥٠٦.

ثانياً: فرائض الصلاة:

فرضت الصلاة في السماء حال معراج النبي ﷺ ليلة الإسراء، وقد عرف أمرها وعظيم قدرها في شعائر الدين بأدلة الكتاب والسنة، وأنها الركن الثاني من أركان الإسلام، وقد فرضت خمسين صلاة في اليوم والليله وخففها الله تعالى إلى خمس صلوات بطلب النبي ﷺ وبقيت في الأجر خمسين، قال ابن حزم^(١) و أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً - قَالَ - فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ - قَالَ - قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَاغَ رَبُّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ - قَالَ - فَرَاغَتْ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ رَاغَ رَبُّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ - قَالَ - فَرَاغَتْ رَبِّي فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ - قَالَ - فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاغَ رَبُّكَ. فَقُلْتُ قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي - قَالَ - ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَعَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ - قَالَ - ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»^(٢). ومما علم من الدين بالدليل أن الصلاة من أعظم القربات وأجل الطاعات، وهي من الموجبات لمحبة الله تعالى للعبد فهي من الفرائض، في خمس أوقات من اليوم والليله، ومن النوافل في أوقات متعددة، ولا يجهل المسلم ذلك، بل إن تعلمها وفقهها من أوجب الواجبات، وكانت قرة عين النبي ﷺ ومحبة إليه، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: « قال لي جبريل عليه السلام: إنه قد حُبب إليك الصلاة، فخذ منها ما شئت »^(٣). وأعطاه الله تعالى القبله التي كان يحبها، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ - شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ)^(٤) فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمْ الْيَهُودُ - (مَا وَلَنَهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(٥) فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَمَا صَلَّى فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ. فَتَحَرَّفَ الْقَوْمُ حَتَّى تَوَجَّهُوا

(١) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، كان على قضاء المدينة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ولاه إمرة المدينة، عن امرأة أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أنها قالت: ما اضطجع أبو بكر على فراشه منذ أربعين سنة بالليل، توفي أبو بكر في سنة عشرين ومائة وهو ابن أربع وثمانين سنة رحمه الله. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي (١٣٢/٣). من محدثي أهل المدينة. كان ثقة كثير الحديث.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصلاة- باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، حديث رقم: ٣٤٩ (٧٩/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة، حديث رقم: ٤٣٣ (١٠٢/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٠٥ (٨٣/٤). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٤) سورة البقرة: ١٤٤.

(٥) سورة البقرة: ١٤٢.

نحو الكعبة»^(١). وقد تعلمها المسلمون من النبي ﷺ وتواترت قولاً وفعلاً، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذَنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤْمَكُمُ أَكْبَرُكُمْ)^(٢). وقد فصل أهل الفقه في كتبهم قديماً وحديثاً ما خصت به من الفضل، والشروط والأركان والواجبات والسنن، وما يبطلها وما يكره فيها، وكان ﷺ حريصاً على تعليمها فأمر بالطمأنينة فيها كما في حديث^(٣) المسيء صلاته، المتفق عليه، فأمره بالإعادة لها ثم علمه، وكذلك يوجه الصحابة رضي الله عنهم لتصحيح الوضع، في كل ما يخرج عن أصلها، من الطهارة والخشوع والذكر، وذلك من حبه لها وحبه لهم، عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: قال (لي) رسول الله: «يا عليُّ، أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، وَأَكْرَهُ لَكَ مَا أَكْرَهُ لِنَفْسِي، لَا تُفْعَلْ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ»^(٤).

والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم الفقهاء: يكرهون الإقعاء^(٥).

وهكذا حرص السلف رحمهم الله تعالى على العمل بما فيها من الفرائض والسنن وتحري السنة حتى في أوقاتها، عن ابن جريج قال: (قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَيُّ حِينَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُصَلِّيَ الْعِشَاءَ الَّتِي يَقُولُهَا النَّاسُ الْعَتَمَةَ إِمَامًا وَخَلَوْا؟ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: أَعْتَمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةِ الْعِشَاءِ - قَالَ - حَتَّى رَقَدَ نَاسٌ وَاسْتَيْقَظُوا وَرَقَدُوا وَاسْتَيْقَظُوا فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: الصَّلَاةُ. فَقَالَ عَطَاءٌ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَخَرَجَ

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب التوجه نحو القبلة، حديث رقم: ٣٩٩ (٨٨/١).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٦٠٠٨ (٩/٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، حديث رقم: ٧٥٧ (١٥٢/١).

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء في كراهية الإقعاء في السجود، حديث رقم: ٢٨٢ (٧٢/٢). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٤٤ (٤٠٢/٢). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: هذا إسناد ضعيف.

(٥) (قعو) القاف والعين والحرف المعتل فيه كلمات لا قياس لها. وأَفْعَى الرَّجُلُ فِي مَجْلِسِهِ، إِذَا تَسَانَدَ كَمَا يُقْعِي الْكَلْبُ. ويُهَيَّ عَنْ الإقعاء في الصلاة. وذكر ابنُ دُرَيْدٍ: امرأةٌ قَعَوَاءُ: دَقِيقَةُ السَّاقَيْنِ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٧/٥) وأما أهل اللغة فالإقعاء عندهم أَنْ يُلْصِقَ الرَّجُلُ أَلْيَتَهُ بِالْأَرْضِ وَيَنْصِبَ سَاقِيهِ وَفَخَذِيهِ وَيَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يُقْعِي الْكَلْبُ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَهُوَ أَشْبَهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٩١/١٥).

أما عند الفقهاء، فهو على أوضاع عدة، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: الإقعاء هُوَ أَنْ يُلْصِقَ أَلْيَتَهُ بِالْأَرْضِ، وَيَنْصِبَ عَلَى سَاقِيهِ، وَيَضَعُ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الإقعاء جُلُوسُ الْإِنْسَانِ عَلَى أَلْيَتَيْهِ نَاصِبًا فَخَذِيهِ مِثْلَ إقعاءِ الْكَلْبِ وَالسَّعْيِ، قَالَ الشَّيْخُ: وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الإقعاء غَيْرُ مَا رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ، وَهَذَا مِنْهُي عَنْهُ، وَمَا رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ مَسْنُونٌ، وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الْجَوَزَاءِ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ عَقَبِ الشَّيْطَانِ، وَكَانَ يَفْرُشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَارِدًا فِي الْجُلُوسِ لِلتَّشَهُدِ الْآخِرِ فَلَا يَكُونُ مُتَأَفِّيًا لِمَا رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ فِي الْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انظر: السنن الكبرى للبيهقي، مذيّل بالجواهر النقي لعلاء الدين علي المارديني (المعروف بابن الترمكاني) (١٢٠/٢)، عن طاووس، يَقُولُ: قُلْنَا لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي الإقعاء عَلَى الْقَدَمَيْنِ فَقَالَ هِيَ السُّنَّةُ. فَقُلْنَا لَهُ إِنَّا لَنَرَاهُ جَفَاءً بِالرَّجُلِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَلْ هِيَ سُنَّةُ نَبِيِّكَ ﷺ. انظر: صحيح مسلم - كتاب المساجد - باب جواز الإقعاء على العقبين، حديث رقم: ١٢٢٦ (٧٠/٢).

نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ الْآنَ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى شِقِّ رَأْسِهِ قَالَ « لَوْلَا أَنِ يَشُقَّ عَلَى أُمْتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوهَا كَذَلِكَ ». قَالَ فَاسْتَشَبْتُ عَطَاءً كَيْفَ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ كَمَا أَتْبَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَبَدَّدَ لِي عَطَاءً بَيْنَ أَصَابِعِهِ شَيْئًا مِنْ تَبْدِيدِ ثُمَّ وَضَعَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ عَلَى قَرْنِ الرَّأْسِ، ثُمَّ صَبَّهَا يُمِرُّهَا كَذَلِكَ عَلَى الرَّأْسِ، حَتَّى مَسَّتْ إِنْهَامَهُ طَرَفَ الْأُذُنِ مِمَّا يَلِي الْوَجْهَ، ثُمَّ عَلَى الصَّدْغِ، وَنَاحِيَةِ اللَّحْيَةِ لَا يُقَصِّرُ وَلَا يَنْطُشُ بِشَيْءٍ إِلَّا كَذَلِكَ. قُلْتُ لِعَطَاءٍ: كَمْ ذَكَرَ لَكَ أَخْرَها النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لَا أَذْرِي. قَالَ عَطَاءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصْلِيهَا إِمَامًا وَخَلَوًا مُؤَخَّرَةً كَمَا صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِيَلْتَمِذَ فَإِنْ شَقَّ عَلَيْكَ ذَلِكَ خَلَوًا أَوْ عَلَى النَّاسِ فِي الْجَمَاعَةِ وَأَنْتَ إِمَامُهُمْ فَصَلَّاهَا وَسَطًا، لَا مُعَجَّلَةً وَلَا مُؤَخَّرَةً^(١). وأداء الصلاة جماعة في المسجد هو الأصل في فعل الرسول ﷺ و الصحابة والتابعون والمسلمون بعدهم، وقد أوجبه كثير من الفقهاء بأدلته الواضحة، هكذا في زاد المستقنع، قال المؤلف رحمه الله في صلاة الجماعة: (وتلزم الرجال للصلوات الخمس لا شرط وله فعلها في بيته)^(٢) هذا هو المشهور في مذهب الحنابلة وهو مذهب أكثر السلف، قال الإمام ابن القيم: (هل تصح صلاة من صلى وحده وهو يقدر على الصلاة جماعة أم لا ؟ فهذه المسألة مبنية على أصلين أحدهما: أن صلاة الجماعة فرض أم سنة ؟ وإذا قلنا هي فرض فهل هي شرط لصحة الصلاة أم تصح بدونها مع عصيان تاركها ؟ فهاتان مسألتان، أما المسألة الأولى فاختلف الفقهاء فيها، فقال بوجوبها عطاء ابن أبي رباح والحسن البصري وأبو عمر الأوزاعي وأبو ثور والإمام أحمد في ظاهر مذهبه)^(٣).

وذهب الشافعية إلى أنها فرض كفاية. قال الإمام الشافعي: (فَلَا أَرْخِصُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي تَرْكِ إِيْتَانِهَا إِلَّا مِنْ عُذْرٍ)^(٤)

وذهب المالكية إلى أنها سنة مؤكدة. قال محمد القروي المالكي: (صلاة الجماعة في الجمعة شرط صحة، وفي الفرض العيني والفرض الكفائي وصلاة العيد والكسوف والاستسقاء سنة، وفي التراويح مندوبة)^(٥) وذهب الأحناف إلى أنها سنة مؤكدة واجبة، وفي حاشية رد المحتار (وهو أن صلاة الجماعة واجبة على الراجح في المذهب أو سنة مؤكدة في حكم الواجب)^(٦)

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب وقت العشاء وتأخيرها، حديث رقم: ١٤٨٤ (١١٧/٢).

(٢) زاد المستقنع في اختصار المقنع، شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي، تحقيق: عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر، الرياض: دار الوطن، ج ١، ص: ٥٣.

(٣) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٦ هـ، ص: ١٣٦.

(٤) الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ١، ص: ١٥٤.

(٥) الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية، محمد العربي القروي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: ١٠١.

(٦) حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، ابن عابد محمد علاء الدين أفندي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١ هـ، ج ١، ص: ٤٥٧.

والصحيح ما ذهب إليه الحنابلة وأكثر السلف على القول به وأدلته كثيرة. من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِحَطَبٍ يُحْتَطَبُ ثُمَّ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ثُمَّ أُمَرَ رَجُلًا فَيُؤَمُّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالَفَ إِلَى رَجُلٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ يَبُوتَهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرَقًا^(١) سَمِينًا، أَوْ مَرَمَاتَيْنِ^(٢) حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ^(٣). وثبت في صحيح مسلم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (أَنَاهُ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَجِدُ قَائِدًا يَقُودُنِي، فَرُخِصَ لَهُ فَلَمَّا وَلِيَ دَعَاهُ فَقَالَ: أَتَسْمَعُ النِّدَاءَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَأَجِبْ)^(٤) والأمر للوجوب. وكذلك من الأدلة على وجوب صلاة الجماعة ما استنبطه أهل العلم من صلاة الخوف بما وصفها الله تعالى في القرآن أو كما ورد من أوصافها في السنة حيث الأمر بإقامتها جماعة وهم في حال لقاء عدو وحرب وخوف فكان حال الأمن من باب أولى. عن صالح بن خوات بن جبير^(٥) عَمَّنْ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الرِّقَاعَ صَلَاةَ الْخَوْفِ: «إِنْ طَائِفَةٌ صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وَجَّاهُ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رُكْعَةً، ثُمَّ تَبَتِ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وَجَّاهُ الْعَدُوَّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْآخَرَى فَصَلَّى بِهِنَّ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ، ثُمَّ تَبَتِ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ سَلِمَ». قَالَ مَالِكٌ: وَهَذَا أَحَبُّ مَا سَمِعْتُ إِلَيَّ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ^(٦). فَإِنَّ مَقَامَ الصَّلَاةِ عَظِيمٌ لَدَى الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَكْفِي أَمَّا صَلَاةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ وَمَنَاجَاةٌ، وَأَوَّلُ مَا يَحَاسِبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَعَلَى نَتِيجَتِهَا صِلَاحُ الْأَعْمَالِ وَفَسَادُهَا، فَيَجِبُ عَلَى الدَّاعَا إِلَى اللَّهِ أَنْ يَضَعُوا الصَّلَاةَ فِي مَقَامِهَا الْعَظِيمِ مِنَ الدِّينِ، مِنْ حَيْثُ الْبَيَانُ لِأَحْكَامِهَا وَتَفْصِيلُ أَدَائِهَا وَالْحَقُّ عَلَى إِقَامَتِهَا كَمَا جَاءَتْ فِي السَّنَةِ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَوَّلَوِيَّاتِ مَوْضُوعَاتِ الدَّعَاةِ بَعْدَ الْعَقِيدَةِ، وَعَلَيْهَا مَدَارُ اسْتِقَامَةِ الْفِكْرِ وَالسَّلُوكِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)^(٧).

ثالثا: فرائض الزكاة:

(١) (عرق) العين والراء والقاف أربعة أصول صحيحة: أحدها الشيء يتوَلَّد من شيء كالتَّدَى والرُّشْع وما أشبهه. والآخر الشيء ذو السِّنِّ، فسِنَّهُ منقاسٌ من هذا الباب. والثالث كَشَطُ شيءٍ عن شيء، ولا يكاد يكون إلا في اللحم. والرَّابِعُ اصْطِفَافٌ وتَسَابُعٌ في أشياء. ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْأَصُولِ وَمَا يَقَارِبُهَا. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٣/٤).

(٢) المِرْمَاةُ: الظِّلْفُ، ظِلْفُ الشَّاةِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَقَالُ إِنَّ الرَّمَاتَيْنِ مَا بَيْنَ ظِلْفَيْ الشَّاةِ يَبْرِدُ بِهِ حَقَارَتُهُ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣٥/١٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأذان- باب وجوب صلاة الجماعة، حديث رقم: ٦٤٤ (١٣١/١).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، حديث رقم: ١٥١٨ (١٢٤/٢).

(٥) صالح بن خوات بن جبير الأنصاري المدني، روى عن أبيه وسهل بن أبي حنيفة وعنه ابنه خوات وعامر بن عبد الله بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم وثقه النسائي وغيره، تابعي جليل، وثقه أحمد وابن معين وجماعة مات بعد أربعين ومائة. انظر: إسماعيل المبطأ برجال الموطأ للسيوطي (١٣/١).

(٦) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة ذات الرقاع، حديث رقم: ٤١٢٩ (١١٣/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الخوف، حديث رقم: ١٩٨٥ (٢١٤/٢).

(٧) سورة العنكبوت: ٤٥.

فرضت الزكاة في المدينة. في السنة الثانية من الهجرة بعد فرض رمضان وفرض زكاة الفطر، وقرنت بالصلاة في القرآن الكريم في اثنين وثمانين موضعاً، قال الله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^(١)، وجعل الله تعالى ورسوله ﷺ الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة، فهي من الفرائض والقربات الموجبة لمحبة الله للعبد ومن أسباب الدخول في رحمته تعالى، قال الله تعالى: «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَتِ الرَّسُولُ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢) وهي طهرة للنفوس المؤمنة من الشح والقسوة، وطهرة للمال من ريب وغفلات الاكتساب، وهي نماء للمال بالبركة والزيادة، وما تؤدي إليه من معان صادقة، وقيم عظيمة، لها دور كبير في التكافل الاجتماعي، قال الله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^(٣) وقد فصل أهل الفقه من علماء الإسلام، مواردها الشرعية ومصارفها وأوقاتها وأنصبتها ومقاديرها على ضوء أدلة الكتاب والسنة، وهي حق الله في المال وتجب في خمسة أصناف: النقدان: الذهب والفضة وما يحل محلها، والمعدن والركاز وعروض التجارة والزروع والثمار وبهيمة الأنعام السائمة، وهي على قسمين: ما كان فرضاً، ركناً واجباً، وما كان نفلاً، سنة مستحبة، والفرض يجب إخراجه فور بلوغ نصابه وتوافر شروطه ومقتضيات إخراجه لئلا يدرك الإنسان الأجل ويبقى غير معلوم وتبع على صاحبه، عن عتبة بن الحارث رضي الله عنه قال: «صلى بنا النبي ﷺ العصر فأسرع، ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج، فقلت - أو قيل - له فقال: كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيته، فقسمته»^(٤). وهي حق معلوم في المال يصرف تعبداً لله تعالى في مستحقيها، وهم أصناف ثمانية، بينها الله تعالى في قوله: «إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(٥) وكان السلف يخرجونها عن طيب نفس ومن أطيب أموالهم؛ لأنهم قد وقر في أنفسهم الإيمان وحب الآخرة، وجعلوا المال سبيلاً إلى بلوغ الجنة، عن سويد بن غفلة، قال: «سرت أو قال أخبرني من سار مع مُصَدِّقِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا تَأْخُذَ مِنْ رَاضِعِ لَبَنٍ، وَلَا تَجْمَعَ بَيْنَ مُفْتَرَقٍ وَلَا تُفَرِّقَ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ، وَكَانَ إِذَا يَأْتِي الْمِيَاهُ حِينَ تَرُدُّ الْغَنَمَ فَيَقُولُ: أَذُوا صَدَقَاتِ أَمْوَالِكُمْ. قَالَ: فَعَمَدَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءٍ. قَالَ قُلْتُ: يَا أَبَا صَالِحٍ مَا الْكَوْمَاءُ؟ قَالَ: عَظِيمَةُ السَّنَامِ. قَالَ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا. قَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ

(١) سورة البقرة: ١١٠.

(٢) سورة التوبة: ٩٩.

(٣) سورة التوبة: ١٠٣.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب من أحب تعجيل الصدقة من يومها، حديث رقم: ١٤٣٠ (١١٣/٢).

(٥) سورة التوبة: ٦٠.

تَأْخُذَ خَيْرَ إِبْلِي. قَالَ: فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا قَالَ: فَخَطَمَ لَهُ أُخْرَى دُونَهَا، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا. ثُمَّ خَطَمَ لَهُ أُخْرَى دُونَهَا فَقَبِلَهَا وَقَالَ: إِنِّي أَخَذْتُهَا وَأَخَافُ أَنْ يَجِدَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِي عَمَدْتُ إِلَى رَجُلٍ فَتَخَيَّرْتُ عَلَيْهِ إِبْلَهُ»^(١). وعن أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ فَلَمَّا جَمَعَ لِي مَالَهُ لَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا ابْنَةً مَخَاضٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَدَّ ابْنَةُ مَخَاضٍ فَإِنَّهَا صَدَقْتُكَ، فَقَالَ: ذَلِكَ مَا لَا لَبْنَ فِيهِ وَلَا ظَهَرَ وَلَكِنْ هَذِهِ نَاقَةٌ فَتِيَّةٌ عَظِيمَةٌ سَمِيَّةٌ فَخَذْتُهَا، فَقُلْتُ لَهُ مَا أَنَا بِأَخِذٍ مَا لَمْ أُؤْمَرْ بِهِ، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ قَرِيبٌ. فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَأْتِيَهُ فَتَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا عَرَضْتَ عَلَيَّ فافْعَلْ، فَإِنْ قَبِلَهُ مِنْكَ قَبِلْتَهُ وَإِنْ رَدَّهُ عَلَيْكَ رَدَدْتَهُ. قَالَ فَإِنِّي فَاعِلٌ، فَخَرَجَ مَعِيَ، وَخَرَجَ بِالنَّاقَةِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيَّ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَانِي رَسُولُكَ لِيَأْخُذَ مِنِّي صَدَقَةً مَالِي وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا قَامَ فِي مَالِي رَسُولُ اللَّهِ وَلَا رَسُولُهُ قَطُّ قَبْلَهُ فَجَمَعْتُ لَهُ مَالِي، فَزَعَمَ أَنْ مَا عَلَيَّ فِيهِ ابْنَةُ مَخَاضٍ، وَذَلِكَ مَا لَا لَبْنَ فِيهِ وَلَا ظَهَرَ، وَقَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ نَاقَةً عَظِيمَةً فَتِيَّةً لِيَأْخُذَهَا فَأَبَى عَلَيَّ وَهِيَ ذِهِ قَدْ جِئْتُكَ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْهَا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَلِكَ الَّذِي عَلَيْكَ فَإِنْ تَطَوَّعْتَ بِخَيْرٍ آجَرَكَ اللَّهُ فِيهِ وَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ. قَالَ فَهِيَ ذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ جِئْتُكَ بِهَا فَخُذْهَا. قَالَ: فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَبْضِهَا وَدَعَا لَهُ فِي مَالِهِ بِالْبَرَكَةِ»^(٢).

وأمر الزكاة في الإسلام من وظائف إمام المسلمين ونوابه في الجمع والإنفاق، وعليهم تقوم مهمة تحقيق المصلحة من فرضيتها، وقد حارب أبو بكر الصديق المرتدين ومانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقال قولته المشهورة لعمر رضي الله عنهما: عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا تُؤْفِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ: (وَاللَّهِ لَا قَاتِلَنَ مِنْ فَرَقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا) قَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ)^(٣)

وأمر النبي ﷺ معاذًا عندما بعثه إلى اليمن أن يأخذ الزكاة بما يوافق الحال المشروعة، وحذره من التخير من كرائم أموالهم، قال الإمام البخاري في صحيحه: باب لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، ثم ذكر الحديث، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى الْيَمَنِ

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب في زكاة السائمة، حديث رقم: ١٥٨١ (١/٢٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٨٣٧ (١٣٢/٣١). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب في زكاة السائمة، حديث رقم: ١٥٨٥ (١٦/٢). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة، حديث رقم: ١٤٠٠ (١٠٦/٢) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: ١٣٣ (٣٨/١).

قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً {تُؤْخَذُ} مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ ^(١)). وكذا رد رسول ﷺ من تخير الإبل المسنة من أموال الناس اجتهدا منه، في حلول دواعي حاجتها وأنها أجود في الجهاد في سبيل الله تعالى، عن جرير بن حازم ^(٢) قال: جلس إلينا شيخ في مكان أيوب، فسمع القوم يتحدثون فقال: حدثني مولاي عن رسول الله ﷺ. فقلت: ما اسمه؟ قال: قره بن دعموص النميري ^(٣). قال: «قدمت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ وحوله الناس، فجعلت أريد أدنو منه فلم أستطع فناديت، يا رسول الله، استغفر للغلام النميري. فقال: «غفر الله لك» قال: وبعث رسول الله ﷺ الضحاك بن قيس ساعياً فلما رجع رجع بإبل جلة، فقال له رسول الله ﷺ: أتيت هلال بن عامر، وعامر بن ربيعة فأخذت جلة أموالهم؟ قال: يا رسول الله إني سمعتك تذكر الغزو، فأحببت أن آتيك بإبل تركبها، وتحمل عليها. فقال: «والله للذي تركت أحب إليّ من الذي أخذت، أرددها وخذ من حواشي أموالهم صدقاتهم قال: فسمعت المسلمين يسمون تلك الإبل المسان المجاهدات» ^(٤).

رابعاً: فرائض الصوم:

فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية ^(٥) من الهجرة، وقد أوجبه الله تعالى على المسلم العاقل البالغ، ورخص لأهل الأعذار بالفطر فيه، قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم: ١٤٥٨ (١٩/٢). وانظر صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث رقم: ١٣٢ (٣٨/١).

(٢) جرير بن حازم الإمام الحافظ أبو النضر الأزدي، مولاها البصري، محدث البصرة أحد الأعلام، قال أبو حاتم الرازي جرير بن حازم صدوق صالح الحديث، قدم هو والسري بن يحيى مصر وجرير بن حازم أحسن حديثاً منه، والسري أحلى منه، قال البخاري مات سنة سبعين ومائة. انظر التعديل والتجريح لمن روى له البخاري في الجامع الصحيح (٤٥٩/١) قال ابن مهدي هو أثبت من قره قال واختلط — يعني جرير — فحجبه أولاده فلم يسمع منه أحد في حال اختلاطه وقال أبو حاتم تغير قبل موته بسنة. انظر: نهاية الغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط لعلاء الدين علي رضا (٧٣/١).

(٣) قره بن دعموص بن ربيعة بن عوف النميري. من بني غنم بن عامر بن صعصعة بصري. استغفر له رسول الله ﷺ وكان قدم إليه مع قيس بن عاصم والحرث بن شريح. روى عنه مولاة وروى عنه أيضاً عائذ بن ربيعة بن قيس. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦١٨/١) قال البخاري وابن السكن: له صحبة يعد في البصريين وقال ابن الكلبي: بعثه النبي ﷺ إلى بني هلال يدعوهن إلى الإسلام فقتلوه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤٣٤/٥).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند البصريين، حديث قره بن دعموص النميري، حديث رقم: ٢٠٦٩٣ (٢٩٤/٣٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٥) قال ابن حجر في الفتح (وبدر كانت في رمضان في السنة الثانية، وفيها فرض الصيام، والزكاة بعد ذلك، والحج بعد ذلك على الصحيح) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٠/١).

وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(١) وهو أحد أركان الإسلام الخمسة المثبتة في حديث ابن عمر، رضي الله عنهما: (بني الإسلام على خمس.... الحديث) ومضمون الصيام الإمساك عن المفطرات نهاراً من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس. فهو امتناع من العبد امتناع تعبد لله تعالى عن شهوة البطن من الأكل والشرب وما في معناهما وعن شهوة الفرج من الجماع وما في معناه وصون النفس عن المحرمات في زمن مخصوص هو نهار شهر رمضان، فهو من أجل الطاعات وأعظم القربات لله تعالى، به تكفر السيئات وتضاعف الحسنات، وتكفل الله بجزائه دون غيره من الأعمال عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الصَّيَّامُ جَنَّةٌ فَلَا يَرِفُثُ، وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ أَمْرٌ قَاتِلُهُ، أَوْ شَاتِمُهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصَّيَّامِ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا^(٢). وَعَنْ سَهْلٍ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنْ فِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ^(٣). وللصيام من الفوائد النفسية والاجتماعية والصحية ما لا يحاط به، من الأمانة ومراقبة الله في السر والعلن ومن تعلم قوة الإرادة والعزيمة والصبر، ومن التربية على النظام وال ضبط، ومن الشعور برابطة الأخوة والتعاون وبعث معاني الرحمة والعطف على الفقراء والمحتاجين والبذل والعطاء، وصحة البدن من البدانة، وإفراغه من المؤذيات، قال ابن القيم يرحمه في زاد المعاد: (الصَّوْمُ جَنَّةٌ مِنْ أَدْوَاءِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ مَنَافِعُهُ تَفَوُّتُ الْإِحْصَاءِ وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الصَّحَّةِ وَإِذَابَةِ الْفَضَلَاتِ وَحَبْسِ النَّفْسِ عَنْ تَنَاوُلِ مُؤْذِيَاتِهَا وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانَ بِاعْتِدَالٍ وَقَصْدٍ فِي أَفْضَلِ أَوْقَاتِهِ شَرْعًا وَحَاجَةً الْبَدَنِ إِلَيْهِ طَبْعًا. ثُمَّ إِنَّ فِيهِ مِنْ إِرَاحَةِ الْقُوَى وَالْأَعْضَاءِ مَا يَحْفَظُ عَلَيْهَا قُوَاهَا وَفِيهِ خَاصِيَّةٌ تَقْتَضِي إِثَارَةً وَهِيَ تَفْرِجُهُ لِلْقَلْبِ عَاجِلًا وَآجِلًا وَهُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْأَصْحَابِ الْأَمْرِجَةِ الْبَارِدَةِ وَالرَّطْبَةِ وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ صِحَّتِهِمْ^(٤)).

وشهر رمضان شهر نزل في القرآن وفيه ليلة القدر، قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزِلُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ^(٥) ومن صامه وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصيام- باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٩٥ (٢٥/٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصوم- باب الريان للصائمين، حديث رقم: ١٨٩٦ (٢٥/٣). وانظر: صحيح مسلم- كتاب الصيام- باب فضل الصوم، حديث رقم: ٢٧٦٦ (١٥٨/٣).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ٤، ص: ٣٣٤-٣٣٥.

(٥) سورة القدر: ١-٧.

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ^(١). وقد دل النبي ﷺ الأمة على حساب عدة الشهر في حال صحو السماء أو الغيم بما يستطيعه كل مسلم في أقصى الأرض وأدناها؛ وبما يحقق له نعمة التعبد لله تعالى بالصيام - رجاء ثوابه إيماناً واحتساباً - وهو رؤية هلال شهر رمضان للصوم ورؤية هلال شوال للفطر، عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ غُبِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ)^(٢) وفي رواية له أيضاً « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ غُمِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا الْعِدَّةَ ». وقد أبان القرآن الكريم وأبانت السنة أهل الأعدار، وفصل الفقهاء في أحكامهم صياماً وفطراً وقضاء وكفارة وهم: المرضى والعجزة لكبر في السن أو لصغر والمسافرين ومن النساء ذوات الحيض والحمل والإرضاع، حيث التيسير والاستطاعة أصل من أصول هذا الدين، قال الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)^(٣) وقال الله تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ)^(٤) وحين ورود النص وجب الأخذ بما نص عليه ويمتنع الاجتهاد، كما في عموم الأدلة الخاصة بإباحة الفطر للمسافر ومنها: عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصَّيَامِ فِي السَّفَرِ. فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ. فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ. وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ»^(٥). ولفقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم أقوال عدة واختلاف ظاهر في أفضلية الفطر أم الصوم للمسافر، وليس من مقاصد البحث عرضها هنا، ولكن من مقاصده أن نعلم أن الفطر في السفر من الرخص الثابتة بالكتاب والسنة، والله يجب أن تؤتى رخصه، ونعلم أن صوم الفرض أي شهر رمضان وقضاء الفائت منه لأهل الأعدار من الموجبات لمحبة الله؛ فيجب على المسلم الحرص على سلامة صومه وحفظ أجره، ويجب أن يكون للدعاة إلى الله الدور البارز في بيان فضيلة شهر رمضان، وأعمال البر والخير المتعلقة به في سائر الطاعات، والحث على صيامه وقيامه، وبيان الدروس المستفيدة في فرض صومه والعبر التاريخية للأمة بما حدث فيه من الأحداث المشرفة الدالة على عظيم شأنه.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، حديث رقم: ٣٨ (١٦/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراخي، حديث رقم: ١٧١٨ (٢/١٧٧).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، حديث رقم: ١٩٠٩ (٢٧/٣)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً، حديث رقم: ٢٥٦٧ (٣/١٢٤).

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤) سورة المائدة: ٦.

(٥) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب في الصوم والفطر في السفر، حديث رقم: ٢٦٨٥ (٣/١٤٥).

خامسا: فرائض الحج:

فرض الحج في السنة التاسعة من الهجرة، قال الله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُتْلَىٰ وَإِنَّهُ كَانَ ءَامِنًا وَعَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (١) والحج عبادة قلبية وبدنية ومالية ، من أجل مقاصدها الاستجابة لأمر الله بالطواف بالكعبة بعد الوقوف بعرفة ملتزما الشعائر الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة ملبيا ومحجيا نداء الله بالحج، قال الله تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) (٢) ينطلق محرما بالنسك من المواقيت المكانية، في أشهر الحج، قاصدا أيام الحج المخصوصة، والانتقال إلى المشاعر، من السعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة، والمبيت بمزدلفة ليلة العيد والطواف بالبيت طواف الإفاضة، والمبيت بمنى ليالي التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من الشهر، ورمي الجمرات وتقديم القربات من النحر والحلق والتقصير والتكبير والذكر، وقد فرض الحج مرة واحدة في العمر، وقد أورد ابن قدامة يرحمه الله في المغني تعريفه لغة وشرعا قال: (وَفِي الْحَجِّ لُغَتَانِ: الْحَجُّ وَالْحُجُّ، يَفْتَحُ الْحَاءُ وَكَسْرُهَا. وَالْحَجُّ فِي الشَّرْعِ: اسْمٌ لِأَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ يَأْتِي ذِكْرُهَا (٣)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، وَالْأَصْلُ فِي وَجُوبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ؛ أَمَّا الْكِتَابُ، فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (٤). رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَمَنْ كَفَرَ بِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) (٥). وَأَمَّا السُّنَّةُ، فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: {بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ}. وَذَكَرَ فِيهَا الْحَجَّ، وَرَوَى مُسْلِمٌ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا. فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتَ نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ. ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ}. فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ سِوَى هَذَيْنِ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى وَجُوبِ الْحَجِّ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً (٦). وَحَجَّ النَّبِيُّ ﷺ حُجَّةَ

(١) سورة آل عمران : ٩٦ - ٩٧.

(٢) سورة الحج : ٢٧ - ٢٨.

(٣) كلام المؤلف يرحمه الله، وأفعال الحج من أركان وواجبات وسنن سذكرها ضمن هذا المبحث مختصرة .

(٤) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٥) سورة البقرة : ١٩٦ .

(٦) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٣،

واحدة في السنة العاشرة من الهجرة، وخطب الناس في يوم عرفة وفي يوم النحر، وبين وأشهد على بلاغ الرسالة، وأوصى بتقوى الله، وحرمة الحقوق، وخص الوصاية بالتقوى في النساء، وعلم الناس ﷺ مناسك الحج الشرعية ليفرق بينها وبين ما عرفوه من مناسك الحج الجاهلية، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَأَمَرَهُمُ بِالسَّكِينَةِ وَأَوْضَعَ فِي وَادِي مُحَسَّرٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْمُوا الْجِمَارَ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ وَقَالَ: « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا ». ونعلم مما سبق من الأدلة الشرعية أن الاستطاعة شرط في وجوبه (عن ابن عباس قوله: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً"، والسبيل، أن يصحّ بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يُجحف به)^(١) وقد فصل أهل الفقه أنواع النسك في الحج من حيث الشروط والأركان والواجبات والسنن والمخطورات فيما يخص الرجل أو المرأة، ويهمننا هنا أن نعلم، أن الحج من الفرائض المقربة إلى حب الله تعالى بما فيه من الشعائر الكثيرة، ومنها ما يلي:

(أ) أن فريضة الحج من أحب الأعمال إلى الله تعالى، ومن موجبات محبته للعبد، فهو أحد أركان الإسلام الخمسة، وفيه الطهر من الذنوب، وبه القرب من علام الغيوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)^(٢). وعلى الدعاة إلى الله تعالى تعظيم هذا الفرض في نفوس المسلمين، وتوجيه المكلفين من أهل الاستطاعة للقيام به وأدائه؛ لما له من وجوب ولتدارك الأحوال المتغيرة في حياة الإنسان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (تعجلوا إلى الحج يعني الفريضة فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْزُرُ لَهُ)^(٣).

(ب) أن الإحرام بالحج أو العمرة مناطه الكف عن محظورات الإحرام الشرعية، المفصلة في كتب الفقه تبعاً لأبواب الحج وأحكامه، ومن هذه المحظورات قتل الصيد، أو الإعانة عليه، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) ^(٤) وعن عبد الله بن أبي قتادة السلمي، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَنْزِلٍ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَازِلٌ أَمَامَنَا، وَالْقَوْمُ مُحْرِمُونَ وَأَنَا غَيْرُ مُحْرِمٍ فَأَبْصَرُوا حِمَارًا وَخَشِيًّا وَأَنَا مَشْغُولٌ أَخْصِفُ نَعْلِي فَلَمْ يُؤْذِنُونِي بِهِ، وَأَحْبَبُوا لَوْ أَنِّي أَبْصَرْتُهُ، وَالتَفْتُ

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر: دار هجر، ١٤٢٤هـ، ج ٣، ص: ٦٩١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب المحصر- باب قول الله عز وجل (ولا فسوق ولا جدال في الحج) ، حديث رقم: ١٨٢٠ (١١/٣).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٨٦٧ (٥/٥٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن وحسنه الألباني في الجامع الصغير للسيوطي.

(٤) سورة المائدة : ٩٥ .

فَأَبْصَرْتُهُ فَقُمْتُ إِلَى الْفَرَسِ فَأَسْرَجْتُهُ ثُمَّ رَكِبْتُ وَنَسِيتُ السَّوْطَ وَالرُّمْحَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: نَأْوِلُونِي السَّوْطَ وَالرُّمْحَ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نُعِينُكَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَغَضِبْتُ فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُهُمَا ثُمَّ رَكِبْتُ فَشَدَدْتُ عَلَى الْحِمَارِ فَعَقَرْتُهُ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ، وَقَدْ مَاتَ فَوَقَعُوا فِيهِ يَأْكُلُونَهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ شَكُّوا فِي أَكْلِهِمْ إِيَّاهُ وَهُمْ حُرْمٌ، فَرُحْنَا وَخَبَأْتُ الْعَصَدَ مَعِي، فَأَذْرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَنَاولْنَاهُ الْعَصَدَ فَأَكَلَهَا حَتَّى نَفَذَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ.^(١)

(ج) أن يوم عرفة -وهو التاسع من ذي الحجة - يوم عظيم، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ »^(٢). وعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يفرّدوا لهذا اليوم جهدا دعويا خاصا لفضيلة صيامه لغير الحاج، وفضيلة وعظمة الدعاء الذكر فيه للحاج.

(د) أن يوم النحر -وهو اليوم العاشر من ذي الحجة- أحب الأيام إلى الله تعالى: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَحَبُّ الْأَيَّامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ"^(٣)، فَقَرَّبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدَنَاتٍ خَمْسًا أَوْ سِتًّا، فَطَفَقْنَ يَزْدَلِفْنَ إِلَيْهِ بَائِتَهَا يَدًا، فَلَمَّا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا قَالَ كَلِمَةً خَفِيَّةً لَمْ أَفْقَهْهَا، فَقُلْتُ لِلَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: قَالَ " مَنْ شَاءَ اقْتَطَعَ " ^(٤). وعند أبي داود في سننه: (إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر)^(٥). يوم النحر أحد عيدي المسلمين، فمن واجبات الدعاة إلى الله حث الناس على القيام بشعائر الله فيه، من صلاة العيد وإظهار مشاعر الفرح به وتقديم الأضاحي، وبيان فضيلته من بين أيام السنة، وكيف اجتمع فيه للحاج من العبادات والقربات ما لم يجتمع في غيره: من التكبير والذكر، و رمي جمرة العقبة وحدها، والحلق أو التقصير والنحر، والطواف بالبيت والإحلال من شعائر الحج بانتهاء أركانه الأربعة: الإحرام بالنسك، و الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة.

(هـ) العلم الشرعي بأحكام الحج، وهو من واجبات المسلم، وجزء من واجبات الدعاة إلى الله تعالى ببيان أنساك الحج الثلاثة للناس: الأفراد والتمتع والقران، ليأخذ الناس بما يتييسر عليهم، وبيان صفة حجة النبي

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب من استوهب من أصحابه شيئا ، حديث رقم: ٢٥٧٠ (٣/١٥٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم- كتاب الحج- باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم: ٣٣٥٤ (٤/١٠٧).

(٣) (قر) القاف والراء أصلاَن صحيحان، يدلُّ أحدهما على برد، والآخر على تمكُّن. فالأوَّلُ القُرُّ، وهو البرْد. والأصل الآخر التمكُّن، يقال قَرَّ واستقرَّ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٧).

(٤) انظر : سنن أبي داود - كتاب المناسك - باب في الهدي . وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين . صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات .

(٥) انظر : سنن أبي داود- كتاب المناسك - باب من نحر الهدي بيده واستعان بغيره، حديث رقم: ١٧٦٧ (٢/٨٢). صححه الألباني .

ﷺ لهم؛ ليأخذوا مناسكهم عنه ﷺ، وأنه كان يحب أن يهل بعمره لولا أن ساق الهدي، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجنا مؤافين لهُلالِ ذي الحِجَّةِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهَلِّ، فَإِنِّي لَوْلَا أَنِّي أَهْدَيْتُ لِأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ. فَأَهَلَّ بَعْضُهُمْ بِعُمْرَةٍ، وَأَهَلَّ بَعْضُهُمْ بِحَجٍّ، وَكُنْتُ أَنَا مِمَّنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ. فَأَدْرَكَنِي يَوْمُ عَرَفَةَ وَأَنَا حَائِضٌ، فَشَكَّوْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «دَعِي عُمْرَتَكَ وَانْقُضِي رَأْسَكَ وَامْتَشِطِي وَأَهْلِي بِحَجٍّ. فَفَعَلْتُ. حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ»^(١) أَرْسَلَ مَعِيَ أَخِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجْتُ إِلَى التَّنْعِيمِ فَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ مَكَانَ عُمْرَتِي. قَالَ هِشَامٌ: وَلَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ هَدْيٍ وَلَا صَوْمٌ وَلَا صَدَقَةٌ^(٢). وَعَنْهَا أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ النَّاسَ عَامَ حِجَةِ الْوُدَاعِ فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْدَأَ مِنْكُمْ بِعُمْرَةٍ قَبْلَ الْحَجِّ فَلْيَفْعَلْ». وَأَفْرَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجَّ وَلَمْ يَعْتَمِرْ^(٣).

و (مشاركة الدعاء إلى الله تعالى الحجاج في مناسك الحج، وحضور ميدان المشاعر في مراحل الحج المختلفة، ومناصحة الحجاج ودعوتهم، وبيان أصول الحج وفروعه لهم؛ كي تتم مناسكهم على الوجه الشرعي، حيث تتطلب المناسك كثيرا من الضبط في النفس واللباس وحضور المكان والزمان، ومن أدق المناسك لزوم الحاج الكف عما حرم عليه من أجل ما أحرم له، تعبدا لله تعالى، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى النِّسَاءَ فِي إِحْرَامِهِنَّ عَنِ الْقَفَازَيْنِ وَالنَّقَابِ، وَمَا مَسَّ الْوَرَسَ»^(٤) وَالزَّرْعَفَرَانَ مِنَ الثِّيَابِ، وَلَتَلْبَسَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَحَبَّتْ مِنْ أَلْوَانِ الثِّيَابِ مُعَصِّفَرًا أَوْ خَزْرًا أَوْ حُلِيًّا أَوْ سَرَائِيلَ أَوْ قَمِيصًا أَوْ خُفًّا»^(٥).

سادسا: فرائض المواريث:

فرائض المواريث من أدق الأحكام الشرعية، وبما يتعلق علم خاص وحقوق خاصة، أما العلم الخاص فهو ما نص عليه العلماء بعلم الميراث أو علم الفرائض، والفرائض: جمع فريضة أي من الفرض بمعنى التقدير، فالفريضة أي التركة المقدرة لصاحب الحق فيما يترك الميت من ميراث. أما الحقوق الخاصة فهي ذات أصول شرعية تشمل جميع ما يترك الميت من ميراث موزعة على الدين والوصية وأصحاب الفروض المقدرة

(١) وقوله: ليلة الحصبة واخصب والتحصيل، كله من الحصباء، والمراد هو الأبطح، وهو خيف بني كنانة، ظاهر مكة، والتحصيل هو التزول بذلك المكان. انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠٣/١). وقولها (فلما كانت ليلة الحصبة) هي بفتح الحاء وإسكان الصاد المهملتين وهي التي بعد أيام التشريق، وسميت بذلك لأنهم نفروا من منى فزلوا في الحصب وباتوا به، انظر: المنهاج للنووي (١٤٤/٨).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الحيض-باب نقض المرأة شعرها عند غسل الحيض، حديث رقم: ٣١٧ (٧٠/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد-حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦١٥ (١٦٢/٤١) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح دون قولها: ولم يعتمر، وهذا إسناد ضعيف.

(٤) (ورس) الواو والراء والسين: كلمة واحدة، هي الورس: نبت. وأورس المكان: أثبتته، وهو وارس، وهو نادر. وملحقة ورّيس: صُبِغَتْ بالورس. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس. (١٠٠/٦).

(٥) انظر: سنن أبي داود-كتاب المناسك-باب ما يلبس الاخرم، حديث رقم: ١٨٢٩ (١٠٣/٢). قال الألباني: إسناده حسن صحيح، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الحافظ الذهبي.

شرعا وأهل العصبية والولاء. وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلمه، عن عمر رضي الله عنه، قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة^(١)، فقال: «تكفيك آية الصيف»^(٢) فقال: لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها، أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم»^(٣). واشتهر بهذا العلم من الصحابة زيد بن ثابت رضي الله عنه، ومسائل قسمة الموارث مسائل تقوم على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى في سورة النساء: (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ النِّصْفُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ لِأَبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا النِّصْفُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (٤) وقال الله تعالى في آخر آية من نفس السورة: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ

(١) (كل) الكاف واللام أصول ثلاثة صحاح. فالأول: يدل على خلاف الحدة، والثاني: يدل على إطفاء شيء بشيء، والثالث: عضو من الأعضاء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/١٢١). واختلف أهل التأويل في "الكلالة". فقال بعضهم: هي ما خلا الوالد والولد (من لا ولد له ولا والد). وهو الراجح عند أهل العلم. وقال آخرون: "الكلالة ما دون الولد" وقال آخرون: الكلالة ما خلا الوالد. وقال آخرون: "الكلالة"، هي الورثة الذين يرفون الميت، إذا كانوا إخوة أو أخوات أو غيرهم، إذا لم يكونوا ولداً ولا والدًا، على ما قد ذكرنا من اختلافهم في ذلك. وقال آخرون: بل "الكلالة" الميت والحي جميعاً. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (٨/٥١).

(٢) قال أبو زكريا النووي: (قوله ﷺ: ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء، معناه الآية التي نزلت في الصيف) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٥/٥٣).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٢٦٢ (١/٣٧٠). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الفرائض - باب ميراث الكلالة، حديث رقم: ٤٢٣٥ (٥/٦١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: صحيح لغيره وهذا سند رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٤) سورة النساء: ٧ - ١٤.

اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١) وقد أكدت أدلة السنة حدود الفرائض وقضت بها، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كَانَ الْمَالُ لِلْوَلَدِ، وَكَانَتِ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ، فَنَسَخَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ، فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ، وَجَعَلَ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسَ، وَجَعَلَ لِلْمَرْأَةِ الثَّمَنَ وَالرُّبْعَ، وَلِلزَّوْجِ الشُّطْرَ وَالرُّبْعَ)^(٢). وقد حثت أيضا السنة على تعلم علم الفرائض عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُ، فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ وَهُوَ يُنْسَى، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنَزَعُ مِنْ أُمَّتِي)^(٣). وقد فصل أهل العلم في أصوله وفروعه، وأركانه وأسبابه، وشروطه وموانعه، ومسائله وطرق تعلمه. وهنا من الأهمية بمكان أن نعلم أن علم الفرائض له علاقة بموجبات محبة الله من زاويتين: أنه أحد العلوم الشرعية وقد رفع الله قدر العلم والعلماء، قال الله تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)^(٤) ومن رفع الله قدره، وأعلى منزلته فقد أحبه، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدِهِ، وَاحِدُ الْمَجْلِسَيْنِ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ، وَالْآخَرُ يَتَعَلَّمُونَ الْفَقْهَ وَيُعَلِّمُونَهُ، فَقَالَ: كَلَّا الْمَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيُعَلِّمُونَ الْعِلْمَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ فَهُمْ أَفْضَلُ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا ثُمَّ جَلَسَ مَعَهُمْ)^(٥). وزاوية أخرى: فقد حرص الصحابة على بيان الفرائض حتى في خطبهم، أورد الإمام الطبري في تفسيره^(٦): (عن قتادة: "يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة"، فسألوا عنها نبي الله، فأنزل الله في ذلك القرآن: "إن امرؤ هلك ليس له ولد"، فقرأ حتى بلغ: "والله بكل شيء عليم". قال: وذكر لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في خطبته: (ألا إن الآية التي أنزل الله في أول "سورة النساء" في شأن الفرائض، أنزلها الله في الولد والوالد. والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم. والآية التي ختم بها "سورة النساء"، أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم. والآية التي ختم بها "سورة الأنفال"، أنزلها في أولي الأرحام، بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرّت الرحم من العصبية)^(٧) وزاوية ثالثة: أنه بعلم الفرائض تتعلق حقوق الله من الوصايا في الصدقات والأوقاف وحقوق الأديمين من الدين وأصحاب الفروض وغيرهم ومن موجبات محبة الله أداء الحقوق لأهلها فإنه يحب المحسنين ولا يحب الظالمين.

(١) سورة النساء: ١٧٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الوصايا- باب لا وصية لوارث، حديث رقم: ٢٧٤٧ (٤/٤).

(٣) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب الفرائض- باب الحث على تعليم الفرائض، حديث رقم: ٢٧١٩ (٢٣/٤). وضعفه الألباني

(٤) سورة المجادلة: ١١.

(٥) انظر: مسند البزار - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٤٥٨ (٤٢٨/٦). وانظر: شرح السنة للبغوي

(٦/٢٧٤). وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح .

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٩، ص: ٤٣١.

(٧) انظر: السنن الكبرى للبيهقي- كتاب الفرائض- باب فرض الإخوة والأخوات للأم، حديث رقم: ١٢٦٩٣ (٢٣١/٦) .

المطلب الثاني: النوافل

النوافل في اللغة:

النوافل في اللغة من (نفل) قال ابن فارس في معجمه: (النون والفاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على عطاء وإعطاء. منه النَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ الطَّوْعِ من حيث لا تَجِبُ. ومنه نافلة الصَّلَاة. والنَّوْفَلُ: الرَّجُلُ الكثيرُ العطاء) وأورد الجوهري في الصحاح: (والتَّوْفَلُ بالتحريك: الغنيمة، والجمع الأنفالُ) وفي لسان العرب لابن منظور (ورجل كثير التَّوْفَلِ أي كثيرُ العَطَايا والفَوَاضِلِ)^(١) قال القرطبي في تفسيره (قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً} أي زيادة؛ لأنه دعا في إسحاق وزيد في يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة؛ أي زيادة على ما سأل؛ إذ قال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)^(٢) ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد)^(٣)

النوافل في الاصطلاح الشرعي:

عرفنا فيما سبق أن الفرائض هي الواجبات الشرعية التي يقوم عليها الدين ويثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وهي خمسة أركان: الشهادتان والصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، والأركان الخمسة هذه تشتمل في مضمونها على فرائض وواجبات وسنن خاصة؛ فللدين أركان، ولكل عبادة أركان. وفرائض الدين هي الأصل المتعبد به، وما عداها من الأعمال المشروعة، والمتوافقة معها في الجنس تعد في الشريعة نوافل أي زائدة، يفعلها العبد تطوعا يثاب عليها ولا يعاقب على تركها فمثلا: غسل الوجه في الوضوء مرة واحدة فرض - أي: ركن - لا يصح الوضوء إلا به، ومن زاد إلى ثلاث مرات فإن هذه الزيادة نفل، وكذلك الصلوات الخمس فرائض في اليوم والليلة وأركان في الدين، ومن صلى ركعتين أو أكثر في الضحى فتلك نافلة موافقة لجنس الصلاة، وكذلك الصدقات العامة زائدة عن الزكاة المفروضة فهي نافلة، وكذلك صوم ثلاثة أيام من كل شهر نافلة على صوم شهر رمضان الفرض، وكذلك تكرار الحج مرات في العمر نافلة، وعليه فقد عرف أهل الأصول النوافل أنها: (اسم لما شُرِعَ زيادة على الفرائض والواجبات)^(٤) وكما أسلفنا أن النوافل من موجبات محبة الله تعالى ففي هذا المطلب أورد ما دل عليه الكتاب والسنة، بلفظ الحب الصريح على القيام بالنوافل والحث عليها.

(١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (نفل) .

(٢) سورة الصافات : ١٠٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ، ج ١١، ص: ٣٠٥ .

(٤) القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح عبد اللطيف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج ١، ص: ٤٩٣ .

أولاً: نوافل الطهارة

الطهارة في حياة المسلم عبادة مستمرة، سواء كانت في قلبه كالطهارة من الشرك والكفر والنفاق والحقْد والحسد، أو في نفسه كالطهارة من الشح والبغضاء والسوء، أو في أخلاقه كالطهارة من الكذب والغدر والخيانة ومنكرات الأخلاق، وهذا يمثل الطهارة المعنوية. أما الطهارة المادية فهي متعلقة - كما أسلفنا بيانه في الفرائض - بطهارة البدن واللباس والمكان والتي تقوم عليها أشرف العبادات من الصلاة والطواف بالبيت وقراءة القرآن. والطهارة من عظيم أمرها أن الله يحب أهلها، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّيِّينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(١) وتبرز نوافل الطهارة من عدة أوجه: منها: الاستنجاء والاستجمار بثلاث وترا، وغسل الجمعة لغير الجنب، وتكرار الغسل للبدن والثوب، وتطهير المكان من النجاسات، وإمالة الأذى من الطرقات، ونظافة المساجد والمنازل، وكذلك الوضوء لكل صلاة، وتكرار غسل الوجه مع المضمضة والاستنشاق، وغسل اليدين إلى المرفقين، والرجلين إلى الكعبين في الوضوء إلى ثلاث مرات، وقد كان النبي ﷺ يبتعد عن أعين الناس في قضاء حاجته ويستتر، من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه عند أبي داود وأحمد: (وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ)^(٢) وقد حث الإسلام على سنن الفطرة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ »)^(٣)، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ » قَالَ زَكَرِيَّا قَالَ مُصْعَبٌ وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةُ. زَادَ قُتَيْبَةُ قَالَ وَكِيعٌ انْتِقَاصُ الْمَاءِ يَعْنِي الْاسْتِنْجَاءَ)^(٤) وما ورد في الكتاب والسنة بلفظ الحب الصريح في الحث على القيام بالنوافل في باب الطهارة ما يلي:

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) قال النووي في المنهاج: (يَعْنِي حَائِطَ نَخْلٍ ، أَمَا (الْهَدَفُ) فَيَفْتَحُ الْهَاءَ وَالْدَّالَّ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَمَا (حَائِشَ النَّخْلِ) فَيَالِئُ الْمُهْمَلَةِ وَالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَقَدْ فَسَّرَهُ فِي الْكِتَابِ بِحَائِطِ النَّخْلِ ، وَهُوَ الْبُسْتَانُ ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ صَحِيحٌ ، وَيُقَالُ فِيهِ أَيْضًا : حَشٌّ وَحُشٌّ يَفْتَحُ الْحَاءَ وَضَمَّهُمَا . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ اسْتِحْبَابُ الْاسْتِنَاءِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ بِحَائِطٍ أَوْ هَدَفٍ أَوْ هَذِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ بِحَيْثُ يَغِيبُ جَمِيعُ شَخْصِ الْإِنْسَانِ عَنْ أَغْيَنِ النَّظَائِرِ ، وَهَذِهِ سُنَّةٌ مُتَّكَدَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ) انظر: المنهاج للنووي (٣٥/٤).

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ، حديث رقم: ٢٥٥١ (٣٢٨/٢)، وانظر مسند الإمام أحمد - مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث رقم: ١٧٤٥ (٢٧٣/٣). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٤) والبراجم: بفتح الباء وبالجميم جمع برجمة، بضم الباء والجميم، وهي: عقد الأصابع ومفاصلها كلها. انظر: المنهاج للنووي (١٥٠/٣).

(٥) انظر: صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب خصال الفطرة، حديث رقم: ٦٢٧ (١٥٣/١).

(١) السواك:

عن ابن أبي مُليكة أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكَرَ أَنَّ مَوْلَى عَائِشَةَ أَخْبَرَهُ «أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: إِنْ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوَفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ، وَأَنَا مَسْنَدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكُ، فَقُلْتُ: آخِذْهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ أَلَيْتَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَنِي، فَأَمَرَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعًا أَوْ عَلِيَّةً يَشْكُ عَمْرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنْ لَلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ. ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى، حَتَّى قَبِضَ وَمَالَتْ يَدَهُ»^(١).

السواك مشروع بهدي النبي ﷺ القولي والفعل، فقد كان ﷺ يأمر أمته به، أمر ندب واستحباب؛ للإكثار منه، خاصة في بعض الأحوال، والسواك فيه فوائد ومآثر طيبة وفضائل عظيمة، فهو مرضاة لله - سبحانه وتعالى قال الإمام البخاري: ((بَابُ سَوَاكِ الرُّطْبِ وَالْيَابِسِ لِلصَّائِمِ))^(٢) وَيَذْكُرُ، عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ﷺ قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أَحْصِي، أَوْ أَعْدُ)^(٣). وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ (لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)^(٤).

وَيُرَوَّى نَحْوُهُ عَنْ جَابِرٍ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَخْصُ الصَّائِمَ مِنْ غَيْرِهِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ)^(٥).

فهو سنة يحرص المسلم عليها، تأسيا وطاعة للرسول ﷺ، ولما تشتمل عليه من الطهارة التي يحب الله أهلها، ففي السواك نقاء للفم من بقايا الطعام، وسلامة من الآفات، وسلامة من نتن الروائح وقذرها، ولأن ذلك يضر بالإنسان عاجلاً وآجلاً، ولذلك يحمد الأخذ به عرفاً وطبعاً كما يحمد شرعاً، ومن المواضع التي يستحب فيها السواك وأفضلها: عند قيام الإنسان للصلاة إما عند الوضوء، أي القيام للصلاة، وعند تغير رائحة الفم: إما بسبب الصمت، وإما بسبب الطعام، وإما بسبب الشراب، وإما بسبب النوم والأصل في

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب مرض النبي ﷺ ووفاته، حديث رقم: ٤٤٤٩ (١٣/٦).

(٢) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أبو عبد الله، القاهرة: دار الشعب، ط ١، ١٤٠٧هـ، ج ٣، ص: ٤٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب سواك الرطب واليابس للصائم، حديث الباب (٣١/٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب التمني - باب ما يجوز من اللو، حديث رقم: ٧٣٢٧ (٣١/٣).

(٥) انظر: سنن النسائي - كتاب الطهارة - باب الترغيب في السواك، حديث رقم: ٥ (٧٥/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة

وسننها - باب السواك، حديث رقم: ٢٨٩ (٣٢٢/١). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم:

٢٤٣٣٢ (٣٩٠/٤٠). صححه الألباني .

ذلك ودليله، عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَأَهْ بِالسَّوَاكِ) ^(١). و شَاصَهُ إِذَا دَلَكَه، والسواك فيه حكم عظيمة: منها ما دلت السنة على استحبابه عند دخول المرء لبيته حيث يلقي المرء أهله وأولاده ولا تخفى الحكمة من ذلك.

٢) التخليل :

عن أبي أيوب و عطاء قالاً: قال رسول الله ﷺ: حبذا المتخللون، قيل: وما المتخللون؟ قال: في الوضوء والطعام ^(٢) التخليل في الوضوء والغسل من السنن العملية الواردة في السنة، وهو إمرار الماء بالأصابع على المواطن التي لا تتشبع بماء الوضوء أو الغسل، وصفته كما ورد في السنة على ثلاثة أحوال:

أ) تخليل شعر الرأس: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ غَسَلَ يَدَيْهِ وَتَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اغْتَسَلَ ثُمَّ يُخَلِّلُ بِيَدِهِ شَعْرَهُ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنْ قَدْ أَرَوَى بَشْرَتَهُ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ) ^(٣).

ب) تخليل اللحية: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْلُلُ لِحْيَتَهُ) ^(٤)

ج) تخليل أصابع اليدين وأصابع الرجلين: عن المستورد ^(٥) بن شداد رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ، يَخْلُلُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخَنَصْرِهِ) ^(٦). عن عاصم ^(٧) بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: (إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلِ الْأَصَابِعَ) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم أنه يخلل أصابع رجله في الوضوء وبه يقول أحمد وإسحق، وقال إسحق: يخلل أصابع يديه ورجليه في الوضوء) ^(٨).

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الوضوء-باب السواك، حديث رقم: ٢٤٥ (٥٨/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الطهارة-باب السواك، حديث رقم: ٦١٨ (١٥٢/١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي أيوب الأنصاري، حديث رقم: ٢٣٥٢٧ (٥٠٨/٣٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جداً. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الغسل-باب تخليل الشعر حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه، حديث رقم: ٢٧٢ (٦٣/١)، وانظر: صحيح مسلم-كتاب الحيض-باب صفة غسل الجنابة، حديث رقم: ٧٤٤ (١٧٤/١).

(٤) انظر: سنن الترمذي -كتاب الطهارة-باب ما جاء في تخليل اللحية. حديث رقم: ٣١ (٤٦/١)، صححه الألباني.

(٥) المستورد بن شداد بن عمرو الفهري القرشي. سكن الكوفة ثم سكن مصر، روى عنه أهل الكوفة وأهل مصر، يقال: إنه كان غلاماً يوم قبض رسول الله ﷺ، ولكنه سمع منه ووعى عنه، روى عنه من الكوفيين قيس بن أبي حازم ومن المصريين علي بن رباح. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧٠٢/١) قال محمد بن الربيع الجيزي له في مسند الصحابة الذين دخلوا مصر شهد فتح مصر واختلط بها ولأهل مصر عنه أحاديث، قال بن يونس توفي بالإسكندرية سنة خمس وأربعين من الهجرة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٩٠/٦).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند الشاميين، حديث رقم: ١٨٠١٦ (٥٤٦/٢٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح لغيره.

(٧) عاصم بن لقيط بن صبرة العقيلي، مكي تابعي ثقة، وأبوه من أصحاب النبي ﷺ. انظر: معرفة الثقات للعجلي (٩/٢) من أهل الطائف، وهو الذي يقال له عاصم بن أبي رزيق يروي عن أبيه، روى عنه إسماعيل بن كثير. انظر: الثقات لابن حبان (٢٣٤/٥).

(٨) انظر: سنن الترمذي-كتاب الطهارة-باب ما جاء في تخليل الأصابع، حديث رقم: ٣٨ (٥٦/١). وانظر: مسند الإمام أحمد-أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث رقم: ١٨٠١٦ (٥٤٦/٢٩). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٣) تفضيل الغسل على المسح في الوضوء: عن علي^(١) بن مدرك قال: «رأيت أبا أيوب، فترع خفيه، فنظروا إليه، فقال: أما إني قد رأيت رسول الله ﷺ يمسح عليهما، ولكن حُبَّ إِيَّيْهِ الْوُضُوءُ»^(٢). العمل بالأصل مقدم على غيره، حال وجوده أو تعذر المشقة به، كالوضوء لمن وجد الماء بعد التيمم، أو لمن أحب غسل الأعضاء المشروع غسلها وعليه خفين أو عمامة أو جبارة جرح لا يفسد الماء برأه. فمن أخذ بأصل العمل في الشرع عن غيره مع وجود اللزوم بينهما في الحكم أو أدخل الواجب في الفرض؛ فهذا من يسر الشرع، قال القرافي في الفروق: (وَضَابِطُ اللَّزُومِ الْجُزْئِيُّ أَنْ يَكُونَ لَزُومٌ لِلشَّيْءِ لِلشَّيْءِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ دُونَ بَعْضٍ أَوْ بَعْضُ الْأَزْمَنَةِ دُونَ بَعْضٍ وَهُوَ الْمُرَادُ بِاللَّزُومِ فِي الْجُمْلَةِ الْمُعْتَبَرُ عِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ فِي الْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ كَلَزُومِ الطَّهَارَةِ الصَّغْرَى لِلطَّهَارَةِ الْكُبْرَى الَّتِي هِيَ غُسْلُ الْجَنَابَةِ مَثَلًا بِمَعْنَى أَنَّ الطَّهَارَةَ الْكُبْرَى إِذَا حَصَلَتْ أَغْنَتْ عَنِ الطَّهَارَةِ الصَّغْرَى الَّتِي هِيَ الْوُضُوءُ وَجَارَتْ بِهَا الصَّلَاةُ مِنْ غَيْرِ تَجْدِيدٍ وَضُوءٍ كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ لَكِنْ لَا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ)^(٣) وقد أوضح أن لزوم الوضوء لغسل الجنابة لزوم جزئي ينتهي بوجود نواقضه الشرعية كل في خصوصه من الغسل أو الوضوء، ومنه نفقه أن الأصل في الوضوء غسل الرجلين كما فعل أبو أيوب رضي الله عنه، وأن غسل الرجلين بعد نزاع الخفين للوضوء يعطي كل منهما الضوابط الشرعية الخاصة به، وينتهي بوجود نواقضه سواء للوضوء كالخارج من السيلين وغيره، أو سواء في لبس الخفين كانقضاء مدة المسح على الخفين وغيرها من النواقض.

٤) تكرار الغسل في الاستحاضة:

وجه النبي ﷺ حمته رضي الله عنها عند شكواها من شدة الاستحاضة، بالجمع في الصلاة مع الغسل لكل فرطين، وذلك بعد الغسل الأول من الحيضة: «تَلَجَمِي وَتَحِيضِي فِي كُلِّ شَهْرٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ اغْتَسِلِي غُسْلًا، فَصَلِّي وَصُومِي ثَلَاثَةَ وَعَشْرِينَ، أَوْ أَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ. وَأَخْرِي الظُّهْرَ وَقَدَمِي الْعَصْرَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَأَخْرِي الْمَغْرِبَ وَعَجَلِي الْعِشَاءَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَهَذَا أَحَبُّ الْأَمْرَيْنِ إِلَيَّ»^(٤) فقد أخذ العلماء منه أن الغسل الأول من الجنابة واجب وما بعده سنة.

(١) علي بن مدرك النخعي الكوفي، أخرج البخاري له في العلم والمغازي وغير موضع عن شعبة عنه عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال أبو حاتم الرازي هو صالح صدوق ثقة، قال طلق بن غنام: مات سنة عشرين ومائة. انظر : التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٣/٩٦٠). وذكره ابن حبان في الثقات .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم : ٢٣٤٧٤ (٣٨/٥٤٩). تعليق شعيب الأرئوط على المسند : صحيح لغيره . تعليق شعيب الأرئوط على المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ج ١، ص: ٣٨٩.

(٤) ورد الحديث بأكمله في فرائض الطهارة.

ثانيا: نوافل الصلاة:

نوافل الصلاة ما يطلق على الصلوات الزائدة عن الفرائض الخمس: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وتشمل النوافل صلاة قيام الليل، والوتر، والسنن الرواتب، وصلاة الضحى، وما تطوع به المسلم في يومه وليلته، وكذلك تشمل سنن الصلاة بما زاد عن أركان وواجبات الصلاة في أفعالها وأذكارها، والمتوافق مع مقاصدها شرعا، وقد فصل فيها الفقهاء، كدعاء الاستفتاح مثلا، وتثليث تسبيح التعظيم في الركوع وغيره. ومما ورد في الكتاب والسنة بلفظ الحب الصريح في الحث على القيام بالنوافل في باب الصلاة، ما يلي:

١) فضل قيام الليل والوتر:

إن قيام الليل بالصلاة النافلة، وصية الله لرسوله ﷺ قال الله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) ^(١) فإن صلاة الليل أول ما بدئت به الصلاة في الإسلام فقام النبي ﷺ والصحابة عاما بعد نزول أول سورة المزمل (يَتَأْتِيَ الْمُزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ^(٢) قال البغوي في تفسيره: (قال العلماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول. {قُمْ اللَّيْلَ} أي للصلاة {إِلَّا قَلِيلًا} وكان قيام الليل فريضة في الابتداء وبين قدره فقال: {نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا} إلى الثالث. {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ} على النصف إلى الثلثين، خيرّه بين هذه المنازل، وكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى نصف الليل ومتى الثلثان، فكان الرجل يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله: (مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَى) ^(٣) الآية. فكان بين أول السورة وآخرها سنة) ^(٤) ووصف الله تعالى عباده المتقين بقيام الليل، والله يحب المتقين، قال الله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١﴾ ءَاخِذِينَ مَاءً أَتَنَّهُمْ رُبُّهُمْ إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٣﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ^(٥) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا

(١) سورة الإسراء: ٧٩.

(٢) سورة المزمل: ١ - ٤.

(٣) سورة المزمل: ٢٠.

(٤) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ.

ج ٨، ص: ٢٤٦.

(٥) سورة الذاريات: ١٦ - ١٨.

وَيُفْطِرُ يَوْمًا»^(١). (قال المهلب: هذا يدل أن دواد كان يحجم نفسه بنوم أول الليل، ثم يقوم في الوقت الذي ينادى فيه الله تعالى: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ ثم يستدرك من النوم ما يستريح فيه من نصب القيام في بقية الليل. وإنما صارت هذه الطريقة أحب إلى الله من أجل الأخذ بالرفق على النفوس التي يخشى منها السامة والملل الذي هو سبب إلى ترك العبادة، والله يحب أن يديم فضله، ويوالي إحسانه أبدًا)^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ. قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: فُلَانَةُ - تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا - قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا». وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.^(٣) وعن مسروق قال «سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَتْ: الدَّائِمُ. قُلْتُ: مَتَى كَانَ يَقُومُ؟ قَالَتْ: يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ»^(٤). وقول عائشة: (كان يقوم إذا سمع الصارخ، فهو بعد منتصف الليل في حدود ثلث الليل الآخر، ليتحرى وقت تنزل الله تعالى، قال النووي يرحمه الله: (قَوْلُهَا: (كَانَ يُحِبُّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ) فِيهِ: الْحَثُّ عَلَى الْقَصْدِ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ لَا يَحْتَمِلَ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَّا مَا يُطِيقُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ ثُمَّ يُحَافِظُ عَلَيْهِ. قَوْلُهَا: (كَانَ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ قَامَ فَصَلَّى) الصَّارِخُ هُنَا هُوَ الدَّيْكَ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ قَالُوا: وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ صِيَاحِهِ. وقد ثبت أن الوتر من النوافل والسنن الواجبة وهو من أحب الأعمال إلى الله، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يا أهل القرآن! أوتروا؛ فإن الله وتر يحب الوتر "^(٥). ولم يتركه رسول الله في حضر ولا سفر، وأقله عند الفقهاء ركعة وأكثره ثلاثة عشر ركعة، ومن فاته سنٌّ له قضاؤه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " من نام عن الوتر أو نسيه فليصله إذا أصبح أو ذكر "^(٦)، وعن عائشة، قَالَتْ: (كُلُّ اللَّيْلِ

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب من عند السحر، حديث رقم: ١١٣١ (٥٠/٢).

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٣، ص: ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب أحب الدين إلى الله أدومه، حديث رقم: ٤٣ (١٧/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب أمر من نعى في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، حديث رقم: ١٨٧٠ (١٩٠/٢).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب من عند السحر، حديث رقم: ١١٣٢ (٥٠/٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة، حديث رقم: ١٧٦٤ (١٦٧/٢).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الوتر - باب استحباب الوتر حديث رقم: ١٤١٨ (٥٣٣/١). وانظر: سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، حديث رقم: ٤٥٣ (٣١٦/٢). وانظر: سنن النسائي - كتاب قيام الليل ويطوع النهار - باب الأمر بالوتر، حديث رقم: ١٣٨٨ (١٥٠/٢)، وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في الوتر، حديث رقم: ١١٦٩ (٢٤٤/٢)، وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٦٢٠ (٤١٣/٢). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده قوي.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء في الرجل ينام عن الوتر أو ينساه، حديث رقم: ٤٦٥ (٣٣٠/٢). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب من نام عن وتر أو نسيه، حديث رقم: ١١٨٨ (٢٥٨/٢). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: ١١٢٦٤ (٣٦٦/١٧). صححه الألباني.

أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَهَى وَثَرُهُ إِلَى السَّحَرِ^(١). وهنا نعلم أن قيام الليل والوتر سنن متواترة وهي أفضل صلاة النافلة وأدائها في وقت السحر من أفضل الأوقات. وقيام الليل فيه لذة إيمانية، ونفحات ربانية، جعلت أهل العلم والتقى، يحرصون عليه لما فيه من نعيم الدنيا والآخرة، وهو دلالة محبة الله لهم ومحبتهم لله، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمُ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي أَعْطَاهُ وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدِلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُسَهُمْ فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَأَنْهَرُمُوهُ فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ»^(٢).

(٢) صلاة النوافل في البيت أفضل من صلاحها في المسجد:

عن عبد الله^(٣) بن سعد: «أنه سأل رسول الله ﷺ عما يوجب الغسل؟ وعن الماء يكون بعد الماء؟ وعن الصلاة في بيتي؟ وعن الصلاة في المسجد؟ وعن مؤاكلة الحائض؟ فقال: إن الله لا يستحي من الحق، أما أنا فإذا فعلت كذا وكذا فذكر الغسل قال: أتوضأ وضوئي للصلاة أغسل فرجي ثم ذكر الغسل، وأما الماء يكون بعد الماء فذلك المذي، وكل فحل يمذي، فأغسل من ذلك فرجي وأتوضأ، وأما الصلاة في المسجد والصلاة في بيتي، فقد ترى ما أقرب بيتي من المسجد، ولأن أصلي في بيتي أحب إلي من أن أصل في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة، وأما مؤاكلة الحائض فأواكلها»^(٤). وصلاة النوافل في البيت لها حكم عظيمة منها: التأسى بالنبي ﷺ وإعمار البيوت بذكر الله، فإنه مع الذكر وتلاوة القرآن تجتمع الملائكة وتحصل البركة وتطرد الشياطين ويحل الخير بالبيوت وأهلها، ولكثرة أدائها في البيت يتعلم الصغار الصلاة وتستمر الشعيرة في مجتمع المسلمين معظمة في بيوتهم، عظيمة في نفوسهم قائمة في مساجدهم. وصلاة المراء في بيته أفضل إلا المكتوبة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا)^(٥). وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً - قَالَ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - مِنْ حَصِيرٍ فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيْلِي فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: (قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ)^(٦).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الوتر - باب ساعات الوتر، حديث رقم: ٩٩٦ (٢٥/٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، حديث رقم: ١٧٧٠ (١٦٨/٢).

(٢) انظر: الترمذي - كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٢٥٦٨ (٦٩٨/٤). وانظر: سنن النسائي - كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب فضل صلاة الليل في السفر. حديث رقم: ١٣١٦ (١٢١/٢). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي ذر الغفاري. حديث رقم: ٢١٣٥٥ (٢٨٥/٣٥). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) عبد الله بن سعد الأنصاري، عم حرام بن حكيم، حديثه عند أهل الشام، يقال: إنه شهد القادسية وكان يومئذ على مقدمة الجيش، روى عنه حرام بن حكيم وخالد بن معدان. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤٣٦/١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين، حديث رقم: ١٩٠٠٧ (٣٤٦/٣١). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب كراهية الصلاة في المقابر، حديث رقم: ٤٣٢ (٩٤/١).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب صلاة الليل، حديث رقم: ٧٣١ (١٤٧/١).

٣) سبحة الضحى:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُصَلِّي سُبْحَةَ^(١) الضُّحَى قَطُّ. وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا. وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لِيدْعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ^(٢)). وهذا الحديث من المشكل لما يتبادر إلى الذهن من تعارضه مع الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تؤكد فعله ﷺ لها وحثه عليها وأكد العلماء منها سنية صلاة الضحى ومنها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ﷺ، قَالَ: (أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أُنَامَ)^(٣). وقال النووي في التوفيق بين هذه الرواية والروايات الأخرى في شرحه لحديث أم هانئ: (عن أم هانئ بنت أبي طالب أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة. فقام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوبه فالتحف به ثم صلى ثمان ركعات سُبْحَةَ الضُّحَى^(٤)) قال: (هذه الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق وحاصلها: أَنَّ الضُّحَى سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ وَأَنَّ أَقْلَهَا رَكَعَتَانِ، وَأَكْمَلُهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعٌ أَوْ سِتٌّ كِلَاهُمَا أَكْمَلٌ مِنْ رَكَعَتَيْنِ وَذَوْنِ ثَمَانٍ. وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَ حَدِيثِي عَائِشَةَ فِي نَفْيِ صَلَاتِهِ ﷺ الضُّحَى وَإِبْتَاهَا فَهُوَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّيَهَا بَعْضَ الْأَوْقَاتِ لِفَضْلِهَا، وَيَتْرُكُهَا فِي بَعْضِهَا خَشْيَةً أَنْ تُفْرَضَ كَمَا ذَكَرْتَهُ عَائِشَةُ، وَيَتَأَوَّلُ قَوْلَهَا: (مَا كَانَ يُصَلِّيَهَا إِلَّا أَنْ يَجِيءَ مِنْ مَغِيْبِهِ) عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: مَا رَأَيْتُهُ كَمَا قَالَتْ فِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي سُبْحَةَ الضُّحَى)، وَسَبَبُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يَكُونُ عِنْدَ عَائِشَةَ فِي وَقْتِ الضُّحَى إِلَّا فِي نَادِرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُسَافِرًا وَقَدْ يَكُونُ حَاضِرًا، وَلَكِنَّهُ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ نِسَائِهِ فَإِنَّمَا كَانَ لَهَا يَوْمٌ مِنْ تِسْعَةٍ، فَيَصِحَّ قَوْلُهَا: مَا رَأَيْتُهُ يُصَلِّيَهَا، وَتَكُونُ قَدْ عَلِمَتْ بِخَبَرِهِ أَوْ خَبَرَ غَيْرِهِ أَنَّهُ صَلَّىهَا، أَوْ يُقَالُ: قَوْلُهَا:

(١) (سيح) السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنسٌ من العبادة، والآخر جنسٌ من السَّعي. فالأوَّلُ السُّبْحَةُ، وهي الصَّلَاةُ، ويختصُّ بذلك ما كان نفلًا غير فَرَضٍ. يقول الفقهاء: يجمع المسافرُ بين الصَّلَاتَيْنِ وَلَا يُسَبِّحُ بَيْنَهُمَا، أي لَا يَتَقَلَّبُ بَيْنَهُمَا بِصَلَاةٍ. ومن الباب التَّسْبِيحُ، وهو تَنْزِيهُهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ. والتَّنْزِيهُ فِي اللُّغَةِ: التَّبْعِيدُ. والعرب تقول: سَبَّحَانِ مِنْ كَذَا، أي مَا أَبْعَدَهُ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٥/٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، حديث رقم: ١٦٩٥ (١٥٦/٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب صلاة الضحى في الحضر، حديث رقم: ١٩٨١ (٤١/٣). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، حديث رقم: ١٧٠٥ (١٥٨/٢).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب تستر المغتسل بثوب أو نحوه. حديث رقم: ٧٩١ (١٨٢/١). انظر: سنن أبي داود - كتاب التطوع - باب صلاة الضحى، حديث رقم: ١٢٩٢ (٤٩٧/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في صلاة الليل والنهار مثنى مثنى، حديث رقم: ١٣٢٣ (٤١٩/١). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٥٨٩ (٤٥/٢٠).

مَا كَانَ يُصَلِّيَهَا أَيْ مَا يُدَاوِمُ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ نَفْيًا لِلْمُدَاوِمَةِ لَا لِأَصْلِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١)
(٤) محبة ميامن الصفوف في الصلاة:

الصف خلف الإمام للصلاة فيه صورة ودلالة على التماسك والخشوع، والوحدة بين المصلين المتراصين الذين هدفهم واحد، وهو عبادة الله الواحد، وقبلتهم واحدة وحركتهم واحدة في متابعة لإمامهم، وهو من الأمور الشرعية التي عني بها النبي ﷺ عناية خاصة في تنظيم الصحابة في الصلاة بصفهم وحرصهم، وحثهم على كمال الصف وعدم ترك الفرج للشيطان، وأمرهم بذلك مع بيان أهميته لهم في أدلة كثيرة منها: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمَسُحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلْنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالتَّهَيُّ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا)^(٢) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْخَلِلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمَسُحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ « لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ». وَكَانَ يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُولَى »^(٣) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا »^(٤). لذا حرص الصحابة على اكتساب فضيلة المنافسة على الصف الأول، وعلى ميامن الصفوف؛ لئلا يلهوهم من فضل خاص، حبيبهم في ذلك طمعهم في محبة الله ورحمته ومغفرته، عَنْ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ مَسْعَرٌ^(٥) مِمَّا نُحِبُّ أَوْ مِمَّا أُحِبُّ أَنْ نَقُومَ عَنْ يَمِينِهِ^(٦). وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مِيَامِنِ الصُّفُوفِ »^(٧). فَإِنَّ مُحِبَةَ الصَّلَاةِ فِي يَمِينِ الصَّفِّ مِنَ النِّوَافِلِ أَحْبَبُ فِي إِقَامَةِ شَعِيرَةِ الصَّلَاةِ لِفَضْلِ الرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَالدَّعَاءِ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٥، ص: ٢٣٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمساابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام، حديث رقم: ١٠٠٠ (٣٠/٢).

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف، حديث رقم: ٦٦٤ (٢٥٠/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب فضل الصف المقدم، حديث رقم: ٩٩٧ (١٣٢/٢). وانظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٥١٦ (٤٧٩/٣٠). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصلاة - تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمساابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام، حديث رقم: ١٠١٣ (٣٢/٢).

(٥) مسعر بن كدام بن ظهير أبو سلمة الهلالي العامري من قيس عيلان، كوفي، سمع عمير بن سعيد وعون بن عبد الله روى عنه الثوري وابن عيينة، قال أبو نعيم: مات مسعر سنة خمس وخمسين ومائة، وقال عبد الله بن محمد عن أبي عيينة عن هشام ابن عروة قال: ما رأيت بالكوفة مثل الرؤاسي، يعني مسعرا وما رأيت بالبصرة مثل أيوب السخيتاني، وقال يحيى القطان: ما رأيت مثل مسعر وكان من أثبت الناس. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٣/٨).

(٦) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة - باب فضل ميمنة الصف، حديث رقم: ١٠٠٦ (١٣٨/٢). صححه الألباني.

(٧) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب من يستحب أن يلي الإمام في الصفوف كراهية التأخر، حديث رقم: ٦٧٦ (٢٥٣/١)، وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب فضل ميمنة الصف، حديث رقم: ١٠٠٥ (١٣٧/٢). حسنه الألباني، بلفظ " على الذين يصلون الصفوف " .

٥) السنن الرواتب:

فصل أهل الفقه في السنن الرواتب، وجعلوها من النوافل المتعلقة بالصلوات الخمس؛ لارتباطها بأوقاتها الشرعية، فسميت الرواتب القبلية والرواتب البعدية، أي: قبل صلاة الفريضة أو بعدها. وحرصوا على بيانها لفضلها، ولقيام النبي ﷺ بها في حياته، وعدّها العلماء اثني عشرة ركعة في اليوم واللييلة، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ اثْنَيْ عَشَرَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ^(١). ومما ورد فيها بلفظ الحب الصريح سنة الظهر القبلية، وسنة الفجر القبلية، عن قابوس، عن أبيه، قال: «أرسل أبي امرأةً إلى عائشة يسألها: أيُّ الصلاة كانت أحبَّ إلى رسول الله ﷺ أن يُواظبَ عليها؟ قالت: «كان يُصلي قبل الظهر أربعاً يطيلُ فيهنَّ القيامَ ويُحسنُ فيهنَّ الركوعَ والسجودَ» فإما لم يكن يدعُ صحيحاً ولا مريضاً ولا غائباً، ولا شاهداً فركعتين قبل الفجر»^(٢).

٦) حب العتاقة وقت كسوف الشمس:

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب من أحبَّ العتاقة في كسوف الشمس، عن أسماء رضي الله عنها قالت: «لقد أمر النبي ﷺ بالعتاقة في كسوف الشمس»^(٣). لقد جاءت شريعة الإسلام بحرية الإنسان من رق العبودية، وملكية الإنسان لأخيه الإنسان، تلك الحالة التي عاشتها المجتمعات العربية وغيرها، وهو نوع من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فيما قبل الإسلام بسبب الحروب والمجاعات وغيرها، وأصبحت أصلاً في المجتمع، فبقي الأصل في شريعة الإسلام مرتبط بنتائج الجهاد في سبيل الله لمن أبي دعوة الله، ورفض الإسلام ديناً، وحارب دعوته، فأصبح ملك اليمين والسي من مقررات الشريعة في الحروب، ولم تبق الشريعة هذه الحال على ما هي عليه؛ لما يمثله الرق من عقبة في طريق الحرية، بل جعلت من يتبع الإسلام؛ يُمنح كامل الحرية المتوازنة في شؤون الحياة، بما يلي رغبته ويرضي ربه، وجعلت حلاً شاملاً لأصول الأمر بالحث على عتق الرقاب في المجتمع المسلم، وجعلته من الأعمال المشروعة في الكفارات: مثل كفارة

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب الصلاة-باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة اثني عشرة ركعة من السنة وماله فيه من الفضل، حديث رقم: ٤١٥ (٢/٢٧٤). وانظر: سنن النسائي-كتاب قيام الليل وتطوع النهار-باب ثواب من صلى في اليوم واللييلة اثني عشرة ركعة سوى المكتوبة، حديث رقم: ١٧٩٤ (٣/٢٩٠). وانظر: مسند الإمام أحمد-مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. حديث رقم: ٥٧٥٨ (١٠/٤٤). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها-باب ما جاء في الأربع ركعات قبل الظهر، حديث رقم: ١٢١١، مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤١٦٥ (٤٠/١٩٤). قال الألباني في الترغيب والترهيب: حسن لغیره، وقابوس هو ابن أبي ظبيان وثق وصح له الترمذي وابن خزيمة والحاكم وغيرهم لكن المرسل إلى عائشة مبهم والله أعلم. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف لجهالة المرأة التي أرسلها والد قابوس.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الكسوف-باب من أحب العتاقة في كسوف الشمس، حديث رقم: ١٠٥٤ (٢/٣٨).

اليمين والظهار والقتل الخطأ وكذلك الحث العام عليه كعبادة وقربة، كما في حديث أسماء حيث جعل البخاري يرحمه الله العتق من الأعمال المحبة للنفس وخاصة وقت الخوف والضيق ككسوف الشمس ووقوع الكرب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصْوٍ مِنْهُ عَصْوًا مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ)^(١).

٧) الدعاء في الصلاة حال السجود والتشهد الأخير:

خير الدعاء ما أثر في القرآن والسنة، وأفضل الدعاء ما كان جامعاً للخير، مقصور العبارة بعيداً عن السجع والتكلف، وكذلك كانت سمة أدعية الرسول ﷺ لمن تتبع الأثر، فإن فيها كمال الخير، وفيها تحقيق المطالب العالية، والمقاصد الجليلة، والسلامة من الخطأ والانحراف؛ لأنها صادرة من الوحيين. وللمسلم أن يختار ما أحب من الدعاء، فلكل حاجة ومطلب، والله سميع الدعاء مجيب دعوة المضطرين، وعطاؤه لا ينفد، ويجب أن يسأل وقد وعد الإجابة، والصلاة في حقيقة أدائها ذكر ودعاء، وهي من مواطن القرب من الله تعالى، ويتحري العبد فيها الإجابة، عن عبد الله ﷺ قال: « كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ الرَّجُلُ مِنَّا فِي صَلَاتِهِ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ السَّلَامُ عَلَى فَلَانٍ يَخْصُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم يتخير بعد من الدعاء ما شاء أو ما أحب »^(٢).

٨) تحري قيام ليلة القدر والاعتكاف طلباً لها:

الاعتكاف في المسجد سنة ثابتة عن النبي ﷺ وهو المكث في المسجد ولزومه بنية التقرب إلى الله والعبادة، وقد خصصت السنة وقته في العشر الأواخر من رمضان لفضيحة ليلة القدر التي ذكر الله تعالى أنها خير من ألف شهر قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿١﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾ تَنْزِيلُ أَلْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٣﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٤﴾ ^(٣) ومن فضائلها، ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(٤) قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام بل

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب كفارات الأيمان- باب قول الله تعالى(أو تحرير رقبة)وأي الرقاب أزكى، حديث رقم: ٦٧١٥(١٤٥/٨)،

وانظر: صحيح مسلم-كتاب العتق- باب فضل العتق، حديث رقم: ٣٨٦٩ (٢١٧/٤) ..

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٢٢ (١٢١/٦).

(٣) سورة القدر: ١- ٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصوم- باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، حديث رقم: ١٩٠١ (٢٦/٣).

تَنْتَقِلُ فَتَكُونُ فِي عَامٍ لَيْلَةً سَبْعَ وَعِشْرِينَ مَثَلًا وَفِي عَامٍ آخَرَ لَيْلَةً خَمْسَ وَعِشْرِينَ تَبْعًا لِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ، وَيَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(١) رواه البخاري. قال ابن حجر في فتح الباري: أرجح الأقوال أنها في وترٍ من العشرِ الأخيرِ وأنها تَنْتَقِلُ. اهـ. وقد أَخْفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِلْمَهَا عَلَى الْعِبَادِ رَحْمَةً بِهِمْ لِيَكْثُرَ عَمَلُهُمْ فِي طَلَبِهَا فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْفَاضِلَةِ بِالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ فَيَزِدَادُوا قُرْبَةً مِنَ اللَّهِ وَثَوَابًا، وَأَخْفَاهَا اخْتِبَارًا لَهُمْ أَيْضًا لِيَتَيَّنَ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ جَادًّا فِي طَلَبِهَا حَرِيصًا عَلَيْهَا مِمَّنْ كَانَ كَسْلَانًا مَتَهَاوِنًا، فَإِنَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى شَيْءٍ جَدًّا فِي طَلَبِهِ وَهَانَ عَلَيْهِ التَّعَبُ فِي سَبِيلِ الْوَصُولِ إِلَيْهِ وَالظَّفَرُ بِهِ، وَرَبَّمَا يَظْهَرُ اللَّهُ عِلْمَهَا لِبَعْضِ الْعِبَادِ بِأَمَارَاتٍ وَعِلَامَاتٍ يَرَاهَا كَمَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عِلَامَتَهَا أَنَّهُ يَسْجُدُ فِي صَبِيحَتِهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَتَرُلُ الْمَطَرُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَسَجَدَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي مَاءٍ وَطِينٍ^(٢) ^(٣) وهذا ما تقرره السنة، في أحاديث كثيرة منها: عن زر، قال: قلت لأبي بن كعب: أبا المنذر، أخبرني عن ليلة القدر فإن صاحبنا، — يعني ابن مسعود — كان إذا سئل عنها قال: من يقوم الحول يصيبها. فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أما والله لقد علم أنها في رمضان، ولكن أحب أن لا يتكلموا، وإنما ليلة سبع وعشرين لم يستثن. قلت: أبا المنذر، أني علمت ذلك. قال: بالآية التي قال لنا رسول الله ﷺ صبيحة ليلة القدر. «تطلع الشمس لا شعاع لها كأنها طست حتى ترتفع»^(٤). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان. ثم اعتكف العشر الأوسط. في قبة تركية على سُدَّتِهَا حَصِيرٌ. قَالَ: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَحَاها فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ. ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ. فَدَنَوْا مِنْهُ فَقَالَ: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ. أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ. ثُمَّ أَتَيْتُ. فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ. فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ» فَأَعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ. قَالَ: «وَإِنِّي أُرِيهَا لَيْلَةً وَثَرٌ، وَأَنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ» فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةٍ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ. فَمَطَرَتْ السَّمَاءُ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ. فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ. فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَجَبِينُهُ وَرَوْتُهُ أَنْفَهُ فِيهِمَا الطِّينَ وَالْمَاءَ. وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ.^(٥)

(١) انظر: صحيح البخاري — كتاب فضل ليلة القدر — باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر فيه عبادة، حديث رقم: ٢٠٢١ (٤٧/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري — كتاب فضل ليلة القدر — باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، حديث رقم: ٢٠٢٧ (٤٨/٣)، وانظر: صحيح مسلم — كتاب الصيام — باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم: ٢٨٢٦ (١٧١/٣).

(٣) مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط ٤، ١٤٠٨هـ، ص: ١٠٧.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢١١٩٨ (١٢٦/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن. وصححه الألباني في الجامع الصغير للسيوطي.

(٥) انظر: صحيح مسلم — كتاب الصيام — باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها حديث رقم: ٢٨٢٨ (١٧١/٣).

٩) المشي إلى الصلاة في المسجد:

إن الذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة ماشياً، أفضل من الذهاب إليه راكباً؛ لما في احتساب الخطا من الأجر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ وَتُصَلِّي، يَعْنِي عَلَيْهِ - الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ^(١). وفقه الصحابة هذا عن النبي ﷺ وعملوا به، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: «كان رجل ما أعلم من الناس من إنسان من أهل المدينة ممن يصلي القبلة أبعد بيتاً من المسجد منه. قال: فكان يحضر الصلوات كلهن مع النبي ﷺ، فقلت له: لو اشتريت حماراً تركبه في الرمضاء والظلماء؟ قال: والله ما أحب أن يتي يلزق بمسجد رسول الله ﷺ قال: فأخبرت رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك. فقال: يا نبي الله، لكي ما يكتب أثري ورجوعي إلى أهلي وإقبالي إليه؟ قال: أنطاك الله ذلك كله أو أعطاك ما احتسبت أجمع، أو كما قال^(٢).

ثالثاً: نوافل الزكاة (الصدقة):

إن الإسلام دين الرحمة بني على التكافل، وجاءت أوامره على ما يبقي الحياة، ويسد العجز المادي بين البشر في تعاون ومعروف، وحسن عشرة. فمن أمر الله وحكمته وعدله، أن ابتلي الفقير لينال الأجر بالصبر، وابتلي الغني بغناه لينال الأجر بالصدقة والشكر، فمن تشريعات الإسلام الحكيمة، الحث على الصدقة وتلمس حاجات الفقراء، والمساكين واليتامى والأرامل، وأبناء السبيل وما يعين في سبيل الله، وجعلت هذه الصدقات من بواقي الأعمال بعد الممات؛ فيجري أجرها ما جرى نفعها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »^(٣). وقد أقر الشرع أن المال المنفق في سبيل الله هو الزاد للدار الآخرة، تضاعف به الحسنات، وترفع به الدرجات، قال الله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ)^(٤) عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: اعلموا إنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، مالك من مالك إلا

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصلاة- باب الصلاة في مسجد السوق، حديث رقم: ٤٧٧ (١/١٠٣).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢١٢١٦ (٣٥/١٤١). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الوصية- باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم: ٤٣١٠ (٥/٧٣).

(٤) سورة البقرة: ٢٦١.

ما قدمت ومال وارثك ما أخرت» قال: وقال رسول الله ﷺ: ما تعدون فيكم الصرعة؟ قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: قال: لا، ولكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب، قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما تعدون فيكم الرقوب»^(١)؟ قال: قلنا: الذين لا ولد له، قال: لا، ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً»^(٢). وهذا ما بينه النبي ﷺ بأسلوبه التعليمي الكريم، حيث يعرض السؤال ويعلم مفهوم الناس وجوابهم العقلي، ثم يستقبل الجواب، ويصحح الجواب العقلي القاصر بالجواب الشرعي الكامل، بأن المال الموروث هو ما أنفقته في سبيل الله وورثت أجره، وما بقي من مالك بعد موتك هو ليس لك بل لمن ورثه ممن له حق الميراث. فيصبح البذل والإنفاق هو بذلك أصل فيما تحب من مالك، وأن الحب الحقيقي من مالك لما أنفقته في سبيل الله، لا لما ورثته أو ورثته الورثة. وكذلك الرقوب هو الذي له ولد، ولم يقدم من ولده - أي بموتهم - قبله شيئاً، فهو كمن لا ولد له. ومعنى ذلك، قال النووي: (ومعنى الحديث أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعاً، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه، يكتب له ثواب مصيبتهم به، وثواب صبره عليه، ويكون له فرطاً وسلفاً)^(٣) وتظهر نوافل الصدقات في المال وغيره وحققها في الأقربين أولى الأبعدين، وتظهر محبة فيما يلي:

١) الصدقة على الأهل من الزوج والولد:

الصدقة والنفقة على الأهل والأقربين من الوالدين والأولاد وذوي الأرحام أفضل من الصدقة على الأبعد، ففيها أجران أجر الصدقة وأجر صلة الرحم، عن سلمان^(٤) بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة)^(٥). وهذا التوجيه النبوي الكريم يدفع إلى نشر المحبة بين الأقارب، ويقوي الصلة بينهم، فهم في اجتماع دائم وكلمة كثر الاجتماع كثر الاختلاف، وبه يقل الائتلاف، والنفقة هنا تزيل عوائق الاختلاف، وتزيد الروابط الأسرية،

(١) - (رقب) الرأ والقاف والباء أصل واحد مطرد، يدل على انتصاب لمراعاة شيء. من ذلك الرقيب، وهو الحافظ. والرقوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد، كأنها ترقبه لعلها يبقى لها. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٧/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب ما قدم من ماله فهو له، حديث رقم: ٦٤٤٢ (٩٣/٨). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٢٦ (١٢٩/٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٦، ص: ١٦٢.

(٤) سلمان بن عامر بن أوس بن حجر بن عمرو بن الحارث بن تيم بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة الضبي، روى عن النبي ﷺ، روت عنه ابنة أخيه أم الرائح واسمها الرباب بنت صليح وحفيده عبد العزيز بن بشر بن سلمان الضبي، ووقع في رواية السدائقي في كتابه الذي صنفه في الضبين التصريح بأنه كان في حياة النبي ﷺ شيخاً، وروى عنه أيضاً بن سيرين وأخته حفصة بنت سيرين، سكن البصرة، ووهب من زعم أنه مات في خلافة عمر فإن الصواب أنه عاش إلى خلافة معاوية، وقال مسلم ليس في الصحابة ضبي غيره كذا نقله بن الأثير وأقره هو ومن تبعه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٤٠/٣).

(٥) انظر: سنن النسائي - كتاب الزكاة - باب الصدقة على الأقارب، حديث رقم: ٢٥٨١ (٩٦/٥). انظر: سنن الترمذي - كتاب الزكاة - باب ما جاء في الصدقة على الأقارب، حديث رقم: ٦٥٨ (٤٦/٣). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند المدنين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٢٣٣ (١٧١/٢٦). صححه الألباني، تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

وهذا ما أقره الرسول ﷺ في حق نفقة امرأة عبد الله بن عتبة عليه وعلى ولده، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن رائطة امرأة عبد الله، وكانت امرأة صناعاً، وكانت تبيع وتصدق، فقالت لعبد الله يوماً: لقد شغلتنني أنت وولدك فما أستطيع أن أتصدق معكم، فقال: ما أحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلني! فسألا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: «لَكَ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتَ عَلَيْهِمْ»^(١).

(٢) العقيقة عن الولد:

العقيقة على اختيار أكثر الفقهاء أنها سنة مؤكدة على الأب، ممن وجد النفقة، وتدخل في نوافل الصدقات، قال ابن قدامة في المغني: (وَالْعَقِيقَةُ سُنَّةٌ فِي قَوْلِ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَعَائِشَةُ، وَفُقَهَاءُ التَّابِعِينَ، وَأَنَّمَا الْأَمْصَارُ، إِلَّا أَصْحَابَ الرَّأْيِ، قَالُوا لَيْسَتْ سُنَّةٌ، وَهِيَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْعَقِيقَةِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يُحِبُّ الْعُقُوقَ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ الْأِسْمَ، وَقَالَ: مَنْ وَلَدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْهُ فَلْيَفْعَلْ {رَوَاهُ مَالِكٌ فِي "مُوطِنِهِ" وَقَالَ الْحَسَنُ وَدَاوُدُ: هِيَ وَاجِبَةٌ} ^(٢) وهي عمل محبوب للوالد فرحاً بمولوده، عن عمرو بن شعيب عن أبيه أراه عن جده قال: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ؟ فَقَالَ: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْعُقُوقَ كَأَنَّهُ كَرِهَ الْأِسْمَ وَقَالَ: مَنْ وَلَدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْهُ فَلْيَنْسُكْ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَرَعِ؟ قَالَ وَالْفَرَعُ حَقٌّ، وَإِنْ تَتْرَكُوهُ حَتَّى يَكُونَ بَكْرًا شُغْرُبًا ^(٣) ابْنُ مَخَاضٍ أَوْ ابْنُ لَبُونٍ فَتُعْطِيهِ أَرْمَلَةً أَوْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذْبَحَهُ فَيَلْزَقَ لَحْمُهُ بِوَبَرِهِ، وَتُكْفَأَ إِنْاءُكَ، وَتَوَلَّهَ نَافَتُكَ» ^(٤). قال الشيخ العلامة عبد العزيز محمد السلمان يرحمه الله: (عن سمرة ^(٥): أن رسول الله ﷺ قال: «كل غلام مرثى بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق ويسمى» رواه أحمد والأربعة، وصححه الترمذي. قال شيخ الإسلام: العقيقة فيها معنى القربان والشكر والصدقة والفداء، وإطعام الطعام عند السرور، فإذا شرع عند النكاح، فلا بد أن يشرع عند الغاية المطلوبة، وهو وجود النسل أولى. وقال أحمد: إن استقرض رجوت أن يخلف الله عليه، أحيا سنة واتبع ما جاء به عن ربه. قال ابن القيم: وهذا لأنها سنة ونسيكة مشروعة بسبب تجدد نعمة على الوالدين، وفيها سر بديع موروث عن فداء إسماعيل، بالكبش الذي ذبح عنه وفداه الله به، فصار سنة في أولاده بعده، أن يفدي أحدهم عند ولادته بذبح يذبح، ولا يستنكر أن يكون هذا حرزاً له من الشيطان بعد ولادته، كما كان

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٠٨٥ (٤٩٣/٢٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح وهذا إسناد حسن.

(٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ج ١١، ص: ١٢٠.

(٣) سبق بيانه، انظر: فهرس الألفاظ الغريبة.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الضحايا - باب في العقيقة حديث رقم: ٢٨٤٤ (٦٦/٣). وانظر: موطأ مالك - كتاب العقيقة - باب ما

جاء في العقيقة، حديث رقم: ١٨٣٨ (٧١٥/٣). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٧١٣

(١١/٣٢٠). قال الألباني: حسن صحيح. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

ذكر اسم الله عند وضعه في الرحم حرزاً له من ضرر الشيطان. اهـ ، وفي العقيقة مصالح، منها: إظهار البشّر بالنعمة، ومنها: نشر النسب، ومنها: اتباع سبيل السخاء وعصيان داعي الشح والبخل^(١)
(٣) الإنفاق مما يحب:

قال الله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ^(٢)} الكمال في الإيمان يستدعي بالمسلم أن يرقى بنفسه في درجات الطهر، ويصل بقلبه إلى التمحيص الدقيق، وهنا يكون العوض: جنات تجري من تحتها الأنهار، فتتطفئ لوعة حب المال وتسكن لهفة الطمع، ومن أبرز صور الطهر وقوة الإيمان هذه، مثلاً من سير السلف الصالح في إنفاقهم أحب أموالهم في سبيل الله، وبلغوا بذلك درجة الأخيار الأبرار:

أ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بَرَحَاءُ^(٣)، وكانت مُستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس فلما أنزلت هذه الآية {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} (آل عمران: ٩٢) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وإن أحب أموالي إلي بَرَحَاءُ، وإنما صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضّعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك مالٌ رابح، ذلك مالٌ رابح، وقد سمعتُ ما قُلْتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٤).

ب) عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما، قال: أصبْتُ أرضاً من أرض خيبر فأتيْتُ رسولَ الله ﷺ فقُلْتُ: أصبْتُ أرضاً لم أصبْ مالاً أحبَّ إليَّ ولا أنفَسَ عندي منها قال: إن شئتَ تصدَّقْتُ بها فتصدق بها على أن تُباع ولا تُوهب في الفقراء وذوي القربى والرقاب والضيِّف وأبن السبيل لا جناح على من وليها أن

(١) الأسئلة والأجوبة الفقهية، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن السلمان، ج ٣، ص: ٣٤.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) بَرَحَاءُ: أرض ذات نخل وماء عذب، وكانت أحب أموال أبي طلحة رضي الله عنه إليه تصدق بها لله تعالى ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. وأن رسول الله ﷺ أعطاها حسان في ضربته حال حادثة الإفك، وهي قصر بني حديلة بالمدينة، وحديلة : قال ابن حجر: "هو بالمهمله مصغرا، ووهم من قاله بالجيم، وبنو حديلة بالمهمله مصغرا، بطن من الأنصار وهم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار وكان قصر بني حديلة حائطا لأي طلحة يقال لها بَرَحَاءُ" وأن هذا القصر نسب إليهم بسبب المجاورة لكونهم كانوا ساكنين في تلك البقعة، وإلا فالذي بنى القصر هو معاوية بن أبي سفيان بعد أن اشترى حصّة حسان بن ثابت منه. وصار هذا القصر فيما بعد للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. انظر فتح الباري (٥/ ٣٨٨) وانظر : مرويات غزوة بني المصطلق لإبراهيم قريبي (٢٥٨/١).

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة - باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم: ١٤٦١ (١١٩/٢). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة- باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، حديث رقم: ٢٣٦٢ (٧٩/٣).

يَأْكُلُ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ مَالًا وَيُطْعِمُ.^(١) فمن أفضل ما يتقرب به المسلم إلى الله من نوافل المال الصدقة، وهنا ضابط شرعي هام، يتبين به أصل من أصول المقاصد الشرعية في الإنفاق وهو أن الصدقة من المال المحبوب لصاحبه يجب أن تكون من مال حلال فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فقد يجب المرء نوعاً من ماله وهو حرام فيسبق عليه القدر بالتوبة والإنابة فينفق من هذا المال المحبوب لديه، وعنده غيره من الأموال ذوات المكاسب الحلال، فيقدم على الحرام لينفق منه، ويدع الطيب الحلال ؛ وهذا ضعف في الفقه ؛ ولأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وهي ليست من الطيب، بل هي من الخبيث قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)^(٢) والخبيث في المال يكون في العين والذات أو طريق الكسب، فقد يكون في ذاته كمن ينفق من محرّمات كالخمر والمخدرات والميتة والخنزير وغيرها أو تكون محرمة لطرق مكسبها كالربا والسرقه والغصب وغيره. وكذلك فإن الله لا يقبل العمل ما لم يكن مخلصاً له سبحانه نقياً من الشرك والرياء، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلْ أَهْلَ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِنْ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ »^(٣).

رابعاً: نوافل الصوم:

إن نوافل الصوم في الشريعة كثيرة وعظيمة الأجر، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ، عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً^(٤). ومن أفضل هذه النوافل

(١) انظر: سنن النسائي - كتاب الإحياس - باب الإحياس كيف يكون الحبس وذكر الاختلاف على ابن عون في خبر ابن عمر فيه، حديث رقم: ٦٣٩١ (١٣٨/٦). صححه الألباني .

(٢) سورة البقرة: ٢٦٧.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث رقم: ٥٠٣٢ (٤٧/٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب فضل الصوم في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٤٠ (٢٦/٤).

وأحبها إلى الله صيام داود عليه السلام إفطار يوم وصيام يوم وكذلك من أفضلها صيام شهر الله المحرم وصيام يوم العاشر منه خاصة، يوم نجاة موسى من فرعون، روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ^(١)). وفارق النبي ﷺ بين صيامنا له وبين صيام اليهود بصيام يوم قبله، عند مسلم أيضا عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» ^(٢) . وفي رواية: يَعْنِي يَوْمَ عَاشُورَاءَ. وكان فرضا قبل فرض صيام رمضان ثم بقي سنة لحديث عائشة رضي الله عنها، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (كَانُوا يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ، وَكَانَ يَوْمًا تُسْتَرُّ فِيهِ الْكَعْبَةُ فَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ رَمَضَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ شَاءَ أَنْ يَصُومَهُ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ فَلْيَتْرُكْهُ) ^(٣) وعن عبد الله بن عمر أنه ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، فقال رسول الله ﷺ: (كان يوما يصومه أهل الجاهلية فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه ومن كرهه فليدعه) ^(٤) . وعن حميد بن عبد الرحمن أنه سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، خَطِيبًا بِالْمَدِينَةِ يَعْنِي فِي قَدَمَةِ قَدَمِهَا خَطَبَهُمْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لِهَذَا الْيَوْمِ «هَذَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ. وَلَمْ يَكُتَبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ. وَأَنَا صَائِمٌ. فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ. وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِرْ» ^(٥) .

ومن نوافل الصوم صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الاثنين والخميس من الأسبوع، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، والصيام من شهر شعبان، عن عائشة، تقول: «كَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصُومَهُ شَعْبَانُ بَلْ كَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ» ^(٦) .

ومن نوافل الصوم صيام ست من شوال، وصيام التطوع النافلة كصيام الفرض في وقت الإمساك والإفطار والمبطلات، ولكن الفرق بينهما في نية الإمساك ونية الإفطار، فهي محل اختيار للصائم في النافلة، ومحل جزم ووجوب في الفرض، عن عائشة، قالت: دخل علي رسول الله يومًا فقال: «هل عندكم شيء؟ فقلت: لا قال: فإني صائم ثم مر بي بعد ذلك اليوم وقد أهدي لنا حيس فخبأت له منه. وكان يحب الحيس، قلت

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصوم-باب صيام يوم عاشوراء، حديث رقم: ٢٠٠٤ (٤٤/٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصيام-باب أي يوم يصام في عاشوراء، حديث رقم: ٢٧٢٣ (١٥١/٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الحج-باب قول الله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي القلائد) رقم الحديث: ١٥٩٢ (١٤٨/٢).

(٤) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصيام-باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم: ٢٧٠٠ (١٤٧/٣).

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصيام-باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم: ٢٧٠٩ (١٤٩/٣).

(٦) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصيام-باب في صوم عاشوراء، حديث رقم: ٢٤٣٣ (٢٩٩/٢). وانظر: سنن النسائي-كتاب الصيام-باب صوم النبي ﷺ-بأي هو وأمي-وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، حديث رقم: ٢٦٧١ (١٧٥/٣). صححه الألباني .

يا رسول الله: إنه أهدي لنا حيس فخبأت لك منه قال: أدنيه أما إني قد أصبحت وأنا صائم فأكل منه ثم قال: إنما مثل صوم التطوع مثل الرجل يخرج من ماله الصدقة فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها»^(١).

ومن نوافل الصوم ألا يكلف المسلم نفسه ما لا تطيق، فقد شرع الإفطار في الفرض، رحمة من الله ويسراً في الدين على أهل الأعذار، فكيف بمن صام على تطوع واختيار، فليسر فيه أولى، عن أبي السليل قال: حدثتني مجيبة - عجزوز من باهلة - عن أبيها أو عن عمها قال: «أتيت رسول الله ﷺ لحاجة مرة، فقال: من أنت؟ قال: أو ما تعرفني؟! قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي، الذي أتيتك عام أول، قال: فإنك أتيتني وجسمك ولونك وهيتك حسنة، فما بلغ بك ما أرى؟ فقال: إني والله ما أفطرت بعدك إلا ليلاً، قال: من أمرك أن تعذب نفسك؟ من أمرك أن تعذب نفسك؟ من أمرك أن تعذب نفسك؟ ثلاث مرات، صم شهر الصبر رمضان، قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني، فقال: فصم يوماً من الشهر، قلت: إني أجد قوة وإني أحب أن تزيدني، قال: فيومين من الشهر، قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني، قال: وما تبغي عن شهر الصبر ويومين في الشهر؟ قال: قلت: إني أجد قوة وإني أحب أن تزيدني، قال: فثلاثة أيام من الشهر، قال: وأحم عند الثالثة، فما كاد قلت: إني أجد قوة وإني أحب أن تزيدني، قال: فمن الحُرْم، وأفطر»^(٢). وكانت سنة النبي ﷺ في صيام النفل ما رواه أنس رضي الله عنه، عن حميد قال: سألت أنساً رضي الله عنه عن صيام النبي ﷺ فقال: «ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائماً إلا رأيته، ولا مفطراً إلا رأيته، ولا من الليل قائماً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته، ولا مسسئ خزة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شملت مسكة ولا عبيرة أطيب رائحة من رائحة رسول الله ﷺ»^(٣). قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (يعني أن حاله في التطوع بالصيام والقيام كان يختلف، فكان تارة يقوم من أول الليل، وتارة في وسطه، وتارة من آخره، كما كان يصوم تارة من أول الشهر، وتارة من وسطه، وتارة من آخره، فكان من أراد أن يراه في وقت من أوقات الليل قائماً، أو في وقت من أوقات الشهر صائماً، فراقبه المرة بعد المرة، فلا بد أن يصادفه قام أو صام على وفق ما أراد أن يراه، هذا معنى الخبر، وليس المراد أنه كان يسرد الصوم، ولا أنه كان يستوعب الليل قياماً انتهى)^(٤).

(١) انظر: سنن النسائي-كتاب الصيام-باب النية في الصيام والاختلاف على طلحة بن يحيى في خبر عائشة فيه، حديث رقم: ٢٦٤٣ (١٦٦/٣). حسنه الألباني .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٠٣٢٣ (٤٣٢/٣٣). تعليق شعيب الأرئوط على المسند : حسن لغيره.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصوم-باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره، حديث رقم: ١٩٧٣ (٣٩/٣).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٤، ص: ٢١٦.

ومن السنن التي يتوافق فيها صوم النفل والفرض: تعجيل الفطور وتأخير السحور، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله عز وجل: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَلُهُمْ فِطْرًا»^(١). وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَهً)^(٢) وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: قال: (تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة قال قلت كم كان قدر ذلك؟ قال قدر خمسين آية)^(٣) قال أبو عيسى: حديث زيد بن ثابت حديث حسن صحيح وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحق: استحبا تأخير السحور.

خامسا: نوافل الحج:

فرض الله على المسلم الحج إلى بيت الله الحرام مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا، وما أداه العبد بعد ذلك فتطوع، عن ابن عباس رضي الله عنهما، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ، عَنْ شُبْرُمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ: قَرِيبٌ لِي، قَالَ: هَلْ حَجَّجْتَ قَطُّ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاجْعَلْ هَذِهِ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ اخْجُجْ عَنْ شُبْرُمَةَ)^(٤).

ومناسك الحج الثلاثة: التمتع والقران والإفراد، ذوات أركان وواجبات وسنن، والسنن فيها كثيرة وهي نوافل في أعمال الحج، وتركها لا يخل تمامه، ولا ينقص، وبها يزداد والحج كمالا، والحاج أجرا، وتأسيا بالرسول ﷺ وهي على سبيل المثال لا للحصر:

١) نوافل الإحرام:

ومنها الغسل والطيب للمحرم، وتكرار التلبية، ولباس الإزار والرداء للرجل. ومما ورد في نوافل الحج بلفظ الحب الصريح التطيب للمحرم في بدنه، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه، قال: سألت ابن عمر عن الطيب عند الإحرام فقال: لَأَنْ أَطْلِيَ بِالْقَطْرَانِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَقَدْ كُنْتُ أَطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَطُوفُ فِي نِسَائِهِ ثُمَّ يُصْبِحُ يَنْضَحُ طِيْبًا.^(٥) والخلاف هنا خلاف زمني كما أوضحه علماء الفقه، أي يحرم - الطيب - عند الإحرام بعد الدخول في النسك، أما قبله يعد من السنن الثابتة بنص حديث عائشة رض الله عنها. والتلبية من نوافل الإحرام ذات

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في تعجيل الإفطار، حديث رقم: ٧٠٠ (٨٣/٣). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٧٢٤١ (١٨٢/١٢). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب بركة السحور من غير إيجاب، حديث رقم: ١٩٢٣ (٢٩/٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر، حديث رقم: ١٩٢١ (٢/٣٩).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب المناسك - باب الحج عن الميت، حديث رقم: ٢٩٠٣ (١٤٧/٤) صححه الألباني.

(٥) انظر: سنن النسائي - كتاب مناسك الحج - باب موضع الحج، حديث رقم: ٢٧٠٣ (١٥٣/٥) صححه الألباني.

مقصود عظيم، قال ابن حجر: (وقيل معنى لبيك اتجاهي وقصدي إليك، مأخوذ من قولهم داري تلب دارك أي تواجهها، وقيل معناه محبتي لك، مأخوذ من قولهم امرأة لبة أي محبة، وقيل إخلاصي لك، من قولهم حب لباب أي خالص، وقيل أنا مقيم على طاعتك، من قولهم لب الرجل بالمكان إذا أقام، وقيل قربا منك، من الإلباب وهو القرب، وقيل خاضعا لك، والأول أظهر وأشهر؛ لأن المحرم مستجيب لدعاء الله إياه في حج بيته، ولهذا من دعا فقال: لبيك فقد استجاب، وقال ابن عبد البر قال جماعة من أهل العلم معنى التلبية إجابة دعوة إبراهيم حين أذن في الناس بالحج^(١))

٢) نوافل الطواف بالبيت:

عن زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ لِلرُّكْنِ: (أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ، فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ قَالَ: فَمَا لَنَا وَلِلرَّمْلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ^(٢)). فمن النوافل في الطواف أداء تحية البيت بالطواف حوله سبعة أشواط، والرمل في الثلاثة الأشواط الأولى من طواف القدوم، مع الاضطباع^(٣)، واستلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني، والصلاة خلف مقام إبراهيم ركعتين، والشرب من ماء زمزم، والتلبية والذكر والدعاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف سبعا، وطاف سبعا، وإنما سعى أحب أن يري الناس قوته^(٤)».

٣) نوافل السعي بين الصفا والمروة:

منها الصعود على الصفا وتلاوة قول الله تعالى في أول صعود: (إِنْ أَلْصَقَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)^(٥) مع الدعاء والذكر وتكرار الدعاء على الصفا والمروة. والرمل بعد المهبط من الصفا وقبل الصعود إليه فيما حدد بالعلمين (الذي يدل على بطن الوادي وبين الجبلين). ومما ورد في نوافل الحج بلفظ الحب الصريح أن المشي في السعي أفضل من

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ ، ج ٣ ، ص : ٤٠٩ .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب الرمل في الحج والعمرة، حديث رقم: ١٦٠٥ (١٥١/٢).

(٣) قال ابن حجر في الفتح عن الاضطباع وهو الكشف عن الناكب : (وهي هيئة تعين على إسراع المشي بأن يدخل رداءه تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على منكبه الأيسر فيبدي منكبه الأيمن ويستتر الأيسر وهو مستحب عند الجمهور سوى مالك) انظر : فتح الباري لابن حجر (٤٧١/٣).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٠٤ (١٥١/٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن .

(٥) سورة البقرة : ١٥٨ .

الركوب، عن أبي الطفيل^(١) قال: « قلت لابن عباس: حدثني عن الركوب بين الصفا والمروة فإن قومك يزعمون أنها سنة، فقال: صدقوا وكذبوا، قلت: ما صدقوا وكذبوا ماذا؟ قال: قدم رسول الله ﷺ مكة فخرجوا حتى خرجت العواتق، وكان رسول الله ﷺ لا يضرب عنده أحد، فركب رسول الله ﷺ فطاف وهو راكب ولو نزل لكان المشي أحب إليه »^(٢).

(٤) نوافل مشعر منى:

الإهلال منها بالحج للمتمتع في يوم التروية - اليوم الثامن من ذي الحجة - وصلاة الحجاج فيها خمسة فروض: الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يحب إذا استطاع، أن يصلي الظهر بمنى من يوم التروية، وذلك أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بمنى^(٣). وكذلك من النوافل في منى ترتيب أعمال الحج يوم العيد: من الرمي، ثم الحلق ثم النحر، وإحياء أيام التشريق ولياليها بالذكر والدعاء والأكل والشرب. ومما ورد في نوافل الحج بلفظ الحب الصريح أن النحر أحب أعمال يوم النحر، ويكون في حق الحاج من نحر وذبح الهدي والأضاحي والفدي، ولغير الحاج في نحر الأضاحي والصدقات، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله قال: « مَا عَمَلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِّ، إِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأُظْلَافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ فَطَبِئُوا بِهَا نَفْسًا »^(٤). وذبح الأضاحي، وقته يكون بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبلها فهي لحم ذبحه لنفسه، ولم يصب أجر الأضحية. كما سيرد بيانه في الباب الثاني عند بيان أثر المحبة في العبادات إن شاء الله .

(٥) نوافل مشعر عرفة:

الذهاب إليها من بعد شروق شمس اليوم التاسع، وصلاة الظهر والعصر جمع تقديم وقصر، والإكثار فيها من الدعاء والذكر، والبقاء فيها إلى غروب الشمس، وكان السلف يرحمهم الله على حرص شديد في لزوم السنن، عن أنس بن سيرين قال: كنت مع ابن عمر بعرفات، فلما كان حين راح رُحْتُ معه، حتى أتى الإمام، فصلى معه الأولى والعصر، ثم وقف معه وأنا وأصحابي لي، حتى أفاض الإمام، فأفَضْنَا معه، حتى

(١) أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الكنايني ثم الليثي، رأى النبي ﷺ وهو شاب، وحفظ عنه أحاديث، قال ابن عدي له صحة وروى أيضا عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وحذيفة وابن مسعود وابن عباس ونافع بن عبد الحارث وزيد بن أرقم وغيرهم، قال مسلم: مات سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة، وقال: ابن البرقي: مات سنة اثنتين ومائة، وهو مشهور باسمه وكنيته جميعا، وقال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه: أبو الطفيل: مكي ثقة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢٣٠/٧).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٤٩٢ (٤٤٧/٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إنساده صحيح على شرط البخاري .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦١٣١ (٢٨٠/١٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن .

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأضاحي عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في فضل الأضحية، حديث رقم: ١٤٩٣ (٨٣/٤). ضعفه الألباني. وصححه في مشكاة المصابيح .

انتهينا إلى المصيق دُونَ المَأْزَمِينَ^(١)، فَأَنَاخَ وَأَنْخَنَا، ونحن نَحْسِبُ أنه يريد أن يصلي، فقال غلامه الذي يمسكُ راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذَكَرَ أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قَضَى حاجته، فهو يُحِبُّ أن يَقْضِي حاجته.^(٢)

٦) نوافل مشعر مزدلفة:

الذكر والتكبير والتلبية وصلاة المغرب والعشاء فيها جمعا مع قصر العشاء. والمبيت بها وصلاة الفجر، وومن ثم النفرة منها إلى منى قبل شروق الشمس، قال الله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِمْ أَضْأَيْنَ)^(٣). وقد صنف الإمام مسلم في صحيحه باب اسْتِحْبَابِ تَقْدِيمِ دَفْعِ الضَّعْفَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِنَّ مِنْ مُزْدَلِفَةَ إِلَى مَنَى فِي أَوَاخِرِ اللَّيَالِي قَبْلَ زَحْمَةِ النَّاسِ وَاسْتِحْبَابِ الْمُكْثِ لِغَيْرِهِمْ حَتَّى يُصَلُّوا الصُّبْحَ بِمُزْدَلِفَةَ.

خامسا: نوافل الميراث:

المال الذي يبقى أجره خير من المال المنقطع بوفاة صاحبه، فهو داخل في الصدقة الجارية، قال الله تعالى : (قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)^(٤) فمن النوافل المقربة لله تعالى باب الصدقات العامة، ويدخل فيها ما يدخره الإنسان لنفسه بعد مماته، من الوصايا والهبات، والأوقاف، والمشاريع الخيرية والإنسانية، ونية المرء المسلم في حفظ القسم المشروع له من ماله، والوصية به في أعيان وأعمال الخير، فقد حفظ له الشرع ذلك، وجعل الوصية المشروعة مقدمة على فرائض الموارث لقوله تعالى: (مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ). ولأن يدع المسلم من يرثه من الورثة أغنياء بما ورث لهم خير من أن يتركهم عائلة يتكففون الناس، ولأن أوصى بالثلث فهو الحد الشرعي للموصي، قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري : (أجمع العلماء على أن الوصية بالثلث جائزة ، وأوصى الزبير بالثلث ، واختلف العلماء في القدر الذي تستحب الوصية به ، فروى عن أبي بكر أنه أوصى بالخمسة ، وقال : إن الله تعالى رضى من غنائم المسلمين بالخمسة . وقال معمر ، عن قتادة : أوصى عمر بالربع . وذكره البخاري عن ابن عباس . وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال : لأن أوصى بالخمسة

(١) (أزم) وأما الهمزة والراء والميم فأصل واحد، وهو الضيق وتَدَانِي الشيء من الشيء بشدة والنفاذ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٧/١) و المأزمان: المضيقان، من حدود مزدلفة حيث يجدها وادي محسر والمأزمان. انظر: كشف المشكل من الصحيحين لابن الجوزي (٥١٥/١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦١٤٩ (٢٩٣/١٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) سورة البقرة: ١٩٨ .

(٤) سورة سبأ: ٣٩ .

أحب إلي من الربع ، ولأن أوصى بالربع أحب إلي من الثلث . واختار آخرون السدس قال إبراهيم : كانوا يكرهون أن يوصوا بمثل نصيب أحد الورثة حتى يكون أقل ، وكان السدس أحب إليهم من الثلث . واختار آخرون العشر ، روى آدم بن أبي إياس قال : حدثنا رقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : حدثنا سعد بن أبي وقاص (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دخل عليه في مرضه يعودده فقال له : أوص . قال : قد أوصيت يا رسول الله بمالي كله في سبيل الله وفي الرقاب والمساكين . قال : فما تركت لولدك ؟ قال : هم أغنياء بخير . قال : أوص بعشر مالك قال : فلم يزل يناقصني وأناقصه حتى قال : أوص بالثلث ، والثلث كثير (فجرت سنة يأخذ بها الناس إلى اليوم)^(١) .

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٨، ص: ١٤٧ - ١٤٨.

الباب الثاني أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب و السنة

الفصل الأول: أثر المحبة في الداعية و المدعو

المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية

المطلب الأول : الصفات

المطلب الثاني : العلاقات

المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو

المطلب الأول : طلب الهداية

المطلب الثاني : مواقف الاستجابة

الفصل الثاني: أثر المحبة في أساليب و وسائل الدعوة

المبحث الأول: أثر المحبة في أساليب الدعوة

المطلب الأول : أثر المحبة في الحكمة و الموعظة الحسنة

المطلب الثاني : أثر المحبة في الجدل و الجهاد

المبحث الثاني: أثر المحبة في وسائل الدعوة

المطلب الأول : أثر المحبة في الوسائل المعنوية

المطلب الثاني : أثر المحبة في الوسائل المادية

الفصل الثالث: أثر المحبة في مجالات الدعوة

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة و العبادات

المطلب الأول : أثر المحبة في العقيدة

المطلب الثاني : أثر المحبة في العبادات

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق و المعاملات

المطلب الأول : أثر المحبة في الأخلاق

المطلب الثاني: أثر المحبة في المعاملات

الباب الثاني

أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب والسنة

تمهيد

التعريف اللغوي للدعوة :

الدعوة في اللغة من (دعا يدعو) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً. وتداعت الحيطان، وذلك إذا سقط واحدٌ وآخر بعده، فكان الأول دعا الثاني، ودواعي الدهر: صروفه، كأنها تُميل الحوادث. ومن الباب: ما بالدار دُعويٌّ، أي ما بها أحدٌ، كأنه ليس بها صائحٌ يدعو بصياحه^(١)). أورد الجوهري في الصحاح: (الدعوة إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دعوة فلان ومذاعة فلان، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدعاء إلى الطعام. والدعوة بالكسر في النسب، يقال: فلان دعي بين الدعوة والدعوى في النسب. والدعي أيضاً: من تبنّيته. قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ)^(٢). وأدعيتُ على فلان كذا. والاسم الدعوى. والادعاء في الحرب: الاعتزاز، وهو أن يقول: أنا فلان بن فلان. وتداعت الحيطان للخراب، أي تهادمت. والأدعية مثل الأحجية. والمداعاة: المحاجاة. يقال: بينهم أدعية يتداعون بها^(٣)). وفي لسان العرب لابن منظور: (والدعاء واحد الأدعية وأصله دُعا ولأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُمزت، وتقول للمرأة أنت تدعين وفيه لغة ثانية أنت تدعوين وفيه لغة ثالثة أنت تدعين ياشتم العين الضمة، والجماعة أنثن تدعون مثل الرجال سواءً، قال ابن بري: قوله في اللغة الثانية أنت تدعوين لغة غير معروفة. والدعاء الأئمة يُدعى بها كقولهم السبابة كأنها هي التي تدعو، كما أن السبابة هي التي كأنها تسب^(٤)).

ومما جاء في القرآن الكريم عنها قول الله تعالى :

(وَنُوحٍ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (٢٧٩/٢).

(٢) سورة الأحزاب : ٤ .

(٣) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، (٢٠٦/١).

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، (٢٥٧/١٤).

بِبَلِيغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ^(١) قال الإمام الطبري في تفسيره : (وإنما عني بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله)^(٢) .

وقال الله تعالى في حق مؤمن آل فرعون في دعوته إياهم إلى الحق : (وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ^(٣) تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ^(٤) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ^(٥) فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفِوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ^(٦)) ، قال ابن كثير في تفسيره : (قول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه) وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أي: جهل بلا دليل (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ) أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه، (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) يقول: حقا. قال السدي وابن جرير: معنى قوله: (لَا جَرَمَ) حقا. وقال الضحاك: (لَا جَرَمَ) لا كذب. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (لَا جَرَمَ) يقول: بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) قال مجاهد: الوثن ليس بشيء. وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر. وقال السدي: لا يجب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة)^(٧)

الدعوة إلى الله بين التعريف الاصطلاحي والمعنى العلمي الشرعي :

لقد عرف أهل العلم وأهل التخصص الدعوة إلى الله في تعريفات أو مفاهيم شاملة، منها :

١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حب المؤمنين لله والدعوة إليه: (والحب يوجب الذل والطاعة، والإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك، ومن لم يستسلم له فهو متكبر، وكلاهما ضد الإسلام ، والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة النبوية، ومن احبة الدعوة إلى الله، وهي: الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم بما أمروا به، فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى. وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه. ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله، ويترك ما أبغضه الله ورسوله، من الأقوال

(١) سورة الرعد: ١٣- ١٤ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، (٣٩٧/١٦).

(٣) سورة غافر: ٤١ - ٤٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، (١٤٥/٧).

والأعمال الباطنة والظاهرة، بما أخبر به الرسول من أسماء الله وصفاته، ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي والملائكة والأنبياء، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما^(١).

٢) بين الشيخ عبد العزيز بن باز المقصود من الدعوة، فقال : (أما المقصود من الدعوة والهدف منها: فالمقصود والهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، وينجوا من النار، وينجوا من غضب الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، هذا هو المقصود من الدعوة)^(٢).

٣) وقال محمد بن إبراهيم التويجري في موضوع الدعوة : (هو التعريف بالإسلام من حيث أركانه الخمسة، وخصائصه وآدابه العامة، وأنظمتها الاجتماعية والاقتصادية، ومقاصده العامة التي تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال)^(٣).

٤) تعريف الدكتور عبد الكريم زيدان، قال في منهج كتابه : (نقصد بالدعوة، الدعوة إلى الله، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...) والمقصود بالدعوة إلى الله، الدعوة إلى دينه وهو الإسلام، إن الدين عند الله الإسلام، الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى. فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها)^(٤).

٥) الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني عرف علم الدعوة بقوله : (مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه)^(٥).

٦) الدكتور جمعه الخولي، قال في مقدمة كتابه^(٦) : (فإن الدعوة إلى الله معالم يجب إبرازها، ومناهج يحسن الاستفادة منها، وتاريخ ينبغي شرحه ودرسه) وقال في بيان المقصود بتاريخ الدعوة : (المقصود بتاريخ الدعوة : الوقوف على قصة الإيمان على ظهر هذه الأرض، وتاريخ الصراع بين الحق والباطل على صفحة الوجود، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم، وكيف يجني من يزرع الخير، ويحصد من يزرع الشوك، وكيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور، وما هي معالم الطريق الذي سار عليه الأنبياء من أولهم إلى خاتمهم محمد ﷺ؟ ومتى عرفت البشرية ربها وأقرت بتوحيده وعظمته؟.... وكيف تسلسلت الرسالات

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ١٥، ص: ٢٨.

(٢) من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله، زياد محمد السعدون . الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١. ١٤٢٧ هـ، ص: ١٩.

(٣) الدعوة إلى الله، محمد بن إبراهيم التويجري، الرياض : دار الأمانة للثقافة، ط ١، ١٤١١ هـ، ص: ٥٣.

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ص: ٥.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢ هـ، ص: ١٤.

(٦) تاريخ الدعوة، د. جمعة علي الخولي، مصر: دار الطباعة الخمدية، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ص: ٣. ص: ١٩.

حتى ختمت بالرسالة الخاتمة؟ وكيف كانت جهود الأنبياء في حراسة اليقين والأخذ بحجزات البشرية عن النار؟ وما هي معالم الرسالة الخاتمة ولم اتصفت بالختم والمهيمنة؟ وكيف انتشرت في العالمين حتى أضاءت المشرق والمغرب؟ وما وصف الرجال الذين بلغوها وحملوها؟

٧) عرفها الدكتور عبد الرحيم المغدوي بعد أن ساق عشرين تعريفا لغيره، وقال في تلك التعاريف، معلقا عليها : (كما يلاحظ على التعاريف السابقة تركيز بعضها على مفهوم الدعوة بمعنى الدين، كما يركز بعضها على مفهوم الدعوة بمعنى النشر والتبليغ، كما يذهب بعض المؤلفين إلى التفريق بين المعنيين أو المفهومين، وذلك راجع في نظري إلى أن الدعوة من المعاني الواسعة والعميقة والشاملة، وليست من المعاني القاصرة أو البسيطة. وهي بذلك تتناول تلك المعاني وتزيد عليها). أما تعريفه فقال : ويمكن لنا بعد ذلك كله أن نورد تعريفا آخر للدعوة متضمنا لمقوماتها الأساسية. فنقول الدعوة إلى الله هي : (قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام، إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان)^(١).

وعند بيان التعريف العلمي للدعوة إلى الله، أرى أن نفرق بين التعريف العلمي وبين المعنى العلمي، فالتعريف تم الاصطلاح عليه، في تحديد المعنى الجامع المانع للمراد تعريفه، وهذا لا يمكن تطبيقه على مصطلح الدعوة إلى الله. لما ذكر الدكتور عبد الرحيم المغدوي أنه من المعاني الواسعة والعميقة والشاملة، وأرى الصواب أن نقول: بيان المعنى العلمي أو الشرعي للدعوة إلى الله، ويمكن لي أن أصفها علميا بهذا الوصف : (الدعوة إلى الله هي أصل دعوات الرسل عليهم السلام، من الدعوة إلى تحقيق توحيد الله، والقيام بأوامره، واجتناب نواهيه. وأعظمها الإيمان بالرسالة الخاتمة التي بعث بها رسولنا ونبينا محمد ﷺ إلى الناس كافة، عقيدة وعبادة وخلقا ومعاملة وسلوكا ومنهجيا. فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإسلام، ببيان ما أمر الله به وما نهى عنه، على نهج وسنة رسوله محمد ﷺ). وكل مسلم يكون داعيا إلى الله؛ بما علم وعلم، ويكون مدعوا؛ بما غفل عنه وجهل، وكل غير المسلمين هم مدعوون إلى الإسلام.

إن الدعوة إلى الله مهمة الرسل عليهم السلام، ومضمون دعوتهم الرسالات بما تحمله وتدعو إليه من عقيدة وتشريعات، بين نفي وإثبات، وبين متابعة أو تجديد وبين ناسخ ومنسوخ؛ حيث استقرت على دين الإسلام توحيدا وشرعية في خاتمة الرسالات، وختام نبوة النبوات، وهي رسالة الإسلام وما جاء به خير المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ. وتتجلى الحجة في الدعوة إلى الله، من لدن آدم عليه السلام إلى الرسالة الخاتمة في مواقف عظيمة، مؤثرة في الدعاة والمدعوين، وظاهرة في أساليب ووسائل الدعوة، وبارزة في جميع مجالاتها من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم محمد المغدوي، الرياض: دار الحضارة، ط ١، ١٤٢٩ هـ، ج ١، ص: ٤٧

يَا لَوْنَكُمْ حَبَالًا وَدُؤَا مَا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٧﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلِيَاءَ غُحْبُوتِهِمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^(١) هذه الحال التي بينها الله تعالى هي الواقعة بين أهل الحق وأهل الباطل في كل من خالف أهل الإيمان في تاريخ الدعوة إلى الله؛ وهي أن أهل الباطل يتخللون بعلاقاتهم في المجتمع المؤمن، ويتربصون بهم؛ يريدون لهم الخبال ويلحقون بهم الفساد، ويريدون لهم الانهزام، وقد يبدون لهم العداوة باللسان، وما يخفون في قلوبهم من البغضاء أكبر، لأن المحبة نزع من قلوبهم سواء للحق أو لأهله من أهل الإيمان، وحذر الله المؤمنين أهل الدعوة الحق، من هؤلاء وخاصة من محبتهم التي تقرهم زلفى، قال الإمام الطبري في تفسيره: (يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم "لا تتخذوا بطانة من دونكم"، يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم "من دونكم" يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين. وإنما جعل "البطانة" مثلاً لخليل الرجل، فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه، لحوله منه - في اطلاعه على أسرارهم وما يطويه عن أبعده وكثير من أقاربه - محل ما ولي جسده من ثيابه. فهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء، ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيتهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم، ومن مخاللتهم^(٢). أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الناس، وأوضح المحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وحذرهم من عدوهم الشيطان، ووعدهم الجزاء على أعمالهم يوم القيامة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتُمُونَ لَذَلِكَ وَ قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ فَيَلْهَمُونَ لَذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ قَالَ فَيَأْتُونَ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا

(١) سورة آل عمران: ١١٨ - ١١٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٣٨ - ١٣٩.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ قُلْ تُسْمِعُ سَلْ تُعْطِ اشْفَعْ تُشَفِّعْ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَقْعُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ تُسْمِعُ سَلْ تُعْطِ اشْفَعْ تُشَفِّعْ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ فَلَا أَذْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ^(١).

ومن المعلوم شرعا أن الدعوة الإسلامية، هي الدعوة إلى الإسلام بما تضمنه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وتشريعات، ومن واجبات الدعاة إلى الله لزوم صراط الله المستقيم وسلوك نهج الأنبياء والمرسلين في البلاغ والتبيين، واقتفاء أثر نبينا محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين لهم بإحسان في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والجهاد في سبيل الله وفق أحكام الدين. ولمكانة الدعوة إلى الله وأهميتها في العصر الحاضر؛ فقد عنيت بها الدول الإسلامية - وعلى رأسها دولتنا المملكة العربية السعودية - والمنظمات الإسلامية، منهجا ودراسة، تأصيلا وتطبيقا. ومن أبرز ما يشار إليه هنا الاهتمام المباشر بها ضمن أحد الكيانات الجامعة للمسلمين، فقد عقدت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، مؤتمر مكة المكرمة الثاني عشر برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - بعنوان: (الدعوة الإسلامية.. الحاضر والمستقبل) وذلك في مقرها بمكة المكرمة، في الفترة من ٣ - ٦ / ١٢ / ١٤٣٢ هـ، وأوضح معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام للرابطة، وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية عبر وسائل الإعلام^(٢)، أن مؤتمر مكة المكرمة الذي تعقده الرابطة في موسم الحج كل عام يتصل بمؤتمر مكة المكرمة الأول الذي دعا إليه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله علماء الأمة للاجتماع في مكة المكرمة عام (١٣٤٥ هـ) لدراسة واقع المسلمين والمشكلات التي تواجههم. وأوضح أن الرابطة اختارت لمؤتمر مكة المكرمة الثاني عشر موضوع: (الدعوة الإسلامية.. الحاضر والمستقبل) لتقويم مسار الدعوة والمشكلات التي تواجهها في الوقت الحاضر، ووضع برامج دعوية متنوعة تراعي حاجة المجتمعات الإسلامية والأقليات المسلمة، إلى جانب دراسة أولويات الدعوة وأساليبها في المجتمع الإنساني. وبين معاليه أن الرابطة وجهت الدعوة لعدد من العلماء وأساتذة الجامعات ومسؤولي المراكز والجمعيات الإسلامية في العالم للمشاركة في المؤتمر، ومناقشة موضوعه من خلال بحوث وأوراق عمل تعالج محاوره المحددة في أربعة محاور، تتضمن موضوعات متنوعة، وفق ما يلي:

(١) انظر : صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها حديث رقم: ٢٨٧ (١/٤٤٨) .

(٢) جريدة المدينة المنورة ، العدد رقم : ١٧٧٢٣ تاريخ : ٥ / ١٢ / ١٤٣٢ هـ - ١٠ نوفمبر ٢٠١١ م .

المحور الأول: أصول الدعوة الإسلامية وحقيقتها: الدعوة فريضة شرعية - الدعوة ضرورة إنسانية - منهج الأنبياء في الدعوة - فقه الدعوة في ضوء الكتاب والسنة.

المحور الثاني: حاضر الدعوة وتحدياتها: انجازات في مجال الدعوة - الدعوة في مجتمع الأقليات - إشكاليات الدعوة وتحدياتها.

المحور الثالث: الدعوة الإسلامية.. رؤى وتطلعات: الحوار الحضاري والعمل الدعوي - الإعلام والتقنية الحديثة والعمل الدعوي - الدعاة والخطاب الديني.

ولقد أسلفت البيان في الفصل الثاني من الباب الأول عن الوصف الشامل للمحبة وفق نصوص الكتاب والسنة ومدى تأثيرها في العلاقات من زاويتين: الصلات الحميدة والصلات الذميمة، وحيث أن المحبة من العوامل الهامة في الدعوة إلى الله، ولها الأثر العظيم في أركان الدعوة، وحيث ترتبط بها نتائج الدعوة وفق مقتضيات الشريعة، فهي صفة ذاتية مرغوبة وسمة اجتماعية مطلوبة، ومدخل حكيم في الأساليب والوسائل، وركيزة يحتكم إليها في تكوين العلاقات، وأصل في مجالات الدعوة من العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، فإنني في هذا الباب أفرد البيان بما للمحبة من أثر في أركان الدعوة بالمفهوم الشامل وفق الدلائل الصريحة بلفظ الحب في الكتاب والسنة. ولسوف أعرض هذا الأثر في ثلاثة فصول، ولكل فصل مبحثان، وتحت كل مبحث مطلبان:

الفصل الأول: أثر المحبة في الداعية والمدعو.

الفصل الثاني: أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة.

الفصل الثالث: أثر المحبة في مجالات الدعوة.

الفصل الأول

أثر المحبة في الداعية والمدعو

المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية

المطلب الأول : الصفات

المطلب الثاني: العلاقات

المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو

المطلب الأول : طلب الهداية

المطلب الثاني: عوائق الاستجابة

الفصل الأول أثر المحبة في الداعية والمدعو

المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية

يجب أن تكون المحبة صفة ملازمة للداعية، بأن يحب الخير للناس كافة وأن يسعى لإدخال السرور على المدعويين بما يحبون من المباحات ويحبهم في اتباع الحق ويعمل على أن يكون محبوباً لهم وللناس، قال الله تعالى: (فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)^(١) ومن هذه الآية ندرك وجوب معالجة الداعية لبواطن نفسه ومكونات ذاته الداخلية؛ لما لها من أثر في منهجه ودعوته وأخلاقه وسلوكه، فإن القلب يقوم عليه مدار العقل والتفكير بما يحمل من أفكار وثقافة وعلم، قال الله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ مِنْهَا)^(٢) فإن القلب الغليظ سبب في التنفير لما يحدثه من قسوة في السلوك وفظاظة في الأخلاق، فأول خطوة يقوم بها الداعية العمل الجاد على صلاح قلبه بدءاً بصلاح النية والحرص على التقوى التي محلها القلب، وتركيزه لنفسه بالبعد عن محبتات النفس من الحسد والحقد والبغضاء وحفظ الدنيا الزائفة، كما يجب عليه أيضاً العمل الدؤوب على أن يعمر قلبه بالحب ويغمره بالطمأنينة، وجوهر ذلك لزوم ذكر الله والقرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه أمراض القلوب وشفائها: (فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب؛ فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي، ويغذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزيكه ويؤيده كما يتغذى البدن بما ينميهِ)^(٣) ولما كان قلب الداعية عقل دعوته وعلمه نورها وأخلاقه مرآتها، أصبحت المحبة ذات صلة قوية بدعوة الداعية وشخصيته، فإن العقل والعلم والأخلاق أسس في محبة الناس للداعية والاستجابة للحق من طريقه؛ لذا أحببت البيان هنا ما للمحبة من أثر في صفات الداعية وعلاقاتها.

المطلب الأول: أثر المحبة في صفات الداعية

إن المحبة من أولى المؤثرات في شخصية الداعية، ولها أثر في دعوته، وقبل أن يتلقى المدعو الدعوة فإن نظره وسمعه وعقله وقلبه مع هذا الشخص الذي يدعوه. من هو؟ وماذا يريد؟ وبعد أن يسمع منه يقول في نفسه: كيف هو مع ما يدعوه إليه؟ فإن ألقيت له محبة في النفس استجاب له، وإن لم يكن له قبولاً امتنع المدعو عن الاستجابة له، وقد يمتنع عن الحق منه ومن غيره مع قناعته به، نفرة من الداعية بسبب صفاته، وانحرافاً عن الفهم الصحيح الذي يجب أن يكون عليه حين ربط الحق بالشخصيات، ومن ذلك نعلم أهمية

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) أمراض القلب وشفائها، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، القاهرة: المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٩٩هـ،

التزام الداعية بالصفات الحسنة، والأساليب القويمة في دعوته، حيث هو محل قدوة ونقد، وتصرفاته محمولة على أنها منهج الدين الذي يدعو إليه، لذا كان لزاما عليه أن يمثل الصفات التي يحبها الله تعالى ودعا إليها رسوله ﷺ، وهي كما تم إيضاحه في الباب الأول فإن الله يحب: المحسنين والمقسطين والمتقين، والتائبين والمطهرين، والصابرين والمتوكلين، والمقاتلين في سبيل الله صفا، وكذا كان لزاما على الداعية أن يتعد ويحذر من مساخط الله، والصفات التي لا يحبها الله، فإن الله لا يحب الظالمين والمفسدين، والكافرين والمعتدين، والجاهرين بالسوء من القول بلا مظلمة، والمختالين بطرا وفخرا، و الخائنين والمستكبرين، والفرحين غرورا. بل إن النبي ﷺ هو القدوة الحسنة في صفاته وأخلاقه وهيئته، وأنه من خالطه معرفة أحبه وكذلك يجب أن يكون الداعية، ومن جميل وصفه ﷺ كما ورد في الأثر، عن إبراهيم^(١) بن محمد من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغْطِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدَّدِ، وَكَانَ رُبْعَةً^(٢) مِنَ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطُطِ وَلَا بِالسَّبُطِ كَانَ جَعْدًا رَجُلًا^(٣)، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ^(٤)، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ^(٥)، وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضٌ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ^(٦) الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ^(٧)، جَلِيلَ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ^(٨)، أَجْرَدَ ذُو مَسْرُوبَةٍ^(٩)، شَتْنُ^(١٠) الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ^(١١)، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ مَعًا، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًا

(١) إبراهيم بن محمد بن المنتشر. ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) وقال يعقوب بن سفيان: شريف كوفي ثقة. وكان رجلا صالحا فاضلا. وقال العجلي: كوفي ثقة. وقال أبو زكريا يحيى بن معين فيما رواه عنه عباس: ثقة. وكذا قاله ابن سعد في كتاب (الطبقات) انظر: إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطي بن قليج. (١/٢٨٤).

(٢) ورُبْعَةً ورُبْعَةً: أي مَرَبُوعٌ الخلق لا بالطويل ولا بالقصير. انظر لسان العرب لابن منظور (٩٩/٨).

(٣) (جعد) الجيم والعين والدال أصل واحد، وهو تَقْبُضٌ في الشيء. يقال شعر جَعْدٌ، وهو خلاف السَّبُط. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٢/١). أي شعره ليس خشنا متلبدا وليس مسترسلا، بينهما، ولكن شعره سهل الترجيل والتمشيط.

(٤) من (طهم) قال ابن الأثير: لم يكن بالمُطَهَّمِ وهو الْمُتَنَفِّخُ الْوَجْهِ وقيل الفاحشُ السَّمْنِ، وقيل النحيفُ الجِسْمِ وهو من الأضداد. انظر لسان العرب لابن منظور (٣٧٢/١٢).

(٥) من (كلثم) الكلثوم الكثير لحم الخدين والوجه و الكَثْمَةُ اجتماع لحم الوجه. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢٥/١٢).

(٦) الدَّعَجُ والدُّعْجَةُ السَّوَادُ وقيل شِدَّةُ السَّوَادِ وقيل الدَّعَجُ شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ وشدة بياض بياضها وقيل شدة سوادها مع سعتها. انظر لسان العرب لابن منظور (٢٧١/٢).

(٧) من (شفر) الشين والفاء والراء أصل واحد يدل على حد الشيء وحرِّفه. من ذلك شَفْرَةُ السَّيْفِ: حَدُّهُ. وشَفِيرُ الْبَيْرِ وشَفِيرُ النَّهْرِ: الْحَدُّ. والشُّفْرُ: مَنِيَتُ الْهَدْبِ مِنَ الْعَيْنِ، والجمع أَشْفَارٌ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٠/٣). ورجل أَهْدَبُ طَوِيلُ أَشْفَارِ الْعَيْنِ النَّابِتِ كَثِيرُهَا. انظر: لسان العرب لابن منظور (٧٨٠/١).

(٨) الْكَتْدُ وَالْكَتْدُ مُجْتَمِعُ الْكَتْفَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ وَقِيلَ هُوَ الْكَاهِلُ وَقِيلَ هُوَ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣٧/٣). أي كبير العظام والكاهل وقويها.

(٩) قال ابن الأثير: الأجرد الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن ﷺ كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه كالمسربة - الصدر - والساعدين والساقين، فإن ضدَّ الأجرد الأشعر وهو الذي على جميع بدنه شعر. انظر: لسان العرب لابن منظور (١١٥/٣).

(١٠) من (شش) الشين والثاء والنون. الشَّتْنُ: الغليظ الأصابع. وكلُّ ما غلظ من عضو فهو شَتْنٌ. وقد شَتْنُ وشَتْنٌ. والله أعلم. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٥/٣).

(١١) من (صب) الصاد والباء أصل واحد، وهو إراقة الشيء، وإليه ترجع فروغ الباب كله. من ذلك صَبَبَتِ الْمَاءُ أَصْبَهُ صَبًّا. وَيُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقَالُ لِمَا انْحَدَرَ مِنَ الْأَرْضِ صَبَبٌ، وجمعه أصبابٌ، كأنه شيء منصَّبٌ في المحادره. وفي الحديث: "أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى فكأنما يمشي في صَبَبٍ". انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٠/٣).

وأشرحهم صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسَ لَهْجَةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكََةً^(١)، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعْتُهُ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ^(٢).

ومما ورد في الكتاب والسنة عن أثر المحبة في الداعية بلفظ الحب ما يمكن لنا إجماله على أوجه من خلال صفات الداعية التالية:

أولاً: الصفات الإيمانية:

١) الإخلاص في الدعوة إلى الله ومعرفة فضلها:

إن الداعية إلى الله عندما يسلك طريق الدعوة؛ يضع أمامه هدفا عاما وهدفا خاصا يقومان على المحبة. الهدف العام يتمثل في اقتدائه بالأنبياء والرسل وحمله رسالة الهداية إلى صراط الله المستقيم، وفي ذلك فضل عظيم انطلق من حبه لله تعالى وهداية الناس إليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا »^(٣). وهدف الداعية الخاص يحدده الموقف الخاص لكل داعية مكانا وزمانا، وكما وكيفا، فرب الأسرة في بيته له هدف خاص في دعوته لأسرته، وإمام المسجد له هدف خاص في دعوته للمصلين معه، أما الهدف العام فيشمل كل مواقفه مع المدعوين، ويتمثل في حب الخير لنفسه بالأجر، ولهم بهدايتهم إلى طاعة الله ورسوله، والمضي بهم إلى صراط الله المستقيم اعتقادا وقولا وعملا، وفي ذلك كسب عظيم، جاء بيانه في مواضع عدة من كتاب الله منها، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٤). وقد جاء فضل الدعوة إلى الله في السنة المطهرة في أدلة كثيرة منها: ذلك الموقف العظيم في غزوة خيبر، الذي جعلت المحبة فيه أمر عظيم الشأن، حاز سبقها في ذلك الموقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأصبحت دليلا وشاهدا في فضل الدعوة إلى الله، عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ « لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ». قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا - قَالَ - فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: « أَتَيْنَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ». فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ - قَالَ - فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَاهُ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) العريكة: الطبيعة يقال فلان كَيْنُ العريكة إذا كان سَلَسًا مطاوعًا متقادًا قليل الخلاف والتُّفُور ورجل كَيْنُ العريكة أي كَيْنُ الخُلُقِ سَلَسُهُ وهو منه، وشديد العريكة إذا كان شديد النفس أَيْبًا والعريكة النَّفْسُ يقال إنه لَصَعْبُ العريكة وسهل العريكة أي النفس . انظر :لسان العرب لابن منظور (٤٦٤/١٠).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، حديث رقم : ٣٦٣٧ (٥/٥٩٨) ضعفه الألباني.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب العلم - باب من سن سنة حسنة أو دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم: ٦٩٨٠ (٨/٦٢).

(٤) سورة فصلت: ٣٣.

فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَانَتْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ « انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ». (١). وحرر النعم هي الإبل، والحرر من الألوان أشرفها، والإبل كانت أفضل أموال العرب، قال أورد ابن حجر: (حرر النعم بفتححتين أي الإبل وحررها أفضلها والنعم الإبل خاصة وإذا قيل الأنعام دخلت معها البقر والغنم وقيل بل النعم للثلاثة) (٢) وهذا الأجر العظيم للداعية في هداية رجل واحد، كيف بالجماعات والأمم؟ وبل يمتد له الأجر بأجور من تبعه على الهدى، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَنُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ - قَالَ - ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السَّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » (٣). ومتى أدرك الداعية إلى الله هذه الحقيقة أحب الدعوة وأخلصها لله تعالى وأخلص للمدعوين في بذل صنوف الخير لهم ودلائتهم على أبوابه وسعى في دعوته على محبة وبصيرة.

٢) التقوى والعلم والعبادة:

إن منبع العلم التقوى، وترتكز العبادة على العلم، وهذه الصفات الثلاث يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله، قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٤) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي: خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره واتركوا زجره {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} كقوله (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا) {وَاتَّقُوا اللَّهَ} إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) (٥) (٦) وحيث التقوى بما التوفيق والمخرج من الضيق، وسعة الرزق، فهي أيضا، السبب في تحصيل العلم النافع وحلول الرفعة، قال ابن جزري في تفسيره لقوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ)

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة خيبر، حديث رقم: ٤٢١٠ (١٣٤/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٧٥ (١٢١/٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ١٩٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم- كتاب العلم- باب من سن سنة حسنة أو دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم: ٦٩٧٥ (٦١/٨).

(٤) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٥) سورة الأنفال: ٢٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ٧٢٧.

وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح (١) فمن اتقى الله أحبه الله ومن أحبه الله جعل له القبول في السماء والأرض وقد فقه الصحابة - قدوة الدعاة - معنى التقوى ولزموا النجاة بها حال السلامة وحال الفتن، وكانوا بها أقوى لزما، عن عامر بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي إِبِلِهِ. فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ. فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكَّابِ. فَتَنَزَّلَ. فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ» (٢). قال النووي يرحمه الله في شرحه: (المُرَاد بِالْغَنَى غِنَى النَّفْسِ، هَذَا هُوَ الْغَنَى الْمَحْبُوبُ لِقَوْلِهِ ﷺ: "وَلَكِنَّ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ" (٣) وَأَشَارَ الْقَاضِي إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْغَنَى بِالْمَالِ. وَأَمَّا (الْخَفِيُّ) فَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي النَّسَخِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي الرَّوَايَاتِ، وَذَكَرَ الْقَاضِي أَنَّ بَعْضَ رُوَاةِ مُسْلِمٍ رَوَاهُ بِالْمُهْمَلَةِ، فَمَعْنَاهُ بِالْمُعْجَمَةِ الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِأُمُورِ نَفْسِهِ، وَمَعْنَاهُ بِالْمُهْمَلَةِ الْوُصُولُ لِلرَّحِمِ، اللَّطِيفُ بِهِمْ وَبَغَيْرِهِمْ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَالصَّحِيحُ بِالْمُعْجَمَةِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لِمَنْ يَقُولُ: الْاِعْتِزَالُ أَفْضَلُ مِنَ الْاِخْتِلَاطِ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ سَبَقَ بَيَانَهُ مَرَّاتٍ. وَمَنْ قَالَ بِالتَّفْضِيلِ لِلِاِخْتِلَاطِ قَدْ يَتَأَوَّلُ هَذَا عَلَى الْاِعْتِزَالِ وَقْتَ الْفِتْنَةِ وَنَحْوَهَا (٤) والدعاة إلى الله حقا، هم من تكون دعوتهم قائمة على التقوى والبصيرة والعلم، وهم أصفياء أنقياء أخفاء عندما يرافقهم الإخلاص، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي. فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ». وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفَاءَ، الَّذِينَ، إِذَا غَابُوا، لَمْ يُفْتَقَدُوا. وَإِنْ حَضَرُوا، لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا. قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى. يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ» (٥). وهذا الحديث ضعفه جمع من المحققين وصححه جمع آخر كالحاكم في مستدركه، ويدل هذا الحديث على صفتي التقوى والإخلاص، اللتين امتاز بهما الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وخلق من الصالحين، ودلالة التقوى والإخلاص والحث عليهما ثابت بنصوص الكتاب والسنة الكثيرة، فيجب على الدعاة خاصة الحرص على طهارة أنفسهم وإخلاصهم لله تعالى، فيلهموا الرشد والحكمة، ويعانوا على الدعوة بالتوفيق والسداد من الله، وفي شرح سنن ابن ماجة (يخرجون من كل غبراء مظلمة أي من عهدة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوه عوض، القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١٧٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد - باب الرقائق - حديث رقم: ٧٦٢١ (٨/٢١٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب الغنى غنى النفس، حديث رقم: ٦٤٤٦ (٨/٩٥)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ليس الغنى عن كثرة العرض، حديث رقم: ٢٤٦٧ (٣/١٠٠).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٨، ص: ١٠٠ - ١٠١.

(٥) انظر: سنن ابن ماجة - كتاب الفتن - باب من ترجى له السلامة من الفتن، حديث رقم: ٣٩٨٩ (٥/١٢٦). ضعفه الألباني. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح ولا علة له.

كل مسألة مشكلة و بلية معضلة (١) والدعاة إلى الله أحبوا الله وأحبهم الله، لما تجاهلوا لذة الدنيا من أجل لذة الآخرة، قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا) (٢) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (٣) كَلَّا نُمَدِّدُ هُنَّوَلَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٤) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلََّا خِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٥) فإن ديدن الدعاة أنهم يعبدون الله في الخلوات و الجلوات بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، يفضلون الآخرة على الأولى، ويتزودون لدار البقاء بصالح العمل في دار الفناء ويضحون بالملذات في سبيل الله، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَعْدُلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتَلَوُّ آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ» (٦). وإمام الدعاة رحمه الله هو أتقى الناس لله وأعبدهم له وأعلمهم به، و أول ما بدأ التحث، حُبُّ إليه الخلاء والعبادة، وبعد البعثة قام مصليا حتى تفتطرت قدماه شكرا لله، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدِيَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبُّ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التَّعَبُّدُ — الليالي ذوات العدد، قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء (٧) وثمار المحبة يجنيها الداعية إلى الله بمحبة الله له و حبه لطاعة ربه، ومحبة الناس له، وإن التقوى تضم العلم والعبادة وحسن الخلق والمعاملة، والدعوة إلى الحق والصبر عليه، يقول الشيخ السعدي في تفسيره: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي (٨) وقد أمر الله النبي ﷺ بالتزود والزيادة من العلم، وهو قدوة الدعاة وخاتم المرسلين: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (٩). وعلى الداعية إلى الله الحرص على الإخلاص في طلب العلم، وأن يحسن اكتسابه من طرقه الصحيحة، وهو من تقرير أوامر الشريعة، والدراسات الإنسانية، قال التركي: (والإنسان إذا أراد بعلمه وجه الله — سبحانه وتعالى — جعل الله لشخصيته هبة في نفوس الناس، وقد ذم الله — عز وجل — من طلب العلم للمباهاة والدنيا فقط. والإنسان يكتسب العلم من أربع طرق:

(١) شرح سنن ابن ماجه، السيوطي، تحقيق: عبدالغني فخر الحسن الدهلوي، كراتشي: قديمي كتب خانة، ص: ٢٨٧.

(٢) سورة الإسراء: ١٨ - ٢١.

(٣) انظر سنن النسائي - كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب فضل قيام الليل في السفر، حديث رقم: ١٣١٦ (٢/١٢١). ضعفه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على صحيح ابن حبان : حديث صحيح . وقال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ .

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي- حديث رقم: ٣ (٧/١).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٣٢٨.

(٦) سورة طه: ١١٤.

الأول: من بديهية العقل ومصادمة الحس.

والثاني: الاستفادة من جهة النظر، فهو موجب للعلم.

والثالث: الاستفادة من أخبار الناس إما بالسماع منهم شخصياً أو بالقراءة في مؤلفاتهم.

والرابع: ما كان عن الوحي^(١)

٣) حمل القرآن (بتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به):

إن من أجل الصفات و أعظم السمات في الداعية إلى الله، حمله كتاب الله بين جنبات صدره بحفظه؛ كي يطمئن قلبه وتطيب نفسه، ويسعد بإتقانه مرتلاً، يتعبد الله بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وقبل هذا كله، فإن غاية المقصود دارسته وتدبره والعمل بما فيه، ويدخل في الخيرية التي بشر بها النبي ﷺ ويكون له أدعى في استحضر الدليل أثناء الدعوة (عَنْ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)^(٢)، ولقد كان النبي ﷺ يتدارسه مع جبريل في رمضان في كل عام مرة ودارسه في سنة وفاته ﷺ مرتين ، وكان يعلمه الصحابة رضي الله عنهم، بل كان يحب أن يسمعه منهم عَنْ إِبْرَاهِيمَ^(٣) قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ « أَقْرَأْ عَلَيَّ ». قَالَ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ « إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » قَالَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِلَى قَوْلِهِ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (فَبَكَى)^(٤). وحق لقلوب الدعاة أن تخشع بالقرآن، والداعية الذي لا يخشع قلبه بالقرآن قلبه مريض، ومسلكه الدعوي غير صحيح، ويفتقر إلى الإخلاص، وهو في حاجة إلى دعوة خاصة نفسه قال الله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(٥) وأخذ القرآن يستحب أن يكون على مكث وتدبر، فهو خير من أخذه على عجل وسرد. أورد السيوطي في الإتقان: (قال أبو عبد الرحمن السلمي^(٦) حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ، د. ناصر بن عبد الله بن ناصر التركي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عمادة البحث العلمي ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ، ص : ١٥٤ .

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: ٥٠٢٧ (٦/ ١٩١).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي. أحد رجال السند في روية هذا الحديث.

(٤) انظر: صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، حديث رقم: ١٩٠٥ (٢/ ١٩٦).

(٥) سورة الحشر: ٢١ .

(٦) أبو عبد الرحمن السلمي، مقرئ الكوفة، الإمام العلم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن وجوده، ومهر فيه، وعرض على عثمان فيما بلغنا، وعلى علي، وابن مسعود. وحدث عن عمر، وعثمان، وطائفة. قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبي، وابن مسعود. أخذ عنه القرآن: عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن أبي أيوب، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما. قال أبو إسحاق: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة، وقال سعد بن عبيدة: أقرأ أبو عبد

كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة^(١) وهكذا ينصح علماء السلف بالتوجيه المتكرر في أخذ القرآن وتعلمه، حيث هكذا نهج الصحابة رضي الله عنهم فقد جمعوا بين القراءة والعلم، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)^(٢) وقال رضي الله عنه: (من أراد العلم فليقرأ القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين)^(٣) وحب الداعية للقرآن يجعله على نور وهداية في دعوته، حيث هو أصل الدليل في الأحكام، ويعطيه قوة في البلاغ والبلاغة والبيان والتذكير، قال الله تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ)^(٤) وإن كتاب الله نور يقرب بين قلوب المؤمنين ألفه ومحبة، عن مسروق قال: « ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أَحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اسْتَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَلَامُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَبِي بَنٍ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. قَالَ: لَا أَدْرِي، بَدَأَ بِأَيِّ أَوْ بِمُعَاذٍ »^(٥). وهنا نعلم أن القرآن خلق الداعية، والسنة صفته، والعلم الشرعي نهجه، فيجب على الداعية أن يتزود بالفقه في الدين، ولا يجعل الدعوة إلى دين الله حصر على القصص أو محاور كلامية تناقش مواقف الحياة، أو قصائد شعرية، أو روايات نثرية، بل إن التأصيل العلمي للداعية من أول المطالب في بناء شخصيته، ولا يمكن تحقيق ذلك بمعزل عن القرآن والسنة، وفقه الدليل. وحين تكون الغلبة للقصص والشعر على شخصية الداعية، فإن ذلك يضعف الرسوخ في الدين لدى المدعوين، ويضفي لمعة وسنا على شخصية الداعية سمعة وشهرة، ويبعد الناس عن جوهر دعوته، ومطلب الهداية، الذي هو التمسك بأصول الدين، وبذلك تطغى الوسيلة على الغاية، ويعلو الظاهر على الباطن، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ

الرحمن في خلافة عثمان، وإلى أن توفي في زمن الحجاج. وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين، وقيل: مات قبل سنة ثمانين، وقيل: مات في أوائل ولاية الحجاج على العراق. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٢٦٧) ..

(١) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، بيروت: عالم الكتب، ج ٢، ص: ١٧٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٨٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٣٧٦ هـ، ج ١، ص: ٨.

(٤) سورة ق: ٤٥.

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة ؓ، حديث رقم: ٣٧٥٨

(٥/٢٧). وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة ؓ - باب مناقب عبد الله بن مسعود ؓ وأمه، حديث رقم: ٦٤٩٢ (٧/١٤٩).

إِلَّا قَلِيلًا^(١) ومنها نعلم أن الرجوع إلى العلماء واجب، والاستنباط العلمي هو السبيل الصحيح في التعلم، وهذا لا يعني إغفال القصص، فإن القصص محمودة في أخذ العبرة والعظة، وهي تلك القصص المؤصلة على الحقيقة لا الخيال والكذب، والتي تأتي وفق الدليل كشاهد له، وأما الشعر فهو مذموم إلا ما استثنى الله، من الشعر الذي يلازمه الإيمان والعمل الصالح، والذكر والصبر والانتصار للحق، أما عمومهم فقد ورد فيه الذم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا^(٢). ولقد كان النبي ﷺ يحث حسان بن ثابت على نصرته الدين بالشعر، ويسمع منه ومن غيره الشعر في الحق، (عن حسان أنه أنشد النبي ﷺ شعرا:

شهدت بإذن الله أن محمدا *** رسول الذي فوق السماوات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما *** له عمل من ربه متقبل
وأن أخوا الأحقاف إذ قام فيهم *** يقول بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي ﷺ: "أنا أشهد" وقال حسان أيضا في قصيدته الدالية في مدح رسول الله ﷺ شعرا:

ألم تر أن الله أرسل عبده ** برهانه والله أعلى وأعجم
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه ** إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ** فذو العرش محمود وهذا محمد
أغر عليه للنبوّة خاتم ** من الله ميمون يلوح ويشهد (٣)

ثانيا: الصفات الأخلاقية:

(١) حب التقدم في الحق ممن هو أهله:

الصفات الشخصية تختلف من شخص لآخر، وتكوين الشخصية يمر بمؤثرات في مراحل عمرية مختلفة، وصفات وراثية وأنظمة اجتماعية، يتعرض لها الشخص فتغلب عليه صفات دون أخرى، ويتميز بأمور عن غيره ويتخلف في أخرى، لذا يلزم من الدعاة أن يتعرف كل منهم على ذاته وصفاته ويضعها في صالح الدعوة، وكذلك أهل العلم في تربيتهم للدعاة يجب أن يتفروا في شخصيات طلاب العلم وصفاتهم، وما يتم تكليفهم به من مهمات حسب الصفات، وليس محبة المرء للشيء دلالة على إتقانه ولكن لكل أمر أهله، ولكل امرئ صفاته ومؤهلاته تتجلى في شخصه، ومتى أدركها الداعية في نفسه أو أدركها المسؤول

(١) سورة النساء: ٨٢ - ٨٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن، حديث رقم: ٦١٥٤ (٣٦/٨).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مصر: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٨هـ، ج: ١، ص: ١٣.

يجب يوجه بها لأنها من العوامل الهامة في نجاح الداعية والدعوة، وهو منهج قرآني كريم، قال الله تعالى: (وَادْعُ دُورًا وَسَلِّمْ مَنْ إِذْ تَحَكَّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ تَفَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنًا وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)^(١) وهو أيضا منهج نبوي كريم في تعليمه للصحابة، فظهر على يديه ﷺ الفقهاء مثل أبو بكر الصديق وسعد بن معاذ وعثمان بن عفان، وظهر المفسرون مثل عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وظهر القادة مثل علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وظهر القراء مثل عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم أجمعين، والمقصود هنا أن نعرف أن لكل داعية من الدعاة إلى الله صفات خاصة، يجب أن تقدم لصالح الدعوة و استثمارها في مصلحة الدين، وألا تقع الشخصية بين حب الذات والغرور، وبين احتقار الذات وقتل الصفات، فيجب أن يتقدم كل داعية بما يجيده من مهام لخدمة دين الله عز وجل، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٢): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَصٍّ فَقَالَ: «أَقْتُلُوهُ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا سَرَقَ، قَالَ: «أَقْتُلُوهُ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا سَرَقَ، قَالَ: «أَقْتُلُوهُ»، قَالَ: ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَتْ رِجْلُهُ، ثُمَّ سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُطِعَتْ قَوَائِمُهُ كُلُّهَا، ثُمَّ سَرَقَ أَيْضًا الْخَامِسَةَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ بِهَذَا حِينَ قَالَ: «أَقْتُلُوهُ» ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَقْتُلُوهُ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَكَانَ يُحِبُّ الْإِمَارَةَ، فَقَالَ: أَمَرُونِي عَلَيْكُمْ فَأَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِذَا ضَرَبَ ضَرْبَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ. (٣). قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: (والحديث يدل بظاهره على أن السارق في المرة الخامسة يقتل، وقد جاء القتل في المرة الخامسة مرفوعا عن جابر في أبي داود والنسائي في الرواية، والفقهاء على خلافه، فقليل لعله وجد منه ارتداد أوجب قتله، وهذا الاحتمال أوفق بما في حديث جابر أنهم جروه وألقوه في البئر، إذ المؤمن وإن ارتكب كبيرة فإنه يقبر ويصلى عليه، لا سيما بعد إقامة الحد وتطهيره، وأما الإهانة بهذا الوجه فلا تليق بحال المسلم)^(٤) وعندما تميز عبد الله بن الزبير بشجاعته فقد آلت إليه الإمارة أيام الفتنة^(٥)، وكان من شهدائها

(١) - سورة الأنبياء: ٧٧ - ٧٨.

(٢) الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جح القرشي الجمحي، صحابي صغير أخو محمد بن حاطب، ولهما صحبة، وأمهما فاطمة بنت الجليل، وكانا ممن ولدا بأرض الحبشة، مات بعد سنة ست وستين، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٥٦٨) و تقريب التهذيب لابن حجر (١/١٤٥).

(٣) انظر: سنن النسائي-كتاب قطع السارق- باب قطع الرجل من السارق بعد اليد، حديث رقم: ٤٩٩٢ (٤٦٤/٨). قال الألباني: منكر . وقال الحاكم في المستدرک: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٤) حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ٨، ص: ٩٠.

(٥) التي وقعت بين ابن الزبير والأمويين في سنة ٦٤ هـ: قال ابن كثير: (ثم دخلت سنة أربع وستين ففيها في أول الحزم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصدا قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب، على مخالفة يزيد بن معاوية) انظر: البداية و النهاية لابن كثير (٨/٢٤٦) .

رضي الله عنه. فإن المهمات الصعبة ورؤوس الأمر، قد لا يصلح لها إلا أصحاب صفات مميزة، وذات خصوصية، مثل الإمارة فكان ﷺ يحذر منها العامة لتبعاتها الآخروية، ويحذر البعض لعدم الأهلية لها، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحَبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ »^(١). وأصبحت سجية الصحابة الكرماء إدراكهم التوازن بين الرغبات الشخصية ومصلحة الأمة الشرعية، بادر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمبايعة أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ، وانحسر الرأي المختلف وبقي الأصل من الوفاق والوحدة. وعهد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة من بعده لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تأهل به من صفات القيادة وحمل المسؤولية، واستمرت به الوحدة، وأوصى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة من بعده في أحد ستة^(٢) من المؤهلين بحملها، ومن رأى رضوان الرسول ﷺ عنهم، وانشقت عصا الطاعة من الخوارج في أواخر عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانتهت الفتنة باستشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولائم الأمر من بعدهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لحصر الخلاف ورأب الصدع والقضاء على الفتن حتى استشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذه حكمة الصحابة رضي الله عنهم في الإمارة، فمن المنقول عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف. فما رد هذه الكلمات أحد. وقال: أجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض)^(٣) وأصبحوا أسوة لمن بعدهم، ويأتى بعضهم ببعض، يقدر الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر؛ ويفقه خطر النزاع في الدنيا والآخرة، ولعلمه عظم المسؤولية في الإمارة، فيقدم عليها مصلحة الأمة، ويتركها تنازلاً من أجل وحدة الأمة، وحقن دماء المسلمين، وقد تحققت فيه نبوءة النبي ﷺ وقد أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وانطفأت به الفتنة وحقنت دماء المسلمين بين أهل الشام وأهل العراق، واجتمعت الأمة بعد فرقة، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَعَدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: (ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٤). وهكذا على الدعاة إلى الله أن يقدموا أنفسهم في الحق، بحسب ما يلائم صفتهم ويقدموا مصلحة الأمة على مصالحهم الخاصة، وآرائهم الشخصية. ونحن نعيش عصر التخصص فلا نترك مجال الدعوة الدقيق لمن تخصص في علوم أخرى طبيعية أو مادية أو غيرها مما هي ليست من العلوم الشرعية، فيدعو إلى الله على غير بصيرة بأحكام الشريعة، فينحرف الناس عن أصول الدين. وهذا لا يمنع المشاركة التخصصية في الربط بين الشرع والعلم المادي كإظهار الإعجاز العلمي في القرآن

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم: ٤٨٢٤ (٧/٦).

(٢) وهم من العشرة المبشرين بالجنة. (عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام) .

(٣) العواصم من القواصم ، القاضي أبو بكر العربي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، بيروت : دار الكتب العلمية ط ٤ ، ١٩٨٥ م ، ص: ٢٠١ .

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٦٢٩ (٤/٢٠٤).

والسنة وغيره. ولكن القصد ألا يمسك بزمام الدعوة من لم يكن لديه تأصيل علمي بأصول الشريعة، خوفاً عليه من الزلل والإثم، وخوفاً على الدعوة من الضعف وفقد الثقل الذي يجب أن تكون عليه، وخوفاً على المدعويين من اكتساب العلم الضعيف والمنهج المنحرف والبعد عن الدليل فيضلوا. فإن أصل العلم الشرعي القرآن الكريم، وتدبر آياته، ومعرفة السنة المبينة والمفسرة لأحكامه ومعجزاته، والموضحة لمعاني آياته، قال الله عز وجل: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا تَجِدُ إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا رَتَابَ الْمُصْطَلُونَ ﴿٦٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا تَجِدُ إِلَّا بُيُوتًا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾).

(٢) المحبة:

الإسلام دين الحب، وجاءت رسالته لإنقاذ البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور وإشاعة الحب والخير بينهم، وعلى ذلك قامت شرائعه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَذْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتُهُ فِيهِ. ^(١) وهذه المحبة يجب للداعية أن يدرك أبعادها النفسية، ويعرف حدودها الشرعية وأن يقدم الخير والهداية للناس بجميع ألوانهم ولغاتهم وأصولهم وأديانهم، وهو معلن الحب الصريح لهم، بما يقدمه من الخير، ولا يقدم دعوته وهو معلن العداء لهم ولأديانهم، بل مفرق بين شخصياتهم وبين ما هم عليه من المعصية أو الضلال أو الكفر، وعليه أن يتأول لهم العذر بالجهل أو النشأة في الكفر، قال تعالى في حق بلقيس حين إسلامها مع سليمان عليه السلام: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) ^(٢) وهذا الإعلان يحيي الشعور بالحب بين الداعية والمدعويين، ويولد الألفة والتقارب، ويمكن للداعية البلاغ عن قرب وألفة، ويمكن للمدعويين فتح الآذان والاستماع إلى الحق، وإصغاء القلوب إليه، وهنا رابط قوي في الاستجابة، فالحبة صفة الداعية وبها تميز الأنبياء في دعوتهم حيث أحبههم الله والناس، ولا يعني ذلك ألا يتعرضوا لأذى المعوقين للدعوة، قال تعالى في حق موسى عليه السلام: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) ^(٣) ولكم أودى عليه السلام في سبيل الدعوة إلى الله، واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي ألقى من الله على موسى عليه السلام، فقال بعضهم: أي حبيبك إلى عبادي، وقال آخرون: أي حبيبك إلى خلقي، وقال آخرون: أي حسنت خلقتك، وقال آخرون: أي حسنا وملاحة، وقال آخرون: أحبه كل من رآه، قال الإمام

(١) سورة العنكبوت: ٤٧ - ٤٩ .

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الر والصلة والآداب - باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٦٧١٤ (١٢/٨).

(٣) سورة النمل: ٤٤ .

(٤) سورة طه: ٣٩ .

الطبري في تفسيره: (والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جل ثناؤه) (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنته وغذته وربته، و إلى فرعون، حتى كف عنه عاديته وشره، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حبه إلى كل من رآه. ومعنى (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) حبيبك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقى عليك رحمتي: أي محبتي^(١)؛ فإن المحبة من أهم صفات الداعية، فإعلان الحب للناس عامة وللمدعوين خاصة واجب إنساني، وواجب شرعي حيث دعا الإسلام إلى كرامة الإنسان، ومجازاة الإحسان بالإحسان، عن أنس رضي الله عنه، قال: «رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مُقبلين — قال: حسبت أنه قال من عرس — فقام النبي ﷺ مُمثلاً فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلي. قالها ثلاث مرار»^(٢). أورد ابن بطال: (وقال أبو الحسن بن القابسي^(٣): قوله: ممتناً، يعني متفضلاً عليهم بذلك؛ لأن الأنصار أحب الناس إليه، فقال أنس: هو عليه السلام ممتن علينا بمحبته وتخصيصه^(٤)) وعندما يحب المدعو الدعاة ويجب الداعية المدعوين، فإنهم يجتمعون على الإيمان بالله، حيث شرف الدعوة وفضلها، وصالح أهلها؛ فإنهم يجتمعون في نعيم الآخرة بهذه المحبة الصادقة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: (ثَلَاثٌ أَحْلَفُ عَلَيْهِنَّ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ، وَأَسْهُمُ الْإِسْلَامُ ثَلَاثَةٌ: الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالزَّكَاةُ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيه غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمُ وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا آتَمَ : لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقال عمر بن عبد العزيز: إِذَا سَمِعْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ مِثْلِ عُرْوَةَ يَرْوِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَاحْفَظُوهُ^(٥).

٣) الصدق:

قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)^(٦) لاشك أن صفة الصدق من أعظم

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٨، ص: ٣٠٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي، حديث رقم: ٣٧٨٥ (٣٢/٥).

(٣) القابسي الحافظ المحدث الفقيه الإمام علامة المغرب، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري الفروي، أخذ بأفريقية عن ابن مسرور الدباغ ودارس بن إسماعيل، وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ وأبي زيد المروزي وهذه الطبقة، ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وكان حافظاً للحديث والعلل، بصيراً بالرجال، عارفاً بالأصلين، رأساً في الفقه وكان ضريباً، وكتبه في نهاية الصحة، كان يضبطها له ثقات أصحابه، ذكره حاتم الطرابلسي فقال: كان زاهداً ورعاً لم أر بالقيروان أحداً إلا معترفاً بفضلته. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٨٦/٣) توفي الشيخ الفقيه أبو الحسن القابسي بالقيروان سنة ثلاث وأربعمائة، انظر: الوفيات لأبي العباس الخطيب (٢٢٧/١).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٧، ص: ٢٩١.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٢٧١ (١٦١/٤٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن لغيره.

(٦) سورة التوبة: ١١٩.

صفات المسلم، وهي من أوجب الصفات في حق الدعاة إلى الله، وأوثق الخصال التي تربط الدعاة بالمدعوين والدعوة، ويأتي عظيم أمرها كون الدعاة يتكلمون في الأحكام، ويقولون عن الله ورسوله ﷺ وينقلون الشريعة للناس. وإن كان الكذب في حق المسلم خصلة من خصال النفاق، فإنه في حق الدعاة نفاق وظلم، قال الله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٠﴾ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ ۚ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠١﴾، فإذا صدق الداعية أحبه الناس، وإذا عرفوا عليه كذبا فقد هدم ما يدعو إليه من الحق في قلوب الناس، قبل أن يهدم شخصه في نظرهم، فعلى الداعية أن يتحرى الصدق، فإن الناس يتحرون في شخصه المحبة بما يتحرى الصدق في حديثه. عن عبد الله^(٢) قال: سمعت حجاج بن الشاعر^(٣) يسأل أبي فقال: أيما أحب إليك عمرو الناقد^(٤) أو المعيطي^(٥)؟ فقال: كان عمرو الناقد يتحرى الصدق^(٦). ومن صدق الباطن مع الله تعالى بإخلاص النية؛ صدق في الظاهر قولاً وعملاً، والصدق صفة محبوبة ومحبة لصاحبها، وهي من أوجب صفات الداعية. وفي الحديث: الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. وبعد غزوة حنين جاء وفد هوازن مسلمين ومطالبين بأموالهم وما سبي منهم حال الغزوة فخيرهم النبي ﷺ بين المال أو السبي لأنه خرج من يده إلى يد الصحابة رضي الله عنهم فبين لهم الحكم وأخبرهم بأن الصدق أحب الحديث إلى الله: (عن ابن شهاب ذكر غزوة أن مروان و المسور بن مخرمة أخبراه «أن النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن فسألوه أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال: إن معي من ترون، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقُه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي»^(٧). فاختاروا السبي.

(١) سورة الزمر: ٣٣.

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني.

(٣) حجاج بن الشاعر هو الحافظ الأوحى المأمون أبو محمد حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي، حدث عن أبي داود الطيالسي ويعقوب بن إبراهيم وأبي النصر وحجاج الأعور وطبقته. روى عنه أبو داود ومسلم وبقي بن مخلد وأبو يعلى وعبد الرحمن بن أبي حاتم وإسماعيل وخلق. قال ابن أبي حاتم: ثقة حافظ، وقال أبو داود: هو خير من مائة مثل الرمادي. قال ابن قانع: مات في رجب سنة تسع وخمسين ومائتين. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٠/٢).

(٤) عمرو الناقد ابن محمد بن بكير ويكنى أبا عثمان، وهو ثقة، صاحب حديث، ثبت، وقد كتب عنه أهل بغداد كتباً كثيرة، وكان من الحفاظ المحدثين، وكان فقيهاً، وثقياً ببغداد، وذلك يوم الخميس لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٨/٧).

(٥) محمد بن عمر المعيطي، قال ابن حبان في الثقات: كان من الحفاظ، كتب عن بقية وأهل العراق، روى عنه أحمد بن حبان بن ملاعب والبغداديون، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وقال الخطيب: حدث عن شريك وأبي الأحوص وغيرهما وعنه جعفر بن محمد بن شاكر وإسحاق بن الحسن الحربي والكديمي وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة صاحب حديث، وقال ابن قانع: كان ثقة. انظر لسان الميزان لابن حجر (٤١٤/٧).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث أبي عبد الرحمن عن مشايخه من حديث جابر بن سمرة عن النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٠٩٧٥ (٤٩٤/٣٤).

(٧) انظر: صحيح البخاري - كتاب العتق - باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، حديث رقم ٢٥٤٠ (١٢٧/٣).

٤) التواضع:

إن السلف الصالح من هذه الأمة اتصفوا بصفات عالية، أعطوا الأمة من خلالها كثيرا من الدروس التي جعلت التاريخ يضرب بهم المثل في مثالية الحياة العملية والعلمية، وعظيم شأنهم يعجز عنه الوصف شعرا ونثرا ويجاوز بهم وصف^(١) المتنبى للملوك بالعظماء الكرماء:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها * وتصغر في عين العظيم العظائم

ويكفي رعيهم الأول حصول عين الرضا من الله لهم، قال الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَىٰ آلِهِم بِحُجَّتِهِمْ أَتَتْهُمُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَلْقَتْ لَهُمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^(٢) ويلحق الخلف السلف ويبقى السبق في خيرية قرنهم على سائر القرون ومناصرة الرسول ﷺ ومرآه والأخذ منه. ومن أعظم ما اتصف به السلف وورثه الخلف، صفة التواضع، عندما تنكسر قوى الشر والكبر في النفس والغرور وتسمو في علياء القيم، وهنا أعرض هذا الموقف لداعيين من دعاة السلف نستلهم منها الدروس، ولعل أعظم درس فيها هو التواضع، عن أسير بن جابر^(٣)، قال: كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَىٰ عَلَيْهِ أَمْدَادُ^(٤) أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ^(٥) بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ أُوَيْسٍ. فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ تُمْ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، تُمْ مِنْ قَرْنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ. فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرَ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

(١) دايون أبي الطيب التنى بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط: مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ج ٣، ص: ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) سورة التوبة: ١٠٠.

(٣) أسير بن عمرو بن جابر اخاري، ويقال يسير بالياء اخاري، ويقال فيه أسير بن جابر ويسير بن جابر، فينسب إلى جده وهو أسير بن عمرو بن جابر اخاري، ويقال الكندي: يكنى أبا الخيار، قال علي المدني: أهل الكوفة يسمونه أسير بن عمرو، وأهل البصرة يسمونه أسير بن جابر، ومنهم من يقول يسير وهو معدود في كبار أصحاب ابن مسعود. عن العوام بن حوشب قال: ولد يسير بن عمرو في مهاجر النبي ﷺ ومات سنة خمس وثمانين، وقيل: أدرك النبي ﷺ وهو ابن عشر سنين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٥١/١).

(٤) وفي حديث أويس، كان عمر رضي الله عنه، إذا أتى أمداد أهل اليمن، سألهم أفيكم أويس بن عامر؟ و الأمداد : جمع مدد، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في الجهاد. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٣٩٦).

(٥) أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني، مجاب الدعوة، بر بوالدته، قال أسير بن جابر: وكسوته بردا، من الأصفياء الأخفياء الأبرياء، وفي الأثر: أشهل ذو صهوة، بعيد ما بين المنكين، معتدل القامة آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يتلو القرآن يكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، متزر يزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، حضر إلى المدينة في خلافة عمر، عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية منهم أويس القرني. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي (٣/٤٣) .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةُ. قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ^(١). وفي هذا دروس عظيم، منها: أن أمير المؤمنين ينتظر رجلا من أقصى جنوب ملكه ليستغفر له، لم يشغله منصب الخلافة عن زكاة نفسه ونجاتها، ولم تصرفه زهرة الإمارة عن فرد من غبراء الناس - فيما يبدو للناس - وأن يبحث عنه ويعمل على الوصاية به، إنه تواضع عمر الفاروق، الخليفة العادل التقى القوي، لقد أثر فيه حب الخير لنفسه ولرعيته، وحبه لوصية رسول الله ﷺ، حبا له، وحبا في اتباعه. ومن متن النص يقول أويس الرجل البار - عظمة في التواضع - وهو الذي من فضل دعوته قد تنغير أحوال وأحوال، يقول رافضا الشهرة: (أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ) إنه التواضع والإخلاص الذي تكون به الرفعة ، والذي يجب أن يكون عليه الداعية والمدعو. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »^(٢). فقد أثر أويس أن يكون في أخلاط الناس، وهذا من شكر النعم، ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم عند هذا الحديث قوله: ((أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ) هُوَ بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَيَا سَكَانَ الْمُوحَّدَةِ وَبِالْمَدِّ أَيْ ضِعَافَهُمْ وَصَعَالِيكِهِمْ وَأَخْلَاطَهُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ إِثَارِ الْخُمُولِ وَكُتْمِ حَالِهِ^(٣). والداعية إلى الله يجب أن يتسم بصفات المروءة ومن أجلها التواضع، وهذه الصفة عدة مقاييس، ويختلف الناس فيها باختلاف أحوالهم في كل زمان، ومن أهم هذه المقاييس هو ما يعد من المؤثرات على نفس الإنسان كبرا، كالمكانة الاجتماعية من الحسب والشرف والجاه والسلطان وكثرة المال والولد والدور والقصور، وما أعطي من الجمال والعلم، أو الاستعظام بطرا، أو الاستكبار فقرا، ويبقى الأصل الذي يقوم عليه الأمر أن التواضع منزلة من منازل الأخلاق، تبلغ من الدعاة مبلغ مطالب الشرع منهم، بتهذيب النفس وكفها عن الكبر وسوء الخلق ورفعها بتقدير الآخرين ودفع الاحتقار عنهم. أورد صاحب الإحياء: (وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلم أنه ليس لك بدنيك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عن من فوقك في الدنيا، حتى تعلم أنه ليس له بدنيك عليك فضل، وقال قتادة: من أعطي مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه، كان عليه وبالا يوم القيامة، وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتمها عليك^(٤)) والداعية المتواضع لاشك أنه أكبر حبا لدعوته وتعظيما لنفسه، وأن تواضعه من أكبر المؤثرات في حب الناس إليه والاستجابة للحق على يديه، وحب الداعية لهذه الصفة كما فعل أويس القرني شرف للداعية، وإن كانت حال أويس تختلف عن غيره، فإن لنا المثل الأعلى والأسوة الحسنة - نبي الرحمة - في ذلك مثلا، يركب الحمار والبغل

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أويس القرني، حديث رقم: ٦٦٥٦ (١٨٩/٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: ٦٧٥٧ (٢١/٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦، ص: ٩٥ - ٩٦.

(٤) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، بيروت: دار المعرفة، ج ٣، ص: ٣٤٢.

والناقة، ويردف أصحابه ويمازح الصبيان ويشرب مما يشرب منه الناس، ويرضى باليسير وينام على الحصير، ويعلم الجاهل ويحب دعوة الداعي، ويشارك الناس حياتهم فيطبخ ويسم ويدبح ذبيحته ويحلب شاته، ويمشي مع صاحب الحاجة ويقف معه، ويرقع ثوبه ويخصف نعله، ويقوم على خدمة أهله وبيته ويرحم الخادم، ويأكل معه، وينهى عن القيام له ﷺ. والدعاة اليوم يظهرون في دعوتهم مظهر التواضع وهي من أبرز إيجابيات الدعوة، ولكن الناس بحاجة إلى الخلطة من الدعاة لأن الحواجز المرسومة أصبحت أسوارا بين الدعاة والناس، وأيضا يتضح القصور عندما ننظر بعين القياس في قلة أهل الدعوة وكثرة الناس، ولكي تستقيم أمور الناس يجب أن يكون الداعية بينهم يدل على الخير وينشر الحق في تواضع مع الجميع.

٥) سلامة الصدر وسداد اللسان:

إن سلامة الصدر وسداد اللسان من الصفات المؤكدة في كتاب الله تعالى، وهي في حق المسلم واجبة، فيجب على المسلم أن ينقي قلبه من الغل ويعيش بقلب مطمئن محب، وصدر سليم حنون، وعقل حكيم، ولسان سديد، وإن أثر ذلك سوف ينتقل إلى جميع الجوارح ومن أعظمها أثرا اللسان فلا ينطق إلا بالحق والصدق والقول السديد، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ بِمَا لَقِيتُ النَّبِيَّ فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلَيْنِ جَالِسَيْنِ وَهُمَا يَقُولَانِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِقِسْمَتِهِ النَّبِيَّ قِسْمَهَا وَجْهَ اللَّهِ، وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ، فَتَشَبَّتُ حِينَ سَمِعْتُهُمَا فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَحْمَرَّ وَجْهَهُ، وَقَالَ: دَعْنِي عَنْكَ، فَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(٢) إن نقل الكلام من أعظم المؤثرات في القلب والعلاقات، على وجه الألفة والتماسك، أو على وجه العداوة والفرقة، فإن كان الناقل متبينا ويتبع النصيحة فالأمر محمود، وإلا دخل في باب النميمة، أورد ابن حجر في الفتح: (وفي هذا الحديث جواز إخبار الإمام وأهل الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهم؛ ليحذروا القائل. وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة لأن صورتهما موجودة في صنيع ابن مسعود هذا ولم ينكره النبي ﷺ، وذلك أن قصد ابن مسعود كان نصيح النبي ﷺ وإعلامه بمن يطعن فيه، ممن يظهر الإسلام ويبطن النفاق؛ ليحذر منه، وهذا جائز كما يجوز التجسس على الكفار ليؤمن من كيدهم، وقد ارتكب الرجل المذكور بما قال إثما عظيما، فلم يكن له حرمة، وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر)^(٣) وما قرره علماء الإسلام أن

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٨٩٦ (٥/٧١٠). تحقيق الألباني: ضعيف الإسناد، لكن الشطر الثاني منه في القسمة صحيح. وعند مسلم في كتاب الزكاة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ - قَالَ - فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا وَأَحْمَرَّ وَجْهَهُ حَتَّى تَمَنَّتْ أَلَى لَمْ أَذْكُرْهُ لَهُ - قَالَ - ثُمَّ قَالَ «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٥١٢.

النميمة والغيبة من كبائر الذنوب، لما تحدثه من شر في العلاقات وفساد، وقد ورد فيها الوعيد بالعذاب وكان السلف يحاسبون أنفسهم على الكلمة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا- قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»^(١). وندرك من حديث عائشة رضي الله عنها: (ما أحب أني حاكيت إنسانا) إثم المحاكاة والتحذير منها؛ لمنافاتها سلامة الصدر وخلق المسلم ، قال المناوي في فيض القدير: ((ما أحب أني حاكيت إنساناً) أي فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله منقصاً له، يقال: حكاه وحاكاه قال الطيبي^(٢): وأكثر ما تستعمل المحاكاة في القبيح (وأن لي كذا وكذا) أي لو أعطيت كذا وكذا من الدنيا أي شيئاً كثيراً منها بسبب ذلك فهي جملة حالية واردة على التعميم والمبالغة، قال النووي: من الغيبة المحرمة المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطاطياً رأسه أو غير ذلك من الهيئات^(٣) وهكذا على الداعية أن يعلم ويعلم أن من أهم أسباب نشر الحجة بين الناس سلامة الصدر، والبعد عن الغيبة والنميمة. وأن الدعوة تعيش اليوم نوعاً من القواصم في مسيرتها، وهو نقل الكلام بين الدعاة وإبراز أوجه الاختلاف لنشر الخلاف، وتشيت الهدف، وهذا من الباطل عقلاً وشرعاً، أما إن كان القصد تصحيح المنهج وتعديل الطريق، يجب ترسيم النقل وفق ضوابط الشرع ومقاصده، ومن أهمها سلامة النية، وضبط المنقول، وعدل الناقل، وتقديم قبول الأعذار وعدم الجزم بالتهمة، وتربية طلاب العلم على ذلك؛ لأنها من أصول خلق المسلم. ويجب أن يُحذَر؛ لأن الأعداء يحكيون المؤامرات ويعقدون المؤتمرات؛ لإضعاف المسلمين، وضرب بعضهم ببعض، والوسط الدعوي ليس بمعزل عن ذلك.

٦) الإيثار:

لقد وصف الله تعالى الأنصار بالإيثار - وهم أسوة في الدعوة إلى الله ومحبتهم من الإيمان - قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٤) استقبلوا المهاجرين بالحبّة وعبروا عنها بالإيثار، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ فُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فَآخَى بَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: إِنَّ لِي مَالاً فَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَانِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ فَأَنَا أَطْلُقُهَا فَإِذَا حَلَّتْ فَتَزَوَّجْهَا قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ذُلُونِي أَيُّ عَلَى السُّوقِ

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في الغيبة، رقم الحديث: ٤٨٧٧ (٤/٢٠٤). صححه الألباني .

(٢) أحمد بن أحمد بن الطيبي الشافعي النحوي الزاهد: فاضل دمشقي. من كتبه (المواعظ السننية في الخطب المنبرية) ونظم (مناسك الحج) وله (المفيد في التجويد) و (الإيضاح التام لبيان ما يقع في السنة العوام) منظومة، ومنظومتان في القراءات، الأولى (بلوغ الأمالي) والثانية (مذهب حمزة في تحقيق الهمزة). وكان مدرسا واعظا يعيش من كتابة أوقاف بني منجك . وتولى إمامة الجامع الأموي مدة طويلة، ودرس بالمدرسة العادلية والجامع المنجكي. انظر: الأعلام للزركلي (٩١/١).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٥، ص : ٥٢٤.

(٤) سورة الحشر: ٩.

فَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى رَجَعَ بِسَمْنٍ وَأَقِطٍ قَدْ أَفْضَلَهُ قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ أَثَرَ صُفْرَةٍ فَقَالَ: «مَهْمٌ»^(١)
فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «أَوْلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٢). هي النظرة الإيمانية للحياة، اقتبسوا نورها
من نبي الهدى ﷺ الذي علمهم بأن المال مال الله، هو المعطي وهو المانع وهو الرزاق ذو القوة المتين، ولا
يصرف إلا في طاعة الله وممرضاته، تبنى به الحياة ليعبد الله ولا يعبد من دون الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقُطَيْفَةِ وَالْخَمِصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ
يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)^(٣) لقد أصبح للأنصار مقام عظيم في صدر الإسلام، ومنه أن لهم الحب الكبير في قلب كل
مسلم؛ لما أمر الشارع بحقهم، وحبهم، ورد في أضواء البيان وصف شامل في حقهم عند تفسير سورة
الحشر، قال المؤلف يرحمه الله في حقهم: (وَصَفٌ شَامِلٌ لِلْأَنْصَارِ، (تَبَوَّءُوا الدَّارَ) أَي: الْمَدِينَةَ، (وَالْإِيمَانَ
مِنْ قَبْلِهِمْ) أَي: بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ الْمُهَاجِرِينَ، بَلْ وَمِنْ قَبْلِ إِيْمَانِ بَعْضِ الْمُهَاجِرِينَ،
(يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِصُدُورٍ رَحْبَةٍ، (وَيُؤْتِرُونَ) غَيْرَهُمْ (عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ)، لَأَنَّهُمْ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ. وَظَاهِرُ النُّصُوصِ تَدُلُّ بِمَفْهُومِهَا أَنَّ غَيْرَهُمْ لَمْ يُشَارِكُهُمْ فِي هَذِهِ
الْصِّفَاتِ، وَلَكِنْ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مَا يَدُلُّ لِمُشَارَكَةِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَنْصَارَ فِي هَذَا الْوَصْفِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْإِيْثَارُ
عَلَى النَّفْسِ، لَأَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيْثَارِ عَلَى النَّفْسِ هُوَ بَذْلُ الْمَالِ لِلْغَيْرِ عِنْدَ حَاجَتِهِ مُقَدِّمًا غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا
الْمَعْنَى بِالذَّاتِ سَبَقَ أَنْ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْفُسُهُمُ الْمُنْصُوصُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)^(٤)، فَكَانَتْ لَهُمْ دِيَارٌ، وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ أَمْوَالٌ وَأُخْرِجُوا مِنْهَا كُلُّهَا، فَلَنْ
كَانَ الْأَنْصَارُ وَأَسَؤًا إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ بِبَعْضِ أَمْوَالِهِمْ، وَقَاسَمُوهُمْ مُمْتَلَكَاتِهِمْ، فَإِنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَنْزِلُوا
عَنْ بَعْضِ أَمْوَالِهِمْ فَحَسَبُ، بَلْ تَرَكُوهَا كُلُّهَا: أَمْوَالَهُمْ، وَدِيَارَهُمْ، وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَهْلَهُمْ، فَصَارُوا فَقَرَاءَ بَعْدَ
إِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مَالِهِ وَدِيَارِهِ، وَيَتْرُكُ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ لَا يَكُونُ أَقَلَّ تَضَحِيَّةٍ
مِمَّنْ أَثَرَ غَيْرِهِ بَعْضُ مَالِهِ، وَهُوَ مُسْتَقَرٌّ فِي أَهْلِهِ وَدِيَارِهِ، فَكَانَ اللَّهُ عَوَضَهُمْ بِهَذَا الْفَيْءِ عَمَّا فَاتَ عَنْهُمْ)^(٥)
وحقيقة المال زينة ومتعة وتكاثر وتفاخر، ومتى انحرف الإنسان في حبه أصبح في هلكة، فقد هلك قارون
بفتنة ماله ولم ينفع أبا لهب كثرة ماله، ووجه النبي ﷺ إلى حسن التصرف بالمال على وجه المنفعة الدنيوية
والآخروية في أحاديث عديدة منها الإنفاق في سبيل الله، عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا
أَبْصَرَ — يَعْنِي أَحَدًا — قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنَّهُ يُحَوَّلَ لِي ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا دِينَارًا

(١) (مَهْمٌ) كلمة إيمانية معناها ما أمرك؟ وما هذا الذي أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/٥٦٤)

(٢) انظر: سنن النسائي-كتاب النكاح- باب الهدية لمن عرس، حديث رقم: ٥٥٣٥ (٥/٢٣٩). أصله في الصحيحين وصححه الألباني .

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم: ٦٤٣٥ (٨/٩٢).

(٤) سورة الحشر: ٨ .

(٥) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، بيروت : دار الفكر للطباعة و

النشر ، ١٤١٥ هـ ، ج ٨ ، ص: ٤٣ .

أرصدُهُ لَدَيْنِ. ثم قال: إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلَوْنَ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا — وأشار أبو شهاب^(١) بين يديه وعن يمينه وعن شماله — وقليلٌ ما هُم. وقال: مكانك، وتقدّم غير بعيدٍ فسمعتُ صوتاً، فأردتُ أن آتيه. ثم ذكرتُ قوله: مكانك حتى آتيك. فلما جاء قلتُ: يا رسول الله، الذي سمعت — أو قال: الصوت الذي سمعت — قال: وهل سمعت؟ قلتُ: نعم، قال: أتاني جبريلُ عليه السلامُ فقال: مَنْ ماتَ من أُمَّتِكَ لا يُشركُ بالله شيئاً دخلَ الجنةَ، قلتُ: وَمَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا؟ قال: نعم»^(٢). وواجب الدعاة أن يتصفوا بصفة الإيثار في مجال الحياة العامة، وفي مجال الدعوة خاصة، وهذه الصفة تكاد تختفي من مرأى واقع الناس، فإن الحياة المادية قد سيطرت على الأنظمة الاجتماعية، وضعفت العلاقة الاجتماعية بسبب ضعف الوازع الديني، وكثرة المال، والانحياز الشخصي، ولكن يبقى الإيثار أصل من أصول الأخلاق التي أمر بها الإسلام، وسبيل إقامتها يتم على مستوى التضحية والتقدم بالمال أو النفس أو على سبيل العلم والمكانة والنصرة، عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري يقولان، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ »^(٣). فإن النصر والإيثار من صفات المؤمنين، بعضهم مع بعض، وتظهر بين أفراد الأسرة بعضهم مع بعض، وتظهر بين الدعاة أنفسهم ومع المدعوين بشكل أخص، فعندما يجد المدعو أن الداعية قد قدمه على نفسه في أمر يحبه، أو دافع عنه بما يحفظ كرامته؛ فقد اكتسب الداعية بهذا الفعل قلب المدعو، مما يزيد الألفة ويزيل الكلفة، وهنا يحقق الداعية مطالب الدعوة بإرشاد المدعو وهدايته إلى الصراط المستقيم، وحقيقة الإيثار أنها وسيلة دعوية معنوية ومادية، ركيزتها المحبة، قال شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه طريق المهجرتين وباب السعادتين: (فإن إيثار المحبوب على غيره موجب المحبة ومقتضاها، فإذا استقرت المحبة في القلب استدعت من المحبة إيثار محبوبة على غيره، وهذا الإيثار علامة ثبوتها وصحتها، فإذا أثر غير المحبوب عليه لم يكن محبا له، وإن زعم أنه محب فإنما هو محب لنفسه ولحظه ممن يحبه، فإذا رأى حظا آخر هو أحب إليه من حظه الذي يريده من محبوبه، أثر ذلك الحظ المحبوب إليه، فهذا موضع يغلط فيه الناس كثيرا، إذ أكثرهم إنما هو يحب لحظه ومراده، فإذا علم أنه عند غيره أحب ذلك الغير حب الوسائل، لا حبا له لذاته، ويظهر هذا عند حالتين: إحداهما أنه يرى حظا له آخر عند عبد ربه بن نافع أبو شهاب الخياط الأصغر، صاحب الطعام المدائني أخرج البخاري في الزكاة والأشربة والكفارات والتوحيد وغير موضع، عن عاصم بن يوسف، وأحمد بن يونس عنه، عن يونس بن عبيد، وابن عون وعاصم الأحول، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وعوف. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هو صالح الحديث، فسألته عنه، فقال: ما بحديثه بأس، فقلت له: إن يحيى بن سعيد يقول ليس هو الحافظ فلم يرض بذلك، ولم يعرفه. قال أبو بكر سمعت بن معين يقول: هو ثقة قال أبو بكر: رأيت في كتاب علي سمعت يحيى بن سعيد يقول: لم يكن أبو شهاب الخياط بالحافظ ولم يرض يحيى أمره. انظر: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح لأبي أيوب الباجي (١٠٢٢/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب قول النبي ﷺ، ما أحب أن لي مثل أحد ذهابا، حديث رقم: ٢٣٨٨ (١١٦/٣).

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب من رد عن مسلم غيبة، حديث رقم: ٤٨٨٦ (٤٢٢/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد أول مسند

المدينين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٣٦٨ (٢٨٨/٢٦). وضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

الوسائل، لا حبا له لذاته، ويظهر هذا عند حالتين: إحداهما أنه يرى حظا له آخر عند غيره؛ فيؤثر ذلك الحظ ويترك محبوبه. الثانية: أنه إذا نال ذلك الحظ من محبوبه ففترت محبته وسكن قلبه وترحل قاطن المحبة من قلبه، كما قيل من ودك لأمر ولي عند انقضائه، فهذه محبة مشوبة بالعلل^(١)

٧) الصبر على البلاء والرضا بالقضاء والقدر:

إن صفة الصبر ارتبطت في الكتاب والسنة بالدعوة إلى الله، ارتباطا قويا، فقد واجه الأنبياء والرسل وأتباعهم من الأذى صنوفا عديدة، ولا شك أنهم أشد الناس بلاء كما جاء في السنة وكان من دعائهم، كما قال الله تعالى عنهم: (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)^(٢) وقد بين الله تعالى في سورة العصر أن التواصي بالصبر سبب للفلاح، والدعاة إلى الله أحق به؛ لأنهم اتصفوا بما قبله من الأوامر، آمنوا وعملوا الصالحات ويدعون إلى الحق، ومن دعا إلى الحق عليه بالصبر، والصبر على ثلاثة أقسام، قال أبو السعود في تفسيره: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} أي عن المعاصي التي تشقُّ إليها النفس بحكم الجبلية البشرية، وعلى الطاعات التي يشقُّ عليها أداؤها، أو على ما يبلى الله عز وجل به عباده، وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجِه تحت التواصي بالحق؛ لإبراز كمال الاعتناء به)^(٣) وإذا علم الداعية فضل الله على الصابرين، وأنهم من أهل محبته وجعل لهم من الأجر والفضل ما ليس لغيرهم، فإنه يستمسك بهذه الصفة ويدعو إليها، قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُؤَيِّتُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)^(٤) وقال الله تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)^(٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: «عَظُمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ. وَإِنَّ اللَّهَ، إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ. فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ»^(٦). ومن دلالة هذا الحديث، الحث على الصبر والمصابرة والرضا بالقضاء نظير عظيم الجزاء، ولا يمكن أن نذكر عالما أو داعية إلى الله ولم يلحق به من الأذى في سبيل علمه ودعوته، ولكن الله يكون له ظهيرا ويجعل له سلطانا نصيرا ما توافق التوكل عندهم مع الصبر، والأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

(١) طريق المهجرتين وباب السعادت، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ص: ٤٤٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٠.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٩، ص: ١٩٧.

(٤) سورة الزمر: ١٠.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم: ٢٣٩٦ (٤/٦٠١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الصبر على البلاء، حديث رقم: ٤٠٣١ (٥/١٥٩). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار، حديث رقم: ٢٣٦٢٣ (٣٥/٣٩). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده جيد.

عُرِفَا تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَتْهَرُ خَلِيدَيْنِ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلَيْنِ ﴿١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ^(١) ومن أعظم درجات الثواب في البلاء محبة الله للمبتلى الصابر، وهي درجة من وفق إليها وفق لخير كثير، وفاز فوزاً عظيماً. وامتدح الله نبيه أيوب عليه السلام بالصبر والأوبة، قال الله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ^(٢) ومع ألم البلاء وصعوبة الصبر ومرارته يجد العبد المؤمن عوضاً، حينما يستشعر لذة اخبة من الله، وفي ذلك درس للدعاة أن يصبروا على مواقف الدعوة وأنواع البلاء، أورد العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه جاع العلوم والحكم: (وسئل بعض التابعين عن حاله في مرضه، فقال: أَحَبُّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَيَّ. وسئل السري ^(٣): هل يجد الحبُّ ألم البلاء؟ فقال: لا.) ^(٤) وقد ابتلي كل نبي من الأنبياء، وصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم النصر من الله، قال الله تعالى في يوسف عليه السلام: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) ^(٥) قال الإمام الطبري في تفسيره: (وهذا الخبر من الله يدلُّ على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعت إليه، فاختار السجن على ما دعت إليه من ذلك ؛ لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك، كان محالاً أن يقول: (ربَّ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه)، وهو لا يدعى إلى شيء، ولا يخوف بحبس) ^(٦) وابتلي عليه السلام بالسجن، الذي استحبه على معصية الله بالفاحشة، ومنه نكتسب درساً في الصبر والمصابرة وأن الابتلاء لزيم كل دعوة وداعية، ولقد ابتلي الدعاة في هذا العصر بمصائب وأنواع البلايا؛ لما ضعف المسلمون وظهر الأعداء عليهم في أغلب المجالات، وتصدى العلماء والدعاة لهم حفاظاً على عقيدة المسلم وأخلاقه من الانحراف و الذوبان، وأحكام الشريعة من الامتهان أو الإقصاء أو الانتهاك؛ فظهرت الدعوة الإسلامية كتخصص بارز بين التخصصات الشرعية الأخرى واحتلت المقام في المقدمة؛ مما سلط الأعداء على الدعاة إلى الله بالتهم والاضطهاد والتهجير والسجن والقتل، وتسلطوا على الدعوة بالمرء والكيد ووصفها بالدعوة إلى الإرهاب والعنصرية وصدام الحرية، ولم يخل بلد إلا ووضع القيود على الدعاة والدعوة بالأنظمة الإقصائية

(١) سورة العنكبوت: ٥٨ - ٥٩.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة. بغدادى المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه، قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت. من كلامه: (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز) كانت وفاته في: ٢٥٣هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٨٣/٣).

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ١٩٤.

(٥) سورة يوسف: ٣٣.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١٦، ص: ٨٧.

الجبرية، واستمرت الدعوة في هذه البلاد المباركة وضبطت بضوابط الشريعة لأنها قامت عليها منهجا وحكما، ووضعت الحلول المناسبة لأحوال المخالفين ، وإن كان الحق في هذه المسألة ليس محل الطرح له هنا، وخلاصته أن المناهج الدعوية خرجت عن المنهج الرباني الصحيح إلى مناهج شتى، تختلف عن المنهج الصحيح في كثير من الأمور، وكانت في حاجة ماسة إلى تصفية وتربية وترشيد، وقيادة موحدة، وشورى واعية مخلصنة تؤلف بين الدعاة والولاة، وتصلح ذات البين، والأسباب في ذلك متشابكة يصعب حل عقدها، وهنا من الأهمية بمكان أن يعلم الداعية إلى الله أن من أجل صفاته الصبر، ويجب عليه توطئ نفسه على البلاء في سبيل الدعوة، وأن هذا من أسباب محبة الله لعبده الموصلة إلى رضوانه والجنة. وأن يدرس كل مسألة شرعية على ضوء الكتاب والسنة، ولا يكن سببا في فتنة لنفسه أو لمجتمعه أو للأمة.

٨) الاستعفاف:

إن الاستعفاف مرتبط بالمال والعرض وأمور الحياة، وصفة في كرام الناس، تتطلب أن يرضى المرء بما يملك من مال، ويتصبر على قلته وفاقته، فلا يسأل الناس ويعف نفسه بالبحث عن الحلال في الكسب من عمل يده، أو في قضاء الشهوة بالزواج، ويستغني بما يكفه عن الحرام، أورد الجوهري في الصحاح: (عَفَّ عَنِ الْحَرَامِ يَعْفُ عَفًّا وَعَفَّةً وَعَفَافًا وَعَفَافَةً، أَي كَفَّ؛ فَهُوَ عَفٌّ وَعَفِيفٌ، وَالْمَرْأَةُ عَفَّةٌ وَعَفِيفَةٌ. وَأَعَفَّهُ اللَّهُ. وَاسْتَعَفَّ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، أَي عَفَّ. وَتَعَفَّفَ، أَي تَكَلَّفَ الْعَفَّةَ. وَالْعَفَّةُ وَالْعَفَافَةُ بِالضَّمِّ فِيهِمَا: بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ)^(١)، والداعية إلى الله يجب أن يتصف بشيم المروءة التي يظهر من خلالها بصفات الرفعة لأنه يحمل عزة الإسلام ورفعته ومن هذه الصفات صفة العفاف وهكذا وصف الله تعالى المهاجرين - وهم أسوة في الدعوة إلى الله - قال الله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحَسِبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَرَأَى اللَّهُ بِهِ عَالِمٌ)^(٢) ومن دلالة الآية ثناء الله على أهل الفقر المتعففين عن السؤال، ووصية منه سبحانه العليم بالإنفاق عليهم، ومن أهل العلم من خصها بفقراء المهاجرين، أورد الإمام الطبري في تفسيره: (وقيل: إن هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية، هم فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء)^(٣) وقد بين الله تعالى سبب فقرهم وهو الإحصار في سبيل الله، وفسر بعدة أقوال، قال البغوي في تفسيره: (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فِيهِ أَقَاوِيلُ؛ قَالَ قَتَادَةُ - وَهُوَ أَوْلَاهَا - حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ {لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ} لَا يَتَفَرَّغُونَ لِلتَّجَارَةِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ وَهُمْ أَهْلُ الصِّفَةِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ، وَقِيلَ: حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ حَبَسَهُمُ الْفَقْرُ وَالْعَدَمُ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ

(١) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٤، ص: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٥، ص: ٥٩٠.

سعيد بن جبیر: قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمني^(١)، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد^(٢) وفي الأصل فإن المسلم يعمل ويكد ويأكل من عمل يده، وهو الصنيع المحبوب إلى الله تعالى، عن المقدام^(٣) بن معدي كرب ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أكل أحد منكم طعاماً أحب إلى الله عز وجل من عمل يديه»^(٤). ومن أجل حكمه الحث على العمل باليد، وظهور العفة على المسألة، والمشاركة بين الناس في الأعمال فتستقيم أمورهم في الحياة، فقد ربي النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على العفة وهم قدوة، عَنْ هَالَلٍ^(٥) بْنِ حِصْنٍ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ فَصَمَنِي وَإِيَّاهُ الْمَجْلِسُ، قَالَ: فَحَدَّثَ أَنَّهُ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الْجُوعِ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ أَوْ أُمُّهُ: أَنْتَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْأَلْهُ فَاسْأَلْهُ، فَقَدْ أَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ، وَأَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: قُلْتُ حَتَّى أَلْتَمَسَ شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَمَسْتُ فَاتَيْتُهُ - قَالَ حَجَّاجٌ: فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا فَاتَيْتُهُ - وَهُوَ يَخْطُبُ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ اسْتَعْفَ يَعْفُهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلْنَا إِمَّا أَنْ نَبْذُلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ نُؤَاسِيَهُ - أَبُو حَمْزَةَ^(٦) الشَّائِدُ - وَمَنْ يَسْتَعْفُ عَنَّا أَوْ يَسْتَعْنِي، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا قَالَ: فَرَجَعْتُ فَمَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا. فَمَا زَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا حَتَّى مَا أَعْلَمُ فِي الْأَنْصَارِ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْثَرَ أَمْوَالًا مِنَّا^(٧). ومع اختلاف ظروف العصر الاقتصادية عما سبق، فقد أصبحت الدعوة وظيفة و مصدرًا للدخل المالي؛ لاعتماد تقسيمها ضمن وظائف الدولة الرسمية، ومن السداد تنسيق ولاية الأمر لشؤون العلم والدعوة، وتخصيص الوظائف في هذا الشأن؛ فيكون الداعية في عمل شريف، ومهمة رفيعة، ووظيفة عالية القدر، فتعطى لمن تأهل لها بالعلم والعمل؛ ويجب أن تعطى قدرها الكامل من الاهتمام من أهل المسؤولية

(١) وَأَزْمَنَ الشَّيْءُ طَالَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَالْأَسْمُ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنُ وَالزُّمْنَةُ. انظر لسان العرب لابن منظور (١٩٩/١٣). فأما الزمانة التي تصيب الإنسان فتقعده، فالأصل فيها الضاد، وهي الضمانة، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣/٣).

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ٣٣٧.

(٣) المقدام بن معدي كرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب بن عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن غفیر الكندي. أبو كريمة. وقيل: أبو صالح وقيل: أبو يحيى وهو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من كندة. يعد في أهل الشام وبالشام مات سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة روى عنه جماعة من التابعين بالشام. مذكور فيمن نزل حص. عاش إلى خلافة عبد الملك ويقال: إلى خلافة ابنه الوليد. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧٠٢/١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧١٨١ (٤١٨/٢٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٥) هلال بن حصن أخو بني قيس بن ثعلبة، بصري، روى عن أبي سعيد الخدري، وروى عنه أبو حمزة وقتادة، ذكره البخاري وذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة أربع وتسعين، روى عنه أهل البصرة. انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر العسقلاني (٣٣٥/٢).

(٦) أحد رجال السند في هذه الرواية، وقيل: هو أبو حمزة نصر بن عمران الضبيعي. ومن ذكر أنه أبو حمزة فهو تصحيف. كذا ضبطه الدارقطني في المؤلف (٦٠٠/١).

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: ١١٤٠١ (٤٨٨/١٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

والتخطيط لبلاد المسلمين، ومن تحمل أمانة الأداء لها، وواقع الدعوة والمسلمين اليوم، يستلزم توسيع نطاقها على جميع مستويات المجتمع؛ بما يسد الحاجة إليها.

ويجدر بالدعاة إلى الله أن يصونوا أنفسهم عن الذلة والهبوط إلى مستوى الطلب، أو المكسب المادي من وراء الدعوة إلى الله، فيجعلوها سبيلا لمصدر الرزق فقط، فشأن الدعوة إلى الله عظيم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَعَنَّى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي رِيحَهَا)^(١). ومن أصول الدعوة أن وظيفتها يجب أن يقوم بها ممن تأهل لها علما وخلقا، ويحرم على الجاهل أن يدعو إلا بعد علم، والواجب المقرر شرعا التواصي بالحق والدعوة إليه على بصيرة وعلم، قال الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف: (إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْأَبْنَىٰ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ)^(٢). ومن يتلمس حاجاته باسم الدعوة إلى الله؛ ويدعو بدون دليل وبرهان، فقد خالف سمات المروءة وزاد الناس جهلا وضلالة، ولو استعف وطلب الرزق وترك أمر الدعوة لأهله لكان خيرا له وخيرا للناس.

ثالثا: الصفات الشخصية في الهيئة الظاهرة:

(١) الجمال:

تبرز شخصية الداعية من منطقها وهيئته، أي من جميل القول وجمال الشكل، والهيئة أول ما يتلقاه المدعو سواء كان في ملبس الداعية أو بدنه، ووجهه أول محياه وعلاماته وقسماته تدل عليه، وإلى ما يدعو إليه، فمن صفات الداعية أن يهتم بلبسه وهيئته، حيث الاهتمام باللباس وحسن الهيئة طبيعة بشرية تنافي الكبر، وتسبب الخيلاء لمن في قلبه مرض من بطر الحق والاستعلاء والفخر، وهو ما دلت عليه السنة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»^(٣). فمن توجيهات الحديث أيضًا، الحذر من الكبر والعجب بالنفس، وأن الداعية معرض لذلك كغيره من الناس، وقد يكون أشد منهم لما يلاقيه من الشهرة، خاصة ونحن نعيش اليوم تطورا كبيرا في وسائل الإعلام والاتصال، مما لا يخفى على أحد، ومن توجيهات الحديث أيضا أن من محاب الله الجمال، وإن الأشياء في جمالها تبرز على بعضها البعض حسب عين الناظر، ولا يتوقف الوصف للجمال إن لم توقفه النفس، وله لذة نفسية عميقة، ذكر النبي ﷺ نبي الله يوسف عليه السلام وأنه أوتي شطر الجمال في حديث الإسراء والمعراج، قال ﷺ: (ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب العلم - باب في طلب العلم لغیر الله تعالى، حديث رقم: ٣٦٦٦ (٣/٣٦١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب المقدمة - باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث رقم: ٢٥٢ (١/٢٨٥). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٤٥٧ (١٤/١٦٩). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٢) سورة الأعراف: ٣٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم: ٢٧٥ (١/٦٥).

مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ^(١). وهو الذي قلن نساء المدينة^(٢) في حقه ﷺ حين شغفت^(٣) به امرأت عزيز مصر ما قلن، من نفى البشرية عنه من جماله: قال الله تعالى: (فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^(٤)) ولقد أمر الله تعالى نبيه بما فيه جمال الداعية إلى الله فأمره بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل، فمن جمال الحياة الصّفح والعفو، ومن جمال شخصية الداعية أن يتميز بالصفح والعفو، ويكون مستجيباً لأمر الله في قوله تعالى: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٥)) وذكر صاحب تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن في تفسير سورة الحجر عند قوله تعالى: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)^(٦): (أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهٗ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَصْفَحَ عَمَّنْ أَسَاءَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ؛ أَي: بِالْحِلْمِ وَالْإِغْضَاءِ^(٧)). وَقَالَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ: الصَّفْحُ الْجَمِيلُ: الرِّضَا بِغَيْرِ عِتَابٍ. وَأَمْرُهُ ﷺ يَشْمَلُ حِكْمَةَ الْأَمَّةِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَثَّقَهُمُ وَالْمُشَرِّعُ لَهُمْ^(٨)) فَإِنَّ الْمُسْلِمَ جَمِيلٌ فِي بَاطِنِهِ بِمَا يَحْمِلُ مِنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَجَمِيلٌ فِي ظَاهِرِهِ بِنِظَافَةِ بَدَنِهِ وَنِصَارَةِ مَلْبَسِهِ وَحَسَنِ أَخْلَاقِهِ وَلِزُومِ السَّنَةِ فِي ذَلِكَ، كَمَا هُوَ جَمِيلٌ بِالْمَوَازَنَةِ وَلِزُومِ الْحِكْمَةِ بِمَا يَحْقُقُ مَصَالِحَ الشَّرْعِ وَمَقَاصِدَ الدِّينِ فِي عَمُومِهِ، وَعَدَمِ مَخَالَفَةِ النَّاسِ بِالشَّدُوذِ فِي الْمَظْهَرِ أَوْ التَّنَطُّعِ أَوْ فِرَاقِ مَا أَلْزَمَ بِهِ نَفْسَهُ عَلَى الْآخَرِينَ، وَلَكِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ وَالرَّفْقَ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَالنَّصِيحَةُ بِهِ جَمَالٌ، وَمَا وَرَدَ فِي لِبَاسِ الْمُؤْمِنِ: عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى، عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا^(٩)). وَعَنْ أَبِي

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم: ٤٢٩ (١/٩٩).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة، وهي مصر (٤/٣٨٤).

(٣) (شغف) الشين والغين والفاء كلمة واحدة، وهي الشَّغَاف، وهو غلاف القلب. قال الله تعالى: { قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } [يوسف: ٣٠]، أي أوصَلَ الحُبَّ إِلَى شَغَافِ قَلْبِهَا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٩٥).

(٤) سورة يوسف: ٢١.

(٥) سورة النور: ٢٢.

(٦) سورة الحجر: ٨٥.

(٧) (غضا) الغين والضاد والحرف المعتل كلمتان: فالأولى: الإغضاء: إدناء الجفون. وهذا مشتق من اللَّيْلَةِ الْغَاضِيَةِ، وهي الشَّدِيدَةُ الظُّلْمَةُ. والكلمة الأخرى: الْغَضَا، وهو شجرٌ معروف. يقال: أرضٌ غَضِيَاءٌ: كثيرة الغَضَا. ويقال: إِبِلٌ غَضِيَّةٌ: اشتكت عن أكل الغَضَا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٢٨).

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ، ج ٢، ص: ٣١٣.

(٩) انظر: صحيح البخاري - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب قبول الهدية من المشركين، حديث رقم: ٢٦١٥ (٣/١٦٣).

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ، أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مَرَجَلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(١). ومن المعلوم أيضا، أن الجمال كلمة ذات معانٍ عظيمة، وذات أبعاد عميقة، ويختلف الناس في تحديد أبعادها وحصر معانيها، فلكل ينظر إليها من زاوية محددة في شخصيته، وما تمثله في حياته أو ما يظهر إليه من خلال فكره، وعليه فإن الجمال ما عظمه الشخص لحسن يراه أو وصف فاق به غيره في النواحي المعنوية أو المادية، ويتفق الناس في مظاهر جمالية ويختلفون في أخرى، ومما يتفق عليه أهل العلم أن الداعية إلى الله يجب أن يظهر بالمظهر الحسن الذي أمر به الشرع، وهو أن يتقلل من الدنيا تقللاً لا يخرجه، فخير الأمور أوسطها، يسكن كما يسكن أواسط الناس، ويلبس كما يلبس أواسط الناس، مع العلم أن هناك حيثيات خاطئة، منها: أن بعض الناس يرى أن الداعية يجب عليه أن يلبس لباس الفقراء والزهاد، وهذه الحيشة ليست بصحيحة، فإن الله - عز وجل - قد أحل الطيبات، ورسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى التجميل وإصلاح الحال والرحال بقوله: ((إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلَحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلَحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))^(٢) وعندما يكون الداعية متجملاً، متطيباً، ذا سكن فسيح ومركب طيب مريح، فإن هذا لا يعارض أمر الله - عز وجل - ولا سنة رسول صلى الله عليه وسلم، بل عليه أن يكون كذلك، ولكل بما يناسبها، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يعتني بذلك، ففي صلاة الاستسقاء يظهر الخشوع والذلة والخشية في الحال واللباس، ولكنه في الأعياد لبس بُردة حمراء جميلة، خرج بها أمام الناس، وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِنْ كَانَتْ جُمَّتُهُ لَتَضْرِبُ قَرِيبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ)^(٣). أورد ابن بطال في شرح صحيح البخاري: (قال الطبري: وقد اختلف السلف في ذلك، فمنهم من رخص في لبس ألوان الثياب المصبغة بالحمرة مشبعة كانت أو غير مشبعة، ومنهم من كره المشبعة، ورخص فيما لم يكن مشبعاً)^(٤) وفي الروض المربع شرح زاد المستقنع: (ويكره المعصفر)^(٥) في غير إحرام ويكره (المزعفر للرجال) لأنه عليه الصلاة والسلام هي الرجال عن التزعفر - متفق عليه - ويكره الأحمر الخالص، والمشي بنعل واحدة، وكون ثيابه فوق نصف ساقه، و تحت كعبه بلا حاجة، وللمرأة زيادة إلى ذراع، ويكره لبس

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب اللباس- باب من جر ثوبه من الخيلاء، حديث رقم: ٥٧٨٩ (١٤١/٧).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث رقم: ٤٠٩٠ (١٠١/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند الشاميين رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٤٨٧ (٢٦/١١). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب اللباس- باب الجعد، حديث رقم: ٥٩٠١ (١٦١/٧).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٩، ص: ١٢٠.

(٥) (عصفر) العُصْفَرُ نبات سُلَافَتُهُ الْجُرْيَالُ وهي معربة، العُصْفَرُ هذا الذي يصبغ به ومنه رِبْيٌ ومنه بَرِيٌّ وكلاهما نبتٌ بأرض العرب وقد عَصَفَرَتِ الثوب فتَعَصَفَرَ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٨١/٤).

الثوب الذي يصف البشرة للرجل والمرأة، وثوب الشهرة وهو ما يشتهر به عند الناس، ويشار إليه بالأصابع^(١) ووجه بعض أهل العلم الكراهة في الصبغ بالعصفر والزعفران هنا على كراهة التزييه وليس على كراهة التحريم لحديثي ابن عمر وابن عمرو رضي الله عنهما، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالْخُلُقِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّكَ تُصَفِّرُ لِحْيَتَكَ بِالْخُلُقِ ! قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَفِّرُ بِهَا لِحْيَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الصَّبْغِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا وَلَقَدْ كَانَ يَصْبُغُ بِهَا ثِيَابَهُ كُلَّهَا حَتَّى عِمَامَتُهُ^(٢) و عن عبد الله بن عمرو قال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ثوبين معصفرين، فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها)^(٣) قال الشوكاني في نيل الأوطار: (وذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك إلى الإباحة كذا قال ابن رسلان^(٤) في شرح السنن، قال: وقال جماعة من العلماء بالكراهة للتزييه وحملوا النهي على هذا لما في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: (رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بالصفرة) زاد في رواية أبي داود والنسائي (وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها) وقال الخطابي: النهي منصرف إلى ما صبغ من الثياب، وكأنه نظر إلى ما في الصحيحين من ذكر مطلق الصبغ بالصفرة، فقصره على صبغ اللحية دون الثياب، وجعل النهي متوجها إلى الثياب ولم يلتفت إلى تلك الزيادة المصرحة بأنه كان يصبغ ثيابه بالصفرة، ويمكن الجمع بأن الصفرة التي كان يصبغ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير صفرة العصفر المنهي عنه^(٥). ووجه النبي ﷺ إلى لبس البياض من الثياب، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألبسوا من الثياب البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم)^(٦) وكلما التزم الداعية إلى الله بالسنة مظهرا ومخبرا زاد جمالا، وكان أصلح حالا. واللباس من العادات يتغير بتغير أحوال الناس، ويختلف من بلد إلى

(١) الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر، ج ١، ص: ٦١ - ٦٢.

(٢) انظر: سنن النسائي - كتاب الزينة من السنن - باب الخضاب بالصفرة، حديث رقم: ٩٣٠٥ (٣٢٩/٨). صححه الألباني .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث رقم: ٥٥٥٥ (١٤٣/٦).

(٤) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، أبو العباس، الرملي الشافعي. ويعرف بابن رسلان. فقيه شافعي، ولد في سنة ٧٧٣هـ — بالرملة (بفلسطين) وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها سنة ٨٤٤هـ، عالم شارك في بعض العلوم. ولزم الإفتاء والتدريس مدة. وأجازته قاضي القضاة الباعوني بالإفتاء. ومن تصانيفه: " صفوة الزيد " منظومة في الفقه، " و " شرح سنن أبي داود " و " شرح البخاري "، و " تصحيح الحايي " فقه، و " شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ". انظر: الأعلام للزركلي (١١٧/١).

(٥) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١هـ، ص: ٣١٤.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأدب - باب لبس البياض، حديث رقم: ٢٨١٠ (١١٧/٥). انظر: سنن النسائي - كتاب الجنائز - باب أي الكفن خير، حديث رقم: ٩٥٦٧ (٤١٧/٨). و انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين رضي الله عنهم. حديث رقم: ٢٠١٨٥ (٣٥٤/٣٣). تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

آخر وتبقى حدود الشرع هي الظاهرة في لباس المسلم، وهي المحكم وفق نصوص الكتاب والسنة المفصلة في كتب الفقه بالأدلة، وثبت عليها الأحكام، قال ابن جزي في كتابه القوانين الفقهية عند الباب الحادي عشر: (الفصل الأول في أنواع اللباس وهو ينقسم إلى أقسام الشريعة الخمسة فالواجب ما يستر العورة وما يقي الحر والبرد وما يستدفع به الضرر في الحرب وغيرها، والمندوب كالرداء في الصلاة والتجمل بالثياب في الجمعة والعيدين، وأما الحرام فلباس الحرير والذهب للرجال واشتغال الصماء والاحتباء على غير ثوب يستر العورة، وكل ما فيه سرف أو يخرج إلى البطر والخيلاء، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في اللباس وغيره، وأما المكروه، فالتلثم وتغطية الأنف في الصلاة، ولباس زي العجم والتعمم بغير قناع ولباس ما فيه شهرة كلباس الصالحين الصرف، والمباح ما عدا ذلك ((الفصل الثاني)) في أنواع الملابس ويجوز جميعها للنساء، وأما الرجال فيحرم عليهم الحرير والذهب على الجملة ^(١). ويلزم من ذلك أن يعلم الداعية ما ورد عن الزينة من نصوص شرعية في حق المتجمل من الرجال والنساء؛ ليعلم أحكام الشرع ويعلمها سواء كانت في أوصاف اللباس المشروعة من غيرها، أو مواد اللباس وألوانها، وما يرافقها من زينة كالذهب والفضة وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من أحب أن يطوق حبيبه طوقاً من نار فليطوقه طوقاً من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه سواراً من نار فليسوره سواراً من ذهب، ومن أحب أن يخلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، ولكن عليكم بالفضة العبوا بها لعباً، العبوا بها لعباً » ^(٢). ومن معاني الحديث وتوجيهاته، أن الجمال ليس فيما حرم الله تعالى، وأن من محبة الرجل لمن يحب من الرجال، أن يعبده عن لباس الذهب من الأطواق أو الأساور أو الخلق وغيره، لأنها سبيل إلى العذاب بالنار يوم القيامة، والمحبة تنافي الإساءة والسوء وتوجب الحسن والإحسان. وجمال اللباس ما كان متيسيراً غير متكلفاً، وهذا اختيار ابن القيم في زاد المعاد عند الحديث عن لباس النبي ﷺ قال: (وَالصَّوَابُ أَنَّ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النَّبِيِّ سَنَّهَا وَأَمَرَ بِهَا وَرَغَّبَ فِيهَا وَدَاوَمَ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّ هَدْيَهُ فِي اللَّبَاسِ أَنْ يَلْبَسَ مَا تَيْسَّرَ مِنَ اللَّبَاسِ مِنَ الصَّوْفِ تَارَةً وَالْقُطْنِ تَارَةً وَالْكَتَّانِ تَارَةً. وَلُبْسُ الْبُرُودِ الْيَمَانِيَّةِ وَالْبُرْدِ الْأَخْضَرِ وَلُبْسُ الْجُبَّةِ وَالْقَبَاءِ وَالْقَمِيصِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ وَالْخُفِّ وَالنَّعْلِ وَأَرْخَى الذَّوَابَةَ مِنْ خَلْفِهَا تَارَةً وَتَرَكَهَا تَارَةً. وَكَانَ يَتَلَحَّى بِالْعِمَامَةِ تَحْتَ الْحَنْكِ. وَكَانَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ الرِّدَاءَ أَوْ الْعِمَامَةَ أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ وَكَانَ إِذَا لَبَسَ قَمِيصَهُ بَدَأَ بِمِيَامِنِهِ. وَلَبَسَ الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي

(١) القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية والتنبية على مذاهب الشافعية والنفية والمالكية، أبو القاسم محمد بن أحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ، ص: ٤٥٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الإجارة - باب في كسب المعلم، حديث رقم: ٤٢٣٨ (١٤٩/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكثيرين من الصحابة - مسند أبي هريرة رضي الله عنه. حديث رقم: ٨٤١٦ (١٤٠/١٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: رجاله ثقات.

صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ قَتَادَةَ قُلْنَا لَأَنْسَ أَيْ اللَّبَاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ الْحَبِيرَةُ. وَالْحَبِيرَةُ بُرْدٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ. فَإِنَّ غَالِبَ لِبَاسِهِمْ كَانَ مِنْ نَسَجِ الْيَمَنِ لِأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْهُمْ وَرَبِّمَا لَيْسُوا مَا يُجْلِبُ مِنَ الشَّامِ وَمِصْرَ كَالْقَبَاطِيِّ الْمَنْسُوجَةِ مِنَ الْكُتَّانِ الَّتِي كَانَتْ تَنْسُجُهَا الْقِبْطُ^(١) وَكَانَ ﷺ يَحِبُّ الْقَمِيصَ مِنَ الثِّيَابِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَمِيصُ»^(٢). وَكَذَلِكَ كَانَ ﷺ يَحِبُّ مَخَالَفَةَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ فِي اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُؤُوسَهُمْ، فَسَدَلَ النَّبِيُّ ﷺ نَاصِيَتَهُ، ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ»^(٣). وَمُفَارَقَةُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ أَصُولِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ حَجَرٍ يَرْحَمُهُ اللَّهُ حَوْلَهُ، فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ، عِنْدَ الْكَلَامِ عَنْ أَصُولِ الْوَلَاءِ وَالْبِرِّ الْمَوْجِبَةِ لِحُبِّهِ اللَّهِ، وَعَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ يَشْمَلُ الْعُقَائِدَ وَالْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَمِنْهَا الْهَيْئَةُ فِي اللَّبَاسِ وَالشَّكْلُ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى فَإِنْ تَسَلَّمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةَ^(٤) بِالْأَصَابِعِ وَتَسَلَّمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةَ بِالْأَكْفِ)^(٥). وَلَعُمُومَ حَدِيثِهِ عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٦). وَيَجِبُ عَلَى الدَّاعِيَةِ الْفَقْهَ وَقُوَّةَ التَّمْيِيزِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ عِنْدَ مَسْأَلَةِ التَّشْبِيهِ، وَعَدَمَ تَرْكِهَا عَلَى عُمُومِهَا دُونَ تَفْصِيلِ، كُلِّ حَسَبِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ وَمَصْلَحَتِهِ وَمَصَالِحِ الْأُمَّةِ؛ وَذَلِكَ لِمَا حَصَلَ مِنْ شِدَّةِ اخْتِلَاطِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي شَتَّى الْبُلْدَانِ عَلَى مُخْتَلَفِ الْأَجْنَاسِ، وَلِتَطَوُّرِ وَسَائِلِ الْمَوَاصِلَاتِ وَانْفِتَاحِ مَجَالَاتِ الْأَعْمَالِ وَصُعُوبَةِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ اللَّبَاسِ الْمُخْتَصِّ بِقَوْمٍ أَوْ بِجَنْسٍ أَوْ بِعَقِيدَةٍ. وَكَلِمَا أَدْرَكَ الدَّاعِيَةُ مَعْنَى الْجَمَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَحَمْدَهُ وَشَكَرَهُ عَلَى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص: ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب ما جاء في القميص، حديث رقم: ٤٠٢٧ (٧٦/٤). انظر: سنن الترمذي - كتاب اللباس - باب ما جاء في القميص، حديث رقم: ١٧٦٢ (٢٣٧/٤). صححه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب الفرق، حديث رقم: ٥٩١٧ (١٦٢/٧). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه، حديث رقم: ٦٢٠٨ (٨٢/٧).

(٤) ثبت عن النبي ﷺ أنه أشد بيده لمن سلم عليه وهو يصلي في أحاديث عدة. وقال العلماء: التَّهْيُّ عَنْ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ مَخْصُوصٌ بِمَنْ قَدَرَ عَلَى اللَّفْظِ حَسًّا وَشَرْعًا وَإِلَّا فَهِيَ مَشْرُوعَةٌ لِمَنْ يَكُونُ فِي شُغْلٍ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّلَفُّظِ بِجَوَابِ السَّلَامِ كَالْمُصَلِّيِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَخْرَسِ وَكَذَلِكَ السَّلَامُ عَلَى الْأَصَمِّ.

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ - باب في كراهية إشارة اليد بالسَّلام، حديث رقم: ٢٦٩٥ (٥٦/٥). حسنه الألباني.

(٦) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب في لبس الشهرة، حديث رقم: ٤٠٣٣ (٧٨/٤). حسنه الألباني.

نعمائه وهو واجب كل مسلم ، وعليه أن يسعى في تحقيق ذلك من هذا الباب، حيث إظهار نعمة الله والتحدث بها من محاب الله، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»^(١). قال الملا نور الدين القاري: (قَالَ تَعَالَى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، وَفِي السُّنَنِ أَيْضًا: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ". أَيْ لِإِنْبَائِهِ عَنِ الْجَمَالِ الْبَاطِنِ وَهُوَ الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ، وَهَاهُنَا مَزَلَّةٌ لِقَوْمٍ وَمَصْعَدَةٌ لآخرين فِي الْفِعْلِ وَالتَّوَكُّلِ؛ حَيْثُ لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ فِيهِمَا مِنْ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصِ تِلْكَ الطَّوِيَّةِ فَلَا يَلْبَسُ بِافْتِخَارٍ وَلَا يَتَرَكُّ بِخُلَا وَاحْتِقَارًا)^(٢) وإظهار النعمة نوع من شكرها ، فشكر النعمة يكون بالظاهر حمدا لله شكرا باللسان، وحسن الحال من اللباس والمسكن والمركب، وغيره من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، ويكون الشكر باطنا بحسن النية وإصلاح الطوية ، والإقرار بفضل الله إيماننا وحبا لله. قال الإمام البغوي في شرح السنة: (هذا في تحسين الثياب بالتنظيف، والتجديد عند الإمكان من غير أن يبالغ في النعامة والدقة، ومظاهرة الملبس على الملبس على ما هو عادة العجم)^(٣)

٢) الطيب:

إن من كمال الجمال الطيب والريح الطيبة، حيث الطيب أصل في الحياة والنفوس، والريح الزكية له مكملة، والدعاة إلى الله من لوازم دعوتهم وأحكام شريعتهم الاتصاف بالطيب في أصله ولوازم كماله من الريح الطيبة وغيرها، عن سعيد بن المسيب، يقول: « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَظَفُّوا - أَرَاهُ قَالَ - أَفْنَيْتُكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ »^(٤). وقد علق ابن القيم يرحمه الله على أصل الطيب، فقال: (إن الله سبحانه وتعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارْتَضَاهُ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يُحِبُّ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ وَالْكَلامِ وَالصَّدَقَةِ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَالطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ مُخْتَارُهُ تَعَالَى. وَأَمَّا خَلْقُهُ تَعَالَى فَعَامٌّ لِلنَّوْعَيْنِ وَبِهَذَا يُعْلَمُ عُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَشَقَاوَتِهِ، فَإِنَّ الطَّيِّبَ لَا يُنَاسِبُهُ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِهِ وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ إِلَّا بِهِ، فَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا هُوَ، وَهُوَ أَشَدُّ شَيْءٍ نُفْرَةً عَنِ الْفُحْشِ فِي الْمَقَالِ، وَالتَّفَحُّشِ فِي اللَّسَانِ وَالْبَدَاءِ، وَالْكَذِبِ وَالْغِيَةِ وَالتَّمِيمَةِ

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، حديث رقم: ٢٨١٩

(٥/١٢٣). وانظر: مسند الإمام أحمد- مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨١٠٧ (٤٦٨/١٣). حسنه الألباني .

(٢) جَمْعُ الْوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّيْءِ الْمَلِكِ، الملا نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي القاري ، دار الأقصى. ج ١، ص: ١٤٦ .

(٣) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ط ٢، ج ١٢ ، ص: ٤٩ .

(٤) انظر: سنن الترمذي- كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في النظافة، حديث رقم: ٢٧٩٩ (١١١/٥). حسنه الألباني في مشكاة المصابيح .

وَالْبُهْتِ وَقَوْلِ الزَّوْرِ وَكُلِّ كَلَامٍ خَبِيثٍ. وَكَذَلِكَ لَا يَأْلَفُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا أَطْيَبُهَا، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ عَلَى حُسْنِهَا الْفِطْرُ السَّالِمَةُ مَعَ الشَّرَائِعِ التَّبَوُّيَّةِ وَزَكَّتْهَا الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ فَاتَّفَقَ عَلَى حُسْنِهَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، مِثْلُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيُؤْتِرَ مَرْضَاتُهُ عَلَى هَوَاهُ وَيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِ جَهْدُهُ وَطَاقَتُهُ، وَيُحْسِنَ إِلَى خَلْقِهِ مَا اسْتَطَاعَ فَيَفْعَلَ بِهِمْ مَا يُحِبُّ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ وَيُعَامِلُوهُ بِهِ، وَيَدْعُهُمْ مِمَّا يُحِبُّ أَنْ يَدْعُوهُ مِنْهُ، وَيَنْصَحُهُمْ بِمَا يَنْصَحُ بِهِ نَفْسُهُ، وَيَحْكُمُ لَهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُحْكَمَ لَهُ بِهِ، وَيَحْمِلُ أَذَاهُمْ وَلَا يُحْمِلُهُمْ أَذَاهُ وَيَكْفِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَلَا يُقَابِلُهُمْ بِمَا تَأْلَوُا مِنْ عَرْضِهِ، وَإِذَا رَأَى لَهُمْ حَسَنًا أَذَاعَهُ وَإِذَا رَأَى لَهُمْ سَيِّئًا كَتَمَهُ، وَيَقِيمُ أَعْذَارَهُمْ مَا اسْتَطَاعَ فِيمَا لَا يُبْطِلُ شَرِيعَةً، وَلَا يُنَاقِضُ لِلَّهِ أَمْرًا وَلَا نَهْيًا ^(١) ولقد تخلل الطيب في شخص النبي ﷺ - قدوة الدعاة وخاتم النبيين - وأخبر الناس به صحابته، ومنهم أحب الرجال إليه وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد وصفه بالطيب في وداعه له حين موت النبي ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ ^(٢) - قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ ^(٣) - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلُهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا... ^(٤). وكان ﷺ في حياته يحب الطيب، بل جعله من خصوصيات اختياره من الحياة الدنيا في حبه إياه واختاره على غيره من زينتها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما حُب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة) ^(٥). وعن عائشة رضي الله عنها: (أنها جعلت للنبي بردة سوداء من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها وكان يحب الريح الطيبة) ^(٦). ومن سننه التشريعية في الطيب أنه لا يرد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « لَا تَرُدُّوا الطَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ طَيْبُ الرِّيحِ، خَفِيفُ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص: ٦٥-٦٦.

(٢) السُّنْحُ: يضم ثانيه فيقال: سنح في الموضع والجمع، وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تزوج مليكة وقيل حبيبة بنت خارجة بن زيد، من الأنصار، وهي في طرف من أطراف المدينة وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٢٦٥).

(٣) العالِيَةُ: تأنيث العالِي رجل عال وامرأة عالِيَة، والعالِيَة: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها، إلى تمامة فهي العالِيَة، وما كان دون ذلك من جهة تمامة فهي السافلة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٧١).

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ-باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣٦٦٧ (٥/٦).

(٥) سبق تحريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٦) انظر: سنن النسائي-كتاب عشرة النساء-باب حب النساء، حديث رقم: ٩٤٨٨ (٣٨٩/٨). وانظر مسند الإمام أحمد-مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٥٠٠٣ (٤١/٤٦٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

الْمَحْمَلِ»^(١). والطيب على اختلاف أنواعه الطبيعية والمصنعة الحالية من المؤثرات المنجسة، سمة طيبة في الداعية، تدفع إلى القرب منه، وحسن السماع له، والاستجابة لدعوته؛ فهي صفة محبة للداعية ولما يدعو له. والطيب في الدين هو حسن العبادة، وجميل الخلق وحسن المعاملة بالقول والعمل، قال أبو الطيب المتنبي^(٢):

وكلُّ امرئٍ يُولى الجميل مُحبَّبٌ *** وكل مكان يُنبِت العزَّ طيبٌ

(٣) التيامن :

التيمن من سنن الإسلام الثابتة من فعل النبي ﷺ ومستحباته، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ)^(٣). أورد ابن حجر المقصود بالتيمن في الفتح عند شرحه باب التيامن: (وأورد المصنف من الحديث طرفاً لبيان به المراد بقول عائشة يعجبه التيامن إذ هو لفظ مشترك بين الابتداء باليمين وتعاطي الشيء باليمين والتبرك)^(٤) وهذه السنة تتعلق في شؤون المرء كلها ويزداد بها أجراً، والداعية إلى الله يدعو إلى لزوم السنة، وهو من أحق الناس بلزومها، ومن فقه الحديث أن من صفات الداعية التيامن لأن فيه إظهار لهذه السنة ودعوة لها، ويشمل ذلك أنواع الطاعات، قال بدر الدين العيني في شرح صحيح البخاري: (قوله ما استطاع، كلمة ما، يجوز أن تكون موصولة، وتكون بدلا من التيامن، ويجوز أن تكون بمعنى ما دام، وبه احترز عما لا يستطيع فيه التيامن شرعا كدخول الخلاء والخروج من المسجد، قوله في شأنه يتعلق بالتيمن ويجوز أن يتعلق بالحبة، أو بهما على سبيل التنازع، قوله في طهوره بضم الطاء بمعنى طهره، قوله وترجله أي تمشيطة الشعر، قوله وتنعله أي لبسه النعل، فإن قلت: ما موقع في طهوره من الإعراب؟ قلت بدل من شأنه بدل البعض من الكل، فإن قلت: إذا كان كذلك يفيد استحباب التيامن في بعض الأمور، وتأکید شأنه بالكل يفيد استحبابه في كلها، قلت هذا تخصيص بعد تعميم، وخص هذه الثلاثة بالذكر اهتماما بها وبيانا لشرفها، ولا مانع أن يكون بدل الكل من الكل، إذ الطهور مفتاح أبواب العبادات، والترجل يتعلق بالرأس، والتنعل بالرجل، وأحوال الإنسان إما أن تتعلق بجهة فوق، أو بجهة تحت، أو بالأطراف، فجاء لكل منها بمثال، قلت كيف قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي يحب التيامن، والحبة أمر باطني، فمن أين علمت ذلك؟

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الترجل - باب في رد الطيب، حديث رقم: ٤١٧٤ (٤/١٢٨). صححه الألباني. وأصله عند مسلم في صحيحه.

(٢) دايون أبي الطيب التنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط: مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص: ١٨٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب التيامن في دخول المسجد وغيره، حديث رقم: ٤٢٥ (١/٩٢).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٢٦٩.

قلت: علمت حبه بهذه الأشياء إما بالقرائن أو بإخباره صلى الله تعالى وسلم لها بذلك^(١) وإن كان هذا خاص بمتعلقات المسلم في الدنيا، فقد ميز الله تعالى أصحاب اليمين عن أصحاب الشمال في الآخرة من استلام الكتاب والمجازاة على الأعمال بالثواب أو العقاب، قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ۚ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ۚ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۚ) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ۖ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَةَ ۖ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَتْ ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۖ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ^(٢) وكما أن الإعطاء باليمين و الأخذ باليمين دليل الكرامة والبركة في الدنيا؛ فإنها في الآخرة دليل النجاة، أورد القرطبي في تفسيره: (فَيَقُولُ هَآؤُمُ^(٣) اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ أي يقول ذلك ثقة بالإسلام وسرورا بنجاته، لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح، والشمال من دلائل الغم. قال الشاعر^(٤):

أبيني أفي يميني يدك جعلتني *** فأفرح أم صيرتني في شمالك^(٥)

٤) القوة:

إن القوة صفة تشمل الفرد والجماعة، وكلما قوي الأفراد قويت الجماعة، وهي متعددة الجوانب، وهي من أوامر الإسلام في مواجهة الأعداء، قال الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ^(٦)) وتظهر جليلة في شخص المرء وعزمه، فيزداد قلبه بإيمانه قوة، ويزداد عقله بالعلم قوة، ويزداد شخصه بالبيان والفصاحة والحكمة قوة، وكذلك بدنه يزداد بالصحة قوة. وجماع هذه القوة في المؤمن مطلب شرعي يزداد بها محبة إلى الله تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرَصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجزُ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني الحنفي ، بيروت : دار الفكر، ج ٤، ص: ١٧١ .

(٢) سورة الحاقة : ١٩ - ٣١ .

(٣) (هوأ) هَاءٌ بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَعَالِي يَهْوُهُ هَوًى رَفَعَهَا وَسَمَّا بِهَا إِلَى الْمَعَالِي وَهُوَ الْهَمَّةُ وَإِنَّهُ لَبَعِيدُ الْهَوَى بِالْفَتْحِ وَبَعِيدُ الشَّأْوِ أَيْ بَعِيدُ الْهَمَّةِ . وهَاءٌ كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَ الْمُنَاوَلَةِ تَقُولُ هَاءٌ يَا رَجُلُ وَفِيهِ لُغَاتٌ تَقُولُ لِلْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ هَاءٌ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَلِلْمَذْكُورِينَ هَاءٌ وَلِلْمُؤَنَّثَتَيْنِ هَاتِيَا وَلِلْمَذْكُورِينَ هَاؤُوا وَلِلْمُؤَنَّثَةِ الْمُؤَنَّثِ هَاؤُنْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هَاءٌ لِلْمَذْكُورِ بِالْكَسْرِ مِثْلَ هَاتِ وَلِلْمُؤَنَّثِ هَاتِي يَأْتِيَانِ الْيَاءُ مِثْلَ هَاتِي وَلِلْمَذْكُورِينَ وَالْمُؤَنَّثَتَيْنِ هَاتِيَا مِثْلَ هَاتِيَا وَلِلْمُؤَنَّثَةِ الْمَذْكُورِ هَاؤُوا وَلِلْمُؤَنَّثَةِ الْمُؤَنَّثِ هَاتِيْنِ مِثْلَ هَاتِيْنِ تُقِيمُ الْهَمْزَةُ فِي جَمِيعِ هَذَا مَقَامَ التَّاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هَاءٌ بِالْفَتْحِ كَأَنَّ مَعْنَاهُ هَاكَ وَهَؤُمَا يَارِجْلَانِ وَهَؤُمُوا يَا رِجَالِ وَهَاءٌ يَا امْرَأَةً بِالْكَسْرِ بَلَا يَاءٍ انْظُرْ: لسان العرب لابن منظور (١٨٧/١) .

(٤) ابن الدمينية. الدمينية أمه واسمه عبد الله بن عبد الله أحد بني عامر بن تيم الله ويكنى ابن الدمينية أبا السرى وهو من بني خثعم شاعر إسلامي مجيد محسن سجنه مصعب بن الزبير في دم كان قبله فأخرجه قومه من السجن وهرب إلى صنعاء. (كذا وردت ترجمته في ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، الجزء الثاني، ص: ٦٢) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ١٨، ص: ٢٦٩ ..

(٦) سورة التوبة : ٦٠ .

فَعَلْتُ كَانَ كَذًا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحُ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»^(١). قال القاضي عياض في كتابه إكمال المعلم: (وفي كل خير " القوة هنا المحمودة يحتمل أنها في الطاعة، من شدة البدن وصلابة الظهر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قياماً، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة هنا في المنة وعزيمة النفس؛ فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المناكر والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة. ثم قال - عليه السلام - : " وفي كل خير، للإيمان الذي هو صفتهم، لكن الله قد باين بين خلقه في داره، ورفع بعضهم فوق بعض درجات)^(٢) والداعية إلى الله تعالى عندما يتحلى بالقوة الإيمانية والعلمية والبدنية، يكون أجدى في إيصال الدعوة إلى الناس، وعندما يتَّحد الدُّعاة إلى الله في الهدف والمنهج، ويتم تنسيق الجهد بحسب الطاقات؛ثمر الدعوة عن النتائج الإيجابية. وهنا مثل في العصر الحاضر يضرب به للدعاة مثلاً في قوة الداعية والدعوة، وهو إمام الدعوة في العصر الحاضر الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله، حيث جمع بين جوانب القوة المطلوبة من المسلم: قوة العقيدة والعلم، وقوة القول والعمل، قال الشيخ صالح الفوزان في كتابه إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: (حفظ الشيخ محمد القرآن صغيراً، وقرأ الفقه والتفسير والحديث على أبيه وعلماء بلده، حتى ألم بما عندهم في وقت يسير، مع التروي والمناقشة والتدقيق، حتى أعجب به والده ومشايخه وزملاؤه. ثم تطلع إلى المزيد من العلم فأقبل على كتاب الله، وتفسيره قراءة وتدبراً واستنباطاً، وعلى سنة الرسول ﷺ وسيرته، واستنتج منهما الاستنتاجات العجيبة، وقد دوّن هذه الاستنباطات المفيدة في كتبه ورسائله وفتاويه، وعكف على كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية. والشيخ الإمام ابن القيم، خصوصاً كتب العقيدة. ثم علت به همته وطموحاته فسافر إلى علماء الحرمين وعلماء الأحساء وعلماء البصرة^(٣) في العراق، والتقى بهم، وأخذ عنهم علماً غزيراً في الفقه والحديث وعلومه، حتى تضلع بالعلم، وأخذ عن كل من تمكن من الالتقاء به من علماء عصره، ومطالعة كتب من تقدمهم من الأئمة المحققين، ودراسة التفسير والحديث دراسة فاحصة مدققة. وعندما نظر إلى واقع أهل

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب القدر - باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم: ٦٩٤٥ (٥٦/٨).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، و أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٧هـ، ج ٨، ص: ١٥٩.

(٣) البصرة : هي من أرض العراق، وهي العظمى، فالبصرة بصرتان: العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب، قال ابن الأنباري البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تفلع، وذكر الشرقي بن القطامي أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للزول بها نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها؛ فقالوا إن هذه أرض بصرة يعنون حصبة؛ فسميت بذلك، ومصرّت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ١٧هـ. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٤٣٠).

عصره وجد البون شاسعاً بين هذا الواقع وبين ما دل عليه الكتاب والسنة، وما كان عليه أئمة السلف الصالح في الاعتقاد والمنهج. فالعلماء في وقته في الغالب مشغولون بدراسة الفقه وعقائد علماء الكلام المخالفة لاعتقاد السلف، دون تمييز بين الصحيح والسقيم. والعامة منهمكون في البدع والخرافات والشركيات ودعاء الأموات، دون أن يهيب أحد من العلماء - فيما نعلم - لإصلاح هذا الواقع الأليم، والمرتع الوخيم. عند ذلك لم يسع الشيخ محمداً - يرحمه الله - السكوت عن التغيير والإنكار، والدعوة إلى الإصلاح، والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها، وغير وجهها وبهجتها، وعكّر صفوها ونضرقتها. فعزم على القيام بالدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وباشر الدعوة في بلدة - حريملاء - التي استقر بها والده، ثم طورد منها ثم ذهب إلى العيينة ولم يستقر فيها فذهب إلى الدرعية فوجد فيها القبول والترحيب على يد أميرها: محمد بن سعود يرحمه الله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ^(١) فواصل الشيخ رحمه الله عمله في الدعوة إلى الله، وراسل علماء البلدان وأمرأها يدعوهم إلى الله، ويبين لهم ما هم واقعون فيه من مخالفات، وألف الكتب، وأجاب عن استشكالات من التبس عليهم الحق بالباطل؛ فاستجاب لدعوة الشيخ من كان رائده الحق، وعاند من كان دافعه التعصب للباطل، فلم ير الشيخ رحمه الله بداً من جهاد هؤلاء بالحجة واللسان من قبله وبالسيف والسنان من قبل ولاية الأمر من آل سعود أثابهم الله^(٢) وهذا نجاح الداعية والدعوة، مرهون بالتوكل على الله وإخلاص النية، والتكامل في شخصية الداعية، واهتمامه بجوانب القوة المادية والمعنوية، ومن أهمها: العلم والإيمان، والمال وقوة السلطان . وشمول الدعوة لجميع جوانب الحياة .

(١) سورة الطلاق: ٢ - ٣.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ج ١، ص: ٧

المطلب الثاني: العلاقات

إن الداعية إلى الله، أيما كان هو، و أينما كان مركزه في المجتمع، هو فرد من أفرادها، يؤدي دوره الوظيفي ودوره الدعوي، وهذا أصل في رابطة العلاقات الاجتماعية العامة والخاصة، وعلاقات الداعية في الدورين ذات ارتباط بموضوع دعوته، فهو قدوة فيما يدعو إليه، وعليه واجبات وحقوق يجب أن يؤديها، ومتى قام بدوره المناط به، فقد سار على نهج صحيح في تكوين الصلات الحميدة الحميمة بينه وبين الناس، وجنى ثمار دعوته بالقبول، ومتى انقطعت حبال علاقاته، بما يحدثه من صلات ذميمة وتصرفات سقيمة، فإنه سيقف عاجزا عن إيصال دعوته، حيث هذه العلاقات تمثل شبكة خيوطها الحبة والمودة والقربى، في الصلات الحميدة، وفي الصلات الذميمة خيوطها العداوة والجفاء والبعد. وهنا أعرض بعض أنواع العلاقات الواردة في الكتاب والسنة، بلفظ الحب أو معانيه ليرسم الداعية إلى الله الطريق المثلى في تكوين علاقاته، وبممكنه بها معرفة كثير من القواعد المحكّمة في العلاقات، وقد نظمناها على اعتبار موقع الداعية الاجتماعي، وحياته الشخصية، وما يمر عليه من شخصيات ومواقف متعددة تؤثر في تنوع علاقاته، وهذه العلاقات رأيت أنها تنقسم في حقه إلى ثلاثة أقسام: علاقات المجتمع الأسري وعلاقات المجتمع الدعوي، وعلاقات المجتمع العام، ومن دلائل نصوص الكتاب والسنة نستنبط الفوائد والقواعد في علاقات الداعية هذه وفق ما يلي:

أولاً: علاقات المجتمع الأسري:

١) صلة الأقارب والأرحام:

إن الأقارب والأرحام أولى بالصلة من غيرهم، وتتعدد مظاهر هذه الصلة بما يستطيعه المرء، وما يملكه من قدرات، فهي سبيل إلى توطيد العلاقات، ونشر المحبة بينهم، وهي طريق إلى الجنة. فإن الدعاء والنفقة، والزيارة والهدية، وبذل أصناف الخير لهم، والمواساة ودفع الشر عنهم، وإعانتهم في تفريج الكرب، كل ذلك من مظاهر الصلة التي أمر الإسلام بها، والداعية إلى الله تعد صلة الرحم من الأولويات في حياته، وهو أن يقوم بواجبه تجاه أسرته من الوالدين والزوجة والأبناء والإخوان وذوي القربى والعائلة والعشيرة والقبيلة، وألا يقع في كبيرة القطيعة وإثمها، قال الله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ)^(١) قال ابن كثير: (وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان

(١) سورة محمد: ٢٢ - ٢٣.

بذلك عن رسول الله ﷺ، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة (١) فإن صلة الرحم مما أمر الله به أن يوصل، وقد وصف الله تعالى القاطعين لما أمر به أن يوصل بالفسق والخسران والفساد. ومبدأ التزاهة والسلامة يعارض هذا الوصف، والداعية مأمور بالنهي عنه والدعوة إلى ضده، بل إن دواعي المحبة توجب على الداعية أن يبدأ الدعوة بقرابته، و من أعظم الواجبات أن يأخذ بهم إلى طريق الحق والهداية، وأن يستمر في دعوتهم وإن تولوا وأعرضوا، وحين البدء بالخير في دعوته يبتدئ بهم، قال الله تعالى في حق رسوله ﷺ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) (٥) عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (٦).

وأورد ابن جزى في تفسيره عن إنذار القرابة قولين قال: (قال الزمخشري: في معناه قولان: أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه، ولا يخافهم بالإنذار {واخفض جناحك} عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع) (٧) ويفهم من ذلك أن حسن التعامل مع غير الأقارب في الدعوة أمر شرعي وهو في حق القرابة كذلك بل هو أوجب من حيث البر بالوالدين وحسن العشرة للزوجة والرفقة بالأبناء والإحسان إلى الإخوان؛ فإن حسن علاقة الداعية الأسرية هي المفتاح إلى قلوب أهله وقرابته لما تحدثه فيهم من أثر المحبة المفضية إلى الألفة والاستجابة إلى الحق، وهذه الصلة أثر في حياة الداعية إلى الله من وجهين: الأول: سعة الرزق، والثاني: المباركة في العمر والعمل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » (٨). قال النووي في شرحه: ((يُنْسَأُ) مَهْمُوزٌ أَيْ يُؤَخَّرُ. وَ (الْأَثَرُ) الْأَجَلُ، لِأَنَّهُ تَابِعٌ لِلْحَيَاةِ فِي أَثَرِهَا. وَ (بَسَطَ الرِّزْقَ) تَوَسَّعَهُ وَكَثَّرَتْهُ، وَقِيلَ: الْبَرَكَةُ فِيهِ. وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فِي الْأَجَلِ فَفِيهِ سَوَالٌ

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٣١٨..

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤ - ٢١٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الوصايا-باب هل النساء والولد في الأقارب، حديث رقم: ٢٧٥٣ (٧/٤). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب في قوله تعالى(وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك)، حديث رقم: ٥٢٥ (١٢٣/١).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوه عوض، القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١٩٧

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم حديث رقم: ٥٩٨٦ (٥/٨) وانظر صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم: ٦٦٨٨ (٨/٨).

مَشْهُورٌ، وَهُوَ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ^(١) وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَجُوبَةٍ: الصَّحِيحُ مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِالْبِرَّةِ فِي عُمْرِهِ، وَالتَّوْفِيقَ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةَ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصِيَانَتَهَا عَنِ الضِّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ. وَالثَّانِي أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَظْهَرُ لِلْمَلَائِكَةِ وَفِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيُظْهَرُ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ أَنَّ عُمْرَهُ سِتُونَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ فَإِنْ وَصَلَهَا زِيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) ^(٢) فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا سَيَقَعُ بِهِ قَدْرُهُ وَلَا زِيَادَةَ بَلْ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا ظَهَرَ لِلْمَخْلُوقِينَ تُتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ، وَهُوَ مُرَادُ الْحَدِيثِ. وَالثَّالِثُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَاءِ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ. حِكَاةُ الْقَاضِي، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ بَاطِلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) ^(٣) وَمِنْهُ نَعْلَمُ أَنَّ محبة المرء لسعة الرزق و زيادة العمر والبركة فيهما من الدوافع الشرعية في صلة الرحم. وعلاقة الداعية الأسرية مناصرة بأداء الحقوق والواجبات الشرعية أولاً. وفي شؤون الدعوة إلى الله على الداعية أن يبذل الأسباب إلى نهاية الأمر، كما فعل النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، وأخذ يدعو أقاربه وأهله والناس كافة إلى أن توفاه الله ﷻ وكمل به الدين، ومن ضعف الفقه عند بعض الدعاة أن يبدأ الداعية الدعوة ذات اليمين وذات الشمال في بلده أو غيرها من البلاد، وبيته وأهله في ضياع وضلال، وهو قد شغل بدعوة الآخرين، وقد تجده في أكبر من ذلك، أنه مفرط في حقوقهم ومقصر في واجباته تجاههم. وهذا خطر على الدعوة والدعاة.

٢) العدل بين الأبناء:

تقوم علاقة الأب والابن على المحبة الفطرية، فإن الحب يبعث الرحمة في قلب الأب على ابنه ويفضله على غيره من الناس، ويبعث الحب التضحية في قلب الابن من أجل أبيه. وينطلق من هذه العلاقة مطلب العدل بين الأبناء، فإنه يطفئ نار الحسد والعداوة بينهم، ويقربهم من والدهم، وحكم ذلك كثيرة تصب في إشاعة المحبة والألفة بينهم على المستوى الأسري وينعكس ذلك على المجتمع، وفي قصة يوسف ﷺ مع إخوته آيات عظيمة، فقد وصفت في القرآن أنها من أحسن القصص؛ لما فيها من الدروس والعبر؛ فإن النظرة الناقدة من الابن لأبيه في غير الحق؛ تورث الجراة عليه وعلى غيره، ومن منطلق التقدير الخاطئ أخذ إخوة يوسف ﷺ يرقبون علاقة أبيهم مع يوسف ﷺ وأخيه، حتى سول لهم الشيطان أنه يحبه دونهم، وأنهم أحق بالحب منه؛ لقيامهم بشؤون أبيهم، وهكذا ظهرت الغيرة وسيطر الحسد على نفوسهم، وأخذهم

(١) سورة الأعراف : ٣٤ .

(٢) سورة الرعد : ٣٩ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢،

التفكير في الخلاص منه مأخذ الاتفاق، وهموا على فعلتهم ونفذوها، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلَّسَّائِلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٣﴾) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات، أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه، { إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا } أي: حلفوا فيما يظنون: والله ليوسف وأخوه -يعنون بنيامين، وكان شقيقه لأمه- { أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ } أي: جماعة، فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة؛ { إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } يعنون في تقديمهما علينا، ومحبة إياهما أكثر منا.... { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ } يقولون: هذا الذي يراحكم في محبة أبيكم لكم، أعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم، إما بأن تقتلوه، أو تلقوه في أرض من الأراضي، تستريحوا منه، وتختلوا أنتم بأبيكم، وتكونوا من بعد إعدامه قوما صالحين. فأضمرنا التوبة قبل الذنب) (٢) ومن حكمة الله العظيمة في قصة يوسف عليه السلام أن يظهر الله الحق للناس، ويبين لهم آياته لعلهم يتفكرون.

وموضوع العدل بين الأبناء تعد المحبة المتبادلة بين الآباء والأبناء، هي المحور والأس فيه والمركز، فيجب أن تعطى المحبة الظاهرة للجميع حتى لا تورث انحرافا في العلاقات بينهم. وإلا فإن القلب يميل إلى البعض دون بعض؛ نظرا لمؤثرات الأقوال والأفعال من الأبناء، ولرؤية الآباء وآمالهم في أبنائهم؛ بما يحقق الأمل. وكذلك من واجبات الآباء متابعة الانحراف عند أبنائهم؛ فإن غفلة الآباء عن الأبناء، يحدث خلا في التربية، ويسبب القطيعة والفشل في العلاقات الأسرية والاجتماعية. فمن الحكمة أن يلتفت الآباء لمصالح أبنائهم وعلاقتهم مع بعضهم، ومع غيرهم؛ ليستدرك الأمر في مهده ويبعد الزلل، ويصلحوا مواطن الخل. ويبقى عامل التفضيل بالحوافز والتشجيع عنصر هام في العلاقات الأسرية للتربية على الخير وبعث التنافس الشريف والمودة بين الأبناء، وبه يتم تفضيل الفاضل على المفضول، أما العطاء الجائر فقد فنى عنه الشرع، عن التَّعْمَانُ بْنُ بُشَيْرٍ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنَتِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي. فَأَخَذَ أَبِي يَدَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنَتِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا بُشَيْرُ أَلَيْكَ وَلَدٌ سَوَى هَذَا ». قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ « أَكُلْتُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ». قَالَ لَا. قَالَ: « فَلَا تُشْهَدْنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ » (٣) وقد أمر الشرع بالعدل في الكيل

(١) سورة يوسف: ٧ - ٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٣٧٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الشهادات-باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث رقم: ٢٦٥٠ (١٧١/٣). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الهبات-باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث رقم: ٤٢٦٩ (٦٦/٥).

والوزن والقول، ونبه إلى أن محبة القرابة قد تميل بصاحبها إلى غير العدل (أي: إلى الظلم) أو نقصان الحق. وأوجب على المسلم العدل فيما يستطيع، وعفا عما يخرج عن طاقة الإنسان من إدراك العدل فيه، قال الله تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمِثْلِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ^(١) قال صاحب أضواء البيان: (قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، أَمَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْعَدْلِ فِي الْقَوْلِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى ذِي قَرَابَةٍ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ وَالِدَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شَهِدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) ^(٢) ^(٣) ومن الدروس والمواقف العظيمة في تاريخ وسير السلف الصالح ما يوقف دعاة العصر في حيرة أمام قلوب أولئك الأخيار في أقوالهم وأفعالهم، ومن أقوالهم قول عمر رضي الله عنه: (فَأَثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حُبِّي) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ، «أَنَّهُ فَرَضَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَفَرَضَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِأَبِيهِ لَمْ فَضَّلْتَ أُسَامَةَ عَلَيَّ فَوَ اللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى مَشْهَدٍ. قَالَ لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْبِكَ وَكَانَ أُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْكَ فَأَثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حُبِّي» ^(٤). علاقة القرابة بين عمر وابنه عبد الله عظيمة، يبينها له في هذا الموقف فأعطاه حقه وأوفاه حبه، وبين له الواجب في حب رسول الله ﷺ ومن يحبه ﷺ. وهكذا تكون علاقة الداعية مع أبنائه، علاقة حب وحلم وأدب وعلم.

ثانيا: علاقات المجتمع الدعوي:

علاقات الداعية إلى الله تظهر في ميدان الدعوة ولا يمكن لها الحصر؛ فإن الأرض اليوم أصبحت كبيت أحدنا، تعلم ما يدور في جوانبه وتكلم من فيه فيسمع ويحجب، وتراه ويراك، حيث يعيش العالم اليوم تطورا سريعا وكبيرا في المواصلات ووسائل الاتصال وتقنية نقل المعلومات، وميدان الدعوة إلى الله ميدان شامل، ويمثله الأسرة والمجتمع والعالم أجمع. والدعاة إلى الله في عمل دؤوب عبر وسائل الدعوة المعنوية والمادية، يبلغون رسالة الله إلى العالم بأنفسهم وما يملكون من وسائل، ولكن يجب أن نعلم أن الداعية إلى الله ملزم بقواعد شرعية في التعامل مع هذا العالم في ميدان الدعوة منها:

- ١- التعاون على البر والتقوى مع سائر الدعاة إلى الله، الذين يدعون إلى الدعوة الشاملة والقائمة على التأصيل من تصحيح العقيدة بالدعوة إلى التوحيد الخالص ونشر الفقه في الدين، الأخلاق الفاضلة.
- ٢- الدعوة إلى الله على علم وبصيرة وبذل الجهد الكافي من أجلها بالأساليب والوسائل الشرعية.

(١) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ، ج ١، ص: ٥٤٧.

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨١٣ (٦٧٥/٥). ضعفه الألباني

٣- الدعوة إلى الله بحكمة وعدل وترفق وتدرج مقدما الأهم ثم المهم وإعطاء كل ذي حق حقه.

وهنا أعرض شواهد مما ورد بلفظ الحب في الكتاب والسنة، بخصوص علاقات الداعية في ميدان الدعوة وأثر المحبة في هذه العلاقات:

(١) علاقة الداعية مع العصاة من المسلمين :

علاقات الداعية إلى الله تتجدد أثناء قيامه بدوره الدعوي في ميدان الدعوة ، وتتأكد في مواقف عدة بصيغة عامة تظهر في بذل الجهد؛ من أجل تعزيز الثوابت العقدية و الفقهية لدى المسلمين وبيان الأحكام لهم، والذكرى الدائمة بحسن الخلق وحسن الأخذ من الدنيا، والاستعداد للآخرة. ومن الشخصيات التي يتعامل معها الداعية إلى الله أصحاب الذنوب والمعاصي وكل ابن آدم خطاء، فمن واجبات الداعية هنا سؤال الله العافية مما ابتلوا به، ودعوة المذنبين إلى التوبة والإنابة، وفتح باب الأمل، وأن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وأنه يغفر الذنوب جميعا، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ^(١) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ^(٢). ومن هذا يعلم أن كل مذنّب سوف يستمسك بحبل النجاة من ظلمات الذنوب كبيرها وصغيرها، ويدعو الله ويحمده على أن هداه إلى التوبة، ويجب الداعية الذي أرشده وأنقذه من المهلكات، وأعاناه على التوبة والهداية ويدعو له، فيجب أخذ المسلمين العاصين وغيرهم بأصل السلامة والبراءة ، ما لم يحدث ادعاء وخصومة، وذلك من حكمة الداعية ورؤيته ورويته المطلوبة شرعا وعقلا (حدث عَبْدُ الرَّحِيمِ بن الحُصَيْنِ العَدْرِي القَاضِي، قال: كنت عند فضالة ^(٣) بن عبيد الأنصاري، فأتاه رجل يسارق يحمل سرقة، فَقَالَ لَهُ فَضَالَةُ: لعلك وجدتها! لعلك التقطتها! فَقَالَ لَهُ الرجل: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (البقرة: ١٥٦) إنه ليلقنه، قال: إي والله أصلحك الله لوجدتها، فخلّى فضالة سبيله ^(٤). ومهما كان الذنب فإن المسلم ذو عقيدة عظيمة، هي عقيدة التوحيد، ودون الشرك تغفر كل الذنوب، إذا خلصت العقيدة في القلوب، عن عمر بن الخطاب ^(٥) أن رجلاً كان على عهد النبي ^(ص) كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً وكان يُضحك رسول الله ^(ص)، وكان النبي ^(ص) قد جلدّه في الشراب، فَأُتِيَ به يوماً فَأَمَرَ به فجلّد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما

(١) سورة النساء : ١١٠ - ١١١ .

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم بن جحجى ، القاضي، الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل بيعة الرضوان . ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب. وله عدة أحاديث. قال الواقدي: شهد فضالة أحداً، والخذق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خرج إلى الشام، فسكنها، وكان قاضياً بالشام . قال ابن معين: دفن فضالة بباب الصغير. وقال المدائني وغيره: مات سنة ثلاث وخمسين. وقال خليفة: توفي سنة تسع وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ١١٤) ..

(٣) أخبار القضاة ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّي البَغْدَادِيّ، الملقَّب بِـ"وَكَيْع" ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، مصر: المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١ ، ١٣٦٦هـ، ج ٣ ، ص : ٢٠١ .

يؤتى به ! فقال النبي ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ، فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(١). ومنه يتبين للداعية أن صلاح العقيدة ومحبة الله ورسوله ﷺ، حصان للمذنبين من الوقيدة فيهم، وعليهم من الحد ما أوجب الشرع، بل يجب إعتناهم على الاستقامة وفي رواية أخرى (لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك) قال ابن حجر يرحمه الله في الفتح: (قال ابن بطال: يؤخذ منه أن كل من أقيم عليه الحد لا يعزر بالتعنيف واللوم، وإنما يليق ذلك بمن صدر منه قبل أن يرفع إلى الإمام للتحذير والتخويف، فإذا رفع وأقيم عليه الحد كفاه، ويؤيد هذا فهمه ﷺ عن سبب الذي أقيم عليه حد الخمر، وقال: "لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك")^(٢) لا شك بأن أثر العقوبة على المذنب شديد، وهو حكم الله ونفذ أمر الله، وقد يكون أشد منه، ما يفعله الناس بملاحقة هذا المذنب بذنبه في المجتمع سواء في نفسه أو سمعته أو أسرته، حيث يستدعي ذلك بواعث الجريمة أو الخطأ، ويورث هذا نقمة على المجتمع أو الشرع أو العودة بقوة إلى نفس الخطأ أو غيره، عنادا من نفسه الأمانة بالسوء، وغواية من الشيطان، وهذا ينافي المحبة المأمور بها شرعا. ومن يتسبب في ذلك بملاحقته والوقيدة فيه فهو مخالف لأصل العلاقات بين المسلمين التي تقوم على المحبة، ومن علاماتها التعاون على صلاح الظاهر والباطن، ولكن هذه المحبة من جهة أخرى؛ توجب المحافظة على الحقوق من نفس و مال وعرض، بمنع الشفاعة في حدود الله، محبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، عن عائشة رضي الله عنها «أن قريشاً أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: «من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلهم رسول الله ﷺ، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وإني لأرجو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»^(٣).

أورد ابن حجر في الفتح عدة فوائد من هذا الحديث منها قوله: (وفي هذا الحديث من الفوائد منع الشفاعة في الحدود، وقد تقدمت في الترجمة الدلالة على تقييد المنع بما إذا انتهى ذلك إلى أولي الأمر، واختلف العلماء في ذلك، فقال أبو عمر بن عبد البر: لا أعلم خلافا أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته وذكر الخطابي وغيره عن مالك، أنه فرق بين من عرف بأذى الناس ومن لم يعرف، فقال لا يشفع للأول مطلقا سواء بلغ الإمام أم لا، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام. وتمسك بحديث الباب من أوجب إقامة الحد على القاذف إذا بلغ الإمام ولو عفا المقذوف، وهو قول الحنفية والثوري والأوزاعي وقال مالك والشافعي وأبو يوسف

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الحدود- باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج عن الملة، حديث رقم: ٦٧٨٠ (٨/١٥٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٢، ص: ١٦٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الحدود- باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم: ٦٧٨٨ (٨/١٦٠).

يجوز العفو مطلقاً، ويدراً بذلك الحد؛ لأن الإمام لو وجده بعد عفو المقذوف لجاز أن يقيم البيعة بصدق القاذف، فكانت تلك شبهة قوية. وفيه دخول النساء مع الرجال في حد السرقة. وفيه قبول توبة السارق. ومنقبة لأسامة. وفيه ما يدل على أن فاطمة رضي الله عنها^(١) عند أبيها ﷺ في أعظم المنازل. فأن في القصة إشارة إلى أنها الغاية في ذلك عنده، ذكره ابن هبيرة^(٢) وقد تقدمت مناسبة اختصاصها بالذكر دون غيرها من رجال أهلها، ولا يؤخذ منه أنها أفضل من عائشة لأن من جملة ما تقدم من المناسبة كون اسم صاحبة القصة وافق اسمها ولا تنتفي المساواة. وفيه ترك الحباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولداً أو قريباً أو كبير القدر، والتشديد في ذلك، والإنكار على من رخص فيه أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه. وفيه جواز ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزجر عن الفعل^(٣).

٢) علاقة الداعية مع المسلمين الجدد:

ومن علاقات الداعية في ميدان الدعوة علاقته بالمسلمين الجدد، وهم الذين دخلوا في الإسلام حديثاً بعد ترك أديانهم الجاهلية أو المخرفة كاليهودية والنصرانية، ومن أهم واجبات الداعية حيال هؤلاء فهم حقيقة المسلم الجديد، ومعرفة ما يدور في نفسه وإجابته بما يطمئن نفسه ويثبتته على الإسلام، ومنها أن الإسلام يهدم ما قبله، أي من الذنوب والآثام ويظهر المرء بدخوله في الإسلام، كما يلزم المسلمين مساعدته بكل أشكال المساعدة، ليصبح مسلماً نافعا، ومن أهم المهمات تجاهاه العمل على التأصيل العلمي لديه؛ ليفهم الإسلام فهماً صحيحاً، وتقديم العون المادي له بما يضمن له حياة مستقرة، مما يؤلف قلبه ويعيش على محبة لدينه وللمسلمين والإنسانية، فيدعو الناس وخاصة قومه إلى طريق الإسلام والهداية، ونستلهم من سير السلف الصالح درسا عظيماً في تكوين شخصية عمرو بن العاص الإسلامية بحكمة السراج المنير نبينا

(١) في الأصل عند ابن حجر في فتح الباري: عليها السلام . ومنهج أهل السنة والجماعة الترضي على الصحابة ذكورا وإناثا .

(٢) ابن هبيرة الوزير ، عون الدين، يمين الخلافة، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم، الشيباني الدورى العراقي الحنبلي، صاحب التصانيف. مولده بقرية بني أوقر من الدور، أحد أعمال العراق، في سنة تسع وتسعين وأربع مئة. ودخل بغداد في صباه، وطلب العلم، وجالس الفقهاء، وتفقه بأبي الحسين بن القاضي أبي يعلى والأدباء، وسمع الحديث، وتلا بالسبع، وشارك في علوم الإسلام، ومهر في اللغة، وكان يعرف المذهب والعربية والعروض، سلفياً أثرياً، ثم إنه أمضه الفقر، فتعرض للكتابة، وتقدم، وترقى، وصار مشارف الخزانة، ثم ولي ديوان الزمام للمقتفي لأمر الله، ثم وزر له في سنة ٥٤٤، واستمر ووزر من بعده لابنه المستنجد. وكان ديناً خيراً متعبداً عاقلاً وقوراً متواضعاً، جزل الرأي، باراً بالعلماء، مكبا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، كبير الشأن، حسنة الزمان. سمع أبا عثمان بن ملة، وهبة الله بن الحصين، وخلقاً بعدهما. وسمع الكثير في دولته، واستحضر المشايخ، وبجلهم، وبذل لهم الأموال، فكانت السنة تدور وعليه ديون، وقال: ما ويجذر من الظلم ولا يلبس الحرير، وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء، وبذل لهم الأموال، فكانت السنة تدور وعليه ديون، وقال: ما وجبت علي زكاة قط. ثم صار يسأل الله الشهادة، ويتعرض لأسبابها، وفي ليلة ثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمس مئة استيقظ وقت السحر، فقهاء، فحضر طبيبه ابن رشادة، فسقاه شيناً، فيقال: إنه سمه، فمات انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٦/٢٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ،

محمد ﷺ التي بدلت العداوة إلى محبة، وكونت شخصا يضرب به المثل في الفتح الإسلامي، عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ^(١) قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ؓ - وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ. فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ! أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بَوَاجْهَهُ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعَدُّهُ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثَ. لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي. وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَّ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ. فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ. وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ، فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشَبُّوا عَلَيَّ الشَّرَابَ شَنًّا. ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَرُ جُزُورٌ وَيُقَسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رَسُولَ رَبِّي^(٢). لَا يُمْكِنُ الْوَصْفُ لِلْمَحَبَةِ الَّتِي سَيَّطَرَتْ عَلَى كِيَانِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، مُحَبَّةٌ لِدِينِهِ وَمُحَبَّةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَا نَخْرُجُ عَنْ وَصْفِهِ قَالَ: (وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ) هكذا تكون نتائج علاقة الداعية بالمدعوين في ميدان الدعوة من الحب والتضحية والحياء والتقدير والاحترام.

إن المحبة تكون سببا في تكوين العلاقات الدعوية وتكون نتيجة، فتتسبب علاقات بسبب المحبة وتنتج المحبة من علاقات قامت على غيرها بادئ الأمر، وحينما يكون الحدث متوافقا مع حكمة الداعية وحسن أخلاقه، وبذلك البر في دعوته إلى الهدى الذي جاء به خير البرية؛ تكون نابتة المحبة في أصل علاقاته، ويجزن الداعية محبة وقد يبكي عندما يرى الموانع الشيطانية تحول دون وصول الخير للمدعوين ولأهله خاصة، ولكن عليه الاستمرار في الدعوة والدعاء، فقد بكى أبو هريرة رضي الله عنه حزنا حين أبت أمه الإسلام، وبكى فرحا بإسلامها حبا لها، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ. فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ

(١) عبد الرحمن بن شماسه البصري المهري، سمع عقبة بن عامر وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، سمع منه يزيد بن أبي حبيب. انظر التاريخ الكبير للبخاري (٢٩٥/٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، حديث رقم: ٣٣٦ (١/٧٨).

رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعْتُ أُمَّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَأَغْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دَرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحْتُ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَاتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمَ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا — يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ — وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلَا يَرَانِي، إِلَّا أَحَبَّنِي.^(١) ومنه نعلم أن المحبة مطلب فردي واجتماعي ندرك أهميته من طلب أبي هريرة لها، وهكذا الداعية يجب أن يجعلها من أهدافه ومطالبه في ميدان الدعوة فلا يحدث ما يحول بين محبته للناس أو محبة الناس له، ولو عارضوه ونابدوه، فليقدم المعروف والحسنة أمام منكراتهم وسيناتهم، انجابة لأمر الله تعالى: (أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ)^(٢).

٣) حماية الدعوة والحذر من الأعداء:

إن الدعوة إلى الحق في أي مجتمع لا بد أن تواجه بصد من أهل الباطل وقد يكون هذا الصد فردياً تحكمه الأهواء والمطامع الشخصية، أو يكون اجتماعياً تحكمه العصبية والعقائد الفاسدة وحب الجاه والتقاليد، وكان لزاماً على الداعية أن يعرف هذا، ويتعرف على من يصدر عنهم هذا الأمر؛ ليستطيع التعامل معهم بموجب ظروف الحال، بالصبر والحكمة والحذر، قال الله تعالى: (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (٤٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ^(٣) لقد واجه النبي ﷺ أعداء الدعوة الإسلامية من قومه وغيرهم من القبائل في مكة وواجه المشركين وأهل الكتاب في المدينة، وأُتِيَ الله به القلوب بالإيمان فآمن من آمن وكفر من كفر، ونصره الله نصرًا مؤزرًا بعد صبر وحكمة وحذر وإن أخطر ما كان يواجهه ﷺ العدو الداخلي - المنافقون - وهو أخطر ما تواجهه الدعوة عموماً، قال الله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ تُؤْفِكُونَ)^(٤) قال الإمام الطبري: (يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ لا خير عندهم ولا

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي هريرة ؓ، حديث رقم: ٦٥٥١. (١٦٥/٧)

(٢) سورة المؤمنون: ٩٦.

(٣) سورة النحل: ١٢٧ - ١٢٨.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول (١) وقد واجه النبي ﷺ ثلثة منهم في صدر الدعوة بالمدينة وتولى كبرهم عبد الله بن أبي بن سلول، عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ (٢) عَلَى قَطِيفَةٍ فَذَكِيَّة (٣)، وَأَرْدَفَ أَسَامَةَ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْأَوْثَانُ وَالْيَهُودُ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَةِ حَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهَ بِرِدَائِهِ قَالَ: لَا تَغْبِرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَشَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، فَارْكَبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ — يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي — قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَجَّهَ فَيُعَصَّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِّقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ» (٤). ففِي ذَهَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ وَحِكَايَتِهِ مَوْقِفَ ابْنِ سَلُولَ حَمَاةً لِلدَّعْوَةِ، حَيْثُ سَعَدَ ﷺ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَهَذَا الْمُنَافِقُ ابْنُ سَلُولَ مِنَ الْخَزْرَجِ. وَكَذَلِكَ نَتَأَمَّلُ مَوْقِفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَمَحَبَّتَهُ لِلدَّعْوَةِ وَحَمَايَتِهِ لَهَا حَيْثُ قَالَ: (بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ) فَمَنْ وَاجِبُ الْمُسْلِمِ الذَّبُّ عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ مَحَبَّةً لِلْحَقِّ، وَأَنْ يَسْعَى فِي تَكْوِينِ عِلَاقَاتِهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ لَوْحِدَةِ الصَّفِّ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ، وَأَصْنَافِ الْمَكْرِ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَتَعَدَّدُ وَأَهْدَافُهَا ضِدَّ الدَّاعِيَةِ وَاضِحَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ) (٥) وَمَعَ هَذَا الْمَكْرِ، فَإِنْ إِرَادَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ، وَأَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا، فَإِنْ الدَّاعِيَةُ يَتَعَرَّضُ لِلْبَلَاءِ وَبِهِ الرِّفْعَةُ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْمَحْنِ وَعَلَيْهِ الصَّبْرُ، وَبِهِ وَمَعَهُ يَكُونُ الظَّفَرُ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْكَيْدِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَخْذُ أَسْبَابِ الْحَذَرِ فِي السَّلَامِ، وَفِي الْحَرْبِ أَشَدُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٣، ص: ٣٩٥.

(٢) (أكف) الإكاف و الأكَاف من المراكب شبه الرِّحَالِ والأَقْتَابِ. أَكَافُ الْحِمَارِ وَإِكَافُهُ وَوُكَافُهُ وَالْجَمْعُ أَكُفٌّ انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/٩).

(٣) قوله: (على قطيفة فذكية) أي كساء غليظ منسوب إلى (فذك) بفتح الفاء والذال وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة. انظر فتح الباري لابن حجر (٢٣١/٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}، حديث رقم: ٤٥٦٦ (٣٩/٦).

(٥) سورة الأنفال: ٣٠.

كتابه الكريم: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَعِرُوا جَمِيعًا)^(١) وقد تعرض النبي ﷺ لأنواع كثيرة من الأذى، ومحاولات القتل ونجاءه الله من أكثرها، وجعل له فضل الشهادة وشرفها في إحدى هذه المحاولات، عن أبي الأحوص^(٢)، عن عبد الله، قال: « لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ، قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة، أنه لم يقتل، وذلك بأن الله جعله نبياً واتخذهُ شهيداً ». قال الأعمش^(٣): فذكر ذلك لإبراهيم، فقال: كانوا يرون أن اليهود سموه وأبا بكر^(٤). وهكذا ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد: (وَلَمَّا احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ احْتَجَمَ فِي الْكَاهِلِ وَهُوَ أَقْرَبُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْحِجَامَةُ إِلَى الْقَلْبِ، فَخَرَجَتْ الْمَادَّةُ السَّمِيَّةُ مَعَ الدَّمِ لَا خُرُوجًا كُلِّيًّا، بَلْ بَقِيَ أَثَرُهَا مَعَ ضَعْفِهِ لَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْفَضْلِ كُلِّهَا، لَهُ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِكْرَامَهُ بِالشَّهَادَةِ ظَهَرَ تَأْثِيرُ ذَلِكَ الْأَثَرِ الْكَامِنِ مِنَ السَّمِّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَظَهَرَ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)^(٥) فَجَاءَ بِلَفْظٍ كَذَبْتُمْ بِالْمَاضِي الَّذِي قَدْ وَقَعَ مِنْهُ، وَتَحَقَّقَ وَجَاءَ بِلَفْظٍ " تَقْتُلُونَ " بِالْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَتَوَقَّعُونَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(٦) فإن من أبرز علاقات الداعية في ميدان الدعوة الحذر من الأعداء، وتكوين علاقات الوحدة والأخوة بين الدعاة خاصة والمسلمين عامة.

٤) اتخاذ الإخوان المخلصين والأخلاء المتقين:

قال الله تعالى: (الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)^(٧) يَنْعَبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٧) إن الأخوة في الله، والخلقة القائمة على التعاون على البر والتقوى وصلاح الحال، أصل في علاقات المسلم بالمسلم، وهي أولى في حق الدعاة إلى الله أثناء تكوين علاقاتهم مع المدعوين، أو مع بعضهم البعض، حيث الأخوة تمثل الوحدة والوحدة تمثل القوة، عن أبي سعيد الخدري قال: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ

(١) سورة النساء: ٧١.

(٢) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٣) سليمان بن مهران أبو محمد الأعمش الكاهلي مولاهم الكوفي، أخرج له البخاري في الإيمان وغير موضع عن شعبة والثوري وابن عيينة وأبي عوانة وأبي معاوية وحفص بن غياث ووکیع وجريير ومحمد بن كثير وغيرهم، ولد سنة إحدى وستين، قال العتيبي: ولد يوم قتل الحسين رضي الله عنه قال البخاري وقال أبو نعيم مات سنة ثمان وأربعين ومائة وهو أحد الأئمة في الحديث الحفاظ الأئمة. انظر: التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (٣/١١٦).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديث رقم: ٣٨٧٣ (٦/٤١٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) سورة البقرة: ٨٧.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ٤، ص: ١٢٣.

(٧) سورة الزخرف: ٦٧ - ٦٨.

اللَّهُ سبحانه خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمْنَا. قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّةُ. لَا يَسْبِقُنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

ومن فوائد هذا الحديث، أن الداعية يجب عليه أن يتخذ من المؤمنين أصحابا، يرافقونه على درب الدعوة ويشاركونه خيرها، وأعز مثال لذلك صحبة أبي بكر الصديق للنبي ﷺ ونصرته للإسلام من أول أيامه وحتى مماته، حتى أصبح على علم وفهم؛ لإرادات صاحبه الظاهرة ومقالاته، أورد ابن بطال في شرحه: (قال المهلب: فيه التعريض بالعلم للناس، وإن قل فهماءه، خشية أن يدخل عليهم مساءة أو حزن. وفيه: أنه لا يستحق أحد العلم حقيقة إلا من فهم، والحافظ لا يبلغ درجة الفهم، وإنما يقال للحافظ عالم بالنص لا بالمعنى والتأويل؛ ألا ترى أن أبا سعيد جعل لأبي بكر مزية بفهمه، أوجب له بها العلم حقيقة وإن كان قد أوجب العلم للجماعة)^(٢) وهذه الأخوة والمودة هي أصل صلة الداعية مع المسلمين عامة، ومع المقربين منه خاصة، فيجب عليه أن يبرزها ويبين مشاعره لهم، ويوضح الأسباب التي بنيت عليها هذه المودة، وذلك مما يوثق الصلات بين الدعاة والأصفياء من المدعوين والأصحاب، وذلك مما يعزز الدعوة وينصرها ويقوي شأنها، بل يتعدى الأمر إلى أن تكون المحبة شعار الدعاة وأصحابهم في الدنيا والآخرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا ؟ قالوا يوم الاثنين، قال: فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِي فَلَا تَنْتَظِرُوا بِي الْغَدَ فَإِنْ أَحَبُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي إِلَيَّ أَقْرَبُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »^(٣). وهذا مبلغ الغاية في الحب أن يحس بشوق اللقاء وينتظر عود العلاقة إلى أصلها بعد الفراق، والسرعة في الاجتماع مع الأحبة، وفيه إثبات عقيدة المسلم القائمة على الإيمان بالبعث والنشور، واجتماع المؤمنين في الجنة ورؤية بعضهم بعضا في سرور وحبور.

٥) الحذر والتحذير من الفتنة والفرقة:

إن المجتمع المسلم، الأصل فيه الوحدة والإتلاف، فمن أجل ذلك أدخل تعددية الأديان والمذاهب ضمن نظامه وتشريعاته، من بوابة العدل والتوازن والشمول، وصولا إلى دائرة الانسجام الاجتماعي الموحد تحت

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب الخوخة والممر في المسجد، حديث رقم: ٤٦٦ (١/١٠٠).

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص: ١١٤..

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٥ (١/٢١٨). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند:

إسناده ضعيف .

مظلة الحكم بما أنزل الله، أما الفتن فهي أحداث عارضة، تشق الصف الواحد، وتمزق أواصر العلاقات في المجتمع، وعلى الداعية أن ينظر بعين البصيرة في اتقاء الفتن والحذر والتحذير منها. قال الله تعالى: (وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(١) قال ابن كثير يرحمه الله في تفسيره: (يحذر تعالى عباده المؤمنين {فِتْنَةً} أي: اختباراً ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع)^(٢) والوقاية من الفتن إحدى مهمات الداعية، وفي تاريخ الإسلام دروس كثيرة في محاربة الفتن، ومن أشهرها فتنة الخوارج حيث نبتت من معارضة ذي الخويصرة^(٣) لقسمة النبي ﷺ بقوله (اعدل) ومن مهيج الفتن في العهد النبوي (عبد الله بن أبي سلول) ونبتت على المجتمع المسلم من أرض النفاق الصلدة، ومن زارع الفتنة المنافق عبد الله بن سبأ الذي أظهرها من حب رجال على رجال، والتدخل في ولايات الحاكم الشرعي من غير شورى منه، فأدت إلى مقتل خليفة المسلمين عثمان رضي الله عنه وانشقاق صف المسلمين، ونشوب الحرب بينهم، كموقعي صفين والجمل في عهد خليفة المسلمين علي رضي الله عنه، والواجب وأد الفتن في مهدها والانتباه إلى خطرهما، وهذا هو طريق الهدى الذي عليه سلف الأمة الصالح، عن عمرو^(٤) بن أبي قرة، قال: «كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى حُذَيْفَةَ فَيَقُولُونَ لَهُ: قَدْ ذَكَّرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ، فَأَتَى حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبَقْلَةٍ فَقَالَ، سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَرْضَى فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَمَا تَنْتَهِي حَتَّى تُورِثَ رَجُلًا حُبَّ رَجَالٍ، وَرَجُلًا بُغْضَ رَجَالٍ وَحَتَّى تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً أَوْ لَعْنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضِبُ كَمَا يَغْضِبُونَ وَإِنَّمَا بَعْثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). وَاللَّهِ لَتَنْتَهِينَ أَوْ لَا كُتِبَ إِلَى عُمَرَ (فَتَحَمَّلَ عَلَيْهِ بَرَجَالٍ فَكَفَّرَ يَمِينَهُ وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَى عُمَرَ وَكَفَرَ قَبْلَ الْحَنْثِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَبْلَ وَبَعْدَ كُلِّهِ جَائِزٌ)»^(٥). قال

(١) سورة الأنفال: ٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٤، ص: ٣٧.

(٣) اسمه: عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، وقيل: حرقوص بن زهير أصل الخوارج. انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٩٢).

(٤) عمرو بن أبي قرة الكندي، كوفي تابعي ثقة. انظر: معرفة الثقات للعجلي (١٨١/١) عمرو بن أبي قرة، واسمه سلمة بن معاوية بن وهب بن قيس بن وهب بن حجر الكندي. روى عن: حذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وعمر بن الخطاب. روى عنه: عمر بن قيس الماصر، وأبو إسحاق الشيباني. قال أبو حاتم: ليس به بأس، كان أبوه من أصحاب سلمان. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". روى له البخاري في "الأدب" وأبو داود حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٩١/٢٢).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في النهي عن سب أصحاب رسول ﷺ، حديث رقم: ٤٦٦١ (٤/ ٣٤٧) صححه الألباني.

أبو الطيب الأبادي: (حَتَّى تُورِثَ رَجَالًا حُبَّ رَجَالٍ وَرَجَالًا بُغْضَ رَجَالٍ) الْمَعْنَى: حَتَّى تُدْخَلَ فِي قُلُوبِ بَعْضِ الرِّجَالِ مَحَبَّةُ بَعْضِ الرِّجَالِ، وَفِي قُلُوبِ بَعْضِهِمْ بُغْضُ بَعْضِهِمْ ^(١) وميدان الدعوة اليوم تموج به رياح الحزبية المفرقة للوحدة والانتماءات العصبية الممزقة للأخوة والمركزية الفكرية في نطاق محدود مغلق أو نطاق واسع مغلق، وهذه الحال ما هي إلا نتيجة حتمية لحال المسلمين بما أصابهم من ضعف وفرقة على الصعيد العقدي والفكري والسياسي والاقتصادي، ويجب على الدعاة في هذه الحال بذل الجهود في الإبقاء على الأصول الشرعية بتصفية العقيدة من شوائب البدع والخرافات وتصحيح المناهج المنحرفة بالنصيحة والحكمة، ومساندة بعضهم البعض بالتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، وتهذيب واقع الدعوة بالرجوع إلى الكتاب والسنة سواء كان على مستوى الأفراد أو المؤسسات امتثالاً لأمر الله، قال الله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَاحَتُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ^(٢) فَإِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ هي الأصل في حياة المسلم ونجاته، وبها تسد أبواب الفتن والفرقة، وبها وجب على الدعاة التواصي بالحق في علاقاتهم بعضهم مع بعض، سواء كانوا في قطر واحد أو بلاد متعددة، قال البغوي في تفسيره لسورة العصر: ({وَتَوَاصَوْا} أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، {بِالْحَقِّ} بِالْقُرْآنِ، قَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةُ، وَقَالَ مِقَاتِلٌ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِقَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ) ^(٣) وكلما كان التعاون بين الدعاة قائماً على الإخلاص والمحبة، وبرفق وحكمة، وامتنعت عنه حظوظ النفس والهوى والعصبية؛ كان تأثيره في جمع الكلمة والرجوع إلى الحق قوياً وسديداً وموفقاً وصائباً.

ثالثاً: علاقات المجتمع العام:

١) الزيارة وإجابة الدعوة:

إن الداعية إلى الله مثال يحتذى به في الأخلاق وحسن الطباع، وهو قدوة في المشاركة الاجتماعية من زيارة إخوانه المسلمين، وجيرانه والنصح لهم وإجابة دعوتهم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » ^(٤) وهذا الأمر - الزيارة وإجابة الدعوة - جزء من دعوته ونصيب من خلقه، وسنة من سنن المصطفى ﷺ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: « إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ، ج ٩ ، ص : ١٨٧٨ .

(٢) سورة الأنفال: ٤٦ .

(٣) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٨، ص: ٥٢٢ .

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم : ٥٧٧٨ (٣/٧) .

ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً ومرفاً فيه دُبَاءٌ وقديدٌ، فرأيتُ النبي ﷺ يتتبعُ الدُّبَاءَ من حَوَالِي القَصْعَةِ^(١). قال: فلم أزلُ أَحِبُّ الدُّبَاءَ^(٢) من يومئذٍ^(٣). ومن هذا الحديث ندرك تواضع النبي ﷺ في إجابته للدعوة من الخياط، وهو من عامة الناس وليس من وجهائهم، وأكل من طعامه، بل تبينت محبته ﷺ للدُّبَاءِ، ونقل أنس رضي الله عنه محبته إياها اتباعاً للنبي ﷺ، وهكذا تكون صورة الداعية في المجتمع، ينظر إليه حتى في أكله وطريقة شربه، فيجب عليه أن يدرك ذلك كي ينقل الحق الذي جاء به الشرع في كل شيء. وعليه أن يكون متواضعاً فيما يقدم له من طعام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ، أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ، أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ)^(٤). ومما يتطلبه دور الداعية الاجتماعي إجابة الدعوات، وتلبية الحاجات؛ وفعل الخيرات، ومع تعدد حاجات الناس ومطالبهم بين الدنيا والدين من واجب الداعية بذل الجهد في تقديم المستطاع لهم، ويمثل ذلك دور إيجاب يحقق به الداعية المصالح الشرعية في المجتمع، عن عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ، سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ. وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًى. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ عَثْبَانُ: فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟ قَالَ: فَأَشْرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مَنْ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقَمْنَا فَصَفَفْنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ^(٥) صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ فَنَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ - أَوْ ابْنُ الدُّخَيْشِنِ - ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ

(١) (قصع) القاف والصاد والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تطاؤنٍ في شيء أو مطامنةٍ له. من ذلك القَصْعَةُ، وهي معروفة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٢/٥).

(٢) قوله : (كان يحب الدُّبَاءَ ومرفاً فيه دُبَاءٌ) بضم الدال وتشديد الباء ممدود ويقصر أيضاً وهو القرع الذي يوكل بتسكين الرء وهو جمع واحدة دبءة ومن قصر قال في الواحدة دباه، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢٥٢/١).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب ذكر الخياط، حديث رقم: ٥٤٣٦ (٧٨/٧). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضاً، حديث رقم: ٥٤٤٦ (١٢١/٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب القليل من الهبة، حديث رقم: ٢٥٦٩ (١٥٤/٣).

(٥) (خزر) الخاء والزاء والراء أصلان. أحدهما جنسٌ من الطَّيِّخِ، والآخر ضيقٌ في الشيء. فالأول الخَزِيرُ، وهو دقيقٌ يُلْبَكُ بِشَحْمٍ. وكانت العربُ تعيِّرُ آكلَهُ. والثاني الخَزَرُ، وهو ضيقُ العينِ وصغرُها. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٠/٢). وقيل الخَزِيرَةُ مَرْقَةٌ وهي أَنْ تُصَفَّى بِلَالَةٍ التُّخَالَةِ ثُمَّ تُطْبَخُ، وقيل الخَزِيرَةُ والخَزِيرُ الحَسَا من الدسم والدقيق، وقيل الحَسَا من الدَّسَمِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٣٦/٤).

إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ سَأَلْتُ الْحُصَيْنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ - وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ وَهُوَ مِنْ سَرَائِهِمْ - عَنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَصَدَّقَهُ بِذَلِكَ^(١).

ونستلهم من هذا الحديث الدروس الدعوية العظيمة في مشاركة الداعية الناس وإجابة دعوتهم ومن أجل هذه الدروس ما ذكره ابن حجر في الفتح، قال: (وفيه إكرام العلماء إذا دعوا إلى شيء بالطعام وشبهه، وفيه التنبيه على أهل الفسق والنفاق عند السلطان، وفيه أن السلطان يجب عليه أن يستثبت في أمر من يذكر عنده بفسق ويوجه له أجمل الوجوه، وفيه أن الجماعة إذا اجتمعوا للصلاة وغاب أحد منهم أن يسألوا عنه، فإن كان له عذر وإلا ظن به الشر وهو مفسر في قوله لقد هممت أن آمر بحطب، وفيه جواز استدعاء المفضول للمفاضل لمصلحة الغرض، وفيه إمامة الزائر المزور برضاه، وفيه أن السنة في نوافل النهار ركعتان وفيه خلاف على ما سنذكره إن شاء الله تعالى^(٢)، وفيه جواز استتباع الإمام والعالم أصحابه، وفيه الاستئذان على الرجل في منزله وإن كان قد تقدم منه استدعاء، وفيه أنه يستحب لأهل المحلة إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضرُوا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه، وفيه الذب عن ذكر بسوء وهو بريء منه، وفيه أنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد^(٣) ولا يقتصر دور الداعية على زيارة المسلمين، بل حتى أعداء الدعوة ومن ضل عن الحق، يجب على الداعية أن يكون سمحا في علاقاته، داعيا لهم إلى الحق بأخلاقه، مذكرا لهم في زيارته، بأن النجاة تتحقق باتباع الصراط المستقيم، ولا تقوم على التحيز، محبة لفئات أجناس دون أخرى، وخاصة من تبين ضلاله وهلاكه، لعل الذكرى تنقذه من سوء الخاتمة، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ. قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودٍ. قَالَ فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زَرَّارَةَ فَمَهْ^(٤). فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي قَدْ مَاتَ، فَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفِنَهُ فِيهِ، فَتَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٥).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب المساجد في البيوت، حديث رقم: ٤٢٥ (٩٢/١).

(٢) كلام المؤلف يرحمه الله.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٤٤٧.

(٤) وقوله: (فَمَهْ) استفهام كأنه قال: فما يكون. والعرب تبدل الهاء بالألف؛ لقرب مخرجها كقولهم: ومهما يكن عند امرئ من خليقة والأصل ما يكون عند امرئ، فأبدل الهاء من الألف. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٨٥/٧). و (مه) الميم والهاء، كلمتان تدلُّ إحداهما على زجر، والأخرى على منظر ولذة. فالأولى قولهم: مه. ومهمه به: زجره بقوله له ذلك. والمهمه: الحرق الأملس الواسع. والأخرى قولهم: ليس له مهة، إذا لم يكن جميلاً. ويقولون: "كل شيء مهة ومهاة إلا النساء وذكرهن". والمهاة: اللذة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٧/٥).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب في العيادة، حديث رقم: ٣٠٩٦ (١٥١/٣). قال الألباني: ضعيف الإسناد، لكن قصة القميص صحيحة.

وكما أن إجابة الدعوة إشاعة للمحبة وتأكيد للألفة في المجتمع المسلم؛ فإنه كذلك الزيارة في المنزل من المسلم للمسلم، وطلب الجار لجاره محبة وتفقد لأحواله، تزيد المحبة عمقا وتزيد المجتمع قوة، وبما يصلح دين المرء ودينه، عن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، قال: «جاء النبي إلى سعد فقال: السلام عليكم، فرد سعد وخافت، فلما رأى النبي أنه لا يؤذن له انصرف فخرج سعد في أثره فقال: يا رسول الله ما منعي أن أسمعك إلا أني أحببت أن أستكثر من تسليمك، فرجع معه فوضع له ماءً في جفنة فاغتسل ثم أمر بملحفة مصبوغة بورس فالتحف بها كأني أنظر إلى الورس في عُكَّة جنبه، فقال: اللهم صلّ على الأنصار، وعلى ذرية الأنصار»^(١). فمن فوائد الزيارة بين المسلمين المحبة بينهم والأجر العظيم، عن عبادة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (حققت محبتي على المتزاورين في... الحديث)^(٢). فمن فاز بمحبة الله فقد فاز فوزا عظيما، فمن أخلاق المسلم أن يلتزم بآداب الشرع في الزيارة ومن أهمها إلقاء السلام والاستئذان، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٢٨ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)^(٣) قرأ ابن عباس: حتى تستأذنوا. قال البغوي في تفسيره: (والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأُنس، وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنه مني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنت ناراً، أي: أبصرت. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية: أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان. واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أأدخل سلام)^(٤) ومن الآداب المقررة في الشرع الاستئذان، واختيار وقت الزيارة المناسب والإعلام بما؛ ليصلح المزور من حاله، وبيته بما يلائم، ويستتر العورة. فإن لم تسنح الفرصة لذلك وكانت الزيارة لغرض ما، وجب ما يستتر العورة من الاستئذان وغض البصر، فإن سمح بالدخول وإلا رجع حيث مقصد الشرع أن جعل الاستئذان من أجل النظر، وجعل من أجل الظرف المناسب وقتا وحالا، ومدى الاستقبال فيه.

(١) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - كيف السلام، حديث رقم: ١٠٠٨٣ (٩/١٢٩).

(٢) سبق تخرجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٣) سورة النور: ٢٧ - ٢٨.

(٤) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ.

ج ٦، ص: ٢٩.

٢) الشفاعة ومساعدة الغارمين:

الشفاعة الحسنة من محاسن الشريعة، تتحقق بها بعض مصالح العباد الدينية والدنيوية فيما بينهم، وهي رابطة عرفية أقرها الإسلام في علاقات المسلمين، وجعل لها ضابطاً منظماً، قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا هُوَ يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا هُوَ يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) أي: من سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك {وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيتته^(١) ول مقام الداعية إلى الله بين الناس في الدعوة إلى الخير ول حصول محبة الناس له، وحسن الظن به، جعل ذلك منه مقصداً في الشفاعة بين الناس بعضهم من بعض، وعلاقات الداعية هذه تفرض عليه هذا الدور، وعليه أن يفقه قسماً الشفاعة - الحسنة والسيئة - حتى لا يدخل إلى الظلم من بوابة الشفاعة وتضم الحقوق على يديه بدل أن تقضى، فإن في الشفاعة الحسنة الأجر والثوبة، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا آتَاهُ طَالِبٌ حَاجَةً، أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا. وَلَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»^(٢). فالشفاعة لا تناقض محبة الله في طاعة أمره واجتناب نهيهِ فإن حكم الله نافذ ورحمته واسعة، قال ابن حجر في الفتح: (وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربته، ومعونة ضعيف إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس، ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يحتجب، قال عياض: ولا يستثنى من الوجوه التي تستحب الشفاعة فيها إلا الحدود، وإلا فما لأحد فيه تجوز الشفاعة فيه ولا سيما ممن وقعت منه المفوة أو كان من أهل الستر والعفاف، قال: وأما المصرون على فسادهم المشتهرون في باطلهم، فلا يشفع فيهم ليزجروا عن ذلك)^(٣) ومن أكثر ما يكون بين الناس في الشفاعة الدماء والعلاقات الأسرية والحقوق المالية، ومن باب الدعوة إلى إصلاح ذات البين، على الداعية أن يشارك بالشفاعة الموصلة إلى العدل والإصلاح والتيسير، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^(٤)، وقد كان النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسعى مع أصحابه في حوائجهم، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: «أن أباه استشهد

(١) سورة النساء: ٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٦٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة-باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم: ٦٠٢٦ (١٢/٨).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ١٠، ص: ٤٥١.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٠.

يوم أحد، وترك ستّ بنات، وترك عليه ديناً، فلما حضر جداد^(١) النخل، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد، وترك عليه ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء قال: اذهب فيبدر^(٢) كل تمر على ناحية. ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرّات، ثم جلس عليه، ثم قال: ادع أصحابك. فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواني تمرة، فسلم والله البيادر كلها، حتى أبي أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة». والواقع الاقتصادي المعاصر للمجتمعات المسلمة، يحتم على الدعاة أن يبذلوا الجهد في مساعدة الفقراء وإغاثة المنكوبين، والبدء بأهل الحاجة من بلدانهم، ومساعدة الغارمين في قضاء ديونهم، وتبصير الناس بخطر الربا، وغرر القروض الكبيرة المؤجلة، والمساهمات المالية الجهولة، والمغامرات التجارية غير المدروسة وغيرها.

٣) لين الجانب وسهولة المأخذ:

إن الداعية إلى الله في خلطته الاجتماعية يواجه أصنافاً من الناس، مختلفة الأفهام، متنوعة في المقام، يسدر منهم القول والفعل باختلاف أعمارهم وعقولهم، مما يجدر بالداعية أن يلتزم المنهج الصحيح في التعامل مع الجميع، بصفات عامة وجه إليها القرآن الكريم في آياته، من أعظمها التواضع في المشي واللقاء وكذلك حكمة الخطاب بالقول الحسن والتجاوز عن الجاهل، قال الله تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)^(٣) قال ابن الجوزي في تفسيره: (ومعنى {هَوْنًا}: مشياً رويداً. ومنه يقال: أَحَبُّ حبيبك هَوْنًا ما. وقال مجاهد: يمشون بالوقار والسكينة. {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} أي: سداداً. وقال الحسن: لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حلموا. وقال مقاتل بن حيان^(٤): {قالوا

(١) (جد) الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول العظمة، والثانية الخط، والثالث القطع. والجداد والجداد، وهو صرام النخل. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠٦/١).

(٢) (بدر) الباء والدار والراء، أصلان: أحدهما كمال الشيء وامتلاؤه، والآخر الإسراع إلى الشيء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٨/١). والبيدر والبيادر بفتح الباء، ذكرت في الحديث هي للتمر كالأنادر للطعام، يجمع فيها إذا جدو يسمى الجرير أيضاً والجوخان، وقوله بيدر كل تمر على حدته أي أجعل لكل صنف بيدراً ولا تخلط به غيره. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (١٠٦/١).

(٣) سورة الفرقان: ٦٣.

(٤) مقاتل بن حيان، كنية أبو بسطام النبطي، كان يقال حيان نبطي وهو لقب لأنه جاء من العراق مولى لبكر بن وائل بن ربيعة، ويُقال: مولى لبني تيم الله، وكان بليخ سمع مسلم بن هيصم، روى عنه علقمة بن مرثد. وهرب مقاتل بن حيان، مولى مسقلة بن هيرة الشيباني، استجاروا بروتيل، فكَرِه مقاتل المقام في أرض الشرك، فخرج، فلما سار ليلتين مات. انظر: التاريخ الأوسط للبخاري (٣٠٣/٣) و(٣٣٦/٣) روى عن سالم بن عبد الله ومجاهد والضحاك والحسن وشهر بن حوشب وعكرمة وقتادة وابن بريدة وعمته عمرة، وعن منصور بن يحيى بن معين أنه قال: مقاتل بن حيان ثقة. انظر: الجرح والتعديل لابن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (٣٥٣/٨).

سلاماً أي: قولاً يَسْلَمُونَ فيه من الإثم^(١)، ومن رسم السنة في تواضع النبي ﷺ كراهته للقيام له، عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن شخصاً أحب إليهم من رسول الله، قال: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لَذَلِكَ»^(٢). أورد المباركفوري في تحفة الأحوذى: (نقل العيني في شرح البخاري عن أبي الوليد بن رشد^(٣): أن القيام على أربعة أوجه: الأول محذور وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعظما على القائمين إليه، والثاني: مكروه وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعظم على القائمين ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر ولما فيه من التشبه بالجبابرة، والثالث: جائز وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة، والرابع: مندوب وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنته بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها انتهى. وقال الغزالي القيام على سبيل الإعظام مكروه وعلى سبيل البر والإكرام لا يكره. قال الحافظ في الفتح: هذا تفصيل حسن^(٤) وروى أبو داود في سننه، خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ، وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمَثَلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٥). فَإِنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَى اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِنِ الْجَانِبِ، سَمَحَ اللِّقَاءِ، يَأْخُذُ النَّاسَ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَحَسَنِ الصَّنِيعِ ، وَلَا يَجْعَلُ الْمَكَانَةَ وَالْمَنْصِبَ وَالْمَالُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ

(١) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٦، ص: ١٠١.

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث رقم : ٢٧٥٤ (٩٠/٥). وانظر : مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم : ١٢٣٤٥ (٣٥٠/١٩). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد . مولده قبل موت جده بشهر سنة عشرين وخمس مئة.، من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، يكنى أبا الوليد روى عن أبيه أبي القاسم استظهر عليه الموطأ حفظاً، وأخذ الفقه عن أبي القاسم بن بشكوال وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر بن سمحون وأبي جعفر بن عبد العزيز وأبي عبد الله المازري، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن جزيول البلنسي، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، ودرس الفقه الأصول وعلم الكلام، ولم ينشأ بالأندلس مثله : كمالاً وعلماً وفضلاً. وكان على شرفه ، أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً، وعني بالعلم من صغره إلى كبره ومال إلى علوم الأوائل وكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وله تآليف جليلة الفائدة منها كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه، ذكر فيه أسباب الخلاف وعلل ووجه فأفاد وأمتع به، ولا يعلم في وقته أنفع منه ولا أحسن سياقاً. وكتاب (الكليات) في الطب و(مختصر المستصفى) في الأصول، وغير ذلك، تنيف على ستين تأليفاً. وهدت سيرته في القضاء بقرطبة، وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ولم يصرفها في ترفيه حال ولا جمع مال إنما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة، ومنافع أهل الأندلس عامه، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠٧/٢١) وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة توفي الفقيه القاضي الحافظ الحفيد أبو الوليد بن رشد صاحب البداية والنهاية وغيرهما ودفن بمراكش ثم نقل إلى مقبرة سلفه بقرطبة. انظر : الوفيات لأبي العباس الخطيب (٥٩٦/١).

(٤) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفه، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣ م، ج ٢، ص: ٢٠٨٢.

(٥) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب قيام الرجل للرجل، حديث رقم : ٥٢٣١ (٥٢٧/٤). وانظر : مسند الإمام أحمد -مسند الشاميين - حديث معاوية رضي الله عنه ، حديث رقم : ١٦٨٣٠ (٣٩/٢٨). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

الناس. فإن الرفق والأخذ السهل والحلم، قواسم في شخصية الداعية يتصف بها بلين الجانب، حيث هو من صفات المصطفى ﷺ، قال الله تعالى: (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)^(١) قال القرطبي في تفسيره: (أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم. وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفا لتقريب الإنسان أتباعه. ويقال: فلان خافض الجناح، أي وقور ساكن. والجناحان من ابن آدم جانباه، ومنه " واضمم يدك إلى جناحك " وجناح الطائر يده. وقال الشاعر:

وحسبك فتية لزعيم قوم ***
يمد على أخي سقم جناحا (أي تواضعا ولينا)^(٢)

٤) إظهار مشاعر الرحمة والشفقة:

إن قلب الداعية إلى الله، قلب مفعم بالرحمة والمحبة، وفي علاقاته مع المجتمع حوله، يجب أن يكون هذا خلقه، وعليه أن يتصف بالرحمة والمحبة، ويتطبع بهذا الخلق، إن لم يتخلق به، وزاده في ذلك أخلاق المصطفى ﷺ وآيات القرآن الكريم وما فيه من قصص كثيرة في هذا الباب، قال الله تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)^(٣) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرُوسَى فَرِحًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)^(٤) وهنا ندرك أن الإيمان من دلائله الصبر والثبات، وأن القلب إذا أحب قد يفرغ من الدنيا عدا محبوه، قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى، حين ذهب ولدها في البحر، إنه أصبح فارغاً، أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى)^(٥) فمن أخلاق الداعية إلى الله أن يمازح الصغار ويمسح على رؤوسهم ويقبلهم ويهدي لهم، ويؤثر اليتامى والمساكين بالعطف والمحبة، عن عبد الله بن جعفر، قال: كنت أنا وقثم وعبيد الله نلعب فجاء النبي فقال: احمل هذا ثم قال: احمل هذا فحمل قثم خلفه ولم يستحي من عمه العباس، وكان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم ومسح رأسه ثلاث مرار وقال: اللهم اخلف جعفرًا في ولده قلت: ما فعل قثم قال: استشهد قلت: الله ورسوله كان أعلم بالخيرة، قال: أجل.^(٥)

(١) سورة الحجر : ٨٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ١٠، ص: ٥٧.

(٣) سورة القصص : ٩ - ١٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٢٢٣.

(٥) انظر: السنن الكبرى للنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة - باب ما يقول للخائف، رقم الحديث : ١٠٨٣٨ (٣٩١/٩) وانظر : مسند الإمام أحمد - مسند أهل البيت ، حديث رقم : ١٧٦٠ (٢٨٤/٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده حسن

ومن مظاهر الرحمة في حياة الداعية وعلاقاته أن يداعب الأطفال ويحملهم معه ولا يحتقر نفسه في مرافقتهم له، بل إن الرأفة في خلقه تتعدى إلى غير الإنس في رفع القسوة عن الحيوان وزرع الرحمة في النفوس والحفاظ على ستر العورات، وكل ذلك من سنن إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ، عن عبد الله بن جعفر ﷺ، قال: «أرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ تَخَلَّى. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لَمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتَى مِّنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَأَ إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْنِبُهُ»^(١).

٥) إظهار علامات المحبة وإثارتها:

إن الداعية إلى الله، يجب عليه البيان الكامل لدعوته، بتوضيح الأهداف منها؛ كي يستبين للناس أصل الدعوة والمقصد منها، ومن ذلك بيان غاية الداعية الذاتية، وهي محبة الخير لهم والأجر من الله له، وأن يذكر ذوي القربى بحق القرابة بينهم، فهو أدعى لاستجابتهم، وأماناً من وقوفهم ضد دعوته والصد لها، قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ^(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (أي: قل يا محمد هؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالة ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة)^(٣) وحيث المودة والمحبة عليها مجمع القلوب، وبها يفرح المسلم سواء كانت مودة القرابة أو محبة الأخوة، فإن السنة الإخبار بها، عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبَ ﷺ - وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»^(٤). ومما يدرك به حقيقة المحبة أنها تقوم على معنى يشعر به الحب والحبوب، وهو المقياس الحقيقي لها، وهذا الشعور يفوق المقاييس المادية من المال وغيره، وإن كانت هذه المقاييس وسيلة لتحقيق المحبة عند بعض الناس من الهدايا والهبات وغيرها. ونستنبط هذا المعنى من هذا الحديث في الموقف النبوي الكريم، عن سعد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً - وسعد جالس - فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ. فقلت: يا

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث رقم: ٢٥٥١ (٢/٣٢٨)، وانظر مسند الإمام أحمد - مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث رقم: ١٧٤٥ (٣/٢٧٣). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٩٩.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب إخبار الرجل أخاه بمحبته إياه، حديث رقم: ٥١٢٦ (٤/٤٩٥).

رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً. فقال: أو مسلماً. فسكت قليلاً. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقاتلي فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقاتلي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار»^(١).

ونستنبط من هذا الحديث حكمة الداعية في علاقاته مع المدعويين، ومعرفة أحوالهم ومدى صلتهم بالإسلام. من حداثة العهد وقدمه، وظاهر حالهم من التمسك به وأحكامه؛ مما يدل على قوة الإيمان أو ضعفه، قال ابن بطال في شرحه: (قول النبي ﷺ: " إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه " فإن هذا يدل على أن النبي ﷺ وكله إلى إيمانه كما كان يعطي المؤلفه قلوبهم ويمنع المهاجرين والأنصار)^(٢) وبهذه المعرفة يتعامل الداعية بحكمة مع المدعويين في الأخذ والعطاء والقول والفعل، وعليه حينما يسأله أهل الفضل والعلم عن معاملته لأناس دون آخرين بنوع ما من المعاملة، وفي سؤاها غرابة المقارنة والتمييز في المفاضلة، وجب عليه أن يبين أن الحب للجميع، ويتفاضل الناس في القلوب، أناس على آخرين. كما بين النبي ﷺ لسعد ﷺ وجه العطاء النبوي في الحديث أنه ليس من باب التفضيل في الحب، ولكنه من باب تأليف القلوب لمسلمين جدد، من أجل أن يشتروا على الدين ويزداد إيمانهم بمشيئة الله، وهي حاجز لهم من الردة إلى الكفر أو الانغماس في المعاصي وهم بهذا عرضة لخطر ولوج النار والداعية إلى الله هو حاجب لهم. وهنا موقف من السنة في سيرة المصطفى ﷺ مع صحابي من الراسخين في الإسلام، نستلهم منه قوة العلاقة بين الداعية والمدعويين، وكيف أصبحت في وقت الشدة أقوى في الحب والإيثار، عن إياس بن سلمة: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً. وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا. قَالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ جَبًا^(٣) الرَّكِيَّةَ^(٤)، فِيمَا دَعَا وَإِمَّا بَسَقَ فِيهَا. قَالَ: فَجَاشَتْ، فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ. قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ. ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ قَالَ: «بَايِعْ، يَا سَلَمَةُ!» قَالَ قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ. قَالَ:

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، حديث رقم: ٢٧ (١٤/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، حديث رقم: ٣٩٥ (١/٩١).

(٢) فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص: ١٢١.

(٣) الاجتباءُ اِفْتِعَالٌ من الجبابة وهو استخراج الأموال من مظانها، والجبوة والجبوة والجبا والجبا والجباوة ما جمعت في الحوض من الماء، والجبا والجبا ما حول البئر، والجبا ما حول الحوض يكتب بالألف، وفي حديث الحديبية فقعد رسول الله ﷺ على جباها فسقينا واستقينا، الجبا بالفتح، والقصر ما حول البئر، والجبا بالكسر، مقصور ما جمعت فيه من الماء، والجبا بالكسر، مقصور الماء المجموع للابل. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣٣/١٤).

(٤) الرَكِيَّةُ جنسٌ للرَكِيَّةِ وهي البئر، انظر: لسان العرب لابن منظور (١٢٨/١٤).

«وَأَيْضاً» قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ عَزَلًا (يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ). قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً، ثُمَّ بَايَعَ. حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي؟ يَا سَلَمَةُ» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ. قَالَ: «وَأَيْضاً» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ»^(١) أَلَيْسَ أُعْطَيْتُكَ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقِينِي عَمِّي عَامَرٌ عَزَلًا. فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا. قَالَ: فَصَحَّحَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي». ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَأَسَلُونَا الصُّلْحَ، حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ. وَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. أَسْقَى فَرَسَهُ، وَأَحْسَهُ، وَأَخْدَمَهُ. وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ. وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي، مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةَ فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا. فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا. قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ. فَأَبْغَضْتُهُمْ. فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى. وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ. وَاضْطَجَعُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ^(٢). قَالَ: فَاخْتَرْتُ سَيْفِي. ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلِيكَ الْأَرْبَعَةَ وَهُمْ رُقُودٌ. فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ. فَجَعَلْتُهُ ضَغْنًا^(٣) فِي يَدِي. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامَرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ مَكْرَزٌ. يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. عَلَى فَرَسٍ مُجَقَّفٍ. فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «دَعُوهُمْ. يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ» فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ^(٤) الْآيَةَ كُلَّهَا. وَيُوكَدُ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْعَةَ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ﷺ ثَلَاثًا فِي مَوْقِفِ الْحَدِيدِيَّةِ الْعَصِيبِ، مَحَبَّةً لَهُ وَتَأْصِيلًا لِرَفْعِ هِمَّتِهِ وَإِقَاطًا لَشَجَاعَتِهِ الْمَعْهُودَةِ عَنْهُ، وَيُعْطِيهِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْقِتَالِ، وَبِهِ وَأَمْثَالُهُ يَكُونُ الْاسْتِنْهَاضُ لِبَقِيَّةِ الْمُبَايِعِينَ، بَلْ يَضَاحِكُهُ ﷺ عِنْدَمَا آثَرَ عَمَهُ بِسِلَاحِهِ مَذْكَرًا لَهُ وَحَامِدًا صَنِيعَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي» وهذا الإيثار قوة في العلاقات ويحمد في موقف الشدة والحرب لما له من صبغة معنوية تقوم على المحبة يزداد بها المجتمع المسلم قوة في التماسك.

(١) (درق) الدَّرَقُ ضرب من التَّرْسَةِ الواحدة دَرَقَةٌ، تتخذ من الجلود. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥/١٠).

(٢) قوله: قتل ابن زنيم، ما تحفظ من الصحابة من يقال له ابن زنيم غير شخصين، سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر وهو السدي قال عمر: يا سارية الجبل، وأخوه أنس بن زنيم. انظر: شرح المشكل من الصحيحين لابن الجوزي (٤٩٢/١).

(٣) (ضغت) الضاد والغين والفاء أصل واحد يدل على التباس الشيء بعضه ببعض. يقال للحالم: أَضْغَتِ الرُّؤْيَا. والأضغاث: الأحلام المتلبسة. والضَّغْتُ: قُبْضَةٌ مِنْ قُضْبَانٍ أَوْ حَشِيشٍ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٣/٣).

(٤) سورة الفتح: ٢٤ .

٦) التيسير والكرم:

إن السفر والبعد عن الدار والأهل، مؤثر نفسي قوي على الإنسان، ومتى أدرك الإنسان غايته من السفر؛ أصبحت نفسه في شوق ولهفة بالعودة إلى أهله ومستقره، ومن حكم الإسلام الإسراع في الخيرات. والنهي عن الشر أو ما قد يحدثه، والبقاء في غير مكان الأهل والمال والولد، مظنة الشر ظاهرة فيه؛ فيجب على المسلم أن يدرأ ذلك عن نفسه، وكذلك عليه أن يتق العجلة في الأمور؛ لأن باطنها اليسر، وفي حقيقتها العسر، ومغبتها الندم ، قال الله تعالى: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) ^(١) والعجلة صفة فطرية في الإنسان، ووجب عليه أن يضبطها بالضابط الشرعي حيال أمور الحياة، ومنها السفر وما فيه من أحكام الشرع، فقد نُهي عن طروق المسافر أهله ليلاً ^(٢)، فإن قرب المسافر من دياره، يجعله في محبة للقاء الأهل وطلب الراحة من عناء السفر، ومن حكمة الداعية إلى الله في علاقاته مع رفقة السفر أن يدرك هذه المشاعر ويسهل لهم تحقيق المراد، فمن أقوال ﷺ لبعض أصحابه في بعض أسفاره: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ)، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: سافرتُ معه في بعض أسفاره، فلما أن أقبلنا، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ». قال جابر: فأقبلنا وأنا على جملٍ لي أرمك ^(٣)، ليس فيها شية ^(٤)، والناس خلفي، فبينما أنا كذلك، إذ قام عليّ، فقال لي النبي ﷺ: «يا جابرُ استمسك» فضربه بسوطه ضربةً فوثبَ البعيرُ مكانه، فقال: «أتبيعُ الجملَ؟» قلتُ: نعم، فلما قدمنا المدينة ودخلَ النبي ﷺ المسجدَ في طوائفِ أصحابه، فدخلتُ إليه، وعقلتُ الجملَ في ناحيةِ البلاطِ، فقلتُ له: هذا جملُك فخرج فجعلَ يُطيفُ بالجملِ ويقول: «الجملُ جملُنَا». فبعثَ النبي ﷺ أواقٍ من ذهبٍ، فقال: «أعطوها جابراً». ثم

(١) سورة الإسراء: ١١.

(٢) النهي عن قدوم المسافر على أهله ليلاً قيده العلماء بمن طال سفره ومن لم يشع قدومه ، وذلك لمصالح عديدة تمثل علة النهي ، و علة النهي قد توجد في النص ويدور عليها الحكم؛ فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، فلما كان الذي يخرج حاجته مثلاً نهاراً ويرجع ليلاً لا يتأتى له ما يحذر من الذي يطيل الغيبة ، فيقع الذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً ما يكره أما أن يجد أهله على غير أهية من التنظيف والتززين المطلوب من المرأة ؛ فيكون ذلك سبب النفرة بينهما وأما أن يجدها على حالة غير مرضية والشرع محرض على الستر. وأما إذا شاع خبر قدوم المسافرين كأن كان في قفل ووصلوا لقرب البلد نهاراً وعلم ذلك الخبر لأهل البلد فلا بأس بالقدوم ليلاً حينئذ ، والقدوم نهاراً أفضل لما فيه من حسن الهواء، وزيادة الأضواء وخروج الناس للاجتماع واللقاء، وللتباعد ونحوه، فإذا قدم بدأ بالمسجد قبل دخول منزله اهتماماً به، وتعظيماً لشعائر الله تعالى، وتقديماً لحق الله تعالى على حق نفسه وأهله، وشكراً لنعمته عليه بسلامته من وعناء السفر (فيصلي فيه ركعتين) تحية ثم يجلس فيه ليسلم عليه الناس.

(٣) (رمك) الرء والميم والكاف أصلان: أحدهما لونٌ من الألوان، والثاني بُثٌّ بمكان. فالأول الرُمكة من ألوان الإبل، وهو أشدُّ كدرةً من الوُرقة. ويقال جملٌ أرمك. ومنه اشتقاق الرامك. والرمكة: الأنثى من البراذين. والأصل الآخر: رَمَكَ بالمكان، وهو رامك. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٠٤).

(٤) الوَشْيُ من الثياب معروف والجمع وِشَاء، وَشْي التَّمَارِقِ يعني جميع ألوان الوَشْي، والوَشْيُ في اللون خَلْطُ لَوْنٍ بلون، الشَّيْءُ كُلُّ ما خَالَفَ اللَّوْنَ من جميع الجسد وفي جميع الدواب، وقيل شَيْءُ الفرس لونه وفرس حَسَنُ الْأَشْيِ أي الغُرَّة والتحجيل. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٩٢/١٥).

قال: استوفيت الثمن؟ قلت: نعم، قال: الثمن والجمل لك»^(١). وجابر رضي الله عنه قد فقد والده شهيدا في غزوة أحد وترك بناتا ودينا، والنبي ﷺ يدرك حاجة جابر للجمل والمال، وكان خلقه ﷺ القرآن، فيجازيه جزاء الإحسان بالإحسان، قال الله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ)^(٢) وقد كان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ويده يد سخاء. ومن خلق الدعاة إلى الله الكرم والإحسان. أورد ابن حجر في الفتح: (قال ابن الجوزي: هذا من أحسن التكرم لأن من باع شيئا فهو في الغالب محتاج لثمنه فإذا تعرض من الثمن بقي في قلبه من المبيع أسف على فراقه كما قيل: (وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ** نفائس من رب بمن ضنين)، فإذا رد عليه المبيع مع ثمنه ذهب المهم عنه وثبت فرحه وقضيت حاجته فكيف مع ما انضم إلى ذلك من الزيادة في الثمن)^(٣)

٧) المشاركة الاجتماعية والشهادة بالخير:

الاجتماع المسلم يسوده الخير في عمومته، بعبادة الله تعالى وإقامة شرعه، وفنام الناس فيه على خير ما تمسكوا بكتاب الله وسنة النبي ﷺ، ومن خيرهم نشر العدل وكف الظلم بأداء الحقوق والواجبات، والداعية إلى الله عضو فاعل في المجتمع من أجل تحقيق هذه الغاية العظيمة، وقد أثنى النبي ﷺ على حلف المطيعين الذي شهدته في صغره قبل البعثة، وأكد حبه له لما فيه من الخير، عن عبد الرحمن بن عوف ؓ عن النبي ﷺ قال: « شهدت حلف المطيعين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حُمُر النعم وأني أنكته ». قال الزهري^(٤): قال رسول الله ﷺ: « لم يصب الإسلام حلفاً إلا زاده شدة، ولا حلف في الإسلام، وقد ألف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار »^(٥). وعلق ابن القيم يرحمه الله على الحلف في العلاقات الإسلامية، كما ورد في تمذييه لسنن أبي داود بقوله: (فَالظَّاهِر - وَاللَّهِ أَغْلَم - أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِيثِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلَّفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِسْلَامِ وَجَعَلَهُمْ بِهِ إِخْوَةً مُتَنَاصِرِينَ مُتَعَاَصِدِينَ يَدًا وَاحِدَةً، بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَقَدْ أَغْنَاهُمْ بِالْإِسْلَامِ عَنِ الْحَلْفِ، بَلْ الَّذِي تَوَجَّهَ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ: أَغْظَمَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْحَلْفُ. فَالْحَلْفُ إِنْ اقْتَضَى شَيْئاً يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ اقْتَضَى مَا يَقْتَضِيهِ الْإِسْلَامُ فَلَا تَأْثِيرَ لَهُ، فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ. وَإِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامَ بِمُقْتَضَاهُ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً وَتَأْكِيداً وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ " شَهِدْتُ حَلْفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمُرُ النَّعَمِ، لَوْ دُعِيتُ إِلَى مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ " فَهَذَا -

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد- باب من ضرب دابة غيره في الغزو، حديث رقم: ٢٨٦١ (٤/٣٠).

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ٣١٧.

(٤) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - حديث عبد الرحمن بن عوف ؓ، حديث رقم: ١٦٥٦ (٣/١٩٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ حَلْفُ الْمُطِيبِينَ، حَيْثُ تَحَالَفَتْ قُرَيْشٌ عَلَى نَصْرِ الْمُظْلُومِ، وَكَفَّ الظَّالِمَ وَنَحَوَهُ، فَهَذَا إِذَا وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ تَأْكِيدًا لِمُوجِبِ الْإِسْلَامِ وَتَقْوِيَةً لَهُ. وَأَمَّا الْحَلْفُ الَّذِي أَبْطَلَهُ فَهُوَ تَحَالَفُ الْقَبَائِلِ: بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ وَيَعْضُدُهُ وَيُحَارِبُ مَنْ حَارِبَهُ، وَيُسَالِمُ مَنْ سَالَمَهُ. فَهَذَا لَا يُعْقَدُ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ قَدْ وَقَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُؤَكِّدُهُ وَيَشْدُدُهُ، إِذَا صَارَ مُوجِبَهُ فِي الْإِسْلَامِ التَّنَاصُرُ وَالتَّعَاصُدُ وَالتَّسَاعُدُ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ، وَجَمْعِ الشَّمْلِ^(١) وهذا الأصل العظيم الذي أكده الإمام ابن القيم هو ما يجب على الداعية إلى الله تأصيله في المجتمع المسلم، ويستلزم منه المشاركة الاجتماعية في كل خير، وأن يحذر من المشاركة الاجتماعية في الأمور التي تبني على مخالفة الدين أو تخل بالمرءة إلا على سبيل النصيحة. ولا شك أن الاجتماع على الخير في المجتمع يورث المحبة والصلة بين أفرادِهِ، وكلما انتشر الخير وسادت المودة بين المسلمين كان لها الأثر على مستقبلهم في الآخرة، حيث أن الشهادة بالخير أو الشر محل اعتبار في الشرع لقول الرسول ﷺ: (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) عَنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجِبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَتْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجِبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا وَجِبَتْ؟ قَالَ هَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ^(٢). الشهادة بالحق هي المنهج الصحيح، والسلوك المستقيم في تفعيل العدل في المجتمع، وكتمان الشهادة مذموم في الشرع، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)^(٣) ولأهمية شهادة الناس على بعضهم البعض، يعتبر الأخذ بشهادة الواحد في بعض مقاصد الدين، ومنها خيرية الإنسان في الحياة، وبها أكد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الأمر وجعله أحب إليه من حمر النعم فيما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن بريدة قال: « جلس عمر رضي الله عنه مجلساً كان رسول الله ﷺ يجلسه تمر عليه الجنائز، قال: فمرُّوا بجنازة فأتنوا خيراً فقال: وجبت، ثم مرُّوا بجنازة فأتنوا خيراً فقال: وجبت، ثم مرُّوا بجنازة فقالوا خيراً فقال: وجبت، ثم مرُّوا بجنازة فقالوا: هذا كان أكذب الناس فقال: إن أكذب الناس أكذبهم على الله ثم الذين يلونهم من كذب على روحه في جسده، قال: قالوا: أرايت إذا شهد أربعة، قال: وجبت، قالوا: أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة، قال: وجبت قالوا: واثنين؟ قال: وجبت، ولأن أكون قلت واحد أحب إلي من حُمُر النعم، قال: فقليل لعمر هذا شيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: لا بل سمعته من رسول الله ﷺ^(٤) .

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥ هـ. ج ٨، ص: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب ثناء الناس على الميت، حديث رقم: ١٣٦٧ (٢/ ٩٧).

(٣) سورة البقرة: ١٤٠.

(٤) انظر: مسند أحمد بن حنبل - مسند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٣٨٩ (١/ ٤٤٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

٨) إحقاق الحق لأهله:

إن الله أمر بالعدل والإحسان في الأمور كلها، وجرت بذلك شريعة الإسلام في الأحكام، قال الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)^(١)، وقال الله عز وجل في سورة النساء: (وَالْقِسْطَ وَإِحقاق الحق لأهله : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوثُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شَهَدَاءُ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)^(٢)، ويجب على الداعية إلى الله في علاقاته الاجتماعية، أن يحكم العدل في مشكلات الحياة التي قد تواجهه شخصه، أو تكون بين الناس ويكون فيها حكما أو شاهدا، وذلك لأن العدل من التقوى ومن هداية العمل، وإنما الجور واتباع الهوى من ضلالة العمل، والله لا يحب ضلالة العمل، وهنا موقف نبوي كريم يؤكد هذا المعنى ويدعو إليه. عن الزُّبَيْدِ رضي الله عنه، يَقُولُ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا إِلَى بَنِي الْعَبْرِ فَأَخَذُوهُمْ بِرُكْبَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الطَّائِفِ، فَاسْتَأْذَنُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَرَكِبْتُ فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَتَانَا جُنْدُكَ فَأَخَذُونَا وَقَدْ كُنَّا أَسْلَمْنَا وَخَضَرْنَا آذَانَ النَّعَمِ، فَلَمَّا قَدِمَ بَلْعَبَرُ، قَالَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ هَلْ لَكُمْ بَيِّنَةٌ عَلَى أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ بَيِّنَتُكَ؟ قُلْتُ سَمَرَةٌ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعَبْرِ وَرَجُلٌ آخَرُ سَمَاءُ لَهُ، فَشَهِدَ الرَّجُلُ وَأَبَى سَمَرَةٌ أَنْ يَشْهَدَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَبَى أَنْ يَشْهَدَ لَكَ فَتَحْلِفُ مَعَ شَاهِدِكَ الْآخَرَ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَاسْتَحْلَفَنِي فَحَلَفْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَخَضَرْنَا آذَانَ النَّعَمِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبُوا فَقَاسِمُوهُمْ أَنْصَافَ الْأَمْوَالِ وَلَا تَمْسُوا ذُرَارِيَهُمْ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ ضَلَالَةَ الْعَمَلِ مَا رَزَيْنَاكُمْ^(٣) عَقَالًا: قَالَ الزُّبَيْدُ: فَدَعَنْتِي أُمِّي فَقَالَتْ: هَذَا الرَّجُلُ أَخَذَ زُرِّيَّتِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - يَعْنِي فَأَخْبَرْتُهُ - فَقَالَ لِي احْبِسْهُ، فَأَخَذْتُ بِتَلْبِيهِ وَقُمْتُ مَعَهُ مَكَانًا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَاقْتَمِنَ فَقَالَ: مَا تُرِيدُ بِأَسِيرِكَ؟ فَأَرْسَلْتُهُ مِنْ يَدَيَّ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: رُدَّ عَلَى هَذَا زُرِّيَّةَ أُمِّهِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا، قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ يَدَيَّ، قَالَ: فَاخْتَلَعْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَيْفَ الرَّجُلِ فَأَعْطَانِيهِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: اذْهَبْ فَرِزْهُ طَعَامَ مَنْ لَعَامٍ، قَالَ فَرَاذَنِي آصُعًا مِنْ شَعِيرٍ^(٤)». وكما تقرر من هذا الموقف مبدأ العدل القائم على البينة أو الشهادة في العلاقات. فقد تقرر أيضا مبدأ العوض المكافئ أو المرضي. وفي قوله (لولا أن الله لا يحب ضلالة العمل)

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) (رزأ) الرء والزاء والهمزة أصل واحد يدل على إصابة الشيء والذهاب به. ما رزأته شيئا، أي لم أصب منه خيرا. والرؤء: المصيبة، والجمع الأرزاء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٩٠). والمعنى في الحديث: لم نقصكم شيئا من حقكم ولو عقالا.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأفضية - باب القضاء باليمين والشاهد، حديث رقم: ٣٦١٤ (٣/٣٤٣).

قال أبو الطيب في عون المعبود: (أَيُّ بُطْلَانِهِ وَضِيَّاعِهِ وَذَهَابِ نَفْعِهِ، يُقَالُ ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الْمَاءِ إِذَا بَطَلَ وَتَلَفَ)^(١) فلم يُرد الرسول ﷺ أن يضيع عمل الجيش ويُذهب به، والمقصد هنا أن نعلم أن الجهد المبذول يجب المحافظة على نتائجه، وتسديد الحقوق لأصحابها واجب حتم، وعدم الانتقاص فيها لأحد، بل يجب السعي بالوفاء والعوض لمن ثبت ضياع حقه. والداعية إلى الله يجب عليه أن يدرك هذا في علاقاته أن الله لا يحب ضلالة العمل. ويجب العدل والقسط.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط٢، ١٣٨٨هـ، ج ١٠، ص: ٣٧.

المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو

المطلب الأول: طلب الهداية

إن محبة الإنسان لنفسه وجلب الخير لها، محور في طلب الهداية، ومتى ارتبطت بالبحث عن الحق؛ سيصل الإنسان إلى معرفة علة خلقه، والإيمان بالخالق جل وعلا، ويصل إلى الغاية العظمى من الوجود، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، على الوجه الصحيح؛ إيماناً بالله وبالوحي والرسالة، والحق الذي جاءت به الرسل، وكما قال السيوطي: (إنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً، وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستسلاماً، وهذا معنى القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم)^(١) وعلى المسلم أن يتعامل مع الدنيا كتراد ليوم المعاد، والإنسان في هذه المرحلة على اعتبارات الإسلام الكثيرة، إما أن يكون داعياً أو مدعواً، أو جامعاً لهما. والمحبة أس في الأثر والتأثير، وتظهر في حق المدعو من وجهين:

أولاً: محبة الحق ولزوم سبل الهداية؛ وبحث النفس على الاستجابة لها وترك الغواية، وأعظم السبل لهداية النفس هو اتباع رسالات الرسل. قال الله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦١﴾ وَخَيَّانَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)^(٢) قال البغوي في تفسيره: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: "هديناه السبيل" (الإنسان: ٣)، {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ} فاختاروا الكفر على الإيمان)^(٣)، وكل رسالات الأنبياء، ربانية المصدر، تتفق في الدعوة إلى التوحيد من أطراف النجاة، وتدعو إلى الخير وتحذر من الشر؛ وهذا مناط السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: محبة النفس وجلب الخير لها وإنقاذها من الشر والضلالة. والمواقف في الكتاب والسنة الدالة على هذا كثيرة، حيث محبة النفس وحماتها أمر فطري وعقلي عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قومٌ يهدونَ بغير هديي، تعرفُ منهم وتُنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: نعم، دُعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن

(١) صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام، جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي سامي النشار. ص: ١٨٢ -

١٨٣.

(٢) سورة فصلت: ١٧ - ١٨.

(٣) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٧،

ص: ١٦٩.

أدركني ذلك؟ قال: تَلَزُمُ جماعة المسلمين وإمامهم، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

وحاولت أن استخلص من هذه المواقف المذكورة في الكتاب والسنة بلفظ الحب، بعض القواعد التي يجب على المدعو أن ينبه لها، في طلب الهداية، لما لها من دلالة وارتباط وثيق كمؤثر في شخصية المدعو وطلبه للحق والهداية، ومن هذه القواعد ما يلي:

(١) البحث عن الهداية والتثبت من الحقيقة:

قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه من أكثر المواقف ضرباً للمثل في البحث عن الحقيقة والسعي في طلب الهداية، لما فيها من الدروس العظيمة، والصفات الرابطة بين المدعو والداعية وسأعرضها كما وردت في السنة وأرسم خطوطاً واضحة بعدها في طلب المدعو للهداية وما يلزمه تجاه ذلك، وفق ما جاء بلفظ الحب في القصة، عن عبد الله بن عباس قال: حَدَّثَنِي سلمان الفارسي حديثه من فيه قال: «كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان»^(٢)، من أهل قرية منها يقال: لها جي، وكان أبي دهقان^(٣) قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته أي ملازم النار كما تحبس الجارية، وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فأطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعتي، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، كنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئتته

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الفتن-باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم: ٧٨٤٠ (٩/٥١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، حديث رقم: ٤٨٩٠ (٦/٢٠).

(٢) أصبهان: منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف، وأصبهان اسم للإقليم بأسره وكانت مدينتها أولاً (جيا) ثم صارت اليهودية. قال ابن الكلبي: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، قال ابن دريد: أصبهان اسم مركب؛ لأن الأصب البلد بلسان الفرس، وهان اسم الفارس، فكأنه يقال: بلاد الفرسان، وقيل: أن الأصب بلغة الفرس هو الفرس وهان كأنه دليل الجمع، فمعناه الفرسان والأصهباني الفارس، وقيل غير ذلك، وهي من بلاد فارس وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف (بجي) وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة فلما سار بخت نصر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها، وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف مدينة (جي) محلة ونزلوها وسميت اليهودية، ومضت على ذلك الأيام والأعوام فخربت (جي) وما بقي منها إلا القليل. وعمرت اليهودية فمدينة أصبهان اليوم هي اليهودية، وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن، وأما فتحها فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٩ للهجرة المباركة بعد فتح نهاوند بعث عبد الله بن عبد الله بن عتبان إليها وفتحها، وصالح أهلها على الجزية. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٢٠٧).

(٣) والدهقان والدهقان: التاجر، فارسي معرب. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠/١٠٦).

قال: أي بني، أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ! قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأييت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت: كلا والله، إنه خير من ديننا قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته، قال: وَبَعَثْتُ إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، قال: فأخبروني بهم، قال: فقلت لهم: إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم، قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأصلي معك، قال: فادخل، فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتثره لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بما اكتثره لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كثره، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاؤوا برجل آخر فجعلوه بمكانه، قال: يقول سلمان: فما رأييت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحببته حباً لم أحبه من قبله، وأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان: إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي، وما تأمرني، قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به، قال: فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من توصي بي وما تأمرني، قال: أي بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنصيبين^(١)، وهو فلان، فالحق به، قال: فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته، فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي

(١) نصيبين : نصيبين بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح ومن العرب من يجعلها بمثلة الجمع فيعربها في الرفع بالواو وفي الجر والنصب بالياء والأكثر يقولون نصيبين ويجعلونها بمثلة ما لا ينصرف من الأسماء والنسبة إليها نصيبي، وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان بينها وبين سنجار تسعة فراسخ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٨٨/٥).

بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية^(١)، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فألى من توصي بي وما تأمري؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلل لك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتموها، وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت بها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فو الله، إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال فلان: قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن ليجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء^(٢) حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبت عما قال، وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء، ذووا حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرق، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رأي رسول الله ﷺ استدرته عرف

(١) عمورية بفتح أوله وتشديد ثانيه بلد في بلاد الروم غزاها المعتصم الخليفة العباسي حين سمع استنجد شراة العلوية به، وكان ذلك في سنة ٣٢٢هـ، وقيل سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٥٨).

(٢) (عروي) العين والراء والحرف المعتل أصلان صحيحان متباينان يدل أحدهما على ثبات وملازمة وغشيان، والآخر يدل على خلوص ومفارقة. فالأول قولهم: عراه أمر، إذا غشيه وأصابه؛ وعراه البرد. ويقولون: "إذا طلع السمك، فعند ذلك يعرفوك ما غناك، من البرد الذي يغشاك". وعراه الهم واعتراه. والعرواء: قرّة تأخذ الحموم. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٩٥).

إني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحوّل، فتحوّلت، فقصصت عليه حديثي كما حدّثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم وشغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة أجيبها له بالفقير وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي، ففقرت لها، وأعاني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدّها ما عليك يا سلمان، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله ﷺ مما علي؟ قال: خذها فإن الله عزّ وجلّ سيؤدّي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها — والذي نفس سلمان بيده — أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعنتت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد^(١).

ومن الدروس الخاصة بأثر المحبة في المدعو من قصة سلمان الفارسي ما يلي:

(أ) حب الوالدين للولد فطري ويكون ممقوتا حينما يكون حاجزا أمام طلب الحق واتباعه، قال سلمان ؓ: (وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته أي ملازم النار كما تحبس الجارية) ولكن يجب على الولد في هذه الحال مصاحبة والديه بالمعروف، والبر بهما، وطاعتهما ما لم يأمرهما بالمعصية ومن أكبرها الشرك أو الكفر.

(ب) السعي في الأرض بحثا عن الهدى والحق، وعدم البقاء على حال الكفر والشرك؛ متى تيسرت سبل الهجرة إلى الله. ويتضح ذلك من هجر سلمان للمجوسية وعبادة النار، بالهجرة إلى بلاد الشام وملازمة الصالحين من أهل الدين وحبهم، يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحبيته حباً لم أحبه من قبله، وأقمت معه زمناً.

(ج) قبول نصيحة الناصحين من أهل الدين، والاستمرار في البحث عن الهدى والثبات عليه (قال: أي بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته)

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٧٣٧ (١٤٠/٣٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند :

د) التثبت من الحقيقة وعدم التسرع في الحكم: (قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل) وهو ما فعله سلمان رضي الله عنه حين لقائه بالنبي ﷺ (قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحوّل، فتحوّلت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه) ولما للحق من قوة أعجب النبي ﷺ أن يسمع الصحابة خبر سلمان؛ لأنه يؤيد ما هم عليه من الحق، ويوافق ما يخبرهم الرسول به ويوثق مصداقية الرسالة، حيث كانت تمر بعداوة اليهود والمشركين والمرجفين والمشككين من المنافقين.

هـ) الصبر و التحمل في سبيل الهداية والبحث عن الحقيقة، ويتضح ذلك من معاناة سلمان رضي الله عنه في هجر الأهل ومغادرة الوطن، وترك الحال المنعم إلى شظف العيش وكبد التكسب، ومعاناة الرق وذله.

٢- ملازمة أهل العلم :

المصدر العلمي الأصيل والموثوق به، هو المشرب والمطلب لكل طالب هداية، ويجب أن نعلم أن هذا الدين لا يؤخذ إلا من مصدرين: هما كتاب الله العظيم والسنة النبوية الصحيحة بتفسير وفهم السلف الصالح من هذه الأمة، الممثل في العلماء الراسخين في العلم الصالحين. ومن الخطورة والضلال أخذ الدين ممن لا يعتمد على هذه الأصول والمصادر ولا يعتمد الدليل الشرعي؛ فمن خالف هذا المنهج فقد انحراف عن الطريق المستقيم ، والعاقبة للذين أساءوا السوء. ولقد جثا الصحابة بالركب، وأكبوا على حلقات العلم والهدى من النبي ﷺ ، ورسم الرعيل الأول من السلف هذا المنهج القويم لمن بعدهم في مواقف كثيرة منها: عن وابصة بن معبد رضي الله عنه ^(١) قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وإذا عنده، جمع فذهبت أخطي الناس فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ إليك يا وابصة فقلت: أنا وابصة دعوني أدنو منه فإنه من أحب الناس إليّ أن أدنو منه، فقال لي: إدن يا وابصة، إدن يا وابصة فدنوت منه حتى مست ركبتي وركبته، فقال: يا وابصة أخبرك ما جئت تسألني عنه؟ أو تسألني؟ فقلت: يا رسول الله فأخبرني قال: جئت تسألني عن البر والإثم؟ قلت: نعم، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري

(١) وابصة بن معبد بن مالك بن عبيد الأسدي من بني أسد بن خزيمه، يكنى أبا شداد ويقال أبا قرصافة، سكن الكوفة، ثم تحول إلى الرقة ومات بها، وله أحاديث عن النبي ﷺ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٧٥٦).

ويقول: يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس»^(١).

محبة وابصة ﷺ للعلم والاهتداء به، جعلته يأتي إلى النبي ﷺ ويسأل عن أمرين: أحدهما به النجاة والآخر به الهلاك، وهما البر والإثم، ولم يكتف في المجلس إلا بالدنو من النبي ﷺ حتى وضع ركبته إلى ركبته ﷺ وهذا من أدب المدعو مع الداعية والتواضع للعلم والعلماء ومحبتهم، ولهذا أعظم الأثر في بناء شخصية المدعو واتباعه للهدى وثباته على الحق، ونأخذ من هذا الموقف المعجزة النبوية في إخبار النبي ﷺ لو ابصت ما جاء يسأل عنه، وكيف أخذه برفق ولطف وحنو، وعمق المعنى في نفسه حيث نكت في صدره بأصابه الثلاث ﷺ مؤكداً له مقر الجواب على سؤاله - النفس والقلب - بالإشارة والبيان القولي الواضح.

ومن أهم الأمور في طلب المدعو للعلم أن يبحث عنه من مصادره الموثوقة التي تتسم بالفهم السليم والأمانة والتقوى، وقد وجد الصحابة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، المصدر الموثوق الملازم لمصدر الشريعة النبي ﷺ الموحى إليه من ربه. عن أبي خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير^(٢) على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في سقيفة زمزم ليس في المسجد ظل غيرها، فقالت: مرحباً وأهلاً بأبي عاصم - يعني: عبيد بن عمير - ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا؟ فقال: أخشى أن أملك، فقالت: ما كنت تفعل؟ قال: جئت أن أسألك عن آية في كتاب الله عز وجل، كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ فقالت: آية آية؟ فقال: {الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} أَوْ {الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا} فقالت: أيتهما أحب إليك؟ قال: قلت: والذي نفسي بيده لإحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها، قالت: أيتهما؟ قلت: {الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا} قالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت، أو قالت: (أشهد كذلك أنزلت، وكذلك كان رسول الله ﷺ يقرؤها، ولكن الهجاء حرف)^(٣). هكذا فإن عبيد بن عمير

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين - حديث وابصة ﷺ، حديث رقم: ١٨٠٠١ (٥٢٧/٢٩) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جداً. وعند مسلم في صحيحه: عَنْ التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ».

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ. وحدث عن أبيه، وعن عمر بن الخطاب، وعلي، وأبي ذر، وعائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وطائفة، حدث عنه ابنه عبد الله بن عبيد، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وعبد العزيز بن رفيع، وأبو الزبير، وجماعة. وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة. وكان يذكر الناس، فيحضر ابن عمر رضي الله عنهما مجلسه. روى حماد بن سلمة، عن ثابت، قال: أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب. قال أبو بكر بن عياش: عن عبد الملك، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد ابن عمير على عائشة فقالت له: خفف فإن الذكر ثقیل - تعني إذا وعظت. وقال عبد الواحد بن أيمن: رأيت عبيد بن عمير وله جهة إلى قفاه، ولحيته صفراء. قلت: هو من خضاب السنة. توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة. وقيل: توفي في سنة أربع وسبعين. وكان ابنه عبد الله من علماء المكيين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٦/٤).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦٤١ (١٨٥/٤١). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

أحب قراءة الآية على وجه يحبه وهو الذي أخبرته أم المؤمنين بأن النبي ﷺ كان يقرأ به (فقالت: أيتها أحب إليك ؟ قال: قلت: والذي نفسي بيده لإحداهما أحب إلي من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها، قالت: أيتها؟ قلت: {الذين يأتون ما أتوا}، قال ابن كثير في تفسيره: (أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، خوفاً أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط)^(١) وروى الإمام أحمد في مسنده، عن عائشة؛ أنها قالت: يا رسول الله، {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ}، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل"^(٢). وقال ابن كثير في تفسيره: (والمعنى على القراءة الأولى - وهي قراءة الجمهور: السبعة وغيرهم - أظهر؛ لأنه قال: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}، فجعلهم من السابقين. ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك ألا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين، والله تعالى أعلم)^(٣)

فإن المدعو عند قراءته للآيات يستشعر المعاني ويتدبرها بخاصة نفسه، وما يصدر عنه من أقوال وأفعال، فيكون لها عظيم الأثر في صلاحه واستقامته، قال الله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)^(٤) وعليه فإن من المقررات الشرعية يلزم من المدعو الارتباط الوثيق بتلاوة كتاب الله وحفظه، ومعرفة معانيه والعمل به حيث ذلك من أقوى الأسباب في طلب الهداية والثبات عليها بإذن الله ومشيتته.

٣- الحرص على الصلاة وحماية النفس من الأعداء:

عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين». وقال أبو صالح حدثني عبد الله عن يونس عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية. فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج. فإنك تكسب المعدوم، وتصل

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ٤٨٠.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٢٦٣ (١٥٦/٤٢). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وانظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب سورة المؤمنون، حديث رقم: ٣١٧٥ (٣٢٧/٥). وصححه الألباني.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ٤٨١.

(٤) سورة الزمر: ٢٣.

الرحم، وتحمل الكَلَّ وتقري الضيفَ وتعينُ على نَوَائِبِ الحقِّ، وأنا لك جار. فارجعْ فاعبدُ ربَّكَ ببلادك، فارتحلْ ابنُ الدَّغْنَةِ فرجعَ مع أبي بكرٍ فطافَ في أشرافِ كُفَّارِ قُريشٍ فقال لهم: إنَّ أبا بكرٍ لا يخرجُ مثلهُ ولا يخرجُ، أتخرجون رجلاً يكسبُ المعدومَ، ويصلُ الرِّحِمَ، ويحملُ الكَلَّ ويقري الضيفَ ويُعينُ على نَوَائِبِ الحقِّ؟ فأنفذتُ قُريشُ جِوارَ ابنِ الدَّغْنَةِ، وآمنوا أبا بكرٍ، وقالوا لابنِ الدَّغْنَةِ: مُرَّ أبا بكرٍ فليعبدُ ربَّهُ في داره، فليُصلِّ وليُقرأ ما شاء ولا يُؤذِنَا بذلك، ولا يستعلنَ به فإنَّا قد خَشِينَا أن يفتنَ أبناءَنَا ونساءَنَا. قال ذلك ابنُ الدَّغْنَةِ لأبي بكرٍ، فطفقَ أبو بكرٍ يعبدُ ربَّهُ في داره ولا يستعلنُ بالصلاة ولا القراءة في غير داره. ثمَّ بدا لأبي بكرٍ فابتنى مَسْجداً ببناء داره، وبرَزَ، فكان يُصلِّي فيه ويُقرأ القرآنَ، فيتقصِّفُ عليه نساءَ المشركين وأبناءؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكرٍ رجلاً بكاءً لا يملكُ دمعُهُ حينَ يقرأ القرآنَ، فأفرغَ ذلك أشرافَ قُريشٍ من المشركين، فأرسلوا إلى ابنِ الدَّغْنَةِ فقدمَ عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرينَا أبا بكرٍ على أن يعبدَ ربَّهُ في داره وإنه جاوزَ ذلك فابتنى مَسْجداً ببناء داره، وأعلنَ الصلاة والقراءة، وقد خَشِينَا أن يفتنَ أبناءَنَا ونساءَنَا فأتته، فإن أحبَّ أن يقتصرَ على أن يعبدَ ربَّهُ في داره فعلَ، وإنَّ أبي إلا أن يعلنَ ذلك فسئلُهُ أن يرُدَّ إليك ذمتك، فإنَّا كرهنا أن نُخفركَ، ولَسْنَا مُقرِّينَ لأبي بكرٍ الاستعلانَ. قالت عائشةُ: فأتى ابنُ الدَّغْنَةِ أبا بكرٍ فقال: قد علمتَ الذي عقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصرَ على ذلك، وإما أن تُردَّ إليَّ ذمتي، فإني لأحبُّ أن تسمعَ العربُ أني أخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له. قال أبو بكرٍ: فإني أردُّ إليك جِوارَكَ وأرضي بجِوارِ الله — ورسولِ الله ﷺ يومئذ بمكة — فقال رسولُ الله ﷺ: قد أريتُ دارَ هِجرتكم، رأيتُ سَبْخَةَ ذاتِ نخلٍ بينَ لابتين، وهما الحِرتان. فهاجرَ من هاجرَ قَبْلَ المدينة حينَ ذَكَرَ ذلك رسولُ الله ﷺ، ورجعَ إلى المدينة بعضُ من كان هاجرَ إلى أرضِ الحَبْشَةِ. وتجهَّزَ أبو بكرٍ مهاجراً، فقال له رسولُ الله ﷺ: على رِسْلِكَ، فإني أرجو أن يُؤذَنَ لي. قال أبو بكرٍ: هل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبسَ أبو بكرٍ نفسه على رسولِ الله ﷺ ليصْحَبَهُ، وعَلَفَ راحلتينِ كانتا عنده وَرَقَ السَّمْرِ أربعة أشهر^(١).

ومن الدروس الهامة من قصة أبي بكرٍ ﷺ مع ابنِ الدغنة ومشركي قريش ما يجب تأكيده في حياة المدعوين وهو أن الصلاة والقرآن الكريم، لهما أثر عظيم في حياة المدعو، والخشية من أعظم المؤثرات في الاستقامة، عندما يتدبر المسلم الآيات، قال الله تعالى: (كِتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنِ الْإِنْسَانُ لَدُونَهُ) (٢) والمدعو قد يواجه من الصعوبات في التزامه بدينه حتى في صلاته وتلاوته للقرآن، ولكن عليه أن يصبر ويستخدم أسلوب الحكمة، في حماية نفسه بدفع الأذى عنها، والاحتكام إلى أنظمة المجتمع الكافلة لحمايته أو الهجرة إلى المكان الذي يجد فيه الأمان على دينه، ونفسه وماله وعرضه، وإن لم يكن هذا فإن عليه تقدير المفاصد والمصالح ودرء الضرر عن نفسه بأقل الأضرار، وعليه الصبر والاحتساب ودعاء الله بالفرج.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الكفالة - باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، حديث رقم: ٢٢٩٧ (٣/٩٧).

(٢) سورة ص: ٢٩.

وليعلم أن الأنبياء وأتباعهم قد لاقوا صنوف من البأس والأذى؛ فصبروا حتى أتاهم نصر الله، قال الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ)^(١). قال الإمام الطبري في تفسيره : (أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسوله تدخلون الجنة، ولم يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسول من الشدائد والحن والاختبار، فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من "البأساء" - وهو شدة الحاجة والفاقة - "والضراء" - وهي العلل والأوصاب - ولم تزلزلوا زلزالهم، يعني: ولم يصيبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى يستبطى القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريب، وأنه مُعليهم على عدوهم، ومظهرهم عليه، فنجز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا)^(٢) ومن الآية، يجب أن يعرف المدعو أنه ليس الوحيد على هذا الطريق، وله سلف، وله رفقاء في مرحلة حياته، ولهم خلف؛ فمن واجبه الصبر والتوكل على الله، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين من معه، ولم يخلفهم .

٤ - تعلم العلم الشرعي والحرص على القرآن والأخذ بفضائله:

إن محبة العلم والحرص عليه، من أعظم المؤثرات في المدعو، ومتى تمكن العلم من قلبه وعقله، أصبح في حصن من الجهل، وعلى بصيرة من دينه ودنياه (وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تَمْنَعُوا الْعِلْمَ أَحَدًا فَإِنَّ الْعِلْمَ أَمْنٌ لِحَبَانِهِ. فَأَمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ الدَّاعِي دِينِيًّا نَظَرَ فِيهِ فَإِنْ كَانَ مُبَاحًا، كَرَجُلٍ دَعَاهُ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حُبُّ التَّبَاهَةِ وَطَلَبُ الرَّئَاسَةِ، فَالْقَوْلُ فِيهِ يُقَارِبُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فِي تَعْلِيمٍ مِنْ قَبْلِ: لَأَنَّ الْعِلْمَ يُعْطِفُهُ إِلَى الدِّينِ فِي ثَانِي حَالٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُبْتَدئًا بِهِ فِي أَوَّلِ حَالٍ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ لِنُغَيِّرَ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا فَدَلَّنَا عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا)^(٣) وتكمن قوة العلم بالعمل به، وبهما تكون قوة دين المرء وصلابته، وقد كان ﷺ يحب العلم إلى نفوس أصحابه، وأعظمه كتاب الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ « فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ »^(٤). فإن المدعو الناصح لنفسه، يستثمر وقته مع العلم

(١) سورة البقرة: ٢١٤ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٢٨٨ .

(٣) أدب الدنيا والدين، على بن محمد بن حبيب الماوردي، القاهرة: دار الفكر للنشر، ص: ٨٩ .

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، حديث رقم: ١٩٠٨ (١٩٦/٢).

والعلماء، ويحرص في زمن الفراغ والقوة على العلم قبل أن يشغل أو يضعف، لأن عمر الإنسان مراحل منقضية، يجب أن يغتنمها المسلم في طلب الهداية بالعلم في الزمن المناسب قبل فواته، عن قيس بن أبي حازم^(١) قال: أتينا أبا هريرة نسلم عليه قال: قلنا حدثنا فقال: «صحب رسول الله ﷺ ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل مني فيهن، ولا أحب إلي أن أعني ما يقول الله ﷻ فيهن وإني رأيته يقول بيده: «قريب بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وتقاتلون قوماً صغار الأعين، حمر الوجوه، كأنها الجان المطرقة والله لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيبيعه ويستغني به ويتصدق منه، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله يؤتيه أو يمنعه وذلك أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» «وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»^(٢).

وحرص المدعو على فضائل السور من كتاب الله يجعله من المهتدين لخير الأعمال؛ لفضل بعض السور وعموم خيرها، وعموم فضل وخير القرآن، عن عقبة بن عامر يقول: «تعلقت بقدم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرئي سورة هود وسورة يوسف. فقال لي رسول الله ﷺ: يا عقبة بن عامر إنك لم تقرأ سورة أحب إلى الله عز وجل ولا أبلغ عنده من {قل أعوذ برب الفلق}»^(٣).

٥- أخذ الأمر معاينة فليس الخبر كالمعاينة:

إن من أعظم الأثر في نفس المدعو وعقله، ما يكون الأمر فيه صادراً عن رغبة ومحبة، فيكون عميق الأثر، عندما يرى ويسمع، وهذا ما يقرره قول طالب العلم لشيخه^(٤):

كانت مسألة الركبان تجربنا *** عن علمكم ثم عنكم أحسن الخبر
ثم التقينا وشاهدت العجائب من *** غزير علم همته دقة النظر
فقلت حينئذ: والله ما سمعت *** أذنأي أحسن مما قد رأى بصري

(١) قيس بن أبي حازم العالم الثقة الحافظ، أبو عبد الله البجلي الأحمسي، الكوفي واسم أبي حازم عبد عوف بن الحارث ويقال اسمه عوف بن عبد الحارث بن عوف، مات سنة أربع وتسعين، وقيل سنة أربع وثمانين وقيل سنة ست وثمانين، انظر الثقات لابن حبان (٣٠٧/٥) والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١٣٨/٢) ورجال صحيح البخاري (٦١٣/٢) ورجال مسلم (١٤٤/٢)، و سير أعلام النبلاء (١٩٨/٤).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة - حديث رقم: ١٠١٥٢ (١٣٦/١٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين - حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، حديث رقم: ١٧٤١٨ (٦٣٤/٢٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٤) تنسب إلى أبي القاسم محمد ابن هانئ الأندلسي وإلى غيره قاله ابن خلكان في (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر ج ٦، ص: ٤٧).

فإن ملاقاته العلماء والارتحال في طلب العلم سنة السلف الصالح، فمن أجل العلم والهدى، كانت الركبان تضرب بالإبل أكباد البلدان وتشق الصحراء والفيافي، عن أبي عبيدة عن رجل قال: «قلت لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك أحب أن أسمعه منك؟ قال: نعم، لما بلغني خروج رسول الله ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة، خرجت حتى وقعت ناحية الروم، وقال: - يعني ببغداد - حتى قدمت على قيصر: قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه، قال: فقلت: والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرنني وإن كان صادقاً علمت، قال: فقدمت فأتيته فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاثاً قال: قلت: إني على دين، قال: إنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، أنت من الركوسية^(١) وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، فقال: أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة^(٢)؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد، قال عدي بن حاتم: فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها»^(٣).

إن أسلوب النبي ﷺ غير وجه الكراهة والتكذيب من حياة عدي بن حاتم رضي الله عنه، إلى المحبة والتصديق، حيث صيغة الأسلوب تعددت في موقف واحد من دعوته ﷺ لحاتم بتكراره كلمة (أسلم تسلم) ثلاث مرات، وإخباره عن حقيقة دينه من النصرانية الذي هو عليها، وبيان مخالفته لأمر دينه، وإخباره عن حقيقة ما يدور في نفسه مما يمنعه عن الإسلام، والتأكيد له على قوة دين الإسلام وظهوره على الدين كله، وهزيمة أعدائه، وأمن الناس به وثرانهم. فإن هذا الأسلوب أثر في نفس حاتم وأسلم ﷺ.

(١) الرُّكُوسِيَّةُ قوم لهم دين بين النصارى والصابئين، وهذا من نعت النصارى ولا يعرب. أما الركس في العربية من (ركس) الركس الجماعة من الناس وقيل الكثير من الناس والركس شبيه المعنى بالرجيع يقال ركست الشيء وأركسته إذا ردّته ورجعته، والمركوس والمركوس المدبر عن حاله والركس رد الشيء مقلوباً أنظر: لسان العرب لابن منظور (١٠٠/٦).

(٢) الحيرة بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من خم النعمان وآبائه والنسبة إليها حاري، وقيل سميت الحيرة لأن تبعاً الأكبر لما قصد خراسان، خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم: حيروا به أي أقيموا به، وقيل غير ذلك، والحيرة أيضاً محلة كبيرة مشهورة بنيسابور ينسب إليها كثير من المحدثين، والحيرة أيضاً قرية بأرض فارس. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٢٨/٢).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، حديث رقم: ١٨٢٦٠ (١٩٦/٣٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: بعضه صحيح وهذا إسناد حسن.

٦- التمسك بمواطن القوة:

عن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب حين عمي - قال: سمعتُ كعب بن مالك رضي الله عنه يُحدثُ حينَ تخلّفَ عن النبي ﷺ في غزوة تبوك بطوله، قال في حديثه «ولقد شهدتُ مع النبي ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها»^(١).

إن من مواقف الإسلام الشهيرة، بيعتنا العقبة، وهما بيعتان على الإيمان والنصرة بين النبي ﷺ والأنصار من المدينة قبل الهجرة، وكان لهما الأثر الكبير في نصرته الإسلام وانتشاره، ولهما الأثر في نفوس من حضرها، حتى أصبحت ميزة لهم ومأثرة، وهما كما هو الحال فيمن حضر بدرًا تميزوا عن غيرهم بهذا الفضل، ومن هذا الموقف نأخذ درسًا في أثر المحبة على شخصية المدعو، فعندما يصاب المدعو بمصيبة، كما أصيب كعب رضي الله عنه حال تخلّفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ورمي الناس له بالنفاق والخذلان، أخذ الطريق الصحيح في علاج موقفه بالصدق مع النبي ﷺ والتوبة إلى الله بصدق، وتحمل الحكم الشرعي بحقه، ولاقَى هجر الناس له بالصبر، حتى جاء الفرج بقبول توبته. وهذا الشعور يبقى مع كعب إلى آخر عمره، حيث عمي ويتذكر مواطن القوة عنده في إسلامه وهو مشهد ليلة العقبة. ومنه ندرك أن المدعو يتأثر بمحبة مشاهد الخير ومواقف الشرف في حياته لما لها من الأثر القوي في نفسه، وهنا على الداعية أن يذكر المدعو بما كان منه من هذه المواقف لبعث كوامن الخير لديه، ويكون أدعى للاستجابة لمواقف أخرى؛ بالصبر والمصابرة وأدعى للثبات على الحق. والمدعو يلزمه أخذ العبر من حياته، والتمسك بمواطن القوة في شخصه وحياته، ويجدد العزم له ولغيره بالثبات على الحق، والالتزام بالخير ظاهره وباطنه، أوله وآخره.

٧- الحرص على حسن الختام باتباع الحق وإجلال أهله:

إن طالب الهداية عندما يدرك الحق ويعرف ما كان عليه من الضلال وخطر ذلك على نفسه؛ فإنه يستمسك بالحق بقوة، ويبدأ بمحاسبة نفسه، والاستعاضة عما فات بما هو آت، ولكن هناك عقبة خطيرة، يتجاوزها أهل الإخلاص ويتعثر عندها أهل النفاق، وهي ساعة الفراق من الدنيا فإما إلى حسن الخاتمة أو إلى سوء ختام، وعلى كل مهتد بعد ضلالة، بل كل من شملته دعوة الإسلام واهتدى، أن يحسب لهذا الزمن الحاسم حساب خاص بأن يغلب الرجاء في حال الشدة والمرض وأن يغلب الخوف في حال الرخاء والصحة وأن يعتدل بهما في حال اعتدال أمر الحياة، فإن الخوف والرجاء في إيمان المرء بمترلة الجناحين للطائر والمحبة بمترلة الرأس والثلاثة تعبر عن معنى العبودية ذكرها الشيخ عبد المحسن القاسم في شرح^(٢) الأصول الثلاثة قال: (وأركان العبادة الخوف، والرجاء، والمحبة، ويجب على العبد الإتيان بها جميعاً قال ابن

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب حديث كعب بن مالك، حديث رقم: ٣٨٨٩ (٥/٥٤). انظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم: ٧١٩٢ (٨/١٠٥).

(٢) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول، عبد احسن بن محمد القاسم، ط ١، ١٤٢٧ هـ. ج ١، ص: ٦٦.

القيم رحمه الله: قال بعض السلف^(١): " من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديقٌ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌّ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن، وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه} فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عبادته وأوليائه ". والحببة تجلب الخوف والرجاء قال ابن القيم رحمه الله: " كل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب الحب يشتد خوفه ورجاؤه " ^(٢) وعن ابن شماس المهريري قال: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه - وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - . فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ . فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ! أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا ؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا تُعَدُّهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثَ . لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي . وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ . فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ . فَبَسَطَ يَمِينَهُ . قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي . قَالَ : « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ » قَالَ قُلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ . قَالَ : « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟ » قُلْتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِي . قَالَ : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ » وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ . وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ . وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ . وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ ، فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَتًّا . ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحِرُ جُزُورٌ وَيُقَسِّمَ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رَسُولَ رَبِّي . ^(٣)

(١) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، بيروت: المكتبة الإسلامية، ط ٧، ١٤٢٦هـ، ص: ١١٢ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ، ج ٢، ص: ٤٣ .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، حديث رقم: ٣٣٦ (٧٨/١) .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٤٦٧ - ٤٦٨.

وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ^(١) وخلاصة القول هنا أن يحرص المدعو على العلم ويأخذه من مصدره الموثوق بالدليل، فهو السبيل القويم في طلب الهداية.

٩- محبة حلق الذكر والحرص على الإيمان:

إن من اللوازم الهامة في حياة المدعو أن يعطي نفسه حقها من الدنيا، وألا يشغله ذلك عن حظها المقدم من الآخرة، ومن أفضل ما يلزمها في ذلك، الذكر ومجالس العلم وهما من عوامل زيادة الإيمان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فعضب الرجل، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْجَالِسَ الَّتِي تُبَاهِي بِهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(٢). وكما أن الذكر والعلم من عوامل زيادة الإيمان، فإن المسلم يعرف بهما حقيقة الدين. ومعرفة الدين الحق هي أسمى الغايات، وبها تسخر الدنيا في طلب الآخرة. والمال من أهم أمور الدنيا، فهو وسيلة التبادل في المعيشة ويستخدم وسيلة لتأليف قلوب المدعويين، لما له من محبة في النفوس، ويتنافس فيه الناس، ولكنه يهون عندما يقوى الإيمان، وتذكر حقيقة الدنيا والآخرة، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا. فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَسْلُمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا. فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا^(٣).

١٠ - الدعاء وطلب الدعاء من أهل الاستجابة:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشَفَ قَدَمِي. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَأَعْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دَرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

(١) سورة المائدة : ٤.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، حديث رقم : ١٣٧٩٥ (٣٠٩/٢١). تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب ما سنل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه، حديث رقم: ٧٤/٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الطب- باب من اکتوی أو کوی غیره وفضل من لم یکتو، حدیث رقم: ٥٧٠٥ (٧/ ١٢٦) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب الدلیل علی دخول طوائف من المسلمین الجنة بغير حساب ولا عذاب حدیث رقم: ٥٤٧ (١/ ١٣٧).

أخبر ﷺ أن عُكاشة من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وقد وقع ما أخبر به ﷺ فإنه قُتل شهيداً في سبيل الله عز وجل وفي هذا دليل من أدلة النبوة^(١)

وقال شيخ ابن تيمية في كتابه قاعدة جلية في التوسل والوسيلة: (بل طلب الدعاء مشروع من كل مؤمن لكل مؤمن)^(٢) وهنا يستدرك على بعض الدعاة مما يصدر عنهم من القول والفعل، ممن رأى منكراً أو معصية صغيرة أو كبيرة، ويبدأ باللعن أو الشتم، والتوبيخ والتقيح لصاحبها، دون أن يدرك الموقف بمعرفة أسباب الوقوع في هذه المعصية، ويغفل من شدة ما رأى من المنكر عن الدعاء لهم بالهداية والصلاح، و يغفل عن دوره الدعوي الصحيح المرتبط بالتصحيح، ويتعد، أيضاً، عن مقتضيات الحكم الشرعي تجاههم فيما يخصه أو فيما يخص السلطان من الأحكام وغيرها. فلا بد من الحكمة في معالجة عصيان العاصين من الأقربين والأبعدين ومن ذلك الدعاء لهم بالهداية والصلاح. ودراسة الموقف دراسة واعية تقوم على النقل الصحيح الثابت لمقاصد الأدلة، وأحكامها الشرعية مع استقصاء لمعقولية التصرف أو عاطفة القلب ومصادر الشك والريبة، وكل أمر مرجعه إلى العلماء والسلطان يكون فيه الخير والرشاد للدعاة والمدعوين.

(١) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٩٠

- ٩١ -

(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عجمان: مكتبة الفرقان، ط ١،

١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٨٤.

المطلب الثاني: عوائق الاستجابة

إن الدعوة إلى الله تعالى، هي مهمة الرسل عليهم السلام، وطريقة من اقتفى أثرهم من أهل العلم المستقين وأهل البلاغ المبين، ولقد أرسل الله المرسلين حجة على الناس، مبشرين ومنذرين، وكانت دعوتهم من قبل المدعويين على طرفي نقيض بين الاستجابة والقبول والمساندة وبين الرفض والمعارضة والمخاربة، وهو الصراع بين الحق والباطل وحقيقة العداء بين الشيطان وبني آدم، قال الله تعالى: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجْبِلِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا^(١) فإن الدعاة إلى الله يتعاملون مع أصناف مختلفة من البشر، في سبيل دعوتهم إلى الحق، ولا بد لهم أن يدركوا أن هؤلاء المدعويين في مواجهة مع كثير من العقبات الدائمة أو المؤقتة التي تقف حائلا دون استجابتهم للدعوة، ومن فقه الدعوة أن ندرك أنه لا بد للدعاة من العمل على إزالة هذه العوائق، للتمكن من قبول الدعوة وحث المدعويين بالعمل على تجاوزها، ولما للمحبة من أثر في شخصية الدعاة والمدعويين، وأثر في ثبات المعوقات أو إزالتها، حيث هي من الأسباب الظاهرة أو الباطنة في الاستجابة والهداية أو الرفض والمعارضة، ويندرج ذلك في محبة الإنسان للحياة الدنيا، واغتراره بزخرفها، قال الله تعالى: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)^(٢) وقال الله تعالى: (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۖ) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا^(٣) قال الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة، يعني، الدنيا، يقول: يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها) وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (يقول: ويدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ)^(٤) ومن أحب الأشياء من زخرف الحياة الدنيا المال، وهو خطر على صاحبه إن لم يحسن العمل به سواء في المكسب أو الإنفاق ، قال الله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۖ) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۖ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ^(٥) قال البغوي في تفسيره: ({ وَإِنَّهُ } يعني الإنسان، { لِحُبِّ الْخَيْرِ } أي حب المال، { لَشَدِيدٌ } أي: لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه حب الخير لقوي، أي شديد الحب للخير أي المال)^(٦) وهنا من الأهمية

(١) سورة الكهف: ٥٥ - ٥٦.

(٢) سورة القيامة: ٢٠ .

(٣) سورة الإنسان: ٢٧ - ٢٨ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ١١٧.

(٥) سورة العاديات: ٦ - ٨ .

(٦) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧

هـ، ج ٨ ، ص: ٥٠٩ .

بمكان، بيان أثر المحبة في تكوين عقبات أمام استجابة المدعوين للدعوة، و سأعرض بعض هذه العوائق المتعلقة بلفظ الحب، مستدلاً بنصوص الكتاب والسنة حسب محاور نصوص الاستشهاد فيها، كما يلي:

(١) حب المنصب والجاه:

إن الإنسان مجبول على حب التملك وحب الرئاسة، حيث يشعر من خلاهما بقيمة الفخر والاعتزاز والقوة، وتبعاً للصفات الشخصية والقدرات الذاتية والظروف الاجتماعية، يتمكن الإنسان من البروز على غيره إما لكثرة ماله أو ما وصل إليه من جاه أو سلطان، ومتى تمكنت هذه من النفس في صورة منحرفة ولم تؤخذ بميزان الاعتدال والشرع؛ فإنها تصل بصاحبها إلى الغرور والطغيان، بل يتعدى الأمر إلى الوصول به إلى مواطن الهلاك في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴿١﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٢﴾ ۖ وَمِنْ مَوَاقِفِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَنَّ نَابِتَةَ النِّفَاقِ فِي مَوَاقِفِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ كَانَ سَبَبُهَا حُبُّ الرِّئَاسَةِ، حَتَّى أَصْبَحَ أَصْحَابُهَا حُرْبًا عَلَى الدَّعْوَةِ وَشَخْصِيَّاتِهَا، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَذَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةُ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْأَوْثَانُ وَالْيَهُودُ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ حَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ قَالَ: لَا تَغْبِرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاغْشَيْنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحْبُ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَنَاقَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، فَارْكَبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ (يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي) قَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَجَّوهُ فَيُعَصِّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ» (١).

(٢) المعتقدات الباطلة والموبقات كالسحر:

إن دعوة الإسلام هي الحق، والحق أبلغ كضياء الشمس، ولا يحجب عن قلب المرء إلا بغطاء غليظ من الضلالات والموبقات، ومن أعظمها الاعتقاد في الأشخاص والأماكن دون أفضلية مشروعة في حقها، و تعلم العلوم التي تبني على الباطل وادعاء علم الغيب، كعلم الكهانة والعرافة، والأنواء، والأبراج،

(١) سورة العلق: ٦ - ٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}، حديث

رقم: ٥٦٦٣ (١١٨/٧).

واستخدام الجن والشياطين، قال الله تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) ﴿١﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَرْتُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدُّهُ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبُرْجِ كَانُوا أَكْثَرًا (١) وأصل دعوة الإسلام أن الشرك بالله أعظم الذنوب، - وهو النقيض لمعنى التوحيد - في الاعتقادات أو صرف الأعمال والأقوال لغير الله تعالى، والتمسك بهذا الإثم العظيم، أحد العوائق العظيمة في الصد عن دين الله وعدم الاستجابة له، فمن واجبات الدعاة إلى الله الكشف عن حقيقة الشبهات التي تربل عوامل التمسك بالشرك عند المشركين من بيان ضعف الآلهة وعدم قدرتها على النفع والضرر أو الخلق والأمر، وبيان زيف التعصب لما عليه الآباء والأجداد من الأفكار الباطلة والعقائد الفاسدة، ويتم كشف هذا الأمر بمخاطبة العقل فتستجيب الفطرة، قال الله تعالى: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (٢) وعلى الدعاة أيضا، أن يحذروا من مجالسة المنحرفين في العقيدة والسلوك لخطورة التأثير بين المتجالسين والقرناء، (عن أبي الحارث قال: سألت أبا عبد الله فقلت: إن ههنا رجلا يناظر الجهمية، ويبين خطأهم، ويدقق عليهم المسائل فما ترى؟ قلت: «لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء، ولا أرى لأحد أن يناظرهم، أليس قال معاوية بن قرة: الخصومة تحبط الأعمال، والكلام الرديء لا يدعو إلى خير، لا يفلح صاحب كلام، تجنبوا أصحاب الجدل والكلام، عليكم بالسنن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض في أهل البدع، والجلوس معهم، وإنما السلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال، والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه» (٣) ومن أعظم الموبقات السبع (٤) التي نهى عنها الإسلام والمعارضة لمسلمات الدين الحق بعد الشرك، تلبس المرء بأوهام السحر وباطله، فإنه سبيل إلى الكفر الذاتي بالله، وسبيل لنشره، وسبيل لإيذاء المؤمنين، ولا طريق إلى الخلاص منه إلا بالتوبة النصوح والابتعاد عن أهله وفتنتهم، قال الله تعالى: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) (٥) ومن قواعد الشريعة: (ما بني على باطل فهو باطل) وقد قام السحر على أصل الكفر بالله، ومن السنة النبوية نعلم من حديث الغلام، أن السحر من مساخط الله وليس من محابه، بل هو مضاد للوحي والحق الذي جاء به المرسلون، عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ. فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ

(١) سورة الإسراء: ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة النحل: ١٧.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي وآخرون، الرياض: دار الراجعية، ط ٢، ١٤١٥هـ - ج ٢، ص: ٥٤٠.

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). رواه البخاري في كتاب الوصايا - باب قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى)، حديث رقم: ٢٧٦٦ (٤/١٠).

(٥) سورة البقرة: ١٠٢.

غُلَامًا أَعْلَمَهُ السَّحَرُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ. فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ. فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ. فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبَهُ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ. فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ، الْيَوْمَ، أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى. فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلُّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ. فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَأَمِنَ بِاللَّهِ. فَشَفَاهُ اللَّهُ. فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ. فَجِيءَ بِالْغُلَامِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ. فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى فِدْعًا بِالْمُشَارِ. فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّه حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى. فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّه بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا. فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُرَةٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ. فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ. ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي. ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ. ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ. ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ. ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ. فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ. فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّ فَخُذَّتْ وَأَضْرَمَ

النَّيْرَانِ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا. فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا. فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمِّهِ اصْبِرِي. فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(١). وفي هذا الحديث دروس عظيمة، من أهمها أن السحر من عوائق الاستجابة لدين الله وسبب في الإضرار بالدعوة الحقّة وأهلها. ويجب على المدعو أن يستبين الحق من الباطل ويصبر على الأذى في سبيل ذلك. قال الغلام: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ) وما قرره العلماء في الفرق بين السحر وغيره مما يشبهه به في أمر الإسلام قال القرطبي في تفسيره: (في الفرق بين السحر والمعجزة، قال علماؤنا: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد. والمعجزة لا يمكن الله أحدا أن يأتي بمثلها وبمعارضتها، ثم الساحر لم يدع النبوة فالذي يصدر منه متميز عن المعجزة، فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها)^(٢)

٣) حب المال:

قال الله تعالى: (وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا)^(٣)، قال الإمام الطبري في تفسيره أي: (وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا، من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع)^(٤) إن محبة الإنسان للمال أمر فطري، والسعي في اكتسابه وجمعه يختلف الناس فيه، بين محسن ومسيء، وذلك لاختلاف الناس في الغايات من جمعه وطرق اكتسابه وسبل إنفاقه، والبخلاء هم أعداء لأنفسهم، أعداء لغيرهم بما اتصفوا به من الشح، فقد حرموا غيرهم من حق الله في المال من الصدقات، وحرّموا أنفسهم الطهارة والزكاة قال الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)^(٥) فإن الحرص الشديد على المال ودخوله إلى القلب يحرم صاحبه الخير الكثير، ومن أكبر ما قد يضر صاحبه به، أن يمنعه من الاستجابة لدعوة الإسلام، هربا من الزكاة كما فعل المرتدون عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو من أعظم

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم: ٧٧٠٣ (٢٢٩/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ٢، ص: ٤٧.

(٣) سورة الفجر: ٢٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤١٥.

(٥) سورة آل عمران: ١٨٠.

البركات على صاحبه في الاستجابة لأمر الله فيه قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)^(١) وقد أدرك النبي ﷺ حب بعض الناس للمال فعمل على استخدامه في جذب المدعوين إلى الإسلام عن طريق حبهم للمال، إنقاذاً لهم من النار، عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالسٌ فيهم، قال فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً لم يُعطه — وهو أعجبهم إليَّ — فقامتُ إلى رسول الله ﷺ فساررتُته فقلتُ: ما لك عن فلان، واللهِ إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً. قال فسكتُ قليلاً، ثم غلبي ما أعلم فيه فقلتُ: يا رسول الله، ما لك عن فلان، واللهِ إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً. قال فسكتُ قليلاً، ثم غلبي ما أعلم فيه فقلتُ: يا رسول الله ما لك عن فلان، واللهِ إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً يعني: فقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشيةً أن يكِبَّ في النار على وجهه»^(٢).

ومن التأثير السلبي لحب المال على صاحبه، الفرح به على سبيل الفخر والكبر والمرح والتكاثف، وهذا غير محمود في الشرع، وفي قصة قارون المثل الأعلى على ذلك، بوب الإمام البخاري يرحمه في صحيحه (باب : إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)^(٣) (لَتَنُوءُ) لَتَثْقُلُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (أُولَى الْقُوَّةِ) لَا يَرْفَعُهَا الْعُصْبَةُ مِنَ الرَّجَالِ، يُقَالُ (الْفَرِحِينَ) الْمَرَحِينَ (وَيَكُنَّ اللَّهُ) مِثْلُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (وَيُوسِّعُ عَلَيْهِ وَيُضَيِّقُ)^(٤). قال السعدي في تفسيره : (يخبر تعالى عن حالة قارون وما [فعل] وفعل به ونصح ووعظ، فقال: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى } أي: من بني إسرائيل، الذين فضلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيته من الأموال العظيمة المطغية { وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ } أي: كنوز الأموال شيئاً كثيراً، { مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ [أُولَى الْقُوَّةِ] والعصبة]، من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى أن مفاتيح خزان أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ { إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ } ناصحين له محذرين له عن الطغيان: { لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على

(١) سورة الحديد: ١٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة- باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلخافاً) وكلم الغنى، حديث رقم: ٢٧. صحيح البخاري- طوق النجاة (١ / ١٤) وانظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة- باب إعطاء من يخاف على إيمانه، حديث رقم: ٢٤٨٠ (٣/١٠٤).

(٣) سورة القصص : ٧٦.

(٤) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حسب ترقيم فتح الباري، القاهرة: دار الشعب، ط ١، ١٤٠٧، ج ٤، ص: ١٩٣.

محبته^(١). وعندما صده حب المال عن الاستجابة للحق كانت النتيجة المهلكة أن خسف الله به وبداره الأرض، والميزان في المال أداء حق الله فيه، والاستمتاع به في المباحات، والإكثار من الخيرات، عن أبي العلاء بن الشخير^(٢): «أن الأحنف بن قيس رضي الله عنه حدثهم قال: «جَلَسْتُ إلى مَالٍ من قُرَيْشٍ، فجاءَ رجلٌ خَشِنَ الشَّعْرَ والشَّيَابَ والهِئَةَ، حتى قامَ عليهم فسَلَّمَ ثم قال: بَشِّرِ الكَانِزِينَ بِرَضْفٍ^(٣) يُحْمَى عليه في نارِ جَهَنَّمَ ثم يُوضَعُ على حَلْمَةِ ثَدْيٍ أحدهم حتى يَخْرُجَ من نُغْضٍ^(٤) كَتِفِهِ، ويوضَعُ على نُغْضِ كَتِفِهِ حتى يَخْرُجَ من حَلْمَةِ ثَدْيِهِ يَنْزَلُ. ثم وَلَّى فجلسَ إلى سارية. وتبعته وجلستُ إليه وأنا لا أدري مَنْ هو، فقلتُ له: لا أَرَى القومَ إلا قد كَرِهوا الذي قلتَ؟ قال: إنهم لا يَعْقِلُونَ شيئاً» قال لي خليلي — قال قلتُ: مَنْ خليلك؟ قال: النبي ﷺ: «يا أبا ذرٍّ أَتَبْصِرُ أحداً؟ قال: فنظرتُ إلى الشمسِ ما بَقِيَ منَ النهارِ، وأنا أَرى أنَ رسولَ الله ﷺ يُرْسِلُنِي في حاجةٍ لَهُ، قلتُ: نعم. قال: ما أَحَبُّ أنَ لي مثلَ أَحَدٍ ذَهاباً أَنْفَقَهُ كُلُّهُ إلا ثلاثةَ دنانيرَ. وإنَّ هؤلاءَ لا يَعْقِلُونَ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا. لا والله، لا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَاً لا أَسْتَفْتِيهِمْ عن دينٍ حتى أَلْقَى اللهَ»^(٥).

قال ابن حجر في شرحه للحديث: (قوله: وإن هؤلاء لا يعقلون، هو من كلام أبي ذر كرره تأكيداً لكلامه، ولربط ما بعده عليه، باب إنفاق المال في حقه، وأورد فيه الحديث^(٦) الدال على الترغيب في ذلك، وهو من أدل دليل على أن أحاديث الوعيد محمولة على من لا يؤدي الزكاة، وأما حديث: ما أحب أن لي أحدا ذهباً، فمحمول على الأولوية؛ لأن جمع المال وإن كان مباحاً، لكن الجامع مسؤول عنه، وفي المحاسبة خطر وإن كان الترك أسلم، وما ورد من الترغيب في تحصيله وإنفاقه في حقه، فمحمول على من وثق بأنه يجمعه من الحلال الذي يأمن خطر المحاسبة عليه؛ فإنه إذا أنفق حصل له ثواب ذلك النفع المتعدي، ولا يتأتى

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦٢٣.

(٢) يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، أخو مطرف، روى عن أبيه: وأخيه، وعمران بن حصين، وعثمان بن أبي العاص، وعائشة، وأبي هريرة، وعياض بن حماد، وأحنف بن قيس. وروى عنه: قتادة، والجريري، وخالد الحذاء، وسليمان التيمي، وكهمس بن الحسن، وقرة بن خالد، وآخرون. وكان أحد العلماء الأثبات، توفي سنة ثمان ومائة، وقيل سنة إحدى عشرة. انظر: تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٧/ ٢٩٣) و تقريب التهذيب (٢/ ٦٠٢).

(٣) الرضف: الحجارة الحماة، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((رضف) الراء والضاد والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على إطباق شيءٍ على شيء. فالرَضْفَةُ: عظمٌ منطبقٌ على الرُّكْبَةِ. فأما الرَضْفُ فحجارةٌ تُحْمَى، يُوغَرُ بها اللَّبَنُ، ولا يكون ذلك بحجرٍ واحد.) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٢/ ٤٠١).

(٤) (نغض) النون والغين والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على هَزٍّ وتحريك التَّاغُضُ والتَّغْضُ: غرضوف الكَتِف. سُمِّيَ لاضطرابه، ويكون للأذن أيضاً. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٥/ ٤٥٤).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب ما أدى زكاته فليس بكثرة، حديث رقم: ١٤٠٨ (٢/ ١٠٨).

(٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.

٤) العصية الجاهلية لملة الآباء والأجداد من الكفر والشرك والبدع:

(٦) سورة البقرة : ١٧٠ .

والمطاردة و الغزو ومحاولات القتل، ومن مواقف السنة في توضيح علاقة الداعية بالمدعو، وأثر العصبية الجاهلية في سوء الخاتمة، موقف النبي ﷺ مع عمه أبي طالب عن ابن المسيب عن أبيه «أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل — فقال: أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزلوا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه. فتركت: (مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)^(١) ونزلت (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)^(٢) نقل ابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير: (قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب. وفي قوله: {مَنْ أَحْبَبْتَ} قولان. أحدهما: من أحببت هدايته. والثاني: من أحببته لقربته. {ولكن الله يهدي من يشاء} أي: يُرشد لدينه من يشاء {وهو أعلم بالمهتدين} أي: من قدر له الهدى)^(٣) ومن فوائد هذا الموقف أن الداعية يجب عليه أن يستمر مع المدعو في دعوته إلى الحق إلى آخر لحظة من حياته ولا ييأس من عدم الاستجابة فيكون بذلك أدى الواجب، ومن لطف الداعية وصدق دعوته الحزن على عدم استجابة المدعو، وخاصة إن كان ممن عرف بالخير والمعروف والنجدة، وأبو طالب عم النبي ﷺ كان كذلك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحاح^(٤) من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه»^(٥).

٥) الثأر وجناية الباطل:

إن الثأر من نتائج العصبية الجاهلية، ويؤدي إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات، وإشعال الحروب، وقتل الخير وحياة الشر، وإن كان الثأر عظيم الفساد في الجاهلية، فهو أعظم عندما يكون في محاربة الدين الحق وحماية الشرك والباطل، فإن الثأر يخرج من وعاء الحق، ومتى تمكن من قلب الشخص أصبح حائلاً له عن رؤية الحق والاستجابة إليه، حيث يقضي على المحبة التي لها الأثر الكبير في الاستجابة للدعوة الحققة، فإن محبة الانتقام غيلة لمحبة الخير والوئام، وموقف المشركين بقيادة أبي سفيان من الثأر ليوم بدر في غزوة أحد،

(١) سورة التوبة : ١١٣ ..

(٢) سورة القصص : ٥٦ .

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، حديث رقم : ٣٨٨٤ (٥/٥١).

(٤) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٦، ص: ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥) من (ضحح) والضَّحْضَاحُ في الأصل ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين واستعاره للنار. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢٤/٢).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب قصة أبي طالب، حديث رقم : ٣٨٨٥ (٥/٥٢).

أمد في عدم استجابة قريش والقبائل لدعوة الرسول ﷺ سنين عديدة، مات من مات فيها على الكفر والشرك ولو كان لهم عبرة بنصر الله الحق على الباطل يوم بدر لكان خيرا لهم، ولكن الانتقام وحب الثأر جعل الأمر في الإعراض يستمر، عن ابن مسعود رضي الله عنه: « أن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس أحد منا يريد الدنيا، حتى أنزل الله عز وجل (مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ) (١) فلما خالف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعة، سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم، فلما رهقوه، قال: رحم الله رجلاً ردهم عنا، قال: فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رهقوه أيضاً، قال: يرحم الله رجلاً ردهم عنا فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: ما أنصفنا أصحابنا، فجاء أبو سفيان فقال: أعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجلّ، فقالوا: الله أعلى وأجلّ، فقال أبو سفيان لنا: عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: الله مولانا والكافرون لا مولى لهم، ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر يوم لنا ويوم علينا، ويوم نساء، ويوم نُسِر، حنظلة بحنظلة، وفلان بفلان، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: لا سواء، أما قتالنا فأحياء يُرزقون، وقتالكم في النار يُعذبون، قال أبو سفيان: قد كانت في القوم مثله، وإن كانت لعن، غير ملاء (٢) منا، ما أمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني، ولا سرتني، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله ﷺ: أأكلت منه شيئاً؟ قالوا: لا، قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار، فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه، فرفع الأنصاري وترك حمزة، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه، ثم رفع وترك حمزة، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة (٣). وفي موقف أبي سفيان من المثلة محبة للانتقام والثأر، وفي موقف هند بنت عتبة محبة للحقد والثأر قد كانت في القوم مثله، وإن كانت لعن، غير ملاء منا، ما أمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني، ولا سرتني، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها وكلاهما لم يسلمتا حتى تمكن الإسلام بالقوة من رقاب المشركين يوم فتح مكة بعد خمس سنين من غزوة أحد. وأسلما يوم الفتح وحسن إسلامهما رضي الله عنهما .

(١) سورة آل عمران : ١٥٢ .

(٢) يقال: وما كان هذا الأمر عن ملاء منا، أي: مملأة ومشاورة . انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٩١/١٥) .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٤٤١٤ (٤١٨/٧) . تعليق شعيب الأرنؤوط عل المسند: حسن لغيره. وروى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير . قال: ووضعهم موضعاً وقال: (إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) .. الحديث .

٦) عنفوان السلطة وجبروت الشر في النفس:

إن المحبة الغائرة في الانحراف من أكبر عوائق الاستجابة لدين الله تعالى في قديم الزمان وحديثه، وتظهر في الطغيان والجبروت سواء كان هذا الطغيان ناتج عن صفات ذاتية أو عن عقائد فاسدة أو أنظمة جائرة، تتمثل في الغرور والاستكبار؛ فقد وقف أمام الأنبياء عليه الملام من أقوامهم حرباً على الدعوة إلى الله فصدوا الناس عن سبيل الله، بل عُدَّ الضعفاء والشرفاء تحت وطأة الظلم حينما استجابوا لدعوة الحق، وليس من إزالة لهذا الطغيان إلا بأساليب ثلاثة: الصبر على الأذى، والهجرة، وإعداد القوة للجهاد في سبيل الله، وهذه السبل هي الأصل لغيرها، وقوة الله هي الغالبة بالإيمان به ودعائه والتوكل عليه، وكم ملئت السجون بالمسلمين في هذا العصر بسبب الاستجابة لدعوة الإسلام أو بسبب مواجهة الجبابة وقوى الظلم للمد الإسلامي أو بسبب الأطماع الاقتصادية أو عنفوان السلطة، وتجاوز عدد القتلى الآلاف إلى الملايين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندما ترى ما تبثه وسائل الإعلام المرئية من أحداث القتل والدمار، لا توصف إلا بالوحشية وانعدام القيم الإنسانية، وقد نقل لنا رسول الله ﷺ صورة من صور الجبروت والطغيان والشر، التي هزمتها قوة الإيمان بالصبر، لنأخذ منها درساً أن الخير غالب للشر، وأن الصبر كالسيف في اليد يمسكه المسلم بقلبه ليقاتل في سبيل الله، فيقتل شهيداً عزيزاً، أو يغلب في معركة الطغيان والظلمة وهو منتصر في الحالين، والصبر سلاح الداعية إلى الله وسلاح المدعو إلى الحق؛ حينما تفقد القوة المادية من السلاح والعتاد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها فقال: يا فلانة، وإن لك رباً غيبي؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مريض، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقترحت. قال: قال ابن عباس «تكلم أربعة صغار عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»^(١). وقد تقدم الحديث عن أصحاب الأخدود في قصة الغلام والملك الكافر الظالم ويتكرر المشهد - صبر المدعو - كما في قصة ماشطة ابنة فرعون: ((فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، حديث رقم: ٢٨٢١ (٣٠/٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْذُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّ فَخُذْتُ وَأَضْرَمَ النَّيرانَ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِم. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا. فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا. فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمِّهِ اصْبِرِي. فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(١).

٧) التمادي في المعاصي والغفلة عن التوبة:

إن الدعاة في حرص دائم على هداية المدعوين إلى الحق والخير والهدى، وكما أن للتربية الأسرية والرفقاء الأثر البالغ في شخصية المدعو؛ فإن طبيعة الذنب الذي يقيم عليه الشخص يمثل عائقا أما استجابته للداعية، وتمثل العلاقة بين المدعو وممارسته للذنب أمرا نسبيا يختلف باختلاف الأفراد والذنوب، وكذلك الذنوب نفسها تمثل فوارق مختلفة في أثرها على المدعو فهناك فرق بين الشرك وسائر الذنوب، وفرق بين من أدمن على المخدرات وبين من لازم المشروبات والحبوب المخدرة، وفرق بين من يمارس الزنا على بكورة وبين من يمارسه على إحصان، وكذلك آفات اللسان وجرائم المال وغيرها. ولا يخفى على الدعاة إلى الله أن التمادي في المعصية يؤدي إلى الغفلة عن التوبة، وارتباط المدعو بالذنب يكون عائقا أمام هدايته، فلا بد من دراسة نفسية المدعو وبث الأمل فيها، وتكوين خطوات عملية تصرفه عن الذنب حتى يستطيع التخلص منه، ومن أعظم آيات الله تعالى في القرآن الباعثة للأمل آية الزمر وآية الفرقان، قال الله تعالى: (قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٢) وبهذه الآية يفرح المؤمنون التائبون ويحبونها حبا عظيما؛ لما أوضحت عنهم من ثقل المعاصي والذنوب، التي تمثل عائقا أمام توبتهم، عن ثوبان عليه السلام مولى رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب أن الدنيا وما فيها بهذه الآية (قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) فقال رجل: يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ، ثم قال: إلا من أشرك - ثلاث مرات -»^(٣). أما آية الفرقان فهي سلوان المذنبين لما علموا من فضل الرحمن الرحيم الذي وعد بإبدال سيئاتهم حسنات، وامتن عليهم بالكرم الذي اتصف به على وجه يليق بجلال عظمتهم وجميل صفحه قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٦﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم: ٧٧٠٣.

(٢٢٩/٨).

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار ﷺ، حديث رقم: ٢٢٣٦٢ (٤٥/٣٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَتْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(١) أما الشرك الأكبر فهو أعظم الذنوب ولا يزول خطره إلا بالدخول في الإسلام ، فإن الإسلام يجب ما قبله، ومن مات عليه فقد استحق عدم المغفرة وضل ضالالا مبينا، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)^(٢)

٨) الاستعلاء وعدم قبول النصيحة:

إن من عوائق الاستجابة لدى كثير من المدعوين الفهم الخاطئ وعدم فقه أمور الحياة، فتجده لا يحب الناصحين ويلزم صحبة الغاوين، وهذا ينتج من مرض نفسي هو الاستعلاء والغفلة، وإذا نصح وقيل له: اتق الله أخذ يتظاهر بتزكية نفسه وسفاهة من ينصحه، ويزداد إقداما على المعصية، قال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ^(٣)) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ^(٤) وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ^(٥)) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ آلَمَهُاد^(٦))، وعن الحارث بن سويد عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله: إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله فيقول: عليك نفسك.^(٧) وبعد أن بين القرطبي في تفسيره أن هذه صفة الكافر والمنافق الزاهي بنفسه قال: (وقيل: العزة هنا الحمية، ومنه قول الشاعر:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ *** فتولى مغضبا فَعَلَ الضَّجْرَ

وقيل: العزة هنا المنعة وشدة النفس، أي اعتز في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذه وألزمته إياه. وقال قتادة: المعنى إذا قيل له مهلا ازداد إقداما على المعصية، والمعنى حملته العزة على الإثم. وقيل: أخذته العزة بما يؤثمه، أي ارتكب الكفر للعزة وحمية الجاهلية^(٨) إن هذا من فساد العقل والنفس فيجب على الدعاة إلى الله اختيار الأسلوب المناسب مع هذه النوعية من المدعوين ولعل النصيحة الفردية واختيار الوقت المناسب لهؤلاء أجدى من غيرهم، وكذلك فإن الفعل أجدى من القول معهم واستخدام الأمور المادية أنفع من الأمور المعنوية، فلو ذهب لآكل الربا بهدية في بيته ومناصحته بطريقة غير مباشرة

(١) سورة الفرقان: ٦٨ - ٧٠.

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) انظر: السنن الكبرى للنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة - ثواب من سبح لله مائة تسيحة، حديث رقم: ١٠٦١٩ (٩/٣١٣). قال الألباني: وهذا إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن الأصبهاني وهو ثقة ثبت من شيوخ البخاري.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ١٩.

بسرّد قصة قارون ومصيره لكان أنفع، وتكرار الزيارة وبيان أحكام المال في الإسلام دون المساس به شخصياً لكان أجدي في إزالة عائق العزلة بالإلثم من طريق استجابته. والله أعلم.

٩ - الفتن :

قال الله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١)

هنا قاعدة عظيمة في تحقيق الأمن والوئام في المجتمع المسلم، وهي أن يوكل كل أمر لأهله، حتى لا تختلط الأمور، ويفقد المجتمع التوازن باختلاط الأفهام، وبروز الخلاف على الساحة الاجتماعية فيتسلط المنافق، ويتسلل العدو، وتهدم قوة المجتمع المسلم، فمن ضرورة الأمن الفكري والاجتماعي الحرص على الوحدة واللحمة بين المسلمين، ذكر الشيخ السعدي في تفسيره المعاني والدروس الهامة لكل مسلم، والمستنبطة من هذه الآية، وهي للداعية والمدعو أقرب، فقال: (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحزناً من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: { لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يوكل مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقدم عليه الإنسان؟ أم لا. فيحجم عنه ^(٢) إن الفتن تعد معوقاً أمام الاستجابة للدعوة عندما ينصرف المرء بجمه وهمة في الانشغال بها عن الحق سواء كانت الفتن الحادثة في المجتمع، أو الفتن الناتجة عن المحبة الفطرية، كفتنة الإنسان بماله وولده أو في طلب شهوته من زينة الحياة الدنيا، أو كانت في كراهة فتن الزمان العارضة كفتن الكوارث من الزلازل والحروب والبراكين أو فتن الشبهات ومحاربة الدين، وقد وصفها النبي ﷺ بسواد الظلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَّا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ

(١) سورة النساء: ٨٢ - ٨٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٩٠.

مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١). وقال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)^(٢) وقال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)^(٣) فيجب على المرء أن يدرك التعامل الشرعي الصحيح مع الفتن، إن كانت فطرية فإن عليه التوازن في المحبة فلا إفراط ولا تفريط، وإن كانت فتن الكوارث فإن عليه الصبر والبعد عن مواطنها والتمسك بالجماعة، وإن كانت فتن في الدين فعليه لزوم الصبر والعلم وألا يذكي لها نارا، فإن لزم بيته وإلا هاجر في سبيل الله، حيث المأمن حفاظا على دينه، قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٥﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَتَّخِذُونَ سَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِجْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴿١٨﴾ وَقَدْ أَبَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُوعَهَا وَشَدَقَهَا عَلَى أَصْحَابِهَا، حتى يكره الحياة ويتمنى الموت، ليس به حب الآخرة وشوقا لما فيها من الثواب، بل هروبا من قسوة الفتن التي يتعرض لها في الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه ما به حب لقاء الله عز وجل»^(٤). قال ابن بطال كما نقل ابن حجر العسقلاني في الفتح معلقا على قوله (قال ابن بطال: تغبط أهل القبور وتمنى الموت عند ظهور الفتن، إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر. انتهى. وليس هذا عاما في حق كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دينه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه)^(٥). وهنا نعلم أن من مهمات الداعية، أن يوجه المدعوين إلى الطريق الصحيح في التعامل مع الفتن، وعلى المدعوين أن يفقهوا أن الفتن معوقا أمام

(١) انظر صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن حديث رقم: ٣٢٨ (٧٦/١).

(٢) سورة الحج : ١١.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٤) سورة النساء: ٩٨ - ٩٩.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة ؓ، حديث رقم: ١٠٨٦٦ (٥٠٣/١٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ١٣، ص: ٧٥.

استجابتهم للحق؛ فيستبصروا بالمنهج النبوي في التعامل مع الفتن بالاستعاذة من مضلات الفتن، وهجرها والصبر على شدتها.

١٠ - غرور الحياة الدنيا:

إن جميع المعوقات والعقبات التي قد تقف حائلاً أمام استجابة المدعوين للدعوة، وتمثل حاجزاً عن الاستقامة على طريق الله المستقيم، إنما هي فروع من غرور الحياة الدنيا، وأفردت بعضها بالذكر سلفاً؛ لشدة خطرها على الإنسان، وقوة أثرها على نفسه، إذا لم يتحرر المحبة المعتدلة فيها. أما المنظومة الشاملة للحياة البشرية على الأرض بجميع الموجودات فيها، فهي أم العقبات وأصل المعوقات، إذا لم يراع المسلم خطرها، ويحذر من غرورها، فقد وصفها الله تعالى بأنها متاع الغرور، حيث الاغترار بها، يعد مزية قدم في الآثام، وسبب في الإعراض عن الاستجابة لأمر الله ورسوله و حجر عثرة في طريق القيام بالطاعات ، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) ^(١) وقال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) ^(٢) وقال الله تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) ^(٣) فإن الدنيا هي الأولى في حياة البشر، ومن هنا أخذ اسمها، لقربها، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (دني) الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد، يُقاس بعضه على بعض، وهو المقاربة. ومن ذلك الدني، وهو القريب، من دنا يدنو. وسُميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دُنياوي ^(٤) ونقيض الدنيا الآخرة، وهي من (آخر) وعند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الهمزة والحاء والراء أصل واحدٌ إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم) ^(٥) والآخر الذي ليس بعده مُنتظر، وقد بين الله تعالى لنا حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ. وهذه الحقيقة لا يدركها إلا من تدبر وتأمل في سائر الأمور الكونية والشرعية، ليفهم علة وجوده في الحياة الدنيا، وصلة ذلك بمصيره في الآخرة؛ فأمن بالله واليوم الآخر وأسلم دينه لله. أما من كفر بالله والدار الآخرة فقد ضل وخسر، قال الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ^(٦) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ^(٦) قال ابن كثير في تفسيره (أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على

(١) سورة النور: ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٣) سورة الرعد: ٢٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٢. ص ٣٠:

(٥) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ١. ص ٧٠:

(٦) سورة النحل: ١٠٦ - ١٠٧.

الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويشبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم، فلا يعقلون بها شيئاً ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئاً، فهم غافلون عما يراد بهم. { لَا جَرَمَ } أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، { أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة ^(١) وأما من اغتر بزينة الحياة الدنيا، وغفل عن الواجبات الشرعية، فقد ظلم نفسه وحسر، وقد يتعدى بهم الأمر إلى الكفر والصد عن سبيل الله، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَعِيدٍ) ^(٢) قال الإمام الطبري في تفسيره: (يعني جل ثناؤه بقوله: (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصي الله فيها، على طاعة الله، وما يقرّبهم إلى رضاه من الأعمال النافعة في الآخرة. (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول: ويمنعون من أراد الإيمان بالله واتباع رسوله على ما جاء به من عند الله، من الإيمان به واتباعه. (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول: ويلتمسون سبيل الله، وهي دينه الذي ابتعث به رسوله (عِوَجًا) تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور. وقول الله عز ذكره: (أولئك في ضلال بعيد) يعني هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة. يقول: هم في ذهاب عن الحق بعيد، وأخذ على غير هدى، وجور عن قصد السبيل ^(٣) ووجوه المقارنة بين الدنيا والآخرة كثيرة بين أطراف وبين تشابه وبين تناقض، فمن وجوه الأطراف؛ فإن الدنيا قبل الآخرة زمناً، والدنيا دار عمل وانتقال والآخرة دار جزاء وقرار، ومن أوجه التشابه، أن ما نرى في الدنيا من أشياء بها المتاع، فإنها في الآخرة بمسمياتها وتختلف في العدد والكيفية، ومن أوجه التناقض بين الدنيا والآخرة، أن الدنيا فانية والآخرة باقية. وقد أمرنا الله تعالى أن نتزود بالأعمال الصالحة في الحياة الدنيا لنسعد بالجنة ونعيمها في الآخرة. وحذرنا من إيثار الدنيا على الآخرة، قال الله تعالى: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ) ^(٤) قال الإمام الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن، المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على أجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة) ^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٦٠٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢ - ٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٦، ص: ٥١٤.

(٤) سورة القيامة: ٢٠ - ٢١.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٧٠.

الفصل الثاني

أثر المحبة في أساليب وسائل الدعوة

المبحث الأول: أثر المحبة في أساليب الدعوة

المطلب الأول: أثر المحبة في الحكمة والموعظة الحسنة

المطلب الثاني: أثر المحبة في الجدل والجهاد

المبحث الثاني: أثر المحبة في وسائل الدعوة

المطلب الأول : أثر المحبة في الوسائل المعنوية

المطلب الثاني: أثر المحبة في الوسائل المادية

الفصل الثاني

أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة

تمهيد

إن الدعوة إلى الله قامت على الدعوة إلى الإسلام بكل معانيه ومبانيه، وشملت أصول الدين وفروعه، وخلق المسلم ومعاملاته، وانطلقت من تحقيق أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وتحقيق الإحسان في العبادات وفي كل شيء، فإن الله يحب المحسنين، قال الله تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(١) ومن الإحسان أن يلزم الدعوة إلى الله المنهج الصحيح، والطريق القويم في تبليغ دعوة الله للناس، فيحسنوا استخدام أساليب الدعوة الشرعية، ويحسنوا اختيار الوسائل الدعوية بضوابط الشرع المرعية، وبذلك يحصل المقصود الشرعي من البلاغ ببذل الجهد في الإرشاد وهداية الناس إلى عبادة الله عز وجل، والتوفيق إلى ذلك في حكم إرادة الله القدريّة، فإن الله يهدي من يشاء بفضلِهِ ورحمته، ويضل من يشاء بحكمته وعدله، والمحبة في الدين قامت على اتباع الهدى والدعوة إلى الله قامت على النصيحة؛ ومن ضل أبي الهدى؛ فحققت مناصحته وحققت مفارقتة، وحق عليه العذاب، والنصيحة عنوان المحبة، والناصح محب الخير لمن ينصح، والذي لا يجب الناصحين مريض في قلبه، قال الله تعالى في دعوة نبي الله صالح عليه السلام: (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنَتْمْ بِهِمْ كُفِرُوا)^(٢) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)^(٣) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيْمِينَ)^(٤) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَوْرُ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ)^(٥) فَإِنَّ النَّصِيحَةَ فِي الدِّينِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِ، غَايَتُهَا تَبْلِيغُ الْحَقِّ وَدَحْضُ الْبَاطِلِ، وَهِيَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ أَسْلُوبٍ حَكِيمٍ، وَلِكُلِّ وَسِيلَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَهَذَا مِنْهُجُ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَتِهِمْ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)^(٦) قَالَ الْبَقَاعِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ اخْبَةِ بَيْنَ صَالِحٍ وَمَنْ اسْتَكْبَرَ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: (ولعله وحد قوله: {رسالة ربي} لكون آيته واحدة {ونصحت} وقصر الفعل وعده باللام فقال: {لكم} دلالة على أنه خاص بهم، روي أنه خرج عنهم في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبيكي، وكان قومه ألفاً وخمسمائة دار، وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم^(٧)). ولما كان التقدير: ففعلت معكم ما هو مقتضى لأن تحبوني لأجله، عطف عليه قوله: {ولكن} لم تحبوني، هكذا كان الأصل ولكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم وخلقاً لهم مع كل ناصح فقال: {لا تحبون} أي حاكياً لحالهم الماضية {الناصحين} أي كل من فعل فعلي من النصح التام^(٨) وبيان الدعوة

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) سورة الأعراف: ٧٦ - ٧٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، حديث رقم: ٥٧ (٢١/١). وانظر صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٢٠٥ (٥٣/١).

(٤) مدائن صالح : ثمود أمة عظيمة من العرب البائدة وهم أبناء ثمود بن جاثر بجيم ومثله كما في القاموس ابن إرم بن سام بن نوح فيلتقون مع عاد في إرم وكانت مساكنهم بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بين الحجاز والشام، وهو المكان المسمى الآن مدائن صالح وسمي في حديث غزوة تبوك: حجر ثمود. انظر: التحرير والتنوير - تفسير ابن عاشور (١٦٦/٨).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ج ٧، ص: ٧٥١.

وإرشادهم للناس يحتاج إلى أساليب وفق الدلائل الشرعية وهذه الأساليب، منها ما جاءت مجموعة مفصلة في قوله تعالى: (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)^(١) قال ابن جرير في تفسيره: (قول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (اذْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقها، وهو الإسلام (بِالْحُكْمَةِ) يقول بوحى الله الذي يوحىه إليك وكتابه الذي يترله عليك (وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تزييله، كالتى عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك)^(٢) ومن هذه الأساليب ما جاءت في آيات أخر مفردة محددة، كقول الله تعالى: (وَفَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٣) وجاءت أساليب الدعوة أيضا في آيات أخر ضمن قصص وأخبار الرسل مع أقوامهم، ومنها ما جاءت في سياق السنة النبوية القولية أو الفعلية كالجدال بالتي هي أحسن وضرب الأمثال وأخبار السابقين، والمباهلة والجهاد بأنواعه، والقدوة الحسنة، وهذه الأساليب وغيرها لها أثر عاطفي وعقلي وحسي على المدعوين؛ يتجلى تأثيره في مدى استجابتهم للدعوة أو إعراضهم، فمتى استخدمت هذه الأساليب ووسائلها الدعوية المعنوية والمادية بشكل صحيح، أثمرت في نتائجها، وحقت النتائج السليمة، ومن عوامل النجاح وقوة التأثير أن تكون المحبة ذات أثر في الأسلوب والوسيلة، أي متضمنة لها؛ بتحقيقها بين الداعية والمدعو وتحقيقها بين المدعو ومضامين الدعوة، وكذلك بين الدعاة أنفسهم، فتكون الأساليب والوسائل مؤثرة ومحبة للنفس ومحقة الغاية من الدعوة بحصول الهداية ونشر المحبة بين الناس على الوجه الشرعي الذي يسعد به الناس في الدنيا والآخرة. ومما يؤكد عليه العلماء التأصيل لمقاصد الشرع الحكيم وهي ثلاثة، قال الشوكاني في كتابه إرشاد الثقات: (وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سورته، وفي غالب قصصه وأمثاله، فهي ثلاثة مقاصد، يعرف ذلك من له كمال فهم، وحسن تدبر، وجودة تصور، وفضل تفكير، المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد الثالث: إثبات النبوات. ولما كانت هذه الثلاثة المقاصد، مما اتفقت عليه الشرائع جميعا، كما حكى ذلك الكتاب العزيز في غير موضع أحببت أن أتكلم هاهنا على كل مقصد منها بإيراد ما يوضح ذلك من الكتب السابقة وعن الرسل المتقدمين، مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها؛ لما في ذلك من عظيم الفائدة وجيل العائدة)^(٤) وفي هذا الفصل أعرض أساليب ووسائل الدعوة وأثرها في إشاعة المحبة وفق ما جاء بلفظ الحب الصريح في الكتاب والسنة، وموضحا أثر المحبة فيها وفق نصوص الكتاب والسنة .

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٧، ص: ٣٢١.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

(٤) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١،

المبحث الأول

أثر المحبة في أساليب الدعوة

تعريف الأسلوب في اللغة:

أصل كلمة أسلوب من (سلب) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (السين واللام والباء أصل واحدٌ، وهو أَخَذُ الشَّيْءِ بَحْفَةٍ واختطاف. يقال سلبتهُ ثوبَهُ سَلْباً. والسَّلْبُ: المسلوب. وفي الحديث: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ". والسَّلْبُ: المسلوب. والسَّلْبُ من النوق: التي يُسَلَبُ ولدها والجمع سُلْبٌ)^(١) وورد عند الجوهري في الصحاح: (سلبت الشيء سَلْباً. والاستلابُ: الاختلاس. والسَلَابُ: واحد السُلْبِ)^(٢) وعند ابن منظور في لسان العرب (الأسلوبُ بالضم: الفنُّ؛ يقال أخذ فلانٌ في أساليب من القول، أي في فنونٍ منه)^(٣)

تعريف الأسلوب الدعوي في الاصطلاح:

الأسلوب في الدعوة إلى الله اصطلاح معاصر، ظهر مع بروز علم الدعوة بين العلوم الشرعية المتخصصة، وكان في السابق ضمن علم أصول الفقه في الدين، ويتمثل في شخصية المسلم من حيث التطبيق لأوامر الشريعة، ومدى تقديره لمسؤولية البلاغ لدين الله ومدى حصيلته من الفقه في الدين وطرق تبليغه، وقد تعددت التعريفات له واجتمعت في معنى واحد، وإن اختلفت العبارات من حيث الضيق والاتساع في المعنى أو التطبيق، وهذا المعنى يحصر في الطرق التي يبلغ بها دين الله للناس، ومن التعريفات المعاصرة له ما يلي:

– د. عبد الكريم زيدان: (العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه وهذه هي أساليب الدعوة)^(٤) ووصف الأساليب الناجحة بأنها التي تقوم على مراحل بقوله (تقوم أساليب الدعوة الناجحة على تشخيص الداء في المدعوين ومعرفة الدواء والتأكيد على ذلك، وإزاحة الشبهات التي تمنع المدعوين

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (سلب).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (سلب).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (سلب).

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٩هـ، ص: ٤١١.

من رؤية الداء والإحساس به، وترغيبهم في استعمال الدواء وترهيبهم من تركه ثم تعهد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم^(١).

- د. محمد البيانوني: (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته)^(٢)

- أن تكون الأساليب ضمن المنهج الدعوي القويم، وهي كذلك، حيث تمثل الأساليب الأمور الموصلة لمضامين منهج الدعوة القويم بتكامل أركانه، فقد عرف الدكتور عبد الرحيم المغذوي أركان منهج الدعوة بأنها: (ما يتم به منهج الدعوة ويقوم عليه، ولا يتحقق وجوده إلا بها)^(٣)

ومما سبق من التعريفات لأساليب الدعوة، يمكن لي أن أحدد الأسلوب الدعوي بأنه: الطريقة الشرعية العلمية القويمة الناجحة التي يستخدمها الدعاة إلى الله في تبليغ دين الله للمدعوين. ومن اليقين أن الحجة تقوى بها الأساليب الدعوية وتضعف، وبها يكون الأثر، وسوف أعرض هنا أثر الحجة في بعض الأساليب الدعوية الرئيسة، والتي جاءت بلفظ الحب حسب نصوص الكتاب والسنة وأبين أثرها في الحجة وأثر الحجة فيها وفق ما يلي:

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ص: ٤٢٠.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢ هـ، ص: ٤٧.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الحليم محمد المغذوي، الرياض: دار الحضارة، ط ١، ١٤٢٩ هـ، ج ١، ص: ١١٤.

المطلب الأول: أثر المحبة في الحكمة والموعظة الحسنة

أولاً: أثر المحبة في أسلوب الحكمة

تعريف الحكمة في اللغة:

أصل كلمة الحكمة من (حكم) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه)^(١) وأورد الجوهري في الصحاح: (الحكم: مصدر قولك حكم بينهم يحكم أي قضى. وحكم له وحكم عليه. والحكم أيضاً: الحكمة من العلم. والحكيم: العالم، وصاحب الحكمة. والحكيم: المتقن للأمور)^(٢) وعند ابن منظور في لسان العرب (وقيل الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويقتنها)^(٣)

تعريف الحكمة في الاصطلاح:

يتضح لنا المعنى الاصطلاحي للحكمة من معانيها في اللغة، والتي تجمل في الإتقان والمعرفة القائمة على العلم وإصابة الحق بالعلم والعقل، وقد فسرت في الشرع بعدة معان منها: السنة^(٤)، ومنها القرآن والفقه به، ومنها الإصابة في القول والعمل، وقيل العلم والعمل به، قال البغوي في تفسيره (وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ} يعني القرآن {وَالْحِكْمَةُ} قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام، قال ابن قتيبة^(٥): هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي الأحكام والقضاء وقيل: الحكمة الفقه. قال أبو بكر بن دريد^(٦): كل كلمة وعظمتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة)^(٧) قال ابن القيم في مدارج السالكين: (والحكمة حكمتان: علمية وعملية فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمرأ قدرأ وشرعاً، والعملية

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (حكم).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (حكم).

(٣) - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (حكم).

(٤) قاله الحسن وغيره، تفسير القرآن العظيم لابن كثير - تفسير سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٦) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٧) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ١٥٢.

كما قال صاحب المنازل^(١): وهي وضع الشيء في موضعه قال: وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تعجله عن وقته ولا تؤخره عنه^(٢) وفي غزوة حنين عالج النبي ﷺ ما وقع في نفوس الأنصار حين تقسيم الغنائم وإعطاء المؤلفة قلوبهم دونهم، قال ابن حجر: (وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤسائهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع، رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم، فسألوا عن الشاة والبعر والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم لهم حيا وميتا، وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه)^(٣) ومن أثر المحبة في أسلوب الحكمة ما يلي:

١ - حكمة القول السديد وقوة البيان:

أمر الله المؤمنين بالقول السديد، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)^(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (قول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة مَنْ كأنه يراه، وأن يقولوا {قَوْلًا سَدِيدًا} أي: مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف) عن عروة بن الزبير «أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله، أوم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت وعليكم ». ومن فوائد الحديث أن المؤمن يجب عليه عدم الجور في القول بل يختار الألفاظ السديدة المناسبة للمقام، وأن يبتعد عن ألفاظ الفحش والبذاءة وأن يتوق السب والشتم، فعندما دخل اليهود واستخدموا التورية في اللفظ بقولهم (السام عليكم) أي الموت عليكم بدل السلام، انتصرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وصرحت لهم بما يستحقونه من الرد وبما لعنهم الله في كتابه، ولكن الحكمة في القول تستدعي أفضل من ذلك وهو الرفق باختيار اللفظ المناسب لهم، واختصار القول كقوله ﷺ (وعليكم) وهؤلاء اليهود وغيرهم من المدعويين في حاجة هنا أثناء القدوم إلى الرفق في القول والأمر كله، فهو من محبوبات الله، ويشير المحبة ويؤدي إلى قبول الدعوة. والدعاة إلى الله كلما استخدموا الرفق نالوا حظهم من الخير والقبول عند الناس.

٢ - حكمة الإحسان للعزیز الكريم إذا ذل:

(١) أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي . المتوفى : ٤٨١ هـ .
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، ج ٢، ص: ٤٧٨ - ٤٧٩ .
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ ، ج ٨ ، ص: ٤٩ .
(٤) سورة الأحزاب: ٧٠ .

إن الحياة لا تصفو لأحد؛ لما فيها من الكدر والعثرات، وهذه المواقف لها مرارة وضيق على نفس الإنسان، ومن الحكمة في الدعوة أن يستثمر موقف العسر بتقديم اليسر لصالح هداية الناس، وذلك بتقديم العون والمساعدة، حيث تكون النفس مهيأة للقبول من وقف معها في ساعة العسرة، فضلاً على أن من خصال المسلم إغاثة الملهوف، وتفريج كرب المكروب، ونستلهم هذا الدرس الكريم من مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، عن أبي هريرة، يقول: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْلاً قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ^(١)، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ؟ يَا ثُمَامَةُ!» فَقَالَ: عِنْدِي، يَا مُحَمَّدُ! خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ. وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ. وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ. حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ. فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ؟ يَا ثُمَامَةُ!» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ. إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ. وَإِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ. فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ؟ يَا ثُمَامَةُ!» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ. فَاعْتَسَلَ. ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمُرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ؟ فَقَالَ: لَا. وَلَكِنِّي أَسَلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. وَلَا، وَاللَّهِ! لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ^(٢).

إن موقف النبي ﷺ مع ثمامة ؓ أعطى دلالة كبرى على أثر المحبة في أسلوب الحكمة، حيث تولد عن الإحسان للكرام في موقف الذل، حب عظيم، قلب الكراهة الخالصة إلى مودة خالصة، ومن الحكم

(١) اليمامة منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة، وفتح تبع -أحد ملوك اليمن - حصون اليمامة وامتنع عليه الحصن الذي كانت فيه امرأة يقال لها (زرقاء اليمامة) فصابره تبع حتى افتتحه وقبض على زرقاء اليمامة وعلى صاحب الحصن. فصلبت هذه المرأة ويقال لها اليمامة، على بابها، فسميت باسمها. وكان اسم المكان قديماً (جوا) فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، وقال أهل السير كانت منازل طسم وجديس. ولما كتب رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق في أول سنة سبع، ويقال في سنة ست، كتب إلى هودبة بن علي الحنفي وأهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام، وحضر وفداهم للمدينة، وكان في وفداهم ثمامة بن كبير بن حبيب، الذي يدعى مسيلمة، فلما انصرف وفد بني حنيفة إلى اليمامة ادعى مسيلمة الكذاب النبوة، فلما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فأوقع بأهل الردة من أهل نجد وما والاها في أشهر يسيرة، بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة وأمره بمحاربة الكذاب مسيلمة. وهزم أهل اليمامة، وقتل الله مسيلمة الكذاب. انظر: فتوح البلدان للبلاذري (١٠٤/١). وانظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٤٢/٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب وفد بني حنيفة، حديث ثمامة، حديث رقم: ٤٣٧٢ (١٧٠/٥). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب ربط الأسير وجواز المن عليه، حديث ثمامة، حديث رقم: ٤٦٨٨ (١٥٨/٥).

المشتهرة النابعة من الأخلاق الإسلامية (أكرموا عزيز قوم ذل) قال الفضيل بن عياض يرحمه الله: (ارحموا عزيز قوم ذل، وغنيا افتقر، وعالما بين جهال)^(١)

٣- حكمة الاستمرار في النصح:

النصيحة من أولويات دور الدعاة إلى الله تعالى، لأن من أصول الشريعة: الدين النصيحة، والنصيحة من لوازم الدعوة، وتتسم بالاستمرارية مع المدعوين لآخر لحظة في الحياة، كما فعل النبي ﷺ مع عمه أبي طالب حين حضرته الوفاة.^(٢) وكما فعل مع المنافق عبد الله بن أبي بن سلول، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ. قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودَ. قَالَ فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زَرَّارَةَ فَمَهْ^(٣). فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي قَدْ مَاتَ، فَأَعْطَنِي قَمِيصَكَ أَكْفِنُهُ فِيهِ، فَتَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ^(٤). وفي شرح سنن أبي داود للعيني، كلام قوي في حق الدعاة؛ حينما ينظر للأمر من أبعاد مختلفة، فتظهر حكمة بالغة، تؤدي إلى نتائج عظيمة: (قوله: " يعود " جملة وقعت حالا من الرسول، وعبد الله بن أبي بن سلول كان رأس المنافقين، وكان ظاهر النفاق، أنزل الله تعالى في كفره ونفاقه آيات من القرآن تتلى. فإن قيل: كيف جازت للنبي - عليه السلام - تكرمة المنافق، وتكفينه في قميصه؟ قلت: كان ذلك مكافأة له من عمل صنيع سبق له، وذلكم أن العباس ؓ عم رسول الله ﷺ لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا، وكان رجلا طوالا، فكساه عبد الله قميصه، فأراد النبي - عليه السلام - أن يكافئه على ذلك، لئلا يكون لمنافق عنده يد لم يجازه عليها، وليكون ذلك إكراما لابنه الصالح، فقد كان مسلما بريئا من النفاق وكان اسمه: الحباب، فقال رسول الله: أنت عبد الله بن عبد الله، الحباب اسم شيطان، وقد قيل للنبي - عليه السلام - لم وجهت إليه بقميصك، وهو كافر؟ فقال: إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا، وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب، فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله - عليه السلام - وكذلك ترحمه - عليه السلام - واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف، لأهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعي المسلم

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق:

محمد عثمان الخشت، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥ هـ، ص: ١٠٢.

(٢) انظر: المطلب الثاني: عوائق الاستجابة - من المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) سبق بيانه. انظر: فهرس الألفاظ الغريبة.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب في العيادة، حديث رقم: ٣٠٩٦ (١٥١/٣). قال الألباني: ضعيف الإسناد، لكن قصة القميص صحيحة.

إلى أن ينعطف على من وإلى قلبه لسانه، ورآه حتماً عليه^(١) ويظهر من كلام العيني أثر المحبة في حكمة النصيحة والتكريم، وقد فهم النبي ﷺ عن الصلاة على المنافقين، فيما بعد، قال الله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ)^(٢) كما أن حب اليهود وأعداء الإسلام، مهلكة للمرء، وسوء ختام أن يموت على مخالفة العقيدة في الولاء والبراء، وهذا الذي أوقع ابن أبي في النفاق، من موالاته اليهود وكل من يعادي دعوة الإسلام، الذي يراه بعين الحقد أنه كان سبباً في صرف الناس عن تعصبيه زعيماً لهم قبل الهجرة النبوية إلى المدينة . وأحب النبي ﷺ البلاغ والنصيحة لهذا المنافق، ووعظه حتى في مرض موته، ولكن الران الذي على قلبه جعله يرد النصيحة، أما تكريم النبي ﷺ لابنه الصالح حبيب الناس في الإسلام، وهذا هو واجب الدعاة مراعاة أحكام الولاء والبراء وتأصيلها في نفوس المدعوين على أساس الحكمة والمصلحة القائمة للإسلام والمسلمين .

٤- حكمة التخفيف على الناس:

إن من سنن النبي ﷺ التخفيف على أمته ورفقه بهم، لأنه كما وصفه الله تعالى بقوله عز وجل: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)^(٣) ويظهر ذلك في كثير من سنته ﷺ، فلم يخرج لمن اجتمع في المسجد لصلاة الليل في رمضان، خشية أن تفرض عليهم، وكذلك في حثه الأمة على السواك عند كل صلاة ورفع المشقة عنهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)^(٤). فإن دين الإسلام قام على التيسير والتخفيف في أحكامه وشرائعه، وجعلها مناط القدرة والاستطاعة، فشرع المسح على الخفين، والقصر في الصلاة للمسافر وغيرها كثير، بل كل ما مظنته المشقة قام بتيسيره. قال السيوطي في كلامه عن القواعد الفقهية: (المشقة تجلب التيسير، الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)^(٥). وقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)^(٦) وقوله ﷺ: بعثت بالحنيفية السمحة. أخرجه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله^(٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «والذي ذهب به ما تركهها حتى لَقِيَ اللَّهَ، وما لَقِيَ اللَّهَ تعالى حتى ثَقُلَ عن الصلاة، وكان يُصَلِّي كثيراً مِنْ صَلَاتِهِ قَاعِداً - تعني الركعتين بعد

(١) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيثي الحنفي بدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج ٦، ص: ١٢-١٣.

(٢) سورة التوبة: ٨٤.

(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجمعة-باب السواك يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٨٧(٢/٤).

(٥) سورة البقرة: ١٨٥.

(٦) سورة الحج: ٧٨.

(٧) الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ، ص: ٧٦.

العصر - وكان النبي ﷺ يُصَلِّيهِمَا، وَلَا يُصَلِّيهِمَا فِي الْمَسْجِدِ مَخَافَةَ أَنْ يُثْقَلَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ»^(١). نقل ابن بطال ماترجح لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدم سنية صلاة النافلة بعد العصر، قال: (وأن عمر كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر بمحضر من الصحابة من غير نكير عليه، فدل أن صلاته عليه السلام، الركعتين بعد العصر خصوص له دون أمته)^(٢) والشاهد هنا من هذا الحديث قول عائشة رضي الله عنها: (وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ) ومن واجب الدعاة إلى الله تعالى أن يظهرُوا الإسلام في صورته المتكاملة من أداء الفرائض وبيان وجه التيسير فيها، ويحثوا على النوافل والسنن ويبينوا فضلها وألا يضيقوا على الناس في متاعهم الحلال بالدنيا، وأن يتحلوا بخلق السماحة في دعوة الناس، فكل ذلك مما يجب الدين إلى الناس ويؤثر في هدايتهم واستقامتهم، وكما أن من محاب الله فرائضه؛ فإن من محابه أن تؤتي رخصه. عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتِيَ رُخْصَهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتِيَ مَعْصِيَتَهُ»^(٣). قال السرخسي: (والرخصة في اللغة عبارة عن: اليسر والسهولة، يقال: رخص السعر إذا تيسرت الإصابة لكثرة وجود الإشكال وقلة الرغائب فيها، وفي عرف اللسان تستعمل الرخصة في الإباحة على طريق التيسير)^(٤) ويتأكد من الحديث أن من أسلوب الحكمة التيسر والتخفيف على الناس في أمر الدنيا والدين؛ فهو جالب للمحبة بين الداعية والمدعو وله أثر في محبة الناس الدين. ويفرح الناس باليسر والحبوب، ومن الحكمة الاقتداء باليسر وأهله، عن عائشة رضي الله عنها قالت «نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبي ﷺ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ - وَكَانَتْ امْرَأَةً بَطِيئَةً - فَأَذَنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ، فَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحَ بِهِ»^(٥). قال ابن حجر في الفتح (قوله فلأن أكون بفتح اللام فهو مبتدأ وخبره أحب وقولها مفروح أي: ما يفرح به من كل شيء)^(٦)

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب ما يصلى بعد العصر من الفوات ونحوها، حديث رقم: ٥٩٠ (١٢١/١)

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص: ٢١٠.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٥٨٦٦ (١٠٧/١٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

(٤) أصول السرخسي، بيروت: دار الكتاب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ، ج ١، ص: ١١٧.

(٥) انظر صحيح البخاري - كتاب الحج - باب من قدم ضعفة أهله ليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر، حديث رقم: ١٦٨١ (١٦٦/٢). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الحج-باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليالي قبل زحمة الناس، حديث رقم: ٣١٧٨ (٧٦/٤).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ٣، ص: ٥٣٠.

٥- حكمة إكرام السائلين والمحسنين والأخذ والعطاء بطيب نفس:

إن من حكم الإسلام العظيمة أنه نهي عن كهر السائل وفهره، وظلم اليتيم وقهره، وجعل من شكر النعمة الحديث بما على وجه التفكير والتذكر والشكر، قال الله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٦١﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)^(١) أورد الإمام الطبري في تفسيره: (كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها)^(٢)، ومن حكمة العلاقات الأخذ والعطاء بطيب نفس والصدق في الحديث، لأن استخدام القوة والمنازعة مفضية إلى المغالبة، فإن انتزاع الشيء من الناس عامة ومن أصحابه خاصة أمر ينافي الحكمة وله تبعات في النفوس تؤدي إلى الأحقاد وتؤجج العداوات، وكل هذه المعاني الحكيمة تفقه من موقف النبي ﷺ مع وفد هوازن بعد غزوة حنين، عن ابن شهاب ذكر غزوة أن مروان والمِسْوَر بن مخرمة أخبراه «أن النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن فسألوه أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال: إنَّ معي من ترون، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقُه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي، وقد كنتُ استأنيتُ بهم - وكان النبي ﷺ انتظرهم بضْعَ عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن النبي ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنَّا نختارُ سبينا. فقام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنَّ إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني رأيتُ أن أرُدَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يُطيبَ ذلك فليُفعل، ومن أحبَّ أن يكونَ على حظه حتى نُعطيه إياه من أولِّ ما يُفيءُ الله علينا فليُفعل. فقال الناس: طيبنا لك ذلك.

قال: إنا لا ندرِي من أذن منكم ممن لم يَأْذَن، فارجعوا حتى يرفعَ إلينا عُرفاؤكم أمركم. فرجع الناس، فكلَّمهم عُرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيَّبوا وأذنوا. فهذا الذي بلغنا عن سبي هوازن. وقال أنسٌ قال عباسٌ للنبي ﷺ: فاديت نفسي وفاديت عقيلاً^(٣). ومن القيم الحكيمة العالية، الفرق في الطلب وأن تكون الشورى قبل فرض الأمر، وخاصة فيما يملك الناس ويخص حياتهم وأموالهم، وكذلك استخدام مبدأ العوض كي تجتمع الكلمة على سواء ويكون الأمر على رأس واحد، ويتضح ذلك من موقف النبي ﷺ في طلبه رد السبي إلى وفد هوازن قال: (أما بعد فإنَّ إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني رأيتُ أن أرُدَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يُطيبَ ذلك فليُفعل، ومن أحبَّ أن يكونَ على حظه حتى نُعطيه إياه من أولِّ ما يُفيءُ الله علينا فليُفعل. فقال الناس: طيبنا لك ذلك) وجوابهم هذا يعني المحبة واجتماع الكلمة وهي أثر من أسلوب الحكمة أدى إلى قوة في السمع والطاعة.

(١) سورة الضحى: ٩ - ١١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤٨٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب القسمة وتعليق القنو في المسجد، حديث رقم: ٢٥٤٠ (٣/١٤٨).

٦- حكمة الحذر في الأزمات من أوجب الواجبات:

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) ^(١) وعن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله قوماً من جهينة فقاتلونا قتالاً شديداً. فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلاً لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله ذلك. فذكر ذلك لنا رسول الله قال وقالوا: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد. فلما حضرت العصر، قال صفنا صفين. والمشركون بيننا وبين القبلية. قال فكبر رسول الله وكبرنا. وركع فركعنا. ثم سجد وسجد معه الصف الأول. فلما قاموا سجد الصف الثاني. ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثاني. فقاموا مقام الأول. فكبر رسول الله وكبرنا. وركع فركعنا. ثم سجد وسجد معه الصف الأول. وقام الثاني. فلما سجد الصف الثاني، ثم جلسوا جميعاً، سلم عليهم رسول الله ^(٢). فإن المؤمن كيس فطن، يعيش حال التوازن في الرخاء والشدة، ومن التوازن في حال الأزمة ألا ينشغل بما يجب عن أمر قد يمنعه من واجب أو فرض أو يؤدي إلى مفسد عظيمة، بل من الحكمة أن يقدر الأمور بقدرها الصحيح بأداء حق محبوه على وجه يضمن له السلامة، ولا يقصر في ما يجب بتجاهل أو عمد نسيان، فإن ترك المحبوب الواجب من الخلل والزلل، وهذا ينافي الحكمة ويقضي على المحبة، ومن الدروس العظيمة في هذه الغزوة: إن من الحكمة الحذر من الأعداء لأنهم في بغض ينافي المحبة وكرهه تنافي المودة فتجعلهم يستثمرون الفرص لصالح القضاء على دين الله وأهله، وكذلك من الحكمة التمسك بالصلاة، حتى في حال الخوف؛ لأنها مصدر قوة ونصر في حياة المسلمين، وقد وصفها الأعداء هنا بما تستحق حيث قالوا: (إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد).

٧- حكمة الولاية لأهلها إمرة ورعاية:

أهل الولاية الخاصة، هم أهل مسؤولية، والمعنى مطرد أنهم محاسبون عن غيرهم؛ بما ولوا من أمرهم، من أجل ذلك عُدَّت الولاية بشروط شرعية تستلزم صفات محددة وقواعد ضابطة، ومن أهمها: القوة والأمانة والعدل والعلم والتواضع، وهي - شروط الولاية - جزء من شروط الولاية العظمى التي ذكرها الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية، قال: (وَأَمَّا أَهْلُ الْإِمَامَةِ فَالشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِيهِمْ سَبْعَةٌ: أَحَدُهَا: الْعَدَالَةُ عَلَى شُرُوطِهَا الْجَامِعَةِ.

وَالثَّانِي: الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْجِتْهَادِ فِي النَّوَزِلِ وَالْأَحْكَامِ.

وَالثَّالِثُ سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ لِيَصِحَّ مَعَهَا مُبَاشَرَةُ مَا يُدْرِكُ بِهَا.

(١) سورة النساء: ١٠٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الخوف، حديث رقم: ١٩٨٣ (٢/٢١٣).

وَالرَّابِعُ: سَلَامَةُ الْأَعْضَاءِ مِنْ نَقْصٍ يَمْنَعُ عَنْ اسْتِيفَاءِ الْحَرَكَةِ وَسُرْعَةِ النُّهُوضِ.

وَالْخَامِسُ: الرَّأْيُ الْمُفْضِي إِلَى سِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ وَتَذْيِيرِ الْمَصَالِحِ.

وَالسَّادِسُ: الشَّجَاعَةُ وَالتَّجَدُّدُ الْمُؤَدِّيَّةُ إِلَى حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ.

وَالسَّابِعُ: النَّسَبُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ لَوُرُودِ النَّصِّ فِيهِ وَانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ ^(١) فمن الحكمة ألا يلي الأمر إلا من كان مؤهلاً لذلك، رعاية لمصالح الناس، ورأفة به ومحبة، كونها تتبع بالحاسبة على الحقوق والواجبات التي تحملها أمانة ورعاية، ولهذا من أثر الحجة في الحكمة، المناصحة لمن لم يستوف الشروط والضوابط والصفات المؤهلة للولاية ألا يليها، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ» ^(٢). وعند مسلم برواية أخرى، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ، لَا سِيمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوُظَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ، وَأَمَّا الْخَزْيُ وَالتَّوَلَّى فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقْضَحُهُ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ، وَعَدَلَ فِيهَا، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ: " سَبْعَةٌ يُظَاهِمُ اللَّهُ " وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ هُنَا عَقِبَ هَذَا (أَنَّ الْمُقْسَطِينَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ) ^(٣) وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ مُتَعَقِدٍ عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَرَهُ ﷺ مِنْهَا، وَكَذَا حَذَرُ الْعُلَمَاءِ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَاقٌ مِنَ السَّلَفِ، وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا) ^(٤)

٨- حكمة محاسبة النفس:

إن النفس لها حظ في الحياة الدنيا بالذكر الحسن، والسمعة الطيبة، ففي ذلك منقبة لها، وليس من الصلاح أن يزكي الإنسان نفسه، قال الله تعالى: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) ^(٥) بل الإنسان الصالح يتهم نفسه؛ كي يمضي بها إلى طريق أعلى ومقام أفضل مما هي عليه، بل عليه أن يصرف الحديث في تركيتها إلى من يرى أنه أفضل منه، فهذا دليل الصلاح وطهارة النفس، وكان مقياس الصحابة رضوان الله عليهم في التفاضل محبة رسول الله ﷺ لهم، عن الحسن قال: «قال رجل لعمر بن العاص: رأيت رجلاً مات رسول الله ﷺ وهو يحبه

(١) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: ٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم: ٤٨٢٤ (٦/٧).

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم: ٤٨٢٥ (٦/٧).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٦، ٢٩٦.

(٥) سورة النجم: ٣٤.

أليس صالحاً؟ قال: بلى، قال: قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك وقد استعملك، فقال: قد استعملني فوالله ما أدري أحباً كان لي منه أو استعانة بي، ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر^(١). وبعد وفاة النبي ﷺ الذي كان يُعلم الصحابة بحبه لهم، بقي للمسلمين الصالحين منقبة عظيمة هي حبهم لرسول الله ﷺ عاطفة وعلماً وعملاً ويظهر ذلك باتباع سنته. فمن لوازم الداعية ألا يغتر بما قدم من دروس و أنشطة دعوية، بل يجعل لنفسه مقام التقصير ليكون أدعى لاستمرارية العمل في ميدان الدعوة، وأخلص لنفسه وطهارتها وتزكية لأعماله في قبولها.

٩- حكمة الاختيار باليسر والبعد عن الإثم:

يتعرض الإنسان في مواقف حياته الشخصية والاجتماعية، إلى الحيرة في الاختيار، بين أمرين أو أشياء متعددة، لا يدري أيها يصيب، وأيها أصوب، ومن تأصيل المسألة دلالة من السنة النبوية عليها بما جاء بلفظ الحب، ففي حال الاختيار بين أمرين في الطاعات، السنة اختيار الأيسر أي الأسهل لأنه أرفق بالنفس، وأحرى بالاستمرار، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خَيْرَ بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمة الله عز وجل فيكون هو ينتقم لله عز وجل»^(٢). وفضلاً على الفائدة العظيمة من الحديث وهي كفاف المسلم يده عن الضرب والإساءة للآخرين إلا بحق، ومنافاة الانتقام للنفس لخلق المسلم، نعلم منه أن الاختيار بين الإثم والطاعة ليس فيه مقايضة بل فيه مفارقة، وشاهده من الحديث: (فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه) قال ابن حجر في معنى أيسرهما: (قوله بين أمرين أي من أمور الدنيا يدل عليه قوله ما لم يكن إثماً؛ لأن أمور الدين لا إثم فيها، وأبهم فاعل خير ليكون أعم من أن يكون من قبل الله، أو من قبل المخلوقين، وقوله إلا أخذ أيسرهما أي أسهلها، وقوله ما لم يكن إثماً أي: ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم، فإنه حينئذ يختار الأشد، وفي حديث أنس عند الطبراني في الأوسط^(٣): إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن لله فيه سخط. ووقوع التخيير بين ما فيه إثم ومالا إثم فيه من قبل المخلوقين واضح، وأما من قبل الله ففيه إشكال؛ لأن التخيير إنما يكون بين جائزين لكن إذا حملناه على ما يفضي إلى الإثم أمكن ذلك، بأن يخيره بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به، أن لا يتفرغ للعبادة مثلاً، وبين أن لا يؤتیه من الدنيا إلا الكفاف فيختار الكفاف، وأن كانت السعة أسهل منه والإثم على هذا أمر

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٨٠٧ (٣٤١/٢٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه منقطع فالحسن وهو البصري لم يسمع من عمرو بن العاص .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٩٥٦ (١٠٩/٤٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) انظر: المعجم الأوسط للطبراني - حديث من اسمه مصعب - حديث رقم: ٩١٥٢ (٧١/٩) ..

نسبي لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت العصمة له ^(١) وعلى المرء الحكيم إذا أخطأ في الاختيار، ألا يستمر عليه، بل يجعل لنفسه أوبة وخطا للرجوع إلى ما هو خير؛ لأنه أليق من الفشل الذي يصاحب الاستمرار فيما يعجز المرء عنه وقد ينقطع الأمر به لصعوبته، عن عبد الرحمن بن سمرّة رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: « يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها. وإذا خلقت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير» ^(٢). أورد ابن بطل في شرحه لصحيح البخاري: (قال المهلب: فيه دليل على أنه من تعاطى أمراً وسولت له نفسه أنه قائم بذلك الأمر أنه يخذل فيه في أغلب الأحوال؛ لأنه من سأل الإمارة لم يسألها إلا وهو يرى نفسه أهلاً لها، فقد قال ﷺ: (وكل إليها) بمعنى لم يعن على ما أعطاه، والتعاطي أبداً مقرون بالخذلان، وإن من دعي إلى عمل أو إمامة في الدين فقصر نفسه عن تلك المتزلة وهاب أمر الله؛ رزقه الله المعونة، وهذا إنما هو مبنى على أنه من تواضع لله رفعه) ^(٣)

١٠ - حكمة اليسر ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة:

إن من حكمة الدعاة إلى الله الحث على التيسير، لأن التشدد وأخذ أمور الشرع على أعلاها، لا يستطيعه كل أحد وينافي الحكمة؛ ويصادم المصلحة العظمى من هذا الدين، وهي اليسر ورفع الحرج عن الناس؛ ولأن مناط التيسير المحبة ومناط الشدة الكراهة؛ فقد جعل الإسلام اليسر مناط العبادة وعظم الثواب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) ^(٤). قال ابن حجر في الفتح: (وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف، وحث على الذكر المذكور، لمحبة الرحمن له، والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل، والثقل بالنسبة لإظهار الثواب، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم وهو أن حب الرب سابق، وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تال، ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة ^(٥) ولقد جاءت الشريعة باليسر في كل شيء، وإزالة الشدة عن كل شيء، ووضع الميزان لكل شيء بما يناسب الحال، قال الله تعالى: (أَلَمْ نَحْخَفِ اللَّهَ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) ^(٦). وكما حذرت أوامر الشريعة من الوهن والضعف، فقد نهت عن التنطع الذي أردى الفئات

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ،

١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٥٧٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأحكام- باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، حديث رقم: ٧١٤٦ (٦٣/٩)، وانظر صحيح مسلم-كتاب الإمارة- باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها حديث رقم: ٤٨١٩ (٥/٦).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٨، ص: ٢١٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الدعوات - باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٦ (٨٦/٨). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: ٧٠٢١ (٧٠/٨).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٣، ص: ٥٤٢.

(٦) سورة الأنفال: ٦٦.

الضالة كالخوارج وغيرهم، عن الْأَزْرَقُ بْنُ قَيْسٍ^(١) قَالَ رَأَيْتُ شَيْخًا بِالْأَهْوَازِ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَلَجَامٌ دَابَّتْهُ فِي يَدِهِ فَجَعَلَتْ تَتَأَخَّرُ وَجَعَلَ يَنْكُصُ مَعَهَا وَرَجُلٌ قَاعِدٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَسُبُّهُ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ فَشَهِدْتُ أَمْرَهُ وَتَبَسُّرَهُ فَكُنْتُ أَرْجِعُ مَعِيَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَهَا فَتَأْتِي مَأْلَفَهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ، قَالَ: قُلْتُ: كَمْ صَلَّى؟ قَالَ رَكْعَتَيْنِ، قَالَ وَإِذَا هُوَ أَبُو بَرَزَةَ^(٢)»^(٣).

إن التأمل في أوامر الدين ونواهيه، يجد أن الإسلام لم يأمر إلا بمصلحة خالصة أو راجحة، ولم ينه إلا عن مفسدة خالصة أو راجحة، فإن من حكمة الداعية أن يعلم الميزان الصحيح في حياة المسلم، وهو تقدير المفسدات من المصالح في فعل الإنسان وقوله، ويتلخص في حصول المصلحة الراجحة وهي أن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وأن دفع المفسد واجب، وإن لم يمكن فعند اجتماع المفسدات تدفع أعظم المفسدات باحتمال أخفها، وتحصيل المصالح واجب، وإن لم يمكن تحصيل الجميع فتحصيل أعظم المصالح مقدم بترك أيسرها، ومن حكمة الداعية مراعاة أحوال الناس في جميع شؤونهم، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ. فَخَرَجَ، فَصَلَّى بِهِمْ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا. وَأَنْتُمْ لَمْ تَزَلُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمْ الصَّلَاةَ، وَلَوْ لَا الضَّعِيفُ وَالسَّقِيمُ أَحْبَبْتُ أَنْ أُؤَخِّرَ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ»^(٤). قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: (ويفهم منه أن تأخير العشاء أحب من تعجيلها)^(٥).

ويفهم منه أن مراعاة الضعفاء والمرضى وتقديم حاجتهم مطلب تستدعيه حكمة الدعاة إلى الله وحكم الشريعة، فإن كل ما يضر بهم مرفوع شرعا. ورفع الضرر محبب إلى النفس وجلب التيسير كذلك؛ فمن من القواعد الفقهية: المصلحة في التيسير ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والله أعلم.

(١) الأزرق بن قيس. ذكره ابن سعد في (طبقات البصريين) وقال: كان ثقة إن شاء الله تعالى. وقال الحاكم أبو عبد الله: قلت يعني للدارقطني فالأزرق بن قيس؟ قال: ثقة مأمون. وعن يحيى بن معين: ثقة. وقال أبو حاتم الرازي: صالح الحديث. وذكره ابن شاهين في (الفتاوى). مات في ولاية خالد على العراق. وزعم بعضهم أنه بقي إلى حدود العشرين ومائة. انظر: إكمال تهذيب الكمال للحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي (٤٢/٢).

(٢) نضلة بن عبيد بن الحارث أبو برزة الأسلمي. غلبت عليه كنيته. واختلف في اسمه فقيل: نضلة بن عبيد بن الحارث، وقيل: نضلة ابن عبد الله بن الحارث، وقيل: عبد الله بن نضلة وقيل: سلمة بن عبيد. والصحيح ما قدمنا ذكره. قال أحمد بن زهير: سمعت أبي ويحيى بن معين يقولان: اسم أبي برزة نضلة بن عبيد أسلم أبو برزة قديماً، وشهد فتح مكة ثم تحول إلى البصرة، وولده بها، ثم غزا خراسان، ومات بها في أيام يزيد بن معاوية أو في آخر خلافة معاوية. قال الأزرق بن قيس: رأيت أبا برزة الأسلمي رجلاً مربوعاً آدم، وروي عن أبي برزة أنه قال: أنا قتلت ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة. روى عنه أبو العالية وأبو المنهال وأبو الوضيء والحسن البصري وجماعة غيرهم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧١٩/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٩٧٩٠ (٣٤/٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب المواقيت - باب آخر وقت العشاء، حديث رقم: ٥٣٧ (٢٨٩/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الصلاة - باب وقت صلاة العشاء، حديث رقم: ٦٩٣ (٧٢٧/١). صححه الألباني.

(٥) حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ١، ص: ٢٦٥.

ثانياً: أثر المحبة في أسلوب الموعدة الحسنة

تعريف الموعدة في اللغة:

أصل كلمة الموعدة من (وعظ) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الواو والعين والظاء: كلمة واحدة. فالوَعظ: التخويف. والوعظة الاسم منه؛ قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرقُّ له قلبه) (١) وورد عند الجوهري في الصحاح: (الوَعظ: النصح، والتذكير بالعواقب. تقول: وَعَظْتُهُ وَعَظاً وَعِظَةً فَاتَّعَظَ، أي قَبِلَ المَوْعِظَةَ. يقال: السعيد من وَعِظَ بغيره، والشقي من اتَّعَظَ به غيره) (٢) وعند ابن منظور في لسان العرب (وقد وَعَظَهُ وَعَظاً وَعِظَةً وَاتَّعَظَ هو قَبِلَ الموعدة) (٣)

تعريف الموعدة في الاصطلاح:

الموعدة في الاصطلاح تتحدد في معنى واحد، وهو الذكرى بالعواقب عن طريق وسائل الترغيب والترهيب، لما يوقظ القلب ويستدر العواطف وينير العقل، وذلك من باب التنبيه والحرص على ما يجلب النفع ويدفع الضر وعلى هذا المعنى جاءت في الشرع، قال ابن كثير في تفسيره (قول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أَنْ يَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ {بِالْحِكْمَةِ} قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة {وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ} أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأمر الله تعالى) (٤) عن العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودَّعٍ، فَأَعْهَدَ إِلَيْنَا بَعْهَدٍ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (٥). ويتأثر الناس بالموعدة تأثراً كبيراً، فيتركوا أشياء محبة إلى نفوسهم محبة مذمومة غير مشروعة، ويستبدلوها بأخرى مشروعة ومحمودة، وكذلك الواعظ إن كان محبوباً أقبلوا الناس عليه وقبلوا مواعظته، وإن لم يكن محبوباً قل الاستماع إليه والأخذ منه، والنقل عنه، قال الشوكاني في تفسير الموعدة الحسنة: (وهي المقالة

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (وعظ).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (وعظ).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (وعظ)

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٦١٣.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب المقدمة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم: ٤٢ (١/٧٦). صححه الألباني .

المشتملة على الموعدة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة^(١) والموعظة يجب أن تكون حسنة قولاً وزمناً وحالاً، وهنا يكون لها الأثر، والحسن درجات وبقدرة يكون الأثر، أما تكون غير ذلك فقد تؤدي إلى نتائج عكسية سلبية، ومن دلائل أثر المحبة في أسلوب الموعدة الحسنة ما يلي:

١- الوعظ في النوازل بقوة التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

أشد ما يكون الناس حاجة للوعظ في وقت النوازل، وتختلف النوازل نوعاً وزمناً، فمنها ما يكون بالحروب والزلازل والأمراض، ومنها ما يكون بالجذب والفقر والفتن، وتختلف زمناً في طول أو قصر مكوثها في الناس، وفي هذه الحال تضطرب حياة الناس، وتتقلب قلوبهم، وتتصدع العقول وتختار النفوس، ومن علاج هذه الحال، أن يقوم العلماء والدعاة بدورهم في إيضاح المسائل الشرعية وتهدئة النفوس المترعجة، وتبصير العقول والقلوب المضطربة، والمشاركة بوضع الحلول للوقائع، والشورى في الأمر، وبث روح الوحدة والتكافل، وكثرة القنوات والدعاء، ومن الوقائع التي وردت في السنة بلفظ الحب وطلب الصحابة الحظ منها طاعون عمواس^(٢)، لعلمهم أن الموت به شهادة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)^(٣). وطاعون عمواس وقع في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ^(٤)، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الولباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الولباء قد وقع بالشام، فاختلّفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقيّة الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى

(١) زبدة التفسير من فتح القدير، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، الكويت: دار المؤيد، ط ٢، ١٤١٦هـ، ص: ٣٦٣.

(٢) عمواس: بكسر أوله وسكون الثاني، وقيل بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة، وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، وذكر أنها كانت القصة في القديم، وإنما تقدموا إلى السهل والبحر من أجل الآبار؛ لأن هذه على حد الجبل، وقال المهلب كورة عمواس هي ضيعة جلييلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشأ في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، وذلك في سنة ١٨ للهجرة، ومات فيه من المشهورين أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٥٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير- باب الشهادة سبع سوى القتل، حديث رقم: ٢٨٢٩ (٤/٢٤). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة- باب بيان الشهداء، حديث رقم: ٥٠٤٩ (٦/٥١).

(٤) سرغ بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم غين معجمة، سرغ الكرم قضبانة الرطبة، الواحد سرغ والغين والعين لغة فيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام بين الميثة وتبوك، من منازل حاج الشام، وهناك لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وقال مالك ابن أنس هي قرية بوادي تبوك وهي آخر عمل الحجاز الأول وهناك لقي عمر بن الخطاب من أخبره بطاعون الشام فرجع إلى المدينة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٢١١).

أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةٍ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيَا لَهُ عُذْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَعَبِيًّا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنْ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، قَالَ فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ^(١). قال ابن حجر في الفتح: (وفي قصة عمر من الفوائد مشروعية المناظرة والاستشارة في النوازل وفي الأحكام، وأن الاختلاف لا يوجب حكما، وأن الاتفاق هو الذي يوجهه، وأن الرجوع عند الاختلاف إلى النص وأن النص يسمى علما، وأن الأمور كلها تجري بقدر الله وعلمه، وأن العالم قد يكون عنده ما لا يكون عند غيره ممن هو أعلم منه)^(٢)

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ^(٣)، عَنْ رَأْبَةَ - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ كَانَ خَلْفَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ كَانَ شَهِيدَ طَاعُونَ عَمَوَاسَ - قَالَ: لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ، قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي النَّاسِ خَطِيْبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ. قَالَ: فَطُعِنَ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَامَ خَطِيْبًا بَعْدَهُ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَأَلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُ. قَالَ: فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذٍ، فَمَاتَ، ثُمَّ قَامَ فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ، فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِمَا فِيكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا. فَلَمَّا مَاتَ اسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، فَقَامَ فِيْنَا خَطِيْبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الطب- باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٢٩ (١٣٠/٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب السلام- باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، حديث رقم: ٥٩١٤ (٢٩/٧)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ١٩٠.

(٣) شهر بن حوشب الأشعري، أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الجعد الشامي الحمصي، ويقال: الدمشقي، تابعي جليل، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، مات سنة اثني عشرة ومائة، انظر مغاني الأخيار (٣٦/٢) وتقريب التهذيب (٢/٢٦٩) و البداية والنهاية (٩/٣٣٣) ..

يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فَتَجَبَّلُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو وَائِلَةَ الْهَذَلِيُّ^(١): كَذَبْتَ وَاللَّهِ، لَقَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتَ شَرُّ مَنْ حَمَارِي هَذَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرُدُّ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ، وَائِمُّ اللَّهُ لَا تُقِيمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَدَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْ رَأْيِ عُمَرُو فَوَاللَّهِ مَا كَرِهَهُ^(٢). لقد قام كل من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما بوعظ الناس وبيان حال المرض، ولم يريا من حل إلا الإيمان بالقضاء والقدر والصبر والدعاء، أما عمرو بن العاص رضي الله عنه إيمانا بالقضاء والقدر، فقد رأى الهروب منه بتفريق الناس في الجبال حتى يضعف انتشاره، متوكلا على الله وأخذاً بأسباب النجاة، فوفق حيث دفع الله الطاعون عنهم ومنع انتشاره، وهو مصداق مقولة عمر رضي الله عنه: فُهِرَ مَنْ قَدَرَ اللَّهُ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، حين رجع بالصحابة عند قدومه الشام وبها الطاعون، خشية هلاك الصحابة بالمرض بعد استشارته للمهاجرين ثم الأنصار ثم مشيخة قريش من مهاجرة الفتح. وفي هذه المواقف، كانت الموعظة سببا في العلاج بالصبر. فقد حببوا إلى الناس الصبر إيمانا بالقضاء والقدر، وابتغاء نيل الشهادة بهذا المرض، وعدم اليأس والقنوط. وعندما طعن معاذ رضي الله عنه في كفه يقول: (مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِمَا فِيكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا)، وكانت الموعظة سببا في العلاج بالفرقة عن المرض فأحب أمير المؤمنين صنيع عمرو بن العاص ولم يكرهه. وفي النوازل يترك الأمر للولاة والعلماء ويبقى الأمر شورى بين أهل الرأي منهم والفضل، ويوصلُ الدعاة إلى الله مقالة الولاة والعلماء إلى الناس، في بيان ووضوح؛ كي تستقر أحوال الناس في النوازل على ما فيه صلاحهم ونجاتهم بإذن الله.

٢- استخدام الاستفهام في الوعظ:

إن من محسنات الموعظة استخدام الواعظ لصيغة الاستفهام، فهي تحبب إلى الموضوع وتشوق إليه، وتحدث لدى السامع جوابا أوليا يستوجب التأكيد أو التصحيح من الواعظ، ويكون داخل مضامين الموعظة، وصيغ الاستفهام كثيرة، ومثال ذلك إذا كانت الموعظة عن الإنفاق في سبيل الله ويعرف الواعظ مدى حب الإنسان للمال، وأن من صفات المال النماء أو النفاد؛ فيربط الواعظ بين محبة المال وبقاء أجره وبين

(١) أبو وائلة الهذلي، قال ابن عساکر: له صحبة وشهد فتوح الشام، وأخرج له أحمد في مسنده من طريق بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رجل من قومه كان خلف على أمه بعد أبيه، وشهد طاعون عمواس قال: لما اشتد الوباء قام أبو عبيدة فذكر الخبر في وفاته ثم، وفاة معاذ بن جبل ووصله ابنه عبد الرحمن، ثم قام عمرو بن العاص فقال: تفرقوا من هذا الوباء في الجبال، فقال له أبو وائلة الهذلي: كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا، قال: والله ما أريد عليك ما تقول، ثم خرج وخرج الناس وتفرقوا، ورفع الله عنهم. قال: ابن عساکر: لا أعرفه إلا من هذه الرواية، وقد رويت هذه القصة من وجه آخر عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم ونسب الكلام المذكور فيها بمعناه لشرحبيط بن حسنة، فلعل من رد على عمرو في ذلك متعدد والله أعلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤٥٥/٧).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٦٩٧ (٢٢٦/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

الإِنفاق في سبيل الله، ويلغي الصورة الأولية في الذهن أن المال محبوب ببقاء ونماء عينه فقط، عن الحارث بن سويد قال: «قال عبدُ الله: قال النبي ﷺ: أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِنْ مَالُهُ مَا قَدِمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ»^(١). قال ابن بطال وغيره فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر؛ لينتفع به في الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكاً للمورث، فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك، وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته، ولا يعارضه قوله ﷺ لسعد إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة، لأن حديث سعد محمول على من تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه^(٢).

٣- استخدام المثل الواقعي في الوعظ بضوابط الشرع :

الإخلاص موضوع مرتبط بكل موعظة حسنة، وبالتذكير به تزداد حسناً، فإن الحث على إخلاص العمل بتمحيص القلوب وتجديد النية ومحاسبة النفس أصل في الوعظ، والأمثلة الواقعية على الإخلاص وعلى نقيضه الرياء والشرك كثيرة جداً، والوعظ بها له ضوابط شرعية، يجب أن يراعيها الواعظ، فإن الحكم على العمل أو صاحبه بالقبول أو الرد أو الإخلاص من غيره، لا يحكم به أحد إلا بدليل قطعي الدلالة والثبوت، والبعد عن الخوض في مثل هذا الموضوع مظنة السلامة للمرء في دينه وذمته، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «نظر النبي ﷺ إلى رجلٍ يُقاتلُ المشركين - وكان من أعظم المسلمين غناءً عنهم - فقال: من أحب أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل النار فلينظرَ إلى هذا، فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت فقال بدُبابة سيفه فوضعه بينَ تَدْيِيهِ فتحاملَ عليه حتى خرَّج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: إن العبدَ ليعمل - فيما يرى الناس - عملَ أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعملُ - فيما يرى الناس - عملَ أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمالُ بخواتيمها»^(٣). قال ابن بطال: (قال المهلب: في هذا الحديث ضد ما ترجم له البخاري، أنه لا يقال: فلان شهيد، ثم أدخل هذا الحديث وليس فيه من معنى الشهادة شيء، وإنما فيه ضدها، والمعنى الذي ترجم به قولهم: ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فمدحوا جزاءه وغناؤه، ففهم الرسول منهم أنهم قضوا له بالجنة في نفوسهم بغناؤه ذلك، فأوحى إليه بغيب مآل أمره؛ لئلا يشهدوا لحي بشهادة قاطعة عند الله ولا لميت، كما قال رسول الله في عثمان بن مظعون: « والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به » وكذلك لا يعلم شيئاً من الوحي حتى يوحى إليه به ويعرف بغيبه، فقال: إنه من أهل النار - بوحى من الله

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقائق- باب ما قدم فهو له، حديث رقم: ٦٤٤٢ (٨/٩٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص: ٢٦٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقائق- باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، حديث رقم: ٦٤٩٣ (٨/١٠٣).

له^(١) وذكر الواعظ للأمثلة الواقعية التاريخية من السنة وغيرها كالمثال السابق في حسن وسوء الخواتيم، يعطي الموعظة قوة في نفس السامع، فإن النفس تحب أن ترى ما هي قادمة عليه من الخير، وما هو قادم لها، فإن النفس المؤمنة تحب ما يقربها إلى الجنة، ويباعدها عن النار، والإخلاص محور في ذلك ويصدق حسن الختام.

٤ - التكرار ثلاثا والتطبيق العملي :

كان كلام النبي ﷺ فصلا ولم يكن سردا، ويكرره ثلاثا في مواطن خاصة من الوعظ والبيان وهو خير من وعظ ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان كلام النبي ﷺ فصلا يفقهه كل أحد لم يكن يسرده سردا)^(٢) ومن قوة التأثير في الموعظة تكرار الجمل المؤثرة وخاصة في صيغ الاستفهام، وما يحبه الناس من الأمور أو يبغضونه فتكون أبلغ أثرا وخشوعا، وأن يكون الكلام واضح الحروف، متسلسل المعاني غير متداخل، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا. وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ^(٣) ابْنِ طَابٍ. فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَتَيْنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ. فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ. وَلَا عَنْ يَمِينِهِ. وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى. فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِتُوبِهِ هَكَذَا» ثُمَّ طَوَى ثُوبَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: «أُرُونِي عَبِيرًا» فَقَامَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ. فَجَاءَ بِخُلُوقٍ فِي رَاحَتِهِ. فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ. ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَنْفِ النُّخَامَةِ. فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمْ الْخُلُوقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ.^(٤) أورد البيهقي في بيان قوله: قبل وجهه: (قال أبو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ تَأْوِيلُهُ: أَنَّ الْقِبْلَةَ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا لِلصَّلَاةِ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلْيَصْنَعْهَا عَنِ النُّخَامَةِ، وَفِيهِ إِضْمَارٌ وَحَذْفٌ وَاخْتِصَارٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ أَيُّ: حُبُّ الْعِجْلِ، وَكَقَوْلِهِ: وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ، يُرِيدُ: أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وَمَثْلُهُ فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا أُضِيفَتْ تِلْكَ الْجِهَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِمَةِ، كَمَا قِيلَ: بَيْتُ اللَّهِ وَكَعْبَةُ اللَّهِ، فِي نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٩، ص: ١١٥.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٠٢٧ (٤١/٥٢٠). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٣) من (عرجن) والعُرْجُونُ العَذْقُ عامَّةٌ، وقيل: هو العَذْقُ إِذَا يَسَّ وَاغْوَجَّ وَقِيلَ هُوَ أَصْلُ الْعَذْقِ الَّذِي يَغْوَجُّ وَتُقَطَّعُ مِنْهُ الشَّمَارِيخُ فَيَقْسَى عَلَى النَّخْلِ يَابِسًا، انظر لسان العرب لابن منظور (١٣/٢٨٤).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث رقم: ٧٧٠٥ (٨/٢٣٢).

الكلام^(١) إن قيام الرسول ﷺ بإزالة أثر النخامة بالعرجون، كان بليغا في النفوس، وهكذا فإن التطبيق العملي في الوعظ، حال مناسبته يوضح الحال ويصدق المقال، ويؤكد به البيان، وليس كل وعظ يحتاج إلى التطبيق العملي، وكل ما احتاج إليه، يجب ألا ينفك عنه فإنه أبلغ في الإيضاح.

٥- جواز فتح باب السؤال في الموعظة:

إن الموعظة خطاب من الواعظ إلى مستمعيه، وهذا الخطاب يختص بأمور الدنيا والدين، ويجب على الواعظ التأصيل في أمور الدين، بذكر الدليل من الكتاب والسنة وما أثر عن سلف الأمة الصالح، ونقل الخبرات في مجالات الحياة فيما يخص أمور الدنيا، والموعظة الحسنة هي التي تفي بمطالب السامع في موضوع الموعظة، ومن سبل الإيفاء في الموعظة، فتح باب السؤال وإعطاء السائل الوقت ليسأل عما يجب، ومن نهج الواعظ الصحيح تصويب السؤال والجواب الكافي عنه، وهذا كان من نهج النبي ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج حين زاعت الشمس فصلى الظهر، فقام على المنبر فذكر الساعة، فذكر أن فيها أمورا عظما، ثم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا». فأكثر الناس في البكاء، وأكثر أن يقول: «سلوني». فقام عبد الله بن خذافة السهمي فقال: من أبي؟ قال: «أبوك خذافة» ثم أكثر أن يقول: «سلوني». فبرك عمر على ركبتيه فقال: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فسكت. ثم قال: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفَاءً فِي غُرُضٍ هَذَا الْخَائِطِ، فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ^(٢)

٦- اختيار الوقت المناسب والحديث المناسب في الموعظة:

إن الناس المستقبلين للموعظة تحكمهم ظروف خاصة، وظروف عامة، منها ارتباطهم بالأعمال المهنية وتدبير شؤون أسرهم وأحوالهم الشخصية، ومكان الموعظة وزمانها؛ فإن هذا يحتم على الواعظ قياس المصلحة من موعظته قياسا صحيحا، في مناسبتها لأحوال الموعوظين، ومن أهم الأمور في هذا، عدم الإطالة وعدم التكرار المتوالي في مواعظه، مع اختيار الموضوع المناسب، فلا يصلح التذكير في مواطن الفرح بموعظة تقلب الفرح حزنا، وإن كانت حقا، ولكن الدقة في القياس من حذافة الواعظ وحكمته، وهذا ما جرى عليه السلف الصالح وتناصحوا به، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تُمَلِّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أَلْفَيْكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ، فُتَمَلُّهُمْ؛ وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمْرُكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَأَنْظِرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ، يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ

(١) الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، جده : مكتبة السوادني، ط ١ : ج ٢، ص: ٣٩٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة- باب وقت الظهر عند الزوال، حديث رقم: ٥٤٠ (١١٣/١).

الاجْتِنَاب^(١). قال ابن بطال في شرحه: (وفيه من الفقه: أنه يكره الإفراط في الأعمال الصالحة خوف الملل لها والانقطاع عنها، وكذلك كان النبي ﷺ يفعل، كان يتخول أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم، وقال: (اكفلوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا)^(٢). وفيه: أنه لا ينبغي أن يحدث بشيء من كان في حديث حتى يفرغ منه. وفيه: أنه لا ينبغي نشر الحكمة والعلم ولا الحديث بهما من لا يحرص على سماعهما وتعلمهما، فمتى حدث به من يشتهي ويحرص عليه، كان أحرى أن ينتفع به ويحسن موقعه عنده، ومتى حدث به من لا يشتهي لم يحسن موقعه عنده، وكان في ذلك إذلال للعلم وحط له، والله تعالى قد رفع قدره حين جعله سبباً إلى معرفة توحيده وصفاته تعالى، وإلى علم دينه وما تعبد به خلقه)^(٣) فمن أثر المحبة في الموعظة اختيار الوقت المناسب وعدم الاستئثار بالحديث في المجلس أو قطع حديث من يحدث والناس في استماع له، وعلى الواعظ اختيار الموضوع المناسب لحال المدعوين.

٧- الحث على العلم أصل من أصول المواعظ الحسنة:

العلم من أجل ما يحث عليه الوعاظ ويدعون إليه؛ لما له من فضل في كتاب الله وسنة النبي ﷺ، وتقوم عليه خيرية المرء بالفقه في الدين، وخيرية تعلم القرآن وتعليمه، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ. فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ^(٤)، فِي غَيْرِ إِيْمٍ وَلَا قِطْعٍ رَحِمٌ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ. وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ. وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ. وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ؟»^(٥). إن الواعظ عندما يقدم الفضائل التي يحث عليها، فإذا وعظ الواعظ الناس في لزوم موعظته، يلتزم محاب الناس ويقرن بينها وبين الفضائل التي يحث عليها، فإذا وعظ الواعظ الناس في لزوم الأدب والخشوع والسكينة في استقبال الصلاة، بالمقارنة بين حالهم في استقبالهم ملوك الدنيا وحالهم في استقبال مالك الملك - الله جل جلاله - لحصل المقصود من الموعظة، ومن الحديث السابق يتضح أثر المحبة في الموعظة، من محبة الناس لخير الدنيا والآخرة، وكيف النبي ﷺ تدرج بهم في العدد علواً لدرجة الكمال

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الدعوات-باب ما يكره من السجع في الدعاء، حديث رقم: ٦٣٣٧ (٧٤/٨).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقاق-باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٥٨٦١ (١٥٥/٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الصيام-باب النهي عن الوصال في الصوم، حديث رقم: ١٨٦٣ (١٨٨/٢).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٢٣هـ، ج ١٠، ص: ٩٨ - ٩٩.

(٤) (كوم) الكاف والواو والميم أصل صحيح يدل على تجمع في شيء مع ارتفاع فيه. من ذلك الكوماء، وهي الناقة الطويلة السنام. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٨/٥) الكوم العظم في كل شيء، وقد غلب على السنام سنام أكرم عظيم انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢٩/١٢).

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه. حديث رقم: ١٩٠٩ (١٩٧/٢).

المستمر، والأجر غير المنقطع حين استمرار العمل، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (الخلفاء بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدتها ثم هي عشار والواحدة خلفه وعشراء، قوله ﷺ يغدو كل يوم إلى بطحان هو بضم الباء وإسكان الطاء موضع بقرب المدينة والكوما من الإبل بفتح الكاف العظيمة السنام)^(١)

٨- الجمع بين الترغيب والترهيب في الموعظة العامة:

أسلوب الترغيب وأسلوب الترهيب من الأساليب التي تؤثر في الناس، ويحسن استخدامهما في الموعظة، ويحدد النوع المناسب منهما أو الجمع بينهما موضوع الموعظة، والمتلقون، من أي قسم هم؟ أهم أشداء الخصال غلاظ القلوب، لا يؤثر فيهم إلا الترهيب؟ أم ضعفاء الخصال ورؤفاء القلوب يؤثر فيهم الترغيب؟ أم هم خليط من هؤلاء وهؤلاء؟ أم هم من عوام الناس؟ أم هم من خاصة الناس وعقلائهم؟ فإن الجمع بين الترغيب والترهيب هو الأمر الجامع لكل الناس في أغلب المواقف، وعليه درج أسلاف الأمة من الوعاظ في مواعظهم، ومن هذه المواقف، موعظة النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: أَتَتْهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ مُجْتَمِعُونَ، (قَالَ) فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَفَرٍ، إِذْ نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ حَبَاءَهُ، (وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ)^(٢) وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرَتِهِ^(٣) إِذْ نَادَى مُنَادِي (النَّبِيِّ) الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَأَجْتَمَعْنَا فَقَامَ النَّبِيُّ فَخَطَبَنَا فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، وَأَنْ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَأَنْ آخِرَهَا سَيُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ وَأُمُورٌ يُنْكِرُونَهَا، (تَجِيءُ فِتْنٌ فَيُدَقِّقُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ)، فَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ ثُمَّ تَجِيءُ، فَيَقُولُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَدْرِكْهُ مَوْتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةَ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٦، ص: ٨٩.

(٢) (نضل) النون والضاد واللام: أصيل يدل على رمي ومرامة. ونضل فلاناً: راماه بالنضل فغلبه في ذلك. وهو يناضل عن فلان: يتكلم عنه بغدرة، كأنه يرامي دونه. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٦/٥) انضل القوم وتناضلوا أي رموا للسبق، ومنه قيل انضلوا بالكلام والأشعار، وانضلت رجلاً من القوم، وانضلت سهماً من الكنانة أي اخترت، والمناضلة المفاخرة. انظر: لسان العرب لابن منظور (٦٦٥/١١).

(٣) (جشر) الجيم والشين والراء أصل واحد يدل على انتشار الشيء وبروزه. يقال جشر الصبح، إذا أثار. ومنه قولهم: اصطبحنا الجاشريّة، وهذا اصطباح يكون مع الصبح. وأصبح بنو فلان جشراً، إذا برزوا الحي ثم أقاموا ولم يرجعوا إلى بيوتهم، وكذلك المال الجشّر، الذي يرعى أمام البيوت. والجشّار: الذي يأخذ المال إلى الجشّر. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٩/١) (جشر) الجشّر بقل الربيع وجشّروا الخيل وجشّروها أرسلوها في الجشّر والجشّر أن يخرجوا بخيلهم فيرعوها أمام بيوتهم وأصبحوا جشراً وجشراً إذا كانوا يبيتون مكائهم لا يرجعون إلى أهلهم. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣٧/٤).

قَلْبِهِ، فَلْيُطْعَهُ مَا اسْتَطَاعَ (فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُنَازِعُهُ فَأَضْرِبُوا رَقَبَةَ الْآخَرِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ)^(١). وفي هذا الحديث يجد المتأمل أن من الأصول في المواعظ، الأمر بما يحتاج الناس إليه وتذكيرهم بالنعم التي هم فيها، ومن أهم ما يدعو إليه الوعاظ: الحث على الخير والتحذير من الشر، وأيضا البحث عن سبل النجاة بالإيمان بالله واليوم الآخر والتقوى ببذل الخير للناس ومعاملتهم بالحسنى والحذر من الفتن والحث على لزوم الجماعة، ومن أثر المحبة في المواعظ إبراز المظاهر المرغوبة والمرهوبة أمام التصور الذهني للمستمع كقول النبي ﷺ : (وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) فهو أشد أثرا في نفس السامع عندما يقارن بين معاملته للناس، وبين رغبته ومطلبه منهم في المعاملة بالحسنى والخير والاحترام وغيره، فيؤدي إلى تغيير سلوك وأخلاقه إلى الأفضل المرغوب.

٩- فتح باب الرجاء في الموعظة لمن حضره المرض أو الموت:

الخوف والرجاء صنوان في حياة المسلم، وهما من دواعي الإيمان يستطيع بهما ملاقات الأحداث، ومجارات النتائج، خوفا من الله وعقابه، ورجاء في عفوه ومغفرته؛ فينعم بالرجاء ويطمئن به، ويستقيم بالخوف ويسعد به، ففي الرجاء فتح باب الأمل، وفي الخوف فتح باب الاستقامة، والموعظة الحسنة هي التي تحقق الغاية من الخوف والرجاء بفتح أبوابها في نفس المستمع وقلبه، وأن يحسن الواعظ الاختيار المناسب لحالة من يعظه، وأيهما يستحق التأثير عليه به، الخوف أم الرجاء، وكما قرر علماء الشريعة أنه في حال الشدة والضعف والمرض والموت يغلب جانب الرجاء على الخوف، وفي حال الرخاء والقوة والسلامة يغلب جانب الخوف، وبالرجاء والخوف مع المحبة لله وما أمر به يستكمل المسلم ركائز العبودية لله تعالى بطاعته فيما أمر به، ونهى عنه، قال ابن حجر في الفتح: (قوله باب الرجاء مع الخوف، أي استحباب ذلك فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء؛ لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير، فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخظة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو)^(٢) عن ذكوان^(٣) - حاجب عائشة رضي الله عنها - : « أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله^(٤)، فقال هذا عبد الله بن عباس

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول. حديث رقم: ٤٨٨٢ (١٨/٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ١١، ص: ٣٠١.

(٣) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، روى عن سعد وأبي الدرداء وأبي هريرة وعائشة، أحد من شهد الدار زمن عثمان وكان ثقة من أجل الناس وأوثقهم، وقال ابن المديني: ثقة ثبت. وقال ابن سعد: كثير الحديث. مات بالمدينة سنة إحدى ومائة. انظر: إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي (٣١/١).

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

يستأذن — وهي تموت — فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته، فلما جلس قال: ابشري، فقالت: أيضاً، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل: {فتيمموا صعيدا طيباً} فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله عز وجل — لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً^(١). ومن هذا الأثر ندرك من موعظة ابن عباس ﷺ تغليب جانب الرجاء على الخوف بقوله: (ابشري) وبالذكرى الطيبة لأمة المؤمنين رضي الله عنها بما كانت عليه من خصال الخير، من حب الرسول ﷺ لها، فهي طيبة بذلك، ولأن المرء مع من أحب، وذكرها بما لها من فضل في الإسلام، وكانت مستحقة لفتح باب الرجاء في هذه الموعظة وهي من خير من يؤخذ منه العلم والموعظة رضي الله عنها لفضلها، ولكن هذا المقام — المرض والموت — كانت في حالة تستحق فيها الذكرى، ولفقهها بما هي قادمة عليه قالت: (دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً).

١٠ - قصر الموعظة يكون بقوة العبارة أو عظم الإشارة:

كلما كانت الموعظة قصيرة وبلغية أحبها السامع وأخذ بها، ولم تشق عليه، على عكس الطويل منها فتحدث السامة والملل، ويضيع طولها كثيراً من المعاني في ذهن السامع، وتختلف المواقف في المواعظ من حال إلى حال، وبموجب ذلك يختلف وضع الموعظة في الطول والقصر، وتكتسب الموعظة قوتها غالباً بالقصر حال قوة العبارة أو عظم الإشارة، فإذا أراد الواعظ أن يذكر الناس بيوم القيامة فإن فيه من النصوص الشرعية، ما يطول ذكرها في موقف واحد، ويصعب شرحها في مقام واحد، ولكن الواعظ الحكيم يختار نصاً شاملاً لأهوال يوم القيامة، ويجعله موعظة، اقتداءً بإمام الدعاة ﷺ، ومن ذلك هذا الحديث، عن عبد الرحمن بن يزيد، وكان من أهل صنعاء^(٢)، وكان أعلم بالحلال والحرام من وهب، — يعني: ابن منيه — قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيَقْرَأْ {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} (التكوير: ١)^(٣). وسورة التكوير تأتي في تسع وعشرين آية، من اثني عشر سطراً ولكنها حوت مشاهد يوم القيامة في عدة صور كونية تصل المرء بعقيدة الإيمان بالحياة الآخرة من

(١) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند بني هاشم — مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: ٢٤٩٦ (٤/٢٩٧). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) صنعاء: من أعظم مدن اليمن، تشبه دمشق لكثرة مياهها وأشجارها، وهي شرقي عدن بشمال في الجبال، وهي معتدلة الهواء، وكانت كرسي ملوك اليمن في القديم وبها تل عظيم يعرف بغمدان. انظر: تقويم البلدان للسلطان عماد الدين إسماعيل (١٠٥/١).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند عبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٤٨٠٦ (٨/٤٢٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

انتهاء معالم الحياة الدنيا، والبعث والحشر والحساب ووجوب التصديق بالوحي والاستقامة على ما جاء به النبي ﷺ. ولذا فإن أي موضوع طويل أو مشعب ومتسع يستحب للواعظ الحصر بشاهد واحد جامع، إن كان نصاً ثابتاً أو مقالاً موثقاً. أو استخدام الإشارة الحركية أو الإشارة اللفظية ليوصل المعنى في وقت قصير وبأقل إشارة، ومن دلائل ذلك عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ قَالَ: ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا)^(١). وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ»^(٢). وكما أن لقصر الموعظة الأثر في بيان المقصود؛ فإن الترتيب المعنوي للفضائل وقع خاص في الأثر، فإن ما يخص النفس يقدم على ما يخص البدن، وما هو مخصوص بقيمة خاصة تميزه يحسن تأخيرها ليكون آخر ما يكون في أذن السامع، وأوضح في إدراك قيمته، ونستبين ذلك من هذا الحديث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣). وفيه درس من دروس الدعوة في العرض للفضائل أيهما يقدم، وأن التأخير لقيمة الصلاة هنا أعطى قوة في وصول المعنى إنما الأفضل، قال السيوطي في شرحه لسنن النسائي: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر وأما تأخيرها فللتدرج التعليمي من الأدنى إلى الأعلى وقدم الطيب على النساء لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف)^(٤).

١١ - البشارة والندارة لازمان من لوازم المواعظ:

البشارة والندارة من محسنات المواعظ وهي من الأساليب التي أمر الله بها في القرآن الكريم قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ آجَتَتُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُتْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾) وقال تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ ﴿١﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) ﴿٢﴾ فمن كان على خير وطاعة؛ فيستحب وعظه بالبشارة؛ ليكثر من الخيرات ويحذر من تحذيل الشيطان، ومن كان على سوء ومعصية فيجب وعظه بالندارة؛ ليكف عن

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٣٨١ (٣٧٤/١٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك، حديث رقم: ٧١٧٩ (٧١/٩)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، حديث رقم: ٦٧٩٦ (٢٧/٨).

(٣) انظر: سنن النسائي - كتاب عشرة النساء - باب حب النساء حديث رقم: ٨٨٣٦ (١٤٩/٨). وانظر مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه حديث رقم: ١٢٢٩٤ (٣٠٧/١٩). حسنه الألباني .

(٤) شرح السيوطي لسنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ٧، ص: ٦٣.

(٥) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٦) سورة غافر: ١٨.

معاصيه ويقبل على الطاعة ويؤمل بالتوبة والثوبة الحسنة، عَنْ ثَابِتٍ^(١) حَدَّثَنَا رَجُلٌ^(٢) مِنْ الشَّامِ وَكَانَ يَتَّبِعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ وَيَسْمَعُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَهُ فَلَقِيَنِي نَوْفًا^(٣)، فَقَالَ نَوْفٌ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَمَلَأْتِكُنَّه اذْعُوا لِي عِبَادِي، قَالُوا: يَا رَبِّ كَيْفَ وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ دُونَهُمْ وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، قَالَ: إِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ اسْتَجَابُوا، قَالَ: يَقُولُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ أَوْ غَيْرَهَا، قَالَ: فَجَلَسَ قَوْمٌ أَنَا فِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ الْآخَرَى، قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا يُسْرِعُ الْمَشْيَ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَفْعِهِ إِزَارَهُ لِيَكُونَ أَحَبُّ لَهُ فِي الْمَشْيِ، فَانْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ: أَلَا أَبْشُرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ أَمَرَ بَابَ السَّمَاءِ الْوُسْطَى، - أَوْ قَالَ: بَابَ السَّمَاءِ - فَفُتِحَ، فَفَاخَرَكُمْ الْمَلَائِكَةُ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي، أَدُّوا حَقًّا مِنْ حَقِّي، ثُمَّ هُمْ يَنْتَظِرُونَ أَدَاءَ حَقِّ آخَرَ يُؤَدُّونَهُ^(٤).

١٢ - التدرج والتفصيل في الإيضاح أبلغ في تصور الحكم:

إن التدرج والتفصيل في الإيضاح أبلغ في تصور الحكم ويدل على بلاغة الواعظ؛ فإن الموعدة التي تتنوع فيها الأحكام والموضوعات يضطر فيها الواعظ إلى تقسيم الأحكام وتجزئة الموضوعات؛ وبصعب فيها الإتقان؛ فيذهب الواعظ من موضوع إلى آخر، ثم يعود ثم يرجع إلى الأول، ثم يعود إلى موضوع جديد، وهكذا في الأحكام... فإن مثل هذه الموعدة لا ينتفع الناس منها كثيرا لتنوع الموضوعات، وتعدد الأحكام، وينقصها الترتيب الذي يفقده يؤدي إلى خلط لدى السامع، أما الموعدة التي تأتي في تسلسل تدرجي في الفكرة والعرض وفي موضوع محدد؛ فإنها أقوى في ذهن ونفس السامع وأجدر بالاستجابة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ^(٥)، عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحَبُّ الصَّلَاةِ مَعَكَ، قَالَ: (قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتِكَ فِي بَيْتِكَ^(٦) خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي، قَالَ: فَأَمَرْتُ فَبَنَيْ لَهَا مَسْجِدًا فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ، فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيتُ

(١) ثابت بن أسلم البناي أحد الرواة في سند هذا الحديث.

(٢) أحد الرواة في سند هذا الحديث، وذكر أهل الحديث أنه: (يحيى بن مالك أبو أيوب الأزدي).

(٣) نوف بن فضالة الحميري أبو يزيد البكالي، أحد الرواة في سند هذا الحديث.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦٨٦٠ (٤٤٧/١١). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) عبد الله بن سويد الأنصاري الحارثي، قال البخاري وابن أبي حاتم وابن السكن وابن حبان: له صحة، وقال أبو أحمد العسكري هو ابن أخي أم حميد زوج أبي حميد الساعدي وله عنها رواية، ولم يصح بعضهم صحبته، وذكره ابن أبي حاتم وابن حبان في التابعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٢٤/٤) ..

(٦) مكان المبيت في الدار. وقال ابن رجب: وخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أم سلمة، عن النبي ﷺ (قال: (خير مساجد النساء قعر بيوتهن)) . انظر: فتح الباري لابن رجب (٣٢١/٥).

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١). النتيجة من التدرج والتسلسل في الوعظ النبوي لأمر حميد في محبتها الصلاة مع النبي ﷺ؛ جعل أم حميد رضي الله عنها تعلم أن صلاحها في بيتها خير من صلاحها في مسجد النبي ﷺ ومعه، والنية عليها مدار القبول وحصول الفضل، ومن صدق مع الله صدقه الله، وكذلك التفصيل في الموعدة يعطي القناعة بالموضوع لدى المستمع وقوة في الفهم، أما المعنى المنقطع في جملة واحدة يكون أبعد عن القناعة وأقرب لعدم وضوح المقصود فيكون القصور في فهمه، عَنْ هِلَالِ بْنِ حِصْنٍ^(٢) قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فَضَمَّنِي وَإِيَّاهُ الْمَجْلِسُ، قَالَ: فَحَدَّثَ أَنَّهُ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الْجُوعِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَوْ أُمُّهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَاسَأَلُهُ فَاسَأَلُهُ، فَقَدْ آتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلُهُ، فَأَعْطَاهُ، وَأَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلُهُ، فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: قُلْتُ حَتَّى أَلْتَمَسَ شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَمَسْتُ فَآتَيْتُهُ - قَالَ حَجَّاجٌ: فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا فَآتَيْتُهُ - وَهُوَ يَخْطُبُ، فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ اسْتَعَفَّ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلْنَا إِمَّا أَنْ نَبْذُلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ نُؤَاسِيَهُ - أَبُو حَمْرَةَ^(٣) الشَّائِكُ - وَمَنْ يَسْتَعْفُ عَنَّا أَوْ يَسْتَغْنِي، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ فَمَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا. فَمَا زَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا حَتَّى مَا أَعْلَمُ فِي الْأَنْصَارِ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْثَرَ أَمْوَالًا مِنَّا^(٤). وتفصيل النبي ﷺ للعفاف مستخدما كلمة (الحب) في قوله (وَمَنْ يَسْتَعْفُ عَنَّا أَوْ يَسْتَغْنِي، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا) جعلت أبا سعيد الخدري ﷺ يفهم المقصود بفهم إيماني عميق أن العفاف مرتبط بالتوكل على الله وأخذ أسباب الرزق وهو نقيض المسألة فكف عن السؤال فأغناه الله.

١٣ - القسم والاستغفار قوة إيمانية في الموعدة:

الموعدة الدقيقة في موضوعها والقسم على صدقها دلالة على قوة الناصح؛ فإن أنواع المواعظ الشرعية سواء العقلية منها أو العاطفية، لا يقتنع السامع بها ما لم تستند إلى دليل شرعي وعقلي، أو مؤكدات شرعية كالقسم والشهادة، عَنْ زِيَادٍ^(٥) بْنِ عَلَافَةَ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحَدِّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيَكُمُ الْآنَ، ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند النساء، حديث أم حميد رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٧٠٩٠ (٣٧/٤٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن.

(٢) سبقت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٣) أحد رجال السند في هذه الرواية، وقيل: هو أبو حمزة نصر بن عمران الضبي. ومن ذكر أنه أبو حمزة فهو تصحيف. كذا ضبطه الدارقطني في المؤلف (٦٠٠/١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، حديث رقم: ١١٤٠١ (٤٨٨/١٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٥) زياد بن علاقة بن مالك أبو مالك الثعلبي الكوفي، من الثقات المعمرين، تابعي ثقة، يقال: إنه أدرك ابن مسعود. قال ليث بن أبي سليم: أدرك ابن مسعود، وقال النسائي وغيره: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق. قيل: مات سنة خمس وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي

أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قُلْتُ: أَبَايُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبَّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ^(١). عندما طلب جرير ﷺ منه أهل الكوفة الاستغفار والعفو عن واليهم المغيرة ﷺ ذكرهم بما كان منه من محبة العفو، قال: (فإنه كان يحب العافية) وأقسم على صدق مواعظته ونصحه واستغفر، وهذا الأسلوب من التذكير بطلب المكافأة بالمثل لأمرهم والعفو، والاستغفار والقسم على النصح يجعل الموعدة تتصف بالدقة والمصداقية، ويأخذ الناس بها محبة في العدل والصدق.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٨ (١/٢١).

المطلب الثاني: أثر المحبة في الجدل والجهاد

أولاً: أثر المحبة في أسلوب الجدل

تعريف الجدل في اللغة:

أصل كلمة الجدل من (جدل) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الجيم والداو واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام)^(١) وأورد الجوهري في الصحاح: (والجَدَالَةُ: الأرضُ. يقال: طعنه فَجَدَلُهُ، أي رماه بالأرض، فأنْجَدَلَ، أي سقط. وجادلُهُ، أي خاصمه، مُجَادَلَةٌ وجَدَالاً؛ والاسم الجَدَلُ، وهو شدة الخصومة. وجَدَلْتُ الحبلَ، أَجَدَلُهُ جَدَلًا، أي فَتَلْتُهُ فتلاً محكماً)^(٢)

وفي لسان العرب لابن منظور (الجَدَلُ مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة)^(٣)

تعريف الجدل في الاصطلاح :

الجدل ذو غاية محددة وهي استحكام الأمر قولاً وفعلاً، على ما يريد كل طرف من أطراف الجدل؛ ويكون بطرح الأمر للمفاوضة وطرح الحجج والبراهين والوصول إلى نتيجة واحدة هي القناعة والوافق أو الرفض والاختلاف، وهو على نوعين جدال محمود يقوم على نية سليمة والغاية منه الخير لما فيه من الحق. وجدال مذموم يقوم على خبث الطوية أو على تعصب عمي يفضي إلى الباطل والشر، ويمكن تعريف الجدل اصطلاحاً بما قرره الراغب الأصبهاني في المفردات بأنه (المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)^(٤) وقد ذكر الله سبحانه لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز، في تسعة وعشرين موضعاً، وكان الجدل فيها في موضع ذم في كل موضع ذكر فيه، إلا في ثلاثة مواضع: " أحدها: في سورة النحل: (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِّ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(٥) والموضع الثاني: في سورة العنكبوت: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)^(٦) والموضع الثالث : في سورة المجادلة: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (جدل) (٤٣٣/١) .

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (جدل) (٨٤/١) .

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (جدل) (١٠٣/١١)

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاي، بيروت: دار المعرفة، ص: ٨٩.

(٥) سورة النحل: ١٢٥ .

(٦) سورة العنكبوت : ٤٦ .

تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا^(١)، وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الأنصارية، كانت تحت زوجها أوس بن الصامت فظاهر بها، والقصة مشهورة في حكم الظهار. فأما قوله سبحانه: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال ابن السعدي في تفسيره (فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدتها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاقمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها)^(٢) ومن ضوابط الجدل بالحسنى الأدلة الظاهرة والحجج العقلية والبراهين القطعية، والاستشهاد عليها بالقرآن لأنه أحسن الأدلة بيانا، وأكملها حسناً وإحساناً، وأوضحها كشافاً وبرهاناً. وكذلك الإصغاء إلى شبهه الخصوم والرفق بهم في حلها ودحضها. وأخذهم بالتدرج والتفصيل وعدم النقلة بهم إلى العموم دون وضوح الرؤية التفصيلية، مع ترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون الحجة عليهم ظاهرة، والجحد منهم أنكى بهم و أنكد عليهم، وهي سنة الأنبياء عليهم السلام، مع الأمم عند الدعوة. قال عز وجل في حق قوم نوح : (قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٦٨﴾) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾)^(٣) وكذلك فقد جادل الكفار أنبياءهم ليصدوا عن دعوة الحق، قال الله تعالى في حقهم : (مَا تَجِدُكَ إِلَّا آيَاتٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿١٠٠﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٠١﴾)^(٤) ولا شك أن الظاهر من الجدل، أنه به تفقد آصرة المحبة بين المتجادلين غالباً، حال الرفض والاختلاف، فإن وجود الاختلاف يضعف آصرة المحبة، وإن الوفاق تقوى به المحبة. ولكن عند تحرير الأمر على أصوله؛ فإنه ليس في كل الجدل يكون المبعث منه عداوة واختلاف، فإن الجدل أسلوب للتقارب في المفاهيم والآراء والوصول إلى الصواب والوفاق والمناصحة، وكما قيل: (الجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة)^(٥) وحسبك بهذه الكلمة أصلاً يرجع إليه. وعليه فإن أثر المحبة فيه ومنه يظهر في شخص المتجادلين قبل الجدل وأثنائه وبعده، والأصل أن حب المتجادلين للصواب أو حب بعضهم لبعض هو سبب الإثارة لموضوع الجدل، وسوف أعرض هنا بعض آثار المحبة في أسلوب الجدل بما ورد فيه لفظ الحب من الكتاب والسنة، كما يلي:

(١) سورة المجادلة : ١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحيق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١، ص: ٤٥٢ .

(٣) سورة هود : ٣٢ - ٣٤ .

(٤) سورة غافر : ٤ - ٥ .

(٥) الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤١٩ - ١٩٩٩م، (١/٢٢٤).

١ - القول الغليظ لا يوصل المتجادلين إلى اتفاق:

إن الجدل أسلوب من أساليب التفاهم بين البشر، وهو من صفات الإنسان التي ذكرها الله في كتابه الكريم، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)^(١)، قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها، كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة)^(٢) وكلما كان الإنسان ذا إرادة صادقة في الوصول إلى الحق، كان في جداله مستمعا استماع العقلاء ومتكلما كلام الحكماء، فيصل في جداله إلى نتائج تخدم الجميع بالوصول إلى الحق، عن شهر بن حوشب الأشعري عن رايه — رجل من قومه كان خلف على أمه بعد أبيه، كان شهد طاعون عمواس، قال: « لما اشتعل الوجع، قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه، قال: قطع فمات رحمه الله، واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه، قال: قطع ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات، ثم قام فدعا ربه لنفسه فقطع في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام فينا خطيباً، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحيلوا منه في الجبال، قال: فقال له أبو واثلة الهذلي: كذبت، والله لقد صحبت برسول الله ﷺ، وأنت شر من حماري هذا، قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وإيم الله لا نقيم عليه، ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا عنه ودفعه الله عنهم، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرأ فو الله ما كرهه »^(٣). فإن الجدل الذي وقع بين الصحابين رضي الله عنهما أبي واثلة الهذلي وعمرو بن العاص أغلق بقرار عمرو بن العاص لما له من ولاية الأمر، ولم يتفرع إلى محاور لقناعة كل منهما وشدة وحدية النقاش من أول وهلة فلم يحسم باتفاق بينهما، ويعذر كل منهما لشدة الموقف، وخطورة الطاعون على حياة الناس. وهكذا كل جدال لا يوسع فيه للحوار ولطف المقابلة وسهولة اللفظ، يحسم مبكراً دون وصول إلى اتفاق وقناعة مما يفقد الناس الاستفادة وأولهم المتجادلون.

(١) سورة الكهف: ٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ١٧١.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٦٩٧ (٢٢٦/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

٢- النتائج الأولية من الجدل ليست هي النتائج الحتمية:

إن من أسس الجدل أنه يقوم على الاختلاف، اختلاف تضاد أو اختلاف تنوع، وينتهي بنتائج حتمية تقوم على استمرار الاختلاف، أو الاتفاق بزوال أسباب الخلاف الذهنية والعملية، ويلعب الحضور الذهني وبعد النظر دورا كبيرا في تحصيل النتائج؛ وهذه النتائج ليست هي ما يرى ويسمع في أول وهلة من الجدل، فهناك نتائج أولية ظاهرة وهناك نتائج حتمية خاتمة، ولو نظرنا من خلال السنة النبوية لجريات صلح الحديبية، وما عقد عليه من بنود لوجدنا في نتائجه الأولية ظلم بين وهزيمة واضحة للمسلمين، وانتصار بين لمشركي قريش، ولكن الناظر بروية ورؤية ثاقبة وأفق بعيد لواقع المسلمين آنذاك، وللنتائج الحتمية الخاتمة، يجد أن واقع الحال للمسلمين كان يستلزم عقده لما فيه من المصالح العظمى للإسلام والمسلمين في وقته، وقد أسماه الله بالفتح المبين، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حَنْفٍ رضي الله عنه يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ. فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى باطلٍ؟ قَالَ: «بلى» قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بلى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَعِظًا، فَاتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى باطلٍ؟ قَالَ: بلى، قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بلى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قَالَ: «نعم» فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ^(١). فمن واجب الدعاة إلى الله ألا يخوضوا في جدال دون علم وبصيرة، أو دون قدرات شخصية مؤهلة بمعرفة أصول الجدل والمجادل والمجادل عليه، وهذا إن كان المجادل على غير الملة، أما إن كان من أهل الملة فالأصل عدم الخوض في جدال بين المسلمين، فقد قام الدين على الاتفاق والائتلاف، وحذر ونهى عن الفرقة والاختلاف، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٢). أما إن دعت ضرورة للجدال ببيان علم أو رد باطل فهو أصل في الدعوة إلى الله ويجب أن يكون بالحسنى والحجة الواضحة والبرهان القاطع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ٣١٨٢ (٤/١٠٣).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في حسن الخلق، حديث رقم: ٤٨٠٢ (٤/٤٠٠). حسنه الألباني.

عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ^(١). وقال الله تعالى :
(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(٢) .

وكان منهمج الصحابة يخافون كثرة السؤال؛ لأنه مناط الجدل وسبيل هلكة، ومفقد للمحبة، عن زيد بن
أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر بن
الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب:
ثَكَلَتْ أُمُّ عَمْرٍ، نَزَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ
تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخاً يَصْرُخُ بِي. فقلت: لقد
خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزْلٌ فِي قُرْآنٍ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فقال: لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة
لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. ثم قرأ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} ^(٣). وهذه البشارة كانت من
النبي ﷺ جواباً لعمر رضي الله عنه حال جداله في بنود صلح الحديبية، وعظم النبي ﷺ هذه السورة بحبه
لها، قال: (لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لَهِىَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ).

٣- العناد في الجدل يضع حدوداً أمام الحلول الممكنة:

الغاية في الجدل والمناظرة، الوصول إلى الحق، وهذا هو الأصل الشرعي، ورد في الإحياء للغزالي من قول
الشافعي يرحمه الله: (ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً ما فأحببت أن يخطئ)^(٤).
الخصومات المالية من أشد الخصومات، وهضم الحقوق فيها يورث الجدل والأحقاد، وقد جاء الإسلام
بحفظ الحقوق، وحسن الأداء وتيسيره وحسن المتابعة والطلب، عن عائشة رضي الله عنها، تقول: سَمِعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ. وَهُوَ
يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا. فَقَالَ «أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» قَالَ:
أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ^(٥). قال ابن بطال: (قال المهلب: وفي حديث عائشة النهي عن
التألي على الله؛ لأن فيه معنى الاستبداد بنفسه، والقدرة على إرادته، فكأنه لما حتم بالألا يفعل شابه ما يدعيه
القدرية من إثبات القدرة لأنفسها، فوبخه النبي ﷺ بقوله، ففهم ذلك ورجع عن تأليه ويمينه، وقال: «له

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٧٢٨٨ (٩/٩٤).

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة الحديبية، حديث رقم: ٤١٧٧ (٥/١٢٦).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، ج ١، ص: ٢٦.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصلح- باب هل يشير الإمام بالصلح، حديث رقم: ٢٧٠٥ (٣/١٨٧). وانظر: صحيح مسلم- كتاب

المساقاة- باب استحباب الوضع من الدين، حديث رقم: ٤٠٦٦ (٥/٣٠).

أي ذلك أحب » من الوضع عنه أو الرفق به متبرئاً من الفعل إلى الله، ورد الحول والقوة إليه، ويمينه إن كانت بعد نزول الكفارة ففيها الكفارة^(١) ومن هذا الموقف نفهم أن العناد والصد في الجدل يضع حدود قاسية أما الحلول الممكنة، وأن إغلاق باب اليسر يحكم العسر، وهذا يضاد مقاصد الشريعة ويفقد الحجة، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^(٢) ويفهم من الحديث أيضاً، الحث على التيسير بإعطاء المستطاع من الرفق والتنازل عن الحق؛ لأن ذلك يورث المحبة ويعين على التكافل بين المسلمين.

٤- البيان الواضح يغلق أبواب الجدل:

إن من معان الجدل، كثرة النقاش في أي موضوع هو محل جدل، فمن حكمة الداعية أن يغلق أبواب النقاش الواسعة بقوة الوضوح في المسألة، والتفصيل المشبع لتصور السامع، عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَدْخُلَ الْبَيْتَ وَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ: صَلِّي فِي الْحِجْرِ إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ اقْتَصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ»^(٣). إن النبي ﷺ ذو حنو وعاطفة في معاملته لأزواجه، بكل الحب حقق لأمننا رضي الله عنها ما تحب، لم يطل النقاش في المسألة، لماذا الصلاة في البيت ؟ أو لم الآن ؟ وغيرها، لأن النقاش بين الزوجين في الأغلب يؤدي إلى جدال يفضي إلى نزاع بل أخذ بيديها وأدخلها الحجر ويبيّن لها أنه من الكعبة على رضا منها ومحبة. وبين لها أن النفقة قد قصرت بقريش عند تجديد البناء، فأخرجوه من البيت.

٥- قوة الدليل تدحض شبه الجاهلين والمتجاهلين:

الأحكام الفقهية الشرعية تنطلق من النص الشرعي الصحيح، والجهل ينطلق إما عن شهوة أو عن شبهة، والشهوات مضلات للمرء عن طريق الاستقامة وصدع في البناء تنطلق من الهوى والغرائز، والشبهات من المضلات التي تنطلق من الهوى وتحكيم العقل في الشرع، وباب الشهوات لا يدفع الشر منه إلا بالحكمة والموعظ الحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في باب تهذيب الغرائز والأخلاق، ويدفع أيضاً بالحوار الجدلي الهادئ في المكان المناسب، وتحديد الوضع الملائم للقبول، على حال محبة وعاطفة من

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١٥، ص: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٣) انظر: سنن أبي داود-كتاب المناسك- باب في الحجر، حديث رقم: ٢٠٣٠ (١٦٣/٢). وانظر: سنن الترمذي-كتاب الحج عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٨٧٦ (٢٢٥/٣). وانظر: النسائي-كتاب مناسك الحج- باب الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٢٩١٢ (٢٤٠/٥). وانظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦١٦ (١٦٤/٤١). حسنه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح دون قوله : " صلي في الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت " فحسن لغيره .

الطرفين، وحال تستوجب الجذب والدنو وتستعري قبول الحق، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.^(١)

وأيضاً فإن باب الشبهات قد ضل منه كثير من الفرق عن نهج أهل السنة والجماعة ، ولا يدفع إلا بالجدل القائم على الدليل الصحيح والتفنيد الدقيق لمباحث وأصول الشبهة، بعيداً عن الشخصيات. فإن الدفع للفكرة الضالة يمت شخصياتها، وبدفع الشخصيات فقط، قد تحيا الأفكار الضالة بل تتفرع وتزداد عمقا وضلالة، ويكثر أتباعها انتصاراً لأصحابهم، ومن هذه الفرق الضالة على سبيل المثال ، الخوارج - الحرورية - في العهد الراشدي؛ فإن استعمال الدليل القوي والحجة الشرعية دحضت كثيراً من الشبه عندهم فرجع من رجع إلى الحق، ومن أعظم ما يرد به عليهم فعل النبي ﷺ وسنته، عن الأزرق بن قيس قال «كنا بالأهواز نُقاتِلُ الحروريةَ، فبينما أنا على جُرْفٍ نَهْرٍ إِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، وَإِذَا لِحَامٌ دَابَّتْهُ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتْ الدَّابَّةُ تُنَازِعُهُ، وَجَعَلَ يَتَّبِعُهَا - قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ - فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ الشَّيْخُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ، وَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَثَمَانِيًا، وَشَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ، وَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَنْ أَرَاكَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعِيهَا تَرْجِعَ إِلَى مَا لَفَهَا فَيَشُقَّ عَلَيَّ»^(٢). قال ابن رجب في الفتح: (والمعنى: أنه شاهد من تيسيره (ما

استدل به على أن هذا العمل في الصلاة غير مضر بالصلاة. وقد تقدم أن الإمام أحمد قال: إذا فعل في صلاته كفعل أبي برزة فصلاته جائزة. ومتى كان يخاف من ذهاب دابته على نفسه، فحكمه حكم الخائف، فلا يبطل عمله في الصلاة لتحصيل دابته، وإن كثر. وقد خرج البخاري حديث أبي برزة في ((الأدب)) من ((صحيحه)) هذا، من طريق حماد بن زيد، عن الأزرق، به، وفي حديثه: فانطلقت الفرس، فخلى صلاته واتبعها، حتى أدركها، فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته. والظاهر: أن المراد بترك صلاته ترك العمل

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٢٢١١ (٥٤٥/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح .

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب العمل في الصلاة - باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، حديث رقم: ١٢١١ (٦٥/٢).

فيها، اشتغالا بطلب الفرس، ثم جاء فبنى على مامضى من صلاته^(١) فإن مرض الفهم السقيم للدين، يؤدي للغلو، ويؤدي إلى الأحكام الخاصة الجائرة الفاجرة، هذا هو الذي فعل هؤلاء الأشخاص إلى الإنكار الخاطئ والسب الفاحش، ويؤدي إلى التكفير وهتك الأعراض، وسفك الدماء وإهلاك الأموال والأنفس، ومن أخص أوصافهم الخيانة، والله لا يحب الخائنين، وكان من حكمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن بعث إليهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ليجادلهم ويدعوهم إلى الحق والرجوع عن باطلهم الذي ظاهره الحق عندما قالوا لعلي عليه السلام: (أتحكم الرجال في دين الله، لا حكم إلا لله) وقال كلمته المشهورة في الرد عليهم (كلمة حق أريد بها باطل)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاضِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيَّ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ، مَرَجَعُهُ مِنَ الْعِرَاقِ لِيَالِي قِتْلِ عَلِيٍّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ: وَمَا لِي لَا أَصْدُقُكَ؟ قَالَتْ: فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَحَكَمَ الْحَكَمَانِ، خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ، فَتَزَلُّوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حُرُورَاءُ، مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصِ الْبِسْكَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاسْمُ سَمَّاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فَحَكَّمَتْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَلَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى. فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ مُؤَدَّنًا فَأَذَّنَ: أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا أَنْ امْتَلأتِ الدَّارُ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ، دَعَا بِمُصْحَفِ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مَدَادٌ فِي وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوَيْنَا مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَصْحَابُكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فَأَمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنْ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ وَنَقِمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ: كَتَبَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: سُهَيْلُ لَا تَكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: كَيْفَ نَكْتُبُ؟ فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَخَالَفَكَ. فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قُرَيْشًا. يَقُولُ: اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي

(١) فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن

قَوْمَهُ: قَوْمٌ خَصْمُونَ فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا تَوَاضَعُوا كِتَابَ اللَّهِ. فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنُوَاضِعَنَّه كِتَابَ اللَّهِ، فَإِنْ جَاءَ بِحَقِّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّه، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّه بِبَاطِلِهِ. فَوَاضَعُوا عَبْدَ اللَّهِ الْكِتَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، فِيهِمْ ابْنُ الْكَوَّاءِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيِّ الْكُوفَةِ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقَفُّوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمَعَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمْ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آَلَهُ؟ قَالَ: آَلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ. قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَحَدَّثُونَ؟ يَقُولُونَ: ذُو الشُّدِيِّ، وَذُو الشُّدِيِّ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ، وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلِ، فَدَعَا النَّاسَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فَلَانٍ يُصَلِّي، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فَلَانٍ يُصَلِّي، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِشَيْءٍ يُعْرِفُ إِلَّا ذَلِكَ. قَالَتْ: فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَتْ: أَجَلْ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ اللَّهُ عَلِيًّا إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ.^(١)

٦- الجدل يعتمد على صحة المصادر والاتفاق عليها:

إن الجدل في أمر بين المسلمين، الحجة فيه لا تقوم إلا بالأدلة الصحيحة من مصادر الشريعة، ولا معاوضة بالأدلة العقلية أو النقلية عن غير مصادر الإسلام، لأن المحور المتفق عليه بين المسلمين هو الإسلام، وعليه قامت الحجة بينهم. أما الجدل بين المسلمين وغيرهم، فإن من المصاعب التي تواجه المتجادلين اختلاف المصادر التي يعتمد عليها في تقرير موضوع الجدل، بل إن الجدل هنا محسوم النتيجة، ومثاله من يجادل النصارى بما في القرآن من أدلة وهو مؤمن بتحريف كتابهم، وهم يجادلونه على إيمان بصحة كتابهم وكفرهم بالقرآن؛ فإن هذا الاختلاف في المصادر، يؤدي إلى قطيعة الحوار، لتصادم المصادر عند المتجادلين، عن أَبِي قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ، مَنَا وَفِينَا بُشَيْرُ^(٢) بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عُمَرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». قَالَ أَوْ قَالَ «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند علي بن أبي طالب ﷺ، حديث رقم: ٦٥٦ (٨٤/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٢) بشير بن كعب ابن أبي، الفقيه، أبو أيوب الحميري العدوي البصري، العابد، أحد المخضرمين، قيل: إن أبا عبيدة بن الجراح استعمله على بعض الأمور. حدث عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة. حدث عنه عبد الله بن بريدة، وقنادة، وطلق بن حبيب، والعلاء بن زياد، وثابت البناني، وجماعة. وثقه النسائي وغيره. وكان أحد القراء والزهاد، رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥١/٤).

كَعَبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةٌ وَوَقَارًا لِلَّهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ أَلَا أُرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُعَارِضُ فِيهِ. قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ قَالَ فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ^(١). وفي رواية لأحمد في المسند (قال: فجفاه وأراد أن لا يحدثه، فقليل له أنه كما تحب^(٢)). وكان حجة التابعي بشير بن كعب في جداله لعمران ﷺ أن مما يقرأ في كتب الحكمة أن في الحياء سَكِينَةٌ ووقار وضعف، وغضب عمران لهذا القول لأنه يصادم صحيح السنة ويعارض الحديث: أن الحياء خير كله، وإنما قال عمران ﷺ ذلك مغضبا لأن الحجة إنما هي في سنة رسول الله لا فيما يروي عن كتب الحكمة لأنه لا يدري ما في حقيقتها ولا يعرف صدقها. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (وأما انكار عمران رضي الله عنه فلكونه قال منه ضعف، بعد سماعه قول النبي صلى الله عليه و سلم أنه خير كله، ومعنى تعارض: تأتي بكلام في مقابلته، وتعارض بما يخالفه، وقولهم (أنه منا لا بأس به) معناه ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة أو غيرها مما يخالف به أهل الاستقامة والله أعلم^(٣))

٧- معرفة أصول المجادل المعارض ونقضها:

إن الجدل في حقيقته نقض لحقيقة متصورة أدت إلى أفكار واعتقادات مختلفة عند المتجادلين، ومتى استطاع أحد المتجادلين أن يعرف ما يبني الخصم فكره عليه؛ فإنه سيقوم بنقضها معتمدا على أصول المعارض، فيفحمه بمعرفة أصوله ونقضها، ويضعف موقفه ويسلمه للحق، عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة عن رجل قال: «قلت لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك أحب أن أسمعه منك؟ قال: نعم، لما بلغني خروج رسول الله ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة، خرجت حتى وقعت ناحية الروم، وقال: - يعني ببغداد - حتى قدمت على قيصر: قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه، قال: فقلت: والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضربني وإن كان صادقا علمت، قال: فقدمت فأتيته فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاثا، قال: قلت: إني على دين، قال: إنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، أنت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب شعب الإيمان، حديث رقم: ١٦٦ (٤٧/١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين - مسند عمران بن حصين ﷺ، حديث رقم: ١٩٩٥٦ (١٧٥/٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٢، ٨.

قالها فتواضعت لها، فقال: أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليستم الله هذا الأمر حتى تخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم، كسرى بن هرمز، وليبدلن المال حتى لا يقبله أحد، قال عدي بن حاتم: فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها^(١).

قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم: (إنا أعلم بدينك منك) يدل على معرفة كلية يواجه بها المجادل، ثم أخذ في نقض وجه المعارضة عنده ببيان المخالفة الواضحة للمجادل مما يؤدي مباشرة إلى الإذعان للحق، وشاهده من موقف النبي ﷺ وعدي عليه السلام: (فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، أنت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها) وهكذا الدعاة إلى الله يجب عليهم في جدال المعارضين للدين، أن يعرفوا وجه المعارضة لينقضوها بموجب اعتقاد المعارض، وأصوله العقدية، حيث الوصول إلى الحق يورث المحبة، ويجمع الكلمة ويظهر الحق ويزهق الباطل، وهذه من أجل غايات الدعوة.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث عدي بن حاتم الطائي عليه السلام، حديث رقم: ١٨٢٦٠ (١٩٦/٣٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : بعضه صحيح وهذا إسناد حسن .

ثانيا: أثر المحبة في أسلوب الجهاد

تعريف الجهاد في اللغة:

أصل كلمة الجهاد من (جهد) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الجيم والهاء والذال أصله المشقة، ثم يُحْمَلُ عليه ما يقاربه. يقال جَهَدْتُ نفسي وأَجْهَدْتُ والجُهدُ الطَّاقةُ)^(١).

وأورد الجوهري في الصحاح: (الجُهدُ والجُهدُ: الطَّاقةُ. وقرئ: "والذين لا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ" و "جُهدَهُمْ". قال الفراء: الجُهدُ بالضم الطَّاقةُ. والجُهدُ بالفتح من قولك: اجْهَدْ جُهدَكَ في هذا الأمر، أي ابلُغْ غايةَك. ولا يقال اجْهَدْ جُهدَكَ. والجُهدُ: المشقةُ)^(٢) وذكر ابن منظور في لسان العرب (قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجُهد والجُهد في الحديث، وهو بالفتح المشقة وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير، ويريد به في حديث أم معبد في الشاة الهزال، ومن المضموم حديث الصدقة أَيْ الصدقة أفضل؟ قال جُهدُ المَلِّ أَي قدر ما يحتمله حال القليل، وجُهد الرجل إذا هُزِلَ)^(٣)

تعريف الجهاد في الاصطلاح:

إن مفهوم الجهاد في التصور الأول للمعنى، يعطي البعد الذي عرفته البشرية في تاريخها، من التدافع والنضال والقتال من أجل هدف مسمى لدى كل أمة مجاهدة، وهدفها غالباً النصر لسلطان القهر والسيطرة ويتبعه الظلم أو العدل، ولكن معناه في الإسلام قد تغير خُلُقياً؛ فأعطاه الإسلام بُعداً سامياً وهدفاً نبيلاً ومعنى واسعاً، ويتضح بعده من تحقيق معنى الإنسانية فكلنا لآدم وآدم من تراب، فقد أمر بالرحمة وبالعدل ومنع الاعتداء وجعله منافياً لمحبة الله، قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٤) وهدفه النبيل ينحصر في تحقيق الذلة والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له ونشر العدل، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، ومعناه لا ينحصر في القتال وبذل المال والنفس؛ بل يتعدى إلى التربية النفسية والعدل الاجتماعي لتحقيق التوازن في حياة الناس، ومكانته يوضحها الشيخ صالح الفوزان بقوله (والجهاد في سبيل الله له الأهمية العظيمة في الإسلام؛ فهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل العبادات، وقد عده بعض العلماء

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (جهد) (٤٨٦/١).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (جهد) (١٠٥/١).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، باب حرف الباء، فصل الحاء، مادة (جهد) (١٣٣/٣).

(٤) سورة البقرة: ١٩٠.

ركنًا سادسًا من أركان الإسلام. والجهاد في سبيل الله مشروع بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} ، وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به، وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة من النفاق"^(١). والجهاد مصدر جاهد؛ أي: بالغ في قتال عدوه، وشرعا: قتال الكفار، ويطلق الجهاد على أعم من القتال. قال العلامة ابن القيم: "وجنس الجهاد فرض عين: إما بالقلب، وإما باللسان وإما بالمال، وإما باليد؛ فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع" انتهى. ويطلق الجهاد أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق: فأما مجاهدة النفس؛ فعلى تعلم أمور الدين، ثم العمل بها، ثم تعليمها. وأما مجاهدة الشيطان؛ فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات. وأما مجاهدة الكفار؛ فتقع باليد والمال واللسان والقلب. وأما مجاهدة الفساق؛ فباليد، ثم باللسان، ثم بالقلب؛ حسب التمكن من درجات إنكار المنكر. والجهاد فرض كفاية، إذا قام به من يكفي؛ سقط الوجوب عن الباقي، وبقي في حقهم سنة. وهو أفضل متطوع به، وفضله عظيم، والنصوص في الأمر به والترغيب فيه من الكتاب والسنة كثيرة جدًا^(٢) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ وهو يرمي الجمرة، فقال: يا رسول الله، أيُّ الجهاد أحب إلى الله عز وجل؟ قال: فسكت عنه حتى إذا رمى الثانية عرض له، فقال: يا رسول الله، أيُّ الجهاد أحب إلى الله عز وجل؟ قال: فسكت عنه ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا اعترض في الجمرة الثالثة عرض له، فقال: يا رسول الله، أيُّ الجهاد أحب إلى الله عز وجل؟ قال: كلمة حق تقال لإمام جائر»^(٣) وللجهاد أحكامه الخاصة في الشريعة، ومن أهمها حكمه العام في الإسلام، وهو فرض الكفاية عند الجمهور، وقد ينتقل الجهاد من فرض الكفاية إلى فرض العين في ثلاثة أحوال بينها العلماء، قال ابن قدامة في المغني (ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقا الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام، لقول الله تعالى في كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٨٣﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) ^(٤)

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم: ٥٠٤٠ (٤٩/٦).

(٢) الملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص: ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنه - حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم: ٢٢١٥٨ (٤٨٤/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٤) سورة الأنفال: ٤٥.

(٥) سورة الأنفال: ١٦.

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفر معه لقول الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) ^(١) الآية والتي بعدها وقال النبي ﷺ (إذا استنفرتم فانفروا) ^(٢) وللمحبة أثر في الجهاد في سبيل الله، فإن محبة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، حث عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة وحض عليها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وألقي على الجهاد معنى القتال في سبيل الله بوجه عام في كتب الحديث والفقه سواء كان في الفتح ونشر دين الله أو الدفع لحماية الدين والمال والأرض والعرض، وهو أسلوب له وسائله المتعددة وتختلف من عصر لآخر، حسب تطور وسائل الحياة السلمية والحربية، ورغم كراهة النفس للموت والكد والتعب، فإن الجهاد والشهادة في ميزان المسلم حياة شرف يحرص عليه أهل الإيمان؛ فيكون التعب والنصب من الأجر المحتسب، ويكون الموت من المكروه المحبوب، قال الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ^(٣) فقد أصبح القتال من المكروه المحبوب إلى المحبوب الخالص عند المخلصين لله دينهم، وأصبحت هذه الآية تذكرة لكل عبد منيب في أن الخير معقود في أوامر الله وإن لم يتبين الحكمة ووجه الخير فيها لأن العلم لله فيما أمر ونهى وعلى العبد الاستجابة والإيمان بالقضاء والقدر، قال القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: (هذا هو فرض الجهاد، بين سبحانه أن هذا مما امتحنوا به وجعل وصلة إلى الجنة. والمراد بالقتال قتال الأعداء من الكفار، وهذا كان معلوما لهم بقرائن الأحوال، ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين فقال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا) ^(٤) ثم أذن له في قتال المشركين عامة. واختلّفوا من المراد بهذه الآية، فقليل: أصحاب النبي ﷺ خاصة، فكان القتال مع النبي ﷺ فرض عين عليهم، فلما استقر الشرع صار على الكفاية، قال عطاء والأوزاعي. قال ابن جريج ^(٥): قلت لعطاء: أوجب الغزو على الناس في هذه الآية؟ فقال: لا، إنما كتب على أولئك. وقال الجمهور من الأمة: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين، غير أن النبي ﷺ كان إذا استنفرهم تعين عليهم النفر لوجوب طاعته. وقال سعيد بن المسيب:

(١) سورة التوبة: ٣٨.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الهجرة هل، حديث رقم: ٢٤٨٢ (٢/٣١٢). صححه الألباني.

(٣) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ج ١٠، ص: ٣٦١.

(٤) سورة البقرة: ٢١٦.

(٥) سورة الحج: ٣٩.

(٦) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام..

إن الجهاد فرض على كل مسلم في عينه أبداً، حكاها الماوردي. قال ابن عطية: والذي استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقي، إلا أن يتزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين^(١) وقال البغوي في تفسيره عند هذه الآية: (قوله تعالى: {وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ} أي شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه، من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة، نسخها قوله تعالى: {سمعنا وأطعنا} يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه فقالوا {سمعنا وأطعنا}. قال الله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} لأن في الغزو إحدى الحسنين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة {وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا} يعني القعود عن الغزو {وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} لما فيه من فوات الغنيمة والأجر^(٢) والجهاد الذي نقصده هنا جهاد الجلال في الفتح والدفع، فإن له فضيلة ومكانة في الإسلام، وله محبة ومكانة عند المسلمين، وبفعله واستجابة أمر الله فيه تكون العزة والغلبة للمسلمين، ومن مظاهر وأثر المحبة في أسلوب الجهاد في سبيل الله، فيما ورد فيه من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب، ما يلي:

١ - محبة الجهاد والاستشهاد لفضلهما:

إن للشهيد في سبيل الله منزلة عظيمة في الجنة، وقد وردت النصوص الكثيرة من السنة المبينة لهذا الفضل في مقامه المتميز عن غيره في الجنة، فإن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذه المكانة العظيمة بينها النبي ﷺ في أمر عظيم وهو محبة الشهيد دون غيره العودة إلى الدنيا؛ ليقتل في سبيل الله عشر مرات لما يرى من فضل الكرامة التي هو فيها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما أحدٌ يدخل الجنة، يُحبُّ أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة)^(٣). قال ابن بطال في شرحه: (هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة والحض عليها والترغيب فيها، وإنما يتمنى أن يقتل عشر مرات والله أعلم لعلمه بأن ذلك مما يرضى الله ويقرب منه؛ لأن من بذل نفسه ودمه في إعزاز دين الله ونصرة دينه ونبيه، فلم تبق غاية وراء ذلك وليس في أعمال البر، ما تبذل فيه النفس غير الجهاد، فلذلك عظم الثواب عليه^(٤) وهذا المقام

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٣٨.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الرياض: دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ٢٤٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب تقي الجاهد أن يرجع إلى الدنيا، حديث رقم: ٢٨١٧ (٤/٢٢). وانظر: صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم: ٤٩٧٦ (٦/٣٥).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلان البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٥، ص: ٣٠.

العظيم كان محباً إلى النبي ﷺ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا تُحِبُّ أَنْ تَرْجَعَ إِلَيْكُمْ وَأَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرُ الشَّهِيدِ » قَالَ ابْنُ أَبِي عَمِيرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَلَأنَّ أَقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ »^(١) . وقد نال النبي ﷺ هذه الميزة بعد أن أنجاه الله من كثير من مؤامرات الأعداء ليبلي الرسالة ويكمل الدين ، فقد خرج يوم الهجرة من بين فتيان قريش المشركين المتربصين أمام بيته ، وأنجاه الله في الغزوات من محاولات الهجوم عليه لقتله ، وكذلك نجا من أخطر السيف ، ووقف به على رأسه وهو نائم ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَفَلَ مَعَهُ فَأَذْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُضَاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا ، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلَاتًا . فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقُلْتُ : اللَّهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ^(٢) . وكذلك أنجاه الله من مؤامرات يهود بني النضير على قتله ، بإلقاء الحجر على رأسه وهو جالس بجانب حائط لهم ، وقد أنجاه الله من سحرهم حيث سحروه ، وأنجاه الله من سم جعلوه له في الطعام يوم خيبر ، حيث سموه ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ ، فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِئَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ . قَالَ « مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكَ عَلَى ذَاكَ » . قَالَ أَوْ قَالَ « عَلَيَّ » . قَالَ : قَالُوا : أَلَا نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ : « لَا » . قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣) .

قال : ابن الجوزي في كشف المشكل : (أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، هذا كان في غزاة خيبر واسم هذه اليهودية زينب بنت الحارث)^(٤) وقد بقي أثر السم محبوساً عن فعله حتى يقضي الله أمره ، عصمة من الله لرسوله فيقوم بتمام رسالته ، وعندما حانت ساعة وفاته ﷺ جعل الله هذا السم سبباً لشهادته ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ^(٥) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦) ، قَالَ : لِأَنَّ أَحْلَفَ تَسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُتِلَ قَتْلًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا قَالَ

(١) انظر : سنن النسائي - كتاب الجهاد - باب تمى القتل في سبيل الله ، حديث رقم : ٤٣٤٦ (٤/٢٩٣) . حسنه الألباني .

(٢) انظر : صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ، حديث رقم : ٢٩١٠ (٤/٤٠) .

(٣) انظر : صحيح البخاري - كتاب الهبة وفضلها وتحريض عليها - باب قبول الهدية من المشركين ، حديث رقم : ٢٦١٧ (٣/١٦٣) . وانظر صحيح مسلم - كتاب السلام - باب السم ، حديث رقم : ٥٨٣٤ (٧/١٤) .

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٨ هـ ، ج ١ ، ص : ٨٠٧ .

(٥) سبقت ترجمته ، انظر : فهرس الأعلام .

(٦) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الأعمش^(١) : فذكرت ذلك لإبراهيم^(٢) ، فقال : كانوا يرون أن اليهود سموه وأبا بكر^(٣) . وقد أورد ابن القيم في زاد المعاد الروايات حول سم اليهود له ، وختم بقوله : (وقد اختلف هل أكل النبي ﷺ منها أو لم يأكل ؟ وأكثر الروايات أنه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى قال في وجعه الذي مات فيه : ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خير فهذا أو أن انقطاع الأبهر مني^(٤) . قال الزهري : فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً^(٥) .

٢ - الصدق في الجهاد في سبيل الله :

صور الصدق في الجهاد في سبيل الله لا تعد مواقفها كثرة من حياة الرعيل الأول - جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن جاء بعدهم ، قال الله تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)^(٦)

ومن صور صدق المجاهدين محبة الموت في سبيل الله ؛ فيتمنوا الموت دون الحياة في السلم والحرب ، عن عائشة ، أن سعداً قال ، وتَحَجَّرَ كَلِمُهُ^(٧) للبرء ، فقال : اللَّهُمَّ ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَ فِيكَ ، مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ . اللَّهُمَّ ! فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبٍ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَقْبِنِي أَجَاهِدْهُمْ فِيكَ ، اللَّهُمَّ ! فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَأَفْجِرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا ،

(١) سبقت ترجمته ، انظر : فهرس الأعلام .

(٢) إبراهيم النخعي الإمام ، الحافظ ، فقيه العراق ، أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي ، اليماني ثم الكوفي ، أحد الأعلام ، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد . وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي ، ولم يثبت له منها سماع ، على أن روايته عنها في كتب أبي داود والنسائي والقزويني ، فأهل الصنعة يعدون ذلك غير متصل مع عدهم كلهم لإبراهيم في التابعين ، ولكنه ليس من كبارهم ، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود ، واسع الرواية ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، كثير الخاسن . قال أحمد بن عبد الله العجلي : لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ، وقد أدرك منهم جماعة ، ورأى عائشة . وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما ، وكان رجلاً صالحاً ، فقيهاً ، متوقياً ، قليل التكلف وهو محتف من الحجاج . قال يحيى بن معين : مراسيل إبراهيم أحب إلي من مراسيل الشعبي . توفي وله تسع وأربعون سنة . وفي سنن إبراهيم قولان : أحدهما عاش تسعا وأربعين سنة ، الثاني أنه عاش ثمانيا وخمسين سنة . مات سنة ست وتسعين . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٢٠/٤) .

(٣) انظر : مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حديث رقم : ٣٨٧٣ (٤١٨/٦) . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٤) انظر : سنن أبي داود - كتاب الديات - باب فيمن سقى رجلاً سما أو أطعمه فمات أيقاد منه ، حديث رقم : ٤٥١٤ (٢٩٦/٤) . حسنه الألباني .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١٤ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٣ ، ص : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٦) سورة الأحزاب : ٢٣ .

(٧) (كلم) الكاف واللام والميم أصلان : أحدهما يدل على نطقٍ مُفهِمٍ ، والآخر على جراح . انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٣١/٥) وكَلَّمَهُ كَلِّمًا جَرَحَهُ وَأَنَا كَالِمٌ وَرَجُلٌ مَكْلُومٌ وَكَلِيمٌ . انظر : لسان العرب لابن منظور (٥٢٢/١٢)

فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ^(١)، فَلَمْ يَرْعُهُمْ (وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خِيَمَةٌ مِنْ بَنِي غَفَارٍ) إِلَّا وَالِدَهُمْ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ. فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخِيَمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ فَإِذَا سَعْدٌ جَرَحُهُ يَغْدُ دَمًا. فَمَاتَ مِنْهَا^(٢). في هذا الموقف يصرح سعد بن معاذ رضي الله عنه بحبه للجهاد في سبيل الله وقد رمي بسهم في أكحله في غزوة الخندق، ومرض من جرحه، ووضعت له خيمة في المسجد ليزوره الرسول ﷺ من قريب، وقد حقق الله رغبته في الشهادة واستجاب دعاءه، ولموته اهتز عرش الرحمن، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ »^(٣). أورد ابن حجر في الفتح حاله: (وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره فانفجر)^(٤)

وحيث الإخلاص لله أصل القبول في سائر الأعمال، ويمثل الغاية في الجهاد والاستشهاد؛ فإن المثوبة الحسنة متعلقة بذلك؛ فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذَّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَائُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٥). والله سبحانه هو أعلم بالنيات، ومن صدق الله أوفاه الله على صدقه، وبلغه ما يتمنى، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُمَيْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُقَالُ لَهُ: حُمَمَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَرَجَ إِلَى أَصْبَهَانَ غَازِيًا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ حُمَمَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَكَ، فَإِنْ كَانَ حُمَمَةً صَادِقًا فَأَعِزِّمْ لَهُ بِصَدَقِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَأَعِزِّمْ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَرِهَ اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّ حُمَمَةَ مِنْ سَفَرِهِ هَذَا. قَالَ: فَأَخَذَهُ الْمَوْتُ، وَقَالَ عَفَانُ^(٦) مَرَّةً: الْبَطْنُ، فَمَاتَ بِأَصْبَهَانَ. قَالَ: فَقَامَ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا فِيمَا سَمِعْنَا مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَمَا بَلَغَ عَلَمَنَا إِلَّا أَنَّ حُمَمَةَ شَهِيدٌ^(٨). وقد ثبت في السنة أن من صدق الله في طلب الشهادة بلغه الله منزلة الشهداء، ولو مات على فراشه، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ». وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ فِي حَدِيثِهِ « بِصِدْقٍ »^(٩). ولمعرفة الصحابة رضي الله عنهم فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل

(١) من لب) اللام والباء. أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة اللبّة، وهو موضع القلادة من الصدر، وذلك المكان خالص. وكذلك اللبّ. يقال: لبب الرجل: ضربت لبته. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٩٩/٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، حديث رقم: ٤٦٩٩ (١٦١/٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب مناقب الأنصار- باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨٠٣ (٣٥/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٥٠٠ (١٥٠/٧).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٧، ص: ٤١٥

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم: ٢٨١٠ (٢٠/٤). وانظر: صحيح مسلم- كتاب الإمامة- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم: ٥٠٢٨ (٤٦/٦).

(٦) حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري، ثقة، كان فقيها عالما روى عن ابن عباس وأبي هريرة وروى عنه بن سيرين وأهل البصرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٤) و رجال صحيح البخاري (١٧٦/١) والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٣٥٣/١).

(٧) عفان بن مسلم أبو عثمان الصغار الباهلي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٨) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، حديث رقم: ١٩٦٥٩ (٤٢٨/٣٢) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح إن ثبت سماع حميد بن عبد الرحمن الحميري لهذه القصة من أبي موسى.

(٩) انظر: صحيح مسلم- كتاب الإمامة- باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، حديث رقم: ٥٠٣٩ (٤٨/٦).

الله أحبوه فوق المال والولد عن عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ حَبِيبِ الْعَوْذِيِّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ سَنَانَ^(١) بَنِ سَلَمَةَ مَكْرَانَ^(٢)، فَقَالَ سَنَانُ بْنُ سَلَمَةَ: حَدَّثَنِي أَبِي سَلَمَةُ بْنُ الْمُحَبِّقِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ لَهُ حُمُولَةٌ يَأْوِي إِلَى شَيْعٍ، فَلْيَصُمْ رَمَضَانَ حَيْثُ أَدْرَكَهُ. وَقَالَ سَنَانُ: وَلِدْتُ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَبَشَّرَ بِي أَبِي، فَقَالُوا لَهُ: وَلَدَ لَكَ غُلَامٌ، فَقَالَ: سَهُمٌ أَرْمِي بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا بَشَّرْتُمُونِي بِهِ، وَسَمَّيْنِي سَنَانًا.^(٣) حيث فقهوا معنى قول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)^(٤) وانتصر المسلمون في أول عهدهم بصدقهم في الجهاد، وحبهم لله ولرسوله وتفضيل الآخرة على الدنيا حيث تأصل في نفوسهم أن الدنيا ممر للآخرة، وأن متاعها قليل؛ فهي متاع الغرور والآخرة خير وأبقى.

٣- الرحمة في الجهاد في سبيل الله:

الرحمة من عظام الدين في الإسلام، وهي صفة الله رب العالمين، والجهاد غايته العظمى الرحمة بهداية الناس إلى عبادة الله وحده، فليس القتال هدفا ولا المكاسب المالية والمادية غاية له؛ بل نشر الإسلام والدعوة إليه هي المقصد، وبها رحمة الناس وإنقاذهم من النار، وحتى القتال وسامه الرحمة وحسن المعاملة والإحسان، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًّا وَلَا طِفْلاً وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغْلُوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلَحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٥). وقد حُب هذا الإحسان الإسلام إلى نفوس الناس، وشهد بذلك السيرة النبوية وسيرة

(١) سنان بن سلمة بن الحقيق الهذلي، يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل يكنى أبا جبير روى وكيع عن ابنه عنه أنه قال: ولدت يوم حرب كانت للنبي ﷺ فسماني سناناً، وقد قيل: إنه لما ولد قال أبوه سلمة بن الحقيق لسنان أقاتل به في سبيل الله أحب إلي منه، فسماه رسول الله ﷺ سناناً. وروى عنه أنه قال: ولدت في يوم حرب كانت للنبي ﷺ فذهب بي أبي إلى رسول الله ﷺ فحنكني، وتفل في في، ودعا لي وسماني سناناً. وكان من الشجعان الأبطال الفرسان. قال أبو اليقظان: لما قتل عبد الله بن سوار، كتب معاوية إلى زياد: انظر رجلاً يصلح لتغر الهند فوجهه. فوجه زياد سنان بن سلمة بن الحقيق الهذلي. وقال خليفة بن خياط: ولي زياد سنان بن سلمة بن الحقيق الهذلي غزو الهند، بعد قتل راشد بن عمرو الجريري، وذلك سنة خمسين. ولسان هذا خبر عجيب في غزو الهند. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٠٢/١).

(٢) مكران بالضم ثم السكون وراء وآخره نون أعجمية، افتتحت في أيام عمر، قال ابن الكلبي كان الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدي، ولي زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة الحقيق الهذلي وكان فاضلاً متألهاً، وأقام بها وضبط البلاد، قال أهل السير سميت مكران بمكران بن فارك بن سام بن نوح عليه السلام أخي كرمان لأنه نزلها واستوطنها، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى، وهذه الولاية بين كرمان من غربها وسجستان شمالها والبحر جنوبها واهند في شرقها قال الإصطخري مكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها الفاويز والقحط، وأكبر مدينة بمكران القربون. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٧٩/٥).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين، حديث رقم: ٢٠٠٧٢ (٢٦٠/٣٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٤) سورة التوبة: ٢٤.

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في دعاء المشركين، حديث رقم: ٢٦١٦ (٣٤٢/٢). قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات؛ غير ابن الفرز، فإنه مجهول؛ كما يشير إلى ذلك قول ابن معين: "ما سمعت أحداً يروي عنه غير الحسن بن صالح". وقال أبو حاتم: "شيخ". وذكره ابن حبان في "الثقات" (٢٠٧/٤).

الخلفاء الصالحين من بعده، حيث أورثت تاريخنا ناصحا بدخول الأعداء في دين الله أفواجا، حبا في الإسلام ومتأثرين بمعاملة المسلمين لهم قبل المعركة وفي الأسر وبعدها.

٤ - الإعداد للجهد في سبيل الله:

الإعداد للجهد بوسائل القوة من الدور الحكيم للقائد؛ بل واجب من واجباته في حفظ الدين والأموال والأعراض، ولن تكون هذه الحماية إلا بتكوين الجيش القوي الذي يشعر الأعداء به؛ فيخافون من سطوته، وبه يستطيع المسلمون نشر الإسلام والدفاع عنه، قال الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ^(١) تدل الآية وتحت على الإعداد والاستعداد، فمن أسس الجهاد تعلم الرمي وإن القوة كما أوضحت السنة النبوية تكون في الرمي على جميع أشكاله وشتى صوره لعموم اللفظ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»^(٢). وعن خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: «كنت مع عقبة بن عامر الجهني وكان رجلاً يحب الرمي، إذا خرج خرج بي معه، فدعاني يوماً فأبطأت عليه، فقال: تعال أقول لك ما قال لي رسول الله ﷺ وما حدثني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه المحتسب في صنعه الخير والرامي به ومنبله^(٣)، وقال: ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، وليس من اللهو إلا ثلاث تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها»^(٤).

ومن حسن الإعداد للجهد اختيار الجند الأقوياء بحسب المهمة التي يقوم بها الجاهد، سواء هذه القوة في صلاحه وتقواه، أو في بدنه أو عقله أو خبرته أو إتقانه لمهنته، والعامل النفسي من أهم المقومات التي يعتمد

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم: ٥٠٥٥ (٥٢/٦).

(٣) (نبل) النون والباء واللام أصل صحيح يدل على فضل وكبر، ثم يستعار منه الحذق في العمل، فيقال للفضل في الإنسان نبل. والتبيل: عظام المدر والحجارة. ويقال: تبيل وتبل وتبل. وفي الحديث: "أعدوا التبل". ويقولون: إن التبل هاهنا الصغار، وإنها من الأضداد، ونبلي أحجاراً للاستنجاء: أغطيها. وفي الباب قياس آخر يدل على رمي الشيء وتبيله وخفة أمره. منه التبل: السهام العربية. والتأبل: صاحب التبل، والتبيل الذي يعمل. ونبلته: رميته بالتبل. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٣/٥).

(٤) انظر سنن أبي داود-كتاب الجهاد-باب في الرمي حديث رقم: ٢٥١٥ (٣٢٠/٢)، وانظر مسند الإمام أحمد-مسند الشاميين رضي الله عنهم حديث رقم: ١٧٣٣٥ (٥٧٢/٢٨). ضعف سنده الألباني وصح بعض أجزائه، تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

عليها نجاح الجهاد في مهمته، حيث الضعف النفسي مدعاة للفشل وفشل المجاهد يمثل خلافاً في قوة الجيش؛ فيمنى بالهزيمة والخسارة، وضعف المجاهد المشغول ببنائه بزواج أو زراعة زرع، أو بناء بيت يضاعف الجيش لضعف القوة المعنوية، وبوب البخاري في صحيحه الجامع، باب من أحب البناء قبل الغزو (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكٌ بَضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمْ يَنْ بِنَهَا) ^(١). ومن سنن النبي ﷺ في جهاده عدم الإفصاح عن وجهة الغزوة، محافظة على سر المسلمين وقوتهم، وألا يأخذهم العدو بمرصده أو كيد يعده لهم، فمن أهم أمور الجهاد والقتال سرية المعلومات والحفاظ على الخطة من تسربها للعدو، وفي غزوة تبوك فمن أجل الظروف الصعبة، من الحر وبعد المسافة عن المقر؛ أخبر النبي ﷺ المسلمين بوجهته على غير عادة؛ لأخذ الاستعداد والوضوح الذي يجب أن يلزمه القائد مع أفراد وجنوده، عندما تكون الأمور مصيرية وغير واضحة النتائج؛ فلا يكن الجند في معزل عن القرار، فإن الكل داخل تحت المسؤولية، وهنا تكمن محبة القائد لجنده ألا يوردهم المهلكات على غرور منه، وغرر منهم، وتكمن محبة الجند لقائدهم ألا يتخلفوا عنه وقت المحنة أو في الظروف الصعبة، عن عبدالله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بني حنيفة - قال: سمعتُ كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث حين تخلف عن قصة تبوك «قال كعب لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تَوَاقَفْنَا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومَفَازاً، وعدوًّا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم. فأخبرهم بوجه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم يترل فيه وحى الله.... الحديث ^(٢). وأعظم قوة هي قوة الله فلا يغفل المسلم عن القوة المعنوية في جهاده، من الإيمان بالله، والتوكل عليه، والثقة به، وأنه هو القوي العزيز الجبار القهار، والخلق خلقه والأمر أمره، وأن النصر من عنده والله غالب على أمره، وهنا في موطن المعركة على المسلم المجاهد أن يلجأ إلى الله بالدعاء كما كان يصنع رسول الله ﷺ في الجهاد والكرب، عن عبيد بن رفاعه الزرقني عن أبيه قال: لما كان يوم أحد انكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استعدوا حتى أتي على ربي، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: اللهم لك الحمد لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب النكاح-باب من أحب البناء قبل الغزو، حديث رقم: ٥١٥٧ (٢١/٧).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب حديث كعب بن مالك، حديث رقم: ٤٤١٨ (٣/٦).

عطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعنا، اللهم حبب إلينا وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق آمين^(١).

٥- الخروج للجهاد في سبيل الله:

يعد عامل الوقت من أهم العوامل في إدارة الجيوش والمعارك، سواء كان على مستوى التدريب والاستعداد، أو على مستوى التنفيذ والقتال، وتختلف ظروف البيئة ووسائل القتال من زمن لآخر، وعلى حسب وضعها يكون حساب الوقت والاهتمام به من جيل لآخر، ومن سنن النبي ﷺ في الخروج للجهاد، محبته ليوم الخميس واختياره للخروج بالجيوش فيه، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس^(٢). قال ابن حجر في الفتح: (وأما الخروج يوم الخميس فلعل سببه ما روي من قوله ﷺ بورك لأمتي في بكورها يوم الخميس، وهو حديث ضعيف أخرجه الطبراني من حديث نبيط - بنون وموحدة - مصغر بن شريط بفتح المعجمة أوله، وكونه ﷺ كان يحب الخروج يوم الخميس لا يستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه، وسيأتي بعد باب أنه خرج في بعض أسفاره يوم السبت)^(٣) وقال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: (وخروجه يوم الخميس لمعنى يجب أن يحمل عليه ويتبرك به؛ لأن لنا في رسول الله أسوة حسنة)^(٤) والخروج للجهاد يعذر الله أهل الأعداء فيه لأمرين: رحمة بهم من عناء الجهاد وهم لا يستطيعونه، وتخفيفا على حمالة الجيش الذي يحتاج إلى الأقوياء وأهل السلامة في الجسد؛ حيث حمل أهل المرض والضرر، قد يشغل الجيش عن مهمته: قال الله عز وجل: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا)^(٥) وقال الله عز وجل: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى

(١) انظر سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - باب الاستنصار عند اللقاء، حديث رقم: ١٠٣٧٠ (٢٢٥/٩). صححه الألباني في الأدب المفرد . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : رجاله ثقات. قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب من أراد غزوة فوري بها ومن أحب الخروج يوم الخميس، حديث رقم: ٢٩٥١ (٤٩/٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ١١٣.

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٥، ص: ١٢٢.

(٥) سورة الفتح: ١٧.

الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾^(١).

عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، فجاء عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بي من الزمانة وقد ترى، وذهب بصري. قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي حتى خشيت أن ترضها، فقال: اكتب {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر، والمجاهدون في سبيل الله}»^(٢). وفضل الله عظيم في عطائه، فقد أعطى أهل الأعداء الأجر على نياهم، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَهُمُ الْمَرَضُ»^(٣). وفي رواية البخاري (حبسهم العذر). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (وفي رواية إلا شركوكم في الأجر قال أهل اللغة شركه بكسر الراء بمعنى شاركه وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه)^(٤).

٦- الصبر في أرض المعركة:

إن أرض المعركة هي الموقف الحاسم في أمر الجهاد والقتال حيث هي موطن تنفيذ الخطة وتمثل إما النصر أو الموت ولا مجال حين التحام الصفوف أو انطلاق الحرب إلى التخاذل أو التنازع قال الله تعالى: (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ﴿٩٢﴾ وهنا تظهر محبة المسلم لدينه بالثبات وذكر الله، وصدقه مع ربه بصبره ولزومه الأمر بالسمع والطاعة والله يحب الصابرين، قال الله تعالى: (وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) ﴿٩٣﴾، وحيث التنازع في الجهاد سبيل الفشل، فقد عاتب الله

(١) سورة التوبة: ٩١ - ٩٢.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث زيد بن ثابت، حديث رقم: ٢١٦٠١ (٤٨٠/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم: ٥٠٤١ (٤٩/٦).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٣، ٥٧.

(٥) سورة الأنفال: ٤٥ - ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ١٤٦.

المؤمنين في اهتم بالفشل لإظهارهم اختلاف الرأي في وقت حرج من غزوة أحد أثناء الاستعداد، وعاتبهم أيضا، على عصيان أمر الرسول ﷺ أثناء المعركة حينما نزل الرماة من الجبل، وقد أبان الله تعالى خطورة التنازع لمن هم بالفشل والفرار عن رسول الله ﷺ، وأثبت لهم ولايته لما معهم من إيمان وفرحوا بذلك: عن جابر رضي الله عنه قال: (نزلت هذه الآية فينا: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا)^(١) بني سلمة وبني حارثة، وما أحبُّ أنَّها لم تَنَزَّلْ والله يقول: (والله وليهما)^(٢) والولاية من الله قوة وحفظ وفضل؛ وكذلك فقد عفا الله عن المؤمنين الذين انكسر المسلمون بسببهم يوم أحد حيث نزلوا عن مواقعهم المحددة لهم من الرسول ﷺ وهموا بجمع الغنائم؛ فانكشف المسلمون للمشركين، وأصابوا منهم سبعين شهيدا، وشجوا النبي ﷺ وكسروا رباعيته، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ^٣ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ^٤ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ^٥ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ^٦ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)^(٣) لقد أراهم الله النصر، قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: (أي صدقكم الله وعده إلى أن فشلتم، أي كان ذلك الوعد بشرط الثبات. ومعنى {تَنَزَّعْتُمْ} اختلفتم؛ يعني الرماة حين قال بعضهم لبعض: نلحق الغنائم. وقال بعضهم: بل نثبت في مكاننا الذي أمرنا النبي ﷺ بالثبوت فيه. {وَعَصَيْتُمْ} أي خالفتم أمر الرسول في الثبوت. {مَنْ بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ} يعني من الغلبة التي كانت للمسلمين يوم أحد أول أمرهم؛ وذلك حين صرع صاحب لواء المشركين على ما تقدم، وذلك أنه لما صرع انتشر النبي ﷺ وأصحابه وصاروا كتائب متفرقة فحاسوا العدو ضربا حتى أجهضوهم عن أثقالمهم. وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلوبة، وحمل المسلمون فهكوهم قتلا. فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله عز وجل قد فتح لإخوانهم قالوا: والله ما نجلس ههنا لشيء، قد أهلك الله العدو وإخواننا في عسكر المشركين. وقال طوائف منهم: علام نقف وقد هزم الله العدو؟ فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي ﷺ ألا يتركوها، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلا. وألفاظ الآية تقتضي التوبيخ لهم، ووجه التوبيخ لهم أنهم رأوا مبادئ النصر، فكان الواجب أن يعلموا أن تمام النصر في الثبات لا في الانهزام. ثم بين سبب التنازع. فقال: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا} يعني الغنيمة. قال ابن مسعود: ما شعرنا أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد. {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} وهم الذين ثبتوا في مركزهم، ولم يخالفوا أمر نبيهم ﷺ مع أميرهم عبد الله بن جبير^(٤).

(١) سورة آل عمران : ١٢٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي- باب إذ همت طائفتان منكما أن تفشلا.

(٣) سورة آل عمران : ١٥٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني

وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٣٦ - ٢٣٧.

وفي أرض المعركة فهم الإسلام عن الخيانة مع العدو، وهي مع الصديق والنفس أولى ألا تكون، قال الله تعالى: (وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاَنْذِرْ لَهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ)^(١) قال الإمام الطبري في تفسيره: (قول تعالى ذكره: (وإما تخافن)، يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهد. وينقض عقده، ويغدر بك وذلك هو "الخيانة" والغدر، فانذِرْ إليهم على سواء)، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم، أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر (إن الله لا يحب الخائنين) الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد)^(٢) وقال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَتُوا لَا تَحْوَثُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَحْوَثُوا أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^(٣).^(٤) ومنه نعلم أن عموم الخيانة من الأمور المنافية لحبة الله، وأن المؤمن لا يغدر ولا يخون، وفي أصعب المواقف حيث الحرب والقتال أمرنا بعدم الخيانة وغيرها أولى.

وفي أرض المعركة من سنة النبي ﷺ في جهاده مناهضة العدو عند الزوال: عن عبدالله بن أبي أوفى قال: «كان النبي ﷺ يجب أن ينهض إلى عدوه عند زوال الشمس»^(٥). قال ابن حجر في شرحه: (باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس) أي هذا باب يذكر فيه كان النبي إلى آخره... والحكمة فيه أن الشمس إذا زالت قُب رِيَّاح النصر، ويتمكن من القتال بوقت الإبراد وهبوب الرياح؛ لأن الحرب كلما استحرت وحمي المقاتلون بحركتهم فيها وما حملوه من سلاحهم، هبت أرواح العشي، فبردت من حرهم ونشطتهم، وخففت أجسامهم بخلاف اشتداد الحر، وقد روى الترمذي من حديث^(٦) النعمان بن مقرن رضي الله عنه،

(١) سورة الأنفال: ٥٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١٤، ص: ٢٥.

(٣) سورة الأنفال: ٢٧.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قُرَيْظَةَ لِيَتَرَلَوْا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فاستشاروه في ذلك، فأشار عليهم بذلك - وأشار بيده إلى حلقه - أي: إنه الذبح، ثم فطن أبو لبابة، ورأى أنه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق ذواقاً حتى يموت أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد المدينة، فربط نفسه في سارية منه، فمكث ذلك تسعة أيام، حتى كان يجر مغشياً عليه من الجهد، حتى أنزل الله توبته على رسوله. فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يخلوه من السارية، فحلف لا يخله منها إلا رسول الله ﷺ بيده، فحله، فقال: يا رسول الله، إني كنت نذرت أن أخلع من مالي صدقة، فقال يجزيك الثلث أن تصدق به" (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٠) .

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين، حديث رقم: ١٩١٤١ (٤٨٢/٣١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب السير عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، حديث رقم: ١٦١٢ (١٥٩/٤). وضعه الألباني .

قال: غزوت مع النبي ﷺ فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قاتل فإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس فإذا زالت الشمس قاتل حتى العصر، ثم يمكس حتى يصلي العصر، ثم يقاتل وكان يقال عند ذلك تميج رياح النصر ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم^(١). وكما كان النبي ﷺ يحب منازل العدو في أوقات محددة، فقد كان يعطي الراية لمن يحب ويرى فيه القدرة على حملها دون غيره، عن سلمة رضي الله عنه قال: «كان عليٌّ رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ في خير وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فخرج عليٌّ رضي الله عنه فلحق بالنبي ﷺ. فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غداً رجلاً يحب الله ورسوله - أو قال: يحب الله ورسوله - يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه»^(٢).

وفي أرض المعركة كان من سنته ﷺ محبة البقاء بمقر الجيش المغلوب ثلاثة أيام، عن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا غلب على قوم أقام بالعرصة^(٣) ثلاثاً. قال ابن المشي: إذا غلب قوماً أحب أن يقيم بعرضتهم ثلاثاً»^(٤). وهذا البقاء يعزز قدرات الغالب ويضعف معنويات المغلوب ويعطي صيتاً بظهور المسلمين وعزتهم.

وللحراسة فضل عظيم في الجهاد في سبيل الله، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٥). ويحتاج المسلمون للحراسة في مواطن الجهاد وغيرها ومن أهم هذه المواطن وقت المبيت أو الاستعداد للجهاد في الإقدام أو الإقفال، عن عقيل بن جابر عن جابر رضي الله عنه، قال «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاقِ - فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَهْرِيْقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا، فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: كُونَا بِفِمْ الشَّعْبِ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فِمْ الشَّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَآتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَيْبَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٢١، ص: ٤٨٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير- باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٧٠٢ (١٨/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٧٧ (١٢٢/٧).

(٣) من (عرض) العين والراء والصاد أصلان صحيحان: أحدهما يدل على إطلال شيء على شيء، والآخر يدل على الاضطراب. ومن الباب: عَرَصَةُ الدَّارِ، وهي وَسْطُهَا، والجمع عَرَصَاتٌ وَعِرَاصٌ، ويقال: سَمِيتَ عَرَصَةً لِأَنَّهَا كَانَتْ مَلْعَبًا لِلصِّيَّانِ وَمُخْتَلَفًا لَهُمْ يَضْطَرِبُونَ فِيهِ كَيْفَ شَاءُوا. وكذلك هنا أرض المعركة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٦٧).

(٤) انظر سنن أبي داود-كتاب الجهاد- باب في الإمام يقيم عند الظهور على العدو بعرضتهم حديث رقم: ٢٦٩٧ (١٦/٣)، وانظر مسند الإمام أحمد- أول مسند المدنيين رضي عنهم أجمعين حديث رقم: ١٦٣٥٥ (٢٦/٢٧٤).

(٥) انظر سنن الترمذي- كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله حديث رقم: ١٦٣٩ (١٧٥/٤). وضعفه الألباني .

أَنْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ هَرَبَ: فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيَّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا أَتَّبِعْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَى؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُوْهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا^(١). قال العيني في شرحه: (قوله: " ربيئة " الربيئة - بفتح الراء وكسر الباء - هو العين والطليلة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف - ينظر منه، من رباً يربأ، من باب فتح يفتح، يقال: يربأ أهله، أي: يحفظهم من عدوهم، وارتبأت الجبل، أي: صعدته^(٢)) ويظهر من موقف الصحابي ﷺ وصبره على ألم جراح السهام ما يتمتع به من الشجاعة وعزيمة الجهاد في سبيل الله، التي يؤكد لها عزيمة العبادة وقوة الإيمان، ويدل عليها خشوعه في صلاته، ومحبه للقرآن، قال: (كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُوْهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا).

٧- الفرح بنتائج الجهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)^(٣) قال ابن كثير في تفسيره: (تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة، رضي الله عنهم، أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه، فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذا الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال: { تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها. ثم قال: { يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات، والمسكن الطيبات، والدرجات العاليات؛ ولهذا قال: { وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }. ثم قال: { وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا } أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها، وهي: { نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتكم دينه، تكفل الله بنصركم^(٤))

(١) انظر سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب الوضوء من الدم حديث رقم: ١٩٨ (٧٧/١)، وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديث رقم: ١٤٧٠٤ (٥١/٢٣). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأنزوط على المسند: حديث حسن.

(٢) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج١، ص: ٣٥٤.

(٣) سورة الصف: ١٠ - ١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ، ج٨، ص: ١١٢.

لقد امتن الله على المؤمنين بالنصر في بدر وفي مواطن كثيرة، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ^(١) وقال الله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ) ^(٢) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) ^(٣) وهذا النصر، فضل من الله يستوجب الشكر، حيث النصر محب للنفس بل من متطلباتها التي تسعد بها في الحياة، وقد تميز نصر المؤمنين عن غيرهم، بما قام عليه الدين من نصرة الدين الحق ورفع الظلم ونشر العدل، وفي مواطن الانكسار كيوم أحد أو يوم الحديبية يفتح الله للمؤمنين أبواب البشائر، بالفتح والنصر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه حَدَّثَنِي قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَوِزًا عَظِيمًا} (الفتح: ١-٥) مَرَجَعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ. فَقَالَ: «لَقَدْ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا» ^(٤). ونصر الله لجند الإسلام وإعلاء كلمته كان سببا في إسلام الأعداء الذين أخذتهم العزة بالإثم، وغلظت قلوبهم وعميت عن الحق سنين عديدة؛ فالقوة الغالبة تجعل الأعداء يشبثون من الحق ويتبعونه عن رضا وقناعة، ولو لم يغلبوا لبغوا واستكبروا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءت هند بنت عتبة، فقالت: يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يذلُّوا من أهل خيائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يعزَّوا من أهل خيائك. قال: وأيضا والذي نفسي بيده. قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلا مسيكا، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: لا أراه إلا بالمعروف» ^(٥). قال ابن حجر في الفتح: (وكانت هند لما قتل أبوها عتبة وعمها شيبه وأخوها الوليد يوم بدر، شق عليها، فلما كان يوم أحد وقتل حمزة فرحت بذلك، وعمدت إلى بطنه فشقتها، وأخذت كبده فلاكتها، ثم لفظتها، فلما كان يوم الفتح ودخل أبو سفيان مكة مسلما، بعد أن أسرته خيل النبي ﷺ تلك الليلة، فأجاره العباس غضبت هند لأجل إسلامه، وأخذت بلحيته، ثم أتت بعد استقرار النبي ﷺ بمكة جاءت فأسلمت وبايعت) ^(٦) وتمثل الغلبة للجيش المسلم الفرح بنصر الله، وانقطاع الآمال الوهمية، والأمان الكاذبة التي تسيطر على نفسية المعاندین للحق، فلا يبقى لهم إلا الإذعان للحق، وكبح جماح الباطل من نفوسهم، فتتقلب العداوة إلى محبة، ويظهر الحق على الباطل، قالت هند بنت عتبة: (ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبُّ إليَّ أن يعزَّوا من أهل خيائك) وهكذا تتم الفرحة للمسلم الجديد بإسلامه، ويفرح كل مسلم، بكل مسلم جديد يدخل إلى دين الإسلام.

(١) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة: ٢٥-٢٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ٤٧٣٧ (٥/١٧٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها، حديث رقم: ٣٨٢٥ (٥/٣٩).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ٥٠٨.

المبحث الثاني

أثر المحبة في وسائل الدعوة

تعريف الوسيلة في اللغة:

أصل كلمة الوسيلة من (وسل) وأصلها عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جداً. الأولى الرَغْبَةُ والظَّلَبُ. يقال وَسَلَ، إذا رَغِبَ.) والوَاسِلُ: الراغب إلى الله عز وجل)، وهو في قول لبيد: بلى كلُّ ذي دينٍ إلى الله وَاسِلٌ. ومن ذلك القياس الوَسِيلَةُ. والأخرى السَّرِقَةُ: يقال: أَخَذَ إِبْلَهُ تَوْسُلًا^(١)

وأورد الجوهري في الصحاح: (الْوَسِيلَةُ: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوَسِيلُ والوَسَائِلُ)^(٢) وفي لسان العرب لابن منظور (الوَسِيلَةُ المُنْزِلَةُ عند المَلِكِ، والْوَسِيلَةُ الدَّرَجَةُ، والْوَسِيلَةُ القُرْبَةُ، وَوَسَلَ فلانٌ إلى الله وَسِيلَةً إذا عَمِلَ عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ)^(٣)

تعريف الوسيلة الدعوية في الاصطلاح:

إن الوسائل في الدعوة إلى الله، هي من الأمور التي يستخدمها الدعاة في تبليغ الإسلام، وتظهر جلية في أشياء محسوسة كالهدية مثلاً، ويطلق عليها الوسائل المادية، وقد تكون مشاعر وجدانية وقيماً نفسية، كالصبر على الأذى والحزن لفقد عزيز مثلاً، ويطلق عليها الوسائل المعنوية، وليس من وسيلة مادية إلا ولها مشاعر وقيماً معنوية، وهذا التقسيم يظهر حسب ما يغلب على كل وسيلة حين استخدامها. وحين الجمع بينهما في الدعوة إلى الله تكون الرسالة أبلغ و الاستجابة أقرب، وحسن استخدام هذه الوسائل له دور كبير في قوة تأثيرها، وقد صاغ لها أهل العلم تعريفات محددة؛ لأهميتها في علم الدعوة إلى الله، ومن هذه التعريفات:

— تعريف الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته)^(٤)

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (وسل) (١١٠/٦).

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، مادة (وسل) (٢٧٩/٢).

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (وسل) (٧٢٤ / ١١).

(٤) رسالة في الدعوة إلى الله، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، المدينة المنورة: مطبوعات الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص: ١١.

- تعريف الدكتور علي عبد الحليم محمود: (هي كل طريقة مشروعة يلجأ إليها الداعي إلى الله ليحقق بها أهداف دعوته)^(١)

- تعريف الدكتور سعيد القحطاني: (هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور)^(٢)

- تعريف الدكتور عبد الرحيم المغذوي : (ما يتوصل به إلى دعوة الناس وفق منهج الدعوة القويم)^(٣)

ولعل المتأمل في التعريفات السابقة يجد أنها متوافقة في المستخدم والهدف وهما الداعية والبلاغ، وأهمت الوسائل لتعددتها الذي لا يمكن حصره، وعبر عنها بالطرق أو ما يتوصل به أو ما يستعان به، وعليه يمكن لي أن أحدد معنى الوسيلة: بأنها ما يستعين به الداعية إلى الله من أشياء مادية ومعنوية مشروعة لإيصال دين الله للمدعوين بطريقة ناجحة. فهل من الممكن أن تكون الوسيلة ذات نتائج عكسية سلبية ؟ وللجواب، يمكن القول هنا: نعم، إذا لم يتحقق فيها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون من الوسائل الجائزة والمباحة شرعاً، فلكل وسيلة حكمها وضوابطها الشرعية. فمثلاً، لا تهدي قميصاً من حرير لرجل مسلم ليلبسه؛ حرمة الحرير الشرعية على الرجال في اللباس. ولا تكذب في سرد قصة واقعية على شخصيات معروفة، لم تحدث وقائعها. لأنه كذب وغيبة وكلاهما من كبائر الذنوب. ويجوز لك أن تهدي طيباً وكتاباً نافعا لفضل العلم وحل الطيب في الشريعة، وللداعية أن يسرد قصة حقيقية من الواقع دون التشهير أو التعبير بأصحابها للعظة والعبرة كقصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم.

الشرط الثاني: الاستخدام الصحيح لها، من حيث تحديد النوع والوقت المناسب والموقف السليم والموافقة لمن تستخدم معه. فمثلاً، لا ينبغي أن تتقدم لإلقاء موعظة في حضرة من شهد له بالمقام العلي في العلم، والجلس والمقام له، ولا ينبغي لداعية في يوم وفاة ولد لجاره أن يقيم حفل تكريم دعوي لابنه على تفوقه الدراسي أمام ناظري جاره. وكذلك النصيحة لمخطئ على الملأ، لا تعد نصيحة فهي أقرب للفضيحة. وكذلك زيارة المريض لوقت طويل يولد الحرج له ولأهله الضيق.

ولا شك أن الوسيلة الدعوية الصحيحة مثيرة للمحبة ومولدة للمودة بين الناس، وللمحبة أثر في الوسيلة حين تستخدم بطريقة سليمة، فيستخدم الداعية الوسائل التي يجيدها ويحبها، ولعل الأمر ليس من السهل إطلاقه حين الكلام عن وسائل الدعوة، خاصة ونحن في زمن تعددت فيه وسائل الاتصال، وتنوعت وسائل الإعلام، وتجددت الصناعات في أشكال شتى، وكثر الناس واختلطت الأجناس، وسهل اللقاء مع أي

(١) فقه الدعوة الفردية، د. علي عبد الحليم محمود، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٢هـ، ج١، ص: ١١١.

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض: مطبعة سفير، ط١، ١٤١٢هـ، ص: ١٢٦.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الرياض: دار الحضارة، ط١، ١٤٢٩هـ، ج٢، ص:

جنس وبأسرع وقت، ومن المعلوم بالضرورة أن لكل موقف دعوي حكم خاص به، يشمل الداعية والمدعو وموضوع الدعوة وأسلوبها ووسيلتها وزمانها ومكانها، وأن الكلام الحسن بطيب كلماته، وصدق عباراته، واختيار مناسبته مكانا و زمانا من أفضل وأكمل وسائل الدعوة إلى الله، والتأمل في دعوات الأنبياء في القرآن الكريم يجد تكرار قوله تعالى عن أنبيائه: (وإذ قال)، والقرآن الكريم - كلام الله - أعظم ما يدعو به الداعية، وأبلغ تأثيرا في مسمع المدعوين وقلوبهم، وقد أمر الله نبينا محمد ﷺ بذلك، قال الله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ)^(١) وفي هذا المبحث أخص الحديث عن المحبة وأثرها في وسائل الدعوة؛ لأنه من اليقين أن المحبة تقوى بالوسائل الدعوية وتضعف، وبها يكون الأثر في حياة الناس، وسوف أعرض هنا أثر المحبة في بعض الوسائل الدعوية المعنوية والمادية، والتي جاءت بلفظ الحب الصريح حسب نصوص الكتاب والسنة وأبين أثرها في المحبة، وأثر المحبة فيها، وفق ما يلي:

المطلب الأول: أثر المحبة في الوسائل المعنوية

(١) البلاغ بالكلام:

إن هذه الوسيلة هي الغالبة في بلاغ الأنبياء أقوامهم رسالات الله، أي إيصال المعاني والأوامر والنواهي بالكلام واللغة التي يفهمها قومه، قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^(٢). وكذلك فعل النبي ﷺ مع قريش، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^(٣) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ « يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابِلَهَا بِلَالُهَا »^(٤). قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى آمرا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بإبلاغ ما بعثه به ويأفاده والصدع به، وهو مواجهة المشركين به، كما قال ابن عباس: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ } أي: أمضه. وفي رواية: افعل ما تؤمر. وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة)^(٥). والبلاغ يكون كلاما. ومعنى الكلام قد يقع القبول له في القلب؛ لوضوح المعنى وقوة

(١) سورة ق : ٤٥ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ .

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، حديث رقم: ٥٢٢ (١/١٣٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٥٥١.

البيان، وطهارة الخلق بتوفيق الله وإلهامه الهدى لصاحبه، وإما يقع في القلب الصد والإعراض، لخبث الخلق وفساد الفطرة؛ فيكتب عليه الضلالة لحكمة يعلمها الله، قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار، عند تفسير قول الله تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ)^(١) قال: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ أَي: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ اسْتِعْدَادًا لِلِإِيمَانِ وَالْهُدَى بَبَقِيَّةٍ مِنْ نُورِ الْفِطْرَةِ، لَمْ تُطْفَئْهَا مَفَاسِدُ التَّوْبَةِ وَسُوءُ الْقُدُورَةِ، لَأَسْمَعَهُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَعَنَايَتِهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ سَمَاعَ تَفْقَهُ وَتَدَبَّرُ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ مَمَّنْ أَحَاطَتْ بِهِمْ خَطَايَاهُمْ، وَخُتِمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لَا خَيْرَ فِيهِمْ (لَتَوَلَّوْا) عَنْ الْقُبُولِ وَالْإِذْعَانِ لِمَا فَهَمُّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُعْرِضُونَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ بِقُلُوبِهِمْ عَنْ قَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ)^(٢)، وبالحديث المباشر مع الناس - عبارة أو إشارة - يستطيع الداعية إلى الله أن يوصل الدعوة ويبلغ أوامر الله ونواهيه، سواء عن طريق الموعظة الحسنة، أو مخاطبتهم أثناء مشاركة الناس حياتهم العامة في مساجدهم وسوقهم وحيهم، وله دعوتهم بزيارات خاصة في محلاتهم وبيوتهم، والغاية من ذلك إصلاح المجتمع ومحاربة الفساد، قال الله تعالى: (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)^(٣) و البلاغ بالحث على الاستقامة على الطريق القويم هو المنهج الأصيل، وهو ديدن الأنبياء، قال الله تعالى: (وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ لَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ)^(٤) ولقد كان النبي ﷺ داعية إلى الله في جميع أحواله، كونه الرسول ﷺ المبلغ عن ربه والأسوة الحسنة، ولكل مجتمع نظام خاص به، يجب أن يدركه الداعية كي يستطيع أن يكيف وسائل دعوته مع هذه الأنظمة، وحيث أصبح الحديث المباشر يتم بطرق متعددة، لا تنحصر في اللقاء المباشر بين الداعية والمدعو جسدا وزمانا ومكانا؛ فإن وسائل الدعوة قد تعددت بتطور وسائل الإعلام والاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة، وأصبحت الدعوة إلى الله تصل إلى أقصى الأرض في زمن يسير، ولأكبر شريحة من الناس، حسب لغاتهم مع اختلاف ألسنتهم. والداعية المحبوب لشخصه وعلمه وقوة بيانه تنتظر جماهير الناس دروسه العلمية، وتتناقل علمه بكل الوسائل الدعوية.

٢) ترتيب منازل الشرف بما يقوي الدعوة:

الدراسة النفسية لشخصية المدعو، وقدرة الداعية على اكتشاف مقومات شخصية المدعو، هما الأثر المعنوي البالغ في سداد طريق الدعوة، حيث يستطيع الداعية بناء المجتمع، بشخصيات مؤثرة تقوى بهم الدعوة، وتستمر في نتائجها الإيجابية، عن ابن عباس رضي الله عنهما: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ

(١) سورة الأنفال: ٢٣.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ج ٩، ص: ٥٢٢.

(٣) سورة المائدة: ٦٤.

(٤) سورة العنكبوت: ٢٨ - ٢٩.

الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ^(١)، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ^(٢). قَالَ الْعَظِيمُ آبَادِي فِي شَرْحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ: (أَيُّ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ الَّذِي يَفْتَخِرُونَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ السَّمَاعَ، يَعْنِي الشَّرَفَ)^(٣) ولم يغفل النبي ﷺ طلب العباس ﷺ بإعطاء أبي سفيان ﷺ مكانته الاجتماعية، ومراعاة حالته النفسية بحبه الفخر؛ بل أكدها كوسيلة معنوية في الدعوة، (قال: نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ)، ومن هنا يستفيد الدعاة الدرس، بترتيب منازل الشرف بما يقوي الدعوة حسب شخصيات المدعوين وحاجة الدعوة. وقوة الدعوة في رجال العلم خاصة، ولا يمكن أن يتم البناء الدعوي أو يستمر بعد بنائه إلا بالعلم؛ لذا كان النبي ﷺ يحرص على مقام الأنصار والمهاجرين خلفه في الصلاة تعليمًا وحفظًا للدين، عن أنس: أن رسول الله ﷺ (كان يحب أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه)^(٤) وهذا المنهج النبوي في الدعوة، ما اتخذ العلماء منهجًا في إبراز التلاميذ من بعدهم، وإجازتهم في شتى صنوف العلم، وإنزالهم في مراتبهم المستحقة.

٣) طرح الفوائد العلمية والأسئلة المعرفية في مجالس الدعوة بما يجلب المحبة والمؤالفة:

الإنسان مدني^(٥) في حياته بطبعه، والمسلم نفعي لغيره بدينه، يسعى إلى نشر الخير وبث الألفة بين الناس، ومجلس المسلم في اجتماعه مع الناس مليء بالفوائد، والمسائل المعرفية والعلمية. والداعية إلى الله أجدر من غيره وألزم لنفسه بنشر العلم في مجلسه، والحرص على عدم هدر الوقت في غير فائدة، وإن طرح الفوائد العلمية يضفي المحبة والمؤانسة بين أهل المجلس عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشَبِّهُ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، وَلَا، وَلَا تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ

(١) مرالظهران : الظهران : واد قرب مكة، وعنده قرية يقال لها (مر) تضاف إلى هذا الوادي فيقال (مر الظهران) وتمر الظهران عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة، وقد جاء ذكرها في الحديث . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٣/٤).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الخراج والأمانة والفيء - باب ما جاء في خبر مكة، حديث رقم: ٣٠٢٣ (١٢٣/٣). حسنه الألباني .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٨٨هـ، ج ٨، ص: ٢٥٨.

(٤) انظر : مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك ، حديث رقم : ١١٩٦٣ (٢٧/١٩). وانظر : سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب من يستحب أن يلي الإمام ، حديث رقم : ٩٧٧ (١٩/٢). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٥) مدني : هذه العبارة نسبة إلى المدينة، أي : حياة المدن، حيث يشترك الناس في العيش، وتبادل المنافع، بشكل يومي ومنظم . والحياة المدنية هي المغايرة للحياة البسيطة في القرى والأرياف. والتجمع الإنساني هو طبيعة في الناس، وفطرة تتجلى في البحث عن حياة الاستقرار؛ ومن أجل ذلك تكونت المدن والأقاليم والدول.

يَقُولُوا شَيْئًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هِيَ التَّخْلَةُ فَلَمَّا قُمْنَا، قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا التَّخْلَةُ. فَقَالَ: مَا مَعَكَ أَنْ تَكَلِّمْ، قَالَ: لَمْ أَرَكُم تَكَلِّمُونَ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلِّمْ، أَوْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ عُمَرُ: لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا»^(١).

٤ - مشاركة الناس في الأيام السارة ورفع الحرج عنهم:

إن موعظة - خطبة - العيدين واجتماع الناس فيهما، من الوسائل الدعوية المعنوية، التي تبرز فيهما مشاعر الحبة بين المسلمين والأقربين والجيران في أقوى مظاهرها، يبارك بعضهم لبعض، ويحمدون الله ويكبرونه على ما أتم به عليهم من نعمة العباداة، بصلاة أو صوم أو حج، ويدعون لبعضهم بقبول الأعمال الصالحة، وبوب البيهقي في سننه، (باب مَا رُوِيَ فِي قَوْلِ النَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ)^(٢). والخطبة في هذين اليومين، وكذلك ظهر يوم الجمعة إذا توافق مع أحد العيدين، هي محل للوصاية بتقوى الله وبيان واجبات الصلة والأحكام، والحث على إشاعة الحبة والمودة، وترك الهجر والقطيعة، وقطع دابر العداوة والبغضاء، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ، قَالَ: شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِيَامِهِمَا، يَوْمَ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْآخَرُ يَوْمٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ^(٣). قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: ثُمَّ شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ أَنْ يَنْتَظِرَ الْجُمُعَةَ فَلْيَنْتَظِرْهَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ فَلْيَرْجِعْ، فَقَدْ أَذْنْتُ لَهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: ثُمَّ شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعُثْمَانُ مَحْظُورٌ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ النَّاسَ^(٤) ويمثل اجتماع المصلين في العيد بهجة السرور، وذكر الله وحمده وشكره على فضله وما وفق لإتمام عبادته، وكلا العيدين أتى بعد أداء شعيرة وركن من أركان الإسلام، عيد الفطر جاء بعد صوم رمضان، ويوم النحر جاء بعد يوم عرفة، والحج عرفة. ومن سماحة الإسلام التي تزيد في محبة الناس لهذا الدين أنه حين اجتماع يوم العيد مع يوم الجمعة؛ فإن حضور المسلم البعيد عن مجمع ومصلى المسلمين لخطبة العيد، يجزئ عن حضوره خطبة الجمعة على الاختيار، فمن خطبة عثمان ؓ: (فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ أَنْ يَنْتَظِرَ الْجُمُعَةَ فَلْيَنْتَظِرْهَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التفسير- سورة إبراهيم - باب قوله (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)، حديث رقم: ٤٦٩٨ (٧٩/٦).

(٢) انظر: سنن البيهقي (٣/٣١٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصوم - باب صوم يوم الفطر، حديث رقم: ١٩٩٠ (٤٢/٣). انظر: صحيح مسلم-كتاب الصوم - باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى، حديث رقم: ٢٧٢٧ (١٥٢/٣).

(٤) انظر: موطأ الإمام مالك - كتاب العيدين - باب الأمر بالصلاة قبل الخطبة في العيدين، حديث رقم: ٦١٣ (٢٤٩/٢).

فَلْيَرْجَعْ) ومسألة هل تسقط الجمعة عمن صلى العيد، مسألة خلافية بين العلماء، وهناك من أوجبها على الإمام إذا حضر له من تقوم بهم الجمعة، قال ابن قدامة في المغني: (وَقَالَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ تَجِبُ الْجُمُعَةُ؛ لِعُمُومِ آيَةِ^(١)، وَالْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُوبِهَا وَلِأَنَّهَا صَلَاتَانِ وَاجِبَتَانِ، فَلَمْ تَسْقُطْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، كَالظُّهْرِ مَعَ الْعِيدِ. وَكُنَّا، مَا رَوَى إِيَّاسُ^(٢) بَنُ أَبِي رَمْلَةَ الشَّامِيِّ، قَالَ: {شَهِدْتُ مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: هَلْ شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِيدَيْنِ اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ؟ قَالَ: صَلَّى الْعِيدَ، ثُمَّ رَخَّصَ فِي الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: مَنْ شَاءَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُصَلِّ }^(٣). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَلَفْظُهُ {مَنْ شَاءَ أَنْ يُجْمَعَ فَلْيُجْمَعْ}. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ { : اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجْمَعُونَ }^(٤))^(٥) ومن المعلوم في حقيقة الدين أنه جاء باليسر و رفع المشقة، وما يسر به الناس، ويبعد عنهم العنت والسخط. وقد بوب البخاري في صحيحه الجامع، باب^(٦) قول النبي ﷺ: « يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » وكان يجب التخفيف والتسري على الناس.

٥) اختيار الاسم الحسن في لفظه ومعناه والمناداة به:

إن الاسم الحسن له أثر في نفس صاحبه، وله وقع في تعامله مع الناس، حيث هو القرين الملازم له في شتى أحواله، فكان من سنته ﷺ أن يغير الأسماء التي فيها مخالفة صريحة للتوحيد، كعبد الكعبة حوله إلى عبد الله، وكذلك الاسم الذي فيه تركية مطلقة، كبرة أسمائها زينب، فمن الوسائل المعنوية للدعاية أن ينادي المدعويين بما يحبون من الأسماء، أو الكنى أو الألقاب، وهو باب واسع بسعة أصول اللغة وشمولها للمعاني الحسنة، وقد بوب البخاري في الجامع الصحيح باب^(٧) أحب الأسماء إلى الله عز وجل وعن ابن المسيب^(٨)، عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: « ما اسمك ؟ قال: حَزَنٌ. قال: أَنْتَ سَهْلٌ، قال: لَا أُغَيِّرُ

(١) سورة الجمعة : ٩.

(٢) إياس بن أبي رملة الشامي، سمع معاوية بن أبي سفيان، يسأل زيد بن أرقم عن: العيد والجمعة. روى عنه عثمان بن المغيرة الثقفي، روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي (٤٠٢/٣).

(٣) انظر: سنن ابن داود - كتاب الصلاة - باب إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد ، حديث رقم: ١٠٧٢ (٤١٦/١). صححه الألباني .

(٤) انظر: سنن أبي داود - باب إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد ، حديث رقم: ١٠٧٥ (٤١٧/١). صححه الألباني .

(٥) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ - ج ٢، ص: ٢١٢ - ٢١٣.

(٦) انظر : صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَ عَلَى النَّاسِ (٢٩/٨).

(٧) انظر : صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٤١/٨).

(٨) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائل بن عمران بن مخزوم أبو محمد المخزومي، المدني، سيد فقهاء التابعين، روى عن أبيه وعن عمر واختلف في سماعه منه وعن عثمان وعلي وأبي موسى في آخرين، وعنه الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وآخرون، قال قتادة: ما رأيت أحد قط أعلم بالحلال والحرام منه، وقال مكحول: ما لقيت أعلم منه، وقال سليمان بن موسى: إنه أفقه التابعين: وقال أحمد: إنه أفضل التابعين، وقال بن المديني: لا أعلم أحدا في التابعين أوسع علما منه وهو عندي أجل التابعين، وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه،

اسماً سَمَانِيهِ أَبِي. قال ابن المسيَّب: فما زالتِ الحزونةُ فينا بعدُ»^(١).

٦) مؤالفة قلوب الناس بالمال والكلمة الطيبة الصادقة:

الكلمة الطيبة، وسيلة معنوية عظيمة، تبرز من خلالها أخلاق الداعية، وفيها قوة جذب للمدعوين، وترفع معنوية حب الدين في أنفسهم؛ فيزداد المجتمع المسلم تماسكاً، ويزداد مجتمع الدعوة محبة وألفة، ومن الكلام الطيب الثناء الطيب على أصحاب الخير، بما فيهم من صفات، فإن السمعة الطيبة لا توازيها الأموال الطائلة، وهذه الوسيلة من أعظم الوسائل المعنوية التي يجب ألا يغفل عنها الدعاة في دعوتهم، وهي ما يجب أن يكون بينهم أنفسهم، في زمن كثر فيه النقد، وضعف الإيمان إلا من رحم الله، وتجلّى الحقد، وظهرت آثاره السلبية على الدعوة والدعاة، وخرجت النصيحة عن الأبواب الشرعية بينهم إلى الأغراض الشخصية، وبدلاً من ذكر المحاسن والنصيحة في السر، برز نشر السيئات وإخفاء الحسنات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ)^(٢) وهنا نؤكد بما ورد في السنة النبوية مسألة الموازنة بين المادية والمعنوية في طبيعة شخصية المدعو، فإن المال وسيلة مادية؛ لرفع المعنويات، وتصحيح الصفات كالهلع والجزع، وذلك بمؤالفة المسلم حديث العهد بالإسلام، ولكن الإسلام عندما يقر في القلب، فإن الخيرية هي المقاس في رفعتة وخلقه ومعدنه، عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ - أَوْ سَبِيٍّ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا. فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَنَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعِي الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِّمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَاهْلَاعِ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلَبَ» فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ.^(٣) قال ابن بطال في شرحه: (وفي حديث عمرو بن تغلب دليل أن أرزاق العباد ليست من الله تعالى على قدر الاستحقاق بالدرجة والرفعة عنده، ولا عند السلطان في الدنيا، وإنما هي على وجه المصلحة، والسياسة لنفوس العباد الأمانة بالسوء، ألا ترى أنه رضي الله عنه كان يعطي أقواماً؛ ليداوي ما بقلوبهم من جزع، وكذلك المنع، هو على وجه الثقة بتميزه بما قسم الله له لمنعه رضي الله عنه أهل البصائر واليقين. قال غيره: وفيه من الفقه أن البشر فاضلهم ومفضولهم، قد جبلوا على حب العطاء، وبغض المنع، والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته، وهل لفاعل ذلك مخرج؟ وفيه أن المنع قد لا يكون

وقال ابن حبان: هو سيد التابعين، وقال الشافعي وأحمد وغير واحد: مراسيل بن المسيب صحاح، مات سنة ثلاث وقليل أربع وتسعين، ومولده سنة خمس عشرة وقليل سبع عشرة وقليل إحدى وعشرين. انظر: إسعاف البطأ برجال الموطأ (١٢/١) ..

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب اسم الحزن، حديث رقم: ٦١٩٠ (٤٣/٨).

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجمعة - باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، حديث رقم: ٩٢٣ (١٠/٢).

مذموماً، ويكون أفضل للممنوع لقوله ﷺ: (وَأَكْلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ فِي قُلُوبِهِم مِّنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ). وهذه المتزلة التي شهد لهم بها النبي ﷺ أفضل من العطاء الذي هو عرض الدنيا، ألا ترى أن عمرو بن تغلب اغتبط بذلك بعد جزعه منه، وقال: (ما أحب أن لي ذلك حمر النعم) وفيه استتلاف من يخشى منه، والاعتذار إلى من ظن ظناً والأمر بخلاف ظنه، وهذا موضع كان يحتمل التأنيب للظان، واللوم له لكنه ﷺ رؤوف رحيم كما وصفه الله^(١)

(٧) الحث على الشفاعة الحسنة:

إن الشفاعة الحسنة مما حض عليه الإسلام في القرآن والسنة، قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا)^(٢) وعن أبي موسى عليه السلام، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَائِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا. وَلَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»^(٣). والشفاعة الحسنة وسيلة دعوية، لمساعدة الناس على قضاء حاجاتهم، وجر النفع لهم، فيما لا يستطيعوا الوصول إليه بأنفسهم، والحسن فيها يقوم على النفع للفرد والمجتمع، وينافي المصرة بمصالح الأفراد ومقومات المجتمع، وبوجود المصرة، تخرج الشفاعة الحسنة من ميدان الحسنات إلى ميدان السيئات، فالناس في الحقوق سواسية، ولا يقدم إلا من كان مستحقاً ومؤهلاً في نظام المفاضلات الفردية والحاجات الاجتماعية، الذي يشملها نظام الحياة العادل في الإسلام، بأن يعطى كل ذي حق حقه، والناس في الحق سواسية كأسنان المشط، فإذا استطاع الدعاة إلى الله، بما أعطوا من العلم والمتزلة، أن يشفعوا وينفعوا الناس أفراداً وجماعات، في قضاء حاجاتهم، فهذا مرغوب شرعي، لقول النبي ﷺ (اشفعوا تؤجروا) ولا شك أن هذا يولد المحبة بين الناس، ويجلب التقارب والألفة بين الدعاة والمدعويين، وخاصة بين الشافع والمشفوع له، ولن يكون السعي بالشفاعة الحسنة مسخط أحد على أحد حين قيامها على العدل؛ لأن الأمر بيد الله، والقضاء يمضي بما شاء الله وقدر وأحب، والشافع مأجور، سواء حصل المطلوب أم لم يحصل، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم عند هذا الحديث: (فِيهِ اسْتِحْبَابُ الشَّفَاعَةِ لِأَصْحَابِ الْحَوَائِجِ الْمُبَاحَةِ، سَوَاءَ كَانَتْ الشَّفَاعَةُ إِلَى سُلْطَانٍ وَوَالٍ وَنَحْوَهُمَا، أَمْ إِلَى وَاحِدٍ مِّنَ النَّاسِ، وَسَوَاءَ كَانَتْ الشَّفَاعَةُ إِلَى سُلْطَانٍ فِي كَفِّ ظُلْمٍ، أَوْ إِسْقَاطِ تَغْزِيرٍ، أَوْ فِي تَخْلِيصِ عَطَاءِ الْمُحْتَاجِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١٠، ص: ٥٣٦.

(٢) سورة النساء: ٨٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم: ٦٠٢٦ (١٢/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، حديث رقم: ٦٨٥٨ (٣٧/٨).

فِي الْحُدُودِ فَحَرَامٌ، وَكَذَا الشَّقَاعَةُ فِي تَنْمِيمِ بَاطِلٍ، أَوْ إِبْطَالِ حَقٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهِيَ حَرَامٌ^(١)

٨) توثيق الحديث بشهادة الصادقين:

إن من وسائل الدعوة المعنوية توثيق الحديث بشهادة العدول، فإن بها محبة الحق ومحبة الصادق والمصدق والمصدق عليه، ومنها ما استخدمه عثمان رضي الله عنه في إثبات محبته لقومه بني أمية على غيرهم، أسوة بما كان يفعل النبي ﷺ في محبته لقومه على غيرهم، أداء لحق القرابة والصلة، روى أحمد في المسند (دَعَا عُثْمَانُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيهِمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَصْدُقُونِي نَسَبْتُكُمْ لِلَّهِ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتِرُ قُرَيْشًا عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَيُؤْتِرُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: لَوْ أَنَّ بِيَدِي مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ لَأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى يَدْخُلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ. فَبَعَثَ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ - يَعْنِي عَمَارًا - أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذًا بِيَدِي نَتَمَشَّى فِي الْبُطْحَاءِ حَتَّى أَتَى عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَعَلَيْهِ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ أَبُو عَمَارٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الدَّهْرُ هَكَذَا؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اصْبِرْ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتُ^(٢) ». محبة الأقارب أمر فطري وواجب شرعي، ولهم حق الإسلام والقرابة في حال الإسلام ولهم حق المصاحبة بالمعروف والإحسان في حال الكفر، قال عثمان رضي الله عنه (لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها لبني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم) وهي أعظم ما يهديه المسلم لقرابته؛ ليدخلوا الجنة، بدعوته إياهم إلى الخير؛ محبته لهم وحرصه على نجاحهم. وفي الحديث درس عظيم في الصبر الذي يعد من أعظم القربات في حياة المسلم، ومن أعظم الصفات في حياة الدعاة والمدعويين حيث يعد من الوسائل المعنوية الدعوية، فالصبر صفة لا تماثلها صفة في مواجهة الشدائد كالضراء والبأساء وهي فيهما أظهر من مواجهة الشهوات والطاعات، ولا يمر الحديث عنها دون ذكر أيوب عليه السلام وصبره على المرض، وذكر آل ياسر وصبرهم على عذاب المشركين في سبيل إيمانهم، حيث قضيا في سبيل الله ودعا لهما النبي ﷺ بالمغفرة والجنة.

٩) ذكر المحاسن ورفع المعنويات:

عن ذكوان — حاجب عائشة رضي الله عنها: « أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله، فقال هذا عبد الله بن عباس يستأذن — وهي تموت — فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦، ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٤٣٩. (١/ ٤٩٣) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه.

فلما جلس قال: ابشري، فقالت: أيضاً، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبناء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل: {فَتَيْمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله عز وجل — لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً^(١).

١٠) المقارنة بين الأشياء:

إن المقارنة بين الأشياء في الحسنات والسيئات وسيلة دعوية معنوية؛ تتضح بها الصورة أمام المستهدفين — المدعويين — فيحصل بها معرفة الخطأ من الصواب، وإن استخدام الدعاة إلى الله المقارنة يؤثر بشكل قوي ومباشر في محبة الناس لهذا الدين؛ لأن تجلية الأمور على حقيقتها، يحجب الناس إلى الدعاة إلى الله، وقد ذكرت المقارنة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أعظمها، ما كان مثبتاً للتوحيد ومبطلاً للشرك، ومنها دعوة يوسف ﷺ لصاحبي السجن، قال الله تعالى: (يَصْحَبِي السِّجْنُ وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(٢) فالمقارنة بين الأشياء طريقة هامة في الدراسات التطبيقية والنظرية، وتبرز أهميتها في إيضاح وجوه المقارنة حال الاتفاق وحال المخالفة، ونتائج كل منهما في الصواب والخطأ. والسنة النبوية مليئة بمثل هذه المقارنات التي توصل إلى الهدى والحق، منها ما ورد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَالٌ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَارِثُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ»^(٣). مقارنة هامة كان الحب مقياساً فيها، وتبين بها حقيقة النفع من المال بالصدقة، وهو ما قدمه الإنسان لنفسه من ماله في الصدقات قبل أن يموت ويورث، ويخرج المال عن ملكه إلى ملك غيره من الورثة؛ حيث المال المتصدق به، هو الذي يورث الأجر والمثوبة لصاحبه.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد — مسند بني هاشم ﷺ — مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: ٢٤٩٦ (٤/٢٩٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) سورة يوسف: ٣٩ — ٤٠.

(٣) انظر: سنن النسائي — كتاب الوصايا — باب الكراهية في تأخير الوصية، حديث رقم: ٦٤٠٦ (٦/١٤٧). وانظر: مسند الإمام أحمد — مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٢٦ (٦/١٢٩). وأصله عند البخاري في صحيحه الجامع، انظر: صحيح البخاري — كتاب الرقائق — باب ما قدم فهو له، حديث رقم: ٦٤٤٢ (٨/٩٣).

١١) هجر الحب لحبوه وعتابه:

إن الوصال بين الأحبة هو رمز المودة، ومع ظروف الحياة قد ينقطع وصال الوداد، ومن الحكمة فيه ألا يترك؛ حتى لا يمتد إلى زمن تصبح فيه القطيعة طبيعة، والفصل ألفة، وتنسى أيام المحبة، وقد يتغلب الفصل وتقلب المحبة إلى عداوة بسبب الجفاء؛ لذا أمر الإسلام بعدم الهجر إلا في حدود زمنية ضيقة، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)^(١). وغاية المطلب هنا أن الإصلاح القريب، والتوفيق العاجل، ضروري في كل الأحوال، بين الناس عامة، والدعاة أنفسهم، فيما يحدث من خلل أو زلل يفصل بين الأحبة، فإن جل أسبابه الشدة والغلظة، والجهل والعصية، والغضب والحمية، وسعاية أهل الشقاق والنفاق، ولا يعدم المجتمع المسلم في المقابل من وجود أهل الخير والوفاق، وأهل الإصلاح والتوفيق، فاجتمع المسلم يزهر بهم، سعاة للخير في وصل ما انقطع، وسد المنخرم، ومؤالفة القلوب، ونصرة المظلوم، وكف الجرم، وكل ذلك وسيلة في سبيل إعادة المحبة والصلة ويحصل فيها من العتاب واللوم ما يصفى القلوب من أوجاعها والنفوس من أمراضها، ولا عجب أن تكون المحبة والحرص عليها حينا سبب في القطيعة، عن عروة بن الزبير قال: «كان عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ أحبَّ البَشَرِ إلى عائشةَ بعدَ النَّبِيِّ ﷺ وأبي بكرٍ، وكان أبرَّ الناسِ بها، وكانت لا تُمسك شيئاً مما جاءها من رزقِ الله تصدَّقت. فقال ابنُ الزُّبَيْرِ: ينبغي أن يُؤخذَ على يديها، فقالت: أيؤخذُ على يدي؟ عليّ نذرٌ إن كلمته. فاستشفَّعَ إليها رجالٌ من قُريشٍ، وبأحوالِ رسولِ الله ﷺ خاصةً، فامتنعت. فقال له الزُّهريونُ أحوالُ النَّبِيِّ ﷺ - منهم عبدُ الرحمن بنُ الأسود بن عبدِ يغوثٍ والمِسُورُ بن مخرمة - إذا استأذنتَ فافتحِ الحجابَ، ففعل، فأرسلَ إليها بعَشْرٍ رقابٍ، فأعتقَهم، ثم لم تزل تُعتقُهم حتى بلغت أربعين، فقالت: وَدَدْتُ أَنِي جعلت - حينَ حَلَفْتُ - عملاً أعمله فأفرِّغَ منه»^(٢). وهذا الدرس الذي نستلهمه من موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في الإنفاق والحب، إنه لدرس عظيم، يجب أن نمثله في علاقاتنا وقربتنا، ومنه نستفيد أيضا أن النذر غير محمود على إطلاقه، فإذا ألزم المسلم نفسه نذرا، فلو جعل له بابا يسهل به الخروج من قيده لكان خيرا له، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (وَدَدْتُ أَنِي جعلت - حينَ حَلَفْتُ - عملاً أعمله فأفرِّغَ منه). وكما أن اللوم يحدث به الفصل، فإنه في مواقف يحدث به الوصال، ويؤكد الصواب ويصحح الخطأ، متى وقف الإنسان ببصيرة العاقل ومدافعة الهوى، موقف المتدبر الواعي، عن أسامة بن زيد قال: «دخلت مع رسولِ الله ﷺ على عبدِ الله بن أبي في مرضه نعوذه، فقال له

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، حديث رقم: ٦٠٦٥ (١٩/٨). وانظر: صحيح مسلم-

كتاب البر والصلة والآداب- باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابير، حديث رقم: ٦٦٩٠ (٨/٨).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب - باب مناقب قريش، حديث رقم: ٣٥٠٥ (٤/١٨٠).

النبي ﷺ: قد كنت أهلك عن حب يهود. فقال عبد الله: فقد أبغضهم أسعد بن زرارته فمات»^(١). فإن المنافق عبد الله بن أبي حتى في مرض الموت لم يع الحق من الباطل، ولم يرض بالهدى عن الضلال، فيصر على تأكيده محبة يهود إمعانا في نفاقه، ورغم موته على النفاق، فإن ذلك قدره، وتبقى الملامة والعتاب من وسائل الدعوة المعنوية، تستخدم لتصحيح الأخطاء، ومركز تنبيه؛ كي لا تتراكم الأخطاء، وخاصة إذا كانت الأمور المخدورة بانتهائنها السلبية، وأصبحت شاهدا ودليلا قطعيا، يستخدمه الداعية لدعم نصيحته وبيانه، بل يجب تخصيص النتائج على موقفها دون العموم، فقد أكرم النبي ﷺ ولده المؤمن (عبد الله) بأن صلى على أبيه وكفنه بقميصه حتى نزلت آيات المنع من الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم. أورد ابن حجر في الفتح^(٢) أن هذا المنافق قد طلب عيادة النبي ﷺ له لغاية الحماية والجاهلية لا غاية إيمان وإسلام، قال في حديث رواه الطبراني عن ابن عباس (وكان عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته، فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه، ووقعت إجابته إلى سؤاله بحسب ما ظهر من حاله، إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك). ومنه نعلم أن اللوم وسيلة دعوية معنوية عمل بها النبي ﷺ، ليدرك المسلم الخطأ ويعود إلى الصواب، قبل أن يفوت الفوت بالموت، ويحل العقاب بسوء الختام.

١٢) الإخبار بالمحبة لمن يجب:

الحب كلمة عظيمة، وضعت في لغة الناس لتدل على معاني الصلة النفسية من الخيرية والصفاء بين المتحابين، وعلى دلالات الإيثار القوية من التضحية والفداء، وهي صفة اجتماعية كبيرة الأثر، وأكمل ما تكون في المجتمع المسلم، قامت عليها قواعد الدين ومبادئ الشريعة، وأصلها في ذلك أن قامت في الله ومنه وإليه، فهي بشارة للحبيب والحبوب إذا اجتمعا على هذا الأصل، وهما من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ مَلَّاقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)^(٣). وهذه الوسيلة الدعوية بشارة الدعاة إلى الناس بنشر الحب بينهم، ومن خصوصية الدعاة في البلاغ أنهم يحبون للناس الهدى والخير والصلاح، فواجب على الناس محبتهم بذلك، ومن السنة إخبار المحب لمن يحبه بذلك، عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سالم الجيشاني أتى إلى أبي أمية في منزله، فقال: عن أبي ذر ؓ، يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أسامة بن زيد، حديث رقم: ٢١٧٥٨ (٩١/٣٦). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٨، ص: ٣٣٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم: ٦٦٠ (١٣٣/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ٢٤٢٧ (٩٣/٣) ..

يقول: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله، وقد جئتكم في منزلتكم»^(١). قال النووي يرحمه الله نقلاً عن القاضي عياض: (وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ مِنْ ثَمَرَاتِ حُبِّ اللَّهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحَبَّةُ مُوَاطَاةُ الْقَلْبِ عَلَى مَا يُرْضِي الرَّبَّ سُبْحَانَهُ؛ فَيُحِبُّ مَا أَحَبَّ، وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ)^(٢) ومحبة الدعاة بعضهم لبعض يقوي أمر الدعوة ويظهرها، على مستوى المجتمع أو على مستوى النظام والقرار، وكذلك محبة المسلم لأخيه المسلم في جيرته أو عمله أو سوقه يقوى بها المجتمع المسلم؛ فمن السنة أن يأتيه ويخبره بهذه المحبة، وعلى الخبوع الرد دعاءً بالخير وبمحبة الله له، فيقول: أحبك الله الذي أحببني له أو فيه، عن أنس رضي الله عنه قال: (مر بالنبي ﷺ رجل، فقال رجل: إني لأحبه في الله عز وجل فقال النبي ﷺ: أعلمته؟ قال: لا قال: فأعلمه، قال: فلقيت الرجل فأعلمته، فقال: أحبك الله الذي أحببني له)^(٣).

١٣) المواساة والدعاء:

الداعية إلى الله أحد أفراد المجتمع يتميز عن غيره بعلمه ودعوته، وبذل وقته في النصيحة للناس، ومن واجباته الاجتماعية، أن يكون في قرب من أحوال الناس، وخاصة الجيران والأقارب، وأهل الحل والعقد، والحاجة والمسكنة والفقر، فإن هذا القرب يجعله في تواصل مع الأحداث التي يمرون بها فيؤدي واجبه معهم، فرحاً وترحاً، ففي الأحران والضيق يقل الرفيق المساعد، خلاف الأفراح فالكل يشارك ويبارك، ولا شك أن المواساة واجب شرعي ووسيلة دعوية معنوية، ومورثة للمحبة، عندما يقف الداعية إلى الله موقف المواساة الفعلية والقولية، بما يستطيع من بذل لأهل الضيق والخرج، وعندما يرافقها الدعاء وعبارات الصبر والتصبر، والحمد والشكر، والحث على ما يزيد الإيمان من الصلاة والصدقة، يكون وقعها أكثر وأثرها أعظم، فعندما اشتد الأسى والحزن على يعقوب عليه السلام من فقد ولديه يوسف وبنيامين، ذكر بأن هذا من المهلكات وعليه الصبر، قال الله تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَآتَيْتُ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ^(٤) قال الله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٥) قال البغوي في تفسيره: {قَالُوا} يعني: أولاد يعقوب، {تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذْكُرُ يَوْسُفَ} أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتن من حبه، و " لا " محذوفة من قوله {تَفْتُنَا} يقال: ما فتى يفعل كذا، أي: ما زال، كقول امرئ القيس:

فقلتُ يمينُ الله أبرحُ قائماً *** ولو قطعوا رأسي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي ذر الغفاري، حديث رقم: ٢١٢٩٤ (٢٢٠/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١، ١٢٢.

(٣) انظر: مستدرک الحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٢١ (١٧١/٤). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و شاهده حديث المقدم بن معدي كرب. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٤) سورة يوسف: ٨٤ - ٨٥.

(٥) سورة يوسف: ٨٦.

أي: لا أبرح. {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} قال ابن عباس: دفنا، وقال مجاهد: الحرَض ما دون الموت، يعني: قريبا من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسدا لا عقل لك. والحرَض: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائبا من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون ذَنَفَ الجسم مخبول العقل. وأصل الحرَض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن والمهرم، أو العشق، يقال: رجل حَرَضَ وامرأة حَرَضَ، ورجلان وامرأتان حَرَضَ، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وضع موضع الاسم. {أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} أي: من الميتين^(١) إن من المصائب العظام على المرء، أن يفقد والده أو ولده، والمؤاساة لأهل المصائب من واجب الدعاة من باب الأخوة الإسلامية أولا، وثانيا من باب واجب الدعوة وكسب المدعوين، ومن جميلها الحث على الصبر والدعاء، عن علي عليه السلام قال: «لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: إن عمك الشيخ الضال قد مات، فقال: انطلق فواره ولا تحدث شيئا حتى تأتيني، قال: فانطلقت فواريته فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات، ما أحب أن لي بمن ما عرض من شيء»^(٢).

(١) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٤، ص: ٢٦٨.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم - من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، حديث رقم: ١٠٩٣ (٣٣٢/٢). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وصححه الألباني، قال: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ناجية بن كعب وهو ثقة كما في "التقريب"، وقد قواه الرافعي وتبعه الحافظ في "التلخيص" كما بينته في "إرواء الغليل" (٧٠٧).

المطلب الثاني: أثر المحبة في الوسائل المادية

إن تنوع الوسائل وتطورها، ذو علاقة كبيرة بالفكر، وإيصال المعلومات، وتثبيت الحقائق والتثبت منها، وإزالة الغموض، وتصحيح الأفكار، وفي ميدان الدعوة إلى الله، تتجلى أهمية الوسائل الدعوية المادية، ضمن أساليب الدعوة المتعددة، التي يبلغ بها دين الله للناس، ولا يمكن حصر هذه الوسائل ضمن مجموعة محددة، يتناولها الدعاة في كل حين من دعوتهم؛ ولكن هناك وسائل مادية فطرية ملازمة للداعية وهي خلقية في بدنه، بما وهبه من قدرات في النطق والحركة والسمع والبصر، تتبعها وسائل متغيرة بتغير الزمان، وطبيعة الاستجابة للمؤثرات، كالخلق والعلم والعمر، تتضح في شخصية الداعية كقدوة - في أفعاله وأقواله - ووسائل مادية مستقلة متطورة، كتطور وسائل الإعلام والاتصال وغيرها في العصر الحاضر، فهي متجددة متطورة، ومرتبطة بزمن الدعوة ومكانها، حسب القدرات والإمكانات. ولا تتميز الوسائل الدعوية المادية، باستقلال أو انفصال عن الوسائل المعنوية، بل الدمج الحاصل بينهما يجعلهما وحدة متكاملة، وبهما يكونا وسيلة جاذبة ومحبة للنفوس المستقبلية، ولعل أبرز ما يميز بينهما عدة أمور تظهر على الغالب فيما يلي:

١) الحيز الذي تشغله الوسيلة المادية، ويمكن أن توصف به من حجم ومقاس ولون، ومن أمثلة ذلك: المساجد والمباني، والكتب والمكتبات والمدارس والجامعات والوسائل التعليمية، ومراكز البحوث والدراسات والهيئات والدوائر المتخصصة، وغيرها.

٢) التأثير الفعلي والمعنوي لها، حسب طريقة استخدامها، سواء بالصوت أو الصورة أو البث أو اللمس أو الإحساس، ومن أمثلة ذلك: أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، والأقمار الصناعية، وأجهزة الحاسب الآلي وغيرها.

٣) إمكانية التجديد والتطوير والإعادة والاستخدام المتعدد الأغراض، ومن أمثلة ذلك: وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي والقنوات الفضائية ودوائر المعارف العلمية والرسائل البريدية.

ولا تعد الوسيلة المادية والمعنوية دعوية إلا حين ارتباطها بتبليغ دين الله الحق للعالمين، فتكون قناة موصلة لهذه الغاية العظمى، ومع ما سبق من الميزات، إلا أن غالب هذه الوسائل ووسائل عامة، فلا يوجد وسيلة دعوية متخصصة في الشكل والهيئة إلا ما كان من بيوت الله والمصاحف القرآنية؛ أما ما عداها فلا تخصص بالدعوة إلا حين الاستخدام في أمر الدعوة، فقد ركب موسى عليه السلام وفتاه سفينة في رحلة علمية، وركب موسى عليه السلام والخضر سفينة لمساكين يعملون في البحر في رحلة علمية دعوية، ورغم أن السفينة وسيلة نقل عامة، لكنها أصبحت وسيلة ذاتية مميزة؛ لإيصال حقيقة علمية إنسانية، وحل لمشكلة خاصة؛ حين قام الخضر بخرقها، مقدما مفسدة جزء من السفينة يمكن إصلاحه، على مفسدة سلب السفينة بكاملها من قبل الملك الظالم واغتصابه لها من أصحابها. وهكذا فإن الوسائل العامة، تصبح وسائل دعوية حين ارتباطها وتخصيصها ببيان أمر دعوى في موضوعات الدعوة ومجالاتها.

وهنا سوف أعرض بعض الوسائل الدعوية المادية التي استخدمت في صدر الدعوة الإسلامية وجاءت مرتبطة بلفظ الحب في الكتاب والسنة وفق ما يلي:

(١) المنبر:

المنبر في اللغة من (نبر) وفي معجم مقاييس اللغة عند ابن فارس (النون والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على رَفَعٍ وَعُلُوٍّ. وَنَبْرُ الغلام: صاح أول ما يترعرع. ورجلٌ نَبْرٌ: فصيحٌ جهير. وسُمِّيَ المنبرُ لَأَنَّهُ مرتفع ويُرفَعُ الصَّوتُ عليه)^(١) وورد في الصحاح للجوهري (نَبَرْتُ الشيءَ أَنْبَرُهُ نَبْرًا: رفعتَه. ومنه سُمِّيَ المنبرُ)^(٢) فالمنبر يدل على العلو والارتفاع، المكان المرتفع أبلغ في إيصال الصوت وأبلغ في رؤية الناس للمبلغ ، ومن علو جبل الصفا صدع النبي ﷺ جهرا بالدعوة بعد السنة الثالثة من البعثة في مكة ، وعندما ابتنى مسجده ﷺ في المدينة بعد الهجرة خطب ووعظ على جذع نخلة، ومن ثم اتخذ منبرا يخطب عليه، فخرج من الجذع صوت حنين، محبة وجزعا لفراق النبي ﷺ له، وتظهر معجزة نبي الرحمة ﷺ في ظهور صوت الجمادات، ورحمته لها، حيث نزل وأسكته، ففي رواية عند الترمذي، أنه ضمه ومسح عليه بيده فسكت، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ جَذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجَذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ)^(٣).

فالمنبر وسيلة دعوية مادية، من بناء أو خشب أو صخر، الغاية منه البلاغ في حال علو وارتفاع، وأصبح المنبر في المسجد الجامع ركيزة وعلامة بارزة ، تحصل به الرؤية ومساعد في إيصال الصوت. فهو وسيلة محبة للدعاة إلى الله تعالى، اقتداء بسنة النبي ﷺ، وتبلغ من عليه رسالة الدعوة من خلاله واضحة الغرض، وهي أن تدعو إلى دين الله بياناً للحق، وتبصيرا للناس بأمر دينهم وما فيه صلاح دنياهم، والبعد عن استعماله فيما يثير الفتنة، وما يبعث الشقاق ، أو يحقق المصالح الشخصية على حساب مصالح الأمة، أو يخص الذاتية بما يعزز الأنانية ، ولقد اتخذ النبي ﷺ من أعواد الطرءاء، عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ لَهَا غُلَامٌ نَجَّارٌ قَالَ لَهَا مُرِّي عَبْدَكَ فَلْيَعْمَلْ لَنَا أَعْوَادَ الْمِنْبَرِ فَأَمَرَتْ عَبْدَهَا فَذَهَبَ فَقَطَعَ مِنَ الطَّرَفَاءِ فَصَنَعَ لَهُ مَنْبَرًا فَلَمَّا قَضَاهُ أَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ قَضَاهُ قَالَ ﷺ أَرْسَلِي بِهِ إِلَيَّ فَجَاؤُوا بِهِ فَاحْتَمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ حَيْثُ تَرَوْنَ^(٤). ومن واجب الدعاة إلى الله أن يصونوا هذه

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥. ص: ٣٨٠.

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة ، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ج ٢ ، ص: ١٨٩.

(٣) انظر : صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب الخطبة على المنبر ، حديث رقم : ٩١٨ (٩/٢).

(٤) انظر : صحيح البخاري - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب من استوهب من أصحابه شيئا، حديث رقم: ٢٥٦٩ (٣/١٥٤).

الوسيلة من بدع البناء والإحداث، وأن يبلغوا من خلاله الدين الحق، ويحفظوا مكانته من نشر المواعظ الكاذبة والخطب الخادعة، وأن يحرصوا على لزوم السنة في المواعظ والخطب كلاماً وبياناً، وأسلوباً ومنهجاً.

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ : إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا سَأَلْتُكَ تُكَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَلَا يُكَلِّمُكَ! فَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ قَالَ - فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحْضَاءُ - فَقَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ؟ وَكَأَنَّهُ حَمْدُهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ يَقْتُلُ ، أَوْ يُلْهِمُ إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرَاءِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا؛ اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلْطَلَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ خُلُوةٌ ، فَنَعَمْ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بَغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَيَكُونُ شَهِيداً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

(٢) مواد البيئة النباتية والحيوانية:

إن من الوسائل الدعوية المادية استخدام الداعية إلى الله لمكونات البيئة من النبات، والحيوان والجمادات وغيرها؛ لإيصال المعنى المراد إيصاله للناس، وهذا الاستخدام يختلف باختلاف المعاني، ومدى استيعاب الوسائل لها، ومدى قدرة الناس على الفهم المقصود من هذه الوسيلة، ولعلمنا أن كل الموجودات من المخلوقات تحمل دلائل على توحيد الخالق، وتدلل على معنى في الحياة بما تتسم به من خصائص، فمن لوازم الدعوة أن يكون الداعية خبيراً في الحياة وما فيها من مخلوقات وتجارب؛ ليستدل بها على معاني الخير ويحذر بها من الشر، قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ^١ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى^٢ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ^٣) وقال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ^٤ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ^٥)^(٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِّنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ ، أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَذِّبَانِ وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ! ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كَسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كَسْرَةً ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسَسَا ، أَوْ إِلَى أَنْ يَبْسَسَا^(٤) فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم مكونات البيئة في بيان مواطن الحب والكراهة في مواضع اجتماعية وشرعية، تبين حقيقة الضعف بالمعصية، وحقيقة هوان الدنيا على الله، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريب من ثمانين رجلاً من قریش، ليس فيهم إلا قرشي، لا والله ما رأيت صفيحة وجوه رجال قط، أحسن من وجوههم يومئذ، فذكروا النساء فتحدثوا فيهن، فتحدث معهم حتى أحببت أن يسكت، قال: ثم أتيت، فتشهد ثم قال: أما بعد، يا معشر قریش، فإنكم أهل هذا الأمر ما لم

(١) انظر : صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الصدقة على اليتامى، حديث رقم : ١٤٦٥ (١٢١/٢) .

(٢) سورة الروم: ٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، حديث رقم : ٢١٦ (٥٣/١) .

تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحكم كما يلحي هذا القضيب، - لقضيب في يده - ثم لحا قضيبه فإذا هو أبيض يصلد»^(١). وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفِيهِ. فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ^(٢) مَيِّت. فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ. وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيًّا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكَ. فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(٣). والجمع بين الوسائل المادية في الدعوة إلى الله ومقاصد الشريعة مطلب دعوي، دعا إليه القرآن في آياته، قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة: (ومن آياته سبحانه خلق الحيوان على اختلاف صفاته وأجناسه وأشكاله، ومنافعه وألوانه وعجائبه المودعة فيه، فمنه الماشي على بطنه ومنه الماشي على رجليه ومنه الماشي على أربع، ومنه ما جعل سلاحه في رجليه وهو ذو المخالب، ومنه ما جعل سلاحه المناقير كالنسر والرخم والغراب، ومنه ما سلاحه الأسنان، ومنه ما سلاحه الصياصي وهي القرون يدافع بها عن نفسه من يروم أخذه، ومنه ما أعطى منها قوة يدفع بها عن نفسه لم يحتج إلى سلاح كالأسد فإن سلاحه قوته، ومنه ما سلاحه في ذرقه وهو نوع من الطير إذا دنا منه من يريد أخذه ذرق عليه فأهلكه، ونحن نذكر هنا فصولا منتشرة من هذا الباب مختصرة، وإن تضمنت بعض التكرار، وترك الترتيب في هذا المقام الذي هو من أهم فصول الكتاب، بل هو لب هذا القسم الأول، ولهذا يكرر في القرآن ذكر آياته، ويعيدها ويبيدها ويأمر عباده بالنظر فيها مرة بعد أخرى، فهو من أجل مقاصد القرآن، قال الله تعالى: (قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)^(٤) (٥) فَإِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي نَفْسِهِ وَمَا حَوْلَهُ، يَجِدُ الْقُدْرَةَ الْعَظِيمَةَ فِي التَّسْدِيرِ وَالْخَلْقِ، مِنَ الْجَسَدِ فِي أَجْزَائِهِ وَوُضَائِفِهَا، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ وَالْكَوَاكِبِ، وَالْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ، وَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَالْأَشْجَارِ وَالثَّمَرِ، وَالرِّيَّاحِ وَالْجِبَالِ وَالسَّفْنِ، وَالِدَوَابِّ وَالْأَقْوَاتِ، وَالْأَدْوَاءِ وَالِدَوَاءِ، وَالصُّوْتِ وَالضُّوْءِ، فِي كَوْنِ لَا تَنْقُطُ الدُّرُوسُ وَالْفَوَائِدُ وَالِدَّلَائِلُ مِنْهُ، إِلَّا بِكَلِمَةِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تَجِبُ الْعِبَادَةُ الْحَقَّةُ لَهُ سُبْحَانَهُ دُونَ سِوَاهُ. وَمِنْ كُلِّ مَا سَبَقَ يَسْتَطِيعُ الدَّاعِيَةُ تَوْظِيفَ مَكُونَاتِ الْحَيَاةِ الْمَادِيَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ جَاعِلًا مَنَظَارَ الشَّرْعِ بِأَدْلَتِهِ التَّفْصِيلِيَّةِ، أَمَامَ كُلِّ وَسِيلَةٍ يَسْتَخْدِمُهَا.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٣٨٩ (٣٨٨/٧). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وصححه الألباني، قال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥ / ١٩٢): "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في "الأوسط" ورجال أحمد رجال الصحيح، ورجال أبي يعلى ثقات".
(٢) أسك: من (سك) السكك الصمم وقيل السكك صغر الأذن ولزوقها بالرأس وقلة إشرافها. انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٣٩/١٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - حديث رقم: ٧٦٠٧ (٢١٠/٨).

(٤) سورة يونس: ١٠١.

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص: ٢٤٨.

٣) التطبيق العملي:

يحتاج الداعية إلى الله، إلى المهارة الحركية، في تنفيذ بعض الدروس العلمية أو العرض المرئي أمام المدعويين؛ كي يوصل إليهم غاية دعوية في أمر الدين أو الدنيا، وهنا يجب على الداعية أن يحرص على الإعداد العلمي والعملي الجيد؛ لما يريد أن يقوله أو يفعله، ويكون في دربة عليه لثلاثة أمور: إيصال الأمر على حقيقته إلى المدعويين، والآخر ألا يقع في حرج بارتكاب خطأ حركي أو قولي يفقد الثقة فيه، والآخر أن وسائل العرض المادية في تطور مستمر، وتحتاج إلى خبرة في الاستخدام والصيانة ليستطيع الأداء التنفيذي بجودة، وإصلاح ما يمكن أن يحدث من خلل طارئ، ولقد أصل النبي ﷺ هذه الوسيلة المادية الهامة في حياة المسلمين في أمر الدين والدنيا بالاقتداء به، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ^(١) عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرَنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا، أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ^(٢). ولا شك أن التطبيق العملي في أمر التعليم أثبت للعلم بالشيء من التعليم القولي أو النظري، وهكذا عمل به الصحابة رضي الله عنهم وأحبوه على غيره عن أبي حية، قَالَ: «رَأَيْتُ عَلِيًّا تَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَيْهِ حَتَّى أَقْنَاهُمَا، ثُمَّ مَضَمَضَ ثَلَاثًا، وَاسْتَنْشَقَ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَذَرَأَعِيهِ ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ مَرَّةً ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَأَخَذَ فَضْلَ طَهُورِهِ فَشَرِبَهُ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَحَبُّتُ أَنْ أُرِيَكُمْ كَيْفَ كَانَ طَهُورُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣). وهذه الوسيلة - التطبيق العملي - لها أثر في محبة الناس لما تعلموه وإتقانهم إياه، وبالتجربة فهي محبة إلى المتعلمين من التعليم النظري؛ لأنها تقضي على الملل والسآمة، ويمضي الوقت بها سريعاً على النفس، وقد اكتسب المرء علماً ومهارة عملية يستفيد منها، وتكون أبقي معه عن غيرها من العلوم.

٤) المال ومقوماته:

إن الناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم يحبون المال؛ فإن محبة المال فطرت عليها نفوسهم، ولا غنى لحياتهم عن اكتسابه، باختلاف أصنافه ومصادره وموارده المشروعة، ولا بد أن يدرك الدعاة إلى الله هذه القيمة في

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك بعرفة وجمع وقول المؤذن الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة، حديث رقم: ٦٣٢ (١/٢٩٩).

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء في وضوء النبي ﷺ كيف كان، حديث رقم: ٤٨ (١/٦٧). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة. مسند على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ١٠٤٦ (٢/٣٠٩). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

نفوس الناس؛ ليصلوا إلى محبتهم من خلالها، ويبدلوا من العطاء، ما يؤلف قلوب الناس ويحببهم لدين الله عز وجل، وهذه الوسيلة قد ثبت استخدام النبي ﷺ لها، ومن ضوابط الفهم في استخدامها أن البذل من المال العام يكون مخصوصا بولي الأمر، أما المال الخاص فهو لصاحبه في البذل والعطاء، يرجع الأمر فيه له، إذا توافق مع قيامه العادل عليه وعلى من تجب عليه نفقته من أهله، ومن شواهد استخدام النبي لها، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَاتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا. فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسَلِّمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا. فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. ^(١) وأيضاً، عن صفوان بن أمية رضي الله عنه، قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى صار وإنه أحب الناس إليّ ^(٢). وللدعاة إلى الله أن يدركوا خطورة المال، كما أدركوا فوائده؛ وليس كل مدعو يعطى منه، بل تقدر الشخصيات والأحوال الخاصة والعامة فيه، وتوزن بميزان المصلحة والمفسدة، وأورد المناوي في بيان خطورة الشح الخذر منه في السنة، قال: (فإن الشح) بثلاث الشين (أهلك من كان قبلكم) من الأمم (وحملهم على أن سفكوا دماءهم) أي أسالوها بالقوة الغضبية بخلا بالمال، وحرصا على الاستئثار به (واستحلوا محارمهم) أي استباحوا نساءهم أو ما حرم الله من أموالهم وغيرها ^(٣) وميزان المفسدة والمصلحة قائم على معرفة المؤثرات الأخلاقية في قيمة المال: من الإسراف والبخل والاحتكار والاستكثار، والاستمتاع، ومن أن العطاء المخل قد يضر المصلحة العامة، وقد يفسد شخصية المدعو ولا يصلحها، حيث من مقتضياته المنحرفة الاستكبار والغرور، قال الله تعالى: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ) ^(٤) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(٥) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَتِ ءَامِنُونَ ^(٦) قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (وقوله تعالى إخبارا عن المترفين المكذبين: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ) أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال الله: (أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُثَبِّهُ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ^(٧)) ^(٨)) ^(٩)) وحقيقة المال كما بينها الله تعالى في الآيات، أن الله يرزق

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال وكثرة عطائه، حديث رقم: ٦١٦١ (٧/٧٤) ..

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند المكيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٣٠٤ (١٧/٢٤). وانظر: سنن الترمذي - كتاب الزكاة باب ما جاء في إعطاء المؤلف قلوبهم، حديث رقم: ٦٦٦ (٥٣/٣). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ، ج ١، ص: ١٧٥ .

(٤) سورة سبأ: ٣٥ - ٣٧ .

(٥) سورة المؤمنون: ٥٥ - ٥٦ .

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٥٢١ .

من يشاء ويوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وكل ذلك ابتلاء منه، و بحكمته وعدله وفضله، وأن المال ينفع صاحبه مع الإيمان والعمل الصالح .

٥) الهدية:

إن الأثر النفسي للهدية على المهدي إليه قوي وذو دلالة محددة، وبقدر ما تكون عليه قيمة الهدية المادية في الثمن أو الشكل، إلا أنها تعبر عن اخبة بين المهدي والمهدي إليه أو تحمل دعوى التقارب لا التنافر، وقد ذكرت الهدية في القرآن الكريم في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام، قال الله تعالى: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٧﴾) ذكر ابن كثير في تفسيره: (قال قتادة: رحما الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس. وقال ابن عباس وغير واحد: قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه ^(١)) ومن خصائص النبي ﷺ أنه كان يأكل من الهدية ولا يأكل من الصدقة، وكان من سنته أنه أهدى وأهدي إليه، وحث عليها، وتبقى الهدية في الإسلام أنها من شعار اخبة بين المسلمين، أورد البخاري في الأدب المفرد: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ يَقُولُ: (تَهَادُّوا تَحَابُّوا) ^(٢). وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أهديت له هدية فيها قلادة من جزع، فقال: «لَا دَفْعَ نَهَا إِلَى أَحَبِّ أَهْلِي إِلَيَّ» فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة. فدعا النبي ﷺ أُمَامَةَ بنت زَيْنَب فعلقها في عنقها ^(٣). وللهدية ضوابطها الشرعية كغيرها من الوسائل، سواء في مادة الهدية ونوعها، أو موضع استخدامها، أو من أهديت إليه، ونقل ابن حجر في الفتح عموم الحكم في الهدية بقوله: (جَمَعَ الطَّبْرِيُّ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلِفَةِ بِأَنَّ الْأَمْتِنَاعَ فِيمَا أُهْدِيَ لَهُ خَاصَّةً، وَالْقَبُولَ فِيمَا أُهْدِيَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَدْلَةِ الْجَوَازِ مَا وَقَعَتِ الْهَدِيَّةُ فِيهِ لَهُ ﷺ خَاصَّةً. وَجَمَعَ غَيْرُهُ بِأَنَّ الْأَمْتِنَاعَ فِي حَقِّ مَنْ يُرِيدُ بِهَدِيَّتِهِ التَّوَدُّدَ وَالْمُؤَالَاةَ وَالْقَبُولَ فِي حَقِّ مَنْ يُرْجَى بِذَلِكَ تَأْنِيسُهُ وَتَأْلِيفُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَهَذَا أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ يُحْمَلُ الْقَبُولُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَوْتَانِ، وَقِيلَ يَمْتَنَعُ ذَلِكَ لغيره من الأمراء وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَى نَسْخَ الْمَنَعِ بِأَحَادِيثِ الْقَبُولِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَكَسَ، وَهَذِهِ الْأَجُوبَةُ الثَّلَاثَةُ ضَعِيفَةٌ، فَالْنَسْخُ لَا يَثْبُتُ بِالْإِحْتِمَالِ وَلَا

(١) سورة النمل ٣٤ - ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ١٩٠.

(٣) انظر: الأدب المفرد للبخاري - كتاب المريض - باب قبول الهدية، حديث رقم: ٥٩٤ (٢٠٨/١). وانظر: السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الهبات - باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس، حديث رقم: ١١٧٢٦ (/). حسنه الألباني .

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٧٠٤ (٢٣٢/٤١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

التخصيص^(١) والقول الراجح من أقوال العلماء حين تتبع الأدلة، أن الأصل هو عدم جواز قبول هدايا المشركين، لكن إذا كانت في قبول هداياهم مصلحة عامة أو خاصة؛ فيجوز قبولها، والله أعلم، والأصل في عدم قبول هدية المشركين، يدل عليه ما علم من موقف حكيم بن حزام قبل إسلامه ورد النبي ﷺ لهديته، فإن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: (كان محمد ﷺ أحب رجل في الناس إليّ في الجاهلية فلما تنبأ وخرج إلى المدينة شهد حكيم بن حزام الموسم وهو كافر، فوجد حلة لذي يزن تباع فاشتراها بخمسين ديناراً ليهديها لرسول الله ﷺ، فقدم بها عليه المدينة فأرادته على قبضها هدية فأبى قال عبيد الله: حسبت أنه قال: «إنا لا نقبل شيئاً من المشركين، ولكن إن شئت أخذناها بالثمن» فأعطيته حين أبى عليّ الهدية^(٢). والدعاة إلى الله في ميدان الدعوة، يحدث الإهداء منهم وإليهم، فيجب أن تكون البصيرة هي الغالبة، والإحاطة الشرعية بمقاصد الهدية ونوعها واستخدامها هي النافذة، فإن الرشوة التي حرمها الشارع من صورها الهدية المحرمة، التي تكون لمنع حق أو إنفاذ باطل، وقد تكون من خلال مواقع الدعاة الاجتماعية أو العملية، لما لهم من الشهرة والمكانة النافذة في قلوب الناس والمجتمع. ولا بد أن يقدم الداعية حسن الظن حين قبوله الهدية وأن القصد هو المحبة من المهدي، ويجعل الأصل البراءة في كل مسلم، ما لم تظهر له القرائن الصادقة التي تصرفه عن الأصل إلى غيره.

٦) الفروسية والرمي:

منذ القدم والإنسان عبر التاريخ البشري يعمل على شيئين لضمان البقاء والعيش السوي، وهما وسائل الكسب الغذائي، ووسائل الحماية الأمنية، ومن أجل الأخيرة أخذ يقوم بالدربة على وسائل القتال والدفاع، وإعداد القوة بكل ما تيسر له في كل عصر، حتى جاء عهد الرسالة الخاتمة، وكان من واقع عهدها في الحماية، الفروسية والرمي، فقد أثنى الإسلام في نصوص كثيرة على إعداد القوة، والحث على وسائلها، لما لها من أهمية في نشر الدعوة بالجهاد في سبيل الله وحمايتها من أعدائها، ومن هذه النصوص عن خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: «كنت مع عقبة بن عامر الجهني وكان رجلاً يحب الرمي، إذا خرج خرج بي معه، فدعاني يوماً فأبطأت عليه، فقال: تعال أقول لك ما قال لي رسول الله ﷺ وما حدثني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه محتسب في صنعه الخير والرامي به ومنبله، وقال: ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا، وليس من اللهو إلا ثلاث تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها»^(٣). قال ابن حجر في الفتح: (وفيه: ومن ترك

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ٢٣١.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين رضي الله عنهم - مسند حكيم بن حزام، حديث رقم: ١٥٣٢٣ (٣٩/٢٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في الرمي، حديث رقم: ٢٥١٥ (٣٢٠/٢). و انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم - حديث عقبة بن عامر، حديث رقم: ١٧٣٣٥ (٥٧٢/٢٨). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن بطرقه وشواهده.

الرمي بعد علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها، ولمسلم من وجه آخر عن عقبة رفعه، من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصي، ورواه بن ماجة بلفظ فقد عصاني، قال القرطبي: إنما فسر القوة بالرمي، وأن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب، لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة؛ لأنه قد يرمي رأس الكتبية فيصاب فينهزم من خلفه^(١) فإن قوة المؤمن بكل ما تعنيه القوة من معنى، وعزته في دينه بكل ما يرفعه، فالقوة والعزة مطلب شرعي، فمن وسائل الدعوة اكتساب الدعاة للقوة وحث الناس عليها، واليوم اختلفت مظاهر القوة عما سبق في الشكل والوسيلة ولم تختلف في الغاية، فمن وسائل الدفاع عن الإسلام يحتاج المسلم إلى تعلم فنون القتال بالوسائل الحديثة من السفن والطائرات، والصواريخ، وعلوم الطبيعة والفضاء، وتعلم وسائل تقنية المعلومات ونقلها، ففي العصر الحاضر، أصبح الدفاع العقلي والفكري لا يقل أهمية عن الدفاع القتالي.

٧) البيان الإجرائي بالوسائل الملائمة:

التوجيه والإرشاد للناس يقتضيان البيان الإجرائي قولاً وعملاً، باستخدام الوسائل الملائمة للموقف الذي يتم البيان من أجله، وهو جزء من التطبيق العملي، عَنْ عَبْدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ أَتَيْنَا جَابِرًا - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ، فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَظَرَ فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُحَامَةً، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فَحَتَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ قَالَ «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ؟» ثُمَّ قَالَ «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ فَلَا يَصُفُّ قَبْلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَيُزِقَ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِتَوْبِهِ هَكَذَا». وَوَضَعَهُ عَلَى فِيهِ ثُمَّ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ «أَرُونِي غَيْرًا». فَقَامَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخُلُقٍ فِي رَاحَتِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّحَامَةِ. قَالَ جَابِرٌ فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمُ الْخُلُقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ^(٢). ومن هذا الموقف الكريم يتبين لنا أن النبي ﷺ قام بالبيان الإجرائي فحك النخامة بالعرجون، ولم يكلف أحداً بذلك، وفيه استشارة بأهمية الأمر، وأدب الصحابة مع النبي ﷺ حيث هم وقافون عند أمره ونهيهِ، ولا يتكلفوا أمراً في حضرته إلا بأمره؛ وبعد هذا الإجراء أوضح ﷺ للناس بالقول التفصيلي ليفهم الناس الغاية من الفعل، وثنى بالعلاج الإجرائي مستخدماً من الوسائل يده ﷺ وتوبه والعرجون والطيب، ومن وجد حوله في جلب الطيب، وبكل وسيلة نافعة يتم تعليم الأحكام والآداب، وفي رواية أبي داود، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الْعَرَّاجِينَ وَلَا يَزَالُ فِي يَدِهِ مِنْهَا، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى نُحَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَحَكَّهَا... الحديث^(٣) ومنه يفقه، محبته ﷺ للعرجين واستخدامه لما يحب من الوسائل المادية كالعرجين، فيما يصلح النفع بها، ورمزية حمل العرجون، واستخدامه يحمل

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٩١.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب في كراهية البزاق في المسجد، حديث رقم: ٤٨٥ (١٨١/١) صححه الألباني.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الطهارة - باب البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دُفِنَتْهَا، حديث رقم: ٤٨٠ (١٧٩/١). حسنه الألباني.

من المعنى ما يدل على جواز حمل واستخدام الوسائل الإجرائية المناسبة في حياتنا التعليمية، قال بدر الدين العيني في شرح سنن أبي داود: (ويُستفاد من الحديث فوائد؛ الأولى: إذا رأى أحد نخامة في المسجد، يَحْتَهَا. والثانية: أن المصلي لا يَصِقُّ قبل القبلة ولا عن يمينه؛ بل يَصِقُّ تحت رجله اليسرى، كما فسر في الحديث. والثالثة: أن البصاق لا يفسد الصلاة. والرابعة: جواز استعمال الخلق في المساجد. والخامسة: جواز حمل العصا^(١) ومن هذا الموقف نستببط عظمة المكان من عظمة الفعل، حيث استخدام الطيب المحب إلى النفس، في موضع محبب إلى نفس المسلم وهو المسجد؛ تعظيماً ومحبة لشعائر الله، وقيامه بالعمل بنفسه ﷺ وهو المحبوب من المؤمنين، في إزالة النخامة وتطبيب مكانها بالخلق، فقد أعطى أعظم الأثر في سلوك المسلم لمبدأ الطهارة في المسجد وحفظ كرامة الصلاة والقبلة مما يؤدي. وقد أكد الدين على الطهارة في القلب والثوب والبدن كما هو معلوم من الدين بالضرورة لقول الله تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ)^(٢) وقول الله تعالى: (وَيُتَابَكُ فُطَهْرٌ)^(٣). قال القرطبي: (فيه ثمانية أقوال: أحدهما: أن المراد بالثياب العمل. الثاني: القلب. الثالث: النفس. الرابع: الجسم. الخامس: الأهل. السادس: الخلق. السابع: الدين. الثامن: الثياب الملبوسات على الظاهر)^(٤) وفي زماننا تطورت الصناعات ومنها أدوات النظافة؛ فاستخدم المسلم المناديل الخاصة والمطويات ذوات الروائح الطيبة، والمنظفات ذوات القوة في إزالة الخبائث والنجاسات، وأكرم المسجد بحسن بنائه وحمايته من الهوام والدواب ووضع فيه ما يعين المسلم على العبادة من كتب العلم وحسن الفرش والإضاءة والتهوية وغيرها. وهذه الوسائل المادية يجب على الدعاة أن يحثوا الناس على الاهتمام بها، من أجل تكريم شعيرة الصلاة وما يتعلق بها من صيانة حرمة بيوت الله.

٨) الإشارة باليد:

الإشارة باليد ذات قوة في الدلالة للأمر المقول قبولاً أو رفضاً، ويستطيع المتحدث أن يؤكد كلامه بإشاراته رفعاً وخفضاً، وقبضاً ومداً، وحصرًا وعداً، وقد يحمل بها عدة معانٍ من العطاء والمنع، والذنو والبعد، والعطف والصرف، وكلما كانت الإشارات مناسبة للكلمات كانت أقوى في التأثير، ورغم أهمية الإشارة في تبليغ الدعوة إلى الناس، فهي صفة يجب أن تكون في ميزان الاعتدال أثناء الاستخدام؛ فإن كثرة الإشارة تفقد شخصية الداعية القبول؛ لاتصافه بالخفة وعدم الثبات، وكذلك فإن عدم استخدامها يمثل الجمود للمعاني، ويفقد الكلمات عملية الجذب وبيان القصد الكامل. وقد استخدم النبي ﷺ الإشارة باليد في مواقف كثيرة، منها عَنْ وَابِصَةَ بِنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، تحقيق: أبو

المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ٣٩٦.

(٢) سورة التوبة: ١٠٨.

(٣) سورة المدثر: ٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني

وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ، ج ١٩، ص: ٦٢.

قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَإِذَا عِنْدَهُ جَمْعٌ، فَذَهَبْتُ أَنْخَطِّي النَّاسَ، فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا وَابِصَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَيْكَ يَا وَابِصَةٌ، فَقُلْتُ: أَنَا وَابِصَةٌ، دَعُونِي أَذْنُو مِنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَذْنُو مِنْهُ، فَقَالَ لِي: «إِذْنُ يَا وَابِصَةٌ، إِذْنُ يَا وَابِصَةٌ»، فَذَنُوتُ مِنْهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَقَالَ: «يَا وَابِصَةٌ أَخْبِرْكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ، أَوْ تَسْأَلُنِي؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي، وَيَقُولُ: «يَا وَابِصَةٌ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَأَطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ فَتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»^(١). والشاهد هنا دعوته ﷺ لوابصة للدنو منه، والشاهد هنا قول وابصة: (فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي^(٢))

٩) معاملة الناس بما يحبون:

إذا أردت أن تُحِبَّ فعامل الناس كما تحبُّ أن يعاملوك، وإن محاولة الداعية إلى الله أن يتلمس ما يجب الناس في حدود الحلال، ويقدمه لهم في لون من المودة أمر عظيم ووسيلة دعوية مؤثرة، فإن النفوس سوف تقبل ما قدم، وتقبل على الداعية وتستجيب له محبة له ولما يصنع، وهكذا كان يعامل النبي ﷺ الناس حتى احتواهم بخلقه العظيم وعرفوه بالأمين، عن أنس رضي الله عنه قال: انطلقت بعبد الله بن أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ حين ولد، فأتيته النبي ﷺ وهو في عباءة يَهْنُو^(٣) بعيراً له. فقال لي: «أَمَعَكَ تَمْرٌ؟» قلت: نعم فتناول تمرات، فألقاهن في فيه فلاكهن ثم حنكه ففغر الصبي فاه فأوجره فجعل الصبي يتلمظ فقال رسول الله ﷺ «أَبَتِ الْأَنْصَارُ إِلَّا حُبَّ التَّمْرِ وَسَمَاءَ عَبْدِ اللَّهِ»^(٤). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلَيْنَ. وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَعَنْ يَسَارِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَسْقِيَ خَالِدًا؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَحَبُّ أَنْ أُؤَثِّرَ، بِسُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى نَفْسِي أَحَدًا. فَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَشَرِبَ وَشَرِبَ خَالِدٌ^(٥). قال الملا نور الدين علي القاري (وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ: أَيْ سُورٍ أَحَدٍ عَلَى حَذَفٍ مُضَافٍ، وَهُوَ تَقْدِيرٌ حَسَنٌ ؛ لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بَأَنَّهُ مَنَعَ الْإِثَارَ ؛ لِأَنَّهُ يُحْرَمُ عَنْ سُورِهِ ﷺ وَيَقَعُ لَهُ سُورٌ غَيْرُهُ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم - حديث وابصة بن معبد الأسدي، حديث رقم: ١٨٠٠١ (٢٩ / ٥٢٨) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جداً. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

(٢) وفي رواية عند مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، لِمُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دُمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ. وفي رواية زيادة: (إِنْ أَلَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ).

(٣) الْهَنَاءُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَطْرَانِ، وَقَدْ هَنَأَ الْإِبِلَ يَهْنُوها وَيَهْنُوها هَنَاءً وَهَنَاءً طَلَاهَا. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٨٤ / ١).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٧٩٦ (٢٠ / ١٨٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الأشربة - باب إذا شرب أعطى الأيمن فالأيمن، حديث رقم: ٣٤٢٦ (٥ / ١٨٠). حسنه الألباني.

؛ لَأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَالِدًا مَا كَانَ يَشْرَبُ سُورَهُ كُلَّهُ، مَعَ إِفَادَةِ أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ فَرَاغُ اللَّبَنِ بِشُرْبِ خَالِدٍ، لَكَانَ الْمَمْتَنَاعُ مِنَ الْإِيثَارِ أَوْلَى لِلْحَرَمَانِ الْكُلِّيِّ، لَكِنْ غَفَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَنَّ سُورَهُ ﷺ، مَعَ بَقَاءِ سُورِ خَالِدٍ أَفْضَلُ، فَكَانَ الْإِيثَارُ مُوجِبًا لِلْأَكْمَلِ، فَإِنَّ سُورَ الْمُؤْمِنِ شِفَاءً^(١) حبا في رسول الله ﷺ، وفقها لبركة فضلة شرا به ﷺ لم يؤثر ابن عباس رضي الله عنهما أحدا في هذا الفضل، هكذا الحب الصادق. عامل النبي ﷺ الناس بالحببة والأمانة؛ فأحبه الناس في قديم الزمان قبل الدعوة وبعدها، وفي حياته وبعد وفاته، وما زالت سيرته تؤثر في المسلم فيزداد إيمانا وطاعة، ويسلم الكافر إعجابا وقناعة بأنه الرسول النبي الأمي ﷺ الذي بشرت به الرسالات من قبله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث. وكان شخصه الطاهر ﷺ وخلقه الباهر وسيلة في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) جَمْعُ الْوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّمَائِلِ، الملا نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي القاري، دار الأقصى، ج ١ ، ص: ٣٠٤ - ٣٠٥.

الفصل الثالث

أثر المحبة في مجالات الدعوة

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة و العبادات

المطلب الأول : أثر المحبة العقيدة

المطلب الثاني: أثر المحبة العبادات

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق و المعاملات

المطلب الأول : أثر المحبة الأخلاق

المطلب الثاني: أثر المحبة المعاملات

الفصل الثالث

أثر المحبة في مجالات الدعوة

تمهيد

إن الدعوة إلى الله تشمل جميع نواحي الحياة، لكمال الإسلام وشموله؛ لذا فقد ارتبطت الدعوة بحياة الإنسان وما تعلق به بعد مماته؛ ولاقتران الحياة الدنيا بحياة الآخرة، اقتران ترتيب وتكليف ومحاسبة، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنْذِرُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ^(١) ومن أعظم الروابط بين الإنسان وبين الحياتين رابطة المحبة لهما أو لأحدهما، ومقياس التفضيل فيها يعود إلى ما قدم كل شخص من عمل يضمن له الفوز برضوان الله، أو يكون به من الخاسرين، فإن الأعمال محور الحساب، وتشمل مضمون العبودية لله تعالى التي يدخل بها إلى دار النعيم ونعم الدار، أو دار الجحيم و بنس القرار، وهذه الأعمال متصلة ضمنا بشخصية الإنسان وعلاقته بالدنيا والآخرة، ومنفصلة معنى وأداء باختلاف الأشخاص وتنوع الأوامر والنواهي الشرعية، عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملة ومدى قيام الإنسان بها على الوجه المطلوب منه شرعا، ويفترق الناس في ذلك، قال الله تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ^(٢) وقال الله عز وجل: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ^(٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ^(٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) ^(٥) فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ونفى محبته لمن هذه صفته، بل وجبت العقوبة عليه، ووجبت المحبة لمن آمن وعمل صالحا قال البيضاوي في تفسيره: (والاقتران على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ فَإِنْ فِيهِ إِثْبَاتُ الْبُغْضِ لَهُمْ وَالْمُحَبَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ) ^(٦) فإن محبة الله للمؤمنين ومحبة المؤمنين للأعمال الصالحة ومحبة المسلمين بعضهم لبعض، ومحبة غير المسلمين للمسلمين ومحبة المسلمين لغيرهم؛ تتعلق كل هذه الروابط بمقتضى العمل بالشرعية وأثرها في حياة المسلم، والدعاة إلى الله ينظرون إلى الكل والجزء في كل عمل يقوم

(١) سورة يونس: ٢٣.

(٢) سورة الأعلى: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الروم: ٤٣ - ٤٥.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨ هـ، ج ٤، ص: ٢٠٩.

به المسلم المكلف، فالنظرة الكلية تعبر عن مدى تلازم العمل مع مقاصد الشريعة وتحقيق المصالح العامة للأمم، والنظرة الجزئية محصورة في الحكم الشرعي للعمل في موقف مخصوص غير متعدد لغيره، ومثال ذلك، عندما يتحلى الرجل المسلم بسلسلة الذهب في عنقه وقد رسم عليها الصليب. فإن هذا الموقف مشتملا على عدة أحكام في مجالات الشريعة وهي:

- ١) العقيدة: ماذا يعتقد هذا المسلم في مسألة صلب المسيح عيسى بن مريم ؟ وهل الصليب الذي في السلسلة يمثل عقيدة له أم تقليدا ؟ وهل يوجب ذلك محبته أو بغضه ومفارقته ؟
- ٢) العبادات: عندما يقوم هذا المسلم بركن الصلاة، هل تقبل صلاته ؟ وهل تجوز إمامته ؟ وهل تكره الصلاة معه أم تستحب ؟
- ٣) الأخلاق: هل من خلق المسلم أن يتحلى بالذهب ؟ وما حكم لبسه في حق الرجال ؟ وهل تستحب مرافقته ومصادقته ؟
- ٤) المعاملة: من أظهر هذا الفعل بين المسلمين وجهر به ؟ هل تجوز مؤاكلته و مشاربته، أو البيع والشراء معه أو تزويجه ؟ وهل يستحب التعامل معه أم هجره ؟

ومن أجوبة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على مثل هذا الخصوص، هذا السؤال وجوابه:

(السؤال: اختلفنا في المسلم الذي يلبس الصليب شعار النصارى، فبعضنا حكم بكفره بدون مناقشة، والبعض الآخر قال: لا نحكم بكفره حتى نناقشه، ونبين له تحريم ذلك، وأنه شعار النصارى، فإن أصر على حمله حكمنا بكفره.
الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب، فإذا بين له حكم لبس الصليب، وأنه شعار النصارى ودليل على أن لا يلبسه راض بانتسابه إليهم، والرضا بما هم عليه، وأصر على ذلك حكم بكفره، لقوله عز وجل: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ^(١). والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر. وفيه أيضاً إظهار لموافقة النصارى على ما زعموه من قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، والله سبحانه قد نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم، حيث قال عز وجل: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ) ^(٢). وبالله التوفيق. وصل الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.) ^(٣)، لقد تعلق هذا الجواب هنا بالعقيدة فقط، وعلى العقيدة تقوم أحكام أخرى تتعلق بها،

(١) سورة المائدة: ٥١.

(٢) سورة النساء: ١٥٧.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق السديش، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١١هـ، رقم الفتوى: ٢٢٤٥، ج ٢، ص: ٧٨.

كالعبادات والأخلاق والمعاملات والزواج والإرث وغيرها، وهذه التساؤلات قد فصل فيها أهل العلم في مجالات الشريعة في كتب الفقه بأدلتها، وتمثل المحبة رابطا وذات أثر في كل حكم من هذه الأحكام؛ مما يستوجب على الدعاة إلى الله أن يدركوا أثر المحبة في مجالات الدعوة، وهو ما سوف أعرضه هنا في هذا الفصل، من هذه الدراسة، وفق ما ورد من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب في مبحثين:

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة والعبادات

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق والمعاملات

المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة والعبادات

المطلب الأول: أثر المحبة في العقيدة

الحبة أصل في عقيدة المسلم وعليها قام الإيمان، وعليها أسلم المسلم لله تعالى، إيماناً به ومحبة له ولمن جاء بخبره من الملائكة والرسول، ومحبة لما جاء عنه من أمرٍ أمرَ به، وكرها لما ييغضه، وتركاً لما يحرمه، وعلى ذلك أحب المسلم أخاه المسلم ورضي من الدنيا بالحلل دون الحرام محبة في لقاء الله وجنته ورضوانه. ومن أصول أهل السنة والجماعة أن المحبة صفة من صفات الله وصفة من صفات عباده (فإن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ) فإن الله يحب محبة تليق بجلاله وعظيم سلطانه، والعبد يحب محبة رغبة في جلب نفع به سعادة، ومحبة دفع ضر منه شقاوة، وتمذهب الناس في معنى محبة الله تعالى على مذاهب شتى بين مشرك وكافر، وبين مغال انحرف عن الصواب، وبين مرتاب خالف أهل الصواب، وبين من وقف على جرف هار، وبين من هو سالك طريق الجادة على نور من ربه، على برهان وبصيرة بالأدلة من الكتاب والسنة، والفهم السليم المتوافق مع مقاصد الشريعة والفطرة والعقل. وهذه المذاهب أعرضها باختصار وفق ما يلي:

المحبة عند أهل الإلحاد: المحبة عندهم تقوم على محبة الذات الإنسانية، في معزل عن الألوهية، ينظرون إلى الإنسان أنه عنصر من عناصر الطبيعة، وجد من غير موجد كسائر عناصر الطبيعة الموجدة، له مبتدأ تطوري ومنتهى أجلي، يكتفي بمعرفة الوسائل التي يستطيع بها البقاء على الحياة، وتطبيع حياته مع كافة الموجودات، وعندهم تقوم المحبة على خيال زائف، يفتقر إلى العقل والدليل، حيث يحب الإنسان نفسه، ويقوم بما يسعد ذاته ويبقي حياته، وينكر الإله وقول أحدهم وعقيدته: ألا إله والحياة مادة.

المحبة عند أهل الأوثان: نتجت المحبة عند أهل الأوثان من محبة الأشخاص والكائنات عبر التاريخ، فاختلفت المفاهيم عند الأجيال انتهت بالتقديس والعبادة لهذه الأوثان، فمثلاً بلاد الهند، تعد مركزاً من مراكز الحضارة القديمة في العالم وهي تضارع مصر والصين وآشور وبابل؛ ولكن موقعها الجغرافي وطبيعتها، جعلتها مغلقة على نفسها بالبحار والجبال، وواجه الإنسان الهندي قوى الطبيعة بالاعتقادات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) بالروحانيات والاعتقاد في الموجودات من المخلوقات من الحيوانات كالبقرة وغيرها، ونتج عن ذلك كثير من الأديان المنحرفة، كالهندوسية والبوذية^(١) والجنينية^(٢)، تؤمن بوحدة الوجود

(١) البوذية: هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتنتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونشد الترف والمناداة بالخبث والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألوهه. أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا ٥٦٠ - ٤٨٠ ق.م وبوذا تعني العالم ويلقب أيضاً بسكيا موني ومعناه المعتكف. وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال، وكان أميراً فشب مترفاً في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفاً إلى الزهد والتقصّف والخشونة في المعيشة والتأمل في الكون ورياضة النفس وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون. انظر: الموسوعة الميسرة من الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/٧٥٨)

(٢) الجنينية: هي ديانة منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها مهافيرا وما تزال إلى يومنا هذا. إنما مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر. وهي تقوم على رياضات بدنية رهيبة وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتقيها. يعتقد الجنينيون أن ديانتهم ساهم في تأسيسها ٢٤ ترنكاراً أو جيناً، حيث يظهر كل منهم في نصف دورة زمنية بدأت منذ الأزل. وسوف تستمر إلى ما لا نهاية. كان أول هؤلاء

والتناسخ والاتحاد الإلهي، وتعدد الآلهة، أورد أحمد شلبي عن نوعا من دياناتهم فقال: (وتسمى الهندوسية أو الهندوكية إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم ، وأطلق عليها البرهمنية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين ، ومن براهما اشتقت (البراهمة) لتكون علما على رجال الدين الذين يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة)^(١) وانتشرت الوثنية في أنحاء الأرض، ووصلت إلى مكة عن طريق عمرو بن لحي الخزاعي، وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وسب السوائب. وأهل الأوثان يحبون الأوثان من الأصنام والأحجار والأشجار والطواغيت، كحب الله الذي يقرون بربوبيته، ويشركون في ألوهيته، وقد يجوفهم كحب المؤمنين لله أو أشد منهم، وهذه هي المحبة الشركية. التي تعطى لكل ما عبد من دون الله، وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت وجبت، وكل عابد لها من أهل الأوثان يجب معبوده من الطواغيت والجبوت^(٢) محبة عقدية. والفرق بين محبة أهل الإيمان ومحبة أهل الأوثان، الإخلاص لله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في أهل الإيمان: (لَأَنَّهُمْ أَخْلَصُوا لَهُ الْحُبَّ، وَأَفْرَدُوهُ بِهِ، أَمَّا حُبُّ الْمُشْرِكِينَ لَالِهَتِهِمْ؛ فَهُوَ مُوزَّعٌ بَيْنَهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحُبَّ إِذَا كَانَ لِحِجَّةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ أَمْكَنَ وَأَقْوَى)^(٣)

المحبة عند اليهود: المحبة عندهم قامت على التميز العنصري، بأنهم أهل محبة الله دون الناس، يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن الله استخلصهم عن جميع الناس بالمحبة، وفضلهم على البشر. وقالوا عزير ابن الله، كما قالت النصرانية المسيح ابن الله. وكما تلاحقوا افتراء في نسب النبوة إلى الله، تلاحقوا بالافتراء في المحبة ، قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا بَدَّوْهُمْ بِدُخَانٍ مُّطْمَئِنِّينَ)^(٤) وأصل التوراة التي بين أيديهم اليوم محرفة بنص القرآن الكريم، وهو ما يقره التاريخ العلمي لدراسة التوراة سندا ومتنا، حيث هي مجموعة كتابات كتبت بعد موسى عليه السلام، قال الدكتور محمد شلبي شتيوي نقلا عن غيره^(٥): (ويجمع كل المؤمنين بالتوراة من أهل الكتاب على أن توراة موسى كانت خمسة أسفار: (١) التكوين (٢) الخروج (٣) اللاويين (٤) العدد (٥) التثنية. ويرى بعض الباحثين أن تسمية الأسفار الخمسة بهذه الأسماء تسمية لاحقة، فلم يكن كل سفر معروفا باسم خاص) ولقد صورت التوراة الحرفية العقائد الفاسدة

هو ريشاها أو أدينا. ويعتبر وجود هؤلاء الجنيات من قبيل الأساطير التي لم تثبت تاريخيا. انظر: الموسوعة الميسرة من الأديان والمذاهب المعاصرة (٧٤١/٢)

(١) مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى)، أحمد شلبي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ٨، ١٩٨٦ م، ج ٤، ص: ٤٣.

(٢) الجبوت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. انظر: الصحاح للجوهري (٧٨/١).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس، ط ١، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣ هـ، ص: ١٤٩.

(٤) سورة المائدة: ١٨.

(٥) التوراة المهيرو غليقية، فؤاد حسنين علي، القاهرة: دار الكتاب العربي، ص: ٣٩.

والأكاذيب على موسى وهارون والأنبياء عليهم السلام، وتعدت إلى رب العالمين الذي اعتقدوا أنهم الشعب الذي اختارهم وخصهم بالحب، وقال شتيوي: (وصورت التوراة رب العالمين بمن يعمل عملاً، فيراه مشيناً ومعيباً، فيندم على ما كان منه وما صدر عنه) فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه: (سفر الخروج ٣٢ : ٩-١٤) ^(١)

المحبة عند النصارى: يحبون الله كأب لابنه المسيح عيسى بن مريم - تعالى الله عما يصفون - ويحبون المسيح ابن الله وأم عيسى - مريم العذراء - وجبريل روح القدس، فيفردون الألوهية مرة لعيسى كون الله متمثلاً في عيسى، ومرة يثلاثون الألوهية كون الرب متمثلاً في ثلاثة: الله وجبريل (روح القدس) وعيسى. والمحبة عندهم قمة الفضائل وأن الله ضحى بابنه الذي صلب تكفيراً لخطيئة آدم عليه السلام وذريته محبة لهم، وحيث بني آدم محل الخطيئة، فإن الكنيسة محل التكفير عنها، والرهبان وسطاء الغفران بين الرب وبني آدم. يقول أصحاب الفكر الوجودي ^(٢) منهم (غفران الخطايا دليل حب الله للإنسان؛ ذلك الحب الثابت الذي لا يتغير، ولا يتحول، لأنه حب أزلي؛ وبوصول المرء إلى حب الله يجد الراحة والأمان، والشعور بالسلام، فيمتلئ قلبه حبا للخلق، وحبه للخلق تعبير عن حبه لله، وهنا يفترق الحب المسيحي عن الحب بمفهوم أهل الأرض) ^(٣) وأصل الإنجيل الذي بين أيديهم اليوم محرف بنص القرآن الكريم، وهو ما يقره التاريخ العلمي لدراسة الأناجيل سندا ومتناً، حيث هي مجموعة كتابات كتبت بعد عيسى عليه السلام، قال الدكتور محمد شلي شتيوي: (وهذه الكتب والأناجيل والرسائل التي أقرت من الجامع الكنسية المتعددة على قسمين: قسم اتفق قدماء النصارى على صحته فأقر في أول مجمع كنسي، وهذا القسم يضم عشرين كتاباً، منها الأناجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وكذلك كتاب أعمال الرسل، ورسائل بولس وهي ثلاث عشرة رسالة، والرسالة الأولى لبطرس، والأولى ليوحنا سوى بعض فقرات منه محل شك. أما القسم الثاني من كتب العهد الجديد، فهو يتكون من ست رسائل، وكتاب مشاهدات يوحنا، وكتب هذا القسم اختلف فيها قدماء النصارى، فلما عقدت الجامع الكنسية للنظر في الأناجيل والرسائل، اتفقت هذه الجامع على صحة بقية الرسائل والكتب، كما يلي: في عام ٣٦٤ م عقد مجمع كنسي يسمى بمجلس (لوديسيا) وفيه حكم المجمع بصحة رسائل ست وهي: رسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، والثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، ورسالة بولس إلى العبرانيين. وفي عام

(١) التوراة دراسة وتحليل (مقارنة الأديان)، الدكتور محمد شلي شتيوي، الكويت: مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ص: ٢٤.

(٢) الفكر الوجودي: هو النظر إلى الحقائق الموجودة في ذات الإنسان بشكل فردي وبطرق عقلية وعلمية مجردة. وهو مضاد للميتافيزيقا، أي يرفض وينقض الفكر الميتافيزيقي الذي يؤمن بالنظرة التأملية القائمة على علم ما وراء الطبيعة والوجود عن طريق الإلهام و علم الغيب.

(٣) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، د. سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود، الرياض: مكتبة العبيكان،

ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص: ٥٢٦.

٣٩٧م اجتمع المجمع الكنسي، وانتهى الاجتماع بالموافقة على صحة كتاب مشاهدات يوحنا. وبهذه المجالس الكنسية أصبحت الكتب والرسائل المشكوك فيها صحيحة وواجبة التسليم^(١) وفي مجمع نيقية تم اعتماد الاتفاق على صحة الأناجيل الأربعة بعد مناظرات بين المختلفين وإتلاف أخرى، أي بعد المسيح عليه السلام بثلاثة قرون. وهم كاليهود ، فإن اليهود اختلفوا فيما بينهم على أسفار كتابهم المقدس المعروف بالعهد القديم، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون... وكذلك النصارى اختلفوا كما اختلف الذين من قبلهم، في أسفار إنجيلهم المعروف بالعهد الجديد ويلغون بعضها حسب قرارات مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، ثم يتفقون على أربعة أناجيل (إنجيل متى - إنجيل مرقس - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا) بالإضافة إلى مجموعة رسائل، ولا تتحد هذه الأناجيل نصاً ومضموناً.

الحبة عند الرافضة: دينهم خليط من الفلسفات اليونانية والعبادات الجوسية الفارسية والاعتقادات اليهودية والنصرانية، والحبة عندهم، خلط في العقيدة، ومنه تأصل عندهم الغلو في علي رضي الله حتى وصفوه بصفات الألوهية. أو أحقيقته بالرسالة دون النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث يعتقدون خيانة جبريل للأمانة وتبليغ الرسالة ل محمد صلى الله عليه وسلم وهي لعلي ، وتظهر عقيدتهم الباطلة في مناقضة أصول الإسلام في النبوة والرسالة والقرآن والإمامة ولعن الأصحاب رضي الله عنهم أجمعين والغلو في الأشخاص البشرية والأثرية والأحياء والأموات، والحبة جزء من كل في أسباب الانحراف عندهم وكل في جزء من ملتهم المخالفة للشريعة، والغلو في آل البيت مظهر عام في عقيدتهم، يقول صاحب كتاب الشيعة والتصحيح (إن من المؤسف حقاً هو أن الغلو النظري مثل العملي دخل أعماق القلوب عن طريق فقهاء المذهب والمجتهدين ، فالمسؤولية الأولى والأخيرة ، تقع على عاتقهم لأنهم هم الذين قادوا العوام على الطريق ، فهناك أمور نسبتها كتب الشيعة إلى الأئمة ، وتبناها فقهاء المذهب وذكرها كتب الروايات الموثوقة عندهم مثل : (أصول الكافي) و (الوافي) و (الاستبصار) و (من لا يحضره الفقيه) و (وسائل الشيعة) وغيرها من الكتب والمصادر الشيعية، التي في كثير منها يظهر الغلو والكذب^(٢).

الحبة عند الجهمية: الحبة عندهم من الصفات المنفية عن الله، فهم أتباع الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم القائلين بإنكار الأسماء ونفي الصفات عن الله تعالى ومنها الحبة، هروبا من المشابهة بين الخلق والخالق على حد زعمهم، فمن عقيدتهم (لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن

(١) الإنجيل دراسة وتحليل (مقارنة الأديان) ، الدكتور محمد شلي شتيوي، الكويت: مكتبة الفلاح ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ، ص: ٢٤.

(٢) الشيعة والتصحيح ، الدكتور موسى الموسوي. ١٤٠٨ هـ. ص: ٨٣.

ذلك يقتضي تشبيهاً^(١) وهم المظهرون لبدعة القول بالحلول والاتحاد. وهو أن الله يحل في كل مكان ويتحد بالأعيان والأبدان - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

المحبة عند المعتزلة: المحبة عندهم صفة من الصفات المنفية عن الله، فهم أصحاب واصل بن عطاء^(٢) والقائلين بنفي الصفات عن الله ومنها المحبة؛ هروبا من التشبيه وأوقعهم ذلك في تأويل الآيات والصفات. ومذهب المعتزلة مركب من مذهب الجهم ، في نفي الصفات والقدر. وهم القائلون ببدعة خلق القرآن، ذكر الشهرستاني عنهم، قوله في الملل والنحل (وقد اجتمعت المعتزلة على نفي الصفات عن الله عز وجل وتعالى عن قولهم، كالعلم والقدرة والسمع والبصر، واجتمعت أن كلام الله محدث وإرادته محدثة)^(٣)

المحبة عند القدرية: وهم نفاة القدر^(٤) وأن الإنسان هو خالق أفعاله، ومنها المحبة، ومنهم القدرية الجبرية الذين يعتقدون أن الله خالق أفعال العباد، وليس لهم اختيار في الفعل، فهم مجبورون. وتأولوا الآيات الواردة في الخلق والخالق والقدر والمشيئة على معنى يناسب قولهم ، وانحرفوا عن الصواب في الجمع بين القدر الإلهي والقدرة الاختيارية للإنسان و لم يفقهوا التوافق بين الإرادة القدرية والإرادة الشرعية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن المعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره: بقضائه وشرعه. وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية ومشركية وإبليسية فالجوسية: الذين كذبوا بقدر الله وإن آمنوا بأمره ونهيه ؛ فغلاهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقته وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم. والفرقة الثانية: المشركية الذين أقرروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر والنهي ؛ قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ)^(٥) فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعي

(١) الملل والنحل ، أبو الفتح محمد عبد الكريم أحمد الشهرستاني ، بيروت: دار المعرفة. ج ١، ص: ٨٦.

(٢) واصل بن عطاء البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري الغزال، وقيل ولاؤه لبني ضبة. مولده سنة ثمانين بالمدينة، وكان يلشغ بالراء غينا، رأس الاعتزال، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا حلقة الحسن، فسموا المعتزلة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٥/٤٦٤) ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى " الواصلية " وهو الذي نشر مذهب " الاعتزال " في الآفاق: ولم يكن غزالا، وإنما لقب به لتردده على سوق الغزاليين بالبصرة. له تصانيف، منها " أصناف المرجنة " و " المزلّة بين المزلتين " و " معاني القرآن " و " طبقات أهل العلم والجهل " و " السبيل إلى معرفة الحق " و " التوبة " انظر الإعلام للزركلي (٨/١٠٩).

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، أبو الفضل عباس من منصور التريني السكسكي الحنبلي ، تحقيق: بسام علي سلامة العموش، الأردن: الزرقاء: مكتبة المنار ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ. ص: ٥٠.

(٤) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري، شرح : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، القاهرة : دار ابن حزم . ط ١، ١٤٣٠هـ ، ص: ٣١٠ .

(٥) سورة النحل: ٣٥.

الحقيقة من المتصوفة. والفرقة الثالثة: وهم الإبليسية الذين أقروا بالأمرين؛ لكن جعلوا هذا متناقضا من الرب - سبحانه وتعالى - وطعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر ذلك عن إبليس مقدمهم (١)

المحبة عند الصوفية : يرون أن محبة الله صفة من صفاته، وهي مطلب لكل مسلم أن يحبه الله، أما محبتهم لله فقد انحرفت عند غلاة الصوفية عن الحد الشرعي، فأصبحوا يتنادون بالكرامات المختلقة المكذوبة والبدع الظاهرة. ووصلت بهم إلى حد الكشف والمعرفة ورؤية الله، والتعمق في معنى الولاية ووصول الولي إلى مرحلة ألا تكليف، ووصلت بهم الانحرافات في محبة النبي ﷺ إلى حضوره معهم في منامهم ويقظتهم. وإقامة البدع القولية والسلوكية ومحاربة من يدعو إلى الاعتدال بلزوم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. ومن ضلالاتهم كما وصفهم الباحثون في الفرق ، قال عبد الرحمن الوكيل في وصف بعض كراماتهم المزعومة: (وقرأ في طبقات المناوي زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى، وأن جده خاطب الشافعي رضي الله عنه في قبره، وأن روح "ذا النون المصري (هو ثوبان بن إبراهيم النوبي توفي سنة ٢٤٥هـ) كانت تدبر أجساماً عدة (سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسداً) وأن الخواص، كانت تتزل عليه الموائد من السماء، وأن الخضر كان يسقيه، وقرأ فيه تفضيل البسطامي (هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي توفي سنة ٣٦١هـ) الأولياء على الأنبياء (هذا دين الصوفية، فابن عربي يقول: مقام النبوة في برزخ... فوق الرسول، ودون الولي) وأن طارقاً طرق بابَه، فقال البسطامي: من تطلب؟ فقال: أبا يزيد، فأجابه: ما في البيت غير الله (اقرأ كل هذا في الكواكب الدرية للمناوي في تراجم من ذكرت أسماءهم) وقرأ للسلمي زعمه أن داود والخضر، لقيا إبراهيم بن أدهم - وهو "بوذا" الصوفية - وخاطباه، وأكلا معه، وعلماه اسم الله الأعظم (ص: ٣٠، ٣٤ الطبقات للسلمي، ص: ٨ الرسالة للقشيري) (٢)

والحبة عند أهل السنة والجماعة - من صالح سلف الأمة وخلفهم - كما أسلفنا صفة من صفات الله، يقرون بها ويشيئونها بأدلة الكتاب والسنة، ومنهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه ورسوله ﷺ من الأسماء والصفات، على وجه يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تأويل ويمرونها كما جاءت. ومحبتهم للرسول ﷺ محبة إيمان وعاطفة واتباع. آمنوا به واتبعوا سنته حيا وميتا ولزموا سنته عقيدة وقولا وعملا، ويحبون كل مؤمن ومسلم على ما معه من إسلام وإيمان، قال صاحب كتاب العواصم من القواصم : (فتدارك الله الإسلام والأنام - وانجابت الغمة انجياب الغمام، ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله، وإقامة دينه على التمام، وإن كان قد أصاب ما أصاب

(١) التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عودة السعوي ، ط ١، ١٤٠٥هـ ، ص: ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل ، بيروت: دار الكتب العلمية ط ٤ ، ١٩٨٤م، ص: ١٢٣.

من الرزية الإسلام - بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان إذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائباً في ماله بالسُّح، فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها - وفيه مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فكشف عن وجهه، وأكب عليه يقبله، وقال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حياً وميتاً، والله لا يجمع الله عليك الموتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها" ثم خرج إلى المسجد - والناس فيه، وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا - فرقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُ عَنْ أَفْقَابِكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِتْ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) فخرج الناس يتلوها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم^(٢) أحبوه الحجة الواجبة شرعاً، محبة اعتدال، وأنه عبد الله ورسوله، ومن واجب الدعاة إلى الله تبصير الناس بمن ضل في هذا الجانب لما له من أثر في مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، سواء كان الانحراف في حق الرسول ﷺ أو حق الله تعالى، ومن ذلك بيان الفرق بين المعنى الشرعي والمعنى البدعي للحب والتفريق بينه وبين العشق، كما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (وأما تنازع الناس في لفظ العشق فمن الناس من أهل التصوف والكلام وغيرهم من أطلق هذا اللفظ في حق الله كما روى عبد الواحد بن زيد^(٣) فيما يؤثره عن أحد أنبياء الله أنه قال: عشقني وعشقتني، وقال هؤلاء: العشق هو المحبة الكاملة التامة وأولي الناس بذلك هو الله، فإنه هو الذي يجب أن يحب أكمل محبة، وكذلك هو يحب عبده محبة كاملة، ولو قيل: أن العشق هو مُنتهى المحبة أو أقصاها أو نحو ذلك فهذا المعنى حق من العبد فإنه يجب ربه منتهي المحبة وأقصاها، والله يحب عبده مثل إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم تسليماً أقصى محبة تكون لعباده ومنتهاهما، وهما خليلاً الله، كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وقال: لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله، وذهب طوائف من أهل العلم والدين إلى إنكار ذلك في حق الله ولا ريب أن هذا اللفظ ليس مأثوراً عن أئمة

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت: دار الكتب العلمية ط ٤، ١٩٨٥ م، ص: ٤١-٤٢.

(٣) عبد الواحد بن زيد، الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري. حدث عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن راشد، وعباد بن نسي، وعدة. قال البخاري: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة، حتى غفل عن الاتقان، فكثرت المناكير في حديثه. فارق عمرو بن عبيد لاعتزاله، وقال بصحة الاكتساب، وقد نسب إلى شيء من القدر، ولم يشهر، بل نصب نفسه للكلام في مذاهب السالك، وتبعه خلق. وقد كان ثابت البناني، ومالك بن دينار يعظان أيضاً، ولكنهما كانا من أهل السنة. وكان عبد الواحد صاحب فنون، داخلاً في معاني الحجة والخصوص، مات بعد الخمسين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٨/٧).

السلف^(١) وأنقل هنا وأختصر تفصيل الرد على هذا الانحراف العقدي في حب الله من محبته لعباده ومحبة عباده له، كما فصله^(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، قال:
وَالَّذِينَ أَنْكَرُوهُ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ مَأْخُذَانِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى مَأْخُذَانِ:
المأخذ اللفظي :

المأخذ الأول : أما من جِهَةِ اللَّفْظِ فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ مَأْثُورًا عَنِ السَّلَفِ وَبَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَتَّبِعُ فِيهَا الْأَلْفَاظَ الشَّرْعِيَّةَ فَلَا نَطْلُقُ إِلَّا مَا يَرِدُ بِهِ الْأَثَرُ.
المأخذ الثاني: أَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ فِي اللُّغَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي مَحَبَّةِ جِنْسِ النِّكَاحِ مِثْلَ حُبِّ الْإِنْسَانِ الْأَدَمِيِّ مِثْلَهُ مِمَّنْ يَسْتَمْتَعُ بِهِ مِنْ امْرَأَةٍ.
المأخذ المعنوي:

قِيلَ إِنَّ الْعِشْقَ فَسَادٌ فِي الْحُبِّ وَالْإِرَادَةَ أَوْ فَسَادٌ فِي الْإِدْرَاكِ وَالتَّخِيلِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّ اللَّهِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ.

وهنا أعرض الجوانب المتعلقة بالمحبة وأثرها في عقيدة المسلم بما ورد من لفظ الحب الصريح في نصوص الكتاب والسنة، وفق ما يلي :

أولاً: محبة العبد لله تعالى:

المحبة صفة من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، بلفظ الحب الصريح وهو أن الله يُحِبُّ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)^(٣) وقد ذكرنا في الفصل الأول من هذه الدراسة محاب الله تعالى، ومن مسلمات أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، أن محبة الله مقرونة بطاعته، فهو سبحانه يحب من أطاعه، ومن سعى ليجبه الله، طلباً لرضاه، عليه أن يعمل بطاعة الله والعمل بما يرضيه، وهذه هي المحبة الصادقة الخالصة، قال ابن القيم في كتابه طريق المهجرتين وباب السعادتين : (المحبة الخالصة أن يحب المحبوب لكمالته، وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته. وأن الذي يوجب هذه المحبة فناء العبد عن إرادته لمعاد محبوه، فيكون عاملاً على مراد محبوه منه لا على مراده هو من محبوه. فهذه هي المحبة الخالصة من درن العلل وشوائب النفس، وهي التي تستلزم إيثار المحبوب على غيره ولا بد، وكلما كان سلطان هذه المحبة أقوى كان هذا الإيثار أتم وهي التي تنزايد، وفي مثل هذا قيل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه *** هذا لعمر ك في القياس شنيع

(١) قاعدة في المحبة، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ص: ٥٢.

(٢) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٣٩.

(٣) سورة التوبة: ٤.

لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن الحب لمن يحب مطيع

وهاهنا دقيقة ينبغي التفتن لها، وهي أن إثارة الخبوب نوعان: إثارة معاوضة ومتاجرة، وإثارة حب وإرادة. فالأول: يؤثر محبوبه على غيره طلباً لحظه منه، فهو يبذل ما يؤثره ليعاوضه بخير منه.

والثاني: يؤثره إجابة لداعي محبته، فإن المحبة الصادقة تدعوه دائماً إلى إثارة محبوبه، فإثارة هو أجل حظوظه، فحظه في نفس الإثارة لا في العوض المطلوب بالإثارة، وهذا لا تفهمه إلا النفس اللطيفة الورعة المشرقة^(١)، ومحبة الله تعالى هي طريق الشعور بلذة الإيمان وحلاوته. وهي مقرونة بمحبة رسوله ﷺ، ويجب أن تقدم على كل محبة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(٢). وغلبة الهوى والشهوة على نفس المسلم، قد تخرجه عن باب الطاعة إلى باب المعصية، ويفقد المحبة أو تنقص أثناء القيام بالمعصية، فجعلت الحدود رادعاً للنفس الأمارة بالسوء وحفظاً للحقوق، والتوبة تجديدًا للمحبة وباباً للمغفرة، والمعصية لا تترع الأصل من نفس المؤمن وأن عقيدته محبة الله ورسوله ﷺ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلدته في الشراب، فأُتي به يوماً فأمر به فجُلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٣). قال ابن حجر في الفتح: (وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه والأمر بالدعاء له وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب لأنه ﷺ أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وأن من تكررت منه المعصية لا تترع منه محبة الله ورسوله ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم^(٤) أن نفي الإيمان عن شارب الخمر لا يراد به زواله بالكلية بل نفي كماله كما تقدم ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيداً بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فإنه يخشى عليه بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه شيء حتى يسلب منه ذلك نسأل الله العفو والعافية)^(٥) ومن معاني أسماء الله تعالى الحبيب، أورد البخاري في كتاب بدء الوحي: (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ

(١) طريق المخرجين وباب السعادت، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة: دار السلفية، ط ٢، ١٣٩٤ هـ، ص: ٢٩٨.

(٢) انظر صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب حلاوة الإيمان حديث رقم: (١٢/١).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الحدود- باب من يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة حديث، رقم: (١٥٨/٨) ٦٧٨٠.

(٤) من كلام المؤلف يرحمه الله في كتابه.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ١٢، ص: ٧٨.

الْمَجِيدُ الْكَرِيمُ وَالْوَدُودُ الْحَبِيبُ يُقَالُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ^(١). ومن عقيدة المسلم تعظيم قدرة الله، وتعظيم كلمة التوحيد فمن حققها وعمل بمقتضاها فقد نجا، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ^(٢))^(٣). أورد صاحب تحفة الأحوذى: (قوله: (ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية إلخ)؛ لأنها حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك، وأن صاحبه خالد في النار، كذا في تفسير البيضاوي)^(٤) وعن عمران بن الحصين عليه السلام، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي سَرِيَّةٍ. فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَزَادَ فِيهِ: فَبَدَّتْهُ الْأَرْضُ: فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ وَقَالَ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبِلَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ أَنْ يُرِيَكُمْ تَعْظِيمَ حُرْمَةِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -»^(٥). أورد ابن حجر في الفتح: (قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وقال القرطبي: في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك)^(٦) والمحبة صفة من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، وهي محبة حقيقية تليق بجلاله كسائر صفاته من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، فإن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(٧) قال الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: "يا أيها الذين آمنوا"، أي: صدقوا الله ورسوله، وأقروا

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب(وكان عرشه على الماء)، مقدمة الباب (١٢٣/٩).

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة النساء، حديث رقم: ٣٧٠٣ (٢٤٧/٥). ضعف إسناده الألباني.

(٤) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفة، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص: ٢٢١٧.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الكف عمن قال لا إله إلا الله، حديث رقم: ٣٩٣٠ (٨٤/٥). حسنه الألباني لغيره. وانظر: مسند الإمام أحمد - حديث عمران بن حصين، حديث رقم: ١٩٩٣٧ (١٦٢/٣٣). وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْزُوا بَنِي فُلَانٍ مَعَ فُلَانٍ، فَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْ لُحْمَتِي مَعَهُمْ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، قَالَ: وَهَلْ أَحْدَثْتَ، قَالَ: لَمَّا هَرَمَ الْقَوْمُ أَذْرَكْتُ رَجُلَيْنِ بَيْنَ الْقَوْمِ وَالنِّسَاءِ، فَقَالَا إِنَّا مُسْلِمَانِ أَوْ قَالَا: أَسْلَمْنَا فَقَتَلْنَاهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَمَّا أَقَاتِلُ النَّاسَ إِلَّا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرُ لَكَ، أَوْ كَمَا قَالَ، فَمَاتَ بَعْدَ فِدَقَتِهِ عَشِيرَتُهُ فَأَصْبَحَ قَدْ بَدَّتْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ دَفَنُوهُ وَحَرَسُوهُ ثَانِيَةً فَبَدَّتْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ قَالُوا لَعَلَّ أَحَدًا جَاءَ وَأَنْتُمْ نِيَامُ فَأَخْرَجَهُ، فَدَفَنُوهُ ثَالِثَةً ثُمَّ حَرَسُوهُ فَبَدَّتْهُ الْأَرْضُ ثَالِثَةً فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَلْقَوْهُ أَوْ كَمَا قَالَ.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٢، ص: ١٩٥ - ١٩٦.

(٧) سورة المائدة: ٥٤.

بما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ من يرتد منكم عن دينه"، يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم، فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضر الله شيئاً، وسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يقول: فسوف يجيء الله بدلا منهم، المؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، بقوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله (١) وابتليت الأمة بمن جاء من أهل الزيف بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى، قال شارح العقيدة الطحاوية: (الخلة: كمال المحبة. وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والحديث (٢) توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم (٣) سبحانه الله وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وقد فسر أهل تعطيل المحبة من الله بالثواب صرفا لها عن حقيقتها؛ لضلال طريقهم في نفي الأسماء وتعطيل الصفات، وأبسط هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في تحرير مسألة المحبة - محبة الله - عند مناقشته لمسألة من ظن أن التمتع في الجنة تنعم بالمخلوق فقط، مما جرى عليه إنكارهم رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والتلذذ بالنظر إليه أو تألولها عن معناها إلى معنا باطل، من الفرق الضالة و المتفككة والمتصوفة والمتكلمة، فأبسطه كما هو لوضوحه في لفظه ولشموله مكنم وأصل الانحراف في المحبة ومن ضل فيها، قال: (وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٌ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يَنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ وَيُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا؟ وَيُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ وَيُجْرِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ؛ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ}. وَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَحَبَّ كَانَتْ اللَّذَّةُ بَنِيْلَةً أَعْظَمَ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَثَمَةِ وَمَشَايِخِ الطَّرِيقِ كَمَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ عَلِمَ الْعَابِدُونَ بِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَدَابَتْ نُفُوسُهُمْ فِي الدُّنْيَا شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَلَامُهُمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ. ثُمَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَافَقُوا السَّلَفَ وَالْأَثَمَةَ وَالْمَشَايِخَ عَلَى التَّنَعُّمِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَنَازَعُوا فِي " مَسْأَلَةِ الْمَحَبَّةِ " الَّتِي هِيَ أَصْلُ ذَلِكَ؛ فَذَهَبَ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا الْمَحَبَّةُ مَحَبَّةُ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ وَقَالُوا: هُوَ أَيْضًا لَا يُحِبُّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَإِنَّمَا مَحَبَّتُهُ إِرَادَتُهُ لِلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَلَوْلَايَتُهُمْ. وَدَخَلَ فِي هَذَا الْقَوْلِ مَنْ ائْتَسَبَ إِلَى نَصْرِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ حَتَّى وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفٌ مِنْ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) ويقصد به: المخلوق..

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالح، تحقيق: أحمد شاكر، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١، ١٤١٨ هـ، ص: ٢٧٣.

أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ: كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ^(١) وَالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى^(٢) وَأَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ^(٣) وَأَمثال هؤلاء. وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ شُعْبَةٌ مِنَ التَّجَهُّمِ^(٤) وَالْإِعْتِزَالِ^(٥)؛ فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ أَنْكَرَ " الْمَحَبَّةَ " فِي الْإِسْلَامِ الْجَعْدُ^(٦) بْنُ دِرْهَمٍ أَسْتَاذُ الْجَهْمِ^(٧) بْنُ صَفْوَانَ؛ فَضَحَّى بِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ^(٨). وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقْبَلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ فَإِنِّي مُضَحٌّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؛ وَلَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ. وَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَنْمَتُهَا وَمَشَايِخُ الطَّرِيقِ: أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ وَيُحِبُّ. وَلِهَذَا وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَنْ تَصَوَّفَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ:

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادي، الفقيه الحنبلي، الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب، اشتهر بالقاضي أبو يعلى، ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٨٩) و تكملة الإكمال لأبي بكر البغدادي (٤ / ٥٥٧).

(٣) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٤) أي: تبعاً لعقيدة الجهمية الفرقة الضالة في الأسماء والصفات والإيمان والقدر والجنة والنار. ونسبت إلى الجهم بن صفوان، الضال الذي عاش في أواخر القرن الأول الهجري حتى ١٢٨ هـ.

(٥) أي: تبعاً لعقيدة المعتزلة الفرقة الضالة في الصفات والإيمان والقدر والجنة والنار. ونسبت إلى واصل بن عطاء، المعتزل لمجلس الحسن البصري يرحمه الله، والمعتزل لمذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات والقدر، عاش ما بين (٨٠ - ١٣١ هـ).

(٦) الجعد بن درهم: مؤدب مروان بن محمد الخليفة الأموي. وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. قال المدائني: كان زنديقاً. وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يداً، وأن له عينا ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٣/٥).

(٧) الجهم بن صفوان ظهر بخراسان ودعا إلى تعطيل صفات الرب عز وجل وإلى خلق القرآن. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٢٠/١). قال ابن عساكر وغيره: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري، وقيل الترمذي، وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران، حتى نفى إلى ترمذ، ثم قتل الجهم بأصبهان، وقيل بمر، قتله نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٨٢/٩). جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب: رأس (الجهمية) قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهماً استبقاه، فقال نصر: (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله، فقتل عام ١٢٨ هـ. انظر: الإعلام للزركلي (١٤٠/٢).

(٨) القسري الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري، الدمشقي، أمير العراقيين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان. روى عن أبيه، وعنه سيار أبو الحكم، وإسماعيل بن أوسط البجلي وإسماعيل بن أبي خالد، وحيد الطويل. وكان جواداً مدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف، وله دار كبيرة في مربعة القز بدمشق، ثم صارت تعرف بدار الشريف اليزيدي، قال يحيى الحماني: قيل لسيار: تروي عن مثل خالد؟ فقال: إنه أشرف من أن يكذب. قال خليفة بن خياط: عزل الوليد عن مكة نافع بن علقمة بخالد القسري سنة تسع وثمانين، فلم يزل واليها إلى سنة ست ومئة، فولاه هشام بن عبد الملك العراق مدة إلى أن عزله سنة عشرين ومئة بيوسف بن عمر الثقفي. قتل في الحرم سنة ست وعشرين ومئة، وعن عبد الرحمن ابن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالداً القسري في يوم أضحي، يقول: ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٥/٥).

كَأَبِي الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيِّ^(١)؛ وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ وَأَمْثَالِهِمَا. وَتَصَرَّ ذَلِكَ أَبُو حَامِدٍ فِي " الْإِحْيَاءِ " وَغَيْرِهِ. وَكَذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي " الرِّسَالَةِ " عَلَى طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ كَمَا فِي كِتَابِ أَبِي طَالِبِ الْمُسَمِّي بِـ " قُوتِ الْقُلُوبِ " وَأَبُو حَامِدٍ مَعَ كَوْنِهِ تَابِعَ فِي ذَلِكَ الصُّوفِيَّةِ اسْتَدَّ فِي ذَلِكَ لَمَّا وَجَدَهُ مِنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ مِنْ إِبْطَاتِ نَحْوِ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا: يَعْشَقُ وَيُعْشَقُ. وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الْقَوَاعِدِ الْكِبَارِ بِمَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ^(٢) وَقَالَ تَعَالَى {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} ^(٣) ^(٤).

و خلاصة القول فيمن ضل في معنى اخبة قول شيخ الإسلام: (فباب محبة الله ضل فيه فريقان من الناس فريق من أهل النظر والكلام والمنتسبين إلى العلم جحدوها وكذبوا بحقيقتها، وفريق من أهل التَّعَبُّد والتَّصَوُّف والزهد أدخلوا فيها من الاعتقادات والإرادات الفاسدة ما ضاهوا بها المُشْرِكِينَ، فالأولون يشبهون المستكبرين وهؤلاء يشبهون المُشْرِكِينَ، ولهذا يكون الأول في أشباه اليهود ويكون الثاني في أشباه النَّصَارَى، وقد أمرنا الله تعالى أن نقول: اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غير المغضوب عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ^(٥) ومحبة الله تكون بلزوم الصراط المستقيم وهي صبغة الدين الحق، ولها أثر عظيم في عقيدة المسلم وحياته وبموجبها تكون نجاته، وإيضاح ذلك وبيان من أهم واجبات الدعاة إلى الله حيث العقيدة مقدمة على غيرها، وغيرها يقوم عليها.

ثانيا: محبة المسلم للنبي ﷺ:

إن محبة الرسول ﷺ من أصول الإيمان، ولا تصح عقيدة المسلم بدونها، بل عليها أمر الشرع ونهيه، عن عبد الله بن هشام ؓ، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري الصوفي، حدث عن أبي الحسين أحمد بن محمد الخفاف، وأبي بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي، وأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، في آخرين، وحدث بكتاب الصحيح لأبي عوانة عن أبي النعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرائيني، حدث عنه أولاده أبو نصر وعبد المنعم وأبو عبد الله الفراوي وزاهر الشحامي، وأخوه وجيه وغيرهم، وصنف كتابا في علوم الصوفية، قال أبو سعد السمعاني: ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وتوفي في سادس عشر ربيع الآخر من سنة خمس وستين وأربعمائة بنيسابور. انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد لأبي بكر البغدادي (٣٦٦/١)

(٢) سورة المائدة : ٥٤ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٤) الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٨هـ، ج ٢، ص: ٤٠٣ .

(٥) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٤٥ .

عمر^(١). قال بدر الدين العيني في شرحه: (وهذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل قلب، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك، قال الله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (المائدة: ٥٤) ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم؛ لأن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره ومزله أعلم، والله أعلم. ويقال المحبة إما اعتقاد النفع أو ميل يتبع ذلك أو صفة مخصصة لأحد الطرفين بالوقوع، ثم الميل قد يكون بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة ولما يستلذه بعقله كمحبة الفضل والجمال، وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار عنه، ولا يخفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال أنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بمدايتهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم، ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين لو كانت فيهما، فيجب كونه أحب منهما لأن المحبة ثابتة لذلك حاصلة بحسبها كاملة بكمالها واعلم أن محبة الرسول عليه السلام إرادة فعل طاعته وترك مخالفته وهي من واجبات الإسلام^(٢) ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم أبلغ في حبه من غيرهم وفرحوا بهذا الحب وجعلوه فوق حب الأموال والأبناء والوالدين والناس أجمعين، دلالة على قوة وصدق إيمانهم، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣). وهذا الحب مرتبط شرعا، بحب القلب وهو الميل بالخير والنفع، وحب ما جاء به من الأمر والمنع، والحرص على ما يوصل إلى الفوز بشفاعته، وحب البركة بجسده الطاهر المبارك حال حياته ﷺ، عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة. عندنا من شعر النبي ﷺ أصبنا من قبل أنس — أو من قبل أهل أنس — فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها.^(٤) أورد ابن بطال في شرحه: (قال المهلب: هذه الترجمة أراد بها البخاري رد قول الشافعي أن شعر الإنسان إذا فارق الجسد نجس، وإذا وقع في الماء نجسه، وذكر قول عطاء: أنه لا بأس باتخاذ الخيوط منها والحبال، ولو كان نجسا لما جاز اتخاذه. ولما جاز اتخاذ شعر النبي ﷺ، والتبرك به، علم أنه طاهر، وعلى قول عطاء جمهور العلماء^(٥) وأصل صدق محبة النبي ﷺ اتباعه، والعمل على لزوم سنته، وتفصيل هديه والأخذ بأمره، والانتهاز عن نهيه، قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٦) أورد القرطبي في تفسيره: (قال سهل^(٧) بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب الله

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأيمان والنذور- باب كيف كانت يمين النبي ﷺ حديث رقم: ٦٦٣٢ (٨/١٢٩).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني الحنفي، بيروت: دار الفكر، ج ١، ص: ١٤٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، حديث رقم: ١٣ (١/١٢).

(٤) انظر: صحيح البخاري-الوضوء- باب الماء الذي يغسل فيه شعر الإنسان، حديث رقم: ١٧٠ (١/٤٥).

(٥) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٢٦٥.

(٦) سورة الحشر: ٧.

(٧) سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد. صحب خاله محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه. له كلمات نافعة، ومواظب حسنة، وسئل سهل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت، ويصب باقي حبره في قبره. ومن كلام سهل: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه. توفي في الحرم سنة ثلاث وثمانين ومئتين، ويقال: عاش ثمانين سنة أو أكثر. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٣٣٠).

وحب القرآن وحب النبي وحب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد و البلغة. وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " (على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس) خرجه أبو عبد الله الترمذي ^(١) ومحبة النبي ﷺ دين وعمل صالح يتقرب به، غايته التعبد لله بذلك، وهنا يلزم فيها ميزان الشرع في القبول وهو الإخلاص وموافقة حدود الشريعة، وهو أن النبي ﷺ عبد الله ورسوله الأسوة الحسنة، وهذه المترلة التي يتعبد الله بها، وهو مطلب النبي ﷺ من أمته، عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله: «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا تستجربنكم (الشياطين) أنا محمد بن عبد الله، أنا عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي (أنزلنيها) الله» ^(٢). فمن أعطاه من صفات الألوهية فقد جار وطغى وأفرط، ومن انتقص من شخصه أو صفته أو رسالته أو اتباع هديه، فقد جار وبغى وفرط، عن ابن عباس رضي الله عنهما سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

(لَا تُظَرُّونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) ^(٣). ومن نسي ذكره ﷺ وهجر القرآن وأعرض عن سنته، فقد جار وعصى وجفا، ومن سب واعتدى وخون، ولشرعه حرّف وأنكر وهون، فقد خرج عن الملة وكفر. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الشُّرَكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفُ ^(٤)) الْأُتُوفُ كَانَ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ وَالنَّاسُ مَعَادُنُ خِيَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ ^(٥). قال ابن حجر في الفتح: (فَإِنْ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ كَانَ يَبُودُ لَوْ كَانَ رَأَاهُ وَفَقَدَ مِثْلَ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا يَتَمَنَّى مِثْلَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بِهِمْ مَعَ عَظِيمِ مَنَزَلَتِهِ عِنْدَهُمْ وَمَحَبَّتِهِمْ فِيهِ) ^(٦) وكان من حب الصحابة له ﷺ حب لزوم الصحابة له والقرب منه، حتى في أشرف أوقاته وهو وقت نزول الوحي عليه، عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٦٠ - ٦١.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٥٥١ (٢٣/٢٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب واذكر في الكتاب مريم، حديث رقم: ٣٥٨٩ (١٩٦/٤).

(٤) (ذُلْفُ) الدَّلْفُ بالتحريك قَصْرُ الْأَنْفِ وَصِغَرُهُ وَقِيلَ قَصْرُ الْقَصْبَةِ وَصِغَرُ الْأَرْنَةِ، وَقِيلَ هُوَ كَالْحَنْسِ، وَقِيلَ هُوَ غِلْظٌ وَاسْتِواءٌ فِي طَرَفِ الْأَرْنَةِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (١١١/٩).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامة النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٥٨٩ (١٩٦/٤).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٦٠٧.

الله فَاتَّاهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ جَبَّةٌ. بِهَا أَثَرٌ مِنْ خُلُقٍ^(١) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحْرَمْتُ بَعْمَرَةَ. فَكَيْفَ أَفْعَلُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ. فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ. وَكَانَ عَمْرٌ يَسْتُرُهُ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، يُظْلُهُ. فَقُلْتُ لِعَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَحِبُّ، إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، أَنْ أُدْخِلَ رَأْسِي مَعَهُ فِي الثَّوْبِ. فَلَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، خَمَرَهُ عَمْرٌ ﷺ بِالثَّوْبِ. فَجِئْتُهُ فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مَعَهُ فِي الثَّوْبِ. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا سَرَّيَ عَنْهُ قَالَ «أَيْنَ السَّائِلُ أَنْفًا عَنِ الْعُمْرَةِ؟» فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ. فَقَالَ «انْزِعْ عَنْكَ جَبَّتَكَ. وَاعْسِلْ أَثَرِ الْخُلُقِ الَّذِي بِكَ. وَافْعَلْ فِي عُمْرَتِكَ، مَا كُنْتَ فَاعِلًا فِي حَجَّكَ»^(٢). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (وأما إدخال يعلو رأسه ورؤيته النبي ﷺ في تلك الحال وإذن عمر له في ذلك فكله محمول على أنهم علموا من النبي ﷺ أنه لا يكره الاطلاع عليه في ذلك الوقت وتلك الحال لأن فيه تقوية الإيمان بمشاهدة حالة الوحي الكريم والله أعلم)^(٣) وخلاصة القول هنا أن محبة المسلم للرسول ﷺ من أعظم الواجبات وهي من أصل الإيمان ومناطها القلب والقول والعمل في تحقيق معنى الشهادتين قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ^(٤): هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة الحممدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحممدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ"^(٥) ولهذا قال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} وبيان هذا المنهج في محبة الرسول ﷺ من واجبات الدعاة إلى الله؛ حيث به يستبين المسلم الحق من الضلال في أهم مجال من حياته، وهو مجال العقيدة. ولا ينفع المرء محبة العاطفة وحكم العقل؛ إلا أن تكون الموافقة في المتابعة إيماناً بالحق، واتباعاً لما جاء به الرسول ﷺ بحق، فلم تنفع هرقل الروم المعرفة بحقيقة النبوة، ومحبته

(١) الخلق من (خلق) الخاء واللام والقاف أصلاً: أحدهما تقدير الشيء، والآخر مَلَاَسَة الشيء. والخلق معروف، وهو الخلاق أيضاً. وذلك أن الشيء إذا خُلِقَ مُلْسٌ. ويقال ثوبٌ خُلِقَ وَمِلْحَفَةٌ خُلِقَ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢١٤). وبعضهم يقول الخلقاء والخلق والخلاق ضرب من الطيب. انظر: لسان العرب لابن منظور (٨٥/١٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الحج-باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطب عليه، حديث رقم: ٢٨٥٩ (٥/٤).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٨، ص: ٨٠.

(٤) سورة آل عمران: ٣١ - ٣٢.

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب الأفضية-باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: ٤٥٩٠ (٥/١٣٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٢.

لقاء الرسول ﷺ عندما أرسل له رسالة يدعو بهما إلى الإسلام، فسأل أبا سفيان عنه وكان كافرا، كما في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس ومنه: (ثم قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرُّسلُ تُبعثُ في أحساب قومها. وسألتك هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلتُ رجُلٌ يَطْلُبُ ملكَ آبائه. وسألتك عن أتباعه أضعفأؤهم أم أشرافهم؟ فقلت بل ضعفأؤهم، وهم أتباعُ الرُّسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليدعَ الكذبَ على الناس ثم يذهب فيكذبَ على الله. وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطةً له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمانُ إذا خالطَ بشاشةَ القلوب. وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمانُ حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحربُ بينكم وبينه سجالاً ينالُ منكم وتنالون منه، وكذلك الرُّسلُ تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرُّسلُ لا تغدر. وسألتك هل قال أحدٌ هذا القولَ قبله؟ فزعمت أن لا، فقلتُ لو كان قال هذا القولَ أحدٌ قبله قلتُ: رجُلٌ ائتمَّ بقول قيلَ قبله. قال: ثم قال: بمِ يأمرُكم؟ قال: قلتُ: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف. قال: إن يك ما تقولُ فيه حقاً فإنه نبيٌّ، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أعلم أنه نبيٌّ، ولو أني أعلمُ أني أخْلَصُ إليه لأحببتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه، وليُلبِغَنَ ملكُهُ ما تحتَ قدميٍّ^(١). والنبي ﷺ خليلُ الله وحبَّيه وجبت محبته شرعا وإيمانا ورفع الله على غيره من إخوته الأنبياء شفاعته وشأننا، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بَأْعَجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلِمَةً تَكْلِيمًا. وَقَالَ آخَرُ: فَعَيْسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ. وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبْتُكُمْ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعَيْسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلْقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلُنيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ»^(٢).

ثالثا: محبة المسلم لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

إن قدر الله تعالى ومشيتته لهذه الأمة، أن يتولى أمرها بعد رسولها أربعة من الصحابة العظام الذين كان لهم السبق للإسلام من المهاجرين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ومن ناصر الإسلام في مرحلته الأولى حيث

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التفسير- سورة آل عمران- باب(قول يا أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله)، حديث رقم: ٤٥٥٣(٦/٣٥). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الجهاد والسير- باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، حديث رقم: ٤٧٠٧(٥/١٦٣).

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٦١٦(٥/٥٨٧). ضعفه الألباني.

القلة والسرية، وفي مرحلته الثانية حيث الجهر بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيلها حتى ظهر الإسلام وانتصر، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر الملقب بالصدیق وعمر بن الخطاب الملقب بالفاروق، وعثمان بن عفان الملقب بذي النورين، وعلي بن أبي طالب أبو السبطین الحسن والحسين أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ، واصطلح المؤرخون على تسمية عهدهم بالخلافة الراشدة وهم بالخلفاء الراشدين، ومحبتهم واجبة شرعاً، ومحبتهم بنيت على الدين؛ لما لهم من الفضل في نصوص الشرع الحكيم، وما قدره الله لهم في التفضيل والتقديم، ومحبتهم تأتي على هذا القدر من الترتيب: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، أورد شمس الدين السفيري في شرحه لصحيح البخاري: (سئل العراقي - رضي الله عنه - من أحب علياً أكثر من أبي بكر وعمر وعثمان هل يكون بذلك آثماً أم لا؟ أجاب: بأن المحبة قد تكون لأمر ديني، وقد تكون لأمر دنيوي، فالحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقد الإنسان أن أبا بكر أفضل ثم أحب علياً من جهة الدين أكثر، كان هذا تناقضاً وهو آثم بهذه المحبة، وأما المحبة الدنيوية فليست لازمة فإذا أحب علياً أكثر من أبي بكر لأمر دنيوي تكون من أقاربه وغير ذلك، فلا تناقض في ذلك، وليس بآثم بهذه المحبة، إذ من اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر لكنه أحب علياً أكثر من أبي بكر، فإنه كانت المحبة المذكورة محبة دينية فهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر إلا بلسان، وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحب محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز، وإن كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية ككونه من ذرية علي - رضي الله عنه - أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع من ذلك والله اعلم)^(١) إن المعتقد السليم يكون في محبة الصحابة أجمعين وتفضيل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، وأهل الفتح وأهل الهجرة وأهل النصرة، ولم يخالف فيه إلا من خالف المسلمين في أصل الدين، وطعن في القرآن وكفر الصحابة وسب أهل الفضل منهم وانتهك عرض الرسول ﷺ وذمته، برمي أمهات المؤمنين بالفحشاء واللعن، ولا يشك مؤمن في كفر من كانت هذه صفته، وقد رضي الله عن الصحابة وتاب عليهم، قال الله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)^(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)^(٣) وطاعة النبي ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد

(١) شرح صحيح البخاري، شمس الدين محمد بن زين الدين عمر بن شهاب الدين السفيري الحلبي الشافعي، ج ٣٥ ، ص: ١١ .

(٢) سورة التوبة: ١١٧ .

(٣) سورة الحشر: ١٠ .

ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه^(١) ويقولون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم^(٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «مَا أَظُنُّ رَجُلًا يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ»^(٣). وقد قدم الله تعالى المهاجرين في كتابه الكريم حين الذكر لهم على الأنصار؛ لما لهم من السبق في الإسلام والنصرة والتضحية والمهجرة، وكما للمهاجرين شرف الهجرة فإن للأنصار شرف النصرة وقد جعل النبي ﷺ حب الأنصار من علامات الإيمان، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(٤)، وعن البراء رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ - أو قال - قال النبي ﷺ: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ. فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»^(٥). وجميع الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم رضي الله عنهم، لهم الفضل في الجهاد في سبيل الله وحماية الدعوة الإسلامية وإيصال الدين الحق للعالمين، قال الشيخ الفوزان مؤصلاً المنهج القويم فيما شجر بين الصحابة من خلاف وغيره وواجب المسلمين تجاهه : ((ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونه وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل. ويمسكون عما شجر من الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه. والصحيح منه هم فيه معذرون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعه محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته^(٦)). وحب الصحابة من أوجب الواجبات، ومن المحتمات أن يعرف لأهل الفضل فضلهم، والصحابة هم السابقون في هذا الفضل ولهم المنة على غيرهم، ومن الواجب تجاههم المحبة،

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣٦٧٣ (٨/٥). وانظر: صحيح

مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٦٥١ (٧/١٨٨).

(٢) العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، شرح: د. صالح بن فوزان الفوزان، الرياض: مكتبة المعارف، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ص: ١٨٤ - ١٨٧.

(٣) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٠٤٩ (٦/٦٠). صحيح إسناده الألباني وقال: صحيح الإسناد مقطوع.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب علامة الإيمان حب الأنصار، حديث رقم: ١٧ (١٢/١).

(٥) انظر: صحيح البخاري- مناقب الأنصار- حب الأنصار، حديث رقم: ٣٧٨٣ (٥/٣٢).

(٦) العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، شرح: د. صالح بن فوزان الفوزان، الرياض: مكتبة المعارف، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ص: ١٩٥ - ٢٠١.

كما قال العلماء في أصول العقيدة، قال ابن زنين: (وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ الْمَحَبَّةَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْ يَنْشُرَ مَحَاسِنَهُمْ وَفَضَائِلَهُمْ، وَيُمْسِكَ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمْ. وَقَدْ أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ثَنَاءً أَوْجَبَ التَّشْرِيفَ إِلَيْهِمْ بِمَحَبَّتِهِمْ وَالِدُّعَاءَ لَهُمْ)^(١)

رابعاً: محبة آل البيت ﷺ:

إن محبة آل البيت أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وفضلهم عظيم، وصنف فيها وفي فضلهم كثير من الأنام والأئمة الأعلام، قال السخاوي في مؤلفه (استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول ﷺ وذوي الشرف) :على أي لو مشيت في هذا المهيع، لجاء في عدة مجلدات، فيها الكفاية والمقنع، مع بيان السمين من الهزيل، والثابت المكين من المزلزل العليل، إذ جمع الأئمة في كل من علي والعباس، والسبطين رضي الله عنهما، تصانيف منتشرة في الناس، وكذا أفردت مناقب الزهراء رضي الله عنها، وغيرها ممن علا شرفاً وفخراً. لكن ليس غرض السائل إلا إجمال الفضائل، التي يندرج فيها من بعدهم، ويتهيج بها من جعل ديدنه حب آل البيت وودهم، وقد أتيت من ذلك بما لم أقف عليه في ديوان، وقلدت ^(٢) المحب - محب الدين محمد بن جرير الطبري - في أشياء أضفتها إليه من غير بيان ^(٣). وجميل العبارة في هذا الكتاب، ما أرشد إليه المؤلف في عبارة وجيزة، عظيمة الدلالة ، أن يكون حب آل البيت لأخذ الفضائل، ومعرفة الشوائب، من أجل المحبة والتأسي بهم، لا من أجل بث الفرقة بين المسلمين، ونشر العصبية والبغضاء، فإن المعنى الحقيقي لمحبتهم، التأسي بهم والارتقاء بحبهم في الجنات، لما لهم من الفضل والشرف.

ومن أعلام أهل البيت الذين بقي بهم النسب الشريف علي بن أبي طالب ﷺ، ابن عم النبي ﷺ وربيته قبل الهجرة، وأمينه على ودائع أهل مكة، نام في فراشه فداءً ليلة الهجرة، وهاجر إلى المدينة بعد رد الودائع، وتزوج بابنة النبي ﷺ فاطمة بنت خديجة رضي الله عنهما، كان مجاهداً في سبيل الله وبرزت مواقفه عن غيره في أكثر من موقف على عهد النبي ﷺ كيوم بدر والخندق وخيبر، ولي خلافة المسلمين بعد مقتل عثمان ﷺ، وجرت في خلافته فتن عظيمة بين المسلمين لتوغل المنافقين والأعداء والضلال في صفوف المسلمين، في مؤامرات للقضاء على الإسلام ووحدرة المسلمين، وقد ابتلي بالخوارج الذين أقسم حبا وصدقا بأنه سمع فيهم مقالة رسول الله ﷺ ووصفهم - حيث الحب حاجز عقدي عن الكذب في الدين - عن سويد^(٤) بن غفلة، عن علي ﷺ: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأن آخر من السماء أحب

(١) أصول السنة، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، الإمام أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين، (١/٢٣٢)

(٢) في كتابه: (ذخائر العقبى) . من تعليقات الحق .

(٣) استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول ﷺ وذوي الشرف، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسين محمد علي شكري، المدينة المنورة : دار الزمان، ط ١، ١٤٢٤هـ . ص: ١٩ .

(٤) سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي، يكنى أبا أمية أدرك الجاهلية ولم ير النبي ﷺ وكان شريكاً لعمر في الجاهلية، وكان أسن من عمر؛ لأنه ولد عام الفيل، وكان قد أدى الصدقة إلى مصدق النبي ﷺ، ثم قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ، ثم شهد القادسية ثم شهد مع علي رضي الله عنه

إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتَكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَيُخْرِجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثَ الْأَسْنَانِ، سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يَجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لَمْ تَقْتُلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وكان قتله ونيله الشهادة ﷺ إحدى نتائج الفتن التي عصفت بالاجتمع المسلم آنذاك وانتهت بالصلح بين الحسن ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال ابن الأثير في الكامل: (وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي، وقيل اسم البرك الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولائهم ثم ذكروا أهل النهر^(٢) فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وكان من أهل مصر. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان، وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأتى ابن ملجم الكوفة^(٣) وذكر ابن الوردي في تاريخه أن ابن ملجم استعان بغيره ممن هو على شاكلته من الخوارج في الكوفة، قال: (واتفق مع ابن ملجم وردان من تيم الرباب، وشبيب من أشجع، ووثبوا على علي رضي الله عنه وقد خرج إلى الصلاة الغداة، فضربه شبيب فوق سيفه في الطاق فهرب شبيب ونجا، وضربه ابن ملجم في جبهته، وهرب وردان، فأمسك ابن ملجم وأحضر مكتوفاً بين يدي علي ﷺ. ودعا الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقال: أوصيكمما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما منها، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض. قلت: قال الإسفراييني في معالم الإسلام: روى عمار أن النبي ﷺ رأى علياً نائماً في بعض الغزوات على التراب فقال: ' ما لك يا أبا تراب '، ثم قال: ' ألا أحدثكم بأشقى الناس ؟ رجلين، قلنا: بلى، قال: أجثم ثمود^(٤) والذي يضربك بأعلى هذه - فوضع يده على قرنه - حتى تبتل منك

صفين. سكن الكوفة ومات بها في زمن الحجاج سنة إحدى وثمانين وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة. وقيل سبع وعشرين ومائة سنة رحمة الله عليه. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣١٨/١).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٦٩٣٠ (١٦/٩).

(٢) معركة النهروان : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج عام: ٣٨ هـ. انظر: (العبر في خير من غير) للذهبي (٣٢/١). والنهروان : هي كورة واسعة بين بغداد و واسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٢٥/٥).

(٣) الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، عناية: أبو صهيب الكرمي، الأردن: عمان، بيت الأفكار الدولية، ص: ٤٦٠.

(٤) أي: (أحيمر ثمود) تصغير أحمر وهو قدار بن سالف (الذي عقر الناقة) أي قتلها، وقيل أنه أحمر أشقر أزرق قصير. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٢٨/٣). و(أجثم ثمود) المقصود أي: ألطخ قومه بالأرض، وأسوأهم لسوء صنيعه. وأجثم من (جثم) الجيم

هذه وأخذ بلحيته. وفي رواية أنه قال لعلي: إنك لا تموت حتى تؤمر فإذا أمرت خضبت هذه من هذه، ثم قال ﷺ: يقتلك أشقى مراد^(١) ((٢)). وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين، والغلو في الأنبياء والصالحين، وأخبر أن من الهلكة الغلو في علي ﷺ محبة، أو البهت عليه بغضة، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال دعاني رسول الله ﷺ فقال: « إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمزمل الذي ليس به »، ألا وإنه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمل شتائي على أن يبهتني، ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم^(٣). أورد ابن كثير في البداية والنهاية الأثر الذي يجب أن يلزمه المسلم فيما حصل بين الصحابة، قال: (وسئل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقراً: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٤) وكذا قال غير واحد من السلف^(٥). وقال ابن كثير: (وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين، ولهذا قال الليث بن سعد: إن معاوية بويع له بإيليا بيعة الجماعة، ودخل الكوفة سنة أربعين، والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور أنه بويع له بإيليا في رمضان سنة أربعين، حين بلغ أهل الشام مقتل علي، ولكنه إنما دخل الكوفة بعد مصالحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وهو عام الجماعة^(٦)، وكما وردت أحاديث خاصة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة وفي المهاجرين خاصة أو الأنصار خاصة رضي الله عنهم أجمعين، وردت أحاديث في فضل علي ﷺ بلفظ الحب، من أشهرها:

والفاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجُمُعان: شخص الإنسان. وجَمَمَ، إذا لَطِيَ بالأرض. انظر: معجم مقاييس اللغة (٥٠٥/١).

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم: ١٧٣ (١٠٦/١) عن زيد بن أسلم: أن أباسنان الدؤلي حدثه أنه عاد علياً رضي الله عنه في شكوة اشتكاها فقلت له: لقد تخوفنا عليك يا أبا الحسن في شكوك هذا، فقال: ولكني والله ما تخوفت على نفسي منه لأنني سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: (إنك ستضرب ضربة ههنا وضربة ههنا) وأشار إلى صدغيه (فيسيل دمها حتى يخضب حيثك ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود) وأصله في مسند الإمام أحمد بن حنبل: (قال رسول الله ﷺ لعلي يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي هذه - يعني قرنه - حتى تبل منه هذه يعني لحيته) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

(٢) تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهرير بابن الوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ١٥٥.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم. حديث رقم: ١٣٧٧ (٤٦٩/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٤) سورة البقرة: ١٣٤.

(٥) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ج ٨، ص: ١٣٩.

(٦) المرجع السابق، ص: ١٣٩.

١- عَنْ الْمَسَاوِرِ الْحَمِيرِيِّ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: «دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: لَا يُحِبُّ عَلِيًّا مُنَافِقٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»^(١).

٢- عَنْ زُرِّ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢).

٣- عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ قَالَ لِي كَلِمَةً مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا»^(٣).

٤- عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي الرَّحْبَةِ: أَشَدُّ بِاللَّهِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ^(٤) يَقُولُ: «اللَّهُ وَلِيِّي، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ، فَهَذَا وَلِيَّهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانصِرْ مَنْ نَصَرَهُ». فَقَالَ سَعِيدٌ: قَامَ إِلَى جَنْبِي سِتَّةٌ. وَقَالَ حَارِثَةُ بْنُ مُضَرَّبٍ: قَامَ عِنْدِي سِتَّةٌ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ شَيْعٍ: قَامَ عِنْدِي سِتَّةٌ. وَقَالَ عَمْرُو ذُو مَرٍّ: «أَحَبُّ مِنْ أَحْبِهِ. وَأَبْغَضُ مِنْ أَبْغَضِهِ»^(٥).

٥- عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ النَّاسِ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَقَدْ أُوتِيَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ، لِأَنَّ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، زَوْجِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ابْنَتَهُ وَوَلَدَتْ لَهُ، وَسَدُّ الْأَبْوَابِ إِلَّا بَابَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَعْطَاهُ الرَايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ^(٦).

ومحبة الحسن والحسين رضي الله عنهما المحبة الشرعية من دلائل محبة النبي صلى الله عليه وآله لأن الحب الصادق يجب ما يحب حبيبه إذا لم يجد ما يعارضه، وهذا من دلائل الإيمان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^(٧). وبوب الإمام البخاري بابا في مناقبهما: بَابُ مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ومن أحاديثه فيهما:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَائِقَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الْحَسَنَ.

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله - باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧١٧ (٦٣٥/٥). ضعفه الألباني.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق حديث رقم: ٢٤٩ (٦٠/١).

(٣) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الخصائص - باب ذكر ما خص به عليا من الدعاء، حديث رقم: ٨٤٨٢ (٤٦٣/٧).

(٤) غدير خم : قال الحازمي: خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة، به غدير عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا الوادي موصوف بكثرة الوحامة. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٨٩/٢) .

(٥) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الخصائص - باب التَّوَعُّبُ فِي حُبِّ عَلِيٍّ، حديث رقم: ٨٤٢٩ (٤٤٤/٧).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٤٧٩٧ (٤١٦/٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٧) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، باب فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما. حديث رقم: ١٤٣ (١٧٧/١). حسنه الألباني.

٢- عن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُولُ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

٣- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنُ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمَا فَأَحْبِبُهُمَا، أَوْ كَمَا قَالَ.

٤- عن البراء، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحْبِبْهُ.

٥- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ بِأَبِي شَبِيهٍ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهٍ بَعَلِي وَعَلِي يَضْحَكُ.

٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.

٧- عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نُعْمٍ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَأَلَهُ، عَنْ الْمُحْرِمِ قَالَ شُعْبَةُ أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبَابَ فَقَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ، عَنِ الذُّبَابِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا.

وقد بوب الإمام مسلم في صحيحه بابا في فضلها ومن أحاديثه في فضلها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لَا يَكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِمُهُ حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنِقَاعَ ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِباءَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ « أَتَمَّ لَكُمْ أَتَمَّ لَكُمْ ». يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنَّهُ تَغَسَّلَهُ وَتَلْبَسَهُ سَخَابًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحْبِبْهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ »^(١).

ومنهج أهل السنة والجماعة محبة آل البيت ممن انتسب إلى بيت النبوة بحسب أو صهر أو نسب إحسانا وإسلاما، ثبوتنا شرعيا بنص أو وصاية، ومنهم فاطمة رضي الله عنها وعلي والحسن والحسين وحمزة والعباس رضي الله عنهم، وجعفر وأبنائه رضي الله عنهم، وأزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، عن عائشة رضي الله عنها: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ^(٢) مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(٣))^(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن منهج أهل السنة في حب

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، حديث رقم: ٦٤٠٩ (١٢٩/٧).

(٢) المِرْطُ كساء من خَزْ أو صُوف أو كَتَان وقيل هو الثوب الأخضر وجمعه مِرْوَطٌ. والمِرْطُ كل ثوب غير مَخِيط. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٩٩/٧) (مرط) الميم والراء والطاء أصل صحيح يدل على تحت الشيء أو حته. وتمرط الشعر: تحت، ومرطته. والأمراط من السهام: الساقط قذذه. والأمراط: الفرس لا شعر على أشاعره. والمِرْطَاء: ما بين الصدر إلى العانة من البطن، وهي أقل من ذلك شعرا. والمِرْطَى: سرعة العدو، كانه من سرعته يتمرط عنه شعره. وناقعة مِمْرَطة: سريعة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣١٢/٥) (٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، حديث رقم: ٦٤١٤ (١٣٠/٧).

أهل البيت: (ويجون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم: (أذكرکم الله في أهل بيتي) ^(١). وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يجفون بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم الله ولقرابتي) ^(٢). وقال: (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ^(٣). ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ومن أخصهن خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المثلثة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما التي قال فيها النبي ﷺ: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ^(٤). ويتبرءون من طريقة الروافض الذين ييغضون الصحابة ويسبونهم . ومن طريقة النواصب، الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة) ^(٥) فمنهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الواضح الذي يتقبله كل مسلم بقلب محب، وصدر منشرح، ويفرح بهذا الدين الذي يتوافق في نصوصه من الكتاب والسنة في تكامل وشمول، ولا يضرب بعضها ببعض كما في النصوص المكذوبة والروايات المدلسة والمدسوسة المعتمدة عند الروافض، والحق أنه لا يفرح مؤمن باقمام النبي ﷺ والكذب عليه، أو بسب أزواجه الأطهار وأبائهن الأخيار. بل كل مؤمن صادق يعرف أنهن أمهات المؤمنين المبرآت الصالحات، قال الشيخ صالح الفوزان في شرح السنة للبرهاري: (والمراد أمهاتهم في القدر والاحترام، وحرمة نكاحهن، بعد الرسول ﷺ وليس أمهاتهن في النسب، وإنما في القدر والاحترام، لهن حق الأمهات على المسلمين؛ لأنهن زوجات النبي ﷺ فتجب محبتهم واحترامهم، وعدم تنقص واحدة منهن، فإن هذا مذهب الرافضة الذين ينتقصون بعض أزواج النبي ﷺ وهذا فيه اتمام لله أنه اختار لنبية من لا تصلح له) ^(٦) وما يدل على دخول أزواجه في أهل بيته عليه السلام قول الله تعالى في الآيات التي بها خاطب نساء النبي ﷺ، فإنها ظاهرة الدلالة على أن زوجاته ﷺ داخلات في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(٧) فإن سياق الكلام معهن والأمر فيه لهن، وقال بدخولهن في ذلك جمع كبير من

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٧٨ (١٢٢/٧).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند بني هاشم - حديث العباس بن عبد المطلب، حديث رقم: ١٧٧٧ (٢٩٨/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ، حديث رقم: ٦٠٧٧ (٥٨/٧).

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأطعمة- باب الثريد، حديث رقم: ٥٤٧٤ (١٦٤/٤). وانظر: صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب في فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٦٤٥٢ (١٣٨/٧).

(٥) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ٣، ص: ١٥٤.

(٦) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري، شرح: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، القاهرة: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٣٠ هـ، ص: ٣٨٥.

(٧) سورة الأحزاب: ٣٣.

المفسرين وغيرهم، ورد في تفسير ابن كثير: (عن ابن عباس في قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وقال عكرمة: من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن كان المراد أنهم كن سبب التزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم.... وجهها أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت، فإن في بعض أسانيدنا نظرا، والله أعلم. ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: (وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)^(١) أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة^(٢) وقال القرطبي: (والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم)^(٣)

خامسا: الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان:

إن من أصول عقيدة المسلم، الولاء و البراء وهما يقومان على أصول الإيمان القلبي بالحب أو البغض وعلى أصول الإيمان القولي والعملي المصدق لما في القلب بالحديث والمعاملة. ومجمع ذلك وميزانه أن يكونا في الله سواء كان حب أهل الإيمان أو بغض أهل الشرك والكفر والنفاق، وهو من أفضل الأعمال ومن أوثق عرى الإيمان، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(٤). ويختلف الناس في هذا الأصل، كمالات ونقصانات، ولكل امرئ حال محددة في هذا الشأن حسب شخصه وعلمه وعمله وحسب مواقف الحياة المتعددة المتغيرة. أورد ابن رجب في فتح الباري عن حقيقة محبة الله ورسوله، فقال: (وذلك يستلزم محبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال، وكرهه ما يكرهه من ذلك، وكذلك من الأشخاص، ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحب والبغض، فمن أحبه الله أكرمه وعامله بالعدل والفضل، ومن أبغضه الله أهانه بالعدل)^(٥) فالموافقة أصل في صراحة الحب وحقيقته، ولا تتم محبة

(١) سورة الأحزاب: ٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٤١٠ - ٤١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ، ج ١٤، ص: ١٨٣ .

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، حديث رقم: ٤٦٠١ (٣٢٧/٤). ضعفه الألباني. عن البراء بن عازب، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّ عَرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟ قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟ قَالُوا: الرِّكَاعَةُ، قَالَ: حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟ قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟ قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟ قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ. انظر مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث البراء بن عازب، حديث رقم: ١٨٥٢٤ (٤٨٨/٣٠) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن بشواهده.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص: ٥١ .

الله إلا بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(١). وقد حمى الله أهل الإيمان من محبة مَنْ قد يغير عليهم دينهم الحق، ومن ذلك محبة الوالد لولده، فالولد الصالح نعمة وفضل من الله، والولد الكافر عدو وفتنة، قال الله تعالى: (وَأَمَّا أَلْعَلُّمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) ١١٤ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)^(٢) وقد أثبت البخاري تفسيرها المأثور بالسنة عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديثه عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ (كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ وَكَانَ كَافِرًا، فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا: أَنْ يَحْمِلَهُمَا حَبَهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا لِقَوْلِهِ أَقْنَلْتُ نَفْسًا زَكِيَةً — وَأَقْرَبَ رُحْمًا: هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالْأَوَّلِ الَّذِي قُتِلَ خَضِرٌ)^(٣). ومن أعظم ما ابتلي به المسلمون في عهدهم الأول وحتى عصرنا الحاضر، أهل النفاق الذين يتغلغلون في الوسط المسلم باسم الإسلام، وهم قد أضمرُوا العداوة في نفوسهم للإسلام وأهله، وانطبق عليهم قول الله عز وجل: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عِثْمٌ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَةَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ١١٥ هَتَأْتُمْ أَولَاءَ تَحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)^(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يُطْلَعُونَهُمْ عَلَى سِرَائِرِهِمْ وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي: يَسْعَوْنَ فِي مَخَالَفَتِهِمْ وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعْنَتُ الْمُؤْمِنِينَ ويخرجهم ويشقّ عليهم)^(٥) وحيث حرم الله هذه المحبة بالنهي عنها، أوضح للمؤمنين ما لم يروه من حال المنافقين وغيرهم، مما يضمرونه من العداوة والبغضاء لأهل الإسلام، وأن المحبة الصادقة تكون في المساواة أو المبادلة للحب اعتقاداً وقولاً وعملاً، والقياس هنا لهذا الحب في قوله تعالى: (هَتَأْتُمْ أَولَاءَ تَحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ) أورد البغوي في تفسيره: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم. وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، فنهاهم الله تعالى عن ذلك)^(٦)

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: ٤٦٨٣ (٤/٣٥٤). صححه الألباني.

(٢) سورة الكهف: ٨٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الكهف - باب قوله (فلما بلغا مجمعا بينهما نسيا حوثهما فاتخذ سبيله في البحر)، حديث رقم: ٤٧٢٦ (٦/٨٩).

(٤) سورة آل عمران: ١١٨ - ١١٩.

(٥) القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٠٦.

(٦) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص: ٩٥.

الولاء و البراء جزء من عقيدة المسلم ولأهميته في الإسلام فقد جاءت الآيات صريحة بالنهي عن ولاية المشركين واليهود والنصارى والمنافقين والأمر بالبراءة منهم وأن هؤلاء بعضهم أولياء بعض، وذلك في كثير من السور كسورة التوبة والأنعام المائدة والملتحنة، وأحكام الولاء والبراء واضحة في عمومها، ولكنها من أصعب الأحكام حين تعلقها بالأعيان أو علاقات الساسة من القادة والوزراء، فإن الأمر فيها يعود على ما يحمله القلب من حب أو بغض، وإلى أمور تخفى فيها المصالح والمفاسد لما لها من سرية تهم شؤون الأمة لا يطلع عليها غالبا إلا الخاصة، والحكم فيها يرجع إلى ولاية الأمر من العلماء والسلطين. قال الله تعالى: (وَالْمُنَافِقَتُ الْمُنْهَفِقُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) ^(١) وقال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) ^(٢) وقال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ^(٣) النهي هنا متعلق بعلاقات المودة والمحبة وهي قلبية لها توابع قولية وعملية، ولكن القرينة المسببة للنهي واحدة وهي الكفر بالحق وعدم الإيمان، قال صاحب أضواء البيان: (نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بِأَنَّ التَّصَافَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ مَانِعٌ مِنْ مُوَادَّةِ الْكُفَّارِ وَلَوْ كَانُوا قُرَبَاءَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... الآية) ^(٤) وما يجب أن يعلم أن الدين لله، وولاية المؤمن يجب أن تكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا ما أجمعت عليه الأدلة من الكتاب والسنة. والناس في الولاء والبراء، محبة وبغضا على أقسام أوضحها الشيخ الدكتور صالح بن فوزان ^(٥) وهذه الأقسام هي:

١) من يجب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخالص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ؛ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة.

٢) من يبغض ويبغض ويغض ويغض معاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخالص من الكفار والمشركون والمنافقين والمتردين والملحدين على اختلاف أجناسهم.

(١) سورة التوبة: ٦٧.

(٢) سورة الممتحنة: ١.

(٣) سورة التوبة: ٢٣.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢.

(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، ج ١، ص: ٢٩٦.

٣) من يحب من وجه ويبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين؛ يحبون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك. ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم؛ فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يُبغضون بغضا خالصا ويتبرأ منهم؛ كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبُّون ويوالون حبا وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ «وَمَا أَعَدَدْتُ لِّلْسَّاعَةِ؟» قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا، بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ. وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ»^(١). ولقد أحب النبي ﷺ أن يرى إخوانه الذين يأتون من بعده، وقد تميزوا بعلامات الوضوء في الوجه واليدين والرجلين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَأَحْقُونَ. وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ نَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٌ ذُهُمٌ بِهِمْ. أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. أَلَا لِيَذَادَنَّ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا»^(٢). وتبقى المحبة الحقة مرهونة بالاتباع، ويكون بها الاجتماع في الدنيا على الخير والهدى والدين الحق، ويوم القيامة في الجنة ونعيمها، ومن أشد موانع المحبة واللقاء في الجنة الابتداع في الدين أو التحريف أو التبديل. ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبوب البخاري في صحيحه، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، عن أنس رضي الله عنه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قالت عائشة - أو بعض أزواجه - إنا لنكره الموت قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب حديث رقم: ٦٨٨١ (٤٢/٨).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء، حديث رقم: ٦٠٧ (١٥٠/١).

وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب لقاء الله. وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره لقاء الله»^(١).

سادسا: الوسوسة في العقيدة:

الوسوسة هي حديث النفس للإنسان من الأفكار والتدابير التي تكون بين الخير والشر، وهي بمنزلة الحادثة الكائنة بين اثنين، والاستطراد معها يخرج الإنسان عن طبيعته وواقعه إلى عالم الخيال والوهم والهم، حتى يقع في حبال الخبال والجنون، أما طردها وعدم الاسترسال معها وصرفها بإبدالها بالأذكار الشرعية أو الأعمال العبادية أو الأعمال البدنية؛ فإنه أسلم للإنسان في صحته وعقله، والصحة النفسية عليها مدار القبول الشرعي والقبول الاجتماعي، فإن المجنون قد رفع عنه القلم والتكليف حتى يرجع، ولكل إنسان قرينه من الجن (روى مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَيَّايَ، لَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمْتُ»^(٢)، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ». الرواية بفتح الميم من "فأسلم" ومن رواه "فأسلم" برفع الميم - فَقَدْ حَرَفَ لَفْظَهُ. ومعنى "فأسلم"، أي: فَاسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ لِي، فِي أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ، وَلِهَذَا قَالَ: "فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ صَارَ مُؤْمِنًا - فَقَدْ حَرَفَ مَعْنَاهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا^(٣) وَمَنْ أَخْطَرُ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْمُسْلِمُ مَا يَضُرُّ بِعَقِيدَتِهِ مِنَ الْوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدًا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ - يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ - لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ. قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: رَدَّ أَمْرُهُ مَكَانَ رَدِّ كَيْدِهِ»^(٤). ومن واجب المسلم مدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان. هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقاق- باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم: ٦٥٠٧ (١٠٦/٨).

(٢) قال النووي في المنهاج : ((فَأَسْلَمَ) بَرَفْعِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا ، وَهُمَا رَوَايَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فَمَنْ رَفَعَ قَالَ : مَعْنَاهُ : أَسْلَمْتُ أَنَا مِنْ شَرِّهِ وَفَتْنِهِ ، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ : إِنَّ الْقَرِينَ أَسْلَمَ ، مِنَ الْإِسْلَامِ وَصَارَ مُؤْمِنًا لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَرْجَحِ مِنْهُمَا فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الرَّفْعُ ، وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَّاضُ ، الْفَتْحُ وَهُوَ الْمُخْتَارُ ، لِقَوْلِهِ : " فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ " ، وَاخْتَلَفُوا عَلَى رَوَايَةِ الْفَتْحِ ، قِيلَ : أَسْلَمَ بِمَعْنَى اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ ، وَقَدْ جَاءَ هَكَذَا فِي غَيْرِ صَحِيحٍ مُسْلِمٍ (فَاسْتَسْلَمَ) وَقِيلَ : مَعْنَاهُ صَارَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ ، قَالَ الْقَاضِي : وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عَصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : إِشَارَةٌ إِلَى التَّخْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَسَتِهِ وَإِغْوَائِهِ ، فَأَعْلَمْنَا بِأَنَّهُ مَعْنَى لِحَبْرَتِهِ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمَّاكَانِ) انظر: المنهاج للنووي (١٥٧/١٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، الرياض: الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١، ١٤١٨ هـ، ص: ٣٨٣.

(٤) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب في رد الوسوسة ، حديث رقم: ٥١١٤ (٤٩٠/٤). وانظر مسند الإمام أحمد- مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣١٦١ (٢٤٨/٥). صححه الألباني. وتعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

والتابعين لهم بإحسان، أما الاسترسال معها يوقع الشك والوهم ويحكم الشيطان حباله على من تسلط عليه، ويخرجه بها من التوحيد إلى الشرك، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: "ذلك صريح الإيمان»^(١) فمضى حكم المسلم العلم على قلبه، ولم يتحدث بها كانت هذه الوسوسة من محض الإيمان، أما إذا تحدث بها وأتبعها التصديق ومحاولات التحليل العقلي، فقد خرج بها عن العلم واليقين إلى الخيال والوهم والشك، وهنا وجب عليه الرجوع والعلاج، ومن أهمها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستغفار والوضوء والصلاة والذكر والدعاء بما يذكره التوحيد ويؤكد الإيمان، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟ فيقول: الله، فيقول: فمن خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا حس أحدكم بذلك فليقل آمنت بالله وبرسوله"^(٢). ومن مداخل الشيطان على الإنسان في العقيدة زعزعة الإخلاص بالتشكيك في صرفه العبادة لله وإيهامه بالرياء والسمعة وهنا يجب على المسلم العلم بحقيقة الرياء وحقيقة الإخلاص، وكل منهما لا يدركه أحد أكثر من صاحبه، فإن الإخلاص لله هو أساس قبول العبادة، وهو حقيقتها، قال الله تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ^(٣) ومن ثمراته محبة الله للعبد، ومحبة الناس له والثناء عليه بالخير، عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل يحبه الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(٤). والحذر من الرياء علامة الإخلاص لله تعالى، وهناك فرق بين الرياء وبشرى المؤمن، فإذا جاءت هذه البشرى بالثناء من غير طلب وكانت حبا من الناس غلب، فهي من حقيقة الإخلاص، أما إذا سعى المسلم بأعماله طلبا لها فهي حقيقة الرياء، وكذلك ترك المسلم الأعمال الصالحة من أجل الناس فإنه من مداخل الشيطان ووساوسه الذي يجب علاجه، بالتمحيص للقلب والاتجاه به إلى الإيمان والعمل الصالح دون النظر إلى ما عند الناس من الثناء أو غيره وذلك من الشرك الأصغر عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها. حديث رقم: ٣٥٧ (١/٨٣).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان - كتاب الإيمان - باب التكليف، حديث رقم: ١٥٠ (١/٣٦٢). قال شعيب الأرناؤوط على صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٣) سورة الزمر: ١١ - ١٢.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي ذر رضي الله عنه، حديث رقم: ٢١٣٨٠ (٣٥/٣٠٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

جَزَاءً^(١). فإذا رد المسلم الوسوسة بالإيمان الصادق، واجتهد في ذلك فإنها تصبح لا شيء، ويسلم القلب من الريب، ويطمئن بالإيمان ويفرح المؤمن باليقين. ومما يستعين به المؤمن في عبادته، ويستعين به في حياته، آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والمعوذتان، عن عبد الله الأسلمي رضي الله عنه - هو ابن أنيس-: أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال: "قل". فلم أدر ما أقول، ثم قال لي: "قل". قلت: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" ثم قال لي: "قل". قلت: "أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" حتى فرغت منها، ثم قال لي: "قل". قلت: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: "هكذا فتعوذ ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط"^(٢).

(١) انظر مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم حديث رقم: ٢٣٦٣٠ (٣٩/٣٩). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن.

(٢) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الاستعاذة - باب ذكر فضل ما يتعوذ به المتعوذون، حديث رقم: ٧٧٩٦ (١٩٨/٧).

المطلب الثاني: أثر المحبة في العبادات

قال الله تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ^(١) هذا الأمر من الله تعالى يبين فيه ما عليه أصل العبادة في جميع الشرائع وإن اختلفت التشريعات، وهو توحيد الألوهية، بصرف العبادة له دون سواه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيُّ هُوَ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، وَحُبُّ اللَّهِ أَصْلُ التَّوْحِيدِ الْعَمَلِيِّ، وَهُوَ أَصْلُ التَّأْلِيهِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ أَصْلَهَا أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ مَعَ أَكْمَلِ أَنْوَاعِ الْخُضُوعِ، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ) ^(٢) فإن العبد احب لله تعالى هو القائم بالعبادة على الوجه المشروع وهو المعنى بتعريف العبادة أنها كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والقربى لله بهذه الأعمال، موصلة لمحبهه، وتعظم هذه الحبة بأداء الفرائض، وتكبر هذه العظمة بأداء النوافل، حتى يبلغ العابد درجة عالية في العبودية ودرجة كبيرة في المحبة ويصبح في غاية الخضوع لله تعالى فلا يقدم على عمل بسمعه وبصره ويده ورجله إلا وهو متوافق مع مراد الله ورضاه، فاستحق الحبة العظيمة من الله وأصبح أهلا في المسألة والاستعاذة بتحقيق مطلبه ورجاه واستجابة دعاه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا. وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لِأُعِذَنَّهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» ^(٣) وحقيقة الأعمال العبادية التي يقوم بها العبد تنعقد فيها المحبة، عن طريقين:

١) المداومة عليها: عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ» ^(٤).

٢) النصح فيها: عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أَحَبُّ مَا تَعْبُدُنِي بِهِ عَبْدِي إِلَيَّ، النَّصْحُ لِي» ^(٥). وحقيقة النصح لله كما قرره العلماء هو الإخلاص في الطاعة، والاجتهاد في كمال أدائها، قال ابن حجر: (وقال المازري النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته، يقال نصح الشيء إذا

(١) سورة النساء: ٣٧.

(٢) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٥٤.

(٣) سبق تخريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٦٤٦٤ (٩٨/٨).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢١٩١ (٥٢٩/٣٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جدا.

خلص، ونصح له القول إذا أخلصه له ، أو مشتقة من النصح وهي: الخياطة المنصحة ، وهي الإبرة ، والمعنى أنه يلم شعث أخية بالنصح كما تلم المنصحة ، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه، قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، وهي من وجيز الكلام بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة^(١) أي أن النصح كلمة جامعة يقوم عليها الدين لأن الدين النصيحة، والدين أركانه العامة ثلاثة: الإسلام و الإيمان والإحسان، وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: (وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث^(٢) جبريل، وسمى ذلك كله ديناً، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوها، وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك الحرّمات والمكروهات على هذا الوجه أيضاً^(٣)) ولقد اقترنت العبادة في مصطلح الفقهاء بأداء أركان الإسلام الخمسة ومتعلقاتها. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)^(٤) وفي تعليق ابن حجر على ترتيب الأبواب في تصنيف الجامع الصحيح للبخاري وبقوله يتقرر ترتيب أركان الإسلام، عند العلماء المصنفين اعتماداً على تصنيف أهل الحديث ومن ذلك أن الإيمان بالنطق بالشهادتين أولها، وعليه المعتمد في أفعال العباد بعده، فقال: (وكان الإيمان أشرف العلوم فعقبه بكتاب العلم وبعد العلم يكون العمل، وأفضل الأعمال البدنية الصلاة ولا يتوصل إليها إلا بالطهارة فقال كتاب الطهارة فذكر أنواعها وأجناسها وما يصنع من لم يجد ماء ولا تراباً إلى غير ذلك مما يشترك فيه الرجال والنساء وما تنفرد به النساء، ثم كتاب الصلاة وأنواعها ثم كتاب الزكاة على ترتيب ما جاء في حديث بني الإسلام على خمس، واختلفت النسخ في الصوم والحج أيهما قبل الآخر وكذا اختلفت الرواية في الأحاديث، وترجم عن الحج بكتاب المناسك ليعم الحج والعمرة وما يتعلق بهما، وكان في الغالب من يحج يجتاز بالمدينة الشريفة فذكر ما يتعلق بزيارة النبي ﷺ وما يتعلق بحرم المدينة، قلت ظهر لي أن يقال في تعقيب الزكاة بالحج أن الأعمال لما كانت بدنية محضة ومالية محضة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ١٣٨.

(٢) الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو عند مسلم في صحيحه وأصحاب السنن الأربعة وأحمد في مسنده. انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم: ١٠٢ (٢٨/١).

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ٧٧.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب دعاؤكم إيمانكم، حديث رقم: ٨ (١١/١).

وبدنية مالية معا رتبها كذلك، فذكر الصلاة ثم الزكاة ثم الحج، ولما كان الصيام هو الركن الخامس المذكور في حديث ابن عمر بنى الإسلام على خمس عقب بذكره، وإنما أخره لأنه من التروك والتترك وإن كان عملاً أيضاً لكنه عمل النفس لا عمل الجسد فلهذا أخره وإلا لو كان اعتمد على الترتيب الذي في حديث بن عمر لقدم الصيام على الحج؛ لأن بن عمر أنكر على من روى عنه الحديث بتقديم الحج على الصيام وهو وإن كان ورد عن ابن عمر من طريق أخرى كذلك؛ فذاك محمول على أن الراوي روى عنه بالمعنى ولم يبلغه فيه عن ذلك والله أعلم^(١) وسوف أعرض هنا، ما ورد في العبادات من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب لكي يتضح أثر المحبة فيها، وحيث أركان الإسلام جامعة لأنواع العبادات فإنني سأفصل فيها وفق ترتيبها العلمي المعتبر في هذا المطلب كما يلي:

الركن الأول: الشهادتان:

وهما الشهادة بتوحيد الله والشهادة برسالة نبينا محمد ﷺ؛ فإن جميع العبادات من شروطها الإسلام، ولا يتحقق إلا بالنطق بالشهادتين والإيمان بهما، والنطق بالشهادتين من عبادات اللسان الواجبة في الذكر والصلاة أثناء الجلوس للتشهد، وهو أول واجب على المكلف، ومن محبة المسلم لدينه إعلان الشهادتين، حيث هي حقيقة الدين، وقد جعلت من شعار الدين الظاهرة كما في الأذان، وعند الدخول في الإسلام، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)^(٢). قال النووي في شرح صحيح مسلم: (وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُحْكَمُ بَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يُخْلَدُ فِي النَّارِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ اعْتِقَادًا جَازِمًا خَالِيًا مِنَ الشُّكُوكِ، وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَصْلًا إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ النُّطْقِ لَخَلَلٍ فِي لِسَانِهِ أَوْ لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِمُعَاجَلَةِ الْمَنِيَّةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا)^(٣) وأصل قبول الأعمال الإسلام، وأن الكافر لا يقبل منه العمل إلا إذا أسلم، فإنه أسلم على ما أسلف من أعمال الخير، والإسلام يجب ما قبله من السيئات، أما من مات كافراً فلا ينفعه عمله، قال الله تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)^(٤) وقال الله

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٤٧١.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم: ٢٥(١٤/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: ١٣٣(٣٨/١).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١، ١٤٩.

(٤) سورة الفرقان: ٢٣.

تعالى في حق المنافقين: (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْتَهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ)^(١) ومن دلائل محبة الله تعالى للعبد، ومحبة العبد لله تعالى، أن يوفق لتوحيد الله وإخلاص العبادة له، وهي عقيدة الأنبياء والمرسلين ومطلبهم وسؤلهم، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ. قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَبْدَ الْبَشَرِ»^(٢). والمحبة المبنية على صحة العقيدة والعمل الصالح هي مسلك عباد الله الصالحين، وطريقة أهل السنة والجماعة في التقرب لرب العالمين.

الركن الثاني: الصلاة

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام لحديث ابن عمر رضي الله عنه فيما بني عليه الإسلام الذي ذكرناه آنفاً في التوحيد ولغيره من أدلة القرآن والسنة، قال الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)^(٣) وهي عمود الدين، وقد أحبها النبي صلى الله عليه وسلم وأقامها خير قيام امتثالاً لأمر ربه حيث أمر بها، وفرضت عليه في السماء، في مقام العلو والقرب والإعجاز، كما في حديث الإسراء والمعراج، وهي سنة الأنبياء من قبله، وإن اختلفت صفاتها في شرائعهم إلا أنه يجمعها عقيدة الوحداية ووصف الدعاء، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم مكانتها للأمة ومقامها في نفسه، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «حُبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءِ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤). قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: (وأما الطيب فكأنه يحبه لكونه يناجي الملائكة وهم يحبون الطيب وأيضا هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشد اعتدالا من حيث المزاج وأكمل خلقة وقوله قرّة عيني في الصلاة إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعتله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى أنه بمناجاته تقرر عيناه وليس له قريرة العين فيما سواه فمحبتته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى كما قال لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن أو كما قال^(٥) وقال السيوطي في شرحه لسنن النسائي: (وفي هذا الحديث إشارة إلى وفائه صلى الله عليه وسلم بأصلي الدين، وهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، وهما كمالاً قوتيته النظرية والعملية، فإن

(١) سورة التوبة: ٥٤.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب جامع الدعوات، حديث رقم: ٣٤٩٠ (٥٢٢/٥). تحقيق الألباني: ضعيف - إلا قوله في داود: " كان أعبد البشر " فهو عند مسلم.

(٣) سورة النور: ٥٦.

(٤) انظر: سنن النسائي - عشرة النساء - باب حب النساء، حديث رقم: ٨٨٣٦ (١٤٩/٨). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ١٢٢٩٤ (٣٠٧/١٩). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٥) حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١٤٠٦ هـ، ج ٧، ص: ٦٦ - ٦٧.

كمال الأولى بمعرفة الله والتعظيم دليل عليها، لأنه لا يتحقق بدونها، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال ﷺ المصلي يناجي ربه، نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها، وكمال الثانية في الشفقة وحسن المعاملة مع الخلق، وأولى الخلق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس نفسه وبدنه، كما قال ﷺ: ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، والطيب أحص الذات بالنفس، ومباشرة النساء ألد الأشياء بالنسبة إلى البدن، مع ما يتضمن من حفظ الصحة وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود^(١) وكما ظهر أثر المحبة فيها ككل من قوله ﷺ (وجعلت قرّة عيني في الصلاة)، فإن الاستعداد لها، والقيام بها، أعمال فاضلة، تنبعث بها المحبة في القرب من الله تعالى، والمرء في صلاة مادام ينتظر الصلاة، والصلاة الدعاء، وقد أوضحت نصوص الكتاب والسنة أهمية الصلاة وفضلها بلفظ الحب، وقد قسمت هذا البيان في ثلاث مراحل يتنقل المسلم بينها لأداء الصلاة مرحلة الاستعداد ومرحلة الأداء ومرحلة الفراغ، وهي وفق ما يلي:

أولاً: مرحلة الاستعداد للصلاة: وتشمل الطهارة والوقت والمكان:

١) محبة الله للمتطهرين:

قال الله تعالى: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ)^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي قال: «نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } . قَالَ: كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِيهِمْ »^(٣). وعن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، أَنَّ هَذِهِ آيَةَ نَزَلَتْ: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ }، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ. فَمَا طُهِرُكُمْ؟» قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَنَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ. قَالَ: «فَهُوَ ذَاكَ فَعَلَيْكُمْوه»^(٤).

٢) محبة التيامن في الطهارة:

التيامن في الطهارة هو البدء باليمين من الأعضاء في الوضوء ثم الشمال، وفي الغسل البدء بالشق الأيمن ثم الأيسر، عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمْنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجَّلِهِ وَنَعْلِهِ»^(٥). قَالَ مُسْلِمٌ: وَسِوَاكَه، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ.

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ٧، ص: ٦٢.

(٢) سورة التوبة: ١٠٨.

(٣) انظر: سنن أبي داود- كتاب الطهارة- باب في الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٤٤ (١٦/١). وانظر: سنن الترمذي- كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ- باب ومن سورة التوبة، حديث رقم: ٣١٠٠ (٢٨٠/٥). صححه الألباني.

(٤) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب الطهارة وسننها- باب الاستنجاء بالماء، حديث رقم: ٣٥٥ (٣٨٧/١). صححه الألباني.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصلاة - باب التيامن في دخول المسجد وغيره، حديث رقم: ٤٢٥ (٩٢/١).

٣) محبة الستر واليسر في الغسل:

عن عطاء عن يعلى: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبِرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ^(١) ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَمِّهِ عِمْرَانَ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّهِ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا اسْتَحِيضَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: إِنِّي اسْتَحِيضْتُ حِيضَةً مُنْكَرَةً شَدِيدَةً. قَالَ لَهَا: «اِحْتَشِي كُرْسُفًا» قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ. إِنِّي أَتُجُّ ثَجًّا^(٢). قَالَ: « تَلَجَمِي وَتَحِيضِي فِي كُلِّ شَهْرٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ اغْتَسِلِي غُسْلًا، فَصَلِّيْ وَصُومِي ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ، أَوْ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ. وَأَخْرِي الظُّهْرَ وَقَدِّمِي الْعَصْرَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَأَخْرِي الْمَغْرِبَ وَعَجَلِي الْعِشَاءَ. وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلًا. وَهَذَا أَحَبُّ الْأَمْرَيْنِ إِلَيَّ^(٣) ».

٤) محبة الوضوء تعليماً وعلامات:

يؤدي المسلم الصلاة في فرضها ونفلها عبادة يرجو قبولها، والقيام بها على الوجه المشروع لا يتم إلا على أصل الطهارة المعنوية من الشرك في القلب والقول والعمل، وعلى أصل الطهارة المادية في البدن والثوب والمكان، وتعلم الوضوء و تعليمه من الواجبات المحتتمات المعرفة وضرورات الدين، لقيام هذا الركن العظيم عليها، وحرص الصحابة الكرام رضي الله عنهم على تعلمه وتعليمه، كما كان النبي ﷺ يفعل، عن محمد^(٤) بن عبد الله بن أبي مريم قال: دخلت على ابن دارة مولى عثمان، قال: فسمعني أمضض قال: فقال: يا محمد، قال: قلت لبيك، قال: ألا أخبرك عن وضوء رسول الله ﷺ، قال: رأيت عثمان ؓ وهو بالمقاعد دعا بوضوء فمضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ومسح برأسه ثلاثاً وغسل قدميه، ثم قال: من أحب أن ينظر إلى وضوء رسول الله ﷺ، فهذا وضوء رسول الله ﷺ^(٥). بل أثر الوضوء علامة يعرف بها النبي ﷺ يوم القيامة إخوانه الذين آمنوا به من بعده ولم يروه، فكان يود أن يراهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الحمام - باب النهي عن التعري، حديث رقم: ٤٠١٤ (٧٠/٤). صححه الألباني.

(٢) (ثج) الثاء والجيم أصل واحد، وهو صب الشيء. يقال ثَجَّ الماء إذا صَبَّه؛ وماءٌ ثَجَّاجٌ أي صَبَّابٌ.. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٧/١)

(٣) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها - باب ما جاء في البكر إذا ابتدئت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنسيتها، حديث رقم: ٦٢٧ (١/٦٦٠). وانظر: مسند الإمام أحمد - من مسند القبائل، حديث رقم: ٢٧١٤٤ (١٢١/٤٥). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٤) محمد بن عبد الله بن أبي مريم المدني الخزاعي، مولاها، ويُقال مولى ثقيف، روى عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، روى عنه يحيى القطان وصفوان بن عيسى ومالك بن أنس. انظر: الثقات لابن حبان (٧/٤١٩) والجرح والتعديل لابن المنذر (٧/٣٠٦) و التاريخ الكبير للبخاري (١/١٣٩) و تعجيل المنفعة لابن حجر (٢/١٨٩) و تهذيب الكمال للمزي (٢٧/١٠٢).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ٤٣٦ (١/٤٩٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

لَا حَقُونَ. وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٌ دُهِمٌ بِهِمْ. أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُّ فَأَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»^(١). ومن عظمة الإسلام أن جعل الطهارة شرطاً لمناجاة الله الرب العظيم في الصلاة، ويسر أمرها عند فقد الماء تيمماً بالصعيد الطيب في الوضوء والتمرغ للغسل، وجعل جلد الميتة طاهراً حلاً بدبغه، لا ينجس الماء به في قربه، ومن يسر الإسلام أن شرع المسح على الخفين حال الإقامة والسفر، يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام لباليهن للمسافر، عن المغيرة بن شعبة قال: «دعاني رسول الله ﷺ بماء، فأتيته خباء فإذا فيه امرأة أعرابية قال: فقلت: إن هذا رسول الله ﷺ وهو يريد ماء يتوضأ فهل عندك من ماء؟ قالت: بأبي وأمي رسول الله ﷺ فوالله ما تظل السماء ولا تقل الأرض روحاً أحب إليّ من روحه ولا أعز، ولكن هذه القرية مسك ميتة ولا أحب أنجس به رسول الله ﷺ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إليها فإن كانت دبغتها فهي طهورها، قال: فرجعت إليها فذكرت ذلك لها، فقالت: أي والله لقد دبغتها، فأتيته بماء منها وعليه يومئذ جبة شامية وعليه خفان وخمار قال: فأدخل يديه من تحت الجبة قال: من ضيق كميتها قال: فتوضأ فمسح على الخمار والخفين»^(٢).

٥) محبة النبي ﷺ لاستقبال الكعبة في الصلاة:

استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، قال الله تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)^(٣) وكان النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة يصلي إلى بيت المقدس، وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة فاستجاب الله رغبته، وأمره أن يتوجه إلى الكعبة، وعن البراء ﷺ قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) (البقرة: ١٤٤) فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ»^(٤).

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الطهارة- باب استحباب إطالة الغرة و التحجيل في الوضوء، حديث رقم: ٦٠٧ (١/١٥٠).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٨٢٢٥ (٣٠/١٦٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) سورة البقرة: ١٥٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب أخبار الآحاد- باب ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، حديث رقم: ٧٢٥٢ (٨٧/٩).

٦) محبة تسوية الصفوف للصلاة وإتمام الأول:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيَكُمْ كَأَنَّهُا أَذْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأَانَا حَلَقًا فَقَالَ « مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ « يُتْمُونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ »^(١).

تسوية الصفوف من تمام الصلاة، وهي دليل الألفة والاتفاق والوحدة، وهي نظام وانتظام لإقامة الصلاة، أمر بها النبي ﷺ، وقام بها بنفسه يسوي الصفوف عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلَنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »^(٢) قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا. ووصل الصفوف من الأعمال المحبة إلى الله، والصف الأول أحب الصفوف وأفضلها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهْمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا)^(٣) وميامن الصفوف أحب من شمانلها، عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ^(٤). وقد ورد في أحاديث ضعيفة إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف^(٥) وقد أمر الشارع بحفظ كرامة الصلاة، وخشوع المصلي في مناجاته لربه؛ فحذر من المرور بين يدي المصلي، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ^(٦) أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي جُهَيْمٍ^(٧) يَسْأَلُهُ مَاذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَارِّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي فَقَالَ أَبُو جُهَيْمٍ قَالَ

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة- باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد في الصلاة ورفعها وإتمام الصفوف الأول، حديث رقم: ٩٩٦ (٢٩/٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة- باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام، حديث رقم: ١٠٠٠ (٣٠/٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأذان- باب الاستهام في الأذان، حديث رقم: ٦١٥ (١٢٦/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة- باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام، حديث رقم: ١٠٠٩ (٣١/٢).

(٤) انظر: سنن النسائي-كتاب الإمامة- باب المكان الذي يستحب من الصف، حديث رقم: ٨٩٨ (٤٣٤/١). صححه الألباني.

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب من يستحي أن يلي الإمام في الصلاة، حديث رقم: ٦٧٦ (٢٥٣/١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب فضل ميمنة الصف حديث رقم: ١٠٠٥ (١٣٧/٢). ضعفه الألباني. وحسن، بلفظ " على الذين يصلون الصفوف ".

(٦) بسر بن سعيد الإمام القدوة المدني العابد الزاهد، مولى بن الحضرمي، ثقة جليل، روى عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وزيد بن ثابت وزيد بن خالد الجهني وابن عمر، وروى عنه سالم أبو النضر ويزيد بن خصيفة وبكير بن الأشج، مات بالمدينة سنة (١٠٠) وهو ابن (٧٨) وقيل مات سنة (١٠١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٨٣/١) والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (١١٨/١) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٩٤).

(٧) أبو جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ أَبُو النَّضْرِ لَا أَدْرِي أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً)^(١).

٧) محبة الصلاة على وقتها:

قال الله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)^(٢) قال أهل التفسير^(٣) في تفسير موقوفات، عدة معان، أي: مفروضا، قال به السدي وغيره، وموقوفات أي: واجبا، قال به مجاهد وغيره، وعن زيد بن أسلم^(٤) قال: منجما، كلما مضى نجم جاء نجم آخر. كلما مضى وقت جاء وقت آخر. والصلاة على وقتها المفروض واجب على المسلم أدائها فيه، بل من أحب الأعمال إلى الله، عن أبي عمرو الشيباني^(٥) يَقُولُ، حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَرَدُّهُ لَزَادَنِي^(٦). وأوضحت السنة العملية والقولية هذه الأوقات في أحاديث كثيرة منها، عن أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ، وَالْعَصْرَ وَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ، وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرَبِ. وَلَا يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ، وَلَا يَحِبُّ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَلَا الْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ. وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مَا بَيْنَ السَّتينِ إِلَى الْمِائَةِ^(٧). ومن سنته ﷺ التيسير على المسلمين في كل شؤونهم، ومن ذلك وقت الصلاة المشروع، فيرد بهم في الظهر، ويجب تأخير العشاء ولكن يرحم ضعيفهم وسقيمهم ويصليها في أول وقتها، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ. فَخَرَجَ، فَصَلَّى بِهِمْ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا وَنَامُوا. وَأَنْتُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمْ الصَّلَاةَ، وَلَوْ لَا الضَّعِيفُ وَالسَّقِيمُ أَحَبَّتْ أَنْ أُؤَخَّرَ هَذِهِ الصَّلَاةُ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ»^(٨). والأوقات المشروعة جعلت لإقامة

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصلاة-باب إثم المار بين يدي المصلي، حديث رقم: ٥٠٩ (١٠٧/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة-باب منع المار بين يدي المصلي، حديث رقم: ١١٦٠ (٥٨/٢).

(٢) سورة النساء: ١٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٩، ص: ١٦٧.

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم: ٥٢٧ (١١٢/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم: ٢٦٤ (٦٣/١).

(٧) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأذان-باب القراءة في الفجر، حديث رقم: ٧٧١ (١٥٣/١).

(٨) انظر: سنن النسائي-كتاب المواقيت-باب آخر وقت العشاء، حديث رقم: ٥٣٧ (٢٨٩/١). وانظر: سنن ابن ماجه-كتاب الصلاة-باب وقت صلاة العشاء، حديث رقم: ٦٩٢ (٧٢٦/١). صححه الألباني.

الفروض - الصلوات الخمس - و جاز فيها النفل، و فني عن أوقات خارج أوقات الصلوات الخمس، و سميت عند الفقهاء أوقات الكراهة أي أنها منافية للمحبة، فلا يجوز الصلاة فيها إلا لذوات الأسباب من صلاة الجنائز و سنة الطواف بالبيت، و قضاء الفوائت من الفرائض، و غيرها، و هذه الأوقات حددت بثلاثة أوقات، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ وَكَانَ أَحَبَّهُمْ إِلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ^(١). و من حديث عمرو بن عبسة عند مسلم، قال أَخْبَرَنِي عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ « صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ »^(٢) و اختلف العلماء في النهي عن النوافل أوقات الكراهة الثلاثة المذكورة في الحديث، والذي عليه الجمهور أن النهي عن النوافل، و استثنوا ذوات الأسباب، من قضاء الفروض الفائت، أو تحية المسجد، إلى غير ذلك، قال ابن الجوزي في كشف المشكل: (و اعلم أن هذا النهي يختص النوافل التي لا سبب لها، و أما التي لها سبب كتحية المسجد فهل يجوز فعلها فيه، عن أحمد و إمامان، إحداهما: لا يجوز، و الأخرى: يجوز، كقول الشافعي، و اعلم أن كراهية التنفل في أوقات النهي تعم جميع المساجد، جميع الأيام، و قال الشافعي: لا يكره التنفل في هذه الأوقات بمسجد مكة خاصة، و لا يكره التنفل يوم الجمعة عند الزوال، و أما قضاء الفوائت و فعل المندورات في أوقات النهي فيجوز عندنا خلافاً لأبي حنيفة^(٣).

٨) المساجد أحب البلاد إلى الله:

إن مما اختص الله به رسولنا ﷺ أن جعلت له الأرض مسجداً و طهوراً، و كانت لأمته دون الأمم، فيصلي المسلم حيث أدركته الصلاة في المكان الطاهر من الأرض، و جعل النبي ﷺ المساجد دوراً للعبادة، و سنته بناؤها و العناية بها، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَتَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رَذَفَهُ وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بَفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، حديث رقم: ١٩٥٨ (٢/٢٠٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب إسلام عمرو بن عبسة، حديث رقم: ١٩٦٧ (٢/٢٠٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن،

بني النَجَّارِ فقال: يا بني النَجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا. قالوا: لا والله لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ. فقال أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرْبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ. فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرْبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ. فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ^(١). وأعظم المساجد في الأرض المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، والكعبة البيت الحرام أصل المسجد الحرام، والحجر من البيت عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَدْخُلَ الْبَيْتَ وَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي فِي الْحَجَرِ، فَقَالَ: صَلِّي فِي الْحَجَرِ إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ اقْتَصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكُعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ»^(٢). والمساجد عامة هي أحب البلاد إلى الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا. وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»^(٣). والمشي إليها لأداء الصلاة فيها من أحب الأعمال إلى الله، ولهذا حرص الصحابة والصالحون على المشي دون الركوب احتساباً لأجر الخطوات في الحسنات ورفع الدرجات وحط السيئات، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَبْنِي أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ فَتَوَجَّعْنَا لَهُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ بَنِي مُطَنَّبٌ بَيْتَ مُحَمَّدٍ. قَالَ فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ فَدَعَا. فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»^(٤). وعن عبد الله بن قيس بن مخزومة قال: أقبلت من مسجد بني عمرو بن عوف بقباء على بغلة لي، قد صليت فيه، فلقيت عبد الله بن عمر ماشياً، فلما رأيته نزلت عن بغلي، ثم قلت: اركب أي عم قال: أي ابن أخي، لو أردت أن أركب الدواب لوجدتها، ولكني رأيت رسول الله ﷺ يمشي إلى هذا المسجد حتى يأتي فيصلِّي فيه، فأنا أحب أن أمشي إليه كما رأيته يمشي، قال: فأبى أن يركب، ومضى على وجهه^(٥).

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الصلاة-باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، حديث رقم: ٤٢٩ (١/٩٤).

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب المناسك-باب في الحجر، حديث رقم: ٢٠٣٠ (٢/١٦٣). وانظر: سنن الترمذي-كتاب الحج عن رسول الله ﷺ -باب ما جاء في الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٨٧٦ (٣/٢٢٥). وانظر: سنن النسائي-كتاب مناسك الحج-باب الصلاة في الحجر، حديث رقم: ٢٩١٢ (٥/٢١٩)، وانظر: مسند الإمام أحمد-حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦١٦ (٤١/١٦٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح دون قوله: "صلي في الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت" فحسن لغيره.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، حديث رقم: ١٥٦٠ (٢/١٣٢).

(٤) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث رقم: ١٥٤٨ (٢/١٣٠).

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، حديث رقم: ٥٩٩٩ (١٠/٢٠٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

ثانيا: مرحلة الأداء الشرعي للصلاة: وتشمل الأركان والواجبات والسنن:

(١) صفة الصلاة:

إن صفة الصلاة نقلت لنا عن النبي ﷺ قولاً وعملاً، ولقد تعلمها الصحابة منه مشاهدة ومساءلة، وأمرهم بأخذها عنه، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَابَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلُّوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيُؤْمَمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ^(١)). وهكذا كان الصحابة ينقلون صفة صلاة النبي ﷺ قولاً وعملاً، ويحرص المسلمون على أخذها كما جاءت عن النبي ﷺ، عَنْ مَيْمُونِ الْمَكِّيِّ، «أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ صَلَّى بِهِمْ يُشِيرُ بِكَفِّهِ حِينَ يَقُومُ وَحِينَ يَرْكَعُ وَحِينَ يَسْجُدُ وَحِينَ يَنْهَضُ لِلْقِيَامِ فَيَقُومُ فَيُشِيرُ بِيَدَيْهِ فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ صَلَّى صَلَاةً لَمْ أَرِ أَحَدًا يُصَلِّيَهَا، فَوَصَفْتُ لَهُ هَذِهِ الْإِشَارَةَ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّتِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْنَدَ بِصَلَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ^(٢). وعن عبد الجبار^(٣) بن وائل بن حجر عن أبيه قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ لِي مِنْ وَجْهِهِ مَا لَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهِ مِنْ وَجْهِهِ، رَجُلٌ مِنْ بَادِيَةِ الْعَرَبِ صَلَاتُهَا خَلْفُهُ وَكَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ كُلَّمَا كَبَّرَ وَرَفَعَ وَوَضَعَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَيَسْلَمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ^(٤). وللصلاة أركان وواجبات وسنن ومكروهات ومبطلات، فصل فيها الفقهاء على اتفاق في العدد والأوقات والأركان المصطلح عليها بينهم، وعلى اختلاف في بعض الواجبات والسنن، والمكروهات والمبطلات، فإن مما يجب أن نعرفه أن الصلاة قرآن وذكر من تكبير وتسييح وتقليم في قيام وركوع وسجود على صفات مخصوصة، وفي أوقات مخصوصة، وتقوم على أركان متفق عليها من أهمها: النية بتكبير الإحرام وقراءة الفاتحة، والركوع والرفع منه، والسجود والاعتدال منه، والجلوس بين السجدين، وجلوس التشهد الأخير والصلاة على النبي ﷺ، والتسليم. ويبطلها الأكل والشرب والنوم والخارج من

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب رحمة الناس والبهائم حديث رقم: ٦٠٠٨ (٩/٨). وانظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب من أحق بالإمامة، حديث رقم: ١٥٦٧ (٢/١٣٤).

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصلاة- باب افتتاح الصلاة، حديث رقم: ٧٣٩ (١/٢٦٩). انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم: ٢٦٢٧ (٤/٣٨٢). وصححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٣) أبو محمد عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي الكندي، ولد بعد موت أبيه بستة أشهر، روى عن علقمة بن وائل وروى عنه محمد بن جحادة، مات سنة اثني عشرة ومائة. انظر: الثقات لابن حبان (٧/١٣٥) وتهذيب التهذيب للمزي (٦/٩٥) ورجال مسلم لابن منجويه الأصبهاني (١/٤٤٦) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٥٧٣).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين، حديث رقم: ١٨٨٦١ (٣١/١٥٣). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح دون رفع اليدين عند السجود.

السبيلين، والكلام الخارج عنها لغير مضطر، عن مُعَاذٍ^(١) بن رِفَاعَةَ بن رَافِعٍ عن أبيه، قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فقال من المتكلم في الصلاة فلم يتكلم أحد ثم قالها الثانية من المتكلم في الصلاة؟ فلم يتكلم أحد ثم قالها الثالثة من المتكلم في الصلاة؟ فقال رفاعة بن رافع ابن عفراء ؓ: أنا يا رسول الله. قال: كيف قلت؟ قال: قلت: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا أيهم يصعد بها^(٢). وكان النبي ﷺ يحرص على تعليم الصلاة من يجهل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ سَلَّمَ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ فَأَعْلَمَنِي قَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ وَأَقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ وَتَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا^(٣). ومن الروابط بين المحبة والعبادة أن المحب الناصح يسعى في الدلالة على الخيرات في العبادة، وما يصلح به أمر الحياة، ومن محبته ﷺ لعلي ؓ نصحه الدائم له، ومن ذلك ما خصه هنا بأمر الصلاة، عن علي ؓ قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا عليّ إني أحب لك ما أحب لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تقرأ وأنت راكع ولا وأنت ساجد، ولا تصلّ وأنت عاقص شعرك فإنه كفل الشيطان، ولا تقع بين السجدين، ولا تعبت بالحصى، ولا تفتش ذراعيك، ولا تفتح على الإمام، ولا تتختم بالذهب، ولا تلبس القسي، ولا تركب على الميائثر^(٤) ». وفقه العلماء من هذا الحديث وغيره بعض مبطلات ومكروهات الصلاة، قال البغوي في شرح السنة: (قال أبو عيسى: قد ضعف بعض أهل العلم الحارث الأعور. قلت: هذا الحديث فيه فوائد، منها النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأن لا يصلي عاقص الشعر، بل يرسله حتى يسقط على موضع سجوده، كما روينا عن ابن عباس أن النبي ﷺ نهى أن يكف منه الشعر والثياب ومنها كراهية الإقعاء بين السجدين، وعليه أكثر أهل العلم، وقد صح عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ ينهى عن عقبة الشيطان والإقعاء. قال أبو عبيدة: هو جلوس الإنسان على أليتيه ناصبا فخذه، واضعا يديه بالأرض مثل

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٢) انظر: سنن الترمذي- كتاب الصلاة- باب ما جاء في الرجل يعطس في الصلاة، حديث رقم: ٤٠٤ (٢/٢٥٤). وانظر: سنن النسائي-

كتاب الافتتاح- باب قول المأموم إذا عطس الإمام، حديث رقم: ١٠٠٥ (١/٤٧٩). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الإيمان والنذور- باب إذا حنث ناسيا في الإيمان، حديث رقم: ٦٦٦٧ (٨/١٣٥).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٤٤ (٢/٤٠٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند:

هذا إسناد ضعيف.

إقعاء الكلب والسبع، وليس هذا معنى الحديث من الإقعاء، وتفسير أصحاب الحديث في عقبة الشيطان وفي الإقعاء واحد، وهو أن يضع أليته على عقبه، ويقعد مستوفزا غير مطمئن إلى الأرض، وذهب بعض أهل العلم إلى الإقعاء بين السجدين، قال طاوس: قلنا لابن عباس في الإقعاء على القدمين؟ قال: هي السنة، قال طاوس: رأيت العبادلة يفعلون ذلك: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير. قال أبو سليمان الخطابي: وقد روي عن ابن عمر أنه قال لبيه: لا تقتدوا بي في الإقعاء، فإني إنما فعلت هذا حين كبرت. وروي عن ابن عمر، أنه كان يقعي في الصلاة ويشري، معناه: أنه كان يضع يديه بالأرض بين السجدين، فلا يفارقان الأرض حتى يعيد السجود، وهكذا يفعل من أقعى، وكان يفعل ذلك حين كبرت سنه قال الخطابي: ويشبه أن يكون حديث الإقعاء منسوخا. والأحاديث الثابتة في صفة صلاة رسول الله ﷺ عن أبي حميد، ووائل بن حجر: أنه قعد بين السجدين مفترشا قدمه اليسرى، وقد رويت الكراهية في الإقعاء عن جماعة من الصحابة، وكرهه النخعي^(١) ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي، وعامة أهل العلم. قلت: ومن فوائد الحديث كراهية مسح الحصى في الصلاة^(٢)

٢) الخشوع في الصلاة:

قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) ^(٣) قال القرطبي في تفسيره: (والخشوع محله القلب، فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه، إذ هو ملكها)^(٤)، ويعني الخشوع التذلل لله تعالى والتدبر في معاني التسييح والتكبير وما يتلو من آيات، محبة لها، ولما فيها من الفضل، وهذا ما كان عليه السلف، يرحمهم الله، من الانقطاع بقلوبهم وجوارحهم من الدنيا إلى الله والدار الآخرة، عن جابر رضي الله عنه، قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاءِ - فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أُهْرِيْقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلُونَا، فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: كُونَا بِفَمِ الشَّعْبِ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشَّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَآتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَيْبَةَ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ هَرَبَ: فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا أَنْبَهْتَنِي أَوَّلَ

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ط ٣، ج ٣، ص: ١٥٥ - ١٥٧.

(٣) سورة المؤمنون: ١ - ٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٢، ص: ١٠٣.

مَا رَمَى؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُؤَهَا فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا^(١). قال ابن كثير في تفسيره: (والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين)^(٢)

٣) صلاة العيدين:

العيدين يوما فرح للمسلمين، يأتي عيد الفطر في أول يوم من شهر شوال بعد تمام عبادة ركن الإسلام السنوي وهو صيام شهر رمضان، ويأتي عيد الأضحى بعد أداء المسلمين ركن الإسلام العمري وهو الحج، ويوم عيد النحر، اليوم العاشر من ذي الحجة أي بعد يوم عرفة، والحج عرفة، اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ الدَّيْلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، وَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الْحَجُّ؟ قَالَ: الْحَجُّ عَرَفَةُ، فَمَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، لَيْلَةَ جَمْعٍ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، أَيَّامٌ مَنَى ثَلَاثَةً، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ، فَلَا إِيَّامَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ، فَلَا إِيَّامَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَرْدَفَ رَجُلًا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ يَنَادِي بِهِنَّ^(٣).

ويوما العيد هما يوما تكبير وتهليل وحمد وشكر لله، يتواصل فيهما المسلمون بالتهنئة والمباركة، على تمام الأعمال الصالحة، ويتبادلون المحبة ويؤكدون الصلة، يلبسون الجديد، ويحضر الصلاة الناس جميعهم، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٤) قَالَتْ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُخْرَجَ فِي الْعِيدَيْنِ الْعَوَاتِقَ وَالْحَيَّضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحَيَّضُ فَإِنَّهُنَّ يَكُنَّ بِقُرْبِ الْمُصَلِّي يَشْهَدْنَ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)^(٥). يسعدون بصلاة العيد، ويجتمعون لأدائها على صفة خاصة بها في هذين اليومين، وبهما سميت صلاة العيدين، وهي: ركعتان بسبع تكبيرات في الركعة الأولى مع تكبيرة الإحرام قبل قراءة الفاتحة وست تكبيرات في الركعة الثانية مع تكبيرة الرفع قبل قراءة الفاتحة على اختلاف في عدد التكبيرات عند الفقهاء، وهي في حكم الجمهور بين فرض كفاية وواجب وسنة مؤكدة، قال ابن قدامة في المغني: (وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ. وَصَلَاةُ الْعِيدِ فَرَضٌ عَلَى الْكُفَايَةِ، فِي ظَاهِرِ الْمَذْهَبِ، إِذَا قَامَ بِهَا مَنْ يَكْفِي سَقَطَتْ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِنْ اتَّفَقَ أَهْلُ بَلَدٍ عَلَى تَرْكِهَا قَاتَلَهُمُ الْإِمَامُ. وَبِهِ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ،

(١) انظر: سنن أبي داود-كتاب الطهارة- باب الوضوء من الدم حديث رقم: ١٩٨ (٧٧/١). وانظر: مسند الإمام أحمد- مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٤٧٠٤ (٥٢/٢٣). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث حسن.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢ ط، ١٤٢٠هـ، ج ٥ ، ص: ٤٦١.

(٣) انظر: سنن ابن ماجه -كتاب المناسك- باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، حديث رقم: ٣٠١٥ (٢١٨/٤). صححه الألباني.

(٤) سبقت ترجمتها. انظر: فهرس الأعلام.

(٥) - انظر: صحيح البخاري - كتاب العيدين - باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد، حديث رقم: ١٦٥٢ (١٦٠/٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة العيدين - باب ذكر إباحتها خروج النساء إلى المصلى وشهود الخطبة مفارقات للرجال، حديث رقم: ٢٠٩١ (٢٠/٣).

وَلَيْسَتْ فَرَضًا، لَأَنَّهَا صَلَاةٌ شَرَعَتْ لَهَا الْخُطْبَةُ، فَكَانَتْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْيَانِ، وَلَيْسَتْ فَرَضًا. كَالْجُمُعَةِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُوسَى: قِيلَ إِنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ غَيْرُ وَاجِبَةٍ. وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ (١) وبعد الركعتين خطبة العيد، ومن يسر الإسلام أن يسر النبي ﷺ على الأمة وأذن في الانصراف بعد الصلاة فيمن رغب ألا يحضر الخطبة، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعِيدَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: إِنَّا نَخْطُبُ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ لِلْخُطْبَةِ فَلْيَجْلِسْ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْهَبَ فَلْيَذْهَبْ». (٢) قال أبو الحسن المباركفوري في مرعاة المفاتيح: (قال المجد بن تيمية: فيه بيان أن الخطبة سنة، إذ لو وجبت وجب الجلوس لها، قال الشوكاني: قد اتفق الموجبون لصلاة العيد وغيرهم على عدم وجوب خطبته، ولا أعرف قائلًا يقول بوجوبها) (٣)

٤) صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة في الفروض ثبتت بنصوص القرآن والسنة، وأقامها النبي ﷺ في المسجد والصحابة والتابعون، ونقلت عنهم النصوص الكثيرة في فضلها على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وورد في بعض النصوص الوعيد والوصف بالنفاق لمن ترك إقامة الصلاة جماعة، واختلف الفقهاء في حكمها، وقد أقامها النبي ﷺ جماعة في وقت الحرب والخوف جماعة مما يبين وجوبها في حال السلم والأمن من باب أولى، قال الله تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) (٤) والصلاة جماعة محبة إلى الله تعالى في كثرتها، عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ فَقَالَ: أَشَاهِدُ فَلَانٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَشَاهِدُ فَلَانٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ جَثَوْا عَلَى الرُّكْبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فِيصَلَّتُهُ لَأَتَيْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ» (٥). وصلاة الجماعة من أبرز شعائر

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص: ٢٢٣.

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصلاة-باب الجلوس للخطبة، حديث رقم: ١١٥٧ (٤٤٩/١). قال أبو داود: وَهَذَا مُرْسَلٌ عَنْ غَطَّاءٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. صححه الألباني.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، الهند: الجامعة السلفية بنارس، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٥، ص: ٧١.

(٤) سورة النساء: ١٠٢.

(٥) انظر: سنن أبي داود-كتاب الصلاة-باب في فضل صلاة الجماعة، حديث رقم: ٥٥٤ (٢١٧/١). حسنه الألباني.

الإسلام التي تقوي الروابط بين المجتمع المسلم وتشيع المحبة بين المسلمين، حيث يتفقد بعضهم أحوال بعض وتبث الأمن النفسي والاجتماعي في حياتهم.

٥) صلاة العصر :

قال الله تعالى: (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) ^(١) واختلف أهل العلم في الصلاة الوسطى، ما هي ؟ الصبح أم الظهر أم العصر أم المغرب أم العشاء الآخرة ؟ كل على تأويل الوسط من الصلوات أو الأوقات، قال البغوي في تفسيره: (وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله ﷺ وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن) ^(٢) وبه قال بعض المفسرين المعاصرين كالشيخ عبد الرحمن السعدي وغيره وعن أبي هريرة ؓ «أن رسول الله ﷺ نَزَلَ بَيْنَ ضُجْنَانَ ^(٣) وَعُسْفَانَ ^(٤)، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّ لَهُوْلَاءَ صَلَاةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَهِيَ الْعَصْرُ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ فَمِيلُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَةً وَاحِدَةً وَأَنَّ جِبْرَائِيلَ أَتَى النَّبِيَّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْسِمَ أَصْحَابَهُ شَطْرَيْنِ فَيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَتَقُومَ طَائِفَةٌ أُخْرَى وَرَاءَهُمْ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي الْآخَرُونَ وَيُصَلُّونَ مَعَهُ رَكْعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ يَأْخُذُ هَوْلَاءَ حِذْرَهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ فَتَكُونُ لَهُمْ رَكْعَةً وَاحِدَةً وَلِرَسُولِ اللَّهِ رَكْعَتَانِ» ^(٥). ومن أسباب محبة صلاة العصر أن النبي ﷺ حث عليها أكثر من غيرها وبين أن من صلاها دخل الجنة، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ^(٦)، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: (أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُصَامُونَ، أَوْ لَا تُصَاهُونَ - فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَالَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) ^(٧)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ

(١) سورة البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) - معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ٢٨٨.

(٣) ضُجْنَان: جبل بناحية ثمامة، وقيل ضُجْنَان جَبَلٌ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ مَكَّةَ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي الْمَغَازِي، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: بَيْنَ ضُجْنَانَ وَمَكَّةَ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ مِيلًا، وَهِيَ لِأَسْلَمَ وَهَذِيلٍ وَغَاضِرَةَ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٥٣/٣).

(٤) عُسْفَانٌ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ ثُمَّ فَاءٌ وَآخِرُهُ نُونٌ فَعْلَانٌ، سَمِيَتْ عُسْفَانٌ لِتَعْسَفِ السَّيْلِ فِيهَا، كَمَا سَمِيَتْ الْأَبْوَاءُ لِتَبَوُّءِ السَّيْلِ بِهَا، وَهِيَ مَنِهَلَةٌ مِنْ مَنَاهِلِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجَحْفَةِ وَمَكَّةَ، وَهِيَ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ وَقِيلَ عُسْفَانُ قَرْيَةٍ جَامِعَةٌ بِهَا مَنِيرٌ وَنَخِيلٌ وَمَزَارِعٌ عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ مِيلًا مِنْ مَكَّةَ، وَغَرَا النَّبِيُّ ﷺ بَنِي حُيَّانَ بِعُسْفَانَ وَقَدْ مَضَى لِهَجْرَتِهِ خَمْسُ سِنِينَ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٢١/٤).

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة النساء، حديث رقم: ٣٠٣٥ (٢٤٣/٥). حسن إسناده الألباني.

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة الفجر، حديث رقم: ٥٧٤ (١١٩/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر واحفظتهما عليهما، حديث رقم: ١٤٧٠ (١١٤/٢).

(٧) انظر: صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة الفجر، حديث رقم: ٥٧٣ (١١٩/١). وانظر صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر واحفظتهما عليهما، حديث رقم: ١٤٦٦ (١١٣/٢).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى احْمَرَّتِ الشَّمْسُ أَوْ اصْفَرَّتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « شَعَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَا لَ اللَّهِ أَجْوَفَهُمْ وَقُبُورُهُمْ نَارًا ». أَوْ قَالَ « حَشَا لِلَّهِ أَجْوَفَهُمْ وَقُبُورُهُمْ نَارًا » (١).

٦ (النافلة ومحبة أدائها في البيت :

عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ حَرَامِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ؓ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَّمَا أَفْضَلُ؟ الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي أَوْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي؟ مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً (٢). ومن النوافل التي وردت بلفظ الحب ما يلي:

أ) صلاة الضحى:

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا) (٣). والسبحة النافلة، والضحى الوقت الذي يلي علو الشمس من المشرق إلى قبيل الزوال وهي التي ينتشر فيها الضياء ويعتدل فيها النهار، أورد البغوي في تفسيره: (وقال قتادة ومقاتل (٤): يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار) (٥) وعُني بالسبحة النافلة، فالتسبيح نافلة في الفريضة، قال ابن حجر: (وسميت الصلاة سبحة لما فيها من تعظيم الله وتزيهه ومنه كان يسبح بعد العشاء أي يتنفل) (٦) وقد ثبتت محبة صلاة الضحى في أحاديث كثيرة صحيحة، وهي عمل محبوب شرعا، ورأى العلماء فعلها في بعض الأيام دون بعض: (قال الطبري: فلو لم يدل على وهم الحديث عن عائشة، أن النبي لم يسبح سبحة الضحى، إلا هذه الأخبار المدونة عنها أنه صلاها، فكيف وفي خبر عبد الله بن شقيق عنها أنه كان يصلها عند قدومه من مغيبه؟ قال غيره: وقد يمكن الجمع بين أحاديث عائشة وغيرها، فيحمل قولها: ما رأيت رسول الله يسبح

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، حديث رقم: ١٤٥٨ (١١٢/٢).

(٢) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب إقام الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في التطوع في البيت، حديث رقم: ١٣٧٨ (٣٩١/٢). صححه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب التهجد- باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، حديث رقم: ١١٢٨ (٥٠/٢). وانظر صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، حديث رقم: ١٦٩٥ (١٥٦/٢).

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٨، ص: ٤٥٤.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ١٢٩.

سبحة الضحى، يعنى مواظباً عليها ومعلناً بها، لأنه يجوز أن يصلّيها بحيث لا تراه، وقد روى عن عائشة أنها كانت تغلق على نفسها بابها ثم تصلي الضحى. وقال مسروق: كنا نقرأ في المسجد فبقى بعد قيام ابن مسعود، ثم نقوم فنصلي الضحى، فبلغ ابن مسعود ذلك، فقال: لم تحملوا عباد الله ما لم يحملهم الله؟ إن كنتم لابد فاعلين ففي بيوتكم. وكان أبو مجلز^(١) يصلي الضحى في منزله. وكان مذهب السلف الاستتار بها وترك إظهارها للعامة، لئلا يرونها واجبة. وفي قولها: « وإني لأسبحها » دليل أنها صلاة مندوب إليها مرغّب فيها^(٢) وعن سعيد بن جبیر: (إني لأدعها وأنا أحبها مخافة أن أراها حتما علي)^(٣) وجمع ابن القيم في كتابه زاد المعاد ستة أقوال في حكمها ورجح عدم المداومة عليها بل العمل بها أياما وتركها في آخر، قال: (وَمَنْ تَأَمَّلَ الْأَحَادِيثَ الْمَرْفُوعَةَ وَآثَارَ الصَّحَابَةِ وَجَدَهَا لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَأَمَّا أَحَادِيثُ التَّرْغِيبِ فِيهَا وَالْوَصِيَّةُ بِهَا فَالصَّحِيحُ مِنْهَا كَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ رَاتِبَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَوْصَى أَبُو هُرَيْرَةَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَخْتَارُ دَرَسَ الْحَدِيثِ بِاللَّيْلِ عَلَى الصَّلَاةِ فَأَمَرَهُ بِالضَّحَى بَدَلًا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَلِهَذَا أَمَرَهُ أَلَّا يَنَامَ حَتَّى يُوتِرَ وَلَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ. وَعَامَّةُ أَحَادِيثِ الْبَابِ فِي أَسَانِيدِهَا مَقَالٌ وَبَعْضُهَا مُنْقَطِعٌ وَبَعْضُهَا مَوْضُوعٌ لَا يَحِلُّ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ كَحَدِيثِ يُرْوَى عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا مِنْ دَاوَمَ عَلَى صَلَاةِ الضَّحَى وَلَمْ يَقْطَعْهَا إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي زَوْرَقٍ مِنْ نُورٍ فِي بَحْرِ مِنْ نُورٍ)^(٤) واختلفت الروايات أيضا في عدد ركعاتها من ركعتين وأربع - وهو ما عليه الأكثرون - وست وثمان وعشر واثنى عشرة وقيل ليست محصورة بعدد. والمنقول عن جمهور العلماء استحباب الضحى، وإنما نقل التوقف فيها عن ابن مسعود وابن عمر كما ذكره النووي في المنهاج^(٥)، وأوردنا قوله في ذلك عند نوافل الصلاة ومنها سبحة الضحى، وورد في عند مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»^(٦).

(١) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلان البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٥، ص: ١٨٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ٣، ص: ٥٥.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص: ٣٥٧.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٥، ص: ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٦) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، حديث رقم: ١٧٠٤ (١٥٨/٢).

ب) ركعتا الفجر النافلة:

سنة صلاة الفجر ركعتان قبلية، وهما من النوافل المحبة لحرص النبي ﷺ عليها وكان يؤديهما خفيفة، ويقرأ فيهما بعد الفاتحة بقل هو الله أحد في الأولى وقل يا أيها الكافرون في الثانية - السورتين - وجعل النبي ﷺ أدائها خير من متاع الدنيا لما فيها من الأجر العظيم، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ، فِي شَأْنِ الرَّكَعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»^(١). وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مُعَاهَدَةً مِنْهُ عَلَى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ)^(٢) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (قولها لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح فيه دليل على عظم فضلها وأنها سنة ليست واجبتين وبه قال جمهور العلماء وحكى القاضي عياض عن الحسن البصري رحمهما الله تعالى وجوبهما والصواب عدم الوجوب لقولها على شيء من النوافل)^(٣)

ج) السنن الرواتب:

السنن الرواتب هي ما ورد عن النبي ﷺ من صلاة نافلة قبل الصلوات المفروضة أو بعدها في اليوم واللييلة، وهي من الفضائل وقد بشر النبي ﷺ من ثابر عليها ببيت في الجنة، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (من ثابر على اثنتي عشرة ركعة بنى الله عز وجل له بيتا في الجنة أربعاً قبل الظهر وركعتين بعد الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر)^(٤) وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ السُّلُولِيِّ^(٥)، قَالَ: سَأَلْنَا عَلِيًّا عَنْ تَطَوُّعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تُطِيقُوهُ، فَقُلْنَا: أَخْبِرْنَا بِهِ نَأْخُذَ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْنَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ يُمَهِّلُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مِقْدَارَهَا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ هَاهُنَا، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مِقْدَارَهَا مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ هَاهُنَا، قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالتَّيَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. قَالَ عَلِيٌّ: فَنِلْكَ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب ركعتي الفجر والحث عليهما وتخفيفها والحفاظة عليهما وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، حديث رقم: ١٧٢٢ (٢/١٦٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست حديث رقم: ١٧١٩ (٢/١٦٠).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٦، ص: ٤ - ٥.

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب ثواب من صلى في اليوم واللييلة اثني عشرة ركعة سوى المكتوبة، حديث رقم: ١٧٩٣ (٣/٢٨٩).

(٥) عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي، عن علي، وعنه حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة، وثقه ابن المديني وابن معين، وتكلم فيه غيرهما، قال خليفة: مات سنة أربع وسبعين ومائة. انظر: خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال لصفي الدين الخرجي (١/١٨٢).

سِتَّ عَشْرَةَ رَكْعَةً، تَطَوُّعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ، وَقَلَّ مَنْ يُدَاوِمُ عَلَيْهَا. قَالَ وَكِيعٌ: زَادَ فِيهِ أَبِي: فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِحَدِيثِكَ هَذَا مِلَّةٌ مَسْجِدُكَ هَذَا ذَهَبًا.^(١) هذا التعبير القوي الذي يوضح مدى الحرص على العلم وعلى اتباع سنة النبي ﷺ يجعل المسلم فرحاً برجال الأمة الأخيار ويفرح بهذا الفضل العظيم، وبمعرفة السنن التي يهتدي بها إلى صراط الله المستقيم الذي عليه الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

د) صفة قيام الليل والوتر:

قيام الليل بالصلاة والذكر والدعاء من الأعمال المحبة إلى الله، وقد أثنى الله على عباده المتقين الحسنيين - الذين يحبهم - بقيام الليل والاستغفار، وقد بوب الإمام البخاري، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه. ويصوم يوماً ويفطر يوماً قال عليُّ: وهو قول عائشة: «ما ألفاهُ السحرُ عندي إلا نائماً»^(٢). السحر آخر الليل، أورد القرطبي في تفسيره: (وقال الزجاج: السحر من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني، وقال ابن زيد: السحر هو سدس الليل الآخر. قلت: أصح من هذا ما روى الأئمة عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: " يترل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفري فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر " في رواية " حتى ينفجر الصبح " لفظ مسلم)^(٣) ومن هذا التقسيم الوارد في حديث عائشة رضي الله عنها، أن داود عليه السلام يُسَدِّسُ الليل ستة أسداس، ينام أوله ثلاثة أسداس، ومن ثم يقوم الليل بسدسين، ومن ثم ينام سدسه الأخير، وقد قام من الليل نبينا ﷺ حتى تفتطرت قدماه، شكر الله، وهو في خصوصية من ذلك، وقد أمر أمته من الأعمال ما تطيق، وبين أن المداومة على العمل الصالح محبة إلى الله، وإن قل العمل، عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي، وَيَسْطُهِ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَوَبُّونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تَطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»^(٤). وفي رواية، عن مسروق «قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحبَّ إلى النبي ﷺ؟

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء فيما يستحب من التطوع بالنهار، حديث رقم: ١١٦١ (٢/٢٤٠). وانظر مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم - مسند علي بن أبي طالب ؓ حديث رقم: ١٢٠٩ (٢/٣٨٦). حسنه الألباني.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب من نام عند السحر، حديث رقم: ١١٣٣ (٢/٥١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٣٨ - ٣٩.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، حديث رقم: ٥٨٦١ (٧/١٥٥).

قالت الدائم. قال: قلتُ: في أيِّ حين كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ»^(١). والصارخ: أي صياح الديك، قال ابن حجر: (وقوله الصارخ أي الديك ووقع في مسند الطيالسي في هذا الحديث الصارخ الديك والصرخة الصيحة الشديدة وجرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل غالباً قاله محمد بن ناصر قال ابن التين وهو موافق لقول بن عباس نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل وقال ابن بطلال: الصارخ يصرخ عند ثلث الليل وكان داود يتحرى الوقت الذي ينادي الله فيه هل من سائل كذا قال والمراد بالدوام قيامه كل ليلة في ذلك الوقت لا الدوام المطلق)^(٢) وقد فصل ابن حجر يرحمه الله، أيضاً، المقال في وتر رسول الله في شرحه لصحيح البخاري وحصر أحاديث عدد الركعات في قيام رسول الله ﷺ الليل بقوله: ((قوله باب كيف صلاة الليل وكم كان النبي ﷺ يصلي بالليل))^(٣) أورد فيه أربعة أحاديث:

أولها: حديث ابن عمر، صلاة الليل مثنى مثنى.. الحديث، وقد تقدم الكلام عليه في أول أبواب الوتر وأنه الأفضل في حق الأمة لكونه أجاب به السائل وأنه ﷺ صح عنه فعل الفصل والوصل.

ثانيها: حديث أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما، كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة، يعني بالليل. وأخرجه مسلم والترمذي بلفظ: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في أول أبواب الوتر أيضاً، وتقدم أيضاً بيان الجمع بين مختلف الروايات في ذلك.

ثالثها: حديث عائشة من رواية مسروق^(٤)، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر.

رابعها: حديثها من طريق القاسم^(٥) عنها كان يصلي من الليل ثلاث عشرة منها الوتر وركعتا الفجر، وفي رواية مسلم من هذا الوجه كانت صلاته عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة، فأما ما أجابت به مسروقا فمرادها أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الرقاق- باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٦٤٦١ (٨/٩٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٣، ص: ١٧.

(٣) المرجع السابق: ج ٣، ص: ٢٠.

(٤) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو محمد، ويقال أبو عبد الرحمن المدني الضرير، أخرج له البخاري في الغسل وغيره عن الزهري ونافع وابن أبي مليكة ويحيى بن سعيد وربيعه وابنه عبد الرحمن وغيرهم عنه، عن عمته عائشة وابن عمر وعبد الرحمن ومجمع ابني يزيد بن حارثة وعبد الله بن حباب وحظلة بن أبي سفيان، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ومن أئمة الحديث والفقهاء، قال البخاري، توفي القاسم بن محمد في ولاية يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز سنة إحدى أو اثنتين ومائة، وعن مالك قال: كان القاسم رجلاً عاملاً، وعن يحيى بن سعيد قال: ما أدركننا بالمدينة آخر نفضله على القاسم بن محمد. انظر التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (١١٩٨/٣).

تسعا وتارة إحدى عشرة وأما حديث القاسم عنها فمحمول على أن ذلك كان غالب حاله (والوتر من صلاة الليل، وقد ثبتت محبة الله تعالى للوتر، لأنه هو الله الواحد الأحد الصمد الذي لا شريك له، والوتر هو الفرد وفيه دلالة الوجدانية، وهو مقابل للزوج الذي فيه دلالة الشراكة، ومن محبة الصحابة وتعظيمهم للتوحيد كان منهم من يلزم نفسه بقراءة سورة الإخلاص في كل ركعة من صلاته، لما فيها من تعظيم التوحيد وصفة الرحمن، عن عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ - «عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقر بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبها»^(١). وإثبات النبي ﷺ محبة الله لهذا الصحابي هي إقرار لفعله في خصوصه، و ثبت أيضاً من سنته ﷺ أنه يقرأ بها في وتره، والله وتر، يجب الوتر، عن أبي هريرة رواية قال: لله تسعة وتسعون اسماً - مائة إلا واحداً - لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(٢). وكان ختام صلاة الليل كما ثبت من السنة أن تكون وتراً، عن سعد بن هشام^(٣)، أنه لقي ابن عباس رضي الله عنهما فسأله عن الوتر فقال: «ألا أنبتك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: عائشة. انتهت فسألها ثم أرجع إلي فأخبرني بردها عليك، فأنتيت على حكيم بن أفلح^(٤) فاستلحقته إليها فقال ما أنا بقاربها، إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً فأقسمت عليه، فجاء معي فدخل عليها فقالت لحكيم: من هذا معك؟ قلت: سعد بن هشام قالت: من هشام؟ قلت: ابن عامر فترحمت عليه وقالت: نعم المرأة كان عامراً، قال: يا أم المؤمنين أنبيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: أليس تقرأ القرآن؟ قال: قلت بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ القرآن فهممت أن أقوم فبدأ لي قيام رسول الله ﷺ فقال: يا أم المؤمنين أنبيني عن قيام نبي الله ﷺ؟ قالت: أليس تقرأ هذه السورة، {يا أيها المزمل}؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله عز وجل خاتمها اثني عشر شهراً ثم أنزل الله عز وجل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد أن كان فريضة فهممت أن

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم: ٧٣٧٥ (١١٥/٩). وانظر صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة (قل هو الله أحد)، حديث رقم: ١٩٢٦ (٢٠٠/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الدعوات- باب الله مائة اسم غير واحد، حديث رقم: ٦٤١٠ (٨٧/٨).

(٣) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري، ابن عم أنس بن مالك، سمع عائشة، روى عنه ذرارة بن أبي أوفى في تفسير (عيس) قتل بأرض مكران على أحسن حال. انظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (٣٠٤/١).

(٤) حكيم بن أفلح الحجازي المدني، روى عن أبي مسعود الأنصاري وعائشة أم المؤمنين، وروى عنه جعفر بن عبد الله الأنصاري والد عبد الحميد، انظر تهذيب الكمال للمزي ٧٤٢ (٧/١٦١).

أَقُومَ قَبْدًا لِي وَتَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَنِ وَتَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: كُنَّا نُعَدُّ لَهُ سَوَاكُهُ وَطَهُورَهُ فَيُعْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي ثَمَانِي رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ يَجْلِسُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدْعُو ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَةً فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ فَلَمَّا أَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ اللَّحْمَ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا سَلَّمَ فَتِلْكَ تِسْعَ رَكَعَاتٍ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يَدُومَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً وَلَا أَعْلَمُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَلَا قَامَ لَيْلَةً كَامِلَةً حَتَّى الصَّبَاحَ وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ. فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِهَا فَقَالَ: صَدَقْتَ أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَذْخُلُ عَلَيْهَا لِأَتَيْتُهَا حَتَّى تُشَافِهَنِي مُشَافَهَةً»^(١).

ثالثا: مرحلة الفراغ من الصلاة: وتشمل الاشتغال بالذكر والدعاء:

الصلاة في اللغة تعني الدعاء، أورده ابن فارس في معجمه وغيره عند التأصيل اللغوي في أصل الصاد واللام والحرف المعتل (صلي)^(٢)، والدعاء مخ العبادة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ)^(٣) وقيام المسلم بشعائر الإسلام تعبداً لله؛ فهو في واقع حاله ومقاله، يذكر الله ويسبحه ويقدمه ويعظمه ويدعوه طالبا الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار، والمسلم يكون في صلاة حين استعداده وانتظاره للصلاة وحين قيامه بها قياما وركوعا وسجودا وحين يذكر الله بعدها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَلَاةٌ أَحَدَكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَيَتَبِعُ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بَأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَا يَنْهَرُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ وَقَالَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ^(٤). وهذا الفضل العظيم المبارك، يحب المسلم في هذه الشعيرة العظيمة، ومن سنن الهدى أن يستغفر المصلي ربه ويسبحه ويحمده ويكبره، ويهمل ويدعوه دبر الصلاة، وأن يحافظ على أذكار الصباح

(١) انظر: سنن النسائي-كتاب قيام الليل وتطوع النهار-باب قيام الليل، حديث رقم: ١٦٠٠ (٢٢١/٣). صحيحه الألباني.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣. ص: ٣٠٠.

(٣) انظر: الترمذي-كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٣٧١ (٥٦/٥). ضعفه الألباني. أما ما رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة: (قال ربكم ادعوني آستجب لكم)".

(قال: إسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٨٨٧)، والحاكم والذهبي). وأخرجه أصحاب السنن.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم: ٢١١٩ (٦٦/٣).

والمساء في مسجده و مصلاه، ورد عند مسلم في صحيحه، باب فضل الجلوس في مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَفَضْلُ الْمَسَاجِدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا^(١). وحسنا هنا: أي تطلع الشمس حسناء^(٢)، أي: واضحة، ومن الأذكار والأدعية التي جاءت بلفظ الحب في شؤون الصلاة والدعاء وفق نصوص الكتاب والسنة ما يلي:

(١) الذكر مع الأذان:

عند مسلم في صحيحه، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا. غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ ». قَالَ ابْنُ رُمَحٍ فِي رِوَايَتِهِ « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ وَأَنَا أَشْهَدُ ». وَلَمْ يَذْكُرْ قُتَيْبَةُ قَوْلَهُ وَأَنَا^(٣). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله: « من قال: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، قال: ففرحت بذلك وسررت به »^(٤). ولقد فرح أبوسعيد الخدري رضي الله عنه وسر محبة في هذا الفضل الموصل للجنة، ولعظيم هذا الذكر لزمه بعض الصحابة في مواقف الشدة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله (خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فقام على المنبر، فذكر الساعة؛ فذكر أن فيها أموراً عظيماً، ثم قال: " من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل، فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي " فأكثر الناس في البكاء، وأكثر أن يقول: " سلوا "، فقام عبد الله بن حذافة السهمي، فقال: من أبي ؟ قال: " أبوك حذافة "، ثم أكثر أن يقول: " سلوني " فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً. فسكت. ثم قال: " عرضت علي الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط، فلم أر كالحير والشر "^(٥).

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، حديث رقم: ١٥٥٨ (١٣٢/٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ٢٠٢٢هـ، ج ٤، ص: ٥٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الصلاة-باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة، حديث رقم: ٨٧٧ (٤/٢).

(٤) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - باب من قال حين يصبح وحين يمسي رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا...، حديث رقم: ٩٧٤٧ (٦/٩). و انظر: سنن أبي داود- كتاب الوتر- باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥٣١ (١/٥٦٢). قال الألباني: (إسناده صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي).

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب وقت الظهر عند الظهر، حديث رقم: ٥٤٠ (١١٣/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الفضائل-باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف ومالا يقع ونحو ذلك، حديث رقم: ٦٢٧٠ (٩٣/٧).

٢) أذكار الصباح والمساء:

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قال لأبيه: (أيا أبة) إني أسمعك تدعو كل غداة، اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت ثلاثاً، حين - يعني (تصبح) - وثلاثاً حين (تمسي). وتقول: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر تعيدها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين - يعني تُمسي - قال: نعم يا بني، إني سمعت رسول الله يدعو بهنّ، فأنا أحب أن أستنّ بسنته. قال عباسٌ رضي الله عنهما^(١) فيه: وتقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلَاثًا حِينَ تُمَسِّي فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأَحَبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ». قال وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَعَوَاتِ الْمَكْرُوبِ. اللَّهُمَّ رَحِمَتِكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ.^(٢)

٣) فضل التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ. فَقَالَ «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٤).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَادَهُ وَأَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَأْيَ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ»^(٥).

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: " إِنْ الَّذِي تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَتَحْمِيدِهِ، وَقَلِيلِهِ تَتَعَطَفُ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهْنٌ دَوِي، كَدَوِي النَحْلِ، يَذْكُرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ

(١) عباس بن عبد العظيم بن إسماعيل العنبري، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم: ٥٠٩٢ (٤/٤٨٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين - حديث أبي بكرة، حديث رقم: ٢٠٤٣٠ (٧٥/٣٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء حديث، رقم: ٧٠٢٢ (٨/٧٠).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل سبحان الله وبحمده، حديث رقم: ٧١٠٢ (٨/٨٦).

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات - باب أي الكلام أحب إلى الله، حديث رقم: ٣٥٩٣ (٥/٥٧٦). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار - حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٢١٥٢٩ (٤٢١/٣٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

له عند الله شيء يذكر به ؟" (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً» (٢).

٤) الأدعية الجامعة والفاضلة:

من فقه المسلم أن يختار من الأدعية المأثور منها، وأن يجعل دعاءه جامعاً، وألا يعتدي في دعائه وطلبه، فقد ثبت عدم جواز الاعتداء في الدعاء، عن مولى لسعد: « أن سعداً رضي الله عنه سمع ابناً له يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحواً من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، فقال: لقد سألت الله خيراً كثيراً، وتعوذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ هذه الآية (ادْعُوا رَبَّكُمْ خَوْفًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) وإن حسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل» (٣). والسنة في الدعاء أن يحمد الداعي الله ويثني عليه بما هو أهله ويصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما يحب ويرجو، ومن ذلك أن يسأل الله محبته، وما يقرب إلى حبه، و الجنة، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نترأى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجاوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا: على مصافكم كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، أي قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي فاستثقلت فإذا أنا بري تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال فيم يختصم المלא الأعلى؟ قلت: لا أدري رب، قالها ثلاثاً، قال: فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال فيم يختصم المלא الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات، قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات

(١) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب الأدب- باب فضل التسييح، حديث رقم: ٣٨٠٩ (٥/٥٦٣). صححه الألباني. انظر: مسند أحمد- مسند الكوفيين - حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، حديث رقم: ١٨٣٨٨ (٣٠/٣٣٧) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) انظر: سنن أبي داود-كتاب العلم- باب في القصص، حديث رقم: ٣٦٦٩ (٣/٣٦٣). حسنه الألباني.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٥٨٤ (٣/١٤٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حسن لغيره.

وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمي، وإذا أردت فتنة قوم، فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حق فادرسوها ثم تعلموها (١). ومن جوامع الدعاء أن يسأل الداعي العافية، وهي من أحب المسائل، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله «ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية» (٢).

٥) الدعاء بأسماء الله الحسنى:

إن من لوازم الفقه في الدين، السعي بإخلاص في طلب العلم، وخاصة العلم الذي يعرف به المسلم، كيف يتقرب إلى الله ويعبده، ومن ذلك العلم بمعاني الدعاء، ومن يدعو، والطرق الشرعية في الدعاء، ودعاء الله بأسمائه الحسنى (٣)، قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٤) وعن أبي موسى الأشعري، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرْفًا وَلَا نَهْطُ وَاذِيًا، إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا، وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (٥).

الركن الثالث: الزكاة

الزكاة في اللغة: النمو والزيادة، وأصلها من (زكي) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((زكي)) الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم: سُميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سُميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (٦) والأصل في ذلك كله راجع إلى

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ -باب ومن سورة ص، حديث رقم: ٣٢٣٥ (٣٦٨/٥). صححه الألباني.

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٥١٥ (٥٣٥/٥). ضعفه الألباني. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) انظر: توحيد الأسماء والصفات في الباب الأول- الفصل الثالث- المطلب الأول.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث أبي موسى الأشعري، حديث رقم: ١٩٥٩٩ (٣٧٤/٣٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) سورة التوبة: ١٠٣.

هذين المعنيين، وهما التَّماء والطهارة^(١) ولذا سمي المال المخرج في الإنفاق الشرعي منه زكاة؛ لأن المنفق أراد أن يزيد ماله ويطهر وبقية من الآفات.

والزكاة شرعا: حق يجب في المال، قال الزركشي في تعريفها: (وفي عرف الشرع اسم لإخراج شيء مخصوص، من مال مخصوص، على وجه مخصوص)^(٢) والشيء المخصوص هو مقدار الزكاة من المال ويختلف باختلاف الأموال التي تجب فيها الزكاة كالنقدين - الذهب والفضة - وبهيمة الأنعام والزرع والثمار، وعروض التجارة وغيرها، والوجه المخصوص قد حدده أهل الفقه في ثمانية أصناف من قول الله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيَّهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)^(٣) فقد فرض الله تعالى الزكاة، وثبتت فرضيتها بنصوص الكتاب والسنة، وقرن الأمر بأداء الزكاة وإقام الصلاة في القرآن الكريم في مواضع عديدة، قال الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(٤)، وقد أمر الشارع في الزكاة أن يؤخذ من وسط المال، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً {تُؤْخَذُ} مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ^(٥). قال النووي في شرح صحيح مسلم: (وفيه بيان عظم تحريم الظلم وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوى الله تعالى ويبالغ في نهيمهم عن الظلم ويعرفهم قبح عاقبته وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة بل يأخذ الوسط ويحرم على رب المال إخراج شر المال)^(٦) وكرائم المال أفضله وأحسنه، ولكن إذا أراد صاحب المال أن يدفع الزكاة من كرائم ماله طوعا واحتسابا للأجر فلا

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣، ص: ١٧.

(٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٣٤٦.

(٣) سورة التوبة: ٦٠.

(٤) سورة البقرة: ١١٠.

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم: ٧٣٧٢ (٩/١١٤). وانظر صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث رقم: ١٣٢ (١/٣٨).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١، ص: ١٩٧.

يرد^(١)، وكذلك الصدقة العامة فقد حث الشارع على الإنفاق من المال الطيب المحب لصاحبه، قال الله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)^(٢) ولما نزلت هذه الآية بادر الصحابة الكرام رضوان الله عليه بالإنفاق مما يحبون من أموالهم، بل من أحبها، ومنهم أبو طلحة وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب، فعند مسلم في صحيحه، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَصَبْتُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ: أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصَبْ مَالًا أَحَبَّ إِلَيَّ وَلَا أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهَا، وَسَأَقُ الْحَدِيثَ بِمَثَلِ رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ، وَالْحَدِيثُ هُوَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْرٍ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمُرُهُ فِيهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ لَمْ أُصَبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ « إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا » . قَالَ فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يَبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُبْتَاعُ وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ . قَالَ فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَيَّ مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ)^(٣).

وقال الله تعالى: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)^(٤) إن محبة المال فطرية في نفس الإنسان، حيث جبل على حب التملك، وبذلك جاءت أوامر الشريعة مقررة ومبينة للصواب في حال الإنسان مع المال حبا وإمساكا، ونفقة وكرما، وصدقة وزكاة وكسبا وعطاء، قال الله تعالى: (فَقَاتِلْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ﴿١٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ)^(٥) حين يصرف المرء المال يعد في حال إنفاق، ولكن الغاية هي المعول عليه في القبول والأجر، وهنا في هذه الآيات الكريمة، فرق الشارع بين الربا والزكاة في الغاية، فإن المنفق ليزداد ماله بما ينفق من صدقات أو هبات يرجو أكثر منها، ومن ينفق ماله مخلصا لله يريد الثواب والأجر فهؤلاء المخلصون سوف يضاعف لهم أجر ما أنفقوا ويزاد في مالهم بركة وخيرا بما أخلصوا ويحظوا بالنعيم، قال القرطبي في تفسيره: (وفي معنى المضعفين قولان: أحدهما: أنه تضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا. والآخر: أنهم قد أضعف لهم الخير والنعيم)^(٦) والمال في حكم الإسلام يكون على وجهين:

(١) فقد قيل النبي ﷺ من صاحب الإبل فوق استحقاق نصابه، حين نفذها تطوعا ورغبة في الأجر.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الشروط - باب الشروط في الوقف، حديث رقم: ٢٧٧٢ (٤/١٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الوصية - باب الوقف، حديث رقم: ٤٣١١ (٥/٧٣).

(٤) سورة الفجر: ٢٠.

(٥) سورة الروم: ٣٨ - ٣٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٤، ص: ٣٩.

الوجه الأول: مجالات الكسب

المال مال الله، هو الذي سخر الأرض بما فيها، لتعمر بعبادته إلى أجل مسمى، وأعطى الإنسان جميع المقدرات التي يعيش بها في تحقيق هذه الغاية، ومن ذلك الأموال في شتى صورها من الممتلكات، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيرهم الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياها فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب و التجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: {وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} فالسعي في السبب لا ينافي التوكل)^(٢) وأوجه الكسب في الإسلام قامت على أصليين: حب الفرد للمال وحقه في التملك، وحب الآخرين للمال وحقهم في التملك، وجعلت الموازنة بين هذين الأصلين مقياساً في جلب النفع و دفع الضرر للفرد والمجتمع؛ فقد حرم الإسلام كل أوجه الكسب التي ينبثق منها الظلم كالربا والسرقة أو ينتج عنها الفساد كالبيع المحرم، لأن الظلم والفساد من الأعمال المنافية للمحبة بين البشر، وموصلة للكفر والإثم الذي لا يستحق بهما المرء محبة الله، قال الله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْبِرَّ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)^(٣) وجعل الشارع البيان والاختيار أصل في البيع؛ لأن بهما تصلح العلاقات بين المتبايعين وتفشو المحبة، ويأخذ كل ذي حق حقه، عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَنْفَرَقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُرُوكَ لِهَمَّا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحَقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)^(٤). ونهى عن الغش الذي يطفئ المحبة وتنتشر به العداوة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »^(٥). فالتجارة المباحة من البيوع مجال من مجالات الكسب المقررة في الإسلام إضافة إلى الموارث والهبات والهدايا وغيرها بضوابطها الشرعية.

(١) سورة الملك: ١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ١٧٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب إذ بين البيعان ولم يكتما ونصحا، حديث رقم: ٢٠٧٩ (٥٨/٣).

(٥) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، حديث رقم: ٢٩٤ (٦٩/١).

الوجه الثاني: مجالات الإنفاق

إن إنفاق المال في الإسلام يكون في النفقات الخاصة كنفقة المرء على نفسه ومن يعول، أو النفقات العامة في خصوص ولاية الأمر لتأمين سبيل الحياة كإصلاح الطرق وما جرى مجراه ويكون في الصدقات الواجبة كالزكاة وزكاة الفطر، أو الصدقات العامة المندوب إليها ككفالة الأيتام وإطعام المساكين، وبناء المساجد وغيرها، ومحبة المرء للمال و محبته لرضوان الله واللجنة والنعيم، تؤثر تأثيرا كبيرا في لزومه أوجه الحلال في الكسب والإنفاق، ومن أعظم ما يتعبد به المرء لله تعالى القيام بأركان الإسلام ومنها الإنفاق من ماله في الزكاة المفروضة، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

الركن الرابع: صوم رمضان

الصوم في اللغة من (صَوَمَ) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((صوم) الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان. من ذلك صَوْم الصَّائِم، هو إمساكُه عن مَطْعَمه ومَشْرَبه وسائر ما مُنِعَهُ)^(١) وعرفه العلماء لغة بقولهم: (الصيام لغة: مجرد الإمساك يقال للساكت: صائم لإمساكه عن الكلام ومنه: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}^(٢)).

وفي الشرع: الصيام: إمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص،

قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)^(٣) قال بدر الدين العيني: (وكانت فرضية رمضان في السنة الثانية من الهجرة قبل وقعة بدر، وقد قيل: إنه فرض في شعبان منها)^(٤) وقال الفقهاء^(٥) فصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات إجماعا. فإن هذه الفريضة هي الركن الرابع من أركان الإسلام، وتظهر فيها آثار المحبة عن غيرها من العبادات، كونها عبادة نفسية بدنية، يمنع الإنسان نفسه عن الموانع المحبة إليه من الطعام والشراب والجماع وما في معناها، بنفسه وبدنه، حيث يتجلى الإخلاص فيها، وتظهر الطاعة

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٣، ص: ٣٢٣.

(٢) سورة مريم: ٢٦.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى المعروف ببدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج ٢، ص: ٤٥٠.

(٥) الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١٥٧.

المخلصة من العبد لربه؛ فيحتلي بنفسه ولا يراه إلا الله، ولا يقدم على طعام ولا شراب وإن كان بين يديه، طاعة لله وإخلاصاً، ويكف نفسه من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس عن جميع المفطرات الشرعية، عبادة وقربة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الصَّيَّامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرُفُثُ، وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ أَمَرُوا قَاتِلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصَّيَّامِ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ^(١)). ولهذا الحديث ومثله، أحب الصائمون الصيام، لما فيه من الفضل والإحسان والأجر والثواب، فاجتهدوا في الصيام والقيام في شهر رمضان احتساباً، لما وعدوهم رب العزة والجلال، من مغفرة ما قدموا من الذنوب ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ^(٢)). وعظم عباد الله الصالحون ليلة القدر، وسألوا عن وقتها، عن زُرٍّ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ فَإِنَّ صَاحِبَنَا ^(٣) سَأَلَ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ يَقُمِ الْحَوْلَ يُصِيبَهَا، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ زَادَ مُسَدَّدٌ: وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يَتَّكِلُوا أَوْ أَحَبَّ أَنْ لَا يَتَّكِلُوا، ثُمَّ اتَّفَقَا: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ لَا يَسْتَنِي. قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَى عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِالْآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ». قُلْتُ لَزُرٍّ: مَا الْآيَةُ؟ قَالَ: «تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِثْلَ الطَّسْتِ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ حَتَّى تَرْتَفِعَ» ^(٤)). والثبت في وقت ليلة القدر، ما قرره علماء الشريعة بجمع الأدلة الواردة في هذه المسألة والجمع بينها، قال ابن حجر في الفتح: (قوله باب تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره لا في ليلة منه بعينها وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها وقد ورد ليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي، منها في صحيح مسلم عن أبي بن كعب: أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها، وفي رواية لأحمد من حديثه مثل الطست ^(٥)). ومن قول ابن حجر وغيره من العلماء أن ليلة القدر بشوت الأدلة المتنوعة في تحديد ليلتها، أنها تنتقل بين الليال الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٩٤ (٢٤/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضل ليلة القدر - باب فضل ليلة القدر، حديث رقم: ١٩٠١ (٢٦/٣). انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث رقم: ١٨١٧ (١٧٧/٢).

(٣) أي: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب شهر رمضان - باب في ليلة القدر، حديث رقم: ١٣٨٠ (٥٢٢/١). حسنه الألباني.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

ولأفضلية الصيام في العبادة من غير الفريضة - صيام رمضان - ثبت في السنة النبوية من صيام التطوع كثير من النوافل، كصيام يومي الاثنين والخميس من أيام الأسبوع، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وصيام يوم عاشوراء من شهر الله المحرم، وأيام منه، وأيام من شهر شعبان، وستة أيام من شهر شوال، وأحب وأفضل صيام التطوع صيام داود عليه السلام وهو صيام يوم وإفطار يوم، والصيام المطلق تعبداً لله في أي يوم من العام دون تخصيص ما لم يوافق نهي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ، عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً) ^(١) وإن نوى الصائم بصومه مخالفة اليهود والنصارى في أيام أعيادهم فله دليله الشرعي من السنة عملاً وقولاً، عن ابن عباس، بعث إلى أم سلمة وإلى عائشة يسألهما ما كان رسول الله يحب أن يصوم من الأيام؟ فقالتا: ما مات رسول الله حتى كان أكثر صومه يوم السبت والأحد ويقول: هما عيدان لأهل الكتاب فنحن نحب أن نخالفهم ^(٢). والصيام عبادة نفسية بدنية يرهق فيها البدن، بترك مصادر قوته من الأكل والشرب، ويعد علاجاً لشهوة النفس وكبح جماحها، وتربية لها بالإحساس لما عليه الفقراء والمساكين من الجوع، فتبذل الطعام والشراب في سبيل الله، وعلى المسلم أن يأخذ من نوافل هذه العبادة طاقته، ولا يكلفها عناء وجهداً، فقد أذن الشارع بالفطر في السفر ولمن وقع عليه مرض في صوم الفريضة، فصيام التطوع من باب أولى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ يَقُولُ: لَا قُومَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا صُومَ مِنَ النَّهَارِ مَا عَشْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَتَمْ وَقُمْ وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ. قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ. فَقُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَصُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ. قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو لَأَنَّ أَكُونَ قَبْلَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامِ النَّبِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي» ^(٣). وصيام التطوع هو بمثابة الصدقة المستحبة من المال، له من الأحكام الخاصة، ما ليس للفريضة، والمسلم إن شاء أتم صيامه أو أفطر، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل علي رسول الله يوماً فقال: «هل عندكم شيء؟» فقلت: لا قال: فإني صائم ثم مر بي بعد ذلك اليوم وقد أهدي لنا حيس فخبأت له منه. وكان يحب الحيس. قلت يا

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب فضل الصوم في سبيل الله، حديث رقم: ٢٨٤٠ (٢٦/٤). انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، حديث رقم: ٢٧٦٩ (٢٨٠/٣).

(٢) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الصيام - باب صيام يوم الأحد، حديث رقم: ٢٧٨٨ (٢١٤/٣). قال شعيب الأرنؤوط على صحيح ابن حبان: إسناده حسن.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، حديث رقم: ٢٧٨٦ (١٦٢/٣).

رسول الله: إنه أهدي لنا حيس فخبأت لك منه. قال: أدنيه أما إني قد أصبحت وأنا صائم فأكل منه ثم قال: إنما مثل صوم التطوع مثل الرجل يخرج من ماله الصدقة فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها»^(١).

الركن الخامس: الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا

الحج في اللغة: من (حَجَج) أورد الجوهرى في الصحاح: (الحَجُّ: القصد. ورجل مَحْجُوجٌ، أي مقصود. وقد حَجَّ بنو فلان فلاناً، إذا أطالوا الاختلاف إليه. هذا الأصل، ثم تُعَوِّفُ استعمله في القصد إلى مكة للنسك. تقول: حججت البيت أحجته حَجًّا، فأنا حاجٌّ. ويُجْمَعُ على حُجٍّ. والحجُّ بالكسر: الاسم. والحجَّةُ المرَّةُ الواحدة، وهو من الشواذ، لأنَّ القياس بالفتح. والحجَّةُ: السنَّة، والجمع الحجَّج. وذو الحجَّة شهر الحج^(٢) وفرض الحج مرة في العمر، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ »^(٣)

والحج مرتبط بالطواف ببيت الله العتيق، قال الله تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٠﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١١﴾) ويظهر أثر المحبة في الحج، من محبة المسلمين لأداء مناسك ركن الإسلام الخامس، كونه مرة في العمر فرضاً، ويأتون من أمكنة بعيدة ومتفرقة، متحملين عناء السفر وبذل المال في شوق إلى الطواف بالبيت العتيق وأداء شعائر الحج، قال الله تعالى: (الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأْتُوا إِلَى الْآلِيبِ ﴿١٥﴾) في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى أهل الحج خاصة بالاستزادة من التقوى، ونهاهم عن مظاهر الرفث والفسوق والجِدَالِ المنافية لما قد يصرف عن محبة الله وتعظيم شعائره، لأن الموقف كله موقف محبة، ومما يزيدهم محبة لبعضهم البعض، مشاعر الإيمان الفياضة برؤية البيت العتيق، ووحدة الزمان والمكان

والآلِيبِ^(٥) في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى أهل الحج خاصة بالاستزادة من التقوى، ونهاهم عن مظاهر الرفث والفسوق والجِدَالِ المنافية لما قد يصرف عن محبة الله وتعظيم شعائره، لأن الموقف كله موقف محبة، ومما يزيدهم محبة لبعضهم البعض، مشاعر الإيمان الفياضة برؤية البيت العتيق، ووحدة الزمان والمكان

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال، حديث رقم: ٢٧٧٠ (١٥٨/٣). انظر: سنن النسائي - كتاب الصيام - باب النية في الصيام، حديث رقم: ٢٣٢١ (٥٠٦/٤). حسنه الألباني في إرواء الغليل.

(٢) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بدیع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، مادة (حَجَج) .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم: ٣٣٢١ (١٠٢/٤).

(٤) سورة الحج: ٦٢ - ٢٧.

(٥) سورة البقرة: ١٩٧.

والغاية، وبعض المظاهر الموحدة، كمظهر اللباس للرجال، والمتشابه للنساء، ووحدة التنقل بين المشاعر في أوقات تكاد تكون واحدة، الاجتماع الواحد المهيّب على صعيد عرفة من كل الحجاج، ووحدة الذكر في التلبية، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ)^(١). ووحدة التوحيد في إخلاص العبادة لله وحده، بإثبات الألوهية له دون سواه ونفيها عن غيره، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)^(٢). وللحج مناسك خاصة مفصلة في كتب الفقه حسب الأحكام الشرعية وأدلتها التفصيلية، والحج من أكثر العبادات أحكاماً، لتنوع المناسك بين الأفراد والتمتع والقران، وكذلك لتعدد المشاعر والعبادات في كل نسك، وهي: الإحرام من الميقات ثم الطواف بالبيت ثم السعي بين الصفا والمروة ثم الانتقال إلى منى يوم التروية، ثم الذهاب إلى عرفة، ثم المبيت بمزدلفة، ثم رمي جمرة العقبة والحلق والنحر، ومن ثم طواف الإفاضة ومن ثم المبيت بمنى ليالي أيام التشريق ورمي الجمرات الثلاث ثم الزوال، ومن ثم طواف الوداع. فإن هذه العبادات الكثيرة قد وردت نصوص من الكتاب والسنة في بيان أثر المحبة في شأنها بلفظ الحب أعرضها فيما يلي وفق ترتيب المناسك في الفعل وهي:

(١) الطيب في الإحرام:

الطيب من محبوبات النبي ﷺ وأحرم النبي ﷺ في حجة الوداع من ذي الحليفة، قال موفق الدين ابن قدامة في كتابه عمدة الفقه: (وميقات أهل المدينة ذو الحليفة^(٣)، وأهل الشام والمغرب ومصر الجحفة، واليمن يلملم، ولنجد قرن، وللمشرق ذات عرق، فهذه المواقيت^(٤) لأهلها، ولكل من يمر عليها، ومن مثرله دون

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب التلبية، حديث رقم: ٥٩١٥ (١٦٢/٧). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب التلبية ووقتها وصفتها، حديث رقم: ٢٨٦٨ (٧/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب في دعاء يوم عرفة حديث رقم: ٣٥٨٥ (٥٧٢/٥). حسنه الألباني.

(٣) روى البخاري في صحيحه - كتاب جزاء الصيد - باب دخول الحرم - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ وَقَّتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ وَلِأَهْلِ قُرْنِ الْمَنَازِلِ وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمُ فَهِنَّ لَهْنٌ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَمَنْ كَانَ ذُوْنَهُنَّ فَمَهْلُهُ مِنْ أَهْلِهِ وَكَذَلِكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهْلُونَ مِنْهَا.

(٤) ميقات أهل المدينة ذو الحليفة، والخلفاء نوع من الشجر، صغیرها يقال له حليفة. ويطلق عليها الآن أبيار علي، ويبعد عن المدينة ستة أميال أو سبعة، ما يقارب (٩) تسعة كيلو مترات، ويبعد عن مكة ما يقارب عشرة مراحل (٤٠٠) كيلو مترا. وميقات أهل الشام الجحفة، وهي قرية خربة سكنها العماليق واجتاحتها السيل وسميت بذلك، ويقال: لها مهيبة ومهيعة. وهذا الموضع خراب مهجور؛ ومن دعاء النبي ﷺ، الثابت في الجامع الصحيح للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، قال: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ. اللَّهُمَّ بَارِكْ بِنَا فِي صَاعِنَا فِي مُدُنَا، وَصَحْحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ)) فنقلت الحما إلى الجحفة فأصبحت وبيئة، ولذلك يتحاماها الناس ويحرمون بجذاتها من (رايع) فهو ميقات يبعد عن مكة خمس مراحل، وهو ما يقارب مائتين وكيло، وهو ميقات من جهة الغرب. وميقات أهل اليمن يلملم، وهو جبل معروف ويقال له (يرمرم) وأبدلت الراء لاما بلهجة اليمن (يلملم) ويقال إنه موضع السعدية الآن ويبعد عن مكة بمرحلتين، ما يقارب من ثمانين إلى خمس وثمانين كيلومتر. وميقات أهل نجد قرن المنازل. يقال له: قرن الثعالب، وهذا الموضع يسمى الآن بالسيل الكبير،

الميقات فميقاته من منزله، حتى أهل مكة يهلون منها حجهم، ويهلون للعمرة من أدنى الحل، ومن لم يكن طريقه على ميقات؛ فميقاته حذو أقربها إليه، ولا يجوز لمن أراد دخول مكة تجاوز الميقات غير محرم إلا لقتال مباح وحاجة تتكرر كالحطاب ونحوه، ثم إذا أراد النسك أحرم من موضعه، وإن جاوزه غير محرم رجع فأحرم من الميقات ولا دم عليه؛ لأنه أحرم من ميقاته، فإن أحرم من دونه فعليه دم سواء رجع إلى الميقات أو لم يرجع^(١) ومن سنن الإحرام الطهارة والطيب، عن محمد بن المنتشر^(٢) عن أبيه، قال: سألت عائشة فذكرت لها قول ابن عمر رضي الله عنهما: « ما أحبُّ أن أصبحَ مُحْرِمًا أَنْصَحُ طَيِّبًا، فقالت عائشة: أنا طَيِّبَتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا^(٣) ». ومقولة ابن عمر رضي الله عنهما كون الطيب من محظورات الإحرام، ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم: (قوله ﷺ) (ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه الزعفران ولا الورس)^(٤) أجمعت الأمة على تحريم لباسهما لكونهما طيباً وألحقوا بهما جميع أنواع ما يقصد به الطيب وسبب تحريم الطيب أنه داعية إلى الجماع، ولأنه ينافي تذلل الحاج فإن الحاج يقدم على مكة أشعث أغبر من أثر السفر، وسواء في تحريم الطيب الرجل والمرأة وكذا جميع محرمات الإحرام سوى اللباس كما سبق بيانه، ومحرمات الإحرام سبعة اللباس بتفصيله السابق، والطيب وإزالة الشعر والظفر ودهن الرأس واللحية وعقد النكاح والجماع وسائر الاستمتاع حتى الاستمئاء والسابع إتلاف الصيد والله أعلم^(٥) والذي عليه الجمهور من العلماء سنية الطيب عند الإحرام وهو أحد محظورات الإحرام بعد الدخول في النسك إلى أن يحل الحاج من إحرامه بعد اثنين من ثلاث الرمي والنحر وحلق يوم النحر، قال النووي في باب استحباب الطيب قبل الإحرام في البدن واستحبابه بالمسك في شرحه صحيح مسلم، عند حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِحُرْمِهِ حِينَ أَحْرَمَ وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ

ويبعد عن مكة بمرحلتين، ما يقارب خمس وثمانين كيلومترا، وهو ميقات أهل نجد ومن جاء من طريقه من أهل الخليج. وميقات أهل المشرق ذات عرق، والعرق هو الجبل، وهذا الجبل هو المنقطع عن قمامة وابتداء نجد ويسمى بالضريبة ويقال الخريبات، وهو يبعد مرحلتين أيضا ما يقرب خمس وثمانين كيلومترا، هذا الميقات هو ميقات أهل العراق.

(١) العدة شرح العمد (عمدة الفقه، لموفق الدين بن قدامة المقدسي)، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بماء الدين المقدسي، تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ج ١، ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) المنتشر بن الأجدع الهمداني، أخو مسروق، قال البغوي: لا أدري له صحة أو لا، وذكره ابن شاهين في الصحابة، قال ابن أبي حاتم قلت لأبي معشر: المنتشر رأى النبي ﷺ؟ قال: لا أدري. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (٢١١/٦) هو منتشر والد محمد بن المنتشر، روى عنه ابنه محمد بن المنتشر هو جد إبراهيم بن محمد بن المنتشر. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧١٠/٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الغسل - باب من تطيب ثم اغتسل وبقي أثر الطيب، حديث رقم: ٢٧٠ (٦٢/١). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم: ٢٨٩٩ (١٢/٤).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب ما لا يلبس المحرم من الثياب، حديث رقم: ٥٨٠٣ (١٤٤/٧). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه، حديث رقم: ٢٨٤٨ (٢/٤).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ج ٨، ص: ٧٥.

بِالْيَتِّ^(١). قال: (والمراد بحرمه الإحرام بالحج وفيه دلالة على استحباب الطيب عند إرادة الإحرام وأنه لا بأس باستدامته بعد الإحرام وإنما يحرم ابتداءه في الإحرام وهذا مذهبنا وبه قال خلائق من الصحابة والتابعين وجماهير محدثين والفقهاء)^(٢).

٢) الإهلال بالعمرة والحج:

صنف الفقهاء أنساك الحج إلى ثلاثة أنواع من النسك: الأفراد والتمتع والقران. عن عائشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله ﷺ مُوافينَ لَهلالِ ذي الحِجَّةِ، فقال لنا: من أحبَّ منكم أن يُهَلَّ بالحجِّ فليُهَلِّ، ومن أحبَّ أن يُهَلَّ بعمرة فليُهَلِّ بعمرة، فلولاً أُنِي أَهْدَيْتُ لِأَهْلَتُ بعمرة. قالت: فمنا من أهلَّ بعمرة، ومنا من أهلَّ بحجٍّ، وكنتُ من أهلَّ بعمرة، فأظَلَّنِي يَوْمُ عَرَفَةَ وَأَنَا حائِضٌ، فشكوتُ إلى النبي ﷺ فقال: ارفُضي عمرتك، وانقضي رأسك وامتشطي، وأهلي بالحج. فلما كان ليلة الحَصْبَةِ أَرْسَلَ مَعِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّعِيمِ، فَأَهْلَلْتُ بعمرة مكانَ عمرتي^(٣). قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لزاد المستقنع: (وقوله: «وأفضل الأنساك التمتع» الدليل على هذا: أولاً: أن النبي ﷺ «أمر أصحابه حين فرغوا من الطواف والسعي أن يخلوا، ويجعلوها عمرة إلا من ساق الهدي»، وكان من ساق الهدي في تلك الحجة قلة، وقد حتم الرسول ﷺ على أصحابه حيث قال حين أكمل السعي: «من لم يسق الهدي ليجعلها عمرة»، وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولأحللت معكم» وراجع الصحابة في ذلك، وقالوا: يا رسول الله كيف نجعلها عمرة، وقد سمينا الحج — أي: لبينا بالحج — قال: «افعلوا ما أمركم به»، حتى أوردوا عليه مسألة يُستَحْيَا منها، ولكن حملهم ما في نفوسهم على إيرادها، قالوا: يا رسول الله نخرج إلى منى وذكر أحدنا يقطر منياً — أي: من جماع أهله؛ لأنهم سيحلون الحل كله — ولكن الرسول ﷺ أبي إلا أن يحتم عليهم أن يجعلوها عمرة، فجعلوها عمرة إلا من ساق الهدي، فإنه لا يمكن أن يتمتع؛ لأن من ساق الهدي لا يحل إلا يوم العيد، وحينئذ يتعذر التمتع. ثانياً: لأنه — أي: التمتع — أكثر عملاً. ثالثاً: لأنه أسهل على المكلف غالباً. وقوله: «أفضل الأنساك التمتع»، أفادنا — رحمه الله — أنه يجوز ما سوى التمتع، وأن التمتع ليس بواجب، وهذا رأي جمهور أهل العلم^(٤).

(١) انظر: صحيح البخاري — كتاب الحج — باب الطيب بعد رمي الجمار والحلق قبل الإفاضة، حديث رقم: ٥٩٣٠ (١٦٤/٧). انظر:

صحيح مسلم — كتاب الحج — باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم: ٢٨٨١ (١٠/٤) ..

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ٨، ص: ٩٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري — كتاب العمرة — باب العمرة ليلة الحَصْبَةِ وغيرها، حديث رقم: ١٧٨٨٣ (٣/٣).

(٤) الشرح المتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨ هـ، ج ٧، ص ٧٦ — ٧٧.

٣) اليسر في مناسك الحج:

يقوم نسك الحج على أربعة أركان كما قرره أهل الفقه، قال ابن الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة: (وأما أركان الحج فهي أربعة: الإحرام وطواف الزيارة ويسمى طواف الإفاضة. والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وهذه الأركان لو نقص واحد منها بطل الحج باتفاق ثلاثة من الأئمة وقال الحنفية: إن له ركنين فقط فانظر مذهبهم تحت الخط) الحنفية قالوا: للحج ركنان فقط وهما الوقوف بعرفة ومعظم طواف الزيارة وهو أربعة أشواط وأما باقية وهو الثلاثة الباقية المكملة للسبعة فواجب كما سيأتي وأما الإحرام فهو من شروط الصحة كما تقدم والسعي بين الصفا والمروة واجب لا ركن). الشافعية قالوا: أركان الحج ستة: هي الأربعة المذكورة في أعلى الصحيفة وزادوا عليها ركنين آخرين: وهما إزالة الشعر بشرط أن يزيل ثلاث شعرات كلاً أو بعضاً من الرأس لا من غيره، ويشترط أن يكون ذلك بعد الوقوف بعرفة، وبعد انتصاف ليلة النحر في الحج. وترتيب معظمهم الأركان ويشترط أن يكون ذلك بعد الوقوف بعرفة وبعد انتصاف ليلة النحر في الحج، وترتيب معظم الأركان الخمسة بأن يقدم الإحرام على الجميع والوقوف على طواف الإفاضة والحلق والطواف على السعي إن لم يفعل السعي عقب طواف القدوم^(١) هذه أركان الحج التي لا يقوم ولا يصح إلا بها، قال الله عز وجل : (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ أَلْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ نَسِكِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)^(٢) وأعمال الحج مصنفة في كتب الفقه على أركان وواجبات وسنن ومندوبات، وحكم العموم فيها أن الركن لا يصح الحج إلا به ويجبر نقصان الواجب بدم، وللحج أحكام عديدة كما أسلفنا في المخطورات، والزمان والمكان والأعمال، ومن أثر الحجة في أعمال الحج أنه قام على اليسر ورفع الحرج، ومن أدلة ذلك، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمَنَى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرُ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَقَالَ أَذْبَحْ، وَلَا حَرَجَ فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرُ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ أَرْمِ، وَلَا حَرَجَ فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ، وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ، وَلَا حَرَجَ)^(٣). ومن شعائر الحج المبيت بمزدلفة ليلة يوم النحر ومن ثم الدفع منها مع سفور صبح يوم العيد، وقد أذن رسول ﷺ للنساء والضعفة بالدفع منها بعد منتصف الليل - أي قبل الناس - لرفع الحرج عنهم من

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن محمد الجزيري. مصر: مطابع الشعب، ١٣٨٠ هـ، ج ١، ص: ٣٥٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩٨ - ٢٠٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب العلم-باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، حديث رقم: ٨٣(١/٢٨).

الزحام وغيره، عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَةَ رَسُولَ اللَّهِ لَيْلَةَ الْمُرْدَلَفَةِ. تَدْفَعُ قَبْلَهُ. وَقَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ وَكَانَتْ امْرَأَةً ثَبُطَةً. (يَقُولُ الْقَاسِمُ: وَالثَّبُطَةُ الثَّقِيلَةُ) قَالَ: فَأَذِنَ لَهَا. فَخَرَجَتْ قَبْلَ دَفْعِهِ. وَحَبَسْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا فَدَفَعْنَا بِدَفْعِهِ. وَلَئِنْ أَكُونُ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا اسْتَأْذَنْتُهُ سَوْدَةُ، فَأَكُونُ أَدْفَعُ بِإِذْنِهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ^(١). أورد السندي في حاشيته على صحيح البخاري: (المفروح به: كل شيء معجب له بال بحيث يفرح به كما جاء في غير هذا أحب إلي من حمر النعم انتهى. ومرادها أنها كانت بعده ﷺ على ما فعلت معه، وقد ثقل عليها الدفع مع الإمام لكنها ما تركت لكونها فعلت ذلك معه صلى الله تعالى عليه وسلم، فتمنت لذلك أنها لو استأذنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدفع قبله لفعلت كذلك بعده أيضاً، فصار ذلك سبب للراحة أيضاً في حقها، قال عبد الله الأبي: قال الأصوليون: ذكر الحكم عقيب وصف مناسب يشعر بكونه علة، وقول عائشة هذا يدل على أنه لا يشعر بكونه علة؛ لأن لو أشعر به ما أرادت ذلك لاختصاص سودة بذلك الوصف، إلا أن يقال إن عائشة نفحت المناط ورأت العلة إنما هي الضعف لا خصوص ثقل الجسم، ويحتمل أنها قالت ذلك لأنها شركتها في الوصف، لما روى أنها قالت سأقت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسبقته، فلما ربيت اللحم سبقني^(٢))

٤) الأضحية:

قال الله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٥﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ^(٣) تميز عيد الأضحى عن عيد الفطر بأعمال منها النحر، وهذا العمل من أجل الأعمال المقربة إلى الله تعالى في هذا اليوم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ بِهَدْيٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْهَدْيُ الَّذِي قَدِمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ مِائَةَ بَدَنَةٍ فَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، وَنَحَرَ عَلِيٌّ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ، وَأَشْرَكَ عَلِيًّا فِي بُدْنِهِ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بَضْعَةً فَجُعِلَتْ فِي قِدْرِ فَطْبَخَتْ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا^(٤). فالحاج ينحر الهدى ويضحى، ويزبح وينحر المسلمون الأضاحي، وغاية العمل التقوى والإخلاص لله تعالى، قال الله تعالى (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ^(٥) وقد ضحى النبي ﷺ وساق الهدى ونحر بيديه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب من قدم ضعة أهله بليل فيقفون بالمردلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر، حديث رقم: ١٧٠٧. وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب استحباب تقديم دفع الضعة من النساء وغيرهن من مردلفة إلى منى في أواخر الليالي قبل زحمة الناس، حديث رقم: ٣١٧٨ (٤/٧٦).

(٢) حاشية السندي على صحيح البخاري، محمد بن عبد الهادي السندي المدني، الحنفى، الناشر: دار الفكر، ج ١، ص: ٢٣٣.

(٣) سورة الكوثر: ١ - ٣.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٠٠٩ (٤/٣٩). وانظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب المناسك - باب الأكل من لحوم الهدى، حديث رقم: ٤١٢٦ (٤/٢٠٩).

(٥) سورة الحج: ٣٧.

عَلَى صَفَاحِهِمَا^(١). والأضحية في حكم الفقهاء بين أنها واجبة كما عند أبي حنيفة، وبين أنها سنة مؤكدة عند غيره من الأئمة الأربعة، وهي من أحب الأعمال في يوم النحر عند المسلمين، لذا حرص عليها الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى وصالح المسلمين. والقيام بها محبب إلى النفس لأنها سنة الخليلين إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ، وعن عليّ ﷺ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه بكبشين فأنا أحب أن أفعله»^(٢). وقال محمد بن عبيد المحاربي في حديثه: ضحى عنه بكبشين واحد عن النبي ﷺ والآخر عنه، فقبل له: فقال: إنه أمرني فلا أدعه أبداً^(٣). وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «دم عفرأ أحب إلي من دم سوداوين»^(٤). وذبح الأضاحي يكون بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبلها فهي لحم، ذبحه لنفسه ولم يصب أجر الأضحية، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ)^(٥)، وعنه أيضا، ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيُعَذِّبْهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: هَذَا يَوْمٌ يُشْتَهَى فِيهِ اللَّحْمُ، وَذَكَرَ مِنْ جِيرَانِهِ، فَكَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَدَّقَهُ، قَالَ: وَعِنْدِي جَذْعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتِي لَحْمٍ. فَرَحَّصَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَا أَدْرِي أَلْبَغْتَ الرِّخْصَةَ مِنْ سِوَاهُ أَمْ لَا»^(٦). والأضحية تكون من بهيمة الأنعام، ومن شروطها أن تكون سليمة من العيوب البينة، كالعور والعرج والهزال وغيرها، وأن تكون في السن من الثاني فما فوق، ما عدا الضأن، فيجزئ الجذع منها، قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: (والعناق من المعز ابن خمسة أشهر أو نحوها ، وهو جذعة ، ولا يجوز في الضحايا بإجماع ، وإنما يجوز من المعز الثاني فما فوقه ، وهو ثني إذا تم له سنة ودخل في الثانية ، وإنما يجوز الجذع من الضأن فقط ، وهو ابن سبعة أشهر ، قيل : إذا دخل فيها . وقيل إذا أكملها . وعلامته أن يرقد صوف ظهره بعد قيامه ، وإذا كان كذلك قالت العرب : إنه قد أجذع . ولا يجوز من سائر الأزواج الثمانية من الأنعام إلا الثاني فما فوقه، فثني البقر إذا كمل له سنتان ودخل في الثالثة ، وثني الإبل إذا كمل له خمس سنين ودخل في السادسة)^(٧)

- (١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأضاحي- باب التكبير عند الذبح حديث رقم: ٥٥٦٤ (١٠٢/٧). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الأضاحي - باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير، حديث رقم: ٥١٩٩ (٧٧/٦).
- (٢) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٢٧٧ (٤٢٠/٢). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف .
- (٣) انظر: سنن ابن داود-كتاب الضحايا- باب ما جاء في الأضحية عن الميت، حديث رقم: ٢٧٩٢ (٥٠/٣). وانظر مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم حديث رقم: ١٢٧٩ (٤٢١/٢). سكت عنه الألباني . تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف . وانظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم، حديث رقم: ٧٥٥٦ (٢٣٠/٤). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .
- (٤) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٩٤٠٤ (٢٣٥/١٥). شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف .
- (٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأضاحي- باب سُنَّةِ الْأُضْحِيَّةِ وَقَالَ ابْنُ عُمرَ هِيَ سُنَّةٌ وَمَعْرُوفٌ، حديث رقم: ٥٥٤٦ (٩٩/٧).
- (٦) انظر: صحيح البخاري- كتاب العيدين- باب الأكل يوم النحر، حديث رقم: ٩٥٤ (١٧/٢).
- (٧) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٦، ص: ٢١.

المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق والمعاملات

المطلب الأول: أثر المحبة في الأخلاق

إن الأخلاق أوسع مجالات الدعوة، كونها تصاحب المسلم في ظاهره غالبا، عقيدة وعبادة ومعاملة، فهي بمثابة الوجه من الجسد، في نقل الصورة الصحيحة لشخصية المرء، فمنها يُحَبُّ وَيُكْرَهُ، وَيُقَيَّمُ بِهَا فِي دِينِهِ وَمِبَادئِهِ، فمن واجب المسلم الالتزام بما جاء في الإسلام من سمو الأخلاق ومحاسن الأعمال، فقد دعا الإسلام في جميع أوامره إلى محاسن الأخلاق ونهى وحذر في جميع نواحيه من مساوئ الأخلاق، وجعل النبي ﷺ لمن حسن خلقه مكانا رفيعا، ومجلسا حميدا يوم القيامة، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا^(١). وعن جابر: أن رسول الله ﷺ، قال: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون^(٢). ومن أوسع الأخلاق خلق الحلم وهو سيد الأخلاق ويضاده الغضب وهو من أسوأ الأخلاق، وبالحلم يسود المرء ويكسب محبة الناس ومحبة الله، وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٣). والأناة من التأني وهي ضد العجلة، فكلما كان الإنسان في تَوَدَّةٍ سواء كان في مقاله أو فعالة، كلما كانت النتائج موفقة للصواب في الفعل والصدق في القول، وهذا توفيق من الله للعبد، أورد ابن حجر في الفتح (عند أحمد والنسائي والبخاري في الأدب المفرد وصححه ابن حبان أن النبي ﷺ، قال: إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة، قال: يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا؟ قال: قديما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما. فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب^(٤)) ومن المعلوم أن تجارب الحياة تثبت أن سعة العلم، ووسع الناس بالخلق الحسن من طلاقة الوجه والإحسان في المعاملة، أجدى من سعة الناس بالمال، فمع المال تكون الذلة، والنفس البشرية تأبأها، والمال يفنى ولا يبقى، ومع الأخلاق تكون الرفعة والتقدير الحسن، وتحب ذلك النفس وتطلبه، والخلق يبقى سجية وسمية ترافق الإنسان في حياته، وبعض الناس لا يدرك هذا الميزان حديثا وقديما، كما لم يدركه بنو إسرائيل في

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم: ٦٠٣٥ (١٣/٨).

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم: ٢٠١٨ (٣٧٠/٤). صححه الألباني.

(٣) انظر صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه حديث رقم: ١٢٧ (٣٦/١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ،

قصتهم مع طالوت في قتال أعدائهم قال الله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^(١)) وكذلك هو الميزان؛ فإن معاملة الناس بالخلق أجدى من معاملتهم بالمال فقط. وانقسام الخلق إلى قسمين: جبلي فطري، ومكتسب، يجعل الدعوة إلى الله في إدراك لما يمكن تعلمه من أخلاق واستعمالها في ميدان الدعوة إلى الله، وخاصة أننا نعيش في زمن وصف بطغيان المقاييس المادية على حياة الناس فارتفع المال على العلم، وسيطرت الشهوة على الجسد، وظهرت العاطفة على العقل، وابتعد الناس عن الدين الحق، فهم في حاجة لعملية إنقاذ بمحاسن الأخلاق وفضائل الأعمال تقودهم إلى الرجوع والأوبة إلى الله ولزوم الدين الحق المبين. فقد وسع النبي ﷺ المشركين وهم أهل ضلالة من أشد الضلالات، وعاداه من عاداه بأشد العداوات، وسعهم بالرحمة والحلم قال الله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ^(٢)) أورد ابن كثير في تفسيره قولين في معنى الرحمة: ({فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} أي: برحمة من الله. وقال الحسن البصري: هذا خلقُ محمد ﷺ بعثه الله به ^(٣)). وأثر المحبة في الأخلاق يظهر عموماً في محبة النبي ﷺ لمحاسن الأخلاق، ومحبتنا له ﷺ والافتداء به في خلقه، ومحبتنا للإسلام وواجب البلاغ لهذا الدين، مما يوجب علينا أن نصفه ونبلغه ونخلص الوصف له؛ بأنه دين التوحيد والحب والسلام والخلق الحسن، وأنه ليس كما يصفه الأعداء بأنه دين الضلالة والكرهية والإرهاب والهمجية، حيث وصفه الظالمون بذلك، قياساً على تصرف فرد أو جماعات، خرجت عن أصل الإسلام وخلقته. فوجب على أهل الإسلام الاهتمام بأمر الأخلاق في ميدان الأسرة أو ميادين التربية والتعليم و ميادين التدريب الاجتماعية، فإن الأخلاق تتغير وفق أصول العقائد ومبادئ الأفكار، والأفعال والأقوال ناتجة عن الأخلاق، ومن السنة كان يدعو نبينا محمد ﷺ بطلب الهداية لأحسن الأخلاق، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاعْفُ عَنِّي يَا ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبِّكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ١٤٨.

فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١). ووصفه الله تعالى بعظيم الأخلاق في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(٢) قال ابن القيم الجوزية مبينا دلالة الآية: (وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله فهماً، ولقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ فأجابت بما شفى وكفى، فقالت: كان خلقه القرآن فهم سائلها أن يقوم لا يسألها شيئاً بعد ذلك، ومن هذا قال ابن عباس وغيره: أي على دين عظيم، وسمى الدين خلقاً لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها، فهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً له وبيانياً، وعلومه علوم القرآن وإرادته، وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه، والجهاد في إقامته، فترجعت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول ﷺ وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: كان خلقه القرآن، وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى^(٣) فإذا علمنا هذا في خلق الرسول ﷺ أدركنا أن القرآن الكريم هو منبع الأخلاق الإسلامية، فإن الإسلام قائم على الكتاب والسنة، فإن خلق المسلم وصف شامل لما يصدر عن المسلم من استجابة لأوامر الشريعة، تظهر على شخصه في عبادته وأقواله ومعاملاته، وكلما أحب المسلم الكتاب والسنة والتزم بما فيهما؛ كانت أخلاقه عظيمة وأعماله حكيمة، ونفسه زكية طيبة، وفي هذا المبحث أعرض بعض نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بلفظ الحب موضحاً أثر المحبة في الأخلاق الواردة فيها وفق ما يلي:

(١) دفع الشهوات المحرمة :

إن شهوة البطن وشهوة الفرج هما الأثر الكبير في خلق المسلم؛ لما لهما من ارتباط بحياته، وكلاهما قائم على المحبة، فلا يمكن للإنسان العيش دون طعام وشراب، ولا تكتمل حياته دون قضاء وطره من زواج أو مما ملكت اليمين، ويظهر خلق المسلم في العفة والعفاف، فلا يقدم على أكل الحرام، أو الذلة بسؤال الناس ويعف نفسه بالصبر والقليل من الزاد، رغم حبه الشديد للمال، كما قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ^(٤) قال ابن كثير في تفسيره: (أي: وإنه لحب الخير -وهو:

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه حديث رقم: ١٨٤٨ (٢/١٨٥).

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ، ص: ١٣٥.

(٤) سورة العاديات: ٦ - ٨.

المال-لشديد. وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال. والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح^(١) ويظهر أثر المحبة في خلق المسلم أيضا في عفته، حين يبتعد عن الزنا لحرمة رغم هيجان الشهوة ومحبة لقضائها، فيمسك إربه استجابة لقول الله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)^(٢) وهذا العفاف من صالح الأعمال التي روت في السنة، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي جَبَلٍ، فَأَنْحَطَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكَنتُ أَخْرُجُ فَأَرَعِي، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالْحَلَابِ فَأَتِي بِهِ أَبِي فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَسَبْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً تَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحَبَّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً. قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرْقٍ مِنْ ذُرَّةٍ، فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبِي ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَرَزَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى الْبَقَرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّمَا لَكَ. فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا. فَكُشِفَ عَنْهُمْ»^(٣). وفي هذا الحديث من الدروس ما لا يمكن عرضه هنا، وأشير إلى الشاهد منه في موقف الحب لابنة عمه، حيث قطع أصل الشهوة بالعفة، في مكان يصعب قطعها طاعة لله وابتغاء وجه الله. وموقف جامع المال وحافظه لصاحبه الأجير، فيحرص على حق وأجرة الأجير وينميها ومن ثم يعف عن حقه في ذلك فلا يطلب عوضا عما قام به من نماء للمال وعناية، ويتخلى عن شهوة محبة المال عفة، ابتغاء وجه الله.

٢) حب المساكين :

وردت لفظ (المساكين) بالجمع والإفراد في القرآن الكريم ثلاثة وعشرين مرة وكلها في مجال الإطعام والإحسان إليهم، وهذان من فضائل الأخلاق، ومن دعائه ﷺ أن يحشر في زمرة المساكين، عن أنس رضي الله عنه:

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٨ ، ص: ٤٦٧.

(٢) سورة الإسراء: ٣٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع-باب إذا اشتري شيئا لغيره بغير إذنه فرضي، حديث رقم: ٢٢١٥ (٧٩/٣).

أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة. فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة، أحي المساكين وقربهم، فإن الله يقربك يوم القيامة^(١). وليس المعنى هنا أن يدعو الإنسان على نفسه بالفقر والمسكنة، وإنما المعنى أن يدعو بالكفاف، أورد ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري هذا المعنى بقوله: (ولم يأت في الحديث، فيما علمنا، أن النبي ﷺ كان يدعو على نفسه بالفقر، ولا يدعو بذلك على أحد يريد به الخير، بل كان يدعو بالكفاف ويستعيد بالله من شر فتنة الفقر وفتنة الغنى، ولم يكن يدعو بالغنى إلا بشرطه يذكرها في دعائه. فأما ما روى عنه أنه كان يقول: « اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشرنى في زمرة المساكين ». فإن ثبت في النقل فمعناه ألا يجاوز به الكفاف، أو يريد به الاستكانة إلى الله، ويدل على صحة هذا التأويل أنه ترك أموال بني النضير وسهمه من فذك وخيبر، فغير جائز أن يظن به أن يدعو إلى الله ألا يكون بيده شيء، وهو يقدر على إزالته من يده بإنفاقه^(٢)) والفقر أشد حاجة من المسكين، والمسكين هو الذي لا يجد ما يسد حاجته، ومنهم من يتردد على الناس ويجد بعض حاجته، ومنهم من لا يعلم بحاله الناس لتعففه وعدم سؤاله إياهم، وهو المسكين بحق، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال « لَيْسَ الْمُسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَرَدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ». قالوا فما المسكين يا رسول الله؟ قال « الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يَفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئاً »^(٣). وهذا الصحابي الجليل أبو هريرة ؓ يحدث عن مسكنته، وعن جعفر ؓ المكنى بأبي المساكين لجلوسه معهم وكثرة إطعامه إياهم، وهي خصلة من مكارم الأخلاق، عن أبي هريرة ؓ قال: « إِنْ كُنْتُ لَأَسْأَلَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَنْ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُ مَا أَسْأَلُهُ إِلَّا لِيُطْعِمَنِي شَيْئاً فَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يَجِبْنِي حَتَّى يَذْهَبَ بِي إِلَى مَتَرْلِهِ فَيَقُولُ لَأَمْرَأَتِهِ: يَا أَسْمَاءُ أَطْعِمِينَا فَإِذَا أَطْعَمْتَنَا أَجَابَنِي، وَكَانَ جَعْفَرُ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْنِيهِ بِأَبِي الْمَسَاكِينِ »^(٤). فمن أخلاق الداعية أن يحب المسكنة والمساكين، فإن كان من أهل الغنى والمال، كان عليه هذا لزوم الخلق أكثر من غيره في الإطعام، استجابة لأمر الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى في حق الأبرار من سورة الإنسان: (إِنَّ الْأَبْرَارَ

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم: ٢٣٥٢ (٤/٥٧٧). صححه الألباني.

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج١٩، ص: ٢٢٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة- باب المسكين الذي لا يجد عني ولا يفتن له فيتصدق عليه، حديث رقم: ٢٤٤٠ (٣/٩٥).

(٤) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧٦٦ (٥/٦٥٥). ضعفه الألباني.

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ (١) قال صاحب أضواء البيان في تفسير
القرآن بالقرآن: (قَوْلُهُ تَعَالَى: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. اختلف في مرجع
الضمير في على حبه، هل هو راجع على الطعام أم على الله تعالى؟ أي: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّ
الطَّعَامِ لِقَلَّتْهُ عِنْدَهُمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، أم على حُبِّ الله رجاء ثواب الله؟ وَقَدْ رَجَّحَ ابْنُ كَثِيرٍ الْمَعْنَى الْأُولَى،
وهو اختيار ابن جرير، وساق الشواهد على ذلك كقوله: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) [البقرة: ١٧٧]، وقوله
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران: ٩٢). والواقع أن الاستدلال الأول فيه ما في هذه الآية،
ولكن أقرب دليلًا وأصرح قوله تعالى: (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: ٩]. وفي الآية
التي بعدها في هذه السورة قرينة تشهد لرُجوعه للطعام على ما تقدم، وهي قوله تعالى بعدها: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) [الإنسان: ٩]؛ لَأنَّهَا فِي مَعْنَى حُبِّ اللَّهِ، مِمَّا يَجْعَلُ الْأُولَى لِلطَّعَامِ
وَهَذِهِ لِلَّهِ. وَالتَّاسِيسُ أَوْلَى مِنَ التَّأَكِيدِ، فَيَكُونُ السِّيَاقُ: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَاجَتِهِمْ إِنِّيأَهُ، وَلِوَجْهِ اللَّهِ
تَعَالَى. - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ) (٢) ومن سمو تعاليم الإسلام وأخلاق هذا الدين العظيم أمر المسلم بصرف
أوجه الإحسان ومنه الإطعام - وهو هنا من دلالة الخاص على العام - إلى المسلم ومنه المسكين واليتيم
والأسير، وأحسن الإسلام إلى أعدائه فأمر بإطعام الأسير منهم بما يحفظ حياتهم ويحترم إنسانيتهم، ودعوة
هم إلى الدخول في هذا الدين، قال الطبري في تفسيره: (يعني جل ثناؤه بقوله مسكينًا: ذوي الحاجة الذين
قد أذلهم الحاجة، (ويَتِيمًا) وهو الطفل الذي قد مات أبوه ولا شيء له (وأَسِيرًا): وهو الحرابي من أهل
دار الحرب يُؤخذ قهرا بالغلبة، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحق، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم
هؤلاء تقربًا بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم) (٣).

٣) كظم الغيظ:

أصل الغيظ من (غيظ) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الغين والياء والطاء أصل فيه كلمة
واحدة، يدل على كَرْبٍ يلحق الإنسان من غيره) (٤) والكظم المنع والرد، وكظم الغيظ سجية لا يتحلى

(١) سورة الإنسان: ٥ - ٨.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ، ج ٨، ص: ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ٩٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، مادة (غيظ).

بها كل أحد، فإن مواقف الحياة المتعددة تجعل المرء يختلط بالناس، وهم أصحاب ثقافات وديانات مختلفة، وأمزجة وأحوال متغيرة، وهذه الخلطة تعرض المرء لحالات نفسية وأحكام خلقية يحكمها نوع الموقف وشخصية المرء وصفاته، وكظم الغيظ تظهر معنى الصبر وقد أثنى الله تعالى على الصابرين وأحبهم، وتظهر معنى الإحسان وقد أثنى الله على المحسنين وأحبهم، ومما يتميز به المسلم المحسن الخلق الحسن والتقوى، ومنها صفة كظم الغيظ، قال الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١) وتبين من الآية بعض أوجه الإحسان والتقوى _ وهما من الصفات المحبة لله تعالى _ في الآية: الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس وهي من أجمل وأحسن الأخلاق (وقال بعض أهل العلم: حُسْنُ الخلق: كظمُ الغيظِ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزَّالِين إلا تأديباً أو إقامة حدٍّ وكفُّ الأذى عن كلِّ مسلم أو معاهدٍ إلا تغييرَ منكر أو أخذاً بمظلمةٍ لِمُظْلومٍ من غير تعدٍّ)^(٢) ومن أسباب اكتساب كظم الغيظ، سيطرة العقل على العاطفة، وضبط النفس عند الغضب، والكظم هو منع الغضب ومسك النفس عن الانتصار أو المحاصمة أو المنازعة مع القدرة على فعل ذلك، والغيظ أصل الغضب، لا يظهر على الجوارح بفعل أو قول انتقامي، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل أو قول فيهما سطوة وقهر وانتقام، والمرء بالغضب يخسر ولا يكسب، في الصحة والعلاقات والمقامات، إلا ما كان من غضب مستحق كالغضب عند انتهاك حرمت الله، ونصح ﷺ بعدم الغضب فقال: (لا تغضب) وبين أن الغضب صفة غير محمودة، عن عبد الله ﷺ^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قال: قالوا يا رسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: اعلموا إنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، مالك من مالك إلا ما قدمت ومال وارثك ما أخرت » قال: وقال رسول الله ﷺ ما تعدون فيكم الصرعة ؟ قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: قال: لا، ولكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب، قال: وقال رسول الله ﷺ: « ما تعدون فيكم الرقوب ؟ قال: قلنا:

الذين لا ولد له، قال: لا، ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً »^(٤). والدعاة إلى الله في مواقف الحياة عرضة لما يغضبهم، سواء من جهلة الناس، أو من مغرض مترصد، أو من حاسد حاقد؛ فيجب عليهم التحلي بكظم الغيظ والعفو، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد وهو

(١) سورة آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ١٨١ - ١٨٢.

(٣) قول عبد الله في الحديث، أي: عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، حديث رقم: ٣٦٢٦ (١٢٩/٦).

يقول بيده: هكذا، - فأوماً أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض - من أنظر معسراً أو وضع له، وقاه الله من فيح جهنم، ألا أن عمل الجنة حزن بربوة ثلاثاً ألا أن عمل النار سهل بسهوة، والسعيد من وقى الفتن، وما من جرعة أحب إليّ من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً»^(١). (وروي عن ميمون^(٢) بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرققة عليه، فأراد ميمون أن يضر بها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى: " وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ " قال لها: قد فعلت. فقالت: أعمل بما بعده " وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ". فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: " وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ". قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى^(٣). وعلى المسلم أن يطفى حرارة الغضب وثورة الغيظ و هيجان النفس، بالاستغفار والاستعاذة من الشيطان والوضوء والصلاة، والانصراف عن مكان الموقف، وتغيير الوضع الشخصي من الوقوف إلى القعود، ومن القعود إلى الاضطجاع، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: تساب رجالان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما حتى تمزق أنفه من الغضب فقال رسول الله ﷺ « أما إني أعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »^(٤). وعن الحسن (قال: قال رسول الله ﷺ إن الغضب جمرة توقد في قلب بن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وإلى احمرار عينيه، فإذا وجد أحدكم ذلك فإن كان قائماً فليقعد وإن كان قاعداً فليتك، قال: وقال رسول الله ﷺ ما جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كتمها رجل أو جرعة صبر عند مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم في سبيل الله^(٥))

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٠١٥ (١٤٩/٥). تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(٢) ميمون بن مهران الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي، أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرقة. وحدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، والضحاك ابن قيس وغيرهم، قيل: إن مولده عام موت علي رضي الله عنه سنة أربعين. وثقه جماعة، وقال أحمد بن حنبل: هو أوثق من عكرمة. قال أحمد العجلي والنسائي: ميمون ثقة. قال ابن سعد: ميمون يكنى أبا أيوب، ثقة، كثير الحديث. وقد خرج أرباب الكتب لميمون بن مهران سوى البخاري، فما أدري لم تركه؟ قال ابن سعد وأبو عروبة وغيرهما: توفي سنة سبع عشرة ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧١/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص: ٢٠٧.

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب ما يقول عند الغضب، حديث رقم: ٣٤٥٢ (٥٠٤/٥). صححه الألباني.

(٥) انظر: شعب الإيمان للبيهقي - كتاب حسن الخلق - فصل في ترك الغضب وفي كظم الغيظ، حديث رقم: ٧٩٥٥ (٥٣٩/١٠). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٦١١٤ (١٢٨/٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

٤) صلاح الظاهر والباطن:

لقد جاءت تعاليم الشرع الحكيم بالموازنة بين الظاهر والباطن، وأعطت كل من الذكر والأنثى الحق المستحق له في الحياة، بما يناسب صفات ووظائف كل منهما، ومن أحسن ما يتوافق مع جهال المرأة، التحلي بالذهب ولبس الحرير والألوان الزاهية من الثياب، وهذا يتنافى مع شخصية الرجل في خلقه وخلقته، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من أحب أن يطوق حبيبه طوقاً من نار فليطوقه طوقاً من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه سواراً من نار فليسوره بسوار من ذهب، ومن أحب أن يخلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، ولكن عليكم بالفضة العبوا بها لعباً، العبوا بها لعباً ^(١). فمن حسن الخلق استقلال الشخصية بين الرجل والمرأة في الجمال والهيئة، ولهذا جاءت التعاليم الشرعية بمنع التشبه بين الرجال والنساء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ) ^(٢). هنا ندرك أمراً من أهم الأمور الهامة في التربية ألا وهو التوازن، الذي يعني أن ثمة اختلاف بين النساء والرجال فلا يطغى جنس على آخر في الصفات الجمالية المادية الظاهرة، ومحور الخلق الإسلامي للذكر والأنثى الاستجابة لأوامر الشرع ونواهييه في توجيه الخصوصية لكل منهما بما يناسب خلقه ووظيفته، وعبر عنها في الحديث بالتشبه الممنوع بين الجنسين، أما الصفات الجمالية المعنوية من الإيمان والصدق والأمانة والحلم والحياء والدعاء وحسن الخلق عموماً؛ فهي من المأمورات الشرعية للجنسين، سواء بسواء في الفعل والجزاء، قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ^(٣) والجمال محبوب للنفس إذا توافق مع صفاتها وفق مراد الشارع و يورث المحبة بين الناس، التي هي مطلوب لكل عاقل، ويورث العجب و الكبر الذي هو من أسوأ الأخلاق لما فيه من الصد عن الحق وظلم الناس، ومن الجمال لبس الثياب الحسنة والاهتمام بالهيئة ومس الطيب، فإن الله جميل يحب الجمال، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ » ^(٤). وكذلك يصلح المرء إذا صلح قلبه، وتطيب أخلاقه بحسن قوله، وسداد منطقته.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٤١٦ (١٤/١٤١). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: رجاله ثقات.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، حديث رقم: ٥٨٨٥ (٧/١٥٩).

(٣) سورة النحل: ٩٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم: ٢٧٥ (١/٦٥).

٥) أدب المجلس:

إن المجالس الاجتماعية من ضرورات الحياة في البناء الاجتماعي، تقوم على الحاجة الملحة بين الناس في طلب المنفعة ودفع المضرة، يمثلها التعاون والمحبة، وهي صورة تظهر فيها الأخلاق والسجايا، ومن حسن خلق المسلم في المجالس أن يقدم على الناس بالسلام تحية الإسلام في دخوله، ويودع المجلس إذا خرج أيضا بالسلام، وهي كلمة عظيمة في معناها الذي يحث على المحبة والمسالمة ويبعث الطمأنينة، وعظيمة بعظم الإسلام المنافي للظلم والكرهية، وقد بين الشارع أنها من الأسباب الجالبة للمحبة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَّلَ أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »^(١). وعليه أن يكون مظهرها لسلامه بلفظه و بمعناه، فلا يؤدي أحدا، ولا يكن كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه من اليهود وغيرهم من الفساق، فقد جاء الإسلام بمحبة المقسطين والחסنين ونبد الفحش والبغي والجهل، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَنَسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ « وَعَلَيْكُمْ ». قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً ». فَقَالَتْ مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا فَقَالَ « أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ »^(٢). وفي رواية أخرى: قَالَ: فَفَطَنْتُ بِهِمْ عَائِشَةَ فَسَبَّتُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَهْ. يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ». وَزَادَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} (المجادلة: ٨) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٣). والمسلم في مجلسه كغيره من الناس يحدث له من الأمور الجبلية كالعطاس وغيره، فعليه أداء السنة المشروعة فيه من التشميت وكف الأذى مما يخرج منه، أورد ابن حجر في الفتح (ومن آداب العطاس أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤدي جليسه ولا يلوي عنقه يمينا ولا شمالا لئلا يتضرر بذلك)^(٤) وكذا المسلم في مجلسه، إذا جاءه التثاؤب رده حسب استطاعته، ولا يكن كالذين يחדشون مكارم الأخلاق، بما يحدثونه من صوت مصاحب للتثاؤب، ينفر الناس من حوله ويضحك به الشيطان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمْعَهُ أَنْ يَشْمَتَهُ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لخصولها، حديث رقم: ٢٠٣ (٥٣/١)

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم: ٥٧٨٦ (٤/٧).

(٣) سورة المجادلة: ٨.

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم: ٥٧٨٧ (٥/٧)

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٦٠٢.

الشیطان. فليُرَدِّه ما استطاع، فإذا قال: هاء ضحك منه الشيطان»^(١). وفي المجالس على المسلم أن يجلس مع الصالحين فإنه يتخلق بأخلاقهم، من التقوى والصلاح ويتزود بالعلم، وبهذه المرافقة والمجالسة، يكسب مرافقتهم يوم القيامة، كما جاء في الخبر من حديث صفوان بن عسال: (قَالَ النَّبِيُّ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢). وقال الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)^(٣) قال^(٤) الإمام الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم *** لعلي أن أنال بهم شفاعته

وأكره من تجارته المعاصي *** ولو كنا سواء في البضاعة

٦) الغيبة من مساوئ الأخلاق:

لقد حث الإسلام على التأخي والتآزر والصفاء والحب، وبما يوطد العلاقات بين المسلمين وينشر المودة بينهم، وحذر من الفرقة ومنع السبل الموصلة إليها، ومن ذلك الغيبة والنميمة فإنهما من مفسدات الصلوات ومن مساوئ الأخلاق؛ لما لهما من أثر في زرع العداوة المنافية للمحبة ونشر الفتنة المنافية للألفة، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)^(٥) والغيبة كما عرفها أهل العلم واضحة المعنى من قول النبي ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذَكَرْتُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ». قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ »^(٦). تدخل الغيبة مع النميمة، حيث هي القالة بين الناس ونقل الكلام على وجه الإفساد، وجاء الخبر في السنة أنها مانعة من دخول الجنة عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُذَيْفَةَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ - إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ »^(٧).

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التأؤب، حديث رقم: ٦٢٢٣ (٤٩/٨)

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ- باب في التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، حديث رقم: ٣٥٣٦. (٥٤٦/٥) حسنه الألباني.

(٣) سورة النساء: ٦٩.

(٤) ديوان الإمام الشافعي، جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، جدة: دار المطبوعات الحديثة، ط ٤، ١٤٠٥، ص: ٥٦.

(٥) سورة الحجرات: ١٢.

(٦) انظر: صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الغيبة، حديث رقم: ٦٧٥٨ (٢١/٨).

(٧) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما يكره من النميمة، حديث رقم: ٦٠٥٦ (١٧/٨). وانظر: صحيح مسلم-كتاب

الإيمان- باب بيان غلط تحريم النميمة، حديث رقم: ٣٠٤ (٧١/١).

وعند الترمذي، قال سفيان بن عيينة^(١) والقتات: النمام؛ فإن نقل المعاييب وذكر المثالب، وإن كانت حقا في وجودها، فإن ذكرها لا يؤدي إلى علاجها، بل ينشر العداوة والبغضاء بين الناس، وشرها يكون أكبر كلما كبر قدر المرء المغيب في الناس، فغيبة العلماء وذوي السطان ليس كغيبة أحد دونهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يُبْلَغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَالٍ فَقَسَّمَهُ، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلَيْنِ جَالِسَيْنِ وَهُمَا يَقُولَانِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِقِسْمَتِهِ الَّتِي قَسَمَهَا وَجْهَ اللَّهِ وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ. فَتَشَبَّتُ حِينَ سَمِعْتُهُمَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ فَأَحْمَرَّ وَجْهَهُ وَقَالَ: دَعْنِي عَنْكَ فَقَدْ أُؤْذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ^(٢). وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا - قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةَ- فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ، قَالَ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٣). قال العظيم آبادي في شرح سنن أبي داود: ((مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا: أَيُّ مَا يَسْرَتْنِي أَنْ أَتَحَدَّثَ بِعَيْبِهِ، أَوْ مَا يَسْرَتْنِي أَنْ أُحَاكِيه بَأَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِ أَوْ أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَى وَجْهِ التَّنْقِصِ. (وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا) أَيُّ وَلَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الدُّنْيَا أَيُّ شَيْئًا كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ)^(٤) الخوف الذي أظهرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يدل على ورعها وتقواها رضي الله عنها وأرضاها، ويدل على خطر آفات اللسان ومنها الغيبة والنميمة، بل الواجب على المسلم ومن حسن خلقه أن يناصر أخاه المسلم ويدافع عنه في غيبته وحضرته، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وَ أَبَا طَلْحَةَ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوَاقِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتُهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي. مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومئة. وطلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جمعا، وأتقن، وجود وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، ولقد كان خلق من طلبه الحديث يتكلفون الحج، وما انحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة، لإمامته وعلو إسناده. وجاور عنده غير واحد من الحفاظ. ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحميدي، والشافعي، وابن المديني، وأحمد، وإبراهيم الرمادي. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز. وعنه قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثا. مات سنة ثمان وتسعين ومئة، عاش إحدى تسعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٤/٨)

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٨٩٦ (٥/٧١٠). صححه الألباني، أصله عند البخاري.

(٣) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب في الغيبة، حديث رقم: ٤٨٧٧ (٤/٤٢٠). صححه الألباني.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط ٢، ١٣٨٨هـ، ج ١٣، ص: ٢٢١.

فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»^(١). ومنهج المسلم فيما يرى من أحوال الناس حيث هم منهم، لا يمكن أن يسدل الحجب على نفسه ويعتزلهم، ويكف عن الحديث معهم، منهجه القول الحسن وأن يشغل لسانه بذكر الله، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢). ومن أعظم ذكر المسلم ربه أن يوحد الله، ويسبحه ويكبره ويحمده، فإن الله يحب الحمد، عن الأسود^(٣) بن سريع قال: قلت: يا رسول الله، ألا أنشدك محمد بن محمد أمي تبارك وتعالى؟ قال: «أما إن ربك عزَّ وجلَّ يحبُّ الحمد»^(٤).

٧ الاستئذان:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، أمرة المسلم بالاستئذان في الدخول على بيته بالسلام على أهله، وعلى غير بيته بالسلام وبطلب الإذن بالدخول، وذلك من أجل غاية عظيمة رفيعة، وهي حفظ عورات الناس من النظر إليها، وعدم شغلهم عن مصالحهم الخاصة، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرَى^(٥) يَحْكُ بِه رَأْسَهُ فَقَالَ: (لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)^(٦). وعليه فإن الله حيي ستر يحب الحياء والستر، عن يعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبِرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»^(٧). فمن آداب الإسلام الحياء وهو شعبة من شعب الإيمان، ومكرمة من مكارم الأخلاق، وليس من الحياء أن يدخل على البيوت خاصة والمجالس عامة دون إذن من أهلها، سواء المستأذن من داخل البيت على أجزائه أو من خارج البيت على البيت، عن عكرمة، أَنَّ تَفَرًّا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي أُمِرْنَا فِيهَا بِمَا أُمِرْنَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا

(١) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب-باب من رد عن مسلم غيبة، حديث رقم: ٤٨٨٦ (٤/٢٢٤). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه-كتاب الأدب-باب فضل الحامدين، حديث رقم: ٣٨٠٣ (٥/٥٥٧). حسنه الألباني.

(٣) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد-مسند المكين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٥٨٦ (٢٤/٣٥٢). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٥) المِدْرَى والمِدْرَاةُ شيء يُعْمَل من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المُشْطِ وأطول منه. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٥٤/١٤).

(٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب الاستئذان-باب الاستئذان من أجل البصر، حديث رقم: ٦٢٤ (٨/٥٤).

(٧) انظر: سنن أبي داود-كتاب الحمام-باب النهي عن التعري، حديث رقم: ٤٠١٤ (٤/٧٠). وانظر: سنن النسائي-كتاب الغسل والتميم-باب الاستئذان عند الاغتسال، حديث رقم: ٤٠٤ (١/٢١٨). صححه الألباني.

الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ} (١) قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ (٢) إِلَى {عَلَيْمٍ حَكِيمٍ}. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السِّرَّ، وَكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبُيُوتِهِمْ سُتُورٌ وَلَا حِجَالٌ فَرُبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالِاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ بِالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ» (٣). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ: (هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى اسْتِئْذَانِ الْأَقَارِبِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ فَهُوَ اسْتِئْذَانُ الْأَجَانِبِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُمْ خَدَمُهُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَطْفَالُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَلْغُوا الْحُلُمَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: الْأَوَّلُ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا ذَاكَ يَكُونُونَ نِيَامًا فِي فُرُشِهِمْ {وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ} أَي: فِي وَقْتِ الْقِيلُولَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَعَ أَهْلِهِ، {وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ} لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّوْمِ، فَيُؤَمِّرُ الْخَدَمُ وَالْأَطْفَالَ أَلَّا يَهْجُمُوا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لِمَا يَخْشَى مِنْ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ وَهَذَا قَالَ: {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} أَي: إِذَا دَخَلُوا فِي حَالٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي تَمْكِينِكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا عَلَيْهِمْ إِنْ رَأَوْا شَيْئًا فِي غَيْرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْمَهْجُومِ، وَلَهُمْ {طَوَافُونَ} عَلَيْكُمْ، أَي: فِي الْخِدْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَغْتَفِرُ فِي الطَّوَافِينَ مَا لَا يَغْتَفِرُ فِي غَيْرِهِمْ (٤) وَنَعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْاسْتِئْذَانَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي تَوْثِّرُ فِي مَحَبَّةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، بِحِفْظِ حُرْمَاتِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَتَنْظِمِ شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ، وَيَزِدَادِ النَّاسِ مَحَبَّةَ لِبَعْضِهِمْ الْبَعْضِ، وَبِدُونِ الْاسْتِئْذَانِ تَعَمُّ الْفَوَاضِي، وَتَخْدُشُ الْحُرْمَاتِ، وَتَنْتَشِرُ الْجُرَيْمَةُ، وَتَفْشُو الْعِدَاوَةُ الْمَنَافِيَةُ لِلْمَحَبَّةِ. وَمِنَ الْأَدَبِ أَنْ إِذَا مَنَعَ الْمُسْتَأْذَنُ مِنَ الدَّخُولِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ مَانِعٌ فَلْيَرْجِعْ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٥) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (٥) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ. فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى، السَّلَامُ

(١) سورة النور: ٥٨.

(٢) عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب الاستئذان في العورات الثلاث، حديث رقم: ٥١٩٤ (٤/٥١٤). حسنه الألباني.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ٢ ط، ١٤٢٠ هـ، ج ٦، ص: ٨١

(٥) سورة النور: ٢٧ - ٢٨.

عَلَيْكُمْ هَذَا الْأَشْعَرِي. ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ، رُدُّوا عَلَيَّ. فَجَاءَ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ كُنَّا فِي شُغْلٍ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ». قَالَ: لَتَأْتِيَنِي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٌ وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ. فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ عَشِيَّةً، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجِدُوهُ. فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالْعَشِيِّ وَجَدُوهُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ، أَقَدْ وَجَدْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ أَبِي بَنَ كَعْبٍ. قَالَ: عَذَلُ. قَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَلَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّمَا سَمِعْتُ شَيْئًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَشَبَّهَ^(١).

٨ (السهر في غير طاعة:

أحوال الناس النظامية في الوقت تختلف من زمان لآخر، وتبقى الثوابت الكونية والقواعد الشرعية المرعية، هي الحاكمة في حياة المجتمع المسلم، فإن الله جعل الليل سكناً ولباساً وحاله مظلماً، وجعل النهار نشوراً ومعاشاً وحاله مبصراً، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)^(٢) ومن ذلك فإن نهج المسلم الاستجابة لأمر الله بالشكر على نعمة عبادته وآلائه الجزيلة، والإحسان في استثمار الوقت بالنفع والتدبر والاستبصار، بما في الليل والنهار من العبر والآيات، قال الله تعالى: (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)^(٣) ومن أخلاق المسلم الحسنة، البعد عن سهر الليل إلا من طاعة مقتدرة، عَنْ سَيَّارٍ^(٤) بَنٍ سَلَامَةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ^(٥)، فَقَالَ لَهُ أَبِي: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ؟ فَقَالَ: كَانَ يُصَلِّي الْهَجِيرَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْأُولَى حِينَ تَذْخَضُ الشَّمْسُ وَيُصَلِّي الْعَصْرَ ثُمَّ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَى رَحْلِهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ - وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ، وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخَّرَ الْعِشَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةُ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَكَانَ يَنْقُطُ مِنْ صَلَاةِ الْعِدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ وَيَقْرَأُ بِالسَّيِّئِ إِلَى الْمِئَةِ^(٦). قال ابن حجر في الفتح: (قوله وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها لأن النوم قبلها قد

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الأدب-باب الاستئذان، حديث رقم: ٥٧٥٣ (٦/١٧٩).

(٢) سورة غافر: ٦١.

(٣) سورة النور ٤٤.

(٤) سيار بن سلامة الرياحي، أبو المنهال البصري، ثقة، روى عن أبي بركة وأبي العالية وشهر بن حوشب، وروى عنه التيمي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء وشعبة وعوف وحماد بن سلمة وسكين بن عبد العزيز، مات سنة تسع وعشرين ومائة، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٢٥٥) والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأبي نصر البخاري الكلاباذي (١/ ٣٣٩).

(٥) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام

(٦) انظر: صحيح البخاري-كتاب مواقيت الصلاة-باب وقت العصر، حديث رقم: ٥٤٨ (١/١١٥).

يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمير بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصباح أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك ويقول أسمرا أول الليل ونوماً آخره، وإذا تقرر أن علة النهي ذلك، فقد يفرق فارق بين الليالي الطوال والقصار، ويمكن أن تحمل الكراهة على الإطلاق حسماً للمادة؛ لأن الشيء إذا شرع لكونه مظنة قد يستمر فيصير مثلاً^(١) ولو نظر المعتبر المستبصر لوجد أن السهر في الليل تقوم عليه مفسد عديدة على الفرد والمجتمع: منها، الضعف الاقتصادي؛ فمن سهر الليل كسل في عمل النهار، ومنها الضعف العلمي؛ فمن سهر الليل كسل عن استيعاب العلم وطلبه، ومن سهر الليل لم يأنس وحشة في الظلام والسكون وكثرت الجريمة بالمستوحشين، ومن سهر الليل ولهى عن الطاعة غلبته المعاصي والملاهي والفتن، وأي مكسب لأمة ضعف اقتصادها وعلمها، وكثرت فيها الجرائم والمعاصي والفتن. هذه النظرة التأملية هي دعوة من الدعاة إلى الله، للحث على كسب وقت الليل بين النوم محبة لراحة البدن وبين نفحات ربانية وصلوات ودعوات مخصصة، تزيد في بركة الفرد والجماعة، وهي من علامات الإيمان والتقوى وحفظ الله. قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^(٢) و الفرق بين أخلاق من سهر في الطاعة والعبادة والعلم في راحة دون رهق، وبين أخلاق من سمر على المعصية في قلق و رهق، فالأول في سرور ونور، والآخر في كدر وضيق. وبه يصنف السهر والسمير بعد العشاء في باب الكراهة، والسهر بالحرمان أو عليه فهو غير مختص بوقت معين، بل الحكم لازم من فعله وليس من وقته.

٩) الزهد:

الزهد في اللغة من (زهد) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الزاء والهاء والذال أصل يدل على قلة الشيء. والزهد: الشيء القليل. وهو مُزْهِدٌ: قليل المال)^(٣) وحقيقة الزهد أنه خلق مكتسب يعني: التقليل من متاع الحياة الدنيا، وأبان ابن القيم أقسام الزهد إجمالاً والفرق بينه وبين الورع في كتابه الفوائد، قال: (الزهد أقسام: زهد في الحرام وهو فرض عين، وزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه، وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٢، ص: ٧٣.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، مادة (زهد).

الخطوط والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع ^(١) وقد ورد في السنة أن الزهد وسيلة لكسب الناس، عندما تقلل الطلب منهم، فعادة النفس تنفر من يأخذ منها، وتحب من يعطيها، وهو وسيلة محبة الله، فإن المسلم كلما أقلل من الدنيا متاعا، كان أكثر توجها للعبادة والطاعة والآخرة، وأخف حملا من الأوزار يوم القيامة، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَارْزُقْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ) ^(٢). والمقصود أن إرسال النفس في الدنيا وملذاتها من شأن الكافرين الذين قصر نظرهم إلى هذه الدار، أما المؤمن فيرى الدنيا دار فناء وعبور لدار البقاء، الآخرة، ولا يعني الزهد حرمة ما أحل الله قال الله تعالى: (يَبْنَئِ عَادَمٌ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ^(٣) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ^(٤) كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ^(٥) وما صح به الخبر ^(٦) أن النبي ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، أورد السندي على ذلك تعليقا قال: (قوله: (يحب الحلواء والعسل) ليس المراد أنه كان يكلف بصنعه، أو بإحضاره بل المراد أنه لو أتفق حضوره كان يتناول منه قدراً صالحاً فيستدل به على أنه يحبه، والله تعالى أعلم) ^(٧) والزهد لا ينافي اللباس الحسن، ولا يعني ترك المال والملك والرياسة، بل الجمع بينها محمداً، ولكن كل شخص بحسب حاله، ومدى معرفته بمصالح نفسه وعلاقتها بالدنيا والآخرة، وفقهه لأحوالها، عن عامر بن سعد، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ فِي إِبِلِهِ. فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ. فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكَبِ. فَنَزَلَ. فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ» ^(٨). والزهد هنا في الحديث يظهر من شخص شهد له التاريخ بالمكان العلي في الدنيا والآخرة إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو قائد المسلمين المنتصر في معركة القادسية ١٥هـ ضد الفرس، وتركه للملك هنا ترك نزاهة وتقوى وورع، قال ابن القيم في مدارج السالكين: (قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه الأول:

(١) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ — ص: ١٨٨.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب الزهد- باب الزهد في الدنيا، حديث رقم: ٤١٠٢ (٢٢٥/٥). حسنه الألباني لغيره.

(٣) سورة الأعراف: ٣١ - ٣٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأطعمة- باب الحلواء والعسل، حديث رقم: ٥٤٣١ (٧٧/٧).

(٥) حاشية حاشية السندي على صحيح البخاري، محمد بن عبد الهادي السندي، بيروت: الناشر: دار الفكر، ج ٣، ص: ١١٤.

(٦) انظر: صحيح مسلم- كتاب الزهد والرفائق، حديث رقم: ٧٦٢١ (٨/٢١٤).

ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين، وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم باخل الأعلى وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد، والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة، وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد، كالزهد لعبد الله ابن المبارك وللإمام أحمد ولوكيع و لهناد^(١) بن السري ولغيرهم، ومتعلقه ستة أشياء: لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها، وهي المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله، وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال وكان الحسن بن علي رضي الله عنه من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير^(٢) وكلما كان المسلم زاهدا في الدنيا فهو على محبة من الله، وكلما كان عافا عما في أيدي الناس من متاع الحياة الدنيا فهو على محبة من الناس.

١٠ (المروءة:

المروءة في اللغة من (مرأ) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الميم والراء والهمزة. وإذا هُمَزَ خَرَجَ عن القياس وصارت فيه كلمات لا تنقاس. يقال امرؤ وامرآن، وقوم امرئ. وامرأة تأنيث امرئ. والمروءة: كمال الرجولية، وهي مهموزة مشددة، ولا يُبنى منه فعل. والمرأة: مصدر الشيء المريء الذي يُستمرأ^(٣) وأجمع العلماء بأنها صفة تجمع فضائل الأخلاق ودلائل الكرم، قال الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين: (اعْلَمْ أَنَّ مِنْ شَوَاهِدِ الْفَضْلِ وَدَلَائِلِ الْكَرَمِ الْمَرْوَةُ الَّتِي هِيَ حَلِيَّةُ النَّفْسِ وَزِينَةُ الْهَمَمِ. فَالْمَرْوَةُ: مُرَاعَاةُ

(١) هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شير التميمي الدارمي أبو السري الكوفي، الإمام الحجة، الإمام الحجة القدوة زين العابدين، محدث، زاهد، من حفاظ الحديث، كان شيخ الكوفة في عصره، ويقال له " راهب الكوفة " مصنف كتاب " الزهد " وغير ذلك، روى أبو العباس السراج أنه قال: ولدت سنة اثنتين وخمسين ومائة، مات في يوم الأربعاء آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٥/١١) والأعلام للزركلي (٩٦ / ٨) وتهذيب الكمال للمزي ٧٤٢ (٣٠ / ٣١١) و رجال مسلم لأبي بكر الأصبهاني (٣٢٨ / ٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ، ج ٢ ص: ١٢ - ١٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥ ص:

الْأَحْوَالِ النَّبِيِّ تَكُونُ عَلَى أَفْضَلِهَا حَتَّى لَا يَظْهَرَ مِنْهَا قَبِيحٌ عَنْ قَصْدٍ وَلَا يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا ذَمٌّ بِاسْتِحْقَاقٍ^(١) وإن كان العقل يأمر بالأنفع من الأمور وبه تميز العقلاء بالحكمة، فإن المروءة تأمر بالأجل والأكمل من الأخلاق، وبها تميز أهل الفضل من الرجال والنساء، ومن دواعيها ومؤثراتها وآثارها المحبة، فمحبة المرء لنفسه تدعوه إلى علو المهمة وشرف النفس وهي من دواعي المروءة، ومن شروطها العفة عن الحارم والمآثم بكبح جماح الشهوة حذرا من الوقوع في الزلل، ومن مؤثراتها التزاهة عن المطامع الدنية ومواقف الريبة ومن مؤثراتها المؤازرة والتيسير والإفضال بالجاه والمال، حال السعة والنوائب، ومن جوامعها الكرم والسماحة والإيثار، وهذا ما تميز به الصحابة رضوان الله عليهم الذين تتلمذوا على رسول الهدى، والمثل الأعلى في الدعوة إلى الله ﷺ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: أَخْبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فَأَخْبَى بَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: إِنَّ لِي مَالاً فَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَانِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَأَنْظُرْ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ فَأَنَا أُطْلِقُهَا فَإِذَا حَلَّتْ فَتَزَوَّجْهَا قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُونِي أَيُّ عَلَى السُّوقِ فَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى رَجَعَ بِسَمْنٍ وَأَقِطَ قَدْ أَفْضَلَهُ قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ أَثَرَ صُفْرَةٍ فَقَالَ: «مَهْيِمٌ» فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٢). أورد ابن حجر في الفتح فوائد وأحكاما عديدة من هذا الحديث منها ما يخص المروءة، قال: (وفي الحديث أيضا منقبة لسعد بن الربيع في إثارته على نفسه بما ذكر، ولعبد الرحمن بن عوف في تزهده عن شيء يستلزم الحياء والمروءة اجتنابه، ولو كان محتاجا إليه، وفيه استحباب المؤاخاة، وحسن الإيثار من الغني للفقير، حتى بإحدى زوجتيه، واستحباب رد مثل ذلك على من آثر به؛ لما يغلب في العادة من تكلف مثل ذلك، فلو تحقق أنه لم يتكلف جاز، وفيه أن من ترك ذلك بقصد صحيح عوضه الله خيرا منه، وفيه استحباب التكسب، وأن لا نقص على من يتعاطى من ذلك ما يليق بمروءة مثله، وكراهة قبول ما يتوقع منه الذل من هبة وغيرها، وأن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى، لتزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها، وفيه استحباب الدعاء للمتزوج، وسؤال الإمام والكبير أصحابه وأتباعه عن أحوالهم، ولا سيما إذا رأى منهم ما لم يعهد، وجواز خروج العروس وعليه أثر العرس من خلوق وغيره)^(٣) والمروءة تبرز في كف الظلم عن غيره محبة وإحسانا، وسعيا بالعدل ولو مع نفسه، وتبرز في إعطاء الحق لمستحقه محبة وزكاة ولو من نفسه، لأن الظلم مثل المروءة الأول والأخير، قال ابن حزم: (ووجدت أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإثاره، فما استعنت على قمع هذه الطوابع الفاسدة، وعلى كل خير في الدين والدنيا، إلا بما في قوتي من ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى. وأما من طبع على الجور واستسهاله،

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة: دار الفكر، ص: ٣٠٦.

(٢) انظر سنن النسائي-كتاب النكاح-باب الهدية لمن عرس حديث رقم: ٣٣٥٢ (٤٢٩/٦). صححه الألباني. وأصله عند البخاري.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ٢٣٥.

وعلى الظلم واستخفافه؛ فليأس من أن يصلح نفسه؛ أو يقوم طباعه أبداً، وليعلم أنه لا يفلح في دين ولا في خلق محمود^(١) وكل عصر يختلجه معالم أخلاقية تبرز على ساحة الدعوة إلى الله في أشخاص العلماء المخلصين والدعاة الصادقين، امتازوا ببذل الجهد في الدعوة إلى الله واتصفوا بالمروءة ولعل من أبرزهم في عصرنا، الشيخان الفاضلان: عبد العزيز^(٢) بن عبد الله بن باز ومحمد^(٣) بن صالح بن عثيمين يرحمهما الله.

المطلب الثاني: المعاملات

المعاملات هي جمع معاملة وأصلها من (عمل) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عامٌّ في كلِّ فعلٍ يُفعل. قال الخليل: عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فهو عامل؛ واعتمل الرجل، إذا عمل بنفسه. قال:

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْمَلُ *** إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ

والعمالة: أجر ما عمل. والمعاملة: مصدرٌ من قولك عاملته، وأنا أعامله معاملةً. والعملة: القوم يعملون بأيديهم ضروباً من العمل، حفرًا، أو طياً أو نحوه^(٤) وقد أمر الإسلام المسلم بالكسب والعمل وحسن المعاملة، والمعاملة على طرفي نقيض في الأثر، المحبة أثر مع الحسن فيها، والعداوة أثر مع السوء فيها، والمحبة مؤثرة في المعاملة حيث يسعى كل امرئ في كسبها من عدة وجوه، قال الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)^(٥) وقد نزلت^(٦) في الذين أسلموا ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة طمعا في محبوباتهم من القرابة والأموال والتجارة والمساكن، مقدميها على حب طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله، قال القرطبي في تفسيره: (وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب. وقد

(١) الأخلاق والسيرة، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، الأندلسي، تحقيق: عادل أبو المعاطي، القاهرة: دار المشرق العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ص: ٩٠.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولد عام ١٣٣٠ هـ وتوفي عام ١٤٢٠ هـ ودفن في مكة المكرمة، وتولى الإفتاء ومنصب مفتي عام المملكة العربية السعودية من عام ١٣٩٥ هـ إلى وفاته، إمام في الدعوة إلى الله، عاش متبعا لمنهج السلف الصالح في الدنيا والدين علما وعملا، وجهوده البارزة في هذا العصر وأثره العلمي والإعلامي، وما كتب عنه يغني عن التعريف به.

(٣) محمد بن صالح بن عثيمين، ولد عام ١٣٤٧ هـ وتوفي عام ١٤٢١ هـ ودفن في مكة المكرمة، تولى إمامة الجامع الكبير بـعنيـزة، وكان أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى وفاته، إمام في الدعوة إلى الله، عاش متبعا لمنهج السلف الصالح في الدنيا والدين علما وعملا، وجهوده البارزة في هذا العصر وأثره العلمي والإعلامي، وما كتب عنه يغني عن التعريف به.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، ج ٤. ص: ١٤٥.

(٥) سورة التوبة: ٢٤.

(٦) قال ابن جرير الطبري في تفسيره: يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: (قل) يا محمد، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بـدار الشرك... الآية (سورة التوبة: ٢٤) (ج: ١٤ - ص: ١٧٧). وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

مضى في "آل عمران" معنى محبة الله تعالى ومحبة رسوله. (وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا) صيغته صيغة أمر ومعناه التهديد. يقول: انتظروا. (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) عني بالقتال وفتح مكة عن مجاهد. الحسن: بعقوبة آجلة أو عاجلة، وفي قوله: " وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ " دليل على فضل الجهاد، وإيثاره على راحة النفس وعلائقها بالأهل والمال^(١)، ويظهر من معنى الآية الكريمة إقرار الإسلام للمحبة الفطرية والمكتسبة، لما في هذه الحياة الدنيا من متاع معنوي وحسي؛ تبعته الفطرة ويكتسب من مواقف الحياة، ولكن الاستمتاع بها يجب أن يكون مسبوقا بمحبة والله ورسوله وطاعتهما، وكذلك الإحسان في المعاملة مع أولي القربى وغيرهم، تبعته المحبة الفطرية الطبيعية لذوي النسب؛ لكن كذلك يجب أن يكون موافقا لأحكام الشريعة في العقيدة والمعاملات، وقد أحسن النبي ﷺ لعمه أبي طالب المعاملة حتى آخر حياته؛ لما وجده منه من حسن المعاشرة والمنصرة والنصح، وحرص ﷺ على هدايته بنص القرآن الكريم، قال فضيلة الشيخ ابن عثيمين (وقوله: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } ظاهره أن النبي ﷺ يجب أبا طالب، فكيف يئول ذلك؟ والجواب: إما أن يقال: إنه على تقدير أن المفعول محذوف، والتقدير من أحببت هدايته لا من أحببته هو، أو يقال: إنه أحب عمه محبة طبيعية كمحبة الابن أباه ولو كان كافرا، أو يقال: إن ذلك قبل النهي عن محبة المشركين، والأول أقرب؛ أي: من أحببت هدايته لا عينه، وهذا عام لأبي طالب وغيره، ويجوز أن يحبه محبة قرابة، ولا ينافي هذا المحبة الشرعية، وقد أحب أن يهتدي هذا الإنسان، وإن كنت أبغضه شخصا لكفره، ولكن لأني أحب أن الناس يسلكون دين الله^(٢) أما حسن المعاملة في التجارة، فقد أكد الشارع عليه في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا بَأْيْدِكُمُ إِلَى الْكَلْكَاءِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(٣) وعن عثمان بن عفان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (أدخل الله عز وجل رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا وقاضيا ومقتضيا الجنة)^(٤). ومن أهم مظاهر حسن المعاملة التي وردت فيها نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب ما يلي:

١) الصدق في المعاملة:

إن المعاملات الاجتماعية من الصلات بين ذوي القربى وأهل الجيرة والصدقة، وكذلك البيع والشراء والقضاء وما فيها من معاملات ونحوه، إن لم تقم على المصداقية، دخلتها الريبة من الكذب، وخرج من خلالها الغش والقطيعة والبغضاء، وإن تخللها الصدق فقد عمرت بالمحبة والصلة، قال الله تعالى: (يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)^(٥) وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْبَيْعَانِ

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٨، ص: ٩٥ - ٩٦.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي، ط ١، محرم ١٤٢٤هـ، ص: ٣٤٨.

(٣) سورة البقرة: ١٩٥.

(٤) انظر: سنن النسائي-كتاب البيوع-باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة، حديث رقم: ٤٧١٠ (٣٦٥/٧). حسنه الألباني.

(٥) سورة التوبة: ١١٩.

بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا^(١) والصدق في عموميه منقبة وخلة اتصف بها المسلمون و امتازوا بها عن غيرهم من الأمم الذين تجرؤوا فيها بالكذب على الله وتحريف كتبه وقتل رسله، بل تميزوا بها في الدعوة إلى الله، فقد انتشر الإسلام في كثير من البلدان عن طريق أخلاق المسلمين ومن أهمها المصداقية في المعاملة من الصدق والأمانة وحفظ العهد والوعد وأداء الحق، حيث تعلموا ذلك من معلم البشرية الخير الذي علمهم الحب والصدق في المعاملة حتى في أضييق وأشد أمور الحياة وهو الجهاد في سبيل الله، عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلَانِ لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: واللَّهِ لا أحملكم على شيء. ووافقتُهُ وهو غضبانُ ولا أشعرُ، ورجعتُ حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مَخَافَةٍ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ في نفسه عليّ، فرجعتُ إلى أصحابي فأخبرتهمُ الذي قال النبي ﷺ، فلم أَلِثُ إِلَّا سُوءِيعةً إذ سمعتُ بلالاً ينادي: أي عبدَ الله بن قيس، فأجبتُهُ، فقال: أجِبْ رسولَ الله ﷺ يدعوك. فلما أَتَيْتُهُ قال: خذ هذين القَرَيْنَيْنِ - لستَ أبعرة ابتاعهنَّ حينئذٍ من سعدٍ - فانطلقْ بهنَّ إلى أصحابك فقل: إِنَّ اللَّهَ - أو قال: إِنَّ رسولَ ﷺ - يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَارْكَبُوهُنَّ. فانطلقتُ إليهم بهنَّ فقلت: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، ولكني واللَّهِ لا أدعكم حتى يَنْتَظِقَ معي بعضكم إلى مَنْ سَمِعَ مَقَالََةَ رسولِ الله ﷺ لا تَنْظُتُوا أُنِي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً لم يَقُلْهُ رسولُ الله ﷺ. فقالوا لي: إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ، وَلِنَفْعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ، فانطلقَ أبو موسى بنفرٍ منهم حتى أَتَوْا الَّذِينَ سَمِعُوا قولَ رسولِ الله ﷺ، مَنَعَهُ إِيَّاهُمْ ثُمَّ إعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حَدَّثْتُهُمْ به أبو موسى^(٢). ومن هذا الموقف في هذا الحديث أذكر بعض الدروس ذات الصلة بصدق المعاملة، ومنها: أن الجهاد في أعظم مهامه وهو القتال في سبيل الله، يحتاج المقاتلون فيه إلى العدة والعدد والوفاق؛ ولا يقوم ذلك إلا بالتعاون والتخطيط بمشاركة الجميع، وهو ما كان في غزوة تبوك حيث كانت في بعد مسافة وحر شديد، فتسابق الصحابة بتجهيز الجيش ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه. وهنا يكون الفرق بين أهل الصدق وأهل النفاق فقد قال المنافقون، مقالات الإبطاء و الخلف و الخلاف، قال الله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ٥٨) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. ومن هذه الدروس أن القائد الأعلى للجيش هو المرجع في التخطيط والإعداد؛ فيجب ألا يشغل بمسائل فردية، وألا يكلف ما لا يملك، بل يعان في قضائها ليتفرغ لما هو أهم، قال أبو موسى رضي الله عنه: (أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلَانِ لهم) وكان النبي ﷺ كما وصف أبو موسى رضي الله عنه أنه غضبان، وحينها لقي الجواب بالمنع لأن النبي ﷺ لم يكن يملك ما يحملهم

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب البيوع- باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، حديث رقم: ٢٠٧٩ (٥٨/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي- باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، حديث رقم: ٤٤١٥ (٢/٦).

عليه، ولموقف عبد الله بن قيس جمال في حسن المعاملة والمحبة، وهو حق الراعي على الرعية، أن يحرصوا على رضاه، قال أبو موسى رضي الله عنه: (ورجعتُ حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليّ) وكذلك يجد المتأمل صدق الراعي مع الرعية وحرصه على رضاهم والاستجابة لمطالبهم حين القدرة، فاستجاب لهم رسول الله ﷺ حين ملك ما يحملهم عليه، ويتضح حسن التعامل القائم على الصدق والمحبة بينهم، حين قاموا مع أبي موسى رضي الله عنه بالتأكد أنها جاءت من عند رسول الله ﷺ، قال: (فقالوا لي: إنك عندنا لمصدق، ولنعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد).

٢ (إنظار المعسرين:

إن الناس قد قسمت معيشتهم، وقضى الرب جل وعلا رزقهم، والحياة بين الغنى والفقر، والله هو الرزاق ذو القوة المتين، ومما يسعد به مجيء الإسلام بنظام متكامل ينطلق من التشريع الرباني في النظام الاقتصادي والتكافل الاجتماعي ونظام الحياة عامة، ومن حسن المعاملة فيه ألا يبقى فقير بين أغنياء، وألا يشتد مؤسر على معسر، لأن الإسلام يسر، وحث عليه في العبادات و المقايضات والقروض، وهو سبيل محبة وطريق ألفة بين المسلمين، قال الله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ فَبَلِّغُوا إِلَيْهِمْ رِسَالَتَهُ لَعَلَّ الْفُجُورَ يَنْقُصُ) (١) وقال الله تعالى: (فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (٢) وقال الله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (٣) عَنْ أَبِي الْيُسْرِ (٤)، صَاحِبِ النَّبِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ فَلْيَنْظُرْ مُعْسِرًا، أَوْ لِيَضَعْ لَهُ» (٥). والإنظار يكون بتأجيل الدين من بداية الاتفاق على سعة من المدين أو بتأجيله بعد وقت حلوله أو بتركه أو بعهذه أو بالتصدق عليه. وعن أَبِي مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ» (٦). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (والتجاوز والتجاوز معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما

(١) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٢) سورة الشرح: ٥ - ٦.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

(٤) كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد الأنصاري السلمي. من بني سلمة، أبو اليسر، وهو مشهور بكنيته. شهد العقبة ثم بدرًا وهو ابن عشرين سنة. ومات بالمدينة سنة خمس وخمسين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٤١٠).

(٥) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الصدقات - باب إنظار المعسر، حديث رقم: ٢٤١٩ (٤/١١٦). صححه الألباني.

(٦) انظر: صحيح مسلم - كتاب المساقات - باب فضل إنظار المعسر، حديث رقم: ٤٠٨٠ (٥/٣٣).

فيه نقص يسير، كما قال وأتجوز في السكة وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه من كثير أو قليل وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء سواء استوفى من موسر أو معسر وفضل الوضع من الدين وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والرحمة^(١) ولا يخفى أن إنظار المعسر من حسن المعاملة، و حسن المعاملة في البيع وغيره - وإن كان في البيع أظهر وأحرى - بين المسلمين يزيد المحبة بينهم، وبين المسلمين وغيرهم يجب الإسلام إليهم ويكون سببا في هدايتهم إلى دين الله. وبما أن المال يعد عصب الحياة الاقتصادية، موردا ومصدرا، فلا غناء عن التعاون بين الناس فيه، عن طريق التجارة والإجارة والدين وغيرها، ولا يتحقق معنى التعاون فيه إلا بالصدق الذي يشد من أواصر الأخوة بين المسلمين، فإذا كذب المدين على الدائن أو خدعه وماطل في حقه، فسوف يكتسب المجتمع طابع الأنانية الفردية، ويطغى على واجب التعاون بين أفرادها؛ لانتزاع الثقة وضعف المحبة بينهم. وحسن الظن مقدم على سوئه، والأصل البراءة في كل مسلم، ما لم تحدث قرائن مشهودة تصرف إلى غيرها، ولكن يجب عند فشو الخداع أن يتحقق المرء من حقه ونظيره الذي يتعامل معه، وهذا مشهد من مواقف الرعيل الأول نستبين به معاني القول السابقة في فضل إنظار المعسر، وفي التحقق من الإعسار دون الوقوع في الاغترار، وكيف ضربوا لنا المثل الأسمى في الأخلاق والمعاملات، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ^(٢) بَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ. وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ. مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ. وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِيٌّ. وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِيٌّ. فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمَّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سُفْعَةً مِنْ غَضَبٍ. قَالَ: أَجَلْ. كَانَ لِي عَلَى فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيُّ مَالٌ. فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ. فَقُلْتُ: ثُمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا. فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهْ جَفَرٌ. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي. فَقُلْتُ: أَخْرُجْ إِلَيَّ. فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ. فَخَرَجَ. فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللَّهِ، أُحَدِّثُكَ. ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ. خَشِيتُ، وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ. وَأَنْ أَعِدَّكَ فَأُخْلِفَكَ. وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ. وَكُنْتُ، وَاللَّهِ مُعْسِرًا. قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ: اللَّهُ قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ: اللَّهُ قَالَ: اللَّهُ قَالَ: فَأَتَيْتُ بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاها بِيَدِهِ. فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَأَقْضِنِي. وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ. فَأَشْهَدُ بِصُرِّ عَيْنِي هَاتَيْنِ وَوَضَعُ إِصْبَعِي عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمِعْتُ أُذُنِي هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَيَّ مَنَاطُ قَلْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ». فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمَّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٠، ٢٤٤.

(٢) عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري عداده في أهل المدينة روى عن أبيه وأبي اليسر و جابر بن عبد الله. انظر رجال مسلم لأبي بكر الأصبهاني (٢١/٢) قال أبو زُرْعَةَ وَالتَّسَانِي: ثقة، روى له الجماعة، سوى الترمذي. انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٩٩/١٤).

مَعَاذِيكَ، وَأَخَذْتَ مَعَاذِيَّ وَأَعْطَيْتُهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ. يَا ابْنَ أَخِي بَصُرَ عَيْنِي هَاتَيْنِ، وَسَمِعَ أُذُنِي هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَيَّ مَنَاطُ قَلْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَقُولُ: « أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ. وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ». وَكَانَ أَنْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، مُشْتَمِلًا بِهِ. فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبْلَةِ. فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَتُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرَدَاؤُكَ إِلَيَّ جَنِبُكَ؟ قَالَ: فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي هَكَذَا. وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا: أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلُكَ، فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ، فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. ^(١).

(٣) العدل:

لقد رفع الله بالإسلام معاني الظلم كلها، فقد حرمه على نفسه سبحانه وتعالى وجعله بين العباد محرماً، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا..... الحديث) ^(٢) و قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ^(٣) والعدل في معناه الشامل، أن يسعى الإنسان لأداء ما عليه من حقوق على وجه الكمال، ووجه ذلك في باب المحبة، أن الكراهة منبعها الظلم، وأن المودة يمثل العدل أحد أسبابها القوية، فإن العادل ينال محبة الناس ومحبة الله، قال الله تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ^(٤) وعلى هذا سار السلف الصالح في معاملاتهم حال الاتفاق وحال الخلاف: وهنا أذكر مثلين في المعاملة بما جاء بلفظ الحب في نصوص الكتاب والسنة:

المثل الأول: العدل في الأنصبة المفروضة والموازن: قال الله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ^(٥) فأي ما معاملة يجب أن تقوم على العدل وخاصة فيما يقاس ويوزن ويعرف مقداره، فإن انتفى العدل فلا يبقى إلا نقيضه وهو الظلم، وصاحب الحق له الخيار فيما نقص أو انتقص، ويجب أن يباشر العين والوصف فيما وصف، ومحبة النفس لحقها أن ترى العدل فيه، ومحبة الحاكم أن يرضى الرضا بعدل ما حكم، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « لَمَّا افْتُسِحَتْ خَيْبَرُ سَأَلْتُ يَهُودَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى النَّصْفِ مِمَّا خَرَجَ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرُكُمْ فِيهَا

(١) انظر: صحيح مسلم- كتاب الزهد والرقائق- باب حديث جابر الطويل وقصة أبي السير، حديث رقم: ٧٧٠٥ (٨/٢٣٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٦٧٣٧ (٨/١٦).

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) سورة المائدة: ٤٢.

(٥) سورة آل عمران: ٥٧.

عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ التَّمَرُ يُقَسَّمُ عَلَى السُّهُمَانِ مِنْ نِصْفِ خَيْرٍ وَيَأْخُذُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُمُسَ^(١)، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَ كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ مِنَ الْخُمُسِ مِائَةَ وَسْقٍ^(٢) تَمْرًا وَعِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ، فَلَمَّا أَرَادَ عُمَرُ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ أَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُنَّ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُنَّ أَنْ أَقْسِمَ لَهَا نَخْلًا بِخَرْصِهَا مِائَةَ وَسْقٍ، فَيَكُونُ لَهَا أَصْلُهَا وَأَرْضُهَا وَمَاؤُهَا، وَمَنْ الزَّرْعُ مَزْرَعَةٌ خَرْصَ عِشْرِينَ وَسْقًا فَعَلْنَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ نَعْزَلَ الَّذِي لَهَا فِي الْخُمُسِ كَمَا هُوَ فَعَلْنَا^(٣).

المثل الثاني في الشفاعة والصلح: قال الله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^(٤) عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: «أتيتني أروى بنت أويس في نفر من قريش فيهم عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، فقالت: إن سعيد^(٥) بن زيد قد انتقص من أرضي إلى أرضه ما ليس له، وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه، قال: فركبنا إليه وهو بأرضه بالعقيق، فلما رأنا قال: قد عرفت الذي جاء بكم، وسأحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: من أخذ من الأرض ما ليس له طوقه إلى السابعة من الأرض يوم القيامة، ومن قتل دون ماله فهو شهيد^(٦)» أورد بدر الدين العيني في عمدة القارئ: (وكانت شكته إلى مروان^(٧) في أرض فقال: سعيد تروني ظلمتها وقد سمعت رسول الله يقول الحديث فترك سعيد لها ما

(١) سورة الأنفال: ٤١. قال الله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ النَّبِيِّ) السَّبِيلِ

(٢) (وسق) الواو والسين والقاف: كلمة تدلُّ على حَمْلِ الشَّيْءِ. وَوَسَقَتِ الْعَيْنُ الْمَاءَ: حَمَلَتْهُ. قال الله سبحانه: {وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ} [الانشقاق ١٧]، أي جَمَعَ وَحَمَلَ. ومنه الوَسْقُ، وهو ستون صاعاً. وَأَوْسَقَتِ الْبَعِيرُ: حَمَلَتْهُ حِمْلُهُ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٩/٦).

(٣) انظر: سنن أبي داود-كتاب الخراج والإمارة والفيء- باب ما جاء في حكم أرض خيبر، حديث رقم: ٣٠١٠ (١١٨/٣) حسن إسناده الألباني.

(٤) سورة الشورى: ٤٠.

(٥) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمه فاطمة بنت بعجة بن أمية، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدرًا، وكان آدم طوالاً أشعر، من العشرة المبشرين بالجنة، عن نافع أن سعيد بن زيد مات بالعقيق وحمل إلى المدينة فدفن بها، وذلك في سنة خمسين أو إحدى وخمسين وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة والله أعلم. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي (٣٦٢/١).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد- مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، حديث رقم: ١٦٢٨ (١٧٣/٣). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٧) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموى، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب (بنو مروان) ودولتهم (المروانية). ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذها كاتباً له. ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه. وقاتل مروان في وقعة (الجملة) قتالاً شديداً، وانحزم أصحابه فتواری. وشهد (صفين) مع معاوية، ثم آمنه علي، فأثابه فبايعه. وانصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فولاه المدينة (سنة ٤٢ - ٤٩ هـ) وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام. ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان. ثم عاد إلى المدينة. وحدث فتى كان من أنصارها، وانتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر.

ادعت. وقال: اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها وتجعل قبرها في بئر، قالوا فو الله ما ماتت حتى ذهب بصرها فجعلت تمشي في دارها فوقعت في بئرها^(١) والظلم في قطع الأراضي بغير حق، أمر حذر الشارع من الظلم فيه وتوعد الظالم بالتطويق بما ظلم منه، أورد ابن حجر في الفتح: (قال الخطابي: قوله طوقه له وجهان، أحدهما: أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى الخشر ويكون كالطوق في عنقه لا أنه طوق حقيقة. الثاني: معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقاً في عنقه^(٢))

٤) الوفاء:

الوفاء من أعلى الصفات في توثيق العلاقات، وصدق المعاملات، والوفاء للغير هو وفاء للنفس، وأحسن الوفاء وأكمله هو الوفاء مع الله، حيث يشمل الوفاء لله الوفاء للخلق بأداء الحقوق ومنع العقوق، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوفاء، وجعلهم من أهل البر والتقوى، قال الله تعالى: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)^(٣) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَأَنْ أَنْصَحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ - قَالَ - وَكَانَ إِذَا بَاعَ الشَّيْءَ أَوْ اشْتَرَاهُ قَالَ «أَمَّا إِنَّ الَّذِي أَخَذْنَا مِنْكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا آعْطَيْنَاكَ فَاخْتَرْ»^(٤). أي لك الخيار إذا كنت تريد أن ترجع فارجع، كأنه يريد أن تطيب نفسه بالبيع ويخلص له النصيحة في الشراء وفاء له ووفاء ببيعته للنبي ﷺ، وفي رواية الإمام أحمد في مسنده: (قال لصاحبه: تعلمن والله لما أخذنا أحب إلينا مما أعطيناك، كأنه يريد بذلك الوفاء^(٥)) وهذا من كمال الانقياد من الصحابة رضي الله عنهم في البيعة و الاتباع وهو درس عظيم في الدعوة إلى الله حيث الوفاء يجب أن يتحلى به الداعية وأن يتعامل به مع الناس ويدعو إليه فتشيع الحجة في المجتمع.

ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد ثم اعتزل معاوية الخلافة، وكان مروان قد أسن فرحل إلى الجابية (في شمالي حوران) ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن (سنة ٦٤) ودخل الشام فأحسن تدبيرها، وخرج إلى مصر وقد فشت في أهلها البيعة لابن الزبير، فصالحوا مروان، فولى عليهم ابنه (عبد الملك) وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره، وتوفي فيها بالطاعون. انظر: الأعلام للزركلي (٢٠٧/٧).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني الحنفي ، بيروت: دار الفكر ، ج ١٢، ص: ٢٩٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ١٠٤.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في النصيحة، حديث رقم: ٤٩٤٧ (٤/٤٤٢). صححه الألباني.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٩٢٢٩ (٣١/٥٥٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٥) المعاملة بالمثل في محبة الخير للنفس:

إن القوانين الوضعية والمراسيم الحكومية والمبادئ الدولية التي حاولت أن ترسم وتخط السعادة للناس في حياتهم، لم تصل إلى أدنى مستوى في حسن التعامل العادل بين البشر، حيث ترفع قوما وتضع آخرين، بل تنتقص هذه المواثيق عند أناس دون آخرين، ولكن مبدأ الإسلام العظيم أن الناس سواسية كأسنان المشط في الحقوق الإنسانية، وغرس هذا المبدأ في نفوس أتباعه قال الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١) ومن هذه الآية أكد أهل التأويل، أن التقوى ميزان التفاضل عند الله ومن دواعيها أن يحب الإنسان للناس ما يحب لنفسه، وإذا أراد من الناس شيئا عليه أن يؤدي إليهم الذي لهم عليه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَاتَّيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ^(٢) وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنْ أَمَّتْكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَتَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيُطْعِمَهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ ». فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أُنْشِدُكَ اللَّهَ آتَتْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) قَالَ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطْعَمَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.^(٣)

٦) الولاء لمن أعتق:

إن بني آدم حين تفرقت بهم السبل واختلّفوا عن نهج أبيهم آدم و اجتالتهم الشياطين عن طريق التوحيد، أرسل الله الرسل لإنقاذهم من الضلالة إلى الهدى، قال الله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سبق بيانه، انظر: فهرس الألفاظ الغريبة.

(٣) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمامة-باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول حديث رقم: ٤٨٨٢ (١٨/٦).

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١) ومن واقع الحياة البشرية أن قام بينهم التدافع الذي به صلاح الأرض، وظهرت في العلاقات البشرية سيطرة الغالب على المغلوب، ونتج عنه ما يسمى الرقيق والموالي، ومن حسن الإسلام أن جاءت تشريعاته، بتحرير الأرقاء ومكاتبة الموالى على الحرية، بل حثت أوامره في تكفير الخطايا بهذا الأمر، وجعلت له فضيلة في الأجر عموماً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصُوٍ مِنْهُ عَصُوًا مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ)^(٢). وجعل الإسلام حقوق الولاء لمن أعتق وليس لمن ملك ثم قبض الثمن، وهذا الأمر جعل المحبة قائمة بين المالك والمملوك على حق التملك، وبين المعتق والمعتق على حق العتق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « جاءني بريرة فقالت: كاتبٌ أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية، فأعيني. فقلت: إن أحبَّ أهلك أن أعدّها لهم، ويكونَ ولاؤك لي فَعَلْتُ. فذهبت بريرة إلى أهلها فقالت لهم، فأبوا ذلك عليها، فجاءت من عندهم ورسولُ الله ﷺ جالسٌ فقالت: إني قد عرضتُ ذلكَ عليهم، فأبوا إلا أن يكونَ الولاءُ لهم. فسمِعَ النبيُّ ﷺ فأخبرتُ عائشةَ النبيَّ ﷺ فقال: خُذِيهَا واشترطي لهم الولاءَ، فإنما الولاءُ لمن أعتق. ففعلتُ عائشةُ ثمَّ قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثمَّ قال: أما بعدُ ما بال رجالٍ يشترطونَ شروطاً ليست في كتابِ الله، ما كان من شرطٍ ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ وإن كان مائةَ شرطٍ، قضاءُ اللهِ أحقُّ، وشرطُ اللهِ أوثقُ، وإنما الولاءُ لمن أعتق^(٣). قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: (أجمع العلماء أن من شرط ما لا يجوز في السنة أنه لا ينفعه شرطه ذلك، وأنه مردود في بيع كان الشرط، أو عتق، أو غير ذلك من الأحكام؛ لأن النبي ﷺ لم يخص شيئاً دون غيره، بل عم الأشياء كلها في حديث بريرة، وقد تقدم اختلافهم في جواز البيع والشرط في كتاب البيوع. وقوله: (كل شرط ليس في كتاب الله)، معناه في حكم الله وقضائه من كتابه، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، فهو باطل. وفي حديث بريرة دليل على اكتساب المكاتب المال بالسؤال، وأن ذلك طيب لمولاه، وهذا يرد على من قال، هو قول ابن عمر: ذلك أوساخ الناس؛ لأن ما طاب لبريرة أخذه طاب لسيدها أخذه منها، اعتباراً باللحم الذي كان عليها صدقة، وللنبي ﷺ هدية، واعتباراً أيضاً بجواز معاملة الناس للسائل، وقد تأول قوم من العلماء في قوله: (وفي الرقاب) [التوبة: ٦٠]، أنه يجوز للمكاتبين أخذ الزكاة

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب كفارات الأيمان-باب قول الله تعالى(أو تحرير رقبة) وأي الرقاب أزكى، حديث رقم:

٦٧١٥(٨/١٤٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الشروط-باب الشروط في الولاء، حديث رقم: ٢١٦٨(٣/٧٣).

المفروضة، فكيف بالتطوع^(١)، ومن حسن المعاملة العظيمة من نبي الأمة، العظيم في خلقه أن جعل القرابة في كل شيء لها مقياس وفضل حتى في العتق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما زلتُ أحبُّ بني تميم منذُ ثلاثِ سَمِعْتُ من رسولِ الله ﷺ يقولُ فيهم، سمعته يقول: هم أشدُّ أُمِّي على الدَّجَالِ. قال: وجاءت صدقاتُهم فقال رسولُ الله ﷺ هذه صدقاتُ قومنا. وكانت سبيَّةً منهم عندَ عائشةَ فقال: أعتقها فإنها من وَلَدِ إسماعيلَ»^(٢). قال ابن بطال في هذا الأثر وغيره: (في هذه الآثار أن النبي عليه السَّلام، سبى العرب واسترقهم من هوازن وبني المصطلق وغيرهم، وقال، عليه السَّلام، لعائشة في السبية التميمية: « أعتقها، فإنها من ولد إسماعيل » فصح بهذا كله جواز استرقاق العرب وتملكهم كسائر فرق العجم، وأجمع العلماء أن من وطئ أمة له بملك يمينه أن ولده منها أحرار، عربية كانت أو عجمية^(٣) ولقد كان بنو تميم خيار فيما يختارون في الصدقات حيث يخرجون أفضل ما عندهم لذا أعجب النبي ﷺ بصدقاتهم وأثنى عليهم بها، وأحبهم أبو هريرة رضي الله عنه.

(١) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج٧، ص: ٧٩.

(٢) انظر صحيح البخاري - كتاب العتق - باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية حديث رقم: ٤٣٦٦ (١٦٨/٥).

(٣) شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ج١٣، ص: ٥٧.

الباب الثالث

دور الدعاة في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

الفصل الأول: دور الدعاة الإنمائي

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

الفصل الثاني: دور الدعاة العلاجي

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

الفصل الثالث: دور الدعاة الوقائي

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

الباب الثالث

دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة

على الفرد والمجتمع

تمهيد

إن الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر تأثرت بواقع المسلمين، وأصبحت تقوم بحماية الإسلام والدفاع عنه، إضافة إلى الاهتمام بنشره، حيث تسربت الأمة في التقسيمات السياسية والجغرافية، وأصبحت تعيش العجز بسبب ذوبان الاستقلالية وضياع السيادة الإسلامية، وتشتت بعض المسلمين في بلدان العالم المخالف لهم عقيدة ومنهجها، وانخرطت الأمة في المنظمات الدولية، وتفرقت إلى أحزاب شتى مناطقية وإدارية وإقليمية وفكرية، بين محاولات العقلاء لنبذ الفرقة والحث على الاجتماع، وبين جنائيات السفهاء في الحروب والتزاع. وأوقع المسلمون بين جهل الأبناء لمفاهيم الإسلام وبين مكر الأعداء الساعين لإسقاط الإسلام والمسلمين من ميزان الحياة، بالتجهيل والتطبيع والتفكير والحرب والتدمير، وفي هذا الوضع برز الدعاة إلى الله ممثلين في حكام الدول المجتهدين وجنودهم، وعلماء الشريعة المخلصين وطلابهم، وأهل التخصصات الاجتماعية والعلمية والأدبية؛ برزوا لحماية الإسلام وظهر على الساحة الاجتماعية في أوساط المسلمين، من جعل أحوال المسلمين المريضة همهم، وجعل الدعوة إلى الله سبيله الأجدد وهدفه الأوحد، ونهض بالبيان والبلاغ مرتسماً طريق الهدى - صراط الله المستقيم - ومستمسكاً بالعروة الوثقى وداعياً إليها عقيدة وعبادة، ومنادياً بتهديب الأخلاق والسلوك، وإصلاح المعاملات، وسد الذرائع وإغلاق أبواب المفساد، والسعي لتحقيق المصالح العامة والخاصة. ولما للمحبة من أثر في أعضاء التكوين الاجتماعي بكافة مستوياته، من الفرد والأسرة والمجتمع، ولما لها من أثر في قوة المسلمين الاقتصادية والسياسية؛ فإن الدعاة إلى الله عز وجل هم الأجدد في جمع الكلمة وتحويل واقع المسلمين المؤلم إلى أمل قريب، بواقع عزيز ومستقبل مشرق، ومن سبل هذا التغيير بث المحبة والألفة بين المسلمين وإصلاح ما شجر بينهم، قال الله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٨١﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ^(١) ودور الدعاة هذا يكون بيان أثر المحبة من ثلاثة جوانب: السعي إلى إغناء المحبة، وعلاج مسببات ونتائج فقدانها، والوقاية من منحدرات تقوض أركانها، وتأتي أهمية المحبة لارتباط عزرة المسلمين وسعادتهم بها، عقيدة ومنهجها وعبادة وخلقا وسلوكا ومعاملة أورد المناوي:

(١) سورة فصلت: ٣٣ - ٣٥.

(قال القاضي: المحبة ميل النفس إلى الشيء^(١) لكمال فيه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله، وأن كلما يراه كمالاته في نفسه أو غيره، فهو من الله وإلى الله وبالله لم يكن حبه إلا الله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته فلذا فسرت المحبة بإرادة الطاعة واستلزمت اتباع رسوله ﷺ)^(٢) اهـ . وعليها ياذن الله تجتمع الكلمة وبها يتوحد الصف في شتى المجالات عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(٣) فإن المحبة من أعظم القوى الفاعلة في العلاقات الإنسانية، تجتمع بها وعليها القلوب وتعطف وترق، وعند فقدانها تنقلب الحال فتتفرق النفوس وتفترق، فإن إشاعة المحبة بين الناس سبيل الاجتماع، وإشاعة الكراهة سبيل الافتراق، والدعوة إلى الله كلها دعوة إلى الاجتماع، ولكن أي نوع هو من الاجتماع ؟ هو الاجتماع على طاعة الله ورسوله ﷺ ونشر المحبة والخير في العالم، والإحسان في كل شيء؛ فالدعوة إلى الله واجب المسلم بما علم وعمل من الفقه بالدين، وواجب على من اختص بالدعوة إلى الله دراسة وعلمًا أو خُصَّ باسم الداعية إلى الله أو تُسبب إليه الدعوة بما فضل من علم وخلق وجهد في سبيل تبليغ دعوة الله للناس، ومكانتها عالية المقام قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٤) فإن الإسلام الذي انتسب إليه المسلم يأمر بالعمل الصالح والقول الحسن وبهما تنتشر المحبة في معناها الحقيقي المعتدل؛ فإن العقول السليمة والنفوس المستقيمة تحب صلاح العمل وحسن القول، ويخرج عنهما وبهما كل عمل خبيث غير صالح، وكل قول قبيح باطل، ومنهما وبهما مع الإخلاص لله، تبرز الدعوة إلى الله قولاً حسناً فاضلاً، وعملاً صالحاً متقبلاً، ويجب أن نعلم هنا أن المحبة عامل غريب التكوين، متذبذب النمو، متغير الحال، قوي البنيان في الرغائب، عالي الأركان في الرهائب، متطور البناء، سريع الهدم، دقيق التفاصيل وصعب التأويل، واضح الغاية، خطر السبيل وغامض الدلالة، متشعب الروابط، ضعيف الخيوط، قوي الفتل، سهل الحمل والقطع، قريب المنال، بعيد الرؤية، يقترب ويبعد، عميق المعنى، يظهر ويختفي، جميل المبني، غريب المعنى، يفتقر به الغني ويغني به الفقير، سره في السرور والأحزان، له لذة وآلام، ولألمه لذة ولذته ألم . كل هذه المعاني لا تجتمع في عامل من العوامل

(١) قال ابن كثير في تفسيره: أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له. وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، قلت: فينقطع المفهوم الخاطي من أنه جل وعلا (شيء) تعالى سبحانه علواً كبيراً.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ١، ص: ٢١٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣ (١٢/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: ١٧٩ (٤٩/١).

(٤) سورة فصلت: ٣٣.

المؤثرة في حياة الناس وعلاقاتهم الإنسانية والأسرية والتعبدية إلا في عامل المحبة ولا يجد محدود، ولا يُعرَف إلا بما عُرف، ولا يُعرَف إلا بمعناه، تدلُّ عليه أسبابه ويُلاحظُ بنتائجه وآثاره، به تصفو الحياة عندما يظهر معناه في أجهل وأكمل الغايات وهو حب الله، وكل شيء في الدنيا به متعلق وحاضر، وكل ما غاب عن العيون، باخبة تشعر به القلوب وتشهد به العقول، وفيها تجتمع المعاني المتوافقة في حقيقتها والمختلفة في أسبابها ونتائجها؛ فمن أجل هذا؛ ولما للمحبة من أهمية في حياة الناس، وجب فهم حقيقة المحبة الفهم الصحيح الكامل بفهم آثارها ومعرفة أسبابها وغاياتها وأوصاف مؤثراتها وآثارها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ كُلَّ مُحَبَّةٍ وَبَغْضَةٍ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُهَا لَذَّةٌ وَالْمُفِي نِيلِ الْخُبُوبِ لَذَّةٌ وَفِرَاقُهُ يَكُونُ فِيهِ أَلَمٌ وَفِي نِيلِ الْمَكْرُوهِ أَلَمٌ وَفِي الْعَافِيَةِ مِنْهُ تَكُونُ فِيهِ لَذَّةٌ فَالْلَذَّةُ تَكُونُ بَعْدَ إِدْرَاكِ الْمَشْتَهَى وَالْمُحَبَّةُ تَدْعُو إِلَى إِدْرَاكِهِ؛ فَالْمُحَبَّةُ أَلَعْلَةُ الْفَاعِلَةِ لِإِدْرَاكِ الْمَلَائِمِ الْخُبُوبِ الْمَشْتَهَى وَاللَذَّةُ وَالسُّرُورُ هِيَ الْغَايَةُ) ^(١) فإن الداعية إلى الله يفهم قوة تأثير المحبة في الناس، وأنه كي يعتدل ميزانها ويزكو معناها وتستقيم آثارها يجب أن تضبط وترتكز على ركائز الشريعة، من تحقيق الغاية من الخلق وهي عبادة الله وحده، ومن تسخير الملكات والقدرات الشخصية والعامة في الخير كله، ومن الإحاطة بأحكام التكليف الشرعي في الحلال والحرام والبراءة من الشبهات وزلل الشهوات، وهذا ما تم التمهيد به لهذه الدراسة، عن ابن عباسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ؛ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.... الحديث) ^(٢)، والداعية الناجح هو الذي يبذل الجهد وفق التخطيط السليم مع مراعاة ظروف الحال للدعوة والمدعو فلا يأس ولا سأم، ولا يستعجل النتائج فتضعف المهم؛ بل ينظر بعين التفاؤل وإن لم تحصل نتائج ظاهرة؛ فقد قام بالواجب وأدى دوره، ولن يعدم الأجر على بذله وإخلاصه؛ فإن دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع يستلزم خطة وخطوات، وتحديدًا للأهداف في كل زاوية من زوايا المجتمع، وعليه فإنني في هذا الباب سأعرض دور الدعاة إلى الله في بيان ذلك، ضمن ثلاثة أدوار، يتم توزيعها حسب طبيعة دور الداعية في البيان المقصود والهدف المحدد المراد تحقيقه، وأجملها في ثلاثة أدوار، وكل دور يبنى على ثلاثة محاور الفرد والأسرة والمجتمع، وهذه الأدوار هي:

(١) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٤٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم: ٥٤٩ (١٣٧/١).

أولاً: الدور الإنمائي: وهو بيان أصول وعوامل زيادة المحبة في العلاقات بين الناس.

ثانياً: الدور العلاجي: وهو بيان ودراسة أسباب الانحراف في المحبة ووضع خطة علاجية لتصحيح الحالة المرضية ومتابعة النتائج، إما بالاستمرار و إما بتصحيح مسار الخطة أو تعزيزها أو إلغائها وإبدالها حسب نتائج المتابعة.

ثالثاً: الدور الوقائي: وهو بيان أصول وعوامل الاعتدال في المحبة والترغيب فيها، والتحذير من أسباب ونتائج الانحراف عن منهج الاعتدال فيها. فإن هذا الباب من هذه الدراسة يتضمن الدور الإنمائي والعلاجي والوقائي للدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع وفق ما ورد من نصوص الكتاب والسنة وما أثر عن صالح سلف الأمة وسوف أعرض هذا الدور في ثلاثة فصول وتحت كل فصل مبحثان وتحت كل مبحث مطلبان :

الفصل الأول: دور الدعاة الإنمائي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع.

الفصل الثاني: دور الدعاة العلاجي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع.

الفصل الثالث: دور الدعاة الوقائي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع.

وكل فصل من هذه الفصول، يندرج تحته مبحثان، ومطلبان لكل مبحث، وفق ما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

الفصل الأول

دور الدعاة الإنمائي

في بيان أثر المحبة على الفرد و المجتمع

المبحث الأول: المستوى الفردي و الأسري

المطلب الأول : العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول : العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي و الرعية

الفصل الأول

دور الدعاة الإنمائي

في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

النماء يعني الزيادة والانتساع، وأصلها من (نمي)، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة)^(١). وأورد ابن منظور في لسان العرب (النماء الزيادة نَمَى يَنْمِي نُمِيًا وَنُمِيًّا وَنَمَاءً زَادَ وَكَثُرَ)^(٢) والمحبة في إفشائها ونشرها وإشاعتها نمو في العلاقات الفردية والأسرية والاجتماعية، وهذا يعد غاية من غايات الدعوة، ويأتي دور الدعاة إلى الله في نمو المحبة بين الناس، بالبيان النظري والعملي سعياً لتحقيق التماسك في المجتمع المسلم، والمجتمع المسلم جزء من المجتمع العالمي، ويمثل القدوة والنبراس له، وينتشر الإسلام بأخلاق أهله؛ لما حظي به من شريعة عظيمة تميزت بكمالها وصلاحها لكل زمان ومكان، وبعث فيها خير المرسلين وخاتم النبيين، رحمة للعالمين، ومنهجه القرآن الكريم، الحفوظ من الزيادة والنقصان، وبه الهداية إلى الصراط المستقيم، ومن كمال هذا الدين الاهتمام بالفرد والأسرة والمجتمع في الحقوق والواجبات، فأعطى كل ذي حق حقه، وخص كل ذي صفة بما هو مستحقه، تحت مبدأ العدل والمساواة والمحبة، وبما يضمن سلامة العلاقات وقوتها، وتماسك المجتمع ووحدته. وعندما يقوى المجتمع المسلم سوف ينتقل كيانه عقيدة وعبادة وخلقا وسلوكا إلى المجتمعات الأخرى بموجب عملية التأثير والتأثر، ويجتمع الناس على الحب والسلام، وبذلك تتحقق غاية الدعوة بانتشار الإسلام، ومن أهم ما يجب التركيز عليه في دور الدعاة إلى الله تحسين العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي بما يؤدي إلى زيادة الحسن فيها بالمحبة والألفة، وهو ما أطلقت عليه هنا الدور الإنمائي. وأبينه وفق أبرز العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي كما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥، ص:

٤٧٩.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (نمي).

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية: علاقة العمل الداخلية و علاقة العمل الخارجية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية^(١): العلاقة النظامية و العلاقة الإنسانية

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

أولاً: علاقة الصداقة

(١) بيان أصول علاقة الصداقة

إن من دور الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس المعنى الحقيقي للصداقة، حيث ارتبط الاسم بالصدق وهو القوة في الشيء حين تماسكه، وقوة في القول لمخالفته الكذب، والصديقان أو الأصدقاء هم من اجتمعوا على مبادئ زادت علاقتهم بها قوة، وألفوا الحياة في نظام صداقتهم على محبة بينهم، ويجب أن يفهم أن هذه المبادئ هي أصول الصداقة، وبها يتحدد نوع الصداقة حيث هي على قسمين: صداقة صالحة وصداقة سيئة. فهل تستمر بها المجالسة وتحصل بها المؤانسة أو تنقطع لما فيها من المفاصد وسوء العاقبة، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً^(٢). ذكر الإمام مسلم هذا الحديث في (باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء) و قال النووي في شرحه: (فيه تمثيلة ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، والجلس السوء بنافخ الكبر، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطلته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ومعنى (يحذيك) يعطيك - وهو بالحاء المهملة والذال - وفيه طهارة المسك واستحبابه وجواز بيعه وقد أجمع العلماء على جميع هذا ولم يخالف فيه من يعتد به^(٣) إذن فإن الصداقة على الكفر أو الظلم أو الباطل يجب أن تقطع شرعاً وعرفاً؛ لسوء المبادئ التي قامت عليها فالصداقة فيها باطلة والخبة فيها مذمومة، و أما

(١) هي التي تستوجب المسؤولية في الرعاية بدءاً من صاحب الولاية العظمى في المجتمع ومن تحته، كل في مسؤوليته وحكمه أي علاقة (الحاكم والمحكوم) على العموم.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الذبائح والصيد-باب المسك، حديث رقم: ٥٥٣٤ (٩٦/٧). وانظر صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم: ٦٨٦٠ (٣٧/٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ١٦ج، ١٧٨.

الصدقة التي تقوم على الحق ونصرته، وعلى الخير ونشره فإنها صداقة صالحة يجب أن تنمو وتساعد على النماء، وهذا هو مطلب العقلاء والأتقياء عن أبي ثابت: «أن رجلاً دخل مسجد دمشق، فقال: اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي وارزقني جليساً حبيباً صالحاً، فسمعه أبو الدرداء فقال: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بما قلت منك، سمعت رسول الله يقول: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} قال: الظالم يؤخذ منه في مقامه فذلك الهم والحزن {وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ} يحاسب حساباً يسيراً {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} فذلك الذين يدخلون الجنة بغير حساب»^(١). وقد تتضح حقيقة الصداقة للأصدقاء في الدنيا فتسمو بينهم المحبة لما قامت عليه محبتهم من التقوى، وقد يكونوا على باطل فلم تنكشف لهم حقيقة صداقتهم وأنها قامت على السوء، فتظهر الحقيقة يوم القيامة وتنقلب الصداقة إلى عداوة، ويتبرأ بعضهم من بعض، قال الله تعالى: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)^(٢) ومن ذلك نعلم أن دور الدعاة الإنمائي بيان هذه الحقيقة كي تنمو المحبة المحمودة بين الناس من خلال صداقتهم، وبفرحوا بها في الدنيا والآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٣).

٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة الصداقة

صداقة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق مضرب المثل في المحبة ونمائها بين الأصدقاء، بنيت على الحق، وكان الناس في جاهلية تقوم حياتهم على الشرك والظلم، وازدادت العلاقة بينهما في الإسلام فكان أبو بكر أول من آمن من الرجال برسالة النبي ﷺ ودافع عنه حين كذبه قومه، وناصره وأعد رواحل الهجرة وهاجر معه، قال الله تعالى: (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)^(٤)، يمشي أمام النبي ﷺ كلما تذكر الرصد ويمشي خلفه كلما تذكر الطلب، حبا ووفاء، وافتهما معية الله بالحفظ والنصر، جاهد معه وبذل ماله كله، وزوجه ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومن واجب الدعاة إلى الله ضرب الأمثال في الصداقات الصالحة والصداقات السيئة وتبصير الناس بعوامل نماء المحبة الصادقة بينهم، والتي تبنى عليها الصداقة، ومن أهمها: المناصرة في الحق بالنفس والمال، والإيثار والوفاء والعلم، عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً فَلَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَوْتُ رَجُلٍ يَقْرَأُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَرَاهُ مُرَائِيًا؟ فَأَسَكَتَ بُرَيْدَةُ فَإِذَا رَجُلٌ يَدْعُو. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢١٦٩٧ (٢٧/٣٦) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) سورة الزخرف: ٦٧.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب من يؤمر أن يجالس حديث رقم: ٤٨٣٥ (٤٠٧/٤)، وانظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٢٣٧٨ (٥٨٩/٤). حسنه الألباني.

(٤) سورة التوبة: ٤٠.

بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَابِلَةِ خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا؟ فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا. بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا. بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ. فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ، أَوْ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ. فَقُلْتُ: أَلَا أَخْبِرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى فَأَخْبِرْهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَنْتَ لِي صَدِيقٌ أَخْبَرْتَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ^(١). والحديث المشترك بين الأصدقاء في حقيقة الحياة وواقع الحال أحد عوامل نماء الصداقة، وتركيز الدعاة على صفاء الحديث بين الأصدقاء، وآثاره الإيمانية؛ يولد التماسك ويزيد المحبة بين الناس، وكذلك الحديث عن الرؤى المنامية؛ لأن الصديق حبيب لصديقه، وغالبًا يحدث المرء صديقه وقريبه بما يرى من خير في منامه، وكلاهما يسعى لخير الآخر، ويتنفي الحسد بينهما، وكلاهما يفرح بفرح الآخر، عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ، وَهِيَ عَلَى رَجُلٍ طَائِرٌ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا، فَإِذَا تُحَدِّثَ بِهَا سَقَطَتْ. قَالَ وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَلَا تُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا لِنَبِيٍّ أَوْ حَبِيبٍ^(٢).

ثانيا: علاقة الجيرة

(١) بيان أصول علاقة الجيرة

علاقة الجار بالجار علاقة مميزة عن غيرها، محكومة بحكم المكان، حيث المتزل به السكن والمبيت والمطعم والمشرب والمتاع وقد يضم الأهل والمال والأولاد، وقريب الدار كأنه معك في الدار، ولا يفصل بينكم إلا الجدار، تجتمع الذوات مدخلا ومخرجا، وتسمع الأصوات صباحا ومساء، ولا يمكن أن تستمر هذه العلاقة بمسمى الجيرة الحسنة إلا بشيء واحد هو أصل العلاقة بين الجيران ألا وهو الإحسان، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^١ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَآبِنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا^٣) ومن دور الدعاة إلى الله بيان هذا الأصل والتركيز عليه، وعلى ما يتفرع عنه؛ فمن أصل الإحسان تتفرع أصول

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٩٥٢ (٤٥/٣٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في تعبير الرؤيا، حديث رقم: ٢٢٧٨ (٥٣٦/٤). صححه الألباني.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

أخرى كثيرة من أهمها: تلمس الحاجات، والمشاركة في الأفراح، والمواساة في الأحزان، ومساعدة الجار لجاره فيما يصلح حاله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَاللَّهِ لَا رَمِينَ بَهَا بَيْنَ أَكْتَاْفِكُمْ. أورد ابن بطال في فهم هذا الحديث قول العلماء بقوله: (واختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة: هو على الوجوب إذا لم يكن في ذلك مضرة على صاحب الجدار، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور)^(١) وقالت طائفة غيرهم، هو محمول على الندب وحسن المجاورة لا على الوجوب.

٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة الجيرة

أصل الشيء ما كان عليه، فما زاد وفاد، كان له القبول والانقياد، وما نقص وهدم، وجب إصلاحه أو الفرار منه قبل الندم، وأصل علاقة الجيرة الإحسان، ولكم تسامع الناس أن قرر فلان ألا يترك داره الصغيرة من حسن جيرانه، ولكم تسامع الناس أن فلانا ترك كبير داره من أذية جاره، وأذية الجار محرمة في الإسلام؛ لمخالفتها النصوص الصريحة الموصية بالإحسان إلى الجار، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ)^(٢). ومتى تبدل الجار لجاره بالنفاق بدل الإيمان، وبمرض القلب بدل سلامته، والتخويف بدل الأمن، فقد قطعت حبال الوصال والجيرة، قال الله تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)^(٣) وواجب الدعاة بيان عوامل النماء لعلاقة الجار لجاره والحث عليها، وهي العوامل المناقضة لعوامل الهدم وسوء الجيرة، فمن عوامل نماء المحبة بين الجيران: الإيمان بالله وسلامة القلب من الضغائن والأحقاد، والأمان من الأذى والضرر، ولكل عامل منها أسباب موصلة إلى المحبة بين الجيران في أحسن صورها منها: الدعوة إلى الاستقامة على أمر الله، والتعاون على البر والتقوى، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والزيارة والهدية وغيرها. عن أنس رضي الله عنه قال: (كان لرسول الله ﷺ جار فارسي طيب المرقعة، فأتى رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده عائشة فأومأ إليه بيده أن تعال، وأومأ رسول الله ﷺ إلى عائشة، أي وهذه، فأومأ إليه الآخر هكذا بيده، أن لا، مرتين أو ثلاثا. وزاد قال رسول الله: لا، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله: وهذه، قال: نعم، في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله)^(٤). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٦، ص: ٥٨٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار، حديث رقم: ٦٠١٥ (١٠/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب الوصية بالجار والإحسان إليه، حديث رقم: ٦٨٥٤ (٣٧/٨).

(٣) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب الطلاق - باب الطلاق بالإشارة المفهومة، حديث رقم: ٣٣٨٢ (٤٧٠/٦). صححه الألباني.

النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدِفْهِنَّ وَيَتَعَنَيْنَ، وَيَقْلُنَ: نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ... يَا حَبْدًا مُحَمَّدًا مِنْ جَارٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لِأَحِبُّكُمْ^(١). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ^(٢) شَاةٍ^(٣) ». ومن واجب الجيرة التعاون على ما فيه المصلحة، روى مسلم في صحيحه موقف عمر بن الخطاب وجاره في التناوب على جلب المصلحة بينهما: قَالَ: (وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَكُنَّا نَتَنَاقَبُ النَّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ^(٤)) والشواهد كثيرة على بيان حسن معاملة الجار لجاره بما ينمي المحبة بين الجيران فتتولد المحبة في المجتمع وهذا البيان جزء من دور الدعاة إلى الله.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

أولاً: العلاقة بين الزوجين

١) بيان أصول علاقة الزوجين

إن العلاقة بين الزوجين ترجع في أصلها إلى أصل الخلقة الآدمية، حيث خلق الله آدم بيديه من تراب و خلقت زوجته من ضلع آدم الأيسر^(٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ ثَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)^(٦). فهو قَبْلُهَا فِي الْخَلْقِ، وهي جزء منه، يحصل بينهما الألفة والأنس والتعاون والجماع، ويتم بمشيئة الله وقدرته النسل من البنين والحفدة والذرية، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)^(٧) ومن

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب الغناء والدف، حديث رقم: ١٨٩٩ (٩٢/٣). صححه الألباني.

(٢) والفرس فرس البعير وهي مؤنثة وجمعها فراسن وفي الفرائد السلافي وهي عظام الفرس وقصبتها ثم الرُغ فوق ذلك ثم الوطيف ثم فوق الوطيف من يد البعير الذراع. ويقال لموضع الفرس من الخيل الحافر ثم الرُغ والفرس من البعير بمثلة الحافر من الدابة، قال: وربما استعير في الشاة، قال ابن السراج: النون زائدة لأنها من فرست. والذي للشاة هو الظلف وفي الحديث لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو فرسن شاة الفرس عظم قليل اللحم وهو خف البعير كالحافر للدابة. انظر لسان العرب لابن منظور (٣٢٢/١٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب لا تحقرن جارة لجارتها، حديث رقم: ٦٠١٧ (١٠/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، حديث رقم: ٢٤٢٦ (٩٣/٣).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب في الإيلاء، حديث رقم: ٣٧٦٧ (١٩٢/٤).

(٥) قال ابن حجر في الفتح (قوله فإنهم خلقن من ضلع بكسر الصاد المعجمة وفتح اللام وقد تسكن وكان فيه إشارة إلى ما أخرجه بن إسحاق في المبتدأ عن بن عباس أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم وكذا أخرجه بن أبي حازم وغيره من حديث مجاهد) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٥٣/٩).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء. - باب باب خلق آدم صلات الله عليه وذريته، حديث رقم: ٣٣٣١ (١٣٣/٤).

(٧) سورة النحل: ٧٢.

دور الدعاة إلى الله البيان لأصل العلاقة بين الزوجين، من حيث التكافؤ ومن حيث الوظائف والصفات و الحقوق والواجبات، قال الله تعالى: (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (أي: ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف) ^(٢) وقال يرحمه الله، أيضا: (وقوله: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} أي: في الفضيلة في الخلق، والمترلة، وطاعة الأمر، والإنفاق، والقيام بالمصالح، والفضل في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّاتٌ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} ^(٣) فإن أصل العلاقة الزوجية كما يجب أن يكون فيه القيام بالواجبات وأداء الحقوق، وجب فيه على الزوج العدل بين الزوجات حين التعدد، وأداء المهر، قال الله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) ^(٤) وَاَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) ^(٥) وأصل العدل هنا فيما يمكن العدل فيه، أما القلب وهو اه في محبة الزوجات فيصعب العدل فيه، عن عائشة، «أن النبي كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تُلْمِنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» ^(٦). أورد ابن حجر في الفتح: ((قوله باب العدل بين النساء) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء أشار بذكر الآية ^(٧) إلى أن المنتهى فيها العدل بينهن من كل جهة، وبالحديث إلى أن المراد بالعدل التسوية بينهن بما يليق بكل منهن فإذا وفي لكل واحدة منهن كسوتها ونفقتها والإيواء إليها لم يضره ما زاد على ذلك من ميل قلب أو تبرع بتحفة، وقد روى الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، قال الترمذي: يعني به الحب والمودة كذلك فسر أهـ العلم ^(٨) والمحبة بين الزوجين فطرية المنشأ، و عوامل الجذب فيها مشتركة بين الزوجين ويغلب فيها، أنوثة المرأة وصفاتها، ومعرفة حق الرجل وفضله، وهذه المحبة من الشرع التصريح بها، دون حرج أو إقلال؛ لأنها حق

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦٠٩ - ٦١٠.

(٣) سورة النساء: ٣٤.

(٤) سورة النساء: ٣ - ٤.

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب النكاح عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في التسوية بين الزوجين، حديث رقم: ١١٤٠ (٣/٤٤٦). ضعفه الألباني.

(٦) سورة النساء: ١٢٩.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ٣١٣.

فطري وشرعي، عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «أنه قال يا رسول الله: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبوها»^(١). وإعلان هذه المحبة بين الزوجين؛ تزداد به العلاقة قوة، ومما لاشك فيه أن في إخفائها خلل، وعندما تكون المحبة من طرف واحد يحصل الزلل و تنكسر حلق الصلة والمحبة بين الزوجين؛ ويزداد الخلل والزلل عندما تنعكس الصورة بعلو المرأة على الرجل في الأمر والنفقة والقوامة؛ لمخالفته الفطرة، ولمخالفته الشريعة، عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت رسول الله أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك. قال «أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له». قال: قلت: لا. قال «فلا تفعلوا لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق»^(٢).

٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة الزوجين

إن دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة في حياة الزوجين، يكون بإيضاح الأساليب والوسائل التي يمكن للزوجين القيام بها لإنماء المحبة بينهما، ويمكن إجمالها في الأساليب والوسائل النظرية والعملية التي يمكن بها تفعيل عوامل المحبة في العلاقة بين الزوجين وهي: السكن والمودة والرحمة، قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)^(٣) فإن المنطلق لتكوين علاقة سوية في المجتمع يكون بإنفاذ مشروعية الزواج وتحقيق أهدافه، وتكوين علاقة محبة بين الزوجين وأصلها أداء الحق الفطري وتحقيق الرغبة الحاصلة من الجماع، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح^(٤). والحديث بين الزوجين من أمتع الأحاديث، إذا قام على كلمات المحبة والثناء والقصص المعبرة عن الوفاء والخير، عن أبي قتادة رضي الله عنه يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا ثم رضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: (الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلثًا، ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره)^(٥). والأصل الشرعي في علاقة الزوجين

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٣٨٨٥ (٥/٧٠٦). صححه الألباني.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب النكاح - باب في حق الزوج على المرأة، حديث رقم: ٢١٤٢ (٢/٢٠٩). تحقيق الألباني: صحيح، دون جملة القبر، ضعفها.

(٣) سورة الروم: ٢١.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، حديث رقم: ٥١٩٣ (٧/٣٠).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب التعبير - باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر به إلا ولا يذكرها، حديث رقم: ٦٩٨٣ (٩/٣٠). وانظر:

صحيح مسلم - كتاب الرؤيا، حديث رقم: ٦٠٤٠ (٧/٥١).

العدل والوفاء والرحمة والتقوى، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حج النبي ﷺ، قال ﷺ في خطبة عرفة: (فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوْنَهُ. فَإِنْ فَعَلَنْ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)^(١). ومنه نعلم أن علاقة الزوجين عندما تقوم المحبة وتسود المودة والرحمة حياتهما، فإنه بذلك تنتف العقبات الموصلة للمحاسبة وإقامة العقوبات الشرعية. كما أن محبة الزوجة لما يحب الزوج، شعار الحب، عَنْ عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ «أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يُنَحِّيَ مُخَاطَ أَسَامَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعْنِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَحْبَبِيهِ فَإِنِّي أَحْبَبُهُ »^(٢). بل الحنو من المرأة على الولد، ورعاية ما يملك الزوج من المال والمتاع؛ يعلي درجات الفضل في شخصها والمحبة لزوجها، وترتفع في مقام الفضل بين النساء، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ - وقال الآخرُ: صالحُ نساءِ قُرَيْشٍ - أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرَعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» ويُذكرُ عن معاويةَ وابن عباسٍ عن النبي ﷺ^(٣). ولقد كان النبي ﷺ يبحث عما يسرُّ أهله، وهذا من أهم العوامل الإنمائية في علاقة الزوجين، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فَقَالَ لِي: يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَامَ بِالْبَابِ وَجِئْتُهُ فَوَضَعْتُ ذَقْنِي عَلَى عَاتِقِهِ فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ قَالَتْ: وَمِنْ قَوْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَبَا الْقَاسِمِ طَيِّبًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَسْبُكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ، فَقَامَ لِي ثُمَّ قَالَ: حَسْبُكَ فَقُلْتُ: لَا تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَتْ: وَمَا لِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءُ مَقَامَهُ لِي وَمَكَانِي مِنْهُ.^(٤)

ثانيا: العلاقة بين القرابة

(١) بيان أصول علاقة القرابة

قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)^(٥) الأصل في القرابة النسب المتصل من الأم أو الأب؛ مما يفرع العلاقة ويوصل القرابة، كالأخوة والأخوات، وما علا منه كالأجداد والجدات وما نزل منه كالأبناء والبنات والأحفاد. وما تفرع عنه من جهة الأب من الأعمام والعمات

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٠٠٩ (٣٩/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨١٨ (٦٧٧/٥). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب النفقات - باب حفظ المرأة زوجها في ذات يده والنفقة، حديث رقم: ٥٣٦٥ (٦٦/٧).

(٤) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب عشرة النساء - باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب، حديث رقم: ٨٩٠٢ (١٨١/٨). وانظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب أصحاب الحراب في المسجد، حديث رقم: ٤٥٤ (٩٨/١).

(٥) سورة الفرقان: ٥٤.

وأبناءؤهم، وما تفرع عنه من جهة الأم من الأحوال والخالات وأبناءؤهم وأصل القرابة أيضا ما جاء عن طريق المصاهرة بالزواج، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، ولكل من هؤلاء حسب قرب نسبه حق عظيم من الصلة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَافْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} ^(١) ^(٢). وعن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ) ^(٣). ودور الدعاة إلى الله بيان هذا الأصل - النسب والرضاعة والمصاهرة - للناس وزرع المحبة بينهم عن طريقه وحثهم على أداء حقه وهو الإحسان، قال الله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ) ^(٤).

٢) عوامل نماء المحبة في علاقة القرابة

عوامل نماء المحبة بين القرابة كثيرة، ووسائلها متعددة، يشملها لفظ الإحسان المناقض للإساءة، ويدفع إليها الأجر العظيم في صلة الرحم، عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ^(٥). وهذه الصلة تكون بالبر والزيارة وبذل المعروف والدعاء والوفاء والنفقة، عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَلَا أَحَدْتُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ بَلَى يَا أُمُّهُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، أَوْ ذَوَاتِي قَرَابَةٍ، يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا، حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَكْفِيَهُمَا، كَاتِنًا لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ. ^(٦) وأمر النفقة عظيم في نمو المحبة بين الأقارب وفي الأجر، وهي في حق الوالدين حال الحاجة واجبة وحال اليسر من البر، عن سنان بن سلمة، أن رجلاً من المهاجرين تصدق بأرض له عظيمة على أمه فماتت وليس لها وارث غيره فأتى النبي ﷺ فقال: إِنَّ أُمِّي كَانَتْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَعْزَمِهِمْ عَلَيَّ، وَإِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَيْهَا بِأَرْضٍ لِي عَظِيمَةً فَمَاتَتْ وَلَيْسَ لَهَا وَارِثٌ غَيْرِي فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ بِهَا؟ قَالَ: «قَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَكَ أَجْرَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ أَرْضَكَ فَاصْنَعْ بِهَا

(١) سورة محمد: ٢٢. وكمال الآية قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب من وصل وصله الله، حديث رقم: (٥/٨) ٥٩٨٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إثم القاطع، حديث رقم: (٥/٨) ٥٩٨٤.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

(٥) سيق تخريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند النساء رضي الله عنهن، حديث رقم: ٢٦٥١٦ (٤٤/١٣٤). حسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

كيف شئت»^(١). والنفقة على الأقارب تجمع بين الصلة والصدقة، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ سَوَاءٌ قَالَتْ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: تَصَدَّقْنِ وَلَوْ مِنْ حُلِيكَنَّ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجَرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَيْكَ، وَعَلَى أَيْتَامِي فِي حَجَرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٍ، فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ، أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجَرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرُ بِنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ هُمَا؟ قَالَ: زَيْنَبُ. قَالَ: أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ.^(٣)

ومن دور الدعاة إلى الله الإنمائي للمحبة، البيان العام والخاص لحقوق القرابة الموصل للمحبة بينهم، بدءاً من أعظم الحقوق بعد حق الله وهو حق الوالدين، وحق الوالدين عظيم، فهما سبب وجود الأولاد، ولهما الفضل في الحمل والرضاعة والعناية والرعاية والنفقة والعطف والحنان والتربية، ورد الجميل لهما حق وواجب على الأولاد شرعاً وعقلاً، وهذا الحق يجمع في الحب والطاعة في المعروف، والبر بجميع أشكاله والوفاء بجميع صوره والدعاء لهما والنفقة عليهما، والرعاية والعناية بهما في كل حال، وحفظ ودهما بعد الممات. وكما للوالدين حقوق فإن للأولاد حقوق على الوالدين تقوم على الجبلة والفطرة من اختيار الاسم الحسن والحب والرحمة ونسيكة تذبح عنه (العقيقة) شكرًا لله على هبته الولد، عَنْ أُمِّ كُرْزٍ^(٤) الْكَعْبِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ. فَقَالَ: عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ، قُلْتُ لِعَطَاءٍ^(٥): مَا الْمُكَافَأَتَانِ؟ قَالَ: الْمَثَلَانِ. قَالَ حَجَّاجٌ^(٦) فِي حَدِيثِهِ: وَالضَّانُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْزِ وَذُكْرَانُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِنَائِهَا، قَالَ: وَنَحِبُّ أَنْ يَجْعَلَهُ سَوَاءً رَأْيًا مِنْهُ^(٧). وللأولاد حق النفقة وحسن التربية بالعلم والأدب والعناية بالصحة البدنية والنفسية والتوجيه الاجتماعي. وقد أمر الشرع الأقارب بمشاركة بعضهم البعض شؤون الحياة، وفق ضوابطه الحكيمة في الحث على الصلة والمحبة، قال الله

(١) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الفرائض - باب ميراث الولد المنفرد، حديث رقم: ٦٢٧٨ (١٠٠/٦). ورواه الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وزوجته زينب الثقفية رضي الله عنهما.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، حديث رقم: ١٤٤٧ (١١٦/٢) ..

(٤) أم كرز الخزاعية ثم الكعبية، قال ابن سعد: المكية. أسلمت يوم الحديبية والنبي ﷺ وآله يقسم لحوم بدنه فأسلمت ولها حديث في العقيقة أخرج أصحاب السنن الأربعة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢٨٦/٨)

(٥) عطاء بن أبي رباح المكي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٦) حجاج بن محمد أبو محمد الأعور المصيصي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد - من مسند القبائل، حديث رقم: ٢٧٣٧٢ (٤٥/٣٧١) ..

تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا)^(١)، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَنْكَحَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَهْدَيْتُمُ الْفَتَاةَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَرْسَلْتُمُ مَعَهَا مَنْ يُعْنِي، قَالَتْ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزْلٌ، فَلَوْ بَعَثْتُمُ مَعَهَا مَنْ يَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ، فَحَيَّاكُمْ وَحَيَّاكُمْ^(٢). وكلما كان أولي القربى في تعاون على بر وتقوى بينهم؛ نمت المحبة بينهم، وكلما طغت المصالح الخاصة على مصلحة القرابة ضعفت المحبة، وقد تبدل إلى عداوة، وأخطر العداوات ما يكون بين القرابة؛ لكثرة اللقاء بينهم وإمكانية تسلسلها في الأجيال القادمة. ووجب على الدعاة إلى الله هذا البيان لأنه من أعظم ما أمر الله به أن يوصل.

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

تختلف أنواع الأعمال وموارد الإنتاج ومصادر الاستهلاك باختلاف العصور وأحوال الناس فيها، ولكن في كل زمن يتم الاتفاق بين أهل الزمان غالبا على مبادئ ونظم للعمل، وعلى أماكن يمارس فيها العمل، ويجتمع فيها العاملون، ومنه تقوم بينهم علاقة داخلية في مقر العمل ومكانه، وعلاقة خارجية بين من يأتي إليه لقضاء أمر ما وبين من هو داخله وأيضا تكون علاقة خارجية بين أرباب الصنائع والأعمال أثناء انتقالهم من مكان إلى آخر في البلد نفسه أو غيره لصالح العمل. وعليه تم التقسيم هنا علاقات العمل إلى قسمين:

(١) علاقة العمل الداخلية.

(٢) علاقة العمل الخارجية.

أولا: علاقة العمل الداخلية

(١) بيان أصول علاقة العمل الداخلية

يقوم العمل على غط التوزيع المتكامل لمراحل الإنتاج بين الأفراد المشاركين في العمل حسب نظام العقد أو الشراكة، وبه يتم تحديد المسؤوليات والزمن والأجور، ويقوم العمل أيضا على التخصص أو القدرة التي

(١) سورة النور: ٦١.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب الغناء والدف، حديث رقم: ١٩٠٠ (٩٣/٣). ضعفه الألباني.

يتمتع بها كل فرد من أفراد العمل، وبه يكون الإنتاج، ومن هذا المنطلق تقوم علاقة العمل بين العاملين، ويجمع بينهم عدة أمور تشكل هذه العلاقة وهي:

(١) نظام عقد العمل أو الشراكة. (٢) زمن العمل. (٣) طبيعة العمل ونمط توزيعه. (٤) الصفات الشخصية لكل فرد من العاملين. (٥) مكان العمل أو مقره.

ومن العوامل الهامة الجامعة التي يتحقق بها الوفاق وسلامة العمل وزيادة الإنتاج عامل المحبة بين العاملين، الذي به يُضَفَى على العمل روح التعاون بين أفرادهم، ويحافظ على قوة إنتاجه.

والإخلاص في العمل ثمرة المحبة، وهو القوة الدافعة لطلب الرزق الحلال، والحفاظة على الإنتاج، ولقد ضرب الله مثلا أصحاب الجنة في خسران العمل الفاقدة لمحبة الخير، قال الله تعالى: (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾)^(١) حصلت المشاركة بينهم في علاقة عمل مرتبط بزمن وحصل الإنتاج المادي، ولكن العمل فقد الإنتاج الحقيقي الذي يكون مقرونا بمحبة المال والخير فيه، فخسروا إنتاجهم لفقدان الإخلاص والمحبة الخيرية، قال الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره: فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة. يقول: نادى بعضهم بعضا مصبحين يقول: بعد أن أصبحوا (أَنْ أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ) وذلك الزرع (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول: إن كنتم حاصدي زرعكم (فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ) يقول: فمضوا إلى حراثتهم وهم يتسارون بينهم (أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ) يقول: وهم يتسارون يقول بعضهم لبعض: لا يدخلن جنتكم اليوم عليكم مسكين)^(٢). وبين الله تعالى حال ما لهم متزوع البركة قال الله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾) ومن دور الدعاة إلى الله تعالى بيان أثر المحبة في علاقة العمل من حيث أصول المعاملة الحسنة والنية الصالحة في كسب الرزق الطيب، والعمل بنصح وإخلاص، ومنه الحفاظة على زمن العمل وإنتاجه، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنْ خَيْرَ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدَيِ عَامِلٍ إِذَا نَصَحَ)^(٤).

(١) سورة القلم: ٢١ - ٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٣، ص: ٥٤٦.

(٣) سورة القلم: ١٧ - ٢٠.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٦٩٠ (٣١٧/١٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

٢) عوامل نماء المحبة في علاقة العمل الداخلية

مقر العمل في الزراعة أو الصناعة أو الأمن أو الصحة أو الإدارة أو غيرها من الأعمال هو محور اللقاء الذي تنتج عنه علاقات بين العاملين في المجال نفسه، والمحبة بينهم محور هام في الإنتاج وفي المحافظة على نظام العمل، كلما كان العاملون محققين لهذه القيمة بينهم، أدت إلى تحسين العلاقات وصلاح الأعمال، ومن دور الدعاة إلى الله بيان عوامل نماء المحبة في علاقات العمل الداخلية؛ لأن بها قوة في تماسك المجتمع، وقوة في اقتصاده، وفي ذلك إعزاز للإسلام والمسلمين. ومن عوامل نماء المحبة في علاقات العمل الداخلية: (١) العدل في توزيع مهمات العمل والأجور المستحقة عليه. (٢) الحصة الزمنية الكافية في الإنتاج والمقتدرة من العمال (٣) وضوح لوائح وأنظمة العمل لجميع العاملين. (٤) وجود رئاسة عادلة متابعة مشرفة تحسن التخطيط، وبصيرة في تقديم الحوافز وتقدير التقصير، وإنفاذ لوائح وأنظمة العمل. وبهذه العوامل يشعر جميع العاملين بقيمة العمل ومحبه، وتقوى بينهم المحبة، ومن أكبر العقبات في نجاح علاقات العمل الظلم للعاملين المخلصين وهضم حقوقهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ^(١). ومن أكبر المحبطات للإنتاج السخرية بمن يعمل بجد، ومكافأة المتهاونين بالعمل تحت وطأة العلاقات والمصالح الخاصة الخارجة عن نطاق العمل، والأكبر خطراً منه أخذ الرشاوى والاتفاق على الاختلاس، فمن واجب الدعاة إلى الله تبصير رؤساء الأعمال بالعدل في رئاستهم، وتحذير المقصرين من حرمة مكسبهم، وحث العاملين بجد على المطالبة بحقوقهم وفق أنظمة العمل في بلاد العمل، و الأخذ بموقف الأنبياء والمرسلين، العمل بإخلاص وصبر، واحتساب الأجر من الله والثقة بوعده الذي وعد المتقين من عباده، قال الله تعالى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^(٢) وفي حق نوح عليه السلام وقومه، قال الله تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ)^(٣) وهل كانت له العاقبة ؟ نعم. قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)^(٤).

ثانياً: علاقة العمل الخارجية

١) بيان أصول علاقة العمل الخارجية

تبادل المنافع بين الناس أوجب أن تقوم بينهم علاقة الأخذ والعطاء وعلاقة الاتفاق والمفاوضة وعلاقة الدين والمعاضة وعلاقة الرهن والودائع والأمانات، وعلاقات تمتد مع تمدد أنواع الأعمال وأقسام العمل

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الرهن - باب أجر الأجراء، حديث رقم: ٢٤٤٣ (٤/١٤٠). صححه الألباني.

(٢) سورة القصص: ٨٣.

(٣) سورة هود: ٣٨.

(٤) سورة العنكبوت: ١٤ - ١٥.

الواحد وارتباطها بمصالح الناس في العيش و الاكتساب، مما ظهر عنه علاقات بين العاملين في المجالات المتعددة وبين المجتمع، وعلاقات بين العاملين أنفسهم خارج نطاق ومقر العمل في سفر أو تنقل بين فروع العمل أطلقت عليها هنا علاقات العمل الخارجية، ومن دور الدعاة إلى الله بيان أصول علاقات العمل الخارجية وأثر صفة المحبة فيها، وأنها تقوم على عدة أصول:

(١) ميثاق العمل والتذكير به دائماً. (٢) الحكم بحكم الله. (٣) حمالة المسؤولية على من تحملها (٤) الاستفادة من الخبرات السابقة (٥) العذر والاعتذار لصاحب الحق. (٦) إظهار الصدق بشواهد. (٧) الإصرار على أداء الحق وأخذه بالمعروف. (٨) الحرص على حسن العلاقة والارتباط.

ومن دور الدعاة إلى الله في بيان هذا الخال أن يضربوا المثل ويستشهدوا بالقصص في توثيق أصول علاقات العمل الخارجية، مما يدفع التفكك والفساد المناقض لصفة المحبة بين الناس، ومن جميل وأحسن الشواهد قصص القرآن الكريم وأمثله، وهنا أعرض لحة في هذا الجانب، خرج إخوة يوسف عليه السلام في سفر ومهمة عمل وطلباً للرزق، بعد ميثاق مع أبيهم في المحافظة على شقيق يوسف عليه السلام، ويارادة الله وتدبيره، وقعت خطة يوسف عليه السلام عليهم في أخذ أخيه منهم، وحينها وقف الأكبر موقف الأصالة في العلاقة بينه وبينهم وبين أبيه وبين المجتمع مؤكداً الميثاق وأصول العلاقة في شخصه، قال الله تعالى في حقهم: (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لىَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿١٠١﴾ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٠٢﴾) ^(١) قال القرطبي في تفسيره: (تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها، فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، فلا تسمع إلا ممن علم، ولا تقبل إلا منهم، وهذا هو الأصل في الشهادات) ^(٢)

(٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة العمل الخارجية

أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والمواثيق أمراً عاماً، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ^(٣) وهذا الأمر يشمل العهد بتحقيق الإيمان بالله والعبودية له سبحانه وتعالى، والعهود والعقود التي بين الناس فيما يخص تنظيم حياتهم، وكما أمر سبحانه بالوفاء في العقود أمر أيضاً بالعدل فيها، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) ^(٤) قال الإمام الطبري في تفسيره: (يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا

(١) سورة يوسف: ٨٠ - ٨٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٩، ص: ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة: ١.

(٤) سورة المائدة: ٨.

بالله وبرسوله محمد، ليكون من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم^(١) فإن علاقات الناس بعضهم ببعض لا تتم بصورة صحيحة إلا بما يوجب المحبة والثقة بينهم، ومن دور الدعاة إلى الله بيان عوامل نماء المحبة بينهم في خصوص العلاقات التي تنتج عن الأعمال وتبادل المنافع ومن أهم هذه العوامل: الوفاء بالموعد، والعدل في المعهود، والصدق في الموجود، وحسن الاستقبال والوداع، والتعاون بأمانة البيان فيما خفي وظهر، وحسن الصحبة في السفر، ومن يخلص ويصدق ويف ويعدل في علاقاته يبارك الله في قوته وقوته، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا قَبْلَ السَّاحِلِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَهُمْ ثَلَاثُمِئَةٍ وَأَنَا فِيهِمْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بَعْضَ الطَّرِيقِ فَنِي الزَّادُ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الْجَيْشِ فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَكَانَ مَزُودِي تَمَرٍ فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى فَنِي، فَلَمْ يَكُنْ يُصَيِّبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ، فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي تَمْرَةٌ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنَيْتُ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى الْبَحْرِ فَإِذَا حُوتٌ مِثْلُ الطَّرْبِ، فَأَكَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْجَيْشُ ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِضَلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنَصَبَا، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ فَرُحِلَتْ ثُمَّ مَرَّتْ تَحْتَهُمَا فَلَمْ تُصِبْهُمَا^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ٩٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة سيف البحر، حديث رقم: ٤٣٦٠ (١٦٦/٥).

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية

(الحاكم والمحكوم)^(١)

أولاً : العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

(١) بيان أصول العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

إن من يستقرئ نصوص الكتاب والسنة لا يجد كلمة النظام لفظة ضمن كلماتها في المعنى الشرعي، رغم شيوعها بين الكتاب المعاصرين عن النظم الإسلامية، وهي من أصل (نظم) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (النون والطاء والميم: أصلٌ يدلُّ على تأليف شيءٍ وتأليفه. وَنَظَّمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَّمْتُ الشَّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنَّظَامُ: الْخَيْطُ يَجْمَعُ الْخَرَزَ)^(٢) وذلك لأن شريعة الإسلام ليست تأليفاً، إنما هي وحي من الله تعالى على رسوله ﷺ، تشمل الأمر والنهي بما يسعد به البشر في الدنيا والآخرة، ولقد جمعت هذه الأوامر وهذه النواهي في مكان واحد، في صدر الإسلام وظهرت في الوحيين - الكتاب والسنة - ولو أخذ كل فئام من الناس ما يخصهم لانتظمت لهم الآيات ونصوص السنة في المعاني والمباني، على نسق معجز، ونظام كامل عادل، يعجز عن تأليفه كل منظمي أنظمة البشر، لأنه الهدى من الله والملك ملكه والخلق خلقه والأمر أمره، فمن تشريعات الإسلام ما ينظم العلاقات بين الناس، خاصة في ظل الرعاية بين الراعي والرعية، وفي ظل الحاكمية بين الحاكم والمحكوم وفي ظل الرياسة بين الرئيس والمرؤوس، والمعنى لهذا واحد يتمثل في تقدير المسؤولية، وتنظيم المصالح بين أفراد المجتمع المسلم؛ بما يجلب المصلحة ويدفع المفسدة، ويحفظ الضرورات الخمس الكلية: الدين والنفس والعرض والمال والعقل، عن نافع عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٣). ومن دور الدعاة إلى الله بيان أصول هذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لأنها متى عرفت الحقوق والواجبات التابعة لها، عاش الناس في وئام، وسادت الحبة بينهم على صلاح وخير، وأهم أصول هذه العلاقة:

- (١) السمع والطاعة في المعروف حق الحاكم على المحكوم.
- (٢) العدل في الرعية والقيام بالمسؤولية حق المحكوم على الحاكم.
- (٣) الرجوع إلى الكتاب والسنة في الأحكام حق الحاكم والمحكوم.

(١) العلاقة في المسؤولية والرعاية تبدأ من الأب و الأبناء، وتعلو إلى أن تصل إلى الولاية العظمى في المجتمع من الإمامة والخلافة وما في معناها.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥. ص: ٤٤٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم: ٧١٤٤ (٦٣/٩) ..

(٤) النصيحة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم وفق ضوابط النصيح الشرعية والمصالح المرعية.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(١))

وعند مسلم في صحيحه عادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ^(٢) مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. قَالَ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »^(٣).

٢) بيان عوامل نماء المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

زيادة المحبة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام تعني حياة السعادة للحاكم والمحكوم، وينعكس أثرها على كافة أطراف المجتمع بالتضحية والإيثار والقوة والتماسك، ومن دور الدعاة إلى الله بيان عوامل نماء المحبة بين الحاكم والمحكوم، وتأكيد أثرها على الناس بالمقال والمثال، والحث عليها، ومن أهم هذه العوامل: تعريف الناس أن اختيار الرجل الصالح في الحكم والقوامة والمسؤولية، ينشر العدل ويسعد الناس به، والمساعدة في تأليف القلوب على الحاكم بعد حكمه ومساندة القائم في قوامته والمسؤول في مسؤوليته، والحث على صلاح الرعية لأنه مرتبط بصلاح الراعي، ومتى شعر الحاكم بمحبة المحكومين له وإخلاصهم له ومناصحته بالحسنى، عطف عليهم وسعى فيما يصلح شأنهم، واستمسك بهذه المحبة لأن بها بقاءه في حكمه، ومتى شعرت الرعية بمحبة الراعي لهم؛ ورحمته بهم بما يقدمه لهم من خير، عاضدته ونصرته واستمسكت به عن غيره، ورضيت به حكما عدلا محسنا، وأدت الواجب الشرعي له، ولزمت الجماعة ونبذت الرفقة والشقاق، عن ابن الزبير يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «أكرموا أصحابي، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، ثم يظهر الكذب؛ حتى يشهد الرجل، ولا يستشهد، ويحلف الرجل، ولا يستحلف، فمن أحب منكم يُحِبُّهُ الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن»^(٤). قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه أمير العراق أبو حفص، إلى البصرة سنة خمس وخمسين وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان. قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٤٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم: ٣٨٠ (١/٨٧).

(٤) انظر مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ٩١٧٧ (٨/٢٨٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح لغيره.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ عِظْمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(١) (أورد البغوي في تفسيره: (قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية)^(٢) أمر الله فيها بكل ما ينمي المحبة من العدل والإحسان وإعطاء القرابة حقهم، وهي عن كل ما يسبب الكراهة والعداوة من الفواحش والمنكرات والظلم، والمأمورات فيها والنواهي هي الواجب القائم على كل من الراعي والرعية والحاكم والمحكوم. والتاريخ حافل بالأمثلة والدروس والعبر في هذا الخصوص، وبين أيدي الدعاة إلى الله صفحات من تاريخ الإسلام في العدل والإحسان وحسن العاقبة، وفي الظلم والسوء وسوء العاقبة، وهذه صفحة من الإحسان والعدل والحب. أورد ابن الأثير في أسد الغابة من حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبر استشهاد عليه السلام: (قال: يابن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء المسجد، فقال: غلام المغيرة بن شعبه. قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله! لقد أمرت به معروفًا! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكشر العلوج^(٣) بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقاً - فقال: إن شئت فعلت؟ أي: إن شئت قتلنا، فقال: كذبت! بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم. واحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل يقول: لا بأس، وقاتل يقول: أخاف عليه. فأني بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه. ثم أتى بلبن فشربه، فخرج من جوفه. فعرفوا أنه ميت. فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه، وجاء غلام شاب فقال: أبشر - يا أمير المؤمنين - ببشرى الله له، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافاً، لا علي ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه - قال: إن وفي له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال)^(٤) حب الناس لعمر قام بعدله، وحب عمر للناس من أجله استشهاد عمر، يأتيه الناس محبة وينصحهم فرادى وجماعات محبة، وليس ذلك إلا في ظل علاقة الحاكم المسلم بشعبه. وعمر بن عبد العزيز مثل في الزهد والورع والعدل، أنزل في قلوب الناس بذلك، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: كُنَّا بِعَرَفَةَ. فَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ عَلَى الْمَوْسِمِ. فَقَامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٥، ص: ٣٩.

(٣) (علاج) العين واللام والجيم أصل صحيح يدل على قمرس ومزاولة، في جفاء وغلط. من ذلك العليج، وهو حمار الوحش، وبه يشبه الرجل الأعجمي. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢١/٤)

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أو الحسن علي بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٠ م، ج ٤، ص: ١٧٥.

لَأَبِي: يَا أَبَتِ إِنِّي أَرَى اللَّهَ يُحِبُّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: لِمَا لَهُ مِنَ الْحُبِّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ. فَقَالَ: بِأَبِيكَ أَنتَ سَمِعْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ عَنْ سُهَيْلٍ^(١).

ثانيا : العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

(١) بيان أصول العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

ترتفع الناس في المقامات بعضهم على بعض، كما قسمت بينهم معيشتهم، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ابتلاء من الله، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتِنَاكُمْ)^(٢) وهذا الاختلاف عام لحكمة الابتلاء، قال ابن كثير في تفسيره: (أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والخاص والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك)^(٣) فكل إنسان يتميز عن الآخر في صفاته وقدراته، وحين تقوم العلاقات بين الناس في تحمل المسؤوليات، يجمع بينهم عامل الإنسانية وحق الأخوة فيه، وعامل التعايش وحق المحبة فيه، فإن الإنسان أخو الإنسان، ويجب أن يعيش في أمان وسلام، ومن واجب الدعاة إلى الله بيان أصول العلاقة الإنسانية بين الناس خاصة بين أصحاب درجات التفاضل خشية أن يظلم القوي الضعيف، أو أن يبطش الحاكم بالمحكوم، أو يغش الراعي الرعية أو يفرط المسؤول في المسؤولية، وبذلك تفقد المحبة بين الناس أو تضعف وتعلو العداوة على حسن الخلق في العلاقات. قال محمد المولى بك: (وعاطفة الحب هي العامل الأقوى في تحسين حال الإنسانية، لأنها تقلل الشرور، وتقوي حمة التقارب بين الناس، وتفتح مصراعي الباب المؤدي إلى الغبطة. وليس من المتعسر إيجاد هذه العاطفة الشريفة فالجميع يعرفون تأثيرها النافع في حياتهم الأسرية وفي نفوس كل من يقاربهم من الناس. وما يشعر به الإنسان، رقيق العواطف من اللذة والهناء مع الحب يتعذر على القلم رسم حقيقته، رسما صادقا، اللهم إلا إذا كانت نفس الكاتب تفيض بهذا الإحساس)^(٤) ومن واجب الدعاة إلى الله التأكيد الدائم على مبدأ العدل والمساواة في حقوق الإنسان وحقوق الشعوب مبينا أصل العلاقات الإنسانية ومستدلا بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٥).

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أحب الله عبد أحب إليه إلى عباده، حديث رقم: ٦٨٧٥ (٤١/٨).

(٢) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٣٨٤.

(٤) الخلق الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، المطبعة العثمانية المصرية، ط ١، ١٣٥٥هـ، ص: ٢٦٩.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

٢) بيان عوامل نماء المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

إن من عوامل نماء المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم، الاحترام والرحمة والتواضع؛ فإن هذه العوامل الثلاثة، تخضع لها سائر العوامل في بناء المحبة، ورفع العداوة، وفي هذا المعنى حفظ الإسلام حرمة الدم المعصوم والعرض المصون والمال المحرز، وكذلك رحم الإنسان الضعيف والحيوان البهيم والطير، وكذلك رسم التواضع والمعروف في حق الصديق والعدو، قال الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) ^(١) قال الإمام الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك - وهو القرآن الذي أنزله الله عليه - (فأجره)، يقول: فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه - (ثم أبلغه مأمنه)، يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن - "إلى مأمنه"، يقول: إلى حيث يأمن منك ومن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين) ^(٢) الإسلام دين الإنسانية، وما بعث نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلا رحمة للعالمين، وعلى ذلك جاءت أحكام الدين، وواجب الدعاة إلى الله أن يبينوا هذه العوامل عامة، وفي خصوص الراعي والرعية أبلغ في قيام المحبة وسيادة مبدأ الرحمة والعدل والمساواة، وهي أصل العلاقات الإنسانية. وفي الحياة أولى وبعد الممات أدعى، عن زياد بن علاقة قال: سمعتُ جريرَ بنَ عبدِ الله ﷺ يقولُ يومَ ماتِ المغيرةُ بنُ شُعْبةٍ ﷺ، قامَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاءِ اللهِ وحده لا شريكَ له، والوقارِ والسَّكينة، حتَّى يأتِيَكُمُ أميرٌ، فإنَّما يأتِيَكُمُ الآنَ. ثمَّ قال: استَعفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فإنه كان يُحِبُّ العَفْوَ. ثمَّ قال: أما بعدُ فإنِّي أتيتُ النَّبيَّ ﷺ قلتُ: أبايعُكَ على الإسلام: فشرطَ عليَّ «والتَّصَحُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»، فبايعتهُ على هذا، وربَّ هذا المسجدِ إنِّي لناصِحٌ لَكُم. ثمَّ اسْتَغْفَرَ ونزل. ^(٣)، ومما يجب أن يعلمه الدعاة للناس الرحمة بين الحاكم والمحكوم، فإن الحاكم والسلطان إنسان مبتلى بالسلطة، يأتيه الشيطان من باب حب الدنيا والهوى، ويقع كغيره بين الضلالة والهدى، ومن واجبنا النصح له بحكمة، والدعاء له بالصلاح؛ لأن الله عظيم عليم حكيم، وبصلاح الراعي تصلح الرعية، وكما أن الله عفو غفور، يجب على المسلم أن يعفو ويفصح، حتى وإن كان مع من ابتلي بالسلطة؛ حتى تشيع الرحمة في المجتمع المسلم، وأنا جميعاً تحت حكمة الله وعلمه وعدله وعفوه، قال ابن القيم يرحمه الله: (لما علم السيد أن ذنب عبده لم يكن قصدا لمخالفته ولا قدحا في

(١) سورة التوبة: ٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٤، ص: ١٣٨.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم حديث رقم: ٥٧.

حكيمته، علمه كيف يعتذر إليه، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، العبد لا يريد بمعصيته مخالفة سيده، ولا الجرأة على محارمه؛ ولكن غلبات الطبع وتزيين النفس والشيطان وقهر الهوى، والثقة بالعفو ورجاء المغفرة هذا من جانب العبد، وأما من جانب الربوبية فجرى بالحكم وإظهار عز الربوبية، وذل العبودية وكمال الاحتياج، وظهور آثار الأسماء الحسنى، كالعفو والغفور والتواب والحليم لمن جاء تائباً نادماً، والمنتقم والعدل وذي البطش الشديد لمن أصر ولزم المجرة، فهو سبحانه يريد أن يرى عبده تفرد بالكمال ونقص العبد وحاجته إليه، ويشهده كمال قدرته وعزته وكمال مغفرته وعفوه ورحمته، وكمال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصفحه، وإن رحمته به إحسان إليه، لا معارضة وأنه إن لم يتغمده برحمته وفضله، فهو هالك لا محالة. فله كم من تقدير الذنب من حكمة! وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة! ورحمة التوبة من الذنب، كشرب الدواء للعليل، ورب علة كانت سبب الصحة (١).

(١) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، بيروت : دار الكتب العلمية ط ٢ ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م ص:

الفصل الثاني

دور الدعاة العلاجي

في بيان أثر المحبة على الفرد و المجتمع

المبحث الأول: المستوى الفردي و الأسري

المطلب الأول : العلاقات الفردية

المطلب الثاني:العلاقات الأسرية

المبحث الثاني:المستوى الاجتماعي

المطلب الأول :العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني:العلاقة بين الراعي و الرعية

الفصل الثاني

دور الدعاة العلاجي

في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

العلاج مأخوذ من مزاوله الشيء وممارسته؛ في سبيل الوصول إلى نتيجة مرغوبة يدفع به ضرر قد حل وتغير به المؤلف عن طبيعته، وقد يكون يحصل بهذا الضرر التلف. ويتطلب العلاج معاناة وجلد، وصبر وتصبر، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (العين واللام والجيم أصل صحيح يدلُّ على تمَرُّسٍ ومزاولَةٍ، في جفاء وغلَظ)^(١) وأورد ابن منظور في لسان العرب: (وعالجَ المريضَ مُعالِجَةً وعلاجاً عاناه والمُعالِجُ المُداوي سواء عالجَ جريحاً أو غليلاً أو دابةً)^(٢) ومن هذا المعنى نعلم أن العلاج مرتبط بوجود مرض ودواء ومريض وطبيب، والأمراض قسمان: أمراض بدنية وأمراض قلبية، فإن العلاج من المرض يستلزم علماً وخبرة ووقفاً في مخالطة الدواء للداء، حتى يحصل التأثير بمشيئة الله، ويشمر بالشفاء، ومادة الدواء محسوسة ومعنوية في الأمراض البدنية، وطريقة العلاج مرئية أو مسموعة، ففي العسل شفاء و فاتحة الكتاب رقية ومن القرآن شفاء، أما أمراض القلوب المعنوية فإن علاجها مسلّم إلى صفوة من الناس عرفوا بالصلاح والتوفيق والرشد، قدوةم الأنبياء والمرسلين، يقول ابن القيم يرحمه الله في زاد المعاد: (فَأَمَّا طِبُّ الْقُلُوبِ فَمُسَلَّمٌ إِلَى الرَّسْلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِهِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَعَلَى أَيْدِيهِمْ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ الْقُلُوبِ أَنْ تَكُونَ عَارِفَةً بِرَبِّهَا وَفَاطِرِهَا، وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَأَنْ تَكُونَ مُؤَثَّرَةً لِمَرْضَاتِهِ وَمُحَابَبِهِ، مُتَجَنِّبَةً لِمَنَاهِيهِ وَمَسَاحِطِهِ وَلَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ الْبَتَّةِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَلْقَائِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرَّسْلِ، وَمَا يُظَنُّ مِنْ حُصُولِ صِحَّةِ الْقَلْبِ بِدُونِ اتِّبَاعِهِمْ فَعَلَطٌ مِمَّنْ يَظُنُّ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ حَيَاةَ نَفْسِهِ الْبَهِيمِيَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَصِحَّتُهَا وَقُوَّتُهَا، وَحَيَاةَ قَلْبِهِ وَصِحَّتُهُ وَقُوَّتُهُ عَنْ ذَلِكَ بِمَعْزِلٍ، وَمَنْ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فَلْيَبْكْ عَلَى حَيَاةِ قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَعَلَى نُورِهِ، فَإِنَّهُ مُنْغَمَسٌ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ)^(٣) وأمراض القلوب بين مرض شبهة وشك، وبين مرض شهوة وغى، وانحراف المحبة عن ميزان الاعتدال يدخل المرء دائرة أمراض القلوب، وكذلك أمراض الأبدان لها الأثر البالغ في حالة المرء الدينية والنفسية، والواجب العلاجي للدعاة إلى الله يظهر في مساعدة المبتلين وحثهم على الصبر ليكونوا من

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٤، ص:

١٢١.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (علاج).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد الهادي الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧

هـ، ج ٤، ص: ٧ - ٨.

الصابرين الشاكرين، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه؛ حتى يوافي به يوم القيامة، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)^(١) وللدعاة إلى الله دور في علاج آثار الابتلاء وانحراف المحبة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وهو ما أبينه هنا في هذا الفصل وفق أبرز العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي، كما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية في علاقة الصداقة و علاقة الجيرة

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية في علاقة الزوجين و علاقة القرابة

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية في علاقة العمل الداخلية و الخارجية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية^(٢) في العلاقة النظامية و العلاقة الإنسانية

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الصبر على البلاء حديث رقم: ٢٣٩٦ (٤/٦٠١). حسنه الألباني.

(٢) علاقة (الحاكم والمحكوم و الرئيس و المرؤوس)

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

أولاً: علاقة الصداقة

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة الصداقة

تقوم الصداقة بين الصديقين أو الأصدقاء على مبادئ اجتمعوا عليها محبة بينهم، وهذه المحبة في الإسلام يجب أن تقوم على مبادئ الإسلام، وأعظمها عقيدة التوحيد، والقيام بفرائض الدين من الصلاة والزكاة والصيام والحج، والتخلق بأخلاق الإسلام من الالتزام بالخير والصدق والإحسان، ومن البعد عن الشر والفواحش والحرمات، لارتباط المصير بها في الدنيا والدين، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۖ ﴿٦٦﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۖ ﴿٦٧﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۖ ﴿٦٨﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۖ ﴿٦٩﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ۖ ﴿٧٠﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۖ ﴿٧١﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۖ ﴿٧٢﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۖ ﴿٧٣﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ ﴿٧٤﴾ لِمَثَلٍ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَمَلُونَ ۖ ﴿٧٥﴾) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول المؤمن مخاطباً للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك. { وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } أي: ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل عليّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيدهِ)^(٢) وأورد يرحمه الله أن هذه الصحبة كانت بين مشرك ينكر البعث ومؤمن بالله واليوم الآخر (عن ابن عباس: هو الرجل المشرك، يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا) ومن هذه الآية نعلم أن الانحراف العقدي في محبة الأصدقاء، بعضهم لبعض، أخطر من غيره، فمن واجب الدعاة بيان أثر المحبة في انحراف علاقة الصداقة، من حيث تشخيص نوع الانحراف، أعقدي؟ أم عبادي؟ أم خلقي؟ أم سلوكي؟ وبيان الضرر الناتج عن هذه الصداقة حين استمرارها على انحراف. ويتأكد دور الدعاة إلى الله في بيان هذا الخطر في علاقات الأصدقاء في هذا الزمان عن غيره؛ لانفتاح وسائل الاتصال في العالم وكثرة الصداقات، مع تعدد الأديان والمذاهب الفكرية المنحرفة، وضعف المسلمين، وظهور التقصير في أداء العبادات، وبروز مظاهر أخلاقية وسلوكية تنافي قيم الإسلام.

(١) سورة الصفات: ٥٠ - ٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٦.

ثانياً: الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة الصداقة

هل يمكن للعلاقة مع العدو أن تنقلب إلى ولاء وصلة حميمة قوية ؟ نعم. حين تقابل الإساءة بالإحسان مع عقلاء الناس وشرفائهم، وهذا مع الأعداء، فكيف مع الأصدقاء ؟ فإن أثرها أقوى. وقد أوصى الله تعالى بذلك في كتابه، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) أي: فرق عظيم بين هذه وهذه، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وقوله: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك)^(٢) وعندما يُشخّصُ الدعاة إلى الله نوع الانحراف في علاقة الصداقة، لا ينفك عنه وضع الخطة العلاجية لكل نوع حسب مظاهره وضرره، ولا يتعدى العلاج خمس درجات ضمن الخطة التي تشمل الوقت المناسب وحسن الأسلوب:

(١) البيان غير المباشر الذي يفهم منه المقصود في تصحيح الخطأ.

(٢) البيان المباشر للصواب من الخطأ وفق الأدلة الشرعية.

(٣) النصيحة بالحسنى قولاً وعملاً.

(٤) الهجر والعتاب وفتح باب المناقشة في الأسباب والنتائج.

(٥) الترك المبني على الدليل الشرعي والعقلي والمشروط بالوصل عند زوال موانع الترك. قال أبو الطيب الأبادي: ((أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ)^(٣) : أَيُّ لَأَجَلِهِ لَا لِعَرَضٍ آخِرٍ كَمَيْلٍ وَإِحْسَانٍ. وَمِنْ لَازِمِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ حُبُّ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَمِنْ شَرْطِ مَحَبَّتِهِمْ اقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ وَطَاعَتُهُمْ (وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ): أَيُّ لَأَمْرِ يَسُوءُ لَهُ الْبُغْضُ كَالْفَسَقَةِ وَالظُّلْمَةِ وَأَرْبَابِ الْمَعَاصِي. قَالَ ابْنُ رَسْلَانَ فِي شَرْحِ السُّنَنِ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ أَعْدَاءٌ يُبْغِضُهُمْ فِي اللَّهِ، كَمَا يَكُونُ لَهُ أَصْدِقَاءٌ يُحِبُّهُمْ فِي اللَّهِ، بَيَانُهُ أَنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ مُطِيعٌ لِلَّهِ وَمَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ عَصَاهُ فَلَا بُدَّ أَنْ تُبْغِضَهُ لِأَنَّهُ عَاصٍ لِلَّهِ وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَمَنْ أَحَبَّ لِسَبَبٍ فَبِالضَّرُورَةِ يُبْغِضُ لَصِدِّهِ، وَهَذَانِ وَصَفَانِ مُتِلَازِمَانِ لَا يَنْفَصِلُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَهُوَ مُطَرَّدٌ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ

(١) سورة فصلت: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٨١.

(٣) سبق تخريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

فِي الْعَادَاتِ انْتَهَى. وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مَرْفُوعًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْمُوَالَاةُ فِي اللَّهِ وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (انْتَهَى).^(١)

وتتأكد هذه الخطوات بضرب الأمثلة وبيان الأدلة في أنواع الصداقة وعناصرها ومواطن الانحراف فيها، وهذا هو منهج السلف الصالح، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ »^(٢).

ثانيا: علاقة الجيرة

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة الجيرة

أمر الإسلام بالإحسان إلى الجار وأوصى به، والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب، له حق الإسلام والقرباة والجيرة، وجار مسلم، له حق الإسلام والجيرة، وجار غير مسلم، فله حق الجيرة من الإحسان ودفع الغربة ودعوته للإسلام بالحسنى. عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَمَنْ يَأْمَنْ جَارُهُ بِوَأَيْقَةٍ.^(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم: (البَوَائِقُ جَمْعُ بَائِقَةٍ وَهِيَ الْعَائِلَةُ وَالذَّاهِيَةُ وَالْفَتْكُ، وَفِي مَعْنَى " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ " جَوَابَانِ يَجْرِيَانِ فِي كُلِّ مَا أَشْبَهَ هَذَا. أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ يَسْتَحِلُّ الْإِيذَاءَ مَعَ عِلْمِهِ بِتَحْرِيمِهِ؛ فَهَذَا كَافِرٌ لَا يَدْخُلُهَا أَصْلًا. وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ جَرَاؤُهُ أَنْ لَا يَدْخُلُهَا وَقَدْ دُخِلَ الْفَائِزِينَ إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لَهُمْ، بَلْ يُؤَخَّرُ ثُمَّ قَدْ يُجَازَى، وَقَدْ يُعْفَى عَنْهُ فَيَدْخُلُهَا أَوَّلًا. وَإِنَّمَا تَأَوَّلْنَا هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَفَا عَنْهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ أَوَّلًا، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(٤) فإن دفع الشرور والغوائل عن الجار من الواجبات الشرعية الاجتماعية، ومن واجب الدعاة إلى الله بيان وتشخيص أنواع الانحراف في علاقة الجيرة والتي تقطع المحبة والإحسان بينهم، وهذه الأنواع متعلقة بأصول الجيرة من المحافظة على كامل الحقوق، وأهمها:

(١) حق المكان. فلا يعتدى على ملكه ولا يضايق في مدخله ومخرجه.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة: المكتبة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٨٨هـ ، ج ٩ ، ص: ١٨١٤ .

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب لزوم السنة، حديث رقم: ٤٦١٥ (٣٣٥/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حديث رقم: ٥٦٣٩ (٤٥٦/٦). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إثم مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَةٍ، حديث رقم: ٦٠١٦ (١٠/٨).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ ، ج ٢ ، ص: ١٧ .

- ٢) حق المتاع والمال. فلا يُعتدى على ماله ومتاعه.
- ٣) حق الأهل والعرض. فلا تنتهك حرمة أهله وعرضه بقول أو فعل.
- ٤) حق البصر والسمع. فيمنع من كشف ستر بيته و عورته بالنظر أو التصنت أو التجسس، ما لم توجد قرينة سوء حكم بها الوالي ليدفع الشر عن الناس .
- ٥) حق الطعام والشراب. فلا يبيت في شبع وجاره يبيت طاويا.
- ٦) حق الراحة في المبيت والسكن. فلا يقدم على ما يزعج جاره في سكنه أو يقلق مبيته.
- ٧) حق المؤانسة والمواساة. فيشاركه أفراحه وأحزانه.

وهذه الحقوق وغيرها يجب على الدعاة إلى الله بيان أمرها مجملا ومفصلا في عموم حق المسلم على المسلم ، وفي الحق الجار خصوصا لتحقيق السلامة في علاقة الجار لجاره وينعما بعلاقة تقوم على المحبة وحسن الجيرة، مبدؤها الإحسان ومنتهاها الحسنى. قال الله تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ^(١) قال البغوي في تفسيره: (قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة، وأبو موسى، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم) ^(٢)

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة الجيرة

إن علاقة الجيرة يقل الانحراف فيها نسبيا عن غيرها؛ لجمع المكان بينهما في صورة شبه دائمة، فيحرص كل من الجارين على مصالح الآخر، وحفظ الاحترام والتقدير أو الود المتبادل بينهما، ومن دور الدعاة إلى الله بيان الخطة العلاجية لمن ساءت العلاقة بينه وبين جاره في خمس خطوات:

الأولى: محاولة رَأْب الصدع في العلاقة بدفع السيئة بالحسنة و الاستمرار في هذا لأسلوب. قال الله تعالى: (أَدْفَعْ بِأَلَيْ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٦٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٦٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) ^(٣)

(١) سورة يونس: ٢٦.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٤، ص: ١٣٠.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٦ - ٩٨

الثانية: الاستعانة بأحكام الجيران وأعقلهم ليكون طرفاً ثالثاً في حل الخلاف والنصح بحسن الجيرة، قال الله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

الثالثة: الصبر وكف الشر من طرفه، وعدم مبادلة الإساءة بالإساءة، مع اتباع السنة في معاملة الجار لجاره، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ « أَذْهَبَ فَاصْبِرْ ». فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ « أَذْهَبَ فَاطْرَحَ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ ». فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَقَعْلَ وَقَعْلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ (٢).

الرابعة: الاستعانة بالقضاء في دفع السوء ورد الحقوق. وقبلها الدعاء للجار بالهداية والصالح والاستعانة من جار السوء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ فَإِنْ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلَ عَنْكَ) (٣).

الخامسة: تبديل الدار مع إكرام الجار والنصح له، محافظة على أمر الدين بحسن الجوار وعدم أذية الجار.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: العلاقة الزوجية وعلاقة القرابة

أولاً: علاقة الزوجين

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة الزوجين

العلاقة بين الزوجين يجب أن تقوم على الحب والمودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف ولكل منهما حق على الآخر بحسب الدور الذي يقوم به شرعاً، وبحسب خصائصه الخلقية والوظيفية، فللزوج من الزوجة المتعة الحلال والطاعة بالمعروف، وللزوجة من الزوج المهر (الصداق) والنفقة والمتعة. ويجب عليهما التعاون فيما بينهما على العبادة وتربية الأولاد التربية الصالحة والقيام بدورهما في رعاية المنزل والبناء الاجتماعي الصالح وحين يتعذر الحب وهو أمر نسبي في البشر ولا يستقر؛ فإن العفو والإنسانية والمعروف لا تتعثر. فلا بد من الصبر والتصبر والخير في هجران الإساءة والشر. قال الله تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٤) ومن دور الدعاة إلى الله تشخيص المشاكل الزوجية التي تضطرب بها علاقة الزوجين، وتتفرع هذه المشاكل من أصول العلاقة القائمة على الحب والمودة والرحمة، حين تبدل بهضم الحقوق الواجبة بينهما، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ؟

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في حق الجوار، حديث رقم: ٥١٥٥ (٤/٥٠٤). حسنه الألباني.

(٣) انظر: سنن النسائي - كتاب الاستعاذة - باب الاستعاذة من جار السوء، حديث رقم: ٥٥١٧ (٨/٦٦٧). حسنه الألباني.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٧.

قَالَ: أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا يَقْبَحَ، وَلَا يَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ^(١). وإذا لم تشخص المشاكل و تعالج من بدئها؛ فسوف تنمو منها الكراهة بعد الحب وتظهر في أمرين: سوء العشرة والقصور في أداء الحقوق الشرعية، مما يؤدي إلى الطلاق وجاء به الإسلام كعلاج لكف سوء العلاقة بينهما في تدرج وعلى ثلاث مراحل، طلقان متفرقتان ثم ثلاثة تبين بها بينونة كبرى، ومن ثم لا رجعة إلا بعد نكاح من زوج آخر يطلق طلاقاً معتاداً غير متحايلاً به، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، جَاءَتْ امْرَأَةٌ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَأَبَتْ طَلَاقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الزَّيْبِرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ: أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَيَّ رِفَاعَةَ. لَا. حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ^(٢). وفي تشخيص حالة علاقة الزوجين لابد من إفهام الزوجين أن الحق يسلترم البيان الواضح، ولا حياء في السؤال عن أمر الدين، فيما يوجب الطهر والعفاف والصالح.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة الزوجين

العلاقة بين الزوجين من أهم العلاقات، حيث يبنى عليها المجتمع، ومنها تبني شخصية الفرد، ومن الواجب المحافظة عليها في بناء سليم ومحبة، وقوة وتماسك ومودة، ولكل أسرة وضع خاص بها، في التكوين والمعاش والعدد، ووضع عام في الحقوق والواجبات وأنظمة المجتمعات، ومن دور الدعاة إلى الله بيان الخطة العلاجية لانحراف العلاقة بين الزوجين مع اعتبار النظر في الجانبين الخاص والعام، وتحديد الجزء المسبب للمشكلة وفق التصنيف الأسري: الزوج أم الزوجة؟ الأبناء أم الأقارب؟ أم أمور خارجة عن إطار الأسرة؟ ومن بعد تحديد السبب أو الأسباب يجب تحديد العلاج وفق خطة واضحة ومن أهمها:

١) التأكيد على مخافة الله في أداء الحقوق والواجبات بين الزوجين، ومراعاة غايات الزواج وأهدافه. والتعاون بين أهل البيت الواحد في لم الشمل، ورأب الصدع، ولو فيه حمالة غير مرغوبة على النفس، ومن ذلك التعاون بين الضرائر، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَسْلَاحِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ. قَالَتْ: فَلَمَّا كَبُرَتْ جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لِعَائِشَةَ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ: يَوْمَهَا، وَيَوْمَ سَوْدَةَ^(٣).

(١) انظر: سنن ابن ماجه- كتاب النكاح- باب حق المرأة على الزوج، حديث رقم: ١٨٥٠ (٥٦/٣). صححه الألباني.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الشهادات- باب شهادة المختي، حديث رقم: ٢٦٣٩ (١٦٨/٣). وانظر صحيح مسلم- كتاب

النكاح- باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها، حديث رقم: ٣٥٩٩ (١٥٤/٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم- كتاب الرضاع- باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم: ٣٧٠٢ (١٧٤/٤).

(٢) بيان أساليب الرحمة والمحبة التي ينبغي للزوج أن يتبعها في العطف على أهله، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) ^(١). ومن أساليب الرحمة ألا تطلب الزوجة من زوجها ما لا يستطيع وعلى الزوج الصبر على مطالب النساء ومعاشرتهن بالمعروف أو التسريح بإحسان: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بَبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ جَالِسًا، حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا. قَالَ: فَقَالَ: لِأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجأتُ عَنْقَهَا، فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا. كَلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلُنَ رَسُولَ اللَّهِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَقُلْنَا: وَاللَّهِ! لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اغْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعَشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ} — حَتَّى بَلَغَ {لِلْمُحْسَنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا} قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ. فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ» قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ. قَالَتْ: أَفِيكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْزِني مُعْنَةً وَلَا مُتَعْنَةً، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا» ^(٢).

٣) بيان وسائل حسن تبعل المرأة لزوجها من التجمل والتحمل:

وهذا الأمر لا يخفى على أحد أهميته ووسائله وأساليبه، ولكن قد يغفل البعض من النساء والرجال عنه بسبب مشاغل الحياة الأولية من طلب الرزق ورعاية البيت والأبناء، أو الانشغال بمواقف الحياة المتعددة التي تصرف المرء عن الاهتمام بنفسه أحياناً؛ ولذا وجب على الدعاة التبصير والبيان في أمر الجمال والتجمل بين الزوجين بعضهما لبعض، والصبر على أمور الحياة وعلى بعضهما البعض، فإن لكل مجتمع طبيعته وعاداته وتقاليده، ولكل أسرة ظروفها الخاصة. ومن الركائز الهامة في الجمال: الطهارة المعنوية والمادية بالنظافة في البدن والثوب والمكان، وحسن المعاملة باختيار الكلمات المناسبة للمواقف، والابتسامة وحسن الحيا والأخلاق الحسنة. ومن الركائز الهامة في الصبر: التفاؤل وعدم اليأس، والعمل على إزالة العقبات بحكمة. وللدعاة إلى الله معين وافر من مواقف السلف الصالح كشواهد واستنباط الدروس والعبر ومن هذه المواقف مثلاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أَحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ؛

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب حسن معاشره النساء، حديث رقم: ١٩٧٧ (٤٧/٣). صححه الألباني.

(٢) انظر صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية حديث رقم: ٣٧٦٣ (٤/١٨٧).

لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ^(١) وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَسْتَنْطِفَ حَقِّي عَلَيْهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) ^(٢). وعن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة و يخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني و انقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) ^(٣) قال: و زوجها أوس بن الصامت. ^(٤).

٤) بيان الوسائل الشرعية في التأديب عند اضطراب العلاقة بين الزوجين ومنها ما خص الله به الزوج من القوامة، قال الله عز وجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) ^(٥) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْتِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) ^(٥) والضرب في هذه الوسائل العمل به ليس على إطلاقه وليس لكل امرأة، بل يكون لنوع خاص من النساء و عند ترجح الفائدة منه، وتقدير الحكم الشرعي المناط به وضبطه، بعدم التقيح وضرب الوجه أو ما يجرح أو يكسر أو يؤثر في البدن شوها - أي غير مبرح - قال ابن بطال: (وقال قتادة في قوله: (ضرباً غير مبرح) قال: يعني غير شائن، وقال الحسن: غير مؤثر) ^(٦) وكذلك عندما يكون في تجاوز المرأة إلى ما لا يحل، ويكون بعد الوعظ والهجر وفي حدود ضيقة، وبصورة محددة لا تفقد المحبة وتحفظ الكرامة وتوصل رسالة المحاسبة وتثبت حق القوامة.

٥) بيان أوجه الصلح والإحسان والتقوى بين الزوجين حال الاتفاق أو النفور أو الطلاق، قال الله تعالى: (وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ^(٧) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُعَلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) ^(٨) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الطلاق - باب ما قالوا في قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة)، حديث رقم: ١٩٦٠٨ (٥/٢٧٢).

(٣) سورة المجادلة: ١.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الطلاق - باب في الظهار، حديث رقم: ٢٢١٦ (٢/٢٣٤). و انظر: صحيح الحاكم - كتاب التفسير - تفسير سورة المجادلة، حديث رقم: ٣٧٩١ (٢/٤٨٢). تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح. وحسنه الألباني.

(٥) سورة النساء: ٣٤.

(٦) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، ج ٧، ص: ٣٢٦.

سَعَتِهِ^١ وَكَانَ اللَّهُ حَكِيمًا وَاسِعًا^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى مخبرا ومشوعا عن حال الزوجين: تارة في حال نفور الرجل عن المرأة، وتارة في حال اتفاقه معها، وتارة في حال فراقه لها)^(٢) وبين يرحمه الله خمسة أمور هامة في حياة الزوجين من هذه الآيات:

أ) الظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقبول الزوج ذلك، خير من المفارقة، ولما كان الوفاق أحب إلى الله عز وجل من الفراق قال: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}.

ب) إن تتجشم مشقة الصبر على من تكرهون منهم، وتقسموا لمن أسوة أمثالهن، فإن الله عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء.

ج) إن الأزواج لن يستطيعوا المساواة بين زوجاتهم من جميع الوجوه، فإنه وإن حصل القسم الصوري: ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع وميل القلب. فإذا ملتم إلى واحدة منهم فلا تبالغوا في الميل بالكلية {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} أي: فتبقى هذه الأخرى مُعَلَّقَةً.

د) إن أصلحتهم في أموركم، وقسمتم بالعدل فيما تملكون، واتقيتم الله في جميع الأحوال، غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض.

هـ) في حالة الفراق، قد أخبر تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيهما عنها، ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه.

٦) بيان الحكمة في المعاملة بين الزوجين، بالبعد عن مواقف المواجهة الصعبة التي قد يتم بها تدمير العلاقة الزوجية في لحظات، واستبدال ذلك بالأساليب الحكيمة، ومنها الخروج عن المكان حال الغضب حيث هو من الحلول القوية في القضايا الأسرية: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «إِنْ كَانَتْ أَحَبُّ أَسْمَاءَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ لِأَبُو تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَاءُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ: غَاظَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ، فَخَرَجَ فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَتْبَعُهُ فَقَالَ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٌ فِي الْجِدَارِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ - وَامْتَلَأَ ظَهْرُهُ تُرَابًا - فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمَسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ: اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ»^(٣). ومنها أيضا بذل المعروف في صلاح البيت دون خدش للعلاقة الزوجية، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ هِنْدٌ

(١) سورة النساء: ١٢٨ - ١٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٤٢٦.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب التكي بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى حديث رقم: ٦٢٠٤ (٤٥/٨).

أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا قَالَ خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكَ مَا يَكْفِيكَ بِالْمَعْرُوفِ^(١).

(٧) عرض صور واقعية ممن يؤتسى بهم مع بيان الدروس والعبر، ومن أعظم الدروس حديث الإفك في شأن أم المؤمنين رضي الله عنها، والدروس منه لا يمكن تسجيلها هنا من كثرتها وعمق غايتها، واذكر طرفاً من دور الأبوين في حل المشاكل الزوجية يستأنس به: (من حديث الإفك: (فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ خَفْصِي عَلَيْكَ الشَّانَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً حَسَنَاءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا حَسَدْنَهَا وَقِيلَ فِيهَا، وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا بَلَغَ مِنِّي، قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَعْبَرْتُ وَبَكَيْتُ، فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتِي وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ لَأُمِّي: مَا شَأْنُهَا قَالَتْ: بَلَغَهَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ شَأْنِهَا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَيُّ بُنَيَّةٍ إِلَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِكَ فَرَجَعْتُ^(٢)) ومن المواقف التي يؤتسى بها، ما أورد البخاري في باب ما يُكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر، عن عائشة، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْخُلَوَاءَ وَيُحِبُّ الْعَسَلَ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ أَجَارَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْتُو مِنْهُنَّ فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي أَهْدَتْ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةَ عَسَلٍ فَسَقَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً فَقُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسُودَةَ قُلْتُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ سَيَدْتُو مِنْكَ فَقُولِي لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَا فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ تُوْجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ فَقُولِي لَهُ جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ^(٣) وَسَأَقُولُ ذَلِكَ وَقَوْلِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سُودَةَ قُلْتُ تَقُولُ سُودَةُ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَدْتُ أَنْ أَبَادِرَهُ بِالَّذِي قُلْتُ لِي وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكَ فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ قَالَ: لَا قُلْتُ فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ قَالَ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ. قُلْتُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَدَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ قَالَتْ تَقُولُ سُودَةُ

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب البيوع- باب من جرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة والمكيل والوزن وسنهم على نياهم ومذاهبهم المشهورة، حديث رقم: ٢٢١١ (٧٩/٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب التفسير- سورة النور- باب قوله (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)، حديث رقم: ٤٧٥٦ (١٠٦/٦).

(٣) قال أهل اللغة: العرفط من شجر العضاة وهو كل شجر له شوك، وقيل رائحته كرائحة النبيذ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد منه رائحة كريهة. قولها (جرس نحل العرفط) هو بالجيم والراء والسين المهملة أي أكلت العرفط ليصير منه العسل. انظر المنهاج للنووي (٧٦١٠٦/١٠).

سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ قَالَتْ قُلْتُ لَهَا اسْكُتِي^(١). وهذا موقف آخر من السيرة النبوية، من بيت النبوة المليء بالدروس والعبر، في معالجة الزوج لمراجعات نسائه بالحل الجماعي العادل، عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يحدث أنه قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبه له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك حاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبه لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فأسألي، فإن كان لي علم خبرتك به. قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أتاأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: مالك ولما هاهنا، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابتكت لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان. فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه. فقلت: تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ. يا بنية لا يعرّتك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها - يريد عائشة - قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه. فأخذتني والله أخذاً كسرني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه. فقلت رغم أنف حفصة وعائشة. فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرّجة فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب. فأذن لي. قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلّ حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرطاً مصبوراً، وعند

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحيل - باب ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر وما نزل على رسول الله ﷺ في ذلك، حديث رقم: ٥٢٦٨ (٧/٤٤). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، حديث رقم: ٣٧٥٢ (٤/١٨٥).

رأسه أهَبٌ مُعلَقَةٌ، فرأيتُ أثرَ الحَصِيرِ في جنبه فَبَكَيْتُ، فقال: ما يُبْكِيكَ؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، إِنَّ كِسْرَى وقِصَرَ فيما هما فيه، وأنتَ رسولُ الله، فقال: أما تَرْضَى أن تكونَ لهُم الدنيا ولنا الآخرة؟^(١).

٨) المشاركة العملية والقولية في العلاج الأسري من خلال المواقف الشخصية أو المشاركة مع الجهات المختصة في شأن الأسرة والزواج وإصلاح ذات البين، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لَحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ! وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَأَيْتَهُ! قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي. قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ. قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ)^(٢). قال ابن حجر في الفتح (ويؤخذ منه أن نظره ﷺ كان كله بحضور وفكر، وأن كل ما خالف العادة يتعجب منه، ويعتبر به، وفيه حسن أدب بريرة لأنها لم تفصح برد الشفاعة، وإنما قالت: لا حاجة لي فيه، وفيه أن فرط الحب يذهب الحياء لما ذكر من حال مغيث، وغلبة الوجد عليه حتى لم يستطع كتمان حبها، وفي ترك النكير عليه بيان جواز قبول عذر من كان في مثل حاله، ممن يقع منه ما لا يليق بمنصبه إذا وقع بغير اختياره، ويستنبط من هذا معذرة أهل المحبة في الله إذا حصل لهم الوجد من سماع ما يفهمون منه الإشارة إلى أحوالهم، حيث يظهر منهم ما لا يصدر عن اختيار من الرقص ونحوه، وفيه استحباب الإصلاح بين المتنافرين سواء كانا زوجين أم لا. وتأكيد الحرمة بين الزوجين إذا كان بينهما ولد)^(٣).

وبهذه الخطوات العلاجية يستطيع الدعاة إلى الله أداء واجبهم بتعزيز المحبة بين الأزواج في المجتمع والحفاظ على حسن المعاشرة وصدق المعاملة وعلاج كثير من مظاهر الخلاف بين الزوجين.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة التحريم - باب (لا تبغي مرضاة أزواجك) حديث رقم: ٤٩١٣ (١٥٦/٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الطلاق - باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ، حديث رقم: ٥٢٦٨ (٤٤/٧).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ، بيروت: دار المعرفة ،

١٣٧٩ هـ. ج ٩، ص: ٤١٤.

ثانيا: علاقة القرابة

(١) تشخيص انحراف المحبة في علاقة القرابة

إن انحراف علاقة القرابة قد يؤدي إلى أعظم الجرائم، والقتل من أبشع صور الجرائم البشرية على الأرض، ننج كأول جريمة عليها في قرابة انحرفت المحبة فانحرفت العلاقة، غرر به الشيطان ابن آدم، من مدخل الحسد بين الأخوين، نزع المحبة منه وأبدلت بالكراهة، وكانا الحسد والقتل انحرافا بشعا في علاقة القرابة، قال الله تعالى: (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٣٨﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣٩﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤٠﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٤١﴾) ومن دور الدعاة العلاجي تشخيص الانحراف في علاقة القرابة وبيان آثاره السيئة الموصلة للخسارة، وبهذا الدور تدوم المحبة بين الأقارب، وتطفأ نار العداوة، وتزبد الصلة بينهم، وليس الواصل بالمكافي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصْلَاهَا. (٢). وتشخيص حالات الانحراف في علاقة القرابة يقتضي سبر أسباب عقوق الوالدين، وأسباب تفريط الأبوين في المسؤولية وضياع حقوق الأولاد، وأسباب قطيعة الرحم، وحين تعرض الأسباب، يمكن لكل مسؤول وقريب أن يدرك الخطأ الذي يوقعه في كبائر الذنوب، ويصححه بعلاج يبتدره، ويوصي به، ويتواصى عليه، وهو الحرص على بقاء المحبة الشرعية بين الأقارب، رمز التواصل، وسبيل من سبل دخول الجنة.

(٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة القرابة

إن من أعظم البلاء، ضلال وظلم من تحب، بل في أعظم محبوب فطري وهما الوالدان والأولاد، فإن المواجهة غير متكافئة، عندما تحب لهم ما يكرهون، ويكرهون ما تحب، تقدم لهم التوحيد والخير والهداية مع الحب، أفضل مطلوب، ويصرون على الشرك أو الكفر أو الغواية أو الظلم، أعظم مرهوب، قال الله عز وجل: (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِبْتُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٦٢﴾ يَأْتِبْتُ إِيَّيْ فَذَ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٦٣﴾ يَأْتِبْتُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٦٤﴾ يَأْتِبْتُ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٦٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٦٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٦٧﴾ وَأَعِزَّنِي لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٦٨﴾) قال الشيخ السعدي في تفسيره: (

(١) سورة المائدة: ٢٧ - ٣٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب ليس الواصل بالمكافي، حديث رقم: ٥٩٩١ (٦/٨).

(٣) سورة مريم: ٤١ - ٤٨.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلية (١) هذه الجمل المستنبطة من دعوة إبراهيم لأبيه، رسمت الخطة العلاجية في دور الدعاة العلاجي في بيان انحراف علاقة القرابة في أعظم شؤونها وهو العقيدة، وما دونه من انحراف أحق بهذه الأساليب العلاجية، وهذا هو سبيل النبي ﷺ في دعوته مع أقاربه، قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (٢) دعا إبراهيم أباه بلفظ القرابة، حين قال (يا أبت) ويكررها رجاء استدرا العاطفة، وهكذا دعا النبي ﷺ قومه باسم القرابة ليعث في نفوسهم حق القرابة ويستجيبوا لدعوته وألا يكون غيرهم أولى بنصرته، وأولى بالنصرة القرابة، وقرابته قريش، عن ابن عباس، رضي الله عنهما {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} قَالَ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ فَتَزَلَتْ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَصْلُوا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. (٣). وعن عمرو بن العاص، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: (إِنَّ آلَ أَبِي (٤) لَيَسُوا بِأَوْلِيَائِي إِنَّمَا وَلِيِّ اللَّهِ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ (وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبْلَهَا بِلَاهَا يَعْنِي أَصْلَهَا بِصِلَتِهَا) (٥) (٦). فمن واجب الدعاة إلى الله في معالجة انحراف علاقة القرابة، حث الأبناء على بر الوالدين وبيان أوجه البر والطاعة والأجر في ذلك، وتبصير الآباء والأمهات بحقوق الأبناء وأساليب التربية والتعامل معهم وفق أعمارهم ومداركهم العقلية، وحث الأقارب على الصلة والإحسان وبيان فضلها والحث على ترك القطيعة والعدوان، والصبر على الأذى النفسي في سبيل صلة الأرحام، عن أبي هريرة ؓ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ «لَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ» (٧) وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٨). ويكفي ما في السنة النبوية من دروس وتوجيهات في حل كل المشكلات بالحلول الإيمانية والعملية، عن أبي هريرة ؓ، قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيِّ تَسْأَلُهُ خَادِمًا. فَقَالَ لَهَا: «مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ» فَرَجَعَتْ. فَأَتَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: «الَّذِي سَأَلْتَ أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَوْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ؟» فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ: قُولِي: لَا. بَلْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ. فَقَالَتْ: فَقَالَ: «قُولِي:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٤٩٤.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب المناقب-، حديث رقم: ٣٤٩٧ (٤/١٧٨).

(٤) زيادة: قَالَ عَمْرُو فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ (بَيَاضٌ) وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ.

(٥) زيادة عُبَيْسَةَ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ بِيَانِ قَيْسِ الَّذِي رَوَى عَنْ عَمْرٍو.

(٦) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب يبل الرحم ببلالها، حديث رقم: ٥٩٩٠ (٦/٨).

(٧) (مل) الميم واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تقليب شيء، والآخر على غرض من الشيء. فالأول مَلَّتْ الحُبْزَةُ في النار أَمْلُهَا مَلًّا، وذلك تقليب إياها فيها. والملة: الرماد أو التراب الحار. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٢٧٥).

(٨) انظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٦٦٨٩ (٨/٨).

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ. مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ. أَفْضِلْ عَلَيْنَا الدِّينَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(١). وهذا درس آخر في علاج محبة الوالد لولده، وذلك بتسليية المصاب بفقد الولد بماله من الأجر: عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له فقال له النبي ﷺ: «أَتُحِبُّهُ؟» فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه ففقدته النبي ﷺ فقال لي: «ما فعل ابنُ فلان؟» قالوا: يا رسول الله مات فقال النبي ﷺ لأبيه: «أما تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدَتْهُ يَنْتَظِرُكَ» فقال الرجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «بَلْ لِكُلِّكُمْ»^(٢).

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

أولاً: علاقة العمل الداخلية

١) تشخيص الانحراف للمحبة في علاقة العمل الداخلية

إن علاقات العمل الداخلية بين العاملين محور نجاح العمل، والمحبة عامل هام ومؤثر فيها، ومن واجب الدعاة إلى الله بيان هذا العامل وأثره في نجاح العمل، كي يستفيد العاملون أولاً ومن ثم رؤساء الأقسام ومديرو الدوائر الإدارية والتشغيلية، ومن ذلك تشخيص الانحراف في علاقة العمل وأثر المحبة في ذلك، وهذا التشخيص يبرز في زوايا الأعمال من عدة وجوه أهمها:

١) التنافس بين العاملين: حين تزرع روح التنافس الشريف بين العاملين في كل مجال أو عمل حسب الأنظمة السائدة في تلك الدائرة؛ فإن العمل يأخذ طابع الحيوية والنشاط، وترتبط بين العامل والعمل محبة جذب يزداد بها الإنتاج ويحس العامل بالمتعة في الأداء، ومن الواجب ألا يتحول التنافس في العمل إلى حسد بين العاملين، فيخرج عن المقاصد الحسنة إلى مقاصد تولد العداوة والبغضاء، وتضعف الإنتاج وتقضي على المحبة، وهذا الانحراف في حب الذات يؤدي إلى انحراف في علاقات العاملين.

٢) توزيع الأجور والخوافز والمكافآت: عندما يشعر جميع العاملين بالعدل في استحقاق الأجر المناسب لأداء العمل وزمنه، فإن المحبة تسود العلاقات الداخلية بين العاملين، وكذلك في صرف الخوافز والمكافآت، ولكن عندما يشعر العاملون بالظلم في الأجر سواء في معادلته لطبيعة العمل أو تأخيرها عن وقته أو تكليفهم بجهد يتعارض مع طاقتهم البدنية أو العقلية أو النفسية أو الزمنية؛ فإن ذلك يؤدي لانحراف في علاقتهم مع

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الدعاء - باب دعاء رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٣٨٣١ (٧/٥). صححه الألباني.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند المكيين رضي الله عنهم حديث رقم: ١٥٥٩٥ (٣٦١/٢٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

طبيعة العمل ومع أهل السلطة فيه، ولسوف يقضي على المحبة، ويولد الإضراب عن العمل والمطالبة بالحقوق الذي يسفر عن خلل في النظام العام للمجتمع.

٣) العلاقات مع الرؤساء والمديرين في الدائرة: إن عيون العاملين التي ترقب العمل وتقوم عليه؛ ترقب هي والقلوب، رؤساء الأقسام ومديري العمل وأصحاب السلطة في الدائرة، تنظر إلى الداخل والخارج من مقرهم، وترقب الأوامر الصادرة بحقهم ومنهم وإليهم، والصلات الناتجة عن ذلك، من يقدمون؟ ومن يؤخرون؟ ومن كسب محبتهم؟ وما دواعي هذه المحبة؟ وما نتائجها؟ لذا يجب أن يرى الجميع أن مصلحة العمل مقدمة على أي مصالح أخرى داخل الدائرة، ويلمسون ذلك في واقع التنفيذ قولاً وعملاً، أما إذا وجدت أن الأفعال تخالف الأقوال والأنظمة، ومصالح العلاقات الخاصة تفرض التقديم والتأخير، فإن المحبة الحميدة للعمل ورؤسائه ومديره سوف تنحرف إلى كراهة، وحقيقة محبتهم القائمة على مصالح تضر الآخرين هي محبة ذميمة ومذمومة.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية

العمل الجماعي الذي تتشكل منه علاقة العمل الداخلية، لا يخلو من وجود انحراف ومشاكل تخص العمل والعاملين، ومنه تضعف محبة العاملين للعمل وتضعف العلاقات بينهم، وحين القيام بالعلاج فإن ذلك يتطلب المشاركة من الجميع على مستوى الإدارة وأصحاب القرار أو على مستوى العاملين، حيث المحبة والقوة طبيعة العمل، ويكون العامل المشارك في العلاج قد أدى واجبه، فيما يرضي ربه وضميره تجاه التصحيح، ويوصل إلى طريق النجاح والنجاح، قال الله تعالى: (وَسَلِّمْهُمْ عَنِ الْفَرِيقِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً آَلِجَرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ يَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ أَجْنَبَتْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٩﴾) قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: (فالمعنى: أن صلحاء القوم كانوا فريقين، فريق منهم أيس من نجاح الموعدة وتحقق حلول الوعيد بالقوم، لتوغلهم في المعاصي، وفريق لم ينقطع رجائهم من حصول أثر الموعدة بزيادة التكرار، فأنكر الفريق الأول على الفريق الثاني استمرارهم على كلفة الموعدة، واعتذر الفريق الثاني بقولهم: {مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فالفريق الأول أخذوا بالطرف الراجح الموجب للظن، والفريق الثاني أخذوا بالطرف المرجوح جمعاً بينه وبين الراجح لقصد الاحتياط، ليكون لهم عذرا عند الله أن سألهم لماذا أقلعتم عن الموعدة، ولما عسى أن يحصل من تقوى الموعوظين بزيادة الموعدة) (٢) والخطة العلاجية

(١) سورة الأعراف: ١٦٣ - ١٦٥.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ٣٣٢.

لانحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية يجب انطلاقها من أربع طرق:

الطريقة الأولى: القضاء على مصادر الحيلة في العمل بوضوح لوائح وأنظمة العمل للجميع وضبطها.

الطريقة الثانية: تشكيل لجان المتابعة المختصة بشأن الإصلاح والتأديب.

الطريقة الثالثة: القرار الحازم العادل في مكافأة المخلصين ومحاسبة المقصرين.

الطريقة الرابعة: المطالبة بالحقوق وفق أنظمة المجتمع العامة وعدم الاقتصار على نظام العمل الخاص .

ودور الدعاة إلى الله في علاج انحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية يكون ببيان هذه الطرق للناس وأهل الأعمال خاصة، وإيضاح أهمية المحبة بين العاملين وأداء الحقوق والواجبات المتعلقة بمصادر الرزق الخاص للعاملين والمتعلقة باقتصاد المجتمع العام. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسَلِّمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسَلِّمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بِوَأْتِقُهُ، قَالُوا: وَمَا بِوَأْتِقُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيَنْفِقَ مِنْهُ فَيَبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ^(١).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حديث رقم: ٣٦٧٢ (١٨٩/٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

ثانياً: علاقة العمل الخارجية

(١) تشخيص الانحراف في علاقة العمل الخارجية

أصبحت الدراسات الاقتصادية تعنى بعلاقة العمل الخارجية، عناية فائقة؛ لأنها أصبحت تمثل الدور الأول في سقف توزيع الإنتاج، حيث تمثل العلاقة الخارجية علاقة مع جمهور الناس، وتمثل علاقة العاملين مع بعضهم البعض خلال القيام بمصالح العمل خارج مقره، وهنا تمثل المحبة عامل جذب للمنتجات فيقبل الناس على ما يحبون منها، ويتركون ما لا يرغبون، وقد يتركونها بغضه فيها لسوء المعاملة في العرض أو البيع أو الشراء، وتمثل المحبة عامل بناء في علاقات العاملين المختصين بالعرض أو البيع أو الشراء، أورد ابن رجب الحنبلي: (قال الفضيل بن عياض: الحبُّ أفضلُ من الخوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يُحبُّك، والآخر يخافك، فالذي يُحبُّك منهما ينصِّحُك شاهداً كنت أو غائباً لحبه إياك، والذي يخافك عسى أن ينصِّحَكَ إذا شَهِدْتَ لما يخاف، ويغشك إذا غبتَ ولا ينصِّحُكَ)^(١) ومن دور الدعاة إلى الله تشخيص انحراف المحبة ضمن علاقة العمل الخارجية من عدة وجوه أهمها:

الوجه الأول: حقيقة الدعاية والإعلان للمنتجات ومحبة الناس للمصادقية فيها. فإن الوسيلة الإعلانية المباشرة أو غير المباشرة، يجب أن تتسم بعرض الواقع للمنتج وصفاته وثمرته دون غرر أو كتمان ضرر، ويجب أن تلزم ضوابط الشريعة من الأوامر والنواهي في طريقة العرض.

الوجه الثاني: الصفات الشخصية لمندوبي العرض والبيع والشراء، وهذه الصفات يجب ألا تخرج عن صفات المسلم في الهيئة والخلق حيث هي حقيقة المحبة في الصفات الذاتية وما عداها يمثل انحراف وإن جعلت له مبررات اقتصادية أو اعتبارات شخصية.

الوجه الثالث: طبيعة العلاقات المباشرة مع جمهور الناس وزملاء العمل، ويمثلها الصدق وحسن الخلق. وعليهما تقوم الثقة والمحبة.

(٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية

إن مسألة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، مسألة اقتصادية اجتماعية يحكمها نظام المجتمع الاقتصادي في العرض والطلب^(٢)، والمحبة عامل هام في تكوين علاقات العمل الخارجية حيث يتحقق بها النجاح على

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ٧٧-٧٨.

(٢) الليبرالية الاقتصادية هي (الرأسمالية) بوجهتها الانتهازية وطبيعتها اليهودية، تقوم منذ وضع أسسها (آدم سميث ١٧٢٣ م - ١٧٩٠ م) على المصلحة الخاصة أو (الأثانية)، فهي تحرك الوحيد للنشاط الإنساني، وهي تقوم على أساس منطق ألا يوضع أمام المصلحة أي قيد، وهو ما عبر عنه المؤسس بقوله: (دعه يعمل، دعه يمر) فالإقتصاد لا ينظمه حسب النظام الرأسمالي إلا قانون العرض والطلب وقوانين الطبيعة البشرية، دون أي قيود أو ضوابط.

المستويين الاقتصادي والاجتماعي، وإن فقدان المحبة أو ضعفها يمثل انخفاض في المستوى الاقتصادي وتفكك في المستوى الاجتماعي، وعلاج هذا الانحراف يستلزم خطة شاملة على مستوى النظام العام يختص بتعديل الانحراف وتصحيح الأهداف، ومن دور الدعاة إلى الله العلاجي المشاركة في هذه الخطة على عدة مستويات:

المستوى الأول: المشاركة في وضع الأنظمة الضابطة لأساليب الدعاية والإعلان التي تلزم أصحابها بالمصادقية وتنفيذ أوامر الشريعة في العرض حين تقديم المنتجات للناس.

المستوى الثاني: المشاركة في تبصير مندوبي العرض والبيع والشراء بأحكام الشريعة في صفات المسلم الذاتية الخلقية والسلوكية.

المستوى الثالث: المشاركة في إقامة الدورات التدريبية والندوات الثقافية والبحوث العلمية الخاصة بعلاقات الاتصال، ضمن تعاليم الإسلام وأخلاقه، وبما يحقق مقاصد الشريعة في الدنيا والدين.

ومن المعلوم أن المجتمع يحكمه علميا ما يسمى الضمير الجمعي في الدراسات الاجتماعية، وبالتركيز عليه يمكن التغيير في معالجة الانحرافات الاجتماعية ومنها المحبة في علاقات العمل، وحقيقة هذا الضمير أنه ركيزة اجتماعية في كل جماعة حسب صبغتها النظامية (يعتقد (دور كايم) أنه يوجد في كل جماعة، وفي كل دور من أدوار التاريخ، ما يسمى (الضمير الاجتماعي) الذي يرجع تكوينه إلى أصول شتى، بعضها من لوازم الحياة الاجتماعية دائما، وبعضها إلى حد ما يعتبر نافعا للجماعة في بعض الأوقات من أدوار ترقيقها؛ والبعض الآخر عارض وقتي وليس له أدنى استقرار، وعلى هذا الضمير تخضع الجماعة أفرادها لنمط من التربية الأخلاقية، تختاره تارة لهم، وأحيانا بطريقة لاشعورية، وأحيانا بعد البحث والتروي. ومن هنا تنشأ في نفس كل فرد طائفة من الالتزامات الحتمية التي لا يمكن أن يتملص من ربقتها إلا بنوع من انتهاك الحرمات^(١)

(١) الأخلاق في الفلسفة الحديثة، أندريه كرسون، ترجمة: د. عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري، مصر: دار الكتب الحديثة، ص: ١٣٤.

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

أولاً: العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

(١) تشخيص انحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

السمع والطاعة في المعروف حق الحاكم على المحكوم وتحقيق المصلحة ودرء المفسدة حق المحكوم على الحاكم، ضمن أطر النظام المحكم، وشريعة الله من القرآن والسنة هي الواجب تحكيمها في المجتمع المسلم. فمن دور الدعاة إلى الله تشخيص انحراف المحبة في علاقة الحاكم والمحكوم لأنه لا يمكن الاستمرار في العلاقة بينهما دون المحبة، وإن استمرت العلاقة زمناً، فسوف تدعو الكراهة ويدعو الظلم والجور إلى قطعها ونشوب الفتن والاضطرابات، وتشخيص الانحراف هنا مرتبط بمدى تحقيق الغايات والأهداف من العلاقة بين الراعي والرعية على مستوى جميع المسؤوليات، من ولاية الرجل والمرأة في بيتهما إلى الولاية العظمى في المجتمع، ويخل بهذه العلاقة غالباً عنصر متربص من الداخل أو الخارج يفتنهم بهواه أو بهوي غيره ليحصل التزاع وتحل الفرقة، ويظهر هذا المعنى في قصص القرآن والسنة، وأحداث الأمم السابقة، وأحداث التاريخ الإسلامي، قال الله تعالى عن خطاب موسى لأخيه هارون عند فتنة السامري لبني إسرائيل وعبادتهم للعجل من دون الله: (قَالَ يَهْجُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعُ ۚ أَفَعْصَيْتَ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْتَنُوْا لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ۖ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۚ)^(١) الفتنة بيت الضلال، والهوى عمادها، والفرقة تنبت من العصيان ومخالفة ذوي السلطان والجماعة، وحينها يعم الفساد والانشقاق، وأسباب الشقاق فساد العقيدة وضلال الفكر، ولا يعصم من ذلك إلا اتباع المرسلين والعلماء المخلصين قال الله تعالى لنبيه بعد قصة موسى وقومه: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۚ مِّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا)^(٢) قال الإمام الطبري في تفسيره: (قول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) يقول: كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعابنها، وقوله (وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا) يقول تعالى ذكره لحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرًا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين، وقوله (مِّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) يقول تعالى ذكره: من ولى عنه فأدبر فلم يصدق به ولم يقر (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا) يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملاً ثقيلاً وذلك الإثم

(١) سورة طه: ٩١ - ٩٦.

(٢) سورة طه: ٩٩ - ١٠٠.

العظيم^(١) المحبة في معناها العادل بين الحاكم والمحكوم تقوم عندما يؤدي كل مسؤول ما وكل إليه من مسؤوليته، وفي كتاب الله تعالى والسنة النبوية البيان الحق الواضح في توزيع المسؤوليات والحقوق والواجبات، وأي إخلال بها هو إخلال بميزان المحبة العادل.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أمانة من الطرفين في أداء المسؤوليات، والعدل في حق الحاكم أخص، لأنه مرجع لكل خصومة ومصدر في إحقاق الحق، قال الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)^(٢) قال القرطبي في تفسيره: (هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين و الشرع)^(٣) ومن دور الدعاة إلى الله في بيان تثبيت المحبة بين الراعي والرعية، ووضع الخطة العلاجية لانحراف المحبة بينهم، أن يركزوا على ثلاثة أمور، هي:

الأمر الأول: النصيحة المستمرة لكل مسؤول بأداء أمانته، من الإمام الأعظم القائم على شؤون المسلمين ووزرائه وأعوانه إلى الحارس في حراسته، والخادم في مال سيده وكل عامل في عمله. ويكون ذلك من وازع المحبة، وزرعا لها بين الحاكم والمحكوم. وعلى الناصح أن يفقه أسلوب النصيحة ومقام المنصوح وأثر النصيحة فليست النصيحة لولي الأمر كمناصحة الحارس أو أي فرد في المجتمع فالنصيحة للإمام تكون بالسر والرفق واللين وذكر الخير الذي فيه: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَىٰ عُثْمَانَ فَتَكَلِّمُهُ؟ فَقَالَ: أَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمَعُكُمْ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ. مَا دُونَ أَنْ أَفْتِاحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ. وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ. بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ. فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ. فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَىٰ. فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ. فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٤).

الأمر الثاني: بيان الأحكام والتشريعات للناس في خصوص الحقوق والواجبات والمسؤوليات التي بها يقضى على جميع الخلافات والمنازعات وتسود المحبة في حياة الراعي والرعية. ومن ذلك درء الفتن وحسن الظن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٨، ص: ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص: ٢٥٥.

(٤) انظر صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله حديث رقم: ٢٦٧٤ (٨/٢٢٤).

بالوالي و التحذر من الخروج والحذر من الخوارج: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «بُعِثَ إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ فقسمها بين أربعة» وعند البخاري وحدثني إسحاق بن نصر حدثنا عبدُ الرزَّاق أخبرنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال: بَعَثَ عليٌّ وهو في اليمن إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ في تربتها فقسمها بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع وبين عُيَيْنَةَ بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائي ثم أحد بني نهبان فتغيظت قريش والأنصار فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: إنما أتألفهم، فأقبل رجلٌ غائرُ العينين، ناتيءُ الجبين، كثُ اللحية، مشرف الوجنتين، مخلوقُ الرأس، فقال: يا محمدُ اتق الله، فقال النبي ﷺ فمن يطيع الله إذا عصيته فيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني، فسأل رجلٌ من القوم قتله، أراه خالد بن الوليد، فمنعه النبي ﷺ، فلما ولى قال النبي ﷺ: إنَّ من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروقَ السهم من الرميَّة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^(١).

الأمر الثالث: أن العدل كل العدل في الحكم بما أنزل الله وبه ينعم الناس بمحبة بعضهم لبعض، وأن الأحكام الوضعية البشرية منبت للظلم والفساد، وبها تفشو الكراهة والأحقاد.

ثانيا: العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

(١) تشخيص انحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

الإنسانية، كلمة تدل على الإنسان بما حمل من صفات فطرية من توحيد الله ومحبة ورحمة، قبل أن تخلطها الأطماع الذاتية المؤدية للقسوة والظلم، وأصبحت هذه الكلمة رمزا للذكرى بحق الإنسان على الإنسان، وبحق الحياة والعيش السوي لكل ما يدب على الأرض من المخلوقات، وعندما ينسلخ الإنسان من صفاته الفطرية، أو ينحرف عنها، تنعدم منه الإنسانية بمفهومها العادل، فيتحول إلى إنسان نظام، أو طاغية وظالم، لا يؤمن العيش معه، ولا ينعم معه بمعنى الإنسانية، وأعظم شيء يُفقد من الإنسانية، عقيدة التوحيد، وعقيدة البعث والحساب، فإن الذي لا يؤمن بالله ولا بالبعث والحساب؛ فإنه يفعل بهواه، ويقود الآخرين بنار قوة الذات، ويجلدتهم بعضا النظام أو الظلم، ولا يعتبر قيمة لأحد إلا ما أشيع هواه، وهذا منيع فقدان المحبة والإنسانية، يقول الله تعالى في حق الجبابرة، قال الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٢) قال البغوي في تفسيره: (قال أكثر المفسرين: دعا غمرو د برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له، فانتقل إبراهيم إلى

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى (تخرج الملائكة والروح الملائكة والروح إليه حديث رقم: ٧٤٣٢/٩/١٢٧).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

حجة أخرى، لا عجزاً، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول: فأحي من أمت إن كنت صادقاً فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى. (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) أي تخير ودهش وانقطعت حجته (١) ولقد نزع الله ملكه وأهلكه الله فيمن أهلك، وهذا مصير كل من عدم الإنسانية، عناد وطغيان مع ظلم، ينتهي بفسق وكفر وسوء عاقبة في الدنيا والآخرة. وتشخيص الدعاة إلى الله لانحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم، يجب أن ينطلق من عقيدة الوجود والغاية من كل موجود في الوجود، أن له حق العيش والحياة الكريمة، وحق التفكير والرأي لمن منح العقل والتفكير، فالنظام مطلوب في نسق الحياة وهو من أولويات النجاح والتطور، ولكي نصل إلى ذلك، يجب علينا تطبيقه مع مراعاة مبادئ الإنسانية، من الخلق الحسن والرحمة والمحبة، واعتبار الذات واحترام الآخرين، والمشاركة في قضاء حاجات المحتاج، وأن الله رفع الحرج عن الناس، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وهذه هي إنسانية الإسلام، قال الله عز وجل: (هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (٢) الإنسانية في الإسلام فضل فوق العدل، فإن العدل مطلوب وهو الحق المشروع في النظام، وأما الإنسانية فهي الحق المشروع على النظام، وعلى كل راع ورعية أن يتراحموا بينهم بحق الرحم الأولى، فإن ذكرها يثير المحبة ويترفع العداء، ففي رحمة الإنسان للإنسان وغيره من المخلوقات، وتراحم الطير والوحش والحيوان، ذكرى عظيمة برحمة الرحمن الخالق المنان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ بِهَا يَتَرَاحِمُونَ وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣). ومن نزعته منه الإنسانية في حكمه ورعايته ونزعته منه الرحمة، فقد تفضلت عليه الوحش والحيوان في رحمة جنسها بالحفظ والدفاع ومشاركة الحياة. وكل من أعان على ذلك مختاراً فهو داخل في دائرة الانحراف هذه، وهذا التشخيص الدقيق لمن انحرفت المحبة في علاقته الإنسانية ظلماً وطغياناً وعلواً، وأظلم منها أن يعبد الإنسان الإنسان أو الشجر أو الحجر أو الحيوان وغيرها محبة من دون الله، ومن منطلق المسؤولية وعلاقة الإنسانية أن يربي الآباء الأبناء على عقيدة التوحيد الخالص، قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ هُوَ يَعْظُهُمْ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (٤).

(١) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ٣١٦ - ٣١٧.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله تعالى وأما سبقت غضبه، حديث رقم: ٧١٥٠ (٩٦/٨).

(٤) سورة لقمان: ١٣.

٢) الخطة العلاجية المقترحة لانحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

إن القتل وسلب الأموال، وانتهاك الحرمات، وقهر الذوات، نتائج حتمية عند فقدان الإنسانية، ولا محبة ولا كرامة معها أبداً، فمن دور الدعاة إلى الله تبصير الناس بحق الإنسان على الإنسان، وحق الحياة لكل من يشارك فيها، وأن يجعلوا منطلق الإنسانية حسن المعاملة، وغلبة العاطفة على العقل في موطنها، فيعطف الكبير على الصغير، ويرحم القوي الضعيف، ويساعد الغني المحتاج، ويرحم الإنسان الطير في الهواء والحوث في الماء، ويجب الإنسان الإنسان ويعمل كل راع بحب وعاطفة مع رعيته، ويكف عن العسرة، ويكسر قيود الأنظمة الظالمة، ويقدم اليسر والبشارة. هذا الدور الذي يقوم به الدعاة إلى الله، علاج محوره المحبة، ولا ينفك عن نصوص الشرع الآمرة بالرحمة والتكافل، ومواقف السيرة الحافلة بمعاني الإنسانية بشتى صورها ومن ذلك:

١) قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ الثَّقَلَيْنِ^(١): هُوَ النَّخْصِرُ، وَلَكِنْ كَذَا قَالَ - قَالَ: (إِنِّي لَبَيْلَادُنَا إِذْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتُ وَأُلُوِيَّةٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَدْ بُسِطَ لَهُ كِسَاءٌ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَسْقَامَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ، ثُمَّ أَغْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرَضَ ثُمَّ أُغْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ، عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدِرْ لِمَ عَقَلُوهُ، وَلَمْ يَدِرْ لِمَ أَرْسَلُوهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَوْلَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَسْقَامُ؟ وَاللَّهِ مَا مَرَضْتُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُمْ عَنَّا، فَلَسْتُ مِنَّا، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءٌ، وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ قَدْ ائْتَفَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَمَرَرْتُ بِغَيْضَةِ شَجَرٍ فَسَمِعْتُ فِيهَا أَصْوَاتَ فَرَاحٍ طَائِرٍ، فَأَخَذْتُهِنَّ فَوَضَعْتُهِنَّ فِي كِسَائِي، فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي، فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ، مَعَهُنَّ فَلَفَفْتُهِنَّ بِكِسَائِي، فَهُنَّ أَوْلَاءٌ مَعِي، قَالَ: صَعَّهِنَّ عَنْكَ فَوَضَعْتُهِنَّ، وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: أَنْعَجِبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الْأَفْرَاحِ فِرَاحِهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَوَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْأَفْرَاحِ بِفِرَاحِهَا، ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ فَرَجَعَ بِهِنَّ^(٢).

٢) عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (الحمرة طائر) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي ترفرف) فجاء النبي ﷺ فقال "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها" ورأى قرية غل قد حرقناها فقال "من حرق هذه؟" قلنا نحن قال "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"^(٣).

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن أبو جعفر النقيلي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب الأمراض المكفرة للذنوب، حديث رقم: ٣٠٩١ (١٤٩/٣). ضعفه الألباني.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في كراهية حرق العدو بالنار، حديث رقم: ٢٦٧٧ (٨/٣). صححه الألباني.

٣) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ)^(١).

٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأْ خِفَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَقَى، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ »^(٢).

٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (أَنَّ أَسْوَدَ - رَجُلًا، أَوْ امْرَأَةً - كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ وَلَمْ يَعْلَمْ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ؟ قَالُوا مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا آذَنْتُمُونِي، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذًا وَكَذًا قِصَّتُهُ، قَالَ: فَحَقَرُوا شَأْنَهُ قَالَ: فَدُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ)^(٣).

٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْنِيهِ: أَبَا الْمَسَاكِينِ.^(٤)

نصوص رحمة الإنسان بالإنسان، من الكتاب والسنة، كثيرة جدا، و ما عرضت هنا من نصوص يغلب عليها الرأفة بالحيوان لغاية وهي: هل الإنسان أكرم، أم الحيوان ؟ والجواب لا يقتضي التفكير، فقد كرم الله الإنسان بالعقل والتكليف بالعبادة واصطفى منهم الأنبياء والمرسلين، ولكن قد يصل بعض الناس، إلى مستوى أدنى من الحيوان، حين يفقد الإنسانية ويضل في معنى العبودية لله، ويخسر محبة الله والناس ويقع في العذاب، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)^(٥) قال ابن كثير في تفسيره: (ولهذا قال في هؤلاء: { بَلْ هُمْ أَضَلُّ } أي: من الدواب؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبس بها، وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء؛ ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده، فكفر بالله وأشرك به؛ ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر به، من البشر، كانت الدواب أتم منه)^(٦)

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير ، باب إذا حرقَ المشركُ المسلم، هل يحرقُ؟. حديث رقم: ٣٠١٩ (٦٢/٤).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب المساقاة - باب سقي الماء، حديث رقم: ٢٣٦٤ (١١٢/٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن، حديث رقم: ١٣٣٨ (٩٠/٢).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب مجالسة الفقراء، حديث رقم: ٤١٢٥ (٢٣٩/٥). ضعفه الألباني.

(٥) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٣ ، ص: ٥١٤.

الفصل الثالث**دور الدعاة الوقائي****في بيان أثر المحبة على الفرد و المجتمع****المبحث الأول: المستوى الفردي و الأسري****المطلب الأول : العلاقات الفردية****المطلب الثاني: العلاقات الأسرية****المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي****المطلب الأول : العلاقات الشخصية العملية****المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي و الرعية**

الفصل الثالث

دور الدعاة الوقائي

في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

الوقاية تعني الحماية وبذل ما يمكن لدفع الأذى والبعد عنه، وأصلها من (وقي) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدلُّ على دَفْعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره. ووقِيَتْه أقيِهَ وقِيًا. والوقاية: ما بقي الشيء. واتَّقَى الله: تَوَقَّه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية)^(١) وأورد ابن منظور في لسان العرب (وَقِيَتْ الشيءَ أَقِيَهُ إِذَا صُنَّتْهُ وَسَتَرَتْهُ عَنِ الْأَذَى)^(٢) فإن ارتباط الوقاية بالخطر أو الأذى يستوجب معرفة الأخطار وأنواع الأذى التي يجب الحماية منها، وعليه يمكن للإنسان أن يعد الوسائل القوية والأساليب المانعة الواقية من بلوغ الأذى، ويحفظ البيضة من الاستباحة، والوجه من الإهانة والقلب من الزيغ والعقل من الضلالة، والمال من القلة والحال من الذلة، ومن أعظم الأخطار انفتاح بواب الشهوات والشبهات على الفرد والمجتمع مما يدمر العقيدة في القلب ويذهب العلم من العقل ويحرف الأخلاق عن الاستقامة؛ لذا فقد امتن الله على المؤمنين ببعثة الرسول الذي بين لهم الحق، قال الله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)^(٣) قال الإمام الطبري في تفسيره: (وقوله (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ) يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم (لَعَنِتُمْ) يقول: لنالكم عنت، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ في أفعاله كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدوا، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين، فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم، كان قد قتل، وقتلتم من لا يحلّ له ولا لكم قتله، وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحلّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فبالكم من الله بذلك عنت (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) بالله ورسوله، فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتون به فيطيعكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتبعوه، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم. وقوله (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتكم (وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) بالله (وَالْفُسُوقَ) يعني الكذب (وَالْعِصْيَانَ) يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ، وتضييع ما أمر الله به (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول: هؤلاء الذين حَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٦، ص: ١٣١.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (وقي).

(٣) سورة الحجرات: ٧.

أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق^(١) فمن الدور الوقائي للدعاة إلى الله بيان العقيدة و حقيقة الإيمان وأثرهما في حياة وسلوك وأخلاق الفرد مما له الأثر البالغ على المجتمع، وهي مجملية في هذه الآية العظيمة (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) ويمكن إجمالاً حصر الأخطار المعنوية والمادية التي يتعرض لها الناس ويجب التحذير الوقائي منها وهي عدة أنواع:

أولاً: الحروب بما تشمله من إهلاك الأنفس والحرق والنسل، والوقاية منها يتطلب فتح باب الحوار بين الشعوب، ونشر ثقافة السلم، والحنكة السياسية، وإعداد العدة العسكرية والقوة المعنوية لصد كل معتد ومحارب وهي واقع لا بد منه، ووسيلة من سنن المدافعة. وكل ذلك محبة للعيش الكريم.

ثانياً: الأمراض البدنية والنفسية، ويتطلب للوقاية منها إعداد الدراسات الطبية الخاصة بتحليل طبيعة الأمراض وتحصين الناس بإعداد الأمصال والأدوية الوقائية منها بإذن الله، وإشاعة الثقافة الطبية لحماية المجتمع والبيئة من كافة الأمراض. وكل ذلك محبة للصحة والعافية والحياة الهانئة.

ثالثاً: العقائد الضالة والأفكار الخاطئة، ويتطلب للوقاية منها، نشر العلم القائم على الدليل الشرعي، والثقافة النقية، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وإقامة مراكز للدراسات العلمية والفكرية ومراكز للدراسات الاجتماعية والإحصائية، والربط بين تلك المراكز في تحقيق الوقاية من مصادر العقائد الباطلة والأفكار الضالة، حسب نتائج المراكز التي تحدد مصادر الخطر ومساحة امتداده ليتم بموجبها إعداد البرامج الإعلامية والعلمية الوقائية. وكل ذلك محبة في الحق ودفاعاً عنه، ولكي يعيش المسلم حقيقة الحياة ويفهم الغاية من الوجود وهي عبادة الله الواحد الأحد، الحي القيوم، ويعبده بما شرع ويدعو إلى عبادته.

رابعاً: الأخلاق الفاسدة والسلوك المعوج، وهي نتيجة سلبية لعوامل التأثير والتأثر وضعف التربية الأسرية والمدرسية، ويتطلب للوقاية منها، إعادة النظر في أوضاع الأسرة في المجتمع ومناهج التربية في المدارس ووسائل الاتصال ومواد الإعلام، وبموجب ذلك يتم وضع الدراسات والخطط والبرامج الكفيلة بمحاصرة الانحراف الأخلاقي والسلوكي، وإن لم تتم إزالته وهو الغالب، فيمكن إضعاف قوته، وتخفيف نسبته. محبة في الحفاظ على الدين والعقل والعرض من الانحراف.

وعند النظر بعين التحليل للأسباب والمسببات والنتائج السلبية والإيجابية، للأخطار المحدقة بالفرد والأسرة والمجتمع، نجد أن المحبة عامل فاعل في الأسباب الإنمائية والعلاجية والوقائية، وهنا في هذا الفصل، يهمننا هذا العامل كسبب وقائي، حيث الحب أو المحبة قيمة جميلة وصفة محمودة بين الناس في أغلب معانها، وقد تنحرف بصاحبها إلى مواطن محظورة وخطرة؛ لذا حد الإسلام فيها حدوداً، تلازم معها أحكام في الدنيا والآخرة، وللدعاة إلى الله دور في الوقاية من هذا الانحراف على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وهو ما أبينه هنا في هذا الفصل وفق أبرز العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي، كما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت

: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٢، ص: ٢٩٠.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية: علاقة العمل الداخلية و علاقة العمل الخارجية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية^(١): العلاقة النظامية و العلاقة الإنسانية

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

أولاً: علاقة الصداقة

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة الصداقة

أصل الاعتدال في علاقة الصداقة هو محبة الحق من الصديقين أو الأصدقاء، وميزان الحق في كل شيء تختلف عليه العقول وتتفق، وتجتمع عليه القلوب وتختلف، وتبقى الصداقة ما بقي الاتفاق على الحق في الشيء، وبدونه إما تنقطع لعدم الوفاق، أو تزيد قوة على باطل، والحق واضح جلي، تتوافق عليه الفطرة السليمة والعقول المستقيمة، ويجتمع عليه الناس ولا يختلفون، قال الله تعالى: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ)^(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (ذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قَيَّضَ لَهُمْ مِنَ الْقُرَنَاءِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ: (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي: حَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فِي الْمَاضِي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين)^(٣) وأصل الاعتدال للمحبة بين الأصدقاء أن تبنى على الحق بما جاء عن الله ورسوله ﷺ. وأن تكون دون إغراق ، ميزان المحبة والبغض كما رآه السلف (عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال لي عمر بن الخطاب ؓ : يا أسلم لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت ، فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء ، يحبه ، وإذا أبغضت ، فلا تبغض بغضاً تحبُّ أن يتلفَ صاحبك ويهلك . وقال الحسن : أحبوا هوناً ، وأبغضوا هوناً ، فقد أفرط أقوام في حب أقوامٍ ، فهلكوا ، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا. قال علي رضي الله عنه : أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما. ورفع بعضهم عن علي وعن أبي هريرة ، والصحيح أنه موقوف على علي رضي الله

(١) هي التي تستوجب المسؤولية في الرعاية بدءاً من صاحب الولاية العظمى في المجتمع ومن تحته، كل في مسؤوليته وحكمه أي علاقة الحاكم والمحكوم على العموم.

(٢) سورة فصلت: ٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ، ج ٧ ، ص: ١٧٤.

عنه^(١) فمن دور الدعاة الوقائي أن يبينوا هذا الأصل سياج حماية للصدقة بين الأصدقاء؛ من الانحراف في المجتمع المسلم . وهذا الانحراف يمثل الانغماس في محبة الباطل شهوة، أو الغلو في الحق محبة، والزيف عنه شبهة . وكلاهما ينطلق من المحبة التي تبني عليها الصدقة .

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الصدقة

إن عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الصدقة، تعني سبل المحافظة على ميزان الاعتدال فيها وهو محبة الحق، لأن غيره يقود إلى ساعة الندم في الدنيا وساعة الحسرة والخسارة في الآخرة، قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ)^(٢) فإن الصدقة المتوافقة على الحق يزداد أصحابها محبة وسعادة بهذه العلاقة في الدنيا، وترتقي بهم في درجات الجنة في الآخرة فإن المرء مع من أحب^(٣)، وللدعاة إلى الله دور في صيانة المحبة من الانحراف، ومنها بيان ما يجب أن يؤديه الصديق في حق صديقه، قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ جَادَ لَكَ بِمَوَدَّتِهِ، فَقَدْ جَعَلَكَ عَدِيلَ نَفْسِهِ. فَأَوَّلُ حُقُوقِهِ اعْتِقَادُ مَوَدَّتِهِ ثُمَّ إِنْسَافُهُ بِالْإِنْسِاطِ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، ثُمَّ نُصْحُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ثُمَّ تَخْفِيفُ الْأَثْقَالِ عَنْهُ، ثُمَّ مُعَاوَنَتُهُ فِيمَا يَنْبُوهُ مِنْ حَادِثَةٍ، أَوْ يَنَالُهُ مِنْ نَكْبَةٍ. فَإِنَّ مُرَاقَبَتَهُ فِي الظَّاهِرِ نِفَاقٌ، وَتَرْكُهُ فِي الشَّدَّةِ لُؤْمٌ)^(٤) ومن القواعد المبنية على التجارب، وتكرر نقلها من أهل الأدب، أن صاحبك من يعينك في النوائب، ففي الحياة ما أكثر الأصحاب حين تعدهم ولكن في النائبات قليل؛ لأن حقيقة الصديق أنه الذي إذا ذكرت أعانك وواساك، وخير منه من إذا نسيت ذكرك، والمحبة بين الأصدقاء في الحق، تصل إلى التضحية والإيثار على النفس، ووقاية يجب على الصديق ألا يجرح صديقه في سلوك أو خلق، وألا يجرح صديقه بموقف أو حدث، بل عليه أن يكون به رفيقا، حفاظا على مودته، وهكذا مضى السلف في صداقتهم، وتصافت قلوبهم على الحق، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبيه، أنه قال: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصْبِحُ جُنْبًا، ثُمَّ يَغْتَسِلُ، ثُمَّ يَخْدُو إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، ثُمَّ يَصُومُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَأَخْبَرْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ بِقَوْلِهَا، فَقَالَ لِي: أَخْبِرْ

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، دمشق: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ — ، ط ٢، ج ١٣، ص: ٦٥ - ٦٦ .

(٢) سورة فصلت: ٢٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب علامة حب الله عز وجل، حديث رقم: ٦١٦٨ (٣٩/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب، حديث رقم: ٦٨٨٨ (٤٣/٨).

(٤) - أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، القاهرة: دار الفكر للنشر، ص: ١٧٦ - ١٧٧ .

أَبَا هُرَيْرَةَ بِقَوْلِ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لِي صَدِيقٌ، فَأُحِبُّ أَنْ تُعْفِيَنِي، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا انْطَلَقْتَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِهَا، فَقَالَ: عَائِشَةُ إِذْنُ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

أما الصداقة بين الجنسين - الذكر والأنثى - في سن التكليف، فليس لها في الإسلام أصل إلا ما قام على الزواج الشرعي ولا يسمى صداقة، بل يسمى زواجا، والزواج مقام المدح والندب والوجوب، أما الصداقة قبل الزواج فهي من المنهيات في الإسلام وعدت في المروءة أنها من ذوات الخوارم في الصفات والعادات والتقاليد، وعدت في الإسلام ذات حرمة في الدين لما تفضي إليه من سوء العاقبة من الزنا وغيره من الآثام المنصوص عليها في الكتاب والسنة، ولا تسمى في الإسلام صداقة بين الجنسين، وإن أطلق عليها في الزمن المعاصر هذا المصطلح بسبب الآثار الإعلامية وأثر الاحتكاك بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، التي تعيش على أصل الحب قبل الزواج والتجربة الزوجية قبل عقد قران الزوجين، وهذا محرم في الإسلام، فيجب على الدعاة إلى الله تبصير الناس بخطر العلاقات المحرمة باسم الصداقة، سواء كان بين الجنس الواحد أو الجنسين، والتحذير من عواقب الهوى الذي تغنى به الشعراء قديما وحديثا، قال المتنبي^(٢):

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي *** وَأَقْتَلَهُمُ لِلدَّارِعِينَ بِلا حَرْبٍ
تَفَرَّدَ فِي الْأَحْكَامِ فِي أَهْلِهِ الْمَهْوَى *** فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ
وَإِنِّي لَمَنْوَعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى *** وَإِنْ كُنْتُ مَبْدُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحَبِّ

فإن العلاقة بين الجنسين القائمة على الحب المنحرف، ذات خطورة على الفرد والمجتمع، والتحذير من ذلك هو الدور المناط بالدعاة إلى الله، الذي يعد من أهم سبل الوقاية في الحماية من هذا الخطر، ويتمثل دورهم الفعلي عن طريق المواعظ والخطب والبحوث العلمية، ووسائل الإعلام المختلفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استجابة لقول الله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ^(٣).

قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ } أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني: المجاهدين والعلماء. وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند باقي الأنصار - حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦٨١ (٢١٥/٤١). تعليق

شعيب الأرنؤوط على المسند : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح .

(٢) دايون أبي الطيب التنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط: مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ { ثم قال: "الْخَيْرُ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَسُنَّتِي" رواه ابن مردويه. والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه^(١)

ثانيا: علاقة الجيرة

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة الجيرة

أصل الاعتدال في علاقة الجيرة هو محبة الإحسان إلى الجار، وحين يلتقي الجاران أو الجيران على هذه الصفة، فإن جميع الحقوق بينهما لسوف تحفظ، وإن قصرت عن الإحسان؛ فقد تدخل إلى باب الإساءة، وهذا خلل في ميزان الاعتدال - محبة الجار الإحسان لجاره - وإن حقوق بيته أو محله، من أشرف ما يجب الحفاظ عليه، وبيت الجار للجار مكشوف الحال، ولا يجوز دخوله إلا بإذنه والسلام على أهله، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٢) قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره للآية: (قوله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا) لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: (من اطلع في بيت قوم من غير إذنه حل لهم أن يفتقوا عينه)^(٣) وقد اختلف في تأويله، فقال بعض العلماء: ليس هذا على ظاهره، إن فقا فعليه الضمان، والخبر منسوخ، وكان قبل نزول قوله تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا" [النحل: ١٢٦] ويحتمل أن يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم، والخبر إذا كان مخالفا لكتاب الله تعالى لا يجوز العمل به. وقد كان النبي ﷺ يتكلم بالكلام في الظاهر وهو يريد شيئا آخر، كما جاء في الخبر أن عباس بن مرداس لما مدحه قال لبلال: (قم فاقطع لسانه)^(٤) وإنما أراد بذلك أن يدفع إليه شيئا، ولم يرد به القطع في الحقيقة. وكذلك هذا يحتمل أن يكون ذكر فقء العين والمراد أن يعمل به عمل حتى لا ينظر بعد ذلك في بيت غيره. وقال بعضهم: لا ضمان عليه ولا قصاص، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى^(٥) وصورة الاستئذان، السلام ثم طلب الإذن، روى أبو داود عن ربعي

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٩١.

(٢) سورة النور: ٢٧.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب تحريم النظر في بيت غيره حديث رقم: ٥٧٦٨ (١٨١/٦).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٧٣/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص: ١٦٠ - ١٦١.

قال: حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال: أَلج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: (أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان - فقال له - قل السلام عليكم أَدْخِل) فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أَدْخِل؟ فأذن له النبي ﷺ وَسَلَّم فَدَخِل^(١) فمن واجب الدعاة أن يبنوا أصل الاعتدال في علاقة الجيرة من الإحسان والاستئذان كي تبقى المحبة هي السائدة بينهم.

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الجيرة

إن عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الجيرة، تعني سبل المحافظة على ميزان الاعتدال فيها وهو الإحسان إلى الجار، و يظهر هذا في الزيارات المتبادلة بين الجيران، وإطعام الطعام بينهم، وتحسس كل منهم حاجة الآخر لمساعدته. والحفاظ على سره في غير ضرر منه، و مناصحته، وغض البصر عن محارمه، قال الله عز وجل: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) ٢٤ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ^(٢) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ. قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ^(٣). ورد عند ابن بطال في شرح البخاري: (وإنما عظم الزنا بحليلة الجار، وإن كان الزنا عظيمًا؛ لأن الجار له من الحرمة والحق ما ليس لغيره، فمن لم يراعِ حق الجوار فذنبه مضاعف؛ لجمعه بين الزنا وبين خيانة الجار الذي وصى الله تعالى بحفظه^(٤)) ومن دور الدعاة إلى الله أن يبينوا الوسائل الوقائية من ضعف علاقة الجيرة بين الناس، ويحذروا من خطر انتهاك حرمة الجار، مفصلين الدروس والعبر والأحكام، ومستبدلين بالنصوص الشرعية في حق الجار على الجار، مثل هذا الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: شَرُّهُ^(٥)).

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب كيف الاستئذان، حديث رقم: ٥١٧٩ (٤/٥١٠).

(٢) سورة النور: ٣٠ - ٣١.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة البقرة - باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) حديث رقم: ٤٤٧٧ (٦/١٨)، وانظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده حديث رقم: ٢٦٧ (١/٦٣).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٨، ص: ٤٣٠.

(٥) انظر مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه حديث رقم: ٨٤٣٢ (١٤/١٥٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

أولاً: علاقة الزوجين

١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة الزوجين

أصل الاعتدال للمحبة بين الزوجين يكون في تحقيق المصلحة للطرفين، ورفع الضرر عنهما، حيث يقوم الحب بين الزوجين على الحاجات الفطرية من المتعة وما ينتج عنها من مصلحة الأولاد والمودة والسكن وسائر المنافع، وللحفاظ على ميزان الاعتدال في تحقيق هذه المنافع وجب أن يدفع المضرة كل منهما عن الآخر، وأجل المصالح تحقيق العبودية لله تعالى وأعظم المضار الصرف عن تحقيق أوامر رب العالمين، قال الله عز وجل : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (وقال مجاهد: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه)^(٢) وحيث هذا من المضار التي تقف حائلاً عن تحقيق مقاصد الدين، وجب على الدعاة إلى الله بيان أصل الاعتدال في علاقة الزوجين بما يحقق المحبة ويحافظ عليها، وأن يبينوا أيضاً أن من عدّد الزوجات وجب عليه أن يضيف عليه حق العدل بينهما، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا وَقَالَ « إِنَّهُ لَيْسَ بِكَ عَلَى أَهْلِكَ هَوَانٌ إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ لَكَ وَإِنْ سَبَعْتُ لَكَ سَبَعْتُ لِنِسَائِي »^(٣). أورد النووي في شرحه لصحيح مسلم: (وفي هذا الحديث استحباب ملاطفة الأهل والعيال وغيرهم وتقريب الحق من فهم المخاطب ليرجع إليه، وفيه العدل بين الزوجات، وفيه أن حق الزفاف ثابت للمزفوفة وتقدم به على غيرها، فإن كانت بكراً كان لها سبع ليال بآيامها بلا قضاء، وإن كانت ثيباً كان لها الخياران شاءت سبعا ويقضى السبع لباقي النساء، وإن شاءت ثلاثاً ولا يقضى هذا مذهب الشافعي و موافقيه وهو الذي ثبتت فيه هذه الأحاديث الصحيحة ومن قال به مالك وأحمد)^(٤)

(١) سورة المنتحنة: ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ١٣٩.

(٣) انظر صحيح مسلم- كتاب الرضاع- باب قدر ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف حديث رقم: ٣٦٩٤ (٤/١٧٢).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٠، ص: ٤٤.

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الزوجين

عندما تتهز العلاقة بين الزوجين وتضطرب المحبة بينهما، يتبع ذلك ضياع لكثير من المصالح الخاصة بينهما، ومصالح غيرهما من الأولاد وسائر المجتمع، وأولها الانصراف إلى فاحشة الزنا قال الله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ^(١) ومن عظيم الأضرار أيضا، تشويه السمعة والطعن في الكرامة، فإن احتواء المشاكل الزوجية والسرية في أمرها من أهم عوامل الوقاية عند انحراف المحبة في علاقة الزوجين، ولا بد للزوجين من الصبر والمصابرة على ما يحدث من خلل لا تخلو منه طبيعة الحياة الزوجية، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ. قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ. ^(٢) وهذا الحديث له مفهوم شرعي خاص تكلم فيه العلماء في محله، بما يسكت من استغله في التحقير من شأن المرأة، وغاية الحديث الموعظة والحث على المحافظة على حسن العلاقة بين الزوجين، فكما للرجل من فضل ومحامد فإن للزوجة مكارم ومحامد، ولكن الحديث جرى مجرى النفع من الموعظة بما يحفظ المحبة والمودة بين الزوجين، ويثبت فضل الرجل بما منحه الله من رجحان العقل على العاطفة وما له من فضل النفقة والرعاية، وبما رحم الله به الرجل بما منح المرأة من رجحان العاطفة على العقل ليحصل التكامل بين الزوجين خاصة وفي الحياة عامة، ومتى شكرت المرأة زوجها على إحسانه زادها بعقله إحسانا ومتى كفرت المرأة فضل زوجها وأنكرت إحسانه ضعفت المحبة بينهما ولم ترض ربها. ومن بيت النبوة مشهد تاريخي غني بالدروس والعبر، من أعظمها، عظيم حلمه وحكمته ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حَزْبَيْنِ: فَحَزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ، وَالْحَزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ. فَكَلَّمَ حَزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا. فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ. فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ لَهَا: لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ. قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. فَكَلَّمْتُهُ

(١) سورة يوسف: ٣٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - كفران العشير وكفر دون كفر، حديث رقم: ٢٩ (١٥/١).

فقال: يا بُنَيَّةُ، ألا تُحَيِّينَ ما أَحَبُّ ؟ قالت: بلى. فرجعتُ إليهنَّ فأخبرتهنَّ، فقلنَ ارجعي إليه، فأبتُ أنْ تَرْجِعَ. فَأَرْسَلَنَ زَيْنَبَ بِنْتَ بَنْتِ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ فَأَغْلَطَتْ وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلِّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تُرَدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنَتْهَا. قالت: فنظرَ النبيُّ ﷺ إلى عَائِشَةَ وقال: إنها بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ^(١). فمن واجب الدعاة إلى الله بيان عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الزوجين ومن أهمها: الحث على أداء الحقوق الزوجية. ومقام السرية في علاقة الزوجين وأثره في حفظ الكرامة. وكذلك الصبر والشكر وأثرهما في تثبيت العلاقة على المحبة، وأن الإحسان منبع الحب. والعقل والعاطفة صنوان في بيت الزوجية، كل في موضعه المناسب، وبهما تصان العلاقة الزوجية من التصدع والانشقاق. وأن الأولاد الجامع المشترك بين الزوجين، بهم الاجتماع في الصغر على الرحمة والمحبة، وبهم الاجتماع في الكبر على النصيحة والمحبة. وأنه على الزوجين الحذر من العلاقات الخارجة عن نطاق الأسرة وتدخلها في شؤونها وكذلك من دخولها عليها، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُوَ، قَالَ « الْحَمُوُ الْمَوْتُ »^(٢). أورد ابن بطال في شرحه: (قال الطبري: الحمو عند العرب كل من كان من قبل الزوج أخاً كان أو أباً أو عمّاً فهم الأحماء، فأما أم الزوج، فكان الأصمعي يقول: هي حماة الرجل، لا يجوز غير ذلك، ولا لغة فيها غيرها، وإنما عني بقوله: الحمو الموت، أن خلوة الحمو بامرأة أخيه أو امرأة ابن أخيه بمثابة الموت في مكروه خلوته بها، وكذلك تقول العرب إذا وصفوا الشيء يكرهونه إلى الموصوف له، قالوا: ما هو إلا الموت)^(٣). وقد تعدى الأمر الشرعي في الوقاية للأعراض مقام الحياة بين الزوجين إلى مقام وفاة الزوج وصيانة عرضه ونسله بعد مماته؛ فأوجب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، كي يظهر الحمل، وتطيب النفس من ألم الفراق، وكذلك حفظ بيت الزوجية وجعل مكث الزوجة في عدتها فيه، عَنْ زَيْنَبَ^(٤) بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)، أَنَّ أُخْتَهُ الْفَرِيعَةَ بِنْتَ مَالِكٍ، قَالَتْ: خَرَجَ زَوْجِي فِي

(١) انظر صحيح البخاري- كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض حديث رقم: ٢٦٢٠ (١٥٧/٣).

(٢) انظر صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة حديث رقم: ٥٢٣٢ (٣٧/٧)، وانظر صحيح مسلم- كتاب السلام- باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها حديث رقم: ٥٨٠٣ (٧/٧).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٧، ص: ٣٥٩.

(٤) زينب بنت كعب بن عجرة صحابية تزوجها أبو سعيد الخدري كذا في التجريد من زياداته وكان سلفه فيه أبو إسحاق بن الأمين فإنه ذكرها في ذيله على الاستيعاب وكذا ذكرها بن فتحون وذكرها غيرهما في التابعين وروايتها عن زوجها أبي سعيد وأخته الفريعة في السنن الأربعة ومسند أحمد روى عنها ابنا أخويها سعد بن إسحاق وسليمان بن محمد ابنا كعب بن عجرة وذكرها بن حبان في الثقات. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦٧٩/٧).

طَلَبَ أَعْلَاجَ لَهُ. فَأَذْرَكَهُمْ بِطَرْفِ الْقُدُومِ. فَقَتَلُوهُ. فَجَاءَ نَعْيُ زَوْجِي وَأَنَا فِي دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ. شَاسِعَةً عَنْ دَارِ أَهْلِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ جَاءَ نَعْيُ زَوْجِي وَأَنَا فِي دَارٍ شَاسِعَةٍ عَنْ دَارِ أَهْلِي وَدَارِ أَخَوَتِي. وَلَمْ يَدْعُ مَالًا يُنْفِقْ عَلَيَّ، وَلَا مَالًا وَرَثَتُهُ. وَلَا دَارًا يَمْلِكُهَا. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَلْحَقَ بِدَارِ أَهْلِي وَدَارِ إِخْوَتِي فَإِنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَأَجْمَعُ لِي فِي بَعْضِ أَمْرِي. قَالَ: «فَأَفْعَلِي إِنْ شِئْتَ» قَالَتْ، فَخَرَجْتُ قَرِيرَةً عَيْنِي لِمَا قَضَى اللَّهُ لِي عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ. حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ فِي بَعْضِ الْحُجْرَةِ دَعَانِي فَقَالَ: «كَيْفَ زَعَمْتَ؟» قَالَتْ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «أَمْكُثِي فِي بَيْتِكَ الَّذِي جَاءَ فِيهِ نَعْيُ زَوْجِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» قَالَتْ: فَأَعْتَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.^(١)

ثانياً: علاقة القرابة

١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة القرابة

أصل الاعتدال للمحبة في علاقة القرابة الصلة بالقول الجميل والصبر الجميل والصفح الجميل ومجمع ذلك كله الإحسان، رد الجميل للوالدين إحساناً ورحماً ورحمة، وحفظ حق ماء النسب بذوي القرابة إحساناً ورحماً ورحمة، فمن واجب الدعاة إلى الله التبصير بما يحفظ المحبة بين ذوي القرابة من بيان هذا الأصل بالدليل الشرعي المبين، وضرب الأمثلة عليه من قصص الأنبياء والصالحين الثابتة في القرآن والسنة، كيف يعين الابن أبيه وكيف يتم إحسان الأخ لأخيه، ولكل قرابة مثل في الإحسان، ومكافأة الجميل بالجميل لا تأتي إلا بالجميل، ومن ذلك موقف إبراهيم عليه السلام من ابنه وأبيه، وموقف إسماعيل عليه السلام مع أبيه، قال الله عز وجل: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٢) وعندما رأى إبراهيم في الرؤيا أنه يذبح ابنه ورؤيا الأنبياء حق، ماذا قال الابن، قال الله تعالى في حقه: (قَالَ يَتَابِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)^(٣) ومن مواقف الأخوة، موقف موسى عليه السلام من أخيه هارون في دعائه، قال الله تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۖ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَارُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)^(٤) قال الطبري في تفسيره: (وقوله (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) يقول: واجعله نبياً مثل ما جعلتني نبياً، وأرسله معي إلى فرعون (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا) يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيراً (وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) فنحمدك (إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) يقول: إنك

(١) انظر سنن ابن ماجه - كتاب الطلاق - باب أين تعتد المتوفى عنها زوجها، حديث رقم: ٢٠٣١ (١٩٠/٣). صححه الألباني .

(٢) سورة البقرة: ١٢٧ .

(٣) سورة الصافات: ١٠٢ .

(٤) سورة طه: ٣٢ .

كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء^(١) وحمد النبي ﷺ القرابة على تعاونهم في السفر والحضر، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنْاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ^(٢). قال ابن حجر في الفتح: (قوله إذا أرمَلوا أي في زادهم وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، كما قيل في ذا متربة قوله فهم مني وأنا منهم أي هم متصلون بي وتسمى من هذه الاتصالية كقوله (لست من دد)^(٣) وقيل المراد فعلوا فعلي في هذه المواساة وقال النووي معناه المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى، وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعرين قبيلة أبي موسى وتحديث الرجل بمناقبه، وجواز هبة المجهول، وفضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضا والله أعلم^(٤)

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة القرابة

إن عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة القرابة، هي السبل التي يجب أن تتبع للحد من قطيعة الرحم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا)^(٥). وقال العلماء من الحكمة في النهي عن الجمع بين الزوجة وعمتها أو خالتها في النكاح حتى لا تقطع الرحم؛ بسبب ما يصير بين الضرائر. وهذه حكمة الشريعة في كل الأحكام، ومن دور الدعاة إلى الله البيان الشامل لحقوق القرابة بجميع أوجه الإحسان من النفقة والهدية والهبة والزيارة، ومراعاة الحال والمساعدة والدعاء، ويتحقق ذلك في صلة القرابة بجميل الإحسان من الصبر والصفح والنصح، واحتساب الأجر في فضل صلة الرحم وطلب بركتها، ورد عند ابن تيمية يرحمه الله قوله: (رأى الفضيل بن عياض رجلا يشكو إلى رجل، فقال: يا هذا أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك، وقال بعضهم ذكر الله الصبر

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٨، ص: ٣٠١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الشركة- باب الشركة في الطعام والنهد والعروض وكيف قسمة ما يكال ويوزن مجازفة أو قبضة قبضة حديث رقم: ٢٥٢٧. وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل الأشعرين رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٥٦٤ (١٧١/٧).

(٣) قال غير واحد من أهل اللغة: هو مؤضع. وقال غيرهم كما عند الأزهري في تهذيب اللغة: الدد اللهو واللعب، وهو جزء من حديث: ما أنا من دد ولا الدد مني، ينظر (١٥٧/١٤).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ٥، ص: ١٣٠.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب لا تنكح المرأة على عمتها، حديث رقم: ٥١٠٩ (١٢/٧). وانظر: صحيح مسلم- كتاب النكاح- باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، حديث رقم: ٣٥٠٢ (١٣٥/٤).

الجميل و الصفح الجميل و الهجر الجميل، فالصبر الجميل الذي ليس فيه شكوى إلى المخلوق، و الهجر الجميل الذي ليس فيه أذى، والصفح الجميل الذي ليس فيه عتاب (١) وقال الله تعالى: (وَأَتِذَا الْقُرْآنَ يُقْرَأُ) وقال الله تعالى: (فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿٢٦﴾ فَكُ رَقِيبٌ ﴿٢٧﴾ أَوْ إِنْ طَعِمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٢٨﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٢٩﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ ﴿٣٢﴾ هذه الأدلة وغيرها كثير، هي من سبل الهداية إلى أداء المحبة الواجبة لذوي القرابة، وفهمها والعمل بها وهي من السبل الواقية من انحراف المحبة في حقهم، ومما يعلم أن حب القرابة من الفتنة حين الانحراف، ومن شكر النعمة حين الابتلاء والاعتراف، أورد ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَدَّثَنَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حَذِيقَةُ: أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ)، قَالَ: لَيْسَ أَسْأَلُ عَنْ ذِهِ، إِنَّمَا أَسْأَلُ عَنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ... الحديث (٤). الفتنة عند العرب: الابتلاء والاختبار، وهي في هذا الحديث شدة حب الرجل لأهله، وشغفه بهم، كما روى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَتَرَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَهُمَا وَوَضَعَهُمَا فِي حَجَرِهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (٥) رَأَيْتُ هَذِينَ فَلَمْ أَصْبِرْ، ثُمَّ أَخَذَ فَقَالَ لَهُ: أَتَدْعُو اللَّهَ أَلَّا يَرْزُقَكَ مَا لَا وَوَلَدًا! فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنْ مَضَلَاتِ الْفِتَنِ. وقال ابن مسعود ﷺ: لَا يَقِلُّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (٦) فَأَيْكُمْ اسْتِعَاذَ فَلَيْسَتْ بِاللَّهِ مِنْ مَضَلَاتِ الْفِتَنِ) (٧) وهنا أمر غفل عنه الكثير من الناس في هذا العصر، ومن واجب الدعاة بيانه، ألا وهو الحصانة ولزوم السنة في إدارة محاور الكلام على الطريقة التي تدفع الغيبة والنميمة واللعن والسباب، فإن هذا الأمر مركز في الوفاق والشقاق بين الأقارب خاصة لكثرة اللقاءات بينهم، ومن توجيهات السنة في ذلك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ٤٠٠.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦.

(٣) سورة البلد: ١١ - ١٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب الصوم كفارة، حديث رقم: ١٨٩٥ (٢٥/٣).

(٥) سورة التغابن: ١٥.

(٦) سورة التغابن: ١٥.

(٧) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض:

مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٧، ص: ١٠.

فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ^(١) وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِي بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِمَّا الْخَمْسَةَ وَالسَّتَّةَ وَالسَّبْعَةَ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ^(٢) فَقَالَ لَهُ شَأْنُ لَعْنِكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بِعِيرِهِ ». قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا بِمُلْعُونٍ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ »^(٣).

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

أولاً: علاقة العمل الداخلية

١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الداخلية

أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الداخلية هو لوائح وأنظمة العمل، حيث هي المنظمة لشؤون العمل والعاملين وتقوم على العقد، والعقد شريعة المتعاقدين إذا توافق مع مقاصد شريعة الدين، والشريعة تحفظ لكل عامل حقه المالي من الأجر وحقه الإنساني في التعامل، وتعطي لصاحب العمل حقه بضمان اتقان العامل للعمل، ومحاسبته على التفريط، وتصفو العلاقة الداخلية في ميدان العمل بالحببة القائمة على العدل والإنصاف، ومن عقود العمل في القرآن الكريم، ما ذكره الله تعالى في حق موسى عليه السلام وصاحب مدين، قال الله تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَفْجَرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَفْجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ^(١)) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَٰئِهِنَّ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٢)) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ^(٣)) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ^(٤)) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي معلقاً على علاقة العمل بين صاحب مدين وموسى عليه السلام: ({ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ } فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالاً شاقة، وإنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }

(١) بواط : هو جبل من جبال جهينة، بناحية رضوى غزاه النبي ﷺ في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من الهجرة يريد قريشا ورجع ولم يلق كيدا. انظر : مجم البلدان لياقوت الحموي (١/٥٠٣).

(٢) (لَدُن) اللام والنون كلمة واحدة. يقال لِلَّيْنِ مِنَ الْقَضِيَّانِ لَدُنَّ. وَلَدُنْ بمعنى لَدَى، أي عِنْدَ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٣/٥). التَّلَدُّنُ التَّمَكُّثُ معنى قوله تَلَدَّنَ أَي تَلَكَّأَ وَتَمَكَّثَ وَتَلَبَّثَ وَلَمْ يَفِرْ وَلَمْ يَمُوتْ يَقَالُ تَلَدَّنَ عَلَيْهِ إِذَا تَلَكَّأَ عَلَيْهِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٨٣/١٣).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث رقم: ٧٧٠٥ (٨/٢٣٢).

(٤) سورة القصص: ٢٦ - ٢٩.

فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره. فـ {قَالَ} موسى عليه السلام - مجيباً له فيما طلبه منه-: {ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ} أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. {أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قُضِيَتْ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ} سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها {وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه ^(١)

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية

إن محبة العامل لعمله وإتقانه له، محور في جودة المنتج، وإن الراحة النفسية للعاملين ومحبة بعضهم لبعض والقيام بدور التكامل الإيجابي بينهم، مؤثر في محبة العامل لعمله. فيجب دراسة اللوائح والأنظمة قبل تشريعها في أي عمل منظم، لتضمن هذا الأس في أنظمتها، وإن طرحت للتجربة مدة ومن ثم تقرير نتائجها يكون ذلك من عوامل النجاح فيها، حيث أن السبل الوقائية من انحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية، تتركز في الدراسة المستمرة لتطوير عوامل نجاح العمل من خلال ملاحظات الواقع ومتابعة سير الأعمال، ومن واجب الدعاة بيان أثر المحبة في سبل الوقاية من انحراف علاقة العمل الداخلية بإعطاء العمال حقوقهم، وتوزيع العمل بمقتضيات قدرتهم، وتلخص ذلك في عدة نقاط: ١) التأكيد على أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق فالعمل في الإسلام واجب وعبادة، وهناك من يوصله إلى درجة الفريضة التي يحاسب الإنسان على تركها ويثاب على القيام بها. وكل عمل يقوم على عقد يكون بين طرفين أو أكثر. ٢) وكل عقد له أركانه وصيغته، وينبغي أن تتوفر فيه الشروط الشرعية والنظامية، حتى يكون العقد صحيحاً. ومن أهمها الإيجاب والقبول، أي التقاء إرادة الطرفين في إنجاز العقد، في وضوح واختيار وتراضي. وأن يكونا ممن تتوفر فيهما الأهلية للقيام بالعقد من العقل والسن، وكذلك أن تكون طبيعة العمل واضحة، وفيما يجوز التعاقد فيه. ٣) للمتعاقدين واجبات يجب أداؤها، سواء كان رب العمل أو أجيراً، أو أي طرف من أطراف العقد، فالواجب الذي يؤديه أي فرد هو في الحقيقة حق للطرف الثاني، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ) ^(٢) فلو فكر كل واحد في أداء ما عليه من واجبات لما هضمت الحقوق، ولسادت المحبة في علاقات الناس بدءاً من علاقات العمل. وهذا العامل من واجب الدعاة بيانه؛ وقاية لعلاقات الأعمال بين الناس أن تنحرف ويسود الظلم المنافي للمحبة. ويفقد المجتمع بذلك أهم عوامل تماسكه ونجاته.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦١٤.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

ثانيا: علاقة العمل الخارجية

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الخارجية

أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الخارجية حسن الظن وحسن المعاملة، وهما دليلان على المصادقية، وهما مطلبان في العلاقات العامة بين الناس، وتختلف هذه العلاقة بين الأشخاص من حيث مدى قوتها وطريقة تكوينها. ولقد فهم الإسلام عن الغرر وكل مايجلب الضرر على الفرد والمجتمع، فنهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، وعن البيعتان في بيعة واحدة، وعن بيع الحاضر للباد، وعن تلقي الركبان، ومنع الغش والنجش، واشترط القبض في الموزون والمكيل للتصرف فيه (قال الخطابي : أجمع أهل العلم على أن الطعام لا يجوز بيعه قبل القبض)^(١) وكل ذلك حفظا لحقوق الإنسان في البيع والشراء التي تتعلق بها حياته الاجتماعية. وفي علاقات العمل الخارجية يجب أن تصبغ بالمصادقية وحسن الظن وحسن المعاملة للملازمة الحاجة الاقتصادية لها في كسب الجمهور، وحاجة العاملين للتعاون فيما بينهم خارج نطاق أو مقر العمل، ولا يمكن أن تتحقق الجدوى الاقتصادية بدون محبة تتكون عبر الزمن وتؤدي إلى كسب الثقة، ومن وسائلها حسن الظن وحسن المعاملة، ومن دور الدعاة إلى الله البيان لهذا الأثر في حياة العاملين، من خلال مواقف البيع والشراء والعرض والطلب، وبيان أن الربح والخسارة متلازمان في التجارة المادية وفي التجارة المعنوية، وأن الربح الأكبر من كسب رضوان الله في التجارتين، من ربح مالا فأفق في سبيل الله. ومن أحسن التعامل مع الناس بصدق، وحسن ظن، وأخلاق حسنة واكتسب حب الناس، والتحذير من استدراج الله للعبد بالنعم، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)»^(٢) ومن دور الدعاة التحذير من الخداع وصفات المنافقين التي تكسر جسر المحبة بإعراضهم عن الله وما أنزل على رسوله ﷺ وقيامهم بغش المسلمين في دينهم ودنياهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)^(٣). وقال الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(١) عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان، فاطمة صالح الجارد ، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية ، ط ١، ١٤٢٦هـ — ، ص: ٢٦٦

(٢) سورة الأنعام: ٤٤.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٣١١ (٥٤٧/٢٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب علامة المنافق، حديث رقم: ٣٤ (١٦/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب

بيان خصال المنافق، حديث رقم: ٢١٩ (٥٦/١).

وَالِى الرُّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنًا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ^(١) وهذا هو حال المنافقين، ظاهرهم الإحسان والتوفيق، وباطنهم الإساءة والخلاف، قال ابن كثير في تفسيره: (هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزئهم على ذلك، فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتم به يا محمد فيهم، فإن الله عالم بطواهرهم وبواطنهم؛ ولهذا قال له: (فَاعْرِضْ عَنْهُمْ) أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم (وَعِظْهُمْ) أي: وانهمهم على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم ^(٢). ولأهمية المحبة في العلاقات العامة التجارية وغيرها تم تحديد أقسام خاصة بها وأصبحت العلاقات العامة وظيفة هدفها ينحصر في بناء صورة محبة للجمهور عن المؤسسات والمنظمات والدوائر الحكومية والخاصة، وذلك عن طريق الأداء الممتاز والأخبار الصادقة، والمعلومات والبيانات الدقيقة الموثوقة، والاتصال الفعال المتبادل المزودج بين المؤسسة أو المنظمة أو الحكومة، وجمهورها الداخلي والخارجي، ينتج عنه تفاهم متبادل مبني على الثقة والتعاون والتقبل والرضا، وصولاً إلى إيجاد حالة من التكيف والانسجام بين المؤسسة والمجتمع الذي تعيش فيه والعمل من أجل تحقيق الصالح العام للمجتمع. وقد جاء في تعريف جمعية العلاقات العامة الدولية بأن العلاقات العامة (هي وظيفة الإدارة المستمرة والمخططة والتي تسعى بها المؤسسات والمنظمات الخاصة والعامة لكسب تفاهم وتعاطف وتأييد الجماهير التي تهمها والحفاظ على استمرار هذا التفاهم والتعاطف والتأييد وذلك من خلال قياس اتجاهات الرأي العام لضمان توافقه قدر الإمكان مع سياستها وأنشطتها لتحقيق المزيد من التعاون الخلاق والأداء الفعال للمصالح المشتركة باستخدام الإعلام الشامل ^(٣).

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية

إن التنظيم الإداري والتدريب العملي والخبر الإعلامي، من أهم عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية، وتاريخياً فقد عملت به الحضارات السابقة، وأدى هذا المفهوم إلى تعزيز حضارتهم فقد عرفت الإدارة المصرية ^(٤) القديمة نظام الحوافز وطبقته، كما عثر على وثائق كانت تصدرها الحكومات الفرعونية لتضخيم الحكام والإعلام عن منجزاتهم أو لإطلاع العامة عليها، يقصد بها الترويج لحكمهم

(١) سورة النساء : ٦١ - ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٢ ، ص: ٣٤٧.

(٣) الأسس العلمية للعلاقات العامة ، د. علي عجرة، مصر : عالم الكتب ، ط ٤ ، ١٩٩٩ م ، ص : ٢٣.

(٤) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، الدكتور محمد أبو احاسن عضفور، بيروت : دار النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص: ٥٨ .

وكسب التأييد لهم. وكانت الإدارة في الصين قديماً على مستوى عالٍ من التنظيم حيث تتسم بمجهاز حكومي يرأسه الحاكم يساعده تسعة مستشارين يشرفون على تسع إدارات تتولى تنفيذ خطة عامة مرسومة، ومن خلال هذه المناصب منصب خاص بالاتصالات الإدارية يتولاه مستشار للاتصالات الإدارية، يهدف إلى توطيد الثقة والمحبة بين الرؤساء والمرؤوسين من جهة وبين الإدارة والمواطنين من جهة أخرى. وعرفت الإدارة اليونانية بعض التطبيقات الإدارية كدورية الوظيفة كما عرفت أيضاً ما سمي بروح الخدمة العامة والتي تتمثل في التأكيد على إن المصلحة العامة تسمو على المصلحة الخاصة، وأجمعوا على أن حكم الطغاة هو من أسوأ أنظمة الحكم لأنه يعني القوة الغاشمة غير المشروعة وأن مثل هذا الحكم يظل بغياً ولو حسنت أهدافه وطابت نتائجه لما فيه من قضاء على حرية الإنسان وفكره واختياره، وفي بلاد الرافدين - العراق - كانوا يستعملون التثقيف للمزارعين وذلك بإصدار نشرات توجيهية وإرشادية تصدرها السلطة العامة، وهي تعد بمثابة وسيلة إعلامية من قبل الحكومة للشعب. أما الإدارة الإسلامية فهي مؤسسة أخلاقية إنسانية بالدرجة الأولى، دستورها القرآن الكريم والسنة النبوية. تنبع من الإسلام وتقوم على مبادئه التشريعية في كافة المجالات، ولا يغيب عن الذهن أن الحضارة الإسلامية منذ انبثاق دعوتها قد خطت خطوات سبقة في مجال العلاقات العامة والإعلام والتأثير والاتصال بمجتمعات الناس ودعت إلى استخدام أفضل الأساليب والوسائل الراقية لنشر الدعوة كما استخدم المسلمون الأوائل أسلوب الخطابة وأسلوب النشر والتأليف والترجمة والمراسلة وأسلوب الحملات التجارية والحربية إلى جانب الأساليب المنظمة عبر منابر المساجد للتوجيه والإرشاد ودور العلم والحكمة. وفي العصر الحاضر الذي تفرعت فيه أوجه الاقتصاد وأصبح يشكل عصب الحياة للأمم والشعوب، وأصبحت الضوابط فيه عالمية المبادئ والأصول، وجب على الحكام والعلماء والدعاة التعاون مع الخبراء في الاقتصاد لوضع خطة استراتيجية لفرض المبادئ الاقتصادية الإسلامية العادلة على الأنظمة الاقتصادية الجائرة التي ظلمت الفرد والمجتمع، وإن لم يكن ذلك فليكن العمل على خطة سحب الأموال الإسلامية وحصرها في تعامل اقتصادي يشمل النظام الإسلامي، يأخذ وضع الاستقلالية التدريجية عن أنظمة الاقتصاد الجائرة بما فيها من الربا وأكل أموال الناس بالباطل. وهذا المبدأ الشوري التعاوني يمثل الحل والسبيل الواقية لانحراف المحبة في علاقات العمل الخارجية، بترشيد العلاقات وإرشاد العاملين، بالمحافظة على ميزان الاعتدال فيه من الانحراف بإقامة المحبة بحسن الظن وحسن المعاملة والتناصح القائم على ستر العيوب الشخصية مع النصيحة، وتوزيع أدوار العمل العادل، قال الله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)^(١) وفي حق ملكة سبأ وعلاقتها مع نبوة سليمان عليه السلام ومملكته، قال الله تعالى: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) ٣٨ وَإِنِّي

مُرْسَلَةً إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ^(١) حفاظا على العلاقات السلمية، وحنكة في الحكمة السياسية، أرسلت ملكة سبأ لسليمان عليه السلام الهدية، لما لها من أثر على النفس يوحى بالحبّة وعدم المعارضة، وعامل جذب في العلاقات، وعامل كشف للنيات، انطلق القرار بعد لقاء مجلس الشورى، الذي خرج بسداد الرأي. وفي العصر الحاضر أصبحت الهدية رمزا دائما للمحبة في العلاقات التجارية والسياسية والاجتماعية. وهي عامل مهم وفعال من عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية.

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

أولا: العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

التكاليف الشرعية هي أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم من الطرفين، والعلاقة بين الراعي والرعية، هي درجات، بحسب نطاق التكاليف الشرعية، فنطاق المدرسة التعليمية أوسع من نطاق الأسرة، ونطاق الإمارة أو الوزارة أضيق من نطاق الولاية العظمى، وأخطر العلاقات فيها علاقة الولاية العظمى للدولة مع الشعب أو المجتمع المسلم، حيث تقوم عليها جميع مصالح الناس، في الحرب والسلم، وحين يؤدي كل طرف واجباته الشرعية تجاه الآخر، في صورة تبادلية من الأعلى إلى الأدنى ومن الأدنى للأعلى، يحصل العدل الذي به تستقر الحياة لجميع الأطراف، وتسود المحبة في المجتمع. ومن آثارها الوحدة الاجتماعية وبها يكون النصر، قال الله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ^(٢) قال القرطبي في تفسيره : (ومعنى هذا الابتلاء أنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء، علم أنه مطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهوته وعصى الأمر، فهو في العصيان في الشدائد أخرى، فروي أنهم أتوا النهر وقد ناهم عطش وهو في غاية العذوبة والحسن، فلذلك رخص للمطيعين في الغرقة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع، وليكسروا

(١) سورة النمل: ٣٤ - ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨ - ٢٥١.

نزاع النفس في هذه الحال. وبين أن العُرفَة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شظف العيش الذين همهم في غير الرفاهية^(١)

فمن متطلبات التكليف الشرعية في علاقة الراعي والرعية، السمع والطاعة في المعروف، والعدل في الرعية بالسوية. وإقامة الحدود الشرعية، واتباع الكتاب والسنة فيها، عن حُصَيْن^(٢) بن المُنْذِر الرِّقَاشِيّ هُوَ أَبُو سَاسَانَ، قَالَ شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُتِيَ بِالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فَشَهِدَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ وَرَجُلٌ آخَرُ فَشَهِدَ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ رَأَاهُ شَرِبَهَا يَعْنِي الْخَمْرَ وَشَهِدَ الْآخَرُ أَنَّهُ رَأَاهُ يَتَقَيَّأُهَا فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأُهَا حَتَّى شَرِبَهَا فَقَالَ لِعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقِمِ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ أَقِمِ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ الْحَسَنُ وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَقِمِ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَأَخَذَ السَّوْطَ فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَعُدُّ، فَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ قَالَ حَسْبُكَ، جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ، أَحْسَبُهُ قَالَ وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ وَعُمَرُ ثَمَانِينَ وَكُلُّ سَنَةٍ وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ^(٣).

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

إن العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم، شرعت للحفاظ على مقومات التماسك الاجتماعي وتحقيق المصالح العامة والخاصة، وأهمها تحقيق الوحدةانية لله والاجتماع عليها، بعبادة الله وحده لا شريك له، وميزان التماسك فيها هو المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية، ومصدر الشرعية في هذه العلاقة قول الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْتِيَةٍ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^(٤) قال الإمام الطبري: (القول في تأويل قوله تعالى: وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله^(٥) وعليه فإن كل الأسباب التي توصل إلى طاعة الله وأداء الحقوق لأهلها في العلاقات وأداء المسؤوليات، هي عوامل الوقاية من انحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم. وتأخذ هذه

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٢٥١.

(٢) حُصَيْن بن المنذر بن الحارث بن وعلة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن ذهل بن شيبان أبو ساسان الرقاشي وأبو ساسان لقب كنيته أبو محمد، يروى عن عثمان وعلي والمهاجر بن قنفذ روى عنه الحسن وعبد الله الداناج، مات حُصَيْن سنة سبع وتسعين، وأمّه بنت بكر بن وائل. انظر: الثقات لابن حبان (١٩١/٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم- كتاب الحدود- باب حد الخمر، حديث رقم: ٤٥٥٤ (١٢٦/٥).

(٤) سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٧٠.

الحقوق طبيعة الأولويات في حق الحاكم وفي حق المحكوم ومن ذلك ففي حق الحاكم أول الأولويات السمع والطاعة في المعروف وبذل الجهد معه ضد من يريد صدع الأمر ونشر الفتن وشق عصا الطاعة من الداخل، و الدفاع عن حوزة الدين وحياض الإسلام أو الجهاد في سبيل نشره. وعندما انطلقت الفتنة في عهد عثمان اشتكى منها عثمان رضي الله عنه، عن أبي أمامة بن سهل، قال: « كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ مِّنْ دَخَلِهِ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَى الْبَلَاطِ، فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ أَنْفَاءً قَالَ قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بغير نَفْسٍ. فَوَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ وَلَا أَحْبَبْتُ أَنْ لِي بَدِينِي بَدَلًا مِّنْهُ هَدَانِي اللَّهُ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا فِيمَ يَقْتُلُونَنِي»^(١). كيف وعثمان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام ومن المبشرين بالجنة، ومن أعدل الناس بعد الرسول ﷺ، وتستحي منه الملائكة؛ فنشبت الفتن، واشترأت رؤوسها، واشتكى منها المسلمون إلى العصر الحاضر حيث تفرق المسلمون وتعددت المشارب وتربص الأعداء. ومما يجب أن نعلمه من دروس التاريخ أن الظلم وهضم الحقوق، والحكم بالقهر والجبروت، والحكم بغير ما أنزل الله، والحكم بالذلة والقلّة والتجويع على المحكومين، أن ذلك من أسباب السقوط والزوال، ومن المؤثرات القوية في اضطراب الأمن والاستقرار؛ حيث نرعت المحبة وظهرت العداوة، وللوقاية في تكوين العلاقة بين الحاكم والمحكوم الحث على أداء حق المحكوم، والأولويات في هذا الحق: العيش الكريم من الغذاء والسكن والكساء. عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أحب الناس إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّه عذاباً إمام جائر»^(٢). ومن أصل المحبة بين الحاكم والمحكوم الدعاء لبعضهم البعض، عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشَرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، وَتَبْغِضُونَهُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ، قُلْنَا: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا. مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا وَمَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِّنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرِهْ مَا رَأَى مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِّنْ طَاعَةٍ)^(٣) ومن الأقوال المشهورة للإمام أحمد بن حنبل: (لو أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان)^(٤)، فإن الدعاء لولي الأمر له فوائد كثيرة إذا تتبعها منصف عاقل يضع الأمور في موازينها، منها :

(١) انظر سنن أبي داود - كتاب الدييات - باب الإمام يأمر بالعرفو في الدم حديث رقم: ٤٥٠٤ (٤/٢٩٠). صححه الألباني .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم : ١١١٧٤ (١٧/٢٦٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الأمانة - باب خيار الأئمة وشرارهم، حديث رقم : ٤٩١٠ (٦/٢٤).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص: ٤٧٨.

الفائدة الأولى : إن المسلم حين يدعو لولي أمره، فإنه يتعبد ربه بهذا الدعاء ، ذلك لأن سمعه و طاعته لولي الأمر، إنما كان بسبب أمر الله له و أمر رسوله ﷺ. وفي الدعاء تصديقاً لمبدأ السمع و الطاعة، وإقراراً به وتأكيداً له .

الفائدة الثانية : إن في الدعاء لولي الأمر إبراء للذمة، إذ الدعاء من النصيحة، والنصيحة واجبة على كل مسلم، عن أبي بكر المروذي، قال سمعت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) وذكر الخليفة المتوكل رحمه الله فقال: (إني لأدعو له بالصلاح والعافية وقال لأن حدث به حدث لتتظرن ما يحل بالإسلام)^(١) ومن مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن مقتضى النصح الدعاء له، ومن الخير الدعاء له بالتوفيق والهداية، وصلاح النية والعمل الصالح وسداد الرأي، والبطانة الصالحة والخير كله .

الفائدة الثالثة : إن الدعاء لولي الأمر من علامات أهل السنة و الجماعة، ومخالف لأهل البدعة، قال الإمام أبو محمد البرهاري رحمه الله : (وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان. قيل له: يا أبا علي، فسر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدي، وإذا جعلتها في السلطان صلح؛ فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين)^(٢).

الفائدة الرابعة : إن الدعاء لولي الأمر عائد نفعه الأكبر إلى الرعية أنفسهم، فإن ولي الأمر إذا صلح صلحت الرعية، و استقامت أحوالها، وهنئ عيشها، وطابت حياتها، قال ابن المنير رحمه الله : (نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم ، ف قيل له: أتدعو له وهو ظالم ؟ فقال : إي والله أدعو له، إن ما يدفع الله ببقائه، أعظم مما يندفع بزواله - قال ابن المنير - لا سيما إذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده و توفيقه)^(٣).

(١) السنة ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر، تحقيق : د. عطية الزهراني ، الرياض: دار الراية ، ط ١، ١٤١٠هـ — ج ١، ص: ٨٤.

(٢) شرح السنة ، الحسن بن علي بن خلف البرهاري أبو محمد، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني ، الدمام : دار ابن القيم ، ط ١، ١٤٠٨هـ ، ج ١، ص: ٥١.

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التزليل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٤ ، ص: ٥٣٥. ومذيل بحاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد ، المعروف بابن المنير، وتخريج أحاديث الكشف للإمام الزيلعي .

الفائدة الخامسة: إن ولي الأمر إذا بلغه أن الرعية تدعو له، فإنه يسر بذلك غاية السرور، ويدعوه ذلك إلى محبتهم و رفع المؤن ونحوها عنهم، و لا يزال يبحث عما فيه سعادتهم و ربما بادلهم الدعاء بالدعاء، وبذلك تعم المحبة والسعادة حياة الناس.

الفائدة السادسة : إشاعة الأمن والاستقرار في ديار الإسلام الحاكمة بشرع الله، وهذا أمر ظاهر، فالطاعة لأولي الأمر تعني سيطرة الشرع و العقل و القلب على كل التصرفات، وتعني التغلب على الهوى و النفس اللذين يجران إلى الخروج والجريمة و التمرد و العصيان ، وهذا كفيل في تحقيق الأمن و الاستقرار وطمأنينة في النفس و المجتمع وسائر البلاد. وإن من القواعد المقررة عند السلف رحمهم الله وأكرم مثواهم، زيادة الاعتناء بهذا الموضوع - السمع والطاعة والدعاء - كلما ازدادت حاجة الأمة إليه، سدا لباب الفتن، وإبصاءا لطريق الخروج على الولاة، الذي هو أصل فساد الدنيا والدين. وهذا البيان من دور الدعاة إلى الله الوقائي في تسديد علاقة الحاكم والمحكوم وإقامة المحبة بينهم؛ فيجب التأكيد عليه بما يدرأ الفرقة عن الأمة، ويمنع سلطة الأعداء عليها.

ثانيا: العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم هو الكرامة، أي حفظ الكرامة ميزان الاعتدال للمحبة، فمتى أحس الحاكم بالتقدير المستحق له أحب المحكوم، ورأف به ورحمه، ومتى أحس المحكوم بحسن المعاملة أحب الحاكم وقدره وأعظمه، وكانت النتيجة أن يعيش الجميع في محبة و وئام، وعلى النقيض فمتى شعر الحاكم بانتقاص المحكوم لمكانته، انصرف عن شؤون المحكوم إلى شؤون الخاصة، ومتى شعر المحكوم بالإهانة أبغض الحاكم وعمل على ما يرد كرامته وكانت النتيجة أن يعيش الجميع في كراهة وخصام، وهذا يتنافى مع أصول العلاقة الإنسانية المطلوبة بينهما، والواجبة بينهما، وعلى مستوى الولاية العظمى أمر الله تعالى بالعدل والحذر من الهوى، والأنبياء قدوة الأنام في عموم الحكم والأحكام، قال الله تعالى: (يٰٓأَوْدُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَظْلُمُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)^(١) قال القرطبي في تفسيره: (فدل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق، وألا يميل إلى أحد الخصمين لقربا أو رجاء نفع، أو سبب يقتضي الميل من صحبة أو صداقة، أو غيرهما)^(٢) والحكم بالحق يعني العمل بما أنزل الله من حقوق، وفرض من واجبات، والحق فيها

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٥، ص: ١٨٩.

يتوافق مع كرامة الإنسان ويدعو إليها، من الرحمة به واللين له والعفو عنه والاستماع لرأيه والدعاء له، قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ^(١) ومجمع العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم لين القلب، والذي يقتضي البعد عن القسوة والفضاضة والغلظة حيث هي منافية للإنسانية والمحبة، ومعارضة لمقاصد الشريعة والحنيفية السمحة.

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

إن حفظ المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم يوجب نزع بواعث الخوف والتخلي عن الأنانية الفردية، ويوجب زرع مسببات الاطمئنان والتحلي بالروح الجماعية، ومن دور الدعاة إلى الله التأكيد على هذا المعنى، وتفصيل الأدلة الشرعية الآمرة بحق الحاكم والمحكوم وضرب الأمثلة من الكتاب والسنة على صور التراحم بين الراعي والرعية، والتي تحفظ الكرامة وحق الإنسانية، ومن ذلك، ما قص الله علينا في قصص القرآن، فمثلا من سورة الكهف، بين الله تعالى مآل الفتية المؤمنین في مجتمع انعدمت فيه الإنسانية، حيث أُووا إلى الكهف هربا من الرجم والقتل والكراهة على الكفر، قال الله تعالى: (وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ بِنُشْرٍ لَّكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَّكُم مِّنْ أَمْرٍ مِّزْفَقًا) ^(٢) وقال الله تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا) ^(٣) أورد صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن عن هذه الآية قوله: (ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ قَوْمَهُمُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ فَرُّوا مِنْهُمْ بِدِينِهِمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ، أَيْ يَطْلُعُوا عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُوا مَكَانَهُمْ، يَرْجُمُوهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَذَلِكَ مِنْ أَشْنَعِ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ، وَقِيلَ: يَرْجُمُوهُمْ بِالشَّتْمِ وَالْقَذْفِ، أَوْ يُعِيدُوهُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، أَيْ: يَرُدُّوهُمْ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ) ^(٤) فعندما تنعدم الإنسانية ويتم مصادرة الحرية في العيش الكريم، يحارب الحق بالباطل، ويلجأ المحكوم إلى الهرب أو الانتقام أو المواجهة، وفي كل منه شر يفتت الوحدة، ويشير العداوة ويسبب الانشقاق، وكذلك الحاكم عندما تتم المحاولة لترع سلطانه أو الطعن في شخصه، أو التأثير على مكانه، فإن ذلك يتنافى مع مقاصد الشريعة الإنسانية التي تدعو إلى إنزال الناس منازلهم، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الكهف: ١٦.

(٣) سورة الكهف: ٢٠.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥

المُسلِم وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»^(١). وإن بلادنا المملكة العربية السعودية ، والله الحمد والمنة فقد تمثلت فيها معاني العلاقة النظامية والإنسانية بين الحاكم والمحكوم في أعلى مستويات الحكم ، حين يبرز القائد ، ويوصي الجميع على العمل بمنهج الشريعة الإسلامية وبث روح المحبة القائمة على العقيدة الإسلامية، فانتشر بها الأمن، وتحقق بها رغد العيش ، فمن كلمات خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود الشهيرة: (إن العقيدة الإسلامية هي عقيدة المحبة والأخوة والتسامح والرفعة والعزة، وباختصار فهي تشتمل على العديد من المحاسن، وعلى العديد من التنظيمات في الحياة الاجتماعية؛ حتى حياة الفرد في منزله أو في أموره الخاصة أو في نفسه، لم تترك العقيدة الإسلامية أمراً فيها إلا وأوضحت الفائدة له وبينت الضرر منه. إنها عقيدة المحبة والسلام، وفي نفس الوقت عقيدة القوة ، ولذلك عندما نقول إن واجب العقيدة الإسلامية علينا كبير، ولها ولعلماء الدين الإسلامي علينا واجبات كثيرة، وعليهم هم واجبات كثيرة أيضاً، فإنما نعني تبصير الأمة الإسلامية بما يجب أن يدركه المسلم ، إدراكاً كاملاً، ومن ثم فإن على علماء الدين الإسلامي أن يبينوا بشكل واضح محاسن الشريعة الإسلامية وأن يرغبوا فيها، لأنها عقيدة المحبة والإخاء، وأن يوضحوها توضيحاً كاملاً)^(٢)

(١) انظر سنن أبي داود- كتاب الأدب- باب في تزييل الناس منازلهم حديث رقم: ٤٨٤٥ (٤/٤١١). حسنه الألباني .

(٢) خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود. خطب وكلمات ، الرياض : دار الملك عبد العزيز ، رقم تسلسل الإصدار

١٢٠ ، ص: ١٣٦ .

نتائج الدراسة و الخاتمة

نتائج الدراسة

لقد جاءت شريعة الإسلام الخاتمة، موافقة للديانات السماوية في أصول العقيدة، من توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له، وطاعته باتباع رسله، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فوعد الله المؤمنين والمؤمنات الجنة على محبة منه ورضوان، حيث طهرت القلوب بالإيمان الصادق وزكت النفوس بالأعمال الصالحة، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)^(١)، قال البغوي في تفسيره: (أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين)^(٢)، وإذا أمعنا النظر فيما جاء في الكتاب والسنة عن المحبة من خبر، وجدناها تقوم على ركائز قويمه ومعان عظيمة، لها أثر بالغ ومقام عال في الدين و الدنيا و الآخرة، وهي أصل في طلب كل أمر موجود مرغوب، وأصل في دفع كل أمر بغض مرهوب، فلا يوجد البغض إلا لمحبة ولا يزول البغض إلا لمحبة، فالمحبة أصل كل أمر موجود؛ فيتحقق بذلك أن المحبة في الشريعة تعتمد على ركائز عامة، تتعلق بحقيقة وجود الإنسان على الأرض وبما قدره الله تعالى عليه، من الهبوط إليها والعيش عليها والمبعث منها، وأنها أيضا تعتمد على ركائز خاصة، تنطلق من خصائص خلق الإنسان، وما منحه الله من القدرات والملكات في الخلق والخلق، وبين الركائز العامة والركائز الخاصة تعتمد المحبة على ركائز التكليف الشرعي، متعلقة بتحقيق العبودية لله سبحانه، ولزوم الإنسان أمور الشرع، في الأمر والمنع. والدعاة إلى الله يدعون إلى مطالب الشريعة من هذا المنطلق، حيث الدعوة الإسلامية تعتمد على خصيصتي: الشمول والتوازن، التي منها يُعنى الدعاة بركائز المحبة في الشريعة، وينظرون في دعوتهم إلى أحوال المدعوين العامة والخاصة، وما يحقق مقاصد الشريعة، وما تتحقق به المصلحة الشرعية في استجابة المدعو للأحكام التكليفية، زمانا ومكانا وقدرة.

وهذه الدراسة الموسومة بعنوان ((المحبة في الكتاب والسنة وأثرها في الدعوة إلى الله))

خطوة علمية لخطوات عملية في سبيل الدعوة إلى الله على بصيرة، وبما أن لكل دراسة علمية نتائج تتمثل في خلاصة الدراسة وفق خطة البحث التفصيلية وتعطي أصولا في موضوع البحث وترسم خطوطا عريضة للمستهدفين من الدراسة وترشد إلى وصايا للمستفيدين من البحث، وبناء على هذه الأهداف. أعرض صياغة لأبرز النتائج المستخلصة من هذه الدراسة حسب أبوابها المتفرعة وفق ما يلي:

(١) سورة مريم: ٩٦.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤،

القسم الأول: نتائج الباب الأول

مفهوم الحبة في مصادر الدعوة

النتيجة الأولى

تعريف الحبة

١) تعريف الحبة في اللغة: ينطلق من أصلها، فإن أصل الكلمة في اللغة حرفان (الحاء و الباء) من (حَبَّ)، الحاء متحركة مطلقة، والباء مشددة أصلها من بائين أدغمتا في بعضهما. وقد وردت كلمة (الحبة) على أصلها في القرآن العظيم في ثلاث وسبعين آية وثمان وسبعين لفظة على ثنتين وعشرين صيغة بين النفي والإثبات، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الحاء والباء، أصول ثلاثة، الأول: اللزوم والثبات، والثاني: الحبة من الشيء ذي الحبّ، والثالث: وصف القصر.^(١) وفي لفظ (حبذا) دعوة إلى مرغوب محبوب - مكونة من فعل ماض واسم إشارة، الفعل: حَبَّ، واسم الإشارة: ذا، وتدل على الرغبة في المطلوب كقولك: حبذا الحياة الطيبة. ومادة كلمة حَبَّ تدور في اللغة على خمسة أشياء هي:

(الصفاء والبياض، العلو و الظهور، اللزوم و الثبات، اللب، الحفظ والإمساك)

٢) تعريف الحبة في الاصطلاح العام:

إن الحبة من الألفاظ واسعة المعنى، وتدخل حين التعريف بها في مضمون الاتساع والتفرع، واختلاف التنوع. واجتذاب المعاني بينها وبين مرادفاتها أدى إلى اجتماعها في معنى واحد ومقصود، تعارف الناس على فهمه هو الحبة، ولأن المعاني مشاعر غير محسوسة ليست مما يبصر أو يلمس، فلا يمكن تعريفها في حدود وصفات جامعة مانعة، وقد اختلف في تحديد الحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً، ولا تحدد الحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك، ولا توصف الحبة بوصف أظهر من الحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبائها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهداها، وثمراتها، وأحكامها

٣) تعريف الحبة في الاصطلاح الشرعي:

لقد جاء لفظ (الحبة) في القرآن الكريم والسنة المطهرة، على عدة صيغ لغوية صرفية بين النفي والإثبات، ومما يجب معرفته وتقديره، أن معنى الحبة في الاصطلاح الشرعي مرتبط بأنواعها. ومن تصدر؟ وإلى من تكون؟ فلا يصلح المقام لأي أحد أن يعرف الحبة في الشرع، دون حصر النصوص الشرعية الثابتة من الكتاب والسنة في نوعها، وحسب موضوعها ومقامها، وبيان وجه الاستدلال عليها في معنى ظاهر

(١) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ١٦١.

وصحيح، ومن تصدر؟ وإلى من تؤدي؟ ومن الأمور الهامة في هذا الشأن الإيضاح والبيان القائم على الدليل الشرعي، في أعظم معاني المحبة وأعلى مقاماتها وهو حب الله ومحبة العبد لربه، وخلاصة القول في التعريف الاصطلاحي الشرعي للمحبة: (هو المضاء بما مضى عليه سلف الأمة الأخيار من الإقرار لا الاختيار وهو البعد عن القول فيه - أي معنى المحبة - بما لم يرد فيه من الكتاب والسنة، من نص ثابت ومعنى ظاهر صحيح في الحب والمحبوب، يستدل به على الاتباع أو الترك اعتقاداً وقولاً وعملاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليه^(١)) ومدى الاستدلال بهذا القول هو أن المحبة معنى عام يظهر للجميع بمقاصده وأسبابه وآثاره، ولا يتطلب التدقيق والتحقيق فيه كمعنى لتعريفه، وخاصة حين يكون الحديث عنه في علاقة العبد بربه. أما محبة الأشياء المعنوية والمادية ومحبة الناس بعضهم لبعض، فلا حصر لأنواعها، ولا حد لأطرافها، وإنما لها ميزان واحد ترتسم به ضوابط العدل، من سلامة الغاية والمقصد، وصحة الوسيلة والطريقة، فتلك من لوازم تحقيق المحبة على الوجه الشرعي، حيث يمكن وصفها بما يلي:

إنما حال فرح وسعادة تتحقق بالمكاسب المعنوية والمادية، وتجلبها رغائب أو موانع، يصاحبها شعور بسرور الوصال، أو فرح الانفصال، مما يتطلب مزيداً من الوصل أو الفصل، في تحصيل المرغوب أو اتقاء المرهوب، وخيرها ما جاء منه النفع والأجر والسرور، وشرها ما جاء منه الضر والإثم والشرور، وأعلىها قدراً محبة الله، فتحصل بها السعادة المقرونة بطاعته وإنفاذ أمره، وتدرأ بها الشقاوة المقرونة بمعصيته ومخالفة أمره.

النتيجة الثانية

فضائل المحبة في الكتاب والسنة

إن من أعظم فضائل المحبة، أن تقود المرء إلى معرفة الله تعالى وعبادته، ويدرك بها حقيقة حياته ومصيره، وطريق سعادته، ويتحقق له الأمن في عيشه ونفسه، وأهله ووطنه وما يملك، فهي صفة ذات فضيلة في مفهومها وغايتها، ضمن حدود موضوعها، ولها فضائل:

١) فضائل المحبة الجزئية:

أ) محبة الله ورضوانه. ب) الأمن يوم القيامة. ج) حماية الله لمن يحبه من الدنيا.

٢) فضائل المحبة النفسية

أ) الاطمئنان القلبي والنفسي. ب) العلاج النفسي لكثير من الأمراض النفسية

(١) جامع الرسائل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٣٧.

٣) فضائل المحبة الاجتماعية والاقتصادية

التعاون منطق الوجود الإنساني على الأرض بدءاً من التعاون الأسري بين الزوجين والأولاد القائم على المودة والرحمة، وامتداداً لسائر أفراد المجتمع في نطاق الحياة، ومواقفها المتعددة التي يهدف الكل من خلالها إلى تنظيم العمل، وسد حاجة الناس من الضرورات والاستمتاع بها وبغيرها. والمرء قليل بنفسه كثير بأعوانه، والمجتمع المسلم من أكثر المجتمعات تماسكاً لما حثت عليه أوامر الشريعة المحبة والتعاون والتكافل، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١) ويجب المسلم لأخيه ما يجب لنفسه، الرعية تحب الراعي وتطيعه والراعي يحب رعيته ويسعى لما يسعدهم. والأسرة تقوم في الإسلام على علاقة المحبة والبر وهما من أسباب الألفة بين القلوب، وبها تقوم الحقوق بين الوالدين والأولاد، فإن المجتمع عبارة عن منظومة من الأفراد تجمع بينهم المصالح والمنافع وتقوم حياتهم عليها. ويسعدوا متى سادت المحبة بينهم .

النتيجة الثالثة

أنواع المحبة في الكتاب والسنة

إن أنواع المحبة كثيرة ولها مراتب متعددة، ولكلٍ فيها وجهة نظر من حيث تقسيمها وترتيبها لتداخل المعاني وسعتها في اللغة ولاجتهاد المصنفين في الفهم بحسب ما لديهم من شواهد أصولية ومعاني وجدانية ومدارك عقلية في روابط المحبة ونتائجها، وعلى ذلك تميز لفظ الحب بكثرة المسميات الدالة عليه والمترادفات الموضحة لمعناه، والدرجات المرتبة لقوته وضعفه ومستواه. وصنف العلماء أنواعها على عدة اعتبارات منها:

الوجه الأول: من حيث الحكم الشرعي:

١) محبة جائزة شرعاً. (المحبة الموافقة لشرع الله)

٢) محبة غير جائزة شرعاً. (المحبة المخالفة لشرع الله)

ولكل منها ضوابط شرعية بما تقتضيه أدلة الشرع، وقدمته في البيان لما رأيته صواباً في التقسيم وأقرب من غيره شرعاً وعقلاً، وأجدر في إمكانية الحصر لمن دقق النظر في معنى المحبة الواسع ولمن أراد معرفة الإصابتة من الخطأ في حبه وما يجب، وعليه قسّمتُ أنواع المحبة في الكتاب والسنة إلى قسمين ولكل منهما فروعها الخاصة والعامة:

١) المحبة النافعة المحمودة المباحة.

٢) المحبة الضارة المذمومة غير المباحة.

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب المظالم- باب نصر المظلوم ، حديث رقم: ٢٤٤٦ (١٢٩/٣). وانظر: صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم: ٦٧٥٠ (٢٠/٨).

الوجه الثاني: من حيث العموم والخصوص:

(١) المحبة الخاصة: وهي على ثلاثة أقسام:

أ- محبة الله وهي أصل الإيمان والتوحيد والعبادة.

ب- محبة في الله وهي محبة أتباعه وما يحبه من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرها.

ج- محبة مع الله وهي محبة المشركين لأهنتهم والكفار لدينهم وهي أصل الشرك والكفر.

(٢) المحبة العامة: وهي المحبة الطبيعية لما يوافق المرء في الحياة ويلتزمه من مال وزوجة وولد وطعام وشراب وملبس ومسكن ولباس وعشرة وألفة وغيرها فما أعان على محبة الله وطاعته دخل في المباحات وما عارض ذلك وصد عنه دخل في المنهيات.

الوجه الثالث: من حيث طبيعتها وآثارها

(١) المحبة الحسية.

(٢) المحبة المعنوية.

الوجه الرابع: من حيث ميل النفس وظنها في الخير:

وعليه صنف أبو الراغب الأصبهاني^(١) المحبة إلى نوعين:

(١) طبيعي .

(٢) اختياري.

الوجه الخامس: من حيث وحدة الجنس واختلاف الأغراض

حدد ابن حزم^(٢) المحبة بأنها كلها جنس واحد، ورسمها أنها الرغبة في الحبوب وكرهه منافرتة والرغبة في المقارضة منه بالمحبة. وإنما قدر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها، وإنما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها وانحسامها.

الوجه السادس: من حيث التعددية والحصص والفضل

وقد وجدت أن من أدق التقسيمات في هذا الفرع ما صنفه الإمام ابن قيم الجوزية وله ثلاثة أوجه:

(أ) التعدد المطلق للمحبة وهو حقيقتها بقوله (وَالْمَحَبَّةُ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَأَفْضَلُهَا وَأَجَلُّهَا: الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ)

(١) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، مصر: شركة مكتبة الباي والحلي ، ١٣٨١هـ ، ص: ١٠٥ .

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق: إحسان عباس ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٠م . ج ١ ، ص: ٣٦٩ .

ب) الحصر المقتضب للمحبة وهو أحسنها: حيث حصرها في كتابه إغاثة اللهفان في نوعين كل نوع في ثلاثة أقسام، قال: (فالحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله ومحبة في الله ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، والحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله ومحبة ما يبغضه الله تعالى ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها)

ج) الحصر الشامل للمحبة وهو أفضلها: ويعلم فضل هذا الحصر بما حواه من إرادة العلم حيث قال في كتابه الداء والدواء^(١): (أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا. أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ، الثَّانِي: مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، الثَّالِثُ: الْحُبُّ لِلَّهِ وَفِيهِ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّ، الرَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الشَّرَكِيَّةُ، قِسْمٌ خَامِسٌ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَاقِي طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ.

ولقد حاولت في هذه الدراسة الحصر لما يمكن حصره من أنواع المحبة في حدود الأقسام العامة لها وفق عناصر التقسيم المعتبرة شرعا وعقلا وعلى ضوء النصوص الواردة في الكتاب والسنة الصريحة بلفظها والتي يمكن للمتأمل فيها أن يصنف المحبة إلى نوعين حسبما قرره علماء الشرع في أصول الدين وفروعه، يندرج تحت هذين النوعين عدد من أقسام المحبة لكل منها درجاته وسماته العامة أوضحها فيما يلي:

(١) المحبة النافعة الحمودة المباحة:

أ- محبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين اعتقادا وقولا وعملا.

ب- محبة الطاعات الشرعية (محبة ما يرضي الله).

ج- المحبة الطبيعية المباحة ومنها محبة إشباع ورغبة وحاجة أو محبة إشفاق ورحمة وعطف أو محبة ألفة وعشرة وأنس أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

(٢) المحبة الضارة المذمومة غير المباحة:

أ- محبة الشرك والكفر والنفاق اعتقادا وقولا وعملا.

ب- محبة المعاصي (محبة ما لا يرضي الله).

ج- المحبة الطبيعية المذمومة ومنها محبة إشباع ورغبة وحاجة أو محبة إشفاق ورحمة وعطف أو محبة ألفة وعشرة وأنس أو محبة إجلال وتقدير واحترام.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ، ص:

النتيجة الرابعة

أحكام المحبة في الكتاب والسنة

تدور الأحكام الشرعية للمحبة مع أنواعها ودوافعها ونتائجها وجملة الأحكام هذه تتعلق بكل إنسان حسب نيته وحاله وفي هذا تفصيل دقيق قرره أهل التحقيق من أهل العلم أوضحه فيما يلي:

أولاً: أن المحبة في الأصل جائزة كسائر الصفات والروابط البشرية التي فطر الله الإنسان عليها والمستلزمة لحياة الناس على الأرض، يستأنس بعضهم ببعض ويساعد كل منهم الآخر في الخير ليعيش الجميع في حياة هائلة ويؤدون الغاية من وجودهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

ثانياً: أن النية هي أصل المقاصد ومحملها القلب وعليها مدار القبول في الدين ومن أئمة الإسلام من جعل حديث النيات في أول أبواب التصنيف من مؤلفاتهم. وهذه المحاب جائزة في الأصل لقوله عز وجل: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ^(١) ووجه الدلالة: أنهم ذُوموا في الآية؛ لأنهم أحبوا أكثر من محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله؛ لا لأنهم أحبوا. وهذه المحبة تجري فيها أحكام التكليف الخمسة ^(٢) بموجب نية الحب وأمر محبته وطبيعة المحبوب ونوع محبته، وفق مقتضيات الشرع وأدلته، والأصل فيها أنها مباحة. وقد تنتقل الإباحة للحرمة وضابطها في ذلك: أن تدفعك المحبة الجائزة إلى فعل محرم أو ترك واجب. وإن دفعته المحبة إلى فعل المكروهات وترك المستحبات، فإنما تأخذ حكم ما دفعته إليه.

النتيجة الخامسة

وصف المحبة في الكتاب والسنة

إن وصف محاب الله ومساخطه تعني وصف الدين كله جملة أو تفصيلاً، وخير الأديان وأكملها دين الإسلام، وهو الدين المرتضى من الله تعالى للعالمين. وتُعرفُ المحبةُ في الكتاب والسنة من معرفة محاب الله ومساخطه:

محاب الله: هي ما يرضاه الله تعالى ويحبه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة القائمة على الإخلاص والتوحيد ومتابعة سنة النبي ﷺ.

ومساخط الله: هي ما يبغضه الله تعالى ويسخطه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة القائمة على الشرك أو الكفر أو الفسوق أو العصيان.

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) الواجب والمندوب والمباح والمحظور والمكروه.

محاب الله الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية

بلفظ الحب الصريح لها

إن ما يحبه الله ويرضاه تقوم عليه سعادة الإنسان، وهو مطلب نجاة من شرك الشيطان وشركه في مرحلة الابتلاء التي يمر بها الناس على هذه الأرض، وإن السبيل الأوضح لمعرفة ما يحبه الله ويرضاه في الإسلام، كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما مصدرا شريعة الإسلام السمحة، الخاتمة لسائر الرسالات، وتوصف محاب الله فيهما بالتوحيد والحق والطيبات، ومحاسن الأخلاق وفضائل الأعمال والأقوال، وكل المأمورات محاب لله يقوم عليها صلاح الدنيا والدين، ومما يجب معرفته أن محاب الله لا تتلقى إلا من طريق الشرع ولا تحصل إلا بمتابعة الشارع:

القسم الأول

محاب الله الواردة بلفظ الحب الصريح في القرآن الكريم

- ١) الإحسان، والله يحب المحسنين
- ٢) القسط ، إن الله يحب المقسطين
- ٣) التقوى ، إن الله يحب المتقين
- ٤) التوبة ، إن الله يحب التوابين
- ٥) الطهر والله يحب المطهرين
- ٦) الصبر، والله يحب الصابرين
- ٧) التوكل ، إن الله يحب المتوكلين
- ٨) القتال في سبيل الله. والله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا.

القسم الثاني

محاب الله الواردة بلفظ الحب الصريح في السنة النبوية

أولاً: محاب الله العقدية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) الحنيفية السمحة
- ٢) أصحاب النبي ﷺ
- ٣) المحبة في الله
- ٤) العبد التقي الغني الخفي
- ٥) أحب الأسماء إلى الله

ثانياً: محاب الله العبادية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) أحب الأعمال الصالحة إلى الله ووقتها محبوب.
- ٢) الوتر.
- ٣) أحب الكلام إلى الله.
- ٤) سؤال الله.
- ٥) قطرتان وأثران في سبيل الله .
- ٦) العطاس وحمد الله بعده.
- ٧) الأخذ بالرخص وإتيان العزائم.

ثالثاً: محاب الله الأخلاقية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) مكارم الأخلاق (حسن الخلق)
- ٢) الحياء والستر.
- ٣) العفو
- ٤) الجمال.
- ٥) المدح والعذر والغيرة والخيلاء

رابعاً: محاب الله العملية الواردة في السنة بلفظ الحب

- ١) الرفق
- ٢) رؤية أثر النعمة على العبد
- ٣) اتقان العمل.
- ٤) سماحة البيع والشراء والقضاء

مساخط الله الواردة في القرآن الكريم والسنة

بنفي المحبة من الله لها

إن ما يسخط الله ويغضبه تقوم عليه شقاوة الإنسان وهو طريق هلكة في مرحلة الابتلاء التي يمر بها الناس على هذه الأرض، والسبيل الأوحى لمعرفة ما يسخط الله ويغضبه في الدين مصدرا الشريعة الخاتمة السمحة: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتوصف مساخط الله فيهما بالشرك والباطل والخبائث، ومساوئ الأخلاق وقبائح الأعمال والأقوال، وكل المنهيات مساخط لله يقوم عليها فساد الدنيا والدين، ومما يجب معرفته أن مساخط الله لا تدرك إلا من طريق الشرع لأن الأصل في الأشياء الحل ولا تحرم الأشياء ولا تحل إلا بمتابعة الشارع وأعرضها مختصرة وفق ما يلي:

القسم الأول

مساخط الله الواردة في القرآن الكريم بنفي المحبة من الله لها

(١) الظلم والله لا يحب الظالمين (٢) الفساد والله لا يحب المفسدين (٣) الكفر والله لا يحب الكافرين (والله لا يحب كل كفار أثيم) (٤) الاعتداء والله لا يحب المعتدين (٥) الإسراف. (٦) الاختيال والفخر والله لا يحب كل مختال فخور (٧) الخيانة والله لا يحب من كان خوانا أثيما (والله لا يحب الخائنين) (٨) الكبر والله لا يحب المستكبرين (٩) الفرح والله لا يحب الفرحين (١٠) الجهر بالسوء من القول ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم.

القسم الثاني

مساخط الله الواردة في السنة النبوية بنفي المحبة من الله لها

- (١) الفحش والتفحش
- (٢) الاضطجاع على البطن
- (٣) العقوق
- (٤) لوي اللسان بالكلام ورفع الصوت على المتحدث والجدال
- (٥) الإسبال في الإزار للرجال

النتيجة السادسة

تأثير المحبة في العلاقات

الحبة إحدى الوسائل القوية في بناء العلاقات الشخصية بين الناس والتآلفية بين البشر وغيرهم، ويهمننا في هذه الدراسة الوقوف على ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص بلفظ الحب الصريح في مجالات الجذب أو التنفير ودور الحبة ومدى تأثيرها الإيجابي والسلبي في تكوين العلاقات بين الناس.

وبالنظر في المحبة كونها وسيلة مؤثرة في العلاقات البشرية. نجد أن نتائج هذا التأثير تكون بين الحمد والذم شرعا وبين ما هو فطري ومكتسب طبعا وبين ما له حكم خاص في حاله ومآله. و تأثير المحبة في العلاقات له جانبين: الصلات الحميدة، الصلات الذميمة. ويتضح في أمور عدة منها:

(١) الصلات الحميدة: تتلخص في صلة التأخي في الله و صلة التآسي بالقدوة الصالحة، و صلة الشهادات، و صلة الأرحام والأقارب، و صلة البيعة والنصرة على الحق، و الصلة العلمية، و صلة الصداقة، و صلة النصرة والحمية، و الصلة الزوجية، و صلة الشفاعة، و صلة التناصح، و صلة الضيافة والعطاء، و صلة الجيرة، و صلة الوصاية.

(٢) الصلات الذميمة: صلة التعاون على الإثم والعدوان، و صلة العصبية الجاهلية، و صلة الحسد والغيرة المذمومتين، و صلة نكاح الجاهلية، و صلة نكاح المحارم، و صلة الدخول على غير المحارم، و صلة حب الباطل على الحق.

النتيجة السابعة

موجبات محبة الله في القرآن والسنة

إن محبة الله ورسوله ﷺ مطلب لكل مسلم ومن حظي بهذا الشرف فقد فاز فوزا عظيما، ويكمن سر هذه الشرف في طاعة الله ورسوله ﷺ وعليها تقوم المحبة (كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحِبَّ)^(١)، والناس في ذلك درجات ومراتب، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)^(٢) فإن محبة الطاعات الشرعية والقيام بها هي الوسيلة والسبب الموصل إلى رضوان الله ومحبه، وعندما تكون البصيرة قائدة للروح والجسد، فإنه العبد يصل إلى منزلة العبودية لله تعالى، المنزل المأمور بها شرعا، وأعظمها شأننا تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وعبادة الله وحده لا شريك له ويتحقق له محبة الله بأداء ما أوجبه عليه ربه تعالى، من التوحيد والعبادة:

أولا: التوحيد:

ويقوم التوحيد على أصليين من أصول العقيدة وهما:

- (١): تحقيق التوحيد بالإيمان بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته بالأدلة الشرعية.
- (٢): تحقيق الولاء والبراء، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الشرك والكفر والنفاق وأهلهم. ويكون التحقيق للولاء والبراء اعتقادا وقولا وعملا بتحقيق الولاء لمن رضي الله عنه ورسوله ﷺ ورضيا

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧١.

منا له الولاء، وتحقيق البراءة ممن تبرأ الله منه ورسوله ﷺ ورضي لنا البراء منهم. والتوحيد أصل الدين وأساس كل عبادة، ومنطلق لكل دعوة حق.

ثانياً: العبادة:

وتقوم عبادة الله وحده لا شريك له على فرعين من العبادات هما: الفرائض والنوافل:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنْ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ^(١)).
إن هذا الحديث يشمل سببين من أهم الأسباب الموجبة لمحبة الله تعالى وهما: الفرائض والنوافل وفي مستوى التقديم والأفضلية في الأداء من حيث الإيجاب الموصل لمحبة الله فإن الفرائض هي المقدمة والأفضل والأقوى في بلوغ المحبة وبكثرة النوافل يبلغ العبد محبة الله أكثر وتتحقق الولاية للعبد بقدر أكبر وعلى الوجه الأكمل.

القسم الثاني: نتائج الباب الثاني

أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب والسنة

إن المحبة من العوامل الهامة في الدعوة إلى الله، ترتبط بها نتائج الدعوة وفق مقتضيات الشريعة، فهي صفة ذاتية مرغوبة وسمة اجتماعية مطلوبة، ومدخل حكيم في الأساليب والوسائل، وركيزة يحتكم إليها في تكوين العلاقات ما كان محموداً وما كان مذموماً، وهي أصل في مجالات الدعوة من العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وبما للمحبة من أثر في أركان الدعوة بالمفهوم الشامل وفق الدلائل الصريحة بلفظ الحب في الكتاب والسنة. أعرض جوانبه فيما يلي:

النتيجة الثامنة

أثر المحبة في الداعية

يجب أن تكون المحبة صفة ملازمة للداعية، بأن يحب الخير للناس كافة وأن يسعى لإدخال السرور على المدعوين بما يحبون من المباحات ويحبهم في اتباع الحق ويعمل على أن يكون محبوباً لهم وللناس، قال الله تعالى: (فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَبِتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) ^(٢) ومن هذه الآية ندرك وجوب معالجة الداعية لبواطن نفسه ومكونات ذاته الداخلية لما لها من أثر في منهجه ودعوته وأخلاقه وسلوكه،

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب التواضع، حديث رقم: ٦٥٠٢ (١٠٥/٨)

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

فإن القلب يقوم عليه مدار العقل والتفكير بما يحمل من أفكار وثقافة وعلم، إن الحبة من أولى المؤثرات في شخصية الداعية ولها أثر في دعوته وقبل أن يتلقى المدعو الدعوة فإن نظره وسمعه وعقله وقلبه مع هذا الشخص الذي يدعوه. من هو؟ وماذا يريد؟ وبعد أن يسمع منه يقول في نفسه: كيف هو مع ما يدعو إليه؟ فإن ألقى له حبة في النفس استجاب له. وإن لم يكن له قبولاً امتنع المدعو عن الاستجابة له وقد يمتنع عن الحق منه ومن غيره مع قناعته به، نفرة من الداعية بسبب صفاته، وانحرافاً عن الفهم الصحيح الذي يجب أن يكون عليه حين ربط الحق بالشخصيات، لذا كان لزاماً على الداعية أن يمتثل الصفات التي يجبها الله تعالى ودعا إليها رسوله ﷺ. ومما ورد في الكتاب والسنة عن أثر الحبة في الداعية بلفظ الحب ما يمكن لنا إجمالاً على أوجه من خلال صفات الداعية وعلاقاته وفق مايلي:

أولاً: أثر الحبة في صفات الداعية :

الصفات الإيمانية:

- ١ - الإخلاص في الدعوة إلى الله ومعرفة فضلها. ٢ - التقوى والعلم والعبادة.
- ٣ - حمل القرآن (بتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به).

الصفات الأخلاقية:

- ١ - حب التقدم في الحق ممن هو أهله. ٢ - الحبة. ٣ - الصدق.
- ٤ - التواضع. ٥ - سلامة الصدر وسداد اللسان. ٦ - الإيثار.
- ٧ - الصبر على البلاء والرضا بالقضاء والقدر. ٨ - الاستعفاف.

الصفات الشخصية في الهيئة الظاهرة:

- ١ - الجمال. ٢ - الطيب. ٣ - التيامن. ٤ - القوة.

ثانياً: أثر الحبة في علاقات الداعية

إن الداعية إلى الله أيما كان مركزه في المجتمع، هو فرد من أفراد، يؤدي دوره الوظيفي ودوره الدعوي، وهذا أصل في رابطة العلاقات الاجتماعية، العامة والخاصة، وعلاقات الداعية في النوعين ذات ارتباط بموضوع دعوته، فهو قدوة فيما يدعو إليه، وعليه واجبات وحقوق يجب أن يؤديها، وهنا أعرض بعض أنواع العلاقات الواردة في الكتاب والسنة، بلفظ الحب أو معانيه ليرسم الداعية إلى الله الطريق المثلى في تكوين علاقاته ويمكنه بها معرفة كثير من القواعد المحكّمة في العلاقات:

(أ) علاقات المجتمع الأسري

- ١) صلة الأقارب ببر الوالدين وصلة الأرحام. ٢) العدل بين الأبناء.

(ب) علاقات المجتمع الدعوي

علاقات الداعية إلى الله تظهر في ميدان الدعوة ولا يمكن لها الحصر؛ فإن الأرض اليوم أصبحت كبيت أحدنا، تعلم ما يدور في جوانبه وتكلم من فيه فيسمع ويحجب، حيث يعيش العالم اليوم تطوراً سريعاً وكبيراً في المواصلات ووسائل الاتصال وتقنية نقل المعلومات، وميدان الدعوة إلى الله ميدان شامل ويمثله الأسرة والمجتمع والعالم أجمع. ولكن يجب أن نعلم أن الداعية إلى الله ملزم بقواعد شرعية في التعامل مع هذا العالم في ميدان الدعوة، ومنها:

- ١- التعاون على البر والتقوى مع سائر الدعاة إلى الله.
 - ٢- الدعوة إلى الله على علم وبصيرة وبذل الجهد الكافي من أجلها.
 - ٣- الدعوة إلى الله برفق وتدرج مقدماً الأهم ثم المهم وإعطاء كل ذي حق حقه.
- وقد برز أثر المحبة في علاقة الداعية بلفظ الحب في الكتاب والسنة، بخصوص عدة علاقات تخص الداعية منها:

- ١) علاقة الداعية مع العصاة من المسلمين
- ٢) علاقة الداعية مع المسلمين الجدد.
- ٣) حماية الدعوة والحذر من الأعداء.
- ٤) اتخاذ الإخوان المخلصين والأخلاء المتقين.
- ٥) الحذر والتحذير من الفتنة والفرقة.

(ج) علاقات المجتمع العام:

ويظهر أثر المحبة في علاقات الداعية الاجتماعية من خلال عدة مظاهر اجتماعية منها:

- ١) الزيارة وإجابة الدعوة.
- ٢) الشفاعة ومساعدة الغارمين.
- ٣) لين الجانب وسهولة المأخذ.
- ٤) مداعبة الأطفال والرحمة بالحيوان.
- ٥) إظهار علامات المحبة وإثارتها.
- ٦) التيسير والكرم.
- ٧) المشاركة الاجتماعية والشهادة بالخير.
- ٨) إحقاق الحق لأهله.

النتيجة التاسعة

أثر المحبة في المدعو

إن محبة الإنسان لنفسه وجلب الخير لها، محور في طلب الهداية، ومتى ارتبطت بالبحث عن الحق؛ سيصل الإنسان إلى سر وجوده والإيمان بالخالق جل وعلا، ويصل إلى الغاية العظمى من الوجود وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، على الوجه الصحيح؛ عندما يؤمن بالوحي والرسالة، ويتعامل مع الدنيا كزاد ليوم المعاد، والإنسان في هذه المرحلة على اعتبارات الإسلام الكثيرة إما أن يكون داعياً أو مدعواً، أو جامعاً لهما. والمحبة أس في الأثر والتأثير على وجهين:

١- محبة الحق ولزوم سبل الهداية؛ بحث النفس على الاستجابة لها وترك الغواية، وأعظم السبل لهداية النفس هو اتباع رسالات الرسل.

٢- محبة النفس وجلب الخير لها وإنقاذها من الشر والضلالة.

والمواقف في الكتاب والسنة الدالة على هذا كثيرة، حيث محبة النفس وحميتها أمر فطري وعقلي. وحاولت أن استخلص من هذه المواقف ما جاء بلفظ الحب، وله دلالة وارتباط وثيق كمؤثر في شخصية المدعو وطلبه للحق والهداية، وعوائق الاستجابة المانعة للمدعو من الحق. ومن العوامل المبينة لأثر المحبة في طلب المدعو للهداية، مايلي :

١- البحث عن الهداية بملازمة أهل العلم والثقاة والتثبت من الحقيقة: قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه من أكثر المواقف ضرباً للمثل في البحث عن الحقيقة والسعي في طلب الهداية، لما فيها من الدروس العظيمة، والصفات الرابطة بين المدعو والداعية.

٢- ملازمة أهل العلم وأخذه من مصادره الأصلية والوثيقة.

٣- الحرص على الصلاة وحمية النفس من الأعداء.

٤- تعلم العلم الشرعي والحرص على القرآن والأخذ بفوائده.

٥- أخذ الأمر معاينة فليس الخبر كالمعاينة.

٦- التمسك بمواطن القوة.

٧- الحرص على حسن الختام بإتباع الحق وإجلال أهله.

٨- الحرص على القدوة الحسنة والتثبت من الدليل والدليل.

٩- محبة خلق الذكر والحرص على الإيمان.

١٠- الدعاء وطلب الدعاء من أهل الاستجابة.

إن الدعوة إلى الله يتعاملون مع أصناف مختلفة من البشر، في سبيل دعوتهم إلى الحق، ولا بد لهم أن يدركوا أن هؤلاء المدعويين في مواجهة مع كثير من العقبات الدائمة أو المؤقتة التي تقف حائلا دون استجابتهم للدعوة، ومن فقه الدعوة أن ندرك أنه لا بد للدعاة من العمل على إزالة هذه العوائق، للتمكن من قبول الدعوة وحث المدعويين بالعمل على تجاوزها، ولما للمحبة من أثر في شخصية الدعاة والمدعويين، وأثر في ثبات المعوقات أو إزالتها، حيث هي من الأسباب الظاهرة أو الباطنة في الاستجابة والهداية أو الرفض والمعارضة. فإني أوضح أكثر العوامل المبينة لأثر المحبة في تكوين عقبات أمام استجابة المدعويين للدعوة، وهي كما يلي :

- ١) حب المنصب والجاه.
- ٢) المعتقدات الباطلة والموبقات كالسحر.
- ٣) حب المال.
- ٤) العصبية الجاهلية للملة الآباء والأجداد من الكفر والشرك والبدع.
- ٥) الثأر وجناية الباطل.
- ٦) عنفوان السلطة وجبروت الشر في النفس .
- ٧) التماادي في المعصية والغفلة عن باب التوبة.
- ٨) الاستعلاء وعدم قبول النصيحة.
- ٩) الفتن .
- ١٠) غرور الحياة الدنيا.

النتيجة العاشرة

أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة

إن الدعوة إلى الله قامت على الدعوة إلى الإسلام بكل معانيه ومبانيه، وشملت أصول الدين وفروعه وخلق المسلم ومعاملاته، وانطلقت من تحقيق أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وتحقيق الإحسان في العبادات وفي كل شيء، ومن الإحسان أن يلزم الدعاة إلى الله المنهج الصحيح، والطريق القويم في تبليغ دعوة الله للناس، فيحسنوا استخدام أساليب الدعوة الشرعية، ويحسنوا اختيار الوسائل الدعوية بضوابط الشرع المرعية، وبذلك يحصل المقصود الشرعي من البلاغ ببذل الجهد في الإرشاد وهداية الناس إلى عبادة الله عز وجل، والتوفيق إلى ذلك في حكم إرادة الله القدريّة، فإن الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بحكمته وعدله، وبيان الدعاة وإرشادهم للناس يحتاج إلى أساليب وفق الدلائل الشرعية وهذه الأساليب، منها ما جاءت مجموعة مفصلة في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(١) وهذه الأساليب وغيرها لها أثر عاطفي وعقلي وحسي على المدعويين؛ يتجلى تأثيره في مدى استجابتهم للدعوة أو إعراضهم، فمتى استخدمت هذه الأساليب ووسائلها الدعوية المعنوية والمادية بشكل صحيح أثرت في نتائجها، وحققت النتائج السليمة، ومن عوامل النجاح وقوة التأثير أن تكون المحبة ذات أثر في الأسلوب والوسيلة أي متضمنة لها؛ بتحقيقها بين الداعية والمدعو وبين المدعو ومضامين الدعوة، وبين الدعاة أنفسهم، فتكون الأساليب والوسائل مؤثرة ومحبة للنفس ومحقة الغاية من الدعوة بحصول الهداية ونشر المحبة بين الناس على الوجه الشرعي الذي يسعد به الناس في الدنيا والآخرة.

(١) أثر المحبة في أسلوب الحكمة:

الحكمة: يتضح المعنى الاصطلاحي للحكمة من معانيها في اللغة، والتي تُجمل في الإتقان والمعرفة القائمة على العلم وإصابة الحق بالعلم والعقل، وقد فسرت في الشرع بعدة معان منها: السنة^(٢)، ومنها القرآن والفقه به، ومنها الإصابة في القول والعمل، وقيل العلم والعمل به، وهي وضع الشيء في موضعه. ومن أثر المحبة في أسلوب الحكمة ما يلي:

- أ- حكمة القول السديد وقوة البيان .
- ب- حكمة الإحسان للعزیز الكريم إذا ذل.
- ج- حكمة النصيحة المستمرة.
- د- حكمة التخفيف على الناس.
- هـ- حكمة إكرام السائلين والمحسنين والأخذ والعطاء بطيب نفس.
- و- حكمة الحذر في الأزمات من أوجب الواجبات.
- ز- حكمة الولاية لأهلها إمرة ورعاية.
- ح- حكمة محاسبة النفس .
- ط- حكمة الاختيار باليسير والبعد عن الإثم.
- ي- حكمة المصلحة في التيسير ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) قاله الحسن وغيره ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير - تفسير سورة البقرة ، الآية: ١٢٩ .

٢) أثر المحبة في أسلوب الموعظة الحسنة:

الموعظة في الاصطلاح تتحدد في معنى واحد، وهو الذكرى بالعواقب عن طريق وسائل الترغيب والترهيب، بما يوقظ القلب ويستدر العواطف وينير العقل، وذلك من باب التنبيه والحرص على ما يجلب النفع ويدفع الضرر، وعلى هذا المعنى جاءت في الشرع، والموعظة يجب أن تكون حسنة قولاً وزمناً وحالاً، وهنا يكون لها الأثر، والحسن درجات وبقدرة يكون الأثر، أما تكون غير ذلك فقد تؤدي إلى نتائج عكسية سلبية، ومن دلائل أثر المحبة في أسلوب الموعظة الحسنة ما يلي:

أ- الوعظ في النوازل بقوة التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.

ب- استخدام الاستفهام في الوعظ.

ج- استخدام المثال الواقعي في الوعظ بضوابط الشرع.

د- التكرار ثلاثاً والتطبيق العملي في الوعظ بما يوضح الحال ويصدق المقال.

هـ- جواز فتح باب السؤال في الموعظة.

و- اختيار الوقت المناسب والحديث المناسب في الموعظة.

ز- الحث على العلم من أصول المواعظ الحسنة.

ح- الجمع بين الترغيب والترهيب في الموعظة العامة.

ط- فتح باب الرجاء في الموعظة لمن حضره المرض أو الموت.

ي- قصر الموعظة يكون بقوة العبارة أو عظم الإشارة.

ك- البشارة والندارة من لوازم المواعظ.

ل- التدرج والتفصيل في الإيضاح أبلغ في تصور الحكم.

م- الموعظة الدقيقة في موضوعها والقسم على صدقها تدل على قوة الناصح:

٣) أثر المحبة في أسلوب الجدل:

الجدل ذو غاية محددة وهي استحكام الأمر قولاً وفعلاً، على ما يريد كل طرف من أطراف الجدل، ويكون بطرح الأمر للمفاوضة وطرح الحجج والبراهين والوصول إلى نتيجة واحدة هي القناعة والوفاق أو الرفض والاختلاف، وهو على نوعين جدال محمود يقوم على نية سليمة والغاية منه الخير لما فيه من الحق. وجدال مذموم يقوم على خبث الطوية أو على تعصب عمي يفضي إلى الباطل والشر، ويمكن تعريف الجدل

اصطلاحاً بما قرره الراغب الأصبهاني في المفردات بأنه (المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)^(١)، وسوف أعرض هنا بعض آثار المحبة في أسلوب الجدل بما ورد فيه لفظ الحب من الكتاب والسنة، كما يلي:

أ- القول الغليظ لا يوصل المتجادلين إلى اتفاق.

ب- النتائج الأولية الظاهرة من الجدل ليست هي النتائج الحتمية.

ج- العناد في الجدل يضع حدوداً أمام الحلول الممكنة.

د - البيان الواضح يغلق أبواب الجدل.

هـ- الدليل القوي ضرورة في دحض شبه الجاهلين.

و- الجدل في الإسلام يقوم على أدلة الشريعة وأصول الدين ولا معاوضة عقلية أو نقلية عن غيره .

ز- معرفة أصول المجادل المعارض ونقضها يضعف موقفه ويسلمه للحق.

٤- أثر المحبة في أسلوب الجهاد:

الجهاد في التصور الأول للمعنى، يعطي البعد الذي عرفته البشرية في تاريخها، من التدافع والنضال والقتال من أجل هدف مسمى لدى كل أمة مجاهدة، وهدفها غالباً النصر لسلطان القهر والسيطرة ويتبعه الظلم أو العدل، ولكن معناه في الإسلام قد تغير خُلُقياً؛ فأعطاه الإسلام بُعداً سامياً وهدفاً نبيلاً ومعنى واسعاً، ويتضح بعده من تحقيق معنى الإنسانية فكلنا لآدم وآدم من تراب، فقد أمر بالرحمة و بالعدل ومنع الاعتداء وجعله منافياً لمحبة الله، قال الله تعالى: (وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٢) وهدفه النبيل ينحصر في تحقيق الذلة والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له ونشر العدل، فأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، ومعناه لا ينحصر في القتال وبذل المال والنفس بل يتعدى إلى التربية النفسية والعدل الاجتماعي لتحقيق التوازن في حياة الناس. ومن مظاهر وأثر المحبة في أسلوب الجهاد في سبيل الله، فيما ورد فيه من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب، ما يلي:

أ- محبة الجهاد والاستشهاد لفضلهما.

ب- الصدق في الجهاد.

ج- الرحمة في الجهاد في سبيل الله.

د- محبة الإعداد للجهاد في سبيل الله.

(١) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت: دار المعرفة ، ص: ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ١٩٠.

هـ - الخروج للجهاد في سبيل الله.

و - الصبر في أرض المعركة .

ز - الفرح بنتائج الجهاد في سبيل الله محبة في النصر والغنيمة.

النتيجة الحادية عشرة

أثر المحبة في وسائل الدعوة

إن الوسائل في الدعوة إلى الله، هي من الأمور التي يستخدمها الدعاة في تبليغ الإسلام، وتظهر جلية في أشياء محسوسة كالمهنية مثلاً ويطلق عليها الوسائل المادية، وقد تكون مشاعر وجدانية وقيماً نفسية كالصبر على الأذى والحزن لفقد عزيز مثلاً، ويطلق عليها الوسائل المعنوية، وليس من وسيلة مادية إلا ولها مشاعر وقيماً معنوية، وهذا التقسيم يظهر حسب ما يغلب على كل وسيلة حين استخدامها. وحين الجمع بينهما في الدعوة إلى الله تكون الرسالة أبلغ و الاستجابة أقرب، وحسن استخدام هذه الوسائل له دور كبير في قوة تأثيرها، وقد صاغ لها أهل العلم تعريفات محددة لأهميتها في علم الدعوة إلى الله ومن هذه التعريفات منها: تعريف فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: (هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته)^(١)، ويظهر أثر المحبة في بعض الوسائل الدعوية المعنوية والمادية، والتي جاءت بلفظ الحب حسب نصوص الكتاب والسنة وفق ما يلي:

أولاً: أثر المحبة في الوسائل المعنوية :

١ - البلاغ بالكلام: إن هذه الوسيلة هي الغالبة في بلاغ الأنبياء أقوامهم رسالات الله.

٢ - ترتيب منازل الشرف بما يقوي الدعوة: الدراسة النفسية لشخصية المدعو، وقدرة الداعية على اكتشاف مقومات شخصية المدعو، لهما الأثر المعنوي البالغ في سداد طريق الدعوة، حيث يستطيع الداعية بناء المجتمع، بشخصيات مؤثرة تقوى بهم الدعوة، وتستمر في نتائجها الإيجابية.

٣ - طرح الفوائد العلمية والأسئلة المعرفية في مجالس الدعوة يضيفي المحبة والمؤلفة.

٤ - مشاركة الناس في الأيام السارة ورفع الحرج عنهم.

٥ - اختيار الاسم الحسن في لفظه ومعناه والمناداة به: إن الاسم الحسن له أثر في نفس صاحبه، وله وقع في تعامله مع الناس حيث هو القرين الملازم له في شتى أحواله، فكان من سنته ﷺ أن يغير الأسماء التي فيها

(١) رسالة في الدعوة إلى الله، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، المدينة المنورة: مطبوعات الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص:

مخالفة صريحة للتوحيد كعبد الكعبة حوله إلى عبد الله وكذلك الاسم الذي فيه تركية مطلقة كبرة أسماها زينب، فمن الوسائل المعنوية للداعية أن ينادي المدعويين بما يحبون من الأسماء أو الكنى أو الألقاب.

٦ - مؤالفة قلوب الناس بالمال والكلمة الطيبة الصادقة.

٧ - الحث على الشفاعة الحسنة.

٨ - توثيق الحديث بشهادة الصادقين على محبة الأقربين والحث على الصبر في سبيل الله.

٩ - ذكر المحاسن يرفع المعنويات أمام المصائب ويخفف من الصعوبات

١٠ - المقارنة بين الأشياء يتم بها التوافق وتحصل بها الفوارق والحب أحد المقاييس التي يتم بها التحكيم بين الأشياء.

١١ - هجر المحبوب وعتابه، يدل على المحبة.

١٢ - الإخبار بالمحبة لمن يحب والإتيان إلى منزله.

١٣ - المواساة والدعاء.

ثانياً: أثر المحبة في الوسائل المادية:

إن تنوع الوسائل وتطورها، ذو علاقة كبيرة بالفكر، وإيصال المعلومات، وتثبيت الحقائق والتثبت منها، وإزالة الغموض، وتصحيح الأفكار، وفي ميدان الدعوة إلى الله، تتجلى أهمية الوسائل الدعوية المادية، ضمن أساليب الدعوة المتعددة، التي يبلغ بها دين الله للناس، ولا يمكن حصر هذه الوسائل ضمن مجموعة محددة، يتناولها الدعاة في كل حين من دعوتهم؛ ولكن هناك وسائل مادية فطرية ملازمة للداعية وهي خلقية في بدنه، بما وهبه من قدرات في النطق والحركة والسمع والبصر، تتبعها وسائل متغيرة بتغير الزمان وطبيعة الاستجابة للمؤثرات كالحلق والعلم والعمر، تتضح في شخصية الداعية كقدوة - في أفعاله وأقواله - ووسائل مادية مستقلة متطورة، كتطور وسائل الإعلام والاتصال وغيرها في العصر الحاضر، فهي متجددة متطورة، ومرتبطة بزمن الدعوة ومكانها، حسب القدرات والإمكانات. ولا تتميز الوسائل الدعوية المادية، باستقلال أو انفصال عن الوسائل المعنوية، بل الدمج الحاصل بينهما يجعلهما وحدة متكاملة، وبهما يكونا وسيلة جاذبة ومحبة للنفوس المستقبلية، وهنا سوف أعرض بعض الوسائل الدعوية المادية التي استخدمت في صدر الدعوة الإسلامية وجاءت مرتبطة بلفظ الحب في الكتاب والسنة وفق ما يلي:

١- المنبر.

٢- مواد البيئة النباتية والحيوانية.

٣- التطبيق العملي.

٤- المال ومقوماته.

٥- الهدية:

٦- الفروسية والرمي.

٧- البيان الإجرائي بالوسائل الملائمة.

٨- الإشارة باليد.

٩- معاملة الناس بما يحبون.

النتيجة الثانية عشر

أثر المحبة في مجالات الدعوة

إن الدعوة إلى الله تشمل جميع نواحي الحياة، لكمال الإسلام وشموله؛ لذا فقد ارتبطت الدعوة بحياة الإنسان وما تعلق به بعد مماته؛ ولاقتراح الحياة الدنيا بحياة الآخرة، اقتران ترتيب وتكليف ومحاسبة، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ^(١) ومن أعظم الروابط بين الإنسان وبين الحياتين رابطة المحبة لهما أو لأحدهما، ومقياس التفضيل فيها يعود إلى ما قدم كل شخص من عمل يضمن له الفوز أو يكون به من الخاسرين، فإن الأعمال محور الحساب، وتشمل مضمون العبودية لله تعالى التي يدخل بها إلى دار النعيم ونعم الدار، أو دار الجحيم وبئس القرار، وهذه الأعمال متصلة ضمنا بشخصية الإنسان وعلاقته بالدنيا والآخرة، ومنفصلة معنى وأداء باختلاف الأشخاص وتنوع الأوامر والنواهي الشرعية، عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملة ومدى قيام الإنسان بها على الوجه المطلوب منه شرعا، ويفترق الناس في ذلك، قال الله تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ^(٢)

النتيجة الثالثة عشرة

أثر المحبة في العقيدة

المحبة أصل في عقيدة المسلم وعليها قام الإيمان، وعليها أسلم المسلم لله تعالى إيمانا به ومحبة له ولمن جاء بخبره من الملائكة والرسول، ومحبة لما جاء عنه من أمرٍ أمرَ به، وكره ما يبغضه وترك ما يجرمه، وعلى ذلك أحب المسلم أخاه المسلم ورضي من الدنيا بالحلال دون الحرام محبة في لقاء الله وجنته ورضوانه. ومن أصول أهل السنة والجماعة أن المحبة صفة من صفات الله وصفة من صفات عباده (فإن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ) فإن الله يحب محبة تليق بحلاله وعظيم سلطانه، والعبد يحب محبة بها رغبة في جلب نفع وسعادة ومحبة بها رغبة في دفع ضرر أو شر تكون بدفعه السعادة، وتمذهب الناس في معنى محبة الله تعالى على مذاهب شتى بين

(١) سورة يونس: ٢٣.

(٢) سورة الأعلى: ١٦ - ١٧.

مشرك وكافر كالملاحدين، وبين مغال انحرف عن الصواب كالرافضة وبين مراتب خالف أهل الصواب كالجهمية وبين من وقف على جرف هار كغلاة الصوفية وبين من هو سالك طريق الجادة على نور من ربه وبرهان الأدلة من الكتاب والسنة بالفهم السليم المتوافق مع الفطرة والعقل، وهم أهل السنة والجماعة الذين مضوا على نهج السلف الصالح، ومن مسلمات أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، أن محبة الله مقرونة بطاعته، فهو سبحانه يحب من أطاعه، ومن سعى ليجبه الله، محبة في الله وطلباً لرضاه، عليه أن يعمل بطاعة الله والعمل بما يرضيه، ويقيم أركان الإسلام الخمسة، وهذه هي المحبة الصادقة الخالصة.

أولاً: محبة العبد لله تعالى:

المحبة صفة من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، بلفظ الحب الصريح وهو أن الله يُحِبُّ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)^(١) قال ابن القيم^(٢) في كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين: (المحبة الخالصة أن يحب المحبوب لكماله، وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته. وأن الذي يوجب هذه المحبة فناء العبد عن إرادته لمراد محبوبه، فيكون عاملاً على مراد محبوبه منه لا على مراده هو من محبوبه. فهذه هي المحبة الخالصة من درن العلل وشوائب النفس، وهي التي تستلزم إثارة المحبوب على غيره ولا بد، وكلما كان سلطان هذه المحبة أقوى كان هذا الإثارة أتم وهي التي تتزايد).

ثانياً: محبة المسلم للنبي ﷺ:

إن محبة الرسول ﷺ من أصول الإيمان، ولا تصح عقيدة المسلم بدونها، بل عليها أمر الشرع ونهيه، وهذا الحب مرتبط شرعاً، بحب القلب وهو الميل بالخير والنفع، وحب ما جاء به من الأمر والمنع، والحرص على ما يوصل إلى الفوز بشفاعته، وحب البركة بجسده الطاهر المبارك.

ثالثاً: محبة المسلم لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة رضي الله عنهم:

إن قدر الله تعالى ومشيتته لهذه الأمة، أن يتولى أمرها بعد رسولها أربعة من الصحابة العظام الذين كان لهم السبق للإسلام من المهاجرين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ومن ناصر الإسلام في مرحلة الأولى حيث القلة والسرية، وفي مرحلته الثانية حيث الجهر بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيلها حتى ظهر الإسلام وانتصر، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر الملقب بالصديق وعمر بن الخطاب الملقب بالفاروق، وعثمان بن عفان الملقب بذي النورين، وعلي بن أبي طالب أبو السبطين الحسن والحسين أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ، واصطلح المؤرخون على تسمية عهدهم بالخلافة الراشدة وهم بالخلفاء الراشدين، ومحبتهم واجبة شرعاً، ومحبتهم بنيت على الدين لما لهم من الفضل في نصوص الشرع الحكيم وما قدره الله لهم في التفضيل

(١) سورة التوبة: ٤.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة: دار السلفية، ط ٢،

والتقديم ومحبتهم تأتي على هذا القدر من الترتيب: أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد قدم الله تعالى المهاجرين في كتابه الكريم حين الذكر لهم على الأنصار؛ لما لهم من السبق في الإسلام والنصرة والتضحية والهجرة، وكما للمهاجرين شرف الهجرة فإن للأنصار شرف النصرة وقد جعل النبي ﷺ حب الأنصار من علامات الإيمان. وأوصى بحفظ كرامة أصحابه من التنقص أو السب أو الإيذاء لما لهم من شرف صحبته ﷺ ونصرته ورؤيته.

رابعاً: محبة آل البيت ﷺ:

إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ وقد عاشا في بيت واحد، وأول من آمن من الصبيان وله الفضل العظيم في الإسلام، ونصرته، ومحبه للنبي ﷺ ومحبة النبي له، وتزوج بابنة النبي ﷺ فاطمة بنت خديجة رضي الله عنهما، كان مجاهداً في سبيل الله وبرزت مواقفه عن غيره في أكثر من موقف على عهد النبي ﷺ كيوم بدر والخندق وخيبر، ولي خلافة المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وجرت في خلافته فتن عظيمة بين المسلمين لتوغل المنافقين والأعداء والضلال في صفوف المسلمين في مؤامرات للقضاء على الإسلام ووحدته المسلمين، وقد ابتلي بالحوارج، ومنهج أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت ممن انتسب إلى بيت النبوة بحسب أو صهر أو نسب إحساناً وإسلاماً، ثبوتاً شرعياً بنص أو وصاية، ومنهم فاطمة وعلي والحسن والحسين وحمزة والعباس وأبناءؤه، وجعفر وعقيل أخوا علي وأبناءؤه، وأزواجه قال شيخ الإسلام في منهج أهل السنة في حب الصحابة وآل البيت: (ويجبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم: (أذكركم الله في أهل بيتي)^(١) .

خامساً: الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان:

إن من أصول عقيدة المسلم، الولاء و البراء وهما يقومان على أصول الإيمان القلبي بالحب أو البغض وعلى أصول الإيمان القولي والعملي المصدق لما في القلب بالحديث والمعاملة. ومجمع ذلك وميزانه أن يكونا في الله سواء كان حب أهل الإيمان أو بغض أهل الشرك والكفر والنفاق، وهو من أفضل الأعمال ومن أوثق عرى الإيمان، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ »^(٢). ويختلف الناس في هذا الأصل، كمالاتهم ونقصانهم، ولكل امرئ حال محدد في هذا الشأن حسب شخصه وعلمه وعمله وحسب مواقف الحياة المتعددة المتغيرة.

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حديث رقم: ٦٣٧٨ (١٢٢/٧).

(٢) انظر: سنن أبي داود- كتاب السنة- باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، حديث رقم: ٤٦٠١ (٣٢٧/٤). وضعفه الألباني .

سادسا: علاج الوسوسة في العقيدة:

الوسوسة هي حديث النفس للإنسان من الأفكار والتدابير التي تكون بين الخير والشر، وهي بمنزلة الحادثة الكائنة بين اثنين، والاستطراد معها يخرج الإنسان عن طبيعته وواقعه إلى عالم الخيال والوهم والهيم حتى يقع في حبال الخبال والجنون، أما طردها وعدم الاسترسال معها وصرفها بإبدالها بالأذكار الشرعية أو الأعمال العبادية أو الأعمال البدنية؛ فإنه أسلم للإنسان في صحته وعقله، والصحة النفسية عليها مدار القبول الشرعي و القبول الاجتماعي، فإن الجنون قد رفع عنه القلم والتكليف حتى يرجع، ولكل إنسان قرينه من الجن، ومن أخطر ما يتعرض له المسلم ما يضر بعقيدته من الوسوسة الشيطانية، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أحَدًا يجد في نفسه — يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ — لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ. قَالَ ابْنُ قُدَّامَةَ: رَدَّ أَمْرَهُ مَكَانَ رَدِّ كَيْدِهِ»^(١). ومن واجب المسلم مدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان. هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، أما الاسترسال معها يوقع الشك والوهم ويحكم الشيطان حباله على من تسلط عليه، ويخرجه بها من التوحيد إلى الشرك، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتموه؟" قالوا: نعم، قال: "ذلك صريح الإيمان»^(٢) فمتى حَكَمَ المسلم العلم على قلبه، ولم يتحدث بها كانت هذه الوسوسة من محض الإيمان، أما إذا تحدث بها وأتبعها التصديق ومحاولات التحليل العقلي، فقد خرج بها عن العلم والإيمان إلى الخيال والوهم والشك، وهنا وجب عليه الرجوع والعلاج، ومن أهمها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستغفار والوضوء والصلاة والدعاء وذكر التوحيد وتأكيد الإيمان، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟ فيقول: الله، فيقول: فمن خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا حس أحدكم بذلك فليقل آمنت بالله وبرسوله"^(٣).

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في رد الوسوسة ، حديث رقم : ٥١١٤ (٩٠/٤). وانظر مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم رضي الله عنهم، حديث رقم : ٣١٦١ (٢٤٨/٥). صححه الألباني. وتعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها. حديث رقم : ٣٥٧ (٨٣/١).

(٣) انظر: صحيح ابن حبان - كتاب الإيمان - باب التكليف ، حديث رقم : ١٥٠ (٣٦٢/١). تعليقه شعيب الأرنؤوط على صحيح ابن حبان : إسناده صحيح .

النتيجة الرابعة عشرة

أثر المحبة في العبادات

قال الله تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ^(١) هذا الأمر من الله تعالى يبين فيه ما عليه أصل العبادة في جميع الشرائع وإن اختلفت التشريعات، وهو توحيد الألوهية، بصرف العبادة له دون سواه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيُّ هُوَ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، وَحُبُّ اللَّهِ أَصْلُ التَّوْحِيدِ الْعَمَلِيِّ، وَهُوَ أَصْلُ التَّأَلِيهِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ أَصْلَهَا أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ مَعَ أَكْمَلِ أَنْوَاعِ الْخُضُوعِ، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ) ^(٢) فإن العبد يحب الله تعالى هو القائم بالعبادة على الوجه المشروع وهو المعنى بتعريف العبادة أنها كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والقربى لله بهذه الأعمال، موصلة لمحبه، وتعظم هذه المحبة بأداء الفرائض، وتكبر هذه العظمة بأداء النوافل، حتى يبلغ العابد درجة عالية في العبودية ودرجة كبيرة في المحبة ويصبح في غاية الخضوع لله تعالى. وحقائق الأعمال العبادية التي يقوم بها العبد تنعقد فيها المحبة من الله، عن طريقين :

١) المداومة عليها: عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، واعلموا أن لن يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عمله الجنة، وأنَّ أحبَّ الأعمالِ أدومُها إلى الله وإن قلَّ» ^(٣).

٢) النصيحة فيها: عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي إلي، النصيحة لي» ^(٤). وحقائق النصيحة لله كما قرره العلماء هو الإخلاص في الطاعة، والاجتهاد في كمال أدائها.

وسوف أعرض هنا مختصراً، مما ورد في العبادات من نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب لكي يتضح أثر المحبة فيها، وحيث أركان الإسلام جامعة لأنواع العبادات فإنني أعرضها وفق ترتيبها العلمي المعتبر، كما يلي:

الركن الأول: الشهادتان:

إن جميع العبادات من شروطها الإسلام، ولا يتحقق إلا بالنطق بالشهادتين والإيمان بهما، والنطق بالشهادتين من عبادات اللسان الواجبة في الذكر والصلاة أثناء الجلوس للتشهد، وهو أول واجب على المكلف، ومن محبة المسلم لدينه إعلان الشهادتين، حيث هي حقيقة الدين، وقد جعلت من شعار الدين الظاهرة كما في الأذان، وعند الدخول في الإسلام، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(١) سورة النساء: ٣٧.

(٢) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحارثي، تحقيق:

د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٥٤.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: ٦٤٦٤ (٩٨/٨).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢١٩١ (٣٦ / ٥٢٩) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند:

إسناده ضعيف جداً.

(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)^(١)

الركن الثاني: الصلاة

أولاً: مرحلة الاستعداد: وتشمل الطهارة والوقت والمكان :

- ١- محبة الله للمتطهرين.
- ٢- محبة التيامن في الطهارة.
- ٣- محبة الستر واليسر في الغسل.
- ٤- محبة الوضوء تعليماً وعلامات.
- ٥- محبة النبي ﷺ لاستقبال الكعبة (القبلة) والاستجابة له.
- ٦- محبة تسوية الصفوف للصلاة وإتمام الأول منها.
- ٧- أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها.
- ٨- المساجد أحب البلاد إلى الله.

ثانياً: مرحلة الأداء الشرعي: وتشمل الأركان والواجبات والسنن:

- ١- صفة الصلاة.
- ٢- الخشوع في الصلاة.
- ٣- صلاة العيد فيهما إشاعة الفرح والمحبة.
- ٤- محبة صلاة الجماعة و صلاتي العشاء والصبح.
- ٥ - محبة صلاة العصر.
- ٦ - محبة التنفل ومحبة أداء النوافل في البيت. ومن النوافل التي وردت بلفظ الحب ما يلي:
صلاة الضحى، وركعتا الفجر: أي سنة صلاة الفجر -ركعتان قبلية ، وكذلك السنن الرواتب، ومن النوافل كذلك صلاة (القيام والتهجد) ومحبة الله للوتر والذكر والدعاء، وهذه العبادات من أعمال المتقين ومن الأعمال المحببة إلى الله، وقد أثنى الله على عباده المتقين المحسنين - الذين يحبهم - بقيام الليل والاستغفار.

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ،حديث رقم: ٢٥ (١٤/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: ١٣٣ (١/٣٨).

ثالثاً: مرحلة الانتهاء والفراغ وتشمل الذكر والدعاء :

الصلاة في اللغة تعني الدعاء. ومن الأذكار والأدعية التي جاءت محبة بلفظ الحب في شؤون الصلاة والدعاء وفق نصوص الكتاب والسنة ما يلي:

- (١) الذكر مع الأذان (٢) أذكار الصباح والمساء (٣) فضل التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل (٤)
الأدعية الجامعة والفاضلة (٥) الدعاء بأسماء الله الحسنى.

الركن الثالث : الزكاة

قال الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(١) وقال الله تعالى: (وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا)^(٢) إن محبة المال فطرية في نفس الإنسان، حيث حب التملك، وبذلك جاءت أوامر الشريعة مقررّة ومبينة للصواب في حال الإنسان مع المال حبا وإمساكا، ونفقة وكرما، وصدقة وزكاة وكسبا وعطاء، قال الله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)^(٣) ولما نزلت هذه الآية بادر الصحابة الكرام رضوان الله عليه بالإنفاق مما يحبون من أموالهم، بل من أحبها، ومنهم أبو طلحة وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب.

الركن الرابع: صوم رمضان

إن هذه الفريضة هي الركن الرابع من أركان الإسلام، وتظهر فيها آثار المحبة عن غيرها من العبادات، كونها عبادة نفسية بدنية، يمنع الإنسان نفسه عن الموانع المحبة إليه من الطعام والشراب والجماع وما في معناها، بنفسه وبدنه، حيث يتجلى الإخلاص فيها، وتظهر الطاعة المخلصة من العبد لربه؛ فيختلي بنفسه ولا يراه إلا الله، ولا يقدم على طعام ولا شراب وإن كان بين يديه، طاعة لله وإخلاصا، ويكف نفسه من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس عن جميع المفطرات الشرعية، عبادة وقربة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الصَّيَّامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرُفُثُ، وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ أَمْرٌ قَاتِلُهُ، أَوْ شَاتِمُهُ فَلْيُكَلِّمْ نَفْسِي بِإِذْنِي لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا)^(٤) . وصيام التطوع هو بمثابة الصدقة، له من الأحكام الخاصة، ما ليس للفريضة، والمسلم إن شاء أتم صيامه أو أفطر وأحب الصيام إلى الله صيام نبي الله داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما.

(١) سورة البقرة: ١١٠.

(٢) سورة الفجر: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران: ٩٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب فضل الصوم ، حديث رقم: ١٨٩٤ (٣/٢٤).

الركن الخامس: الحج إلى بيت الله الحرام لن استطاع إليه سبيلا

أمر الله تعالى أهل الحج خاصة بالاستزادة من التقوى، ونهاهم عن مظاهر الرفث والفسوق والجدال المنافية للمحبة، لأن الموقف كله موقف محبة، ومما يزيدهم محبة، بعضهم لبعض، مشاعر الإيمان الفياضة برؤية البيت العتيق، ووحدة الزمان والمكان والغاية، وبعض المظاهر الموحدة، كمظهر اللباس للرجال، والمتشابه للنساء، ووحدة التنقل بين المشاعر في أوقات تكاد تكون واحدة، الاجتماع الواحد المهيب على صعيد عرفة من كل الحجاج، ووحدة الذكر في التلبية، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ) ^(١). ووحدة التوحيد في إخلاص العبادة لله وحده، بإثبات الألوهية له دون سواه ونفيها عن غيره، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) ^(٢). فإن هذه العبادات الكثيرة قد وردت نصوص من الكتاب والسنة في بيان أثر المحبة في شأنها بلفظ الحب أعرضها فيما يلي وفق ترتيب المناسك في الفعل وهي:

١- محبة الطيب في الإحرام: الطيب من محبوبات النبي ﷺ وأحرم النبي ﷺ في حجة الوداع من ذي الحليفة، وتطيب قبل إهلاله.

٢- محبة الإهلال بالعمرة ثم الحج: صنف الفقهاء أنساك الحج إلى ثلاثة أنواع من النسك: الأفراد والتمتع والقران. عن عائشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله ﷺ مُوافينَ لَهلالِ ذي الحِجَّةِ، فقال لنا: من أحبَّ منكم أن يَهْلَ بالحجِّ فليَهْلَ، ومن أحبَّ أن يَهْلَ بعُمْرةٍ فليَهْلَ بعُمْرةٍ، فلولوا أيَّ أَهْدَيْتُمْ لأَهْلَلْتُ بعُمْرةٍ. قالت: فمننا من أَهْلَ بعُمْرةٍ، ومننا من أَهْلَ بحجٍّ... ^(٣)

٣- محبة اليسر في مناسك الحج: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوُدَّاعِ بِمَنْىَ لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فِجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَقَالَ أَذْبَحْ، وَلَا حَرَجَ فِجَاءَهُ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ أَرْمِ، وَلَا حَرَجَ فَمَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَدَّمَ، وَلَا أُخَّرَ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ، وَلَا حَرَجَ) ^(٤).

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الحج - باب التلبية، حديث رقم: ١٥٤٩ (١٣٨/٢). انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب التلبية ووقتها وصفتها، حديث رقم: ٢٨٦٨ (٧/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب في دعاء يوم عرفة حديث رقم: ٣٩٣٤ (٥٧٢/٥). حسنه الألباني .

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب العمرة - باب العمرة ليلة الحصة وغيرها، حديث رقم: ١٧٨٣ (٣/٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب العلم - باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، حديث رقم: ٨٣ (٢٨/١).

٤- محبة القيام بالأضحية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١) تميز عيد الأضحى عن عيد الفطر بأعمال منها النحر، وهذا العمل من أجل الأعمال المقربة إلى الله تعالى في هذا اليوم، والأضحية في حكم الفقهاء بين أنها واجبة كما عند أبي حنيفة، وبين أنها سنة مؤكدة عند غيره من الأئمة الأربعة، وهي من أحب الأعمال في يوم النحر عند المسلمين، لذا حرص عليها الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى وصالح المسلمين. والقيام بها محبب إلى النفس لأنها سنة الخليلين إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ.

النتيجة الخامسة عشرة

أثر المحبة في الأخلاق

إن الأخلاق أوسع مجالات الدعوة، كونها تصاحب المسلم في ظاهره غالباً، عقيدة وعبادة ومعاملة، فهي بمثابة الوجه من الجسد، في نقل الصورة الصحيحة لشخصية المرء، فمنها يُحَبُّ ويُكْرَهُ، ويُقِيمُ بها في دينه ومبادئه، فمن واجب المسلم الالتزام بما جاء في الإسلام من سمو الأخلاق ومحاسن الأعمال، فقد دعا الإسلام في جميع أوامره إلى محاسن الأخلاق ونهى وحذر في جميع نواحيه من مساوئ الأخلاق، وجعل النبي ﷺ لمن حسن خلقه مكاناً رفيعاً، ومجلساً حميداً يوم القيامة، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا^(٢). وعن جابر: أن رسول الله ﷺ، قال: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون.^(٣) وأثر المحبة في الأخلاق يظهر عموماً في محبة النبي ﷺ لخاسن الأخلاق، ومحبتنا له ﷺ والافتداء به في خلقه، ومحبتنا للإسلام وواجب البلاغ لهذا الدين، مما يوجب علينا أن نصفه ونبلغه ونخلص الوصف له؛ بأنه دين التوحيد والحب والسلام والخلق الحسن، وأنه ليس دين الضلالة والكراهة والإرهاب والهمجية، حيث وصفه الظالمون بذلك، قياساً على تصرف فرد أو جماعات، خرجت عن أصل الإسلام وخلقته. فوجب على أهل الإسلام الاهتمام بأمر الأخلاق في ميدان الأسرة أو ميادين التربية والتعليم والتدريب الاجتماعية، والأخلاق تتغير وفق أصول العقائد ومبادئ الأفكار، والأفعال نتيجة للأخلاق.

(١) سورة الكوثر: ١ - ٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم: ٦٠٣٥ (١٣/٨).

(٣) انظر: سنن الترمذي-كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم: ٢٠١٨ (٤/٣٧٠). صححه الألباني.

ومن توجيهات بعض نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بلفظ الحب وموضحة أثر المحبة في الأخلاق الواردة فيها ما يلي:

١- دفع الشهوات المحرمة.

٢- حب المساكين من أخلاق الصالحين.

٣- كظم الغيظ من خلق المتقين وإن الله يحب المتقين.

٤- صلاح الظاهر والباطن .

٥- أدب المجلس، ومن حسن خلق المسلم في المجالس أن يقدم على الناس بالسلام تحية الإسلام في دخوله، ويودع المجلس إذا خرج أيضا بالسلام، وهي كلمة عظيمة في معناها الذي يحث على المحبة والمسالمة ويبعث الطمأنينة، وعظيمة بعظم الإسلام المنافي للظلم والكرهية، وقد بين الشارع أنها من الأسباب الجالبة للمحبة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَّلَ أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »^(١).

٦- الغيبة من مساوئ الأخلاق.

٧- الاستئذان.

٨ - السهر في غير طاعة ينافي الأخلاق الفاضلة.

٩- الزهد: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ)^(٢).

١٠- المروءة: أجمع العلماء بأنها صفة تجمع فضائل الأخلاق ودلائل الكرم، ومن دواعيها ومؤثراتها وآثارها المحبة، فمحبة المرء لنفسه تدعوه إلى علو الهمة وشرف النفس وهي من دواعي المروءة، ومن شروطها العفة عن المحارم و المآثم بكبح جماح الشهوة حذرا من الوقوع في الزلل، ومن مؤثراتها التزاهة عن المطامع الدنية ومواقف الريبة ومن مؤثراتها المؤازرة والتيسير والإفضال بالجاه والمال، حال السعة والنوائب، ومن جوامعها الكرم والسماحة والإيثار.

النتيجة السادسة عشرة

أثر المحبة في المعاملات

لقد أمر الإسلام المسلم بالكسب والعمل وحسن المعاملة، والمعاملة على طرفي نقيض في الأثر، المحبة أثر مع الحسن فيها، والعداوة أثر مع السوء فيها، والمحبة مؤثرة في المعاملة حيث يسعى كل امرئ في كسبها من

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم: ٢٠٣ (١/٥٣).

(٢) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب الزهد في الدنيا، حديث رقم: ٤٢٠٢ (٥/٢٢٥). حسنه الألباني لغيره .

عدة وجوه، قال الله عز وجل: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ^(١)، ومن أهم مظاهر حسن المعاملة التي وردت فيها نصوص الكتاب والسنة بلفظ الحب ما يلي:

١- الصدق في المعاملة .

٢-إنظار المعسرين .

٣- العدل: لقد رفع الله بالإسلام معاني الظلم كلها، فقد حرمه على نفسه سبحانه وتعالى وجعله بين العباد محرماً، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا..... الحديث) ^(٢) وقال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ^(٣) والعدل في معناه الشامل، أن يسعى الإنسان لأداء ما عليه من حقوق على وجه الكمال، ووجه ذلك في باب المحبة، أن الكراهة منبعها الظلم، وأن المودة يمثل العدل أحد أسبابها القوية، فإن العادل ينال محبة الناس ومحبة الله، قال الله تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ^(٤)

٤- الوفاء: الوفاء من أعلى الصفات في توثيق العلاقات، وصدق المعاملات، والوفاء للغير هو وفاء للنفس، وأحسن الوفاء وأكمله هو الوفاء مع الله، حيث يشمل الوفاء لله الوفاء للخلق بأداء الحقوق ومنع العقوق، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوفاء، وجعلهم من أهل البر والتقوى.

٥- المعاملة بالمثل في محبة الخير للنفس: يقوم مبدأ الإسلام العظيم أن الناس سواسية كأسنان المشط في الحقوق الإنسانية، وغرس هذا المبدأ في نفوس أتباعه قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَنَّكَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ^(٥) ومن هذه الآية أكد أهل التأويل، أن التقوى ميزان التفاضل عند الله ومن دواعيها أن يحب الإنسان للناس ما يحب لنفسه، وإذا أراد من الناس شيئاً عليه أن يؤدي إليهم الذي لهم عليه.

٦- الولاء لمن أعتق وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، ومن واقع الحياة البشرية أن قام بينهم التدافع الذي به صلاح الأرض، وظهرت في العلاقات البشرية سيطرة الغالب على المغلوب، ونتج عنه ما

(١) سورة التوبة: ٢٤ .

(٢) انظر: صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم ، حديث رقم: ٦٧٣٧ (١٦/٨).

(٣) سورة النحل: ٩٠ .

(٤) سورة المائدة: ٤٢ .

(٥) سورة الحجرات: ١٣ .

يسمى الرقيق والموالي، ومن حسن الإسلام أن جاءت تشريعاته، بتحرير الأرقاء ومكاتبة الموالى على الحرية، بل حثت أوامره على تكفير الخطايا بهذا الأمر، وجعلت له فضيلة في الأجر عموماً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصُوٍ مِنْهُ عَصُوًا مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ)^(١). وجعل الإسلام حقوق الولاء لمن أعتق وليس لمن ملك ثم قبض الثمن، وهذا الأمر جعل الحبة قائمة بين المالك والمملوك على حق التملك، وبين المعتق والمعتق على حق العتق.

القسم الثالث: نتائج الدراسة في الباب الثالث

دور الدعاة إلى الله في بيان أثر الحبة على الفرد والمجتمع

النتيجة السابعة عشرة

دور الدعاة في بيان عناصر التأثير للمحبة في العلاقات

إن الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، أصبحت هي صوت المسلمين الناطق بحماية الإسلام والدفاع عنه، حيث تسربت الأمة في التقسيمات السياسية والجغرافية وذوبان الاستقلالية الإسلامية، وتششت بعض المسلمين في بلدان العالم المخالف لهم عقيدة ومنهجها، وانخرطت الأمة في المنظمات الدولية، وتفرقت إلى أحزاب شتى مناطقية وإقليمية وفكرية بين محاولات العقلاء لنبد الفرقة والحث على الاجتماع وبين جنائيات السفهاء في الحروب والتزاع. وبرز على الساحة الاجتماعية في أوساط المسلمين، من جعل أحوال المسلمين المريضة همهم، وجعل الدعوة إلى الله سبيله الأجد وهدفه الأوحده، ونهض بالبيان والبلاغ مرتسماً طريق الهدى صراط الله المستقيم ومستمسكاً بالعروة الوثقى، وداعياً إليها عقيدة وعبادة، ومنادياً بتهذيب الأخلاق والسلوك، وإصلاح المعاملات، وسد الذرائع وإغلاق أبواب المفسد، والسعي لتحقيق المصالح العامة والخاصة، وبرزت أسماؤهم وسماتهم بمسمى الدعاة إلى الله، ومن دورهم البارز بيان أثر الحبة من ثلاثة جوانب: السعي إلى إنماء الحبة، وعلاج مسببات ونتائج فقدانها، والوقاية من منحدرات تقوض أركانها، وتأتي أهمية الحبة بارتباط عزه المسلمين وسعادتهم بها، عقيدة ومنهجها وعبادة وخلقا وسلوكا ومعاملة، وعليها ياذن الله تجتمع الكلمة وبها يتوحد الصف في شتى المجالات عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(٢) فإن الحبة من أعظم القوى الفاعلة في

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب كفارات الأيمان - باب قول الله تعالى (أو تحرير رقبة) وأي الرقاب أزكى ، حديث رقم: ٦٧١٥ (٨/١٤٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، حديث رقم: ١٣ (٨/١٢). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: ١٧٩ (١/٤٩).

العلاقات الإنسانية، تجتمع بها وعليها القلوب وتعطف وترق، وعند فقدانها تنقلب الحال فتتفر النّفوس وتفتقر، فإن إشاعة المحبة بين الناس سبيل الاجتماع، وإشاعة الكراهة سبيل الافتراق، والدعوة إلى الله كلها دعوة إلى الاجتماع، ولكن أي نوع هو من الاجتماع ؟ هو الاجتماع على طاعة الله ورسوله ﷺ ونشر المحبة والخير في العالم، والإحسان في كل شيء؛ فالدعوة إلى الله واجب المسلم بما علم وعمل من الفقه بالدين، وواجب على من اختص بالدعوة إلى الله دراسة وعلمًا أو خُصَّ باسم الداعية إلى الله أو نُسبت إليه الدعوة بما فضل من علم وخلق وجهد في سبيل تبليغ دعوة الله للناس، ومكانتها عالية المقام. فإن الإسلام الذي انتسب إليه المسلم يأمر بالعمل الصالح والقول الحسن وبهما تنتشر المحبة في معناها الحقيقي المعتدل؛ فإن العقول السليمة والنفس المستقيمة تحب صلاح العمل وحسن القول، ويخرج عنهما وبهما كل عمل خبيث غير صالح وكل قول قبيح باطل، ومنهما وبهما مع الإخلاص لله، تبرز الدعوة إلى الله قولاً حسناً فاضلاً، وعملاً صالحاً متقبلاً. ويتضح دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع، ضمن ثلاثة أدوار، يتم توزيعها حسب طبيعة دور الداعية في البيان المقصود والهدف المحدد المراد تحقيقه، وأجلها في ثلاثة أدوار، وكل دور يبني على ثلاثة محاور: الفرد والأسرة والمجتمع، وهذه الأدوار هي:

أولاً: الدور الإنمائي: وهو بيان أصول وعوامل زيادة المحبة في العلاقات بين الناس. في إطار علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة وعلاقة الزوجين وعلاقة القرابة، وعلاقة العمل الداخلية والخارجية وعلاقة الراعي والرعية النظامية والإنسانية .

ثانياً: الدور العلاجي: وهو بيان ودراسة أسباب الانحراف في المحبة ووضع خطة علاجية لتصحيح الحالة المرضية ومتابعة النتائج، إما بالاستمرار وإما بتصحيح مسار الخطة أو تعزيزها أو إلغاؤها وإبدالها، حسب نتائج المتابعة. وذلك في إطار علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة وعلاقة الزوجين وعلاقة القرابة، وعلاقة العمل الداخلية والخارجية وعلاقة الراعي والرعية النظامية والإنسانية .

ثالثاً: الدور الوقائي: وهو بيان أصول وعوامل الاعتدال في المحبة والترغيب فيها، والتحذير من أسباب ونتائج الانحراف عن منهج الاعتدال فيها. وذلك في إطار علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة وعلاقة الزوجين وعلاقة القرابة، وعلاقة العمل الداخلية والخارجية وعلاقة الراعي والرعية النظامية والإنسانية .

النتيجة الثامنة عشرة

دور الدعاة في بيان أهمية المحبة في العلاقات

والمحبة في إفشائها ونشرها وإشاعتها نمو في العلاقات الفردية والأسرية والاجتماعية، وهذا يعد غاية من غايات الدعوة، ويأتي دور الدعاة إلى الله في نمو المحبة بين الناس، بالبيان النظري والإجراء العملي سعياً لتحقيق التماسك في المجتمع المسلم، والمجتمع المسلم جزء من المجتمع العالمي، ويمثل القدوة والنبراس له؛

وينتشر الإسلام بأخلاق أهله؛ لما حظي به من شريعة عظيمة تميزت بكمالها وصلاحها لكل زمان ومكان، وبعث فيه خير المرسلين وخاتم النبيين، رحمة للعالمين، ومنهجه القرآن الكريم، المحفوظ من الزيادة والنقصان، وبه الهداية إلى الصراط المستقيم، ومن كمال هذا الدين الاهتمام بالفرد والأسرة والمجتمع في الحقوق والواجبات، فأعطى كل ذي حق حقه، وخص كل ذي صفة بما هو مستحقه، تحت مبدأ العدل والمساواة والمحبة، وبما يضمن سلامة العلاقات وقوتها، وتماسك المجتمع ووحدته. ودور الدعاة الإنمائي والعلاجي والوقائي يكون من خلال قنوات العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي المتمثلة في علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة وعلاقة الزوجين وعلاقة القرابة وعلاقات العمل الداخلية والخارجية وعلاقات المسؤولية بين الحاكم والمحكوم -الراعي والرعية- النظامية والإنسانية. وذلك ببيان أصول العلاقات من وجهة الشرع والعقل وعوامل النماء فيها والهدم. وأصل الشيء ما كان عليه، فما زاد وفاد، كان له القبول والانقياد، وما نقص وهدم، وجب إصلاحه أو الفرار منه قبل الندم، وأصل العلاقات الإحسان والوفاء والصدق وحسن المعاملة. وكلما تعاون الناس على بر وتقوى بينهم؛ نمت المحبة بينهم، وكلما طغت المصالح الخاصة على المصلحة العامة ضعفت المحبة، وقد تبدل إلى عداوة، وأخطر العداوات ما يكون بين القرابة؛ لكثرة اللقاء بينهم وإمكانية تسلسلها في الأجيال القادمة. ووجب على الدعاة إلى الله هذا البيان لأنه من أعظم ما أمر الله به أن يوصل.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، مباركاً عليه، كما يحب ربنا ويرضى،
والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا وحبينا محمد ﷺ خاتم النبيين وخير المرسلين وسيد الورى. وبعد..
فإن الحبة خير يرتجى، وشر يتقى، وقد لا يصدق المعنى محب أن في الحبة شر، إلا بعد لظى الفراق للمحبيب
وَألم فقد الأمل في المطلوب، فإنه لا يشعر إلا بالخير منها حين اللذة القلبية العقلية منها، أو اللذة الحسية بها.
وفهم قيمة هذا عند إضافتها للمحبيب، فيقدره تعلق وتبلغ العلا، وقد تقوي به في الردى، والفهم الحقيقي
لمعنى الحبة لا يدرك إلا من خلال الدليل الشرعي القائم على الكتاب والسنة والتي لم تترك شيئا إلا وبينت
الحق فيه، وحذرت من الباطل والفساد القائم به، ومن غريب معنى الحبة، أن يكون المكروه أحيانا محبوبا
والعكس صحيح، ولا يدرك ذلك إلا حين المقارنة بين النتائج الأولية لواقع الحب والمحوب والنتائج النهائية
فيه، وهذا مما عرفنا في هذه الدراسة، وعرفنا أن الحبة حين تلازم الحب؛ فمنه تأخذ الفضل والكمال، ومنها
قد يلزمه العطب والاستفال، وهي عامل لازم في الحياة لا ينفك المرء عن الحب والمحوب، فطرة فطر الناس
عليها، وجبلت عليها القلوب، وتوافقت عليها النفوس، وهي عامل هام ومؤثر في الدعوة إلى الله، جاءت
النصوص في الكتاب والسنة بتقريره، وتهديبه، والقول فيه، والعمل به، في جميع مجالات الدعوة إلى الله من
العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، فهو عامل مؤثر في العلاقات فينتج عنه الصلات الحميدة
والصلات الذميمة، وله أثر في الداعية والمدعو، وله قيمة مؤثرة في أساليب الدعوة ووسائلها. فيجب على
كل داعية أن يحقق معنى الحبة المحمود في ذاته وحياته، ويسعى لتحقيقه في حياة المدعويين ويثبته في المجتمع
عبر قنواته من الصداقة والخيرة والقرابة وضمن نطاق الأعمال أو المسؤوليات، وإيصال المعنى المذموم
للمحبة للناس لأخذ الحذر من الوقوع فيه، وكذلك السعي بالعلاج والبيان لتبصير الناس بطرق العلاج
السليم لمن وقع في المذموم منها، وإيضاح السبل والمخارج الشرعية والعقلية للسلامة من ذلك، وفي ختام
هذا البحث أذكر نفسي ومن أحظيت باطلاعه عليه بأهم متعلقات الحبة وهو الإيمان بالله والاستسلام له
بتوحيده والإخلاص له بالطاعة، ومحبة رسوله ﷺ والمؤمنين:

قال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(١)
وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي
النَّارِ»^(٢).

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) انظر صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان حديث رقم: (١٢/١).

ولله الحمد والمنة، على تمام ما أمنه، من علم بهذه الدراسة والعلم طريق الجنة . فأحمده سبحانه وأثني عليه بما هو أهله، وأسأله أن يبلغني حبه. إن موضوع (المحبة في الكتاب والسنة) لن أستطيع أن أحصي أو أعني الفوائد العظيمة أو الدروس الجليلة التي نلتها أو اكتسبتها في حياتي العلمية والعملية منه، ولقد عاجلت به العضلات، وسخرته في حل كثير من المشكلات، ودفعت به البلايا والفتن، ووجدته سبيل قويم في الحفاظ على العقيدة والحفاظة على العبادة وحلية من حلايا الأخلاق، وزينة جمال في باطن المرء وظاهره، في قلب محب للخير عقيدته التوحيد، وعمرانه الإيمان والصفاء، وصدر منشرح نقي من العداوة والبغضاء، ولسان صادق سديد، وعمل صالح رشيد. و ختام قولي هنا: الحمد لله رب العالمين: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير. رب زدني علما. رب توفي مسلما وألحقني بالصالحين. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ، وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ.

الملاحق والفهارس

الملاحق

الآيات التي ورد فيها لفظ (الحُب) في كتاب الله العظيم

م	اسم السورة	رقم الآية	الآيات
١	البقرة	١٦٥	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ
٢	البقرة	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
٣	البقرة	١٩٠	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
٤	البقرة	١٩٥	وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
٥	البقرة	٢٠٥	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ أَلَمَهَاذُ
٦	البقرة	٢١٦	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
٧	البقرة	٢٧٦	يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
٨	آل عمران	١٤	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ
٩	آل عمران	٣١	قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
١٠	آل عمران	٣٢	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
١١	آل عمران	٥٧	وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

١٢	آل عمران	٧٦	بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
١٣	آل عمران	٩٢	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
١٤	آل عمران	١١٩	هَتَأْتُمْ أَولَاءَ يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
١٥	آل عمران	١٣٤	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
١٦	آل عمران	١٤٠	إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْهٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْهٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
١٧	آل عمران	١٤٦	وَكَايِنٍ مِنْ نَبِيِّ قُنَلٍ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ
١٨	آل عمران	١٤٨	فَقَاتِلُهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ
١٩	آل عمران	١٥٢	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
٢٠	آل عمران	١٥٩	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۚ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ
٢١	آل عمران	١٨٨	لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْهُمْ بِمَفَازَةٍ ۖ مِنَ الْعَذَابِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
٢٢	النساء	٣٦	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا
٢٤	النساء	١٠٧	وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَافًا أَثِيمًا
٢٥	النساء	١٤٨	لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا
٢٦	المائدة	١٣	فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

٢٧	المائدة	١٨	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبُّهُ فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلَّ أَنْتُمْ بَشَرًا مِمَّنْ خَلَقَ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ
٢٨	المائدة	٤٢	سَمِعُوتَ لِكَذِبٍ أَكْثَلُونَ لِلشَّعْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
٢٩	المائدة	٥٤	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ حُبِّهِمْ وَيُخَيِّبُهُمْ أَدْلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
٣٠	المائدة	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
٣١	المائدة	٨٧	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
٣٢	المائدة	٩٣	لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ
٣٣	الأنعام	٧٦	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا فَلِينَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَارَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
٣٤	الأنعام	١٤١	يَذَرِي أَدَمَ خُدُودًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
٣٥	الأعراف	٣١	يَذَرِي أَدَمَ خُدُودًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
٣٦	الأعراف	٥٥	أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
٣٧	الأعراف	٧٩	فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَافِقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُونَ النَّاصِحِينَ
٣٨	الأنفال	٥٨	وَلَمَّا تَخَافَنَّ مِنَ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ

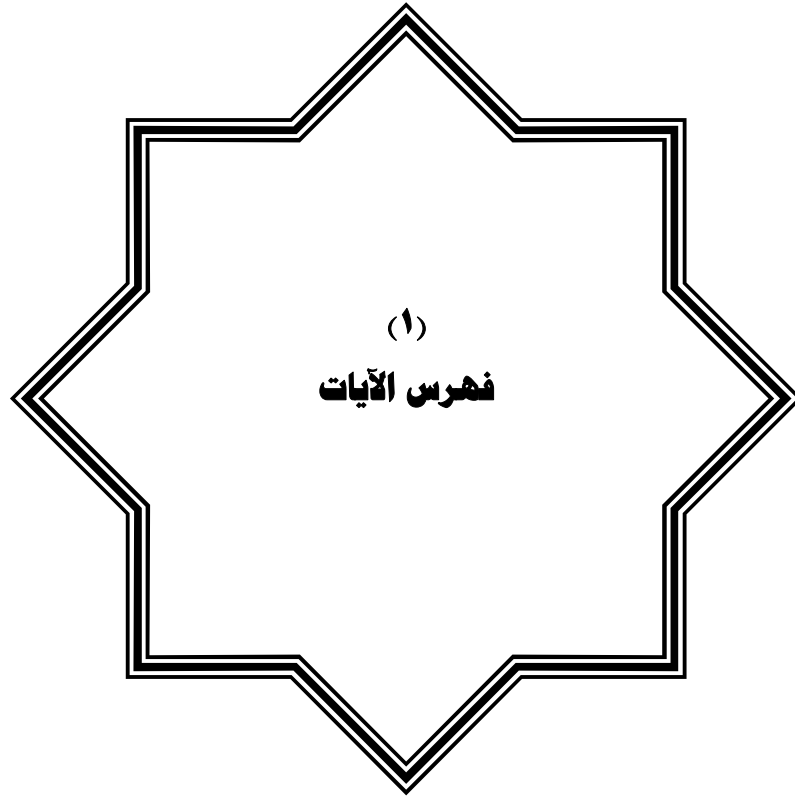
٣٩	التوبة	٤	إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ مُخِيبُ الْمُتَّقِينَ
٤٠	التوبة	٧	كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ مُخِيبُ الْمُتَّقِينَ
٤١	التوبة	٢٤	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
٤٢	التوبة	١٠٨	لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ
٤٣	يوسف	٨	إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
٤٤	يوسف	٣٠	۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۚ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
٤٥	يوسف	٣٣	قَالَ رَبِّ الْمَسْجِدِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
٤٦	إبراهيم	٣	الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ
٤٧	النحل	٢٣	لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُخِيبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ
٤٨	النحل	١٠٧	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
٤٩	طه	٣٩	أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي
٥٠	الحج	٣٨	إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخِيبُ كُلَّ خَوَّانٍ كَافِرٍ
٥١	النور	١٩	إِنَّ الَّذِينَ يُخَيَّبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
٥٢	النور	٢٢	وَلَا يَأْتَلِ أُولَٰؤُا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
٥٣	القصص	٥٦	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

٥٤	القصص	٧٦	إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَعَاتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَنُتَوًّا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
٥٥	القصص	٧٧	لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
٥٦	الروم	٤٥	وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
٥٧	لقمان	١٨	فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ
٥٨	ص	٣٢	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ آهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
٥٩	فصلت	١٧	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
٦٠	الشورى	٤٠	وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ
٦١	الحجرات	٧	وَأَلَّيْنَاكَ بِالْحَقِّ ۖ وَنَبَذْنَا الْفِتْنَةَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّا نَبِذْنَاكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
٦٢	الحجرات	٩	وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
٦٣	الحجرات	١٢	يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَنُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ
٦٤	الحديد	٢٣	لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
٦٥	الحشر	٩	وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
٦٦	المتحنة	٨	لَا يَنْهَنكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
٦٧	الصف	٤	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ۖ كَانَتْهُمْ بُتَيْنِ مَّرْصُوصِ

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ	١٣	الصف	٦٨
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ	٢٠	القيامة	٦٩
وَيُطْعَمُونَ اَلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا	٨	الإنسان	٧٠
إِنِّ هَتُّوْا لِّلْمُحِبِّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا	٢٧	الإنسان	٧١
وَتُحِبُّونَ اَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا	٢٠	الفجر	٧٢
وَلِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ	٨	العاديات	٧٣

الفهارس

- ١) الآيات
- ٢) الأحاديث
- ٣) الآثار
- ٤) الأعلام
- ٥) الأماكن والبلدان والقبائل والفرق
- ٦) الألفاظ الغريبة
- ٧) المصادر والمراجع
- ٨) الموضوعات



أولاً: فهارس الآيات

أرقام الصفحات	أرقام الآيات	أسماء الصور	أرقام الآيات	أطراف الشواهد من الآيات
٠٠٢	٤٥	البقرة	٤٥	وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
٠٠٢	٦٨	البقرة	٦٨	لَا فَارِضٌ وَلَا يَكُ
٠٠٢	٨٧	البقرة	٨٧	أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ
٠٠٢	١٠٢	البقرة	١٠٢	وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ
٠٠٢	١٠٢	البقرة	١٠٢	وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا
٠٠٢	١١٠	البقرة	١١٠	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ
٠٠٢	١٢٧	البقرة	١٢٧	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
٠٠٢	١٣٤	البقرة	١٣٤	تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ
٠٠٢	١٣٥	البقرة	١٣٥	وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ يَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
٠٠٢	١٤٠	البقرة	١٤٠	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ
٠٠٢	١٤٢	البقرة	١٤٢	مَا وَلَّهُمْ مِنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
٠٠٢	١٤٣	البقرة	١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
٠٠٢	١٤٤	البقرة	١٤٤	قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
٠٠٢	١٥٠	البقرة	١٥٠	وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ
٠٠٢	١٥٣	البقرة	١٥٣	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
٠٠٢	١٥٦	البقرة	١٥٦	الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
٠٠٢	١٥٨	البقرة	١٥٨	إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ
٠٢	١٦٣	البقرة	١٦٣	وَاللَّهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ
٠٠٢	١٦٥	البقرة	١٦٥	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
٠٠٢	١٧٠	البقرة	١٧٠	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو
٠٠٢	١٧٧	البقرة	١٧٧	وَالْمُؤْفُوتِ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

١٨٠	البقرة	٠٠٢	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ
١٨٥	البقرة	٠٠٢	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ
١٩٠	البقرة	٠٠٢	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
١٩٠	البقرة	٠٠٢	إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
١٩١	البقرة	٠٠٢	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم
١٩٤	البقرة	٠٠٢	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
١٩٥	البقرة	٠٠٢	وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
١٩٥	البقرة	٠٠٢	وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
١٩٦	البقرة	٠٠٢	وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
١٩٧	البقرة	٠٠٢	الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ
١٩٨	البقرة	٠٠٢	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
١٩٨	البقرة	٠٠٢	فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
٢٠٤	البقرة	٠٠٢	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكُمْ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي
٢١٣	البقرة	٠٠٢	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
٢١٤	البقرة	٠٠٢	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ
٢١٦	البقرة	٠٠٢	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ
٢٢٢	البقرة	٠٠٢	تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
٢٢٢	البقرة	٠٠٢	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
٢٢٢	البقرة	٠٠٢	وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
٢٢٨	البقرة	٠٠٢	وَهُنَّ مِثْلُ اللَّذَىٰ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
٢٣٧	البقرة	٠٠٢	وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
٢٣٨	البقرة	٠٠٢	حَنِفْظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ
٢٤٧	البقرة	٠٠٢	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا
٢٤٨	البقرة	٠٠٢	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

٠٠٢	البقرة	٢٤٨	قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
٠٠٢	البقرة	٢٥٨	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
٠٠٢	البقرة	٢٦١	مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ
٠٠٢	البقرة	٢٦٧	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوقًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبَتْهُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ
٠٠٢	البقرة	٢٧١	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
٠٠٢	البقرة	٢٧٣	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا فِي
٠٠٢	البقرة	٢٧٦	يَمَحُقُ اللَّهُ الزُّبُرَ وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
٠٠٢	البقرة	٢٨٠	وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
٠٠٢	البقرة	٢٨٢	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
٠٠٣	آل عمران	١٤	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
٠٠٣	آل عمران	١٨	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ
٠٠٣	آل عمران	٣١	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
٠٠٣	آل عمران	٣٢	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
٠٠٣	آل عمران	٥٧	وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
٠٠٣	آل عمران	٧٦	بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
٠٠٣	آل عمران	٧٨	وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ
٠٠٣	آل عمران	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
٠٠٣	آل عمران	٩٢	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

٠٠٣	آل عمران	٩٣	كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّورَةُ
٠٠٣	آل عمران	٩٦	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ
٠٠٣	آل عمران	٩٧	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حَيْثُ أَصْطَفَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
٠٠٣	آل عمران	١٠٢	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
٠٠٣	آل عمران	١٠٤	وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
٠٠٣	آل عمران	١١٨	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا
٠٠٣	آل عمران	١١٩	هَتَأْتُمْ ءَوَّلَءِ حُبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُفُّوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا
٠٠٣	آل عمران	١٢٢	عَصُوا عَلَيْكُمْ ءَلَانَامِلَ
٠٠٣	آل عمران	١٢٢	إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهِنَّ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
٠٠٣	آل عمران	١٢٣	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
٠٠٣	آل عمران	١٣٣	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
٠٠٣	آل عمران	١٤٠	إِنْ يَمَسُّكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَلْحَقٍ فَسِرُّوا عَنْهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
٠٠٣	آل عمران	١٤٤	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
٠٠٣	آل عمران	١٤٦	وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٠٠٣	آل عمران	١٤٦	وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ
٠٠٣	آل عمران	١٥٢	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ

٠٠٣	آل عمران	١٥٩	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
٠٠٣	آل عمران	١٦٠	وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
٠٠٣	آل عمران	١٦٢	أَقِمْنَ اتِّبَاعَ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ^ط وَيَنْسَ الْخَصِيرُ
٠٠٣	آل عمران	١٧٨	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْهُمْ نَجَّيْنَا ^ط هُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ ^ط
٠٠٣	آل عمران	١٨٠	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُمْ خَيْرٌ لَّهِمْ ^ط بَلْ هُوَ
٠٠٣	آل عمران	١٨٠	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ^ط وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ ^ط أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
٠٠٣	آل عمران	١٨٨	لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُخَيَّبُونَ أَنْ تَحْمَدُوا ^ط إِنَّمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ
٠٠٤	النساء	١	وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ^ط وَالْأَرْحَامَ
٠٠٤	النساء	٣	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ^ط فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ^ط مَتًى
٠٠٤	النساء	٦	وَابْتَلُوا الْيَتَامَى ^ط حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَادَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
٠٠٤	النساء	٧	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
٠٠٤	النساء	٨	وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى ^ط وَالْيَتَامَى ^ط وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ
٠٠٤	النساء	١٨	وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ^ط حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ^ط أَلْفَنَ
٠٠٤	النساء	١٩	بِالْمَعْرُوفِ وَعَاشِرُوهُمْ ^ط فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ ^ط فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
٠٠٤	النساء	٢٠	وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ ^ط إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا
٠٠٤	النساء	٢٣	وَأُْمَهِنْتُكُمْ ^ط الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوْنَكُمْ مِنْ الرِّضْعَةِ
٠٠٤	النساء	٢٨	يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ^ط وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا
٠٠٤	النساء	٢٩	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ

٠٠٤	النساء	٣١	إِنْ تَجْتَبُوا كِبَآيِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ
٠٠٤	النساء	٣٢	وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا
٠٠٤	النساء	٣٤	الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
٠٠٤	النساء	٣٦	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
٠٠٤	النساء	٤٦	تُحَرِّمُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
٠٠٤	النساء	٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
٠٠٤	النساء	٥٩	يَتَأَيُّمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ
٠٠٤	النساء	٦١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ
٠٠٤	النساء	٦٩	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
٠٠٤	النساء	٧١	يَتَأَيُّمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَنَادِقٍ جَمِيعًا
٠٠٤	النساء	٨٢	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
٠٠٤	النساء	٨٥	مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۚ
٠٠٤	النساء	٨٦	وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا
٠٠٤	النساء	٩٨	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمًا أُنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا
٠٠٤	النساء	١٠٢	وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ
٠٠٤	النساء	١٠٣	إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا
٠٠٤	النساء	١٠٥	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ
٠٠٤	النساء	١٠٦	وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
٠٠٤	النساء	١٠٧	وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ أُنْفُسُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَاتًا
٠٠٤	النساء	١٠٨	يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ
٠٠٤	النساء	١١٠	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا
٠٠٤	النساء	١١٢	وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا
٠٠٤	النساء	١١٤	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
٠٠٤	النساء	١١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ

٠٠٤	النساء	١٢٤	وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
٠٠٤	النساء	١٢٥	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
٠٠٤	النساء	١٢٨	وَأِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ثُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا
٠٠٤	النساء	١٣١	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
٠٠٤	النساء	١٣٥	يَتَأْتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوْمِينَ بِالْأَيْسِطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
٠٠٤	النساء	١٤٨	لَا حُجْبُ لِلَّهِ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا
٠٠٤	النساء	١٤٩	إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا
٠٠٤	النساء	١٥٥	فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِقَايَسِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا
٠٠٤	النساء	١٥٧	وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ
٠٠٤	النساء	١٦٥	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
٠٠٤	النساء	١٦٦	لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ
٠٠٤	النساء	١٧١	يَتَأْتِ هَلْ أَلِ كِتَابٍ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
٠٠٤	النساء	١٧٦	يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
٠٠٥	المائدة	١	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ
٠٠٥	المائدة	٢	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
٠٠٥	المائدة	٣	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
٠٠٥	المائدة	٤	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ
٠٠٥	المائدة	٦	مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
٠٠٥	المائدة	٦	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى
٠٠٥	المائدة	٨	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
٠٠٥	المائدة	١٣	فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
٠٠٥	المائدة	١٨	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ
٠٠٥	المائدة	٢٣	وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

٠٠٥	المائدة	٢٧	وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
٠٠٥	المائدة	٤٢	سَمْعُونََ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّعْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
٠٠٥	المائدة	٤٢	وَأِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
٠٠٥	المائدة	٤٨	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
٠٠٥	المائدة	٥١	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ
٠٠٥	المائدة	٥٤	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
٠٠٥	المائدة	٥٦	إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
٠٠٥	المائدة	٦٢	وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشُّحَّ لَيْسَ
٠٠٥	المائدة	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ
٠٠٥	المائدة	٧٠	لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا
٠٠٥	المائدة	٨٧	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
٠٠٥	المائدة	٨٩	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ
٠٠٥	المائدة	٩٣	لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا
٠٠٥	المائدة	٩٥	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ
٠٠٥	المائدة	١٠١	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا
٠٠٦	الأنعام	١٨	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ
٠٠٦	الأنعام	٣٢	وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ ٱلْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا
٠٠٦	الأنعام	٤٤	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ۚ حَتَّىٰ إِذَا
٠٠٦	الأنعام	٧٤	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ۖ إِلَٰهَةً ۚ إِنَّي أَرُودُكَ وَقَوْمَكَ فِي
٠٠٦	الأنعام	١٤١	كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۚ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
٠٠٦	الأنعام	١٥٢	وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ بِٱلْقِسْطِ ۚ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا ۖ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا وَلَوْ كَانَ
٠٠٦	الأنعام	١٦٥	ذَٰقَرَيْنِ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّن دُونِهِ ٱلْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ۚ
٠٠٧	الأعراف	٣	أَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ ءَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا

٠٠٧	الأعراف	٢٦	يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ نَفْسِكَ وَيَبْسُ الْتَقْوَى
٠٠٧	الأعراف	٢٨	قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٠٠٧	الأعراف	٣١	وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
٠٠٧	الأعراف	٣٣	إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ
٠٠٧	الأعراف	٣٤	فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ
٠٠٧	الأعراف	٥٥	أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
٠٠٧	الأعراف	٧٦	قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ
٠٠٧	الأعراف	٧٩	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَافْقَوْمِ لَقَدْ أَتَلَعْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا
٠٠٧	الأعراف	٩٣	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَافْقَوْمِ لَقَدْ أَتَلَعْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
٠٠٧	الأعراف	٩٦	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
٠٠٧	الأعراف	١٢٧	وَقَالَ الْكَلْبُ مِنَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
٠٠٧	الأعراف	١٦٣	وَسَلَّطَهُمُ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ
٠٠٧	الأعراف	١٧٢	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
٠٠٧	الأعراف	١٧٩	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
٠٠٧	الأعراف	١٨٠	وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
٠٠٧	الأعراف	١٨٥	أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ
٠٠٧	الأعراف	١٨٨	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ
٠٠٧	الأعراف	١٩٠	فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
٠٠٧	الأعراف	٢٠٥	وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً
٠٠٨	الأنفال	١٥	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ
٠٠٨	الأنفال	١٦	وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
٠٠٨	الأنفال	٢٣	وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ
٠٠٨	الأنفال	٢٥	وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
٠٠٨	الأنفال	٢٧	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخَوْفُوا اللَّهَ وَالرُّسُلَ وَتَخَوْفُوا أَمْنِيَّتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

٠٠٨	الأنفال	٢٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لَجْلَمَ لَكُمْ فُرْقَانًا
٠٠٨	الأنفال	٣٠	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
٠٠٨	الأنفال	٤٢	إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى
٠٠٨	الأنفال	٤٥	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
٠٠٨	الأنفال	٤٦	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
٠٠٨	الأنفال	٤٦	وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
٠٠٨	الأنفال	٥٨	وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيفَتَهُ فَأَنِبْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ
٠٠٨	الأنفال	٦٠	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
٠٠٨	الأنفال	٦٣	وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَبَيْتَ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ
٠٠٨	الأنفال	٦٦	بَيْتِهِمْ أَلْفَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا
٠٠٩	التوبة	٤	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
٠٠٩	التوبة	٥	فَإِذَا أَدْلَسَ الْأَشْهُرُ الْحَرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
٠٠٩	التوبة	٦	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ
٠٠٩	التوبة	٧	كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
٠٠٩	التوبة	٢٣	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَلَا إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا
٠٠٩	التوبة	٢٤	قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
٠٠٩	التوبة	٢٥	لَقَدْ تَصَرَّكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
٠٠٩	التوبة	٢٩	فَقَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
٠٠٩	التوبة	٣١	أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
٠٠٩	التوبة	٣٤	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
٠٠٩	التوبة	٣٦	وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً
٠٠٩	التوبة	٣٨	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى
٠٠٩	التوبة	٤٠	إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

٥٤	التوبة	٠٠٩	وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
٦٠	التوبة	٠٠٩	إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي
٦٤	التوبة	٠٠٩	تَحَذِّرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ
٦٧	التوبة	٠٠٩	وَالْمُتَنَفِقَاتُ الْمُتَنَفِقُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
٧١	التوبة	٠٠٩	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
٧٢	التوبة	٠٠٩	وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
٨٤	التوبة	٠٠٩	وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
٩١	التوبة	٠٠٩	لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
٩٩	التوبة	٠٠٩	وَمِنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتًا
١٠٠	التوبة	٠٠٩	وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ
١٠٣	التوبة	٠٠٩	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا
١٠٥	التوبة	٠٠٩	وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ
١٠٨	التوبة	٠٠٩	لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
١١٠	التوبة	٠٠٩	وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ
١١٣	التوبة	٠٠٩	مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
١١٧	التوبة	٠٠٩	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
١١٩	التوبة	٠٠٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
١٢٨	التوبة	٠٠٩	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
٤	يونس	٠١٠	إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
٧	يونس	٠١٠	إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
٢٣	يونس	٠١٠	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
٢٦	يونس	٠١٠	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَى وَزِيَادَةً وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهُهُمْ
٦٢	يونس	٠١٠	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
٩٠	يونس	٠١٠	فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الْأَفْرَقُ قَالَ

١٠	يونس	١٠١	قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	
١١	هود	٣٢	قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ	
١١	هود	٣٨	وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ	
١١	هود	٥٠	اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ	
١١	هود	٧٠	فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً	
١١	هود	١١٢	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا	
١١	هود	١١٤	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنْ أَحَسَّنتَ يُدْهِبِ السَّيِّئَاتِ	
١١	هود	١١٦	وَاتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ	
١٢	يوسف	٧	لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّالِكِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ	
١٢	يوسف	١٨	فَصَبَّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ	
١٢	يوسف	٢١	فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ	
١٢	يوسف	٣٠	وَقَالَ نِسَوْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا	
١٢	يوسف	٣٣	قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ	
١٢	يوسف	٣٩	يَصْلَحَنِي السِّجْنُ أَزْنَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ	
١٢	يوسف	٦٧	وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ	
١٢	يوسف	٨٠	فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا	
١٢	يوسف	٨٤	وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبْتَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ	
١٢	يوسف	٨٦	قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ	
١٢	يوسف	١٠٨	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي	
١٣	الرعد	١٣	وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ	
١٣	الرعد	٢٦	اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا	
١٣	الرعد	٢٨	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ	
١٣	الرعد	٣٩	يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ	
١٤	إبراهيم	٢	اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	

٠١٤	إبراهيم	٣	الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا
٠١٤	إبراهيم	٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِيهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
٠١٤	إبراهيم	٧	وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
٠١٥	الحجر	٨٥	وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ وَاصْصَبْ الْجَمِيلَ
٠١٥	الحجر	٨٨	وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
٠١٦	النحل	٨	وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٠١٦	النحل	١٧	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٠١٦	النحل	٢٣	لَا جَرَمَ أَنْ يَكُنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُمْسُرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ
٠١٦	النحل	٣٠	وَلَذَارَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
٠١٦	النحل	٣٥	وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
٠١٦	النحل	٣٦	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ
٠١٦	النحل	٤٣	فَسَعَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بَالْتَيْتُمْ وَالزُّبُرُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
٠١٦	النحل	٥١	وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
٠١٦	النحل	٧٢	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ
٠١٦	النحل	٧٨	أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
٠١٦	النحل	٩٠	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
٠١٦	النحل	٩٠	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ
٠١٦	النحل	٩٧	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَوِّضَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
٠١٦	النحل	١٠٦	مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ
٠١٦	النحل	١٠٧	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اشْتَحَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
٠١٦	النحل	١١٥	وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا
٠١٦	النحل	١٢٥	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ
٠١٦	النحل	١٢٧	وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
٠١٧	الإسراء	١١	وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا

١٧٠	الإسراء	١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا	
١٧٠	الإسراء	١٨	مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَلْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ	
١٧٠	الإسراء	٢٣	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا	
١٧٠	الإسراء	٢٦	وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا	
١٧٠	الإسراء	٣٢	وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	
١٧٠	الإسراء	٣٥	وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ	
١٧٠	الإسراء	٣٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ	
١٧٠	الإسراء	٣٧	وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ	
١٧٠	الإسراء	٤٣	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ	
١٧٠	الإسراء	٤٥	وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَالًا خَرَةً حِجَابًا	
١٧٠	الإسراء	٦١	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ	
١٧٠	الإسراء	٧٢	كَانَ فِي هَبْهَةِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي آخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا	
١٧٠	الإسراء	٧٩	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَنَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا	
١٧٠	الإسراء	١٠٧	ءَامِنُوا قُلْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ	
١٧٠	الإسراء	١٠٩	وَيُخْرِثُونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا	
١٨٠	الكهف	١٦	وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ	
١٨٠	الكهف	٢٠	إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا	
١٨٠	الكهف	٥٤	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ	
١٨٠	الكهف	٥٥	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ	
١٨٠	الكهف	٨٠	وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾	
١٨٠	الكهف	٨٥	إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا	
١٨٠	الكهف	١٠٧	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا	
١٨٠	الكهف	١١٠	فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ	
١٩٠	مريم	٣	إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِدَآءِ خَلْقِي	

٠١٩	مریم	١٤	وَرَبُّكَ يُولِئُ لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا	
٠١٩	مریم	٢٦	{إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا	
٠١٩	مریم	٤١	وَأَذْكُرُ فِي إِلِكْتَسِبِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	
٠١٩	مریم	٥٨	أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ	
٠١٩	مریم	٨١	وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا	
٠١٩	مریم	٩٦	الَّذِينَ إِنِّ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ	
٠٢٠	طه	٣٢	قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي	
٠٢٠	طه	٣٩	وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبِطًا مَنِيًّا وَلْتُضْمَعَ عَلَى عَيْنِي	
٠٢٠	طه	٣٩	وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبِطًا مَنِيًّا وَلْتُضْمَعَ عَلَى عَيْنِي	
٠٢٠	طه	٤٣	أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَئِيَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	
٠٢٠	طه	٦٧	فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى	
٠٢٠	طه	٩١	قَالَ يَنْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا	
٠٢٠	طه	٩٩	كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا	
٠٢٠	طه	١١٤	وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا	
٠٢٠	طه	١٢٣	قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى	
٠٢١	الأنبياء	٢٥	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا	
٠٢١	الأنبياء	٣٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ	
٠٢١	الأنبياء	٧١	وَلَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ	
٠٢١	الأنبياء	٧٧	وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخِمْكُمَا فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا	
٠٢١	الأنبياء	٩٤	فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ	
٠٢٢	الحج	٤	كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ	
٠٢٢	الحج	١١	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ	
٠٢٢	الحج	٢٦	وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا	
٠٢٢	الحج	٢٧	وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ	

٠٢٢	الحج	٣٦	فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا
٠٢٢	الحج	٣٧	لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ
٠٢٢	الحج	٣٨	اللَّهُ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ
٠٢٢	الحج	٣٩	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا
٠٢٢	الحج	٤٦	أَقَلَّمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا
٠٢٢	الحج	٧٢	الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعْ آلَ مَعْصِيَةٍ
٠٢٢	الحج	٧٨	هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
٠٢٢	الحج	٧٨	هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ
٠٢٣	المؤمنون	١	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
٠٢٣	المؤمنون	٥٥	أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ
٠٢٣	المؤمنون	٩٦	أَذْفَعُ بِآلِئِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ
٠٢٤	النور	١	سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا
٠٢٤	النور	١١	وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ
٠٢٤	النور	١٩	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
٠٢٤	النور	٢١	يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ
٠٢٤	النور	٢٢	وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
٠٢٤	النور	٢٧	يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا
٠٢٤	النور	٣٠	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
٠٢٤	النور	٣٧	لَا تُلْهِيمِمْ تَحَنُّنًا وَلَا بَعْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ
٠٢٤	النور	٤٤	يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
٠٢٤	النور	٥٦	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
٠٢٤	النور	٥٨	يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَغْفِرَ لَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
٠٢٤	النور	٦١	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
٠٢٥	الفرقان	٢٣	وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا

٠٢٥	الفرقان	٢٧	وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا
٠٢٥	الفرقان	٣٢	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
٠٢٥	الفرقان	٥٤	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
٠٢٥	الفرقان	٦٣	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ خَوِيفًا
٠٢٥	الفرقان	٦٧	وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
٠٢٥	الفرقان	٦٨	وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
٠٢٦	الشعراء	٧٧	فَلَيْتَهُمْ عَذُوًّا لِلَّهِ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ
٠٢٦	الشعراء	٨٣	أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٣﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ
٠٢٦	الشعراء	٩٦	قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ
٠٢٦	الشعراء	١٨٢	وَنُزِّلُوا بِالْقِسْطِ أَسَاسٍ الْمُسْتَقِيمِ
٠٢٦	الشعراء	٢١٤	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
٠٢٧	النمل	٣٤	قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً
٠٢٧	النمل	٤٤	وَصَدَّهَا مَا كَانَتِ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ
٠٢٧	النمل	٩٠	وَمَنْ جَاءَ بِالسِّيْفَةِ فَكُنْتِ وَجْهَهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
٠٢٧	النمل	٩٣	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَمِعْتُمْ وَأَبَيْتُمْ فَتَحَرَّفُوا فِيهَا
٠٢٨	القصص	٩	وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ
٠٢٨	القصص	٢٦	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ آيَاتُ فَتَحَرَّفُوا فِيهَا
٠٢٨	القصص	٥٦	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
٠٢٨	القصص	٧٦	إِنْ قُرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ
٠٢٨	القصص	٧٧	وَأَتَّبَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ
٠٢٨	القصص	٧٨	قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ
٠٢٨	القصص	٨٣	وَالْعِيقَبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
٠٢٩	العنكبوت	٨	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا
٠٢٩	العنكبوت	١٤	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا

٠٢٩	العنكبوت	٢٨	وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
٠٢٩	العنكبوت	٤٥	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
٠٢٩	العنكبوت	٤٦	وَلَا تُجْبَدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآلِئِ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
٠٢٩	العنكبوت	٤٧	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
٠٢٩	العنكبوت	٥٨	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
٠٢٩	العنكبوت	٦٥	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ تَخْلُصِنَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا تَجِبُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
٠٣٠	الروم	٨	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
٠٣٠	الروم	٨	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
٠٣٠	الروم	٢١	وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
٠٣٠	الروم	٣٠	فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
٠٣٠	الروم	٣٨	فَقَاتِ ذَا الْقُرْآنِ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَأَبْنِ السَّبِيلَ
٠٣٠	الروم	٤٣	فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ
٠٣٠	الروم	٤٥	لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
٠٣٠	الروم	٥٤	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
٠٣١	لقمان	١٣	وَإِذْ قَالَ لِقْمَنِ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
٠٣١	لقمان	١٤	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ
٠٣١	لقمان	١٥	وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
٠٣١	لقمان	١٨	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
٠٣١	لقمان	٢٢	وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
٠٣١	لقمان	٣٠	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ
٠٣٢	السجدة	١٥	إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
٠٣٢	السجدة	٨	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
٠٣٣	الأحزاب	٤	وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ
٠٣٣	الأحزاب	٢١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

٠٣٣	الأحزاب	٢٣	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ
٠٣٣	الأحزاب	٣٣	إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
٠٣٣	الأحزاب	٣٤	وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
٠٣٣	الأحزاب	٣٥	وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اللَّهِ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
٠٣٣	الأحزاب	٤١	يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
٠٣٣	الأحزاب	٥٣	إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ
٠٣٣	الأحزاب	٥٩	يَتَأْتِيهِمُ النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيهِنَّ عَنْ يَمِينٍ
٠٣٣	الأحزاب	٦٠	لِّئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
٠٣٣	الأحزاب	٧٠	يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
٠٣٣	الأحزاب	٧١	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
٠٣٤	سبا	٣٥	وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ
٠٣٤	سبا	٣٩	قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ
٠٣٥	فاطر	٢٧	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا
٠٣٥	فاطر	٣٢	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
٠٣٦	يس	١٢	إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَءَاثِرُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
٠٣٧	الصفات	٥٠	فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
٠٣٧	الصفات	١٠٠	رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
٠٣٧	الصفات	١٠٢	قَالَ يَتَابِعِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ
٠٣٨	ص	٥	أَجْعَلِ آلَهُةً إِلَٰهًا وَاحِدًا
٠٣٨	ص	٢٦	يَسْأَلُونَكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
٠٣٨	ص	٢٩	كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدَعْوَانَا ءَايَاتُهُمْ وَلِيَمْنَعُكَ اللَّهُ الْغِيْبَ
٠٣٨	ص	٣٠	وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصِّفَانَتُ الْجَبَابِلُ
٠٣٨	ص	٤١	وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ
٠٣٨	ص	٤٤	إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

٠٣٩	الزمر	١٠	إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	
٠٣٩	الزمر	١١	إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ	
٠٣٩	الزمر	١٧	وَالَّذِينَ آجَتْنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ	
٠٣٩	الزمر	٣٣	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ	
٠٣٩	الزمر	٢٣	اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْخَبِيرِ كَتَبْنَا مُتَشَابِهًا مَّثَانِي	
٠٣٩	الزمر	٣٦	أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	
٠٣٩	الزمر	٥٣	قُلْ يَعْجِبَادِي الَّذِينَ أَرْفَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ	
٠٤٠	غافر	٣	وَقَابِلِ الْتَوْبِ	
٠٤٠	غافر	٤	مَا يُجْبَدِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ	
٠٤٠	غافر	٥	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ	
٠٤٠	غافر	١٨	وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْخَنَاجِرِ كَنُظْمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ	
٠٤٠	غافر	٤١	وَيَنْقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ	
٠٤٠	غافر	٦٠	وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي	
٠٤٠	غافر	٦١	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا	
٠٤٠	غافر	٧٥	ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ	
٠٤١	فصلت	١٧	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ	
٠٤١	فصلت	٢٢	وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ	
٠٤١	فصلت	٢٥	وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ	
٠٤١	فصلت	٢٩	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْإِنْسِ الْيَحْنِ جَعَلَهُمَا	
٠٤١	فصلت	٣٣	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	
٠٤١	فصلت	٣٤	وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ	
٠٤١	فصلت	٤٩	لَا يَسْعَمُ إِلَّا نَسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسُوسُ	
٠٤١	فصلت	٥١	وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسِ أَعْرَضَ وَنَقَا بَجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ	
٠٤٢	الشورى	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	

٠٤٢	الشورى	٢١	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
٠٤٢	الشورى	٢٢	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
٠٤٢	الشورى	٢٣	قُلْ لَا أَشْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ
٠٤٢	الشورى	٢٥	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ
٠٤٢	الشورى	٣٨	وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ
٠٤٢	الشورى	٤٠	فَمَن عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
٠٤٢	الشورى	٤١	وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ
٠٤٢	الشورى	٤٣	وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
٠٤٣	الزخرف	٤٣	وَلِئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ
٠٤٣	الزخرف	٦٧	أَلَا خِلَآءُ بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ لِّبَعْضٍ عَذَابٌ إِلَّا الْمُتَّقِينَ
٠٤٥	الجاثية	٢٣	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
٠٤٥	الجاثية	٣٦	فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
٠٤٦	الأحقاف	١٥	وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا
٠٤٦	الأحقاف	١٧	وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ
٠٤٦	الأحقاف	٣٥	فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَآءُ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
٠٤٧	محمد	١٩	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ
٠٤٧	محمد	٢٢	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ
٠٤٧	محمد	٢٨	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ
٠٤٧	محمد	٣٣	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ
٠٤٨	الفتح	١٧	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
٠٤٨	الفتح	١٨	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
٠٤٨	الفتح	٢٤	وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ
٠٤٨	الفتح	٢٥	هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغُ
٠٤٨	الفتح	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

٠٤٩	الحجرات	٧	وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَٰكِن
٠٤٩	الحجرات	٩	وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
٠٤٩	الحجرات	١٠	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
٠٤٩	الحجرات	١٢	يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
٠٤٩	الحجرات	١٣	يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
٠٥٠	ق	٤٥	نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۚ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۚ فَذَكَرَ بِالْقُرْءَانِ مَن خَافَ
٠٥١	الذاريات	١٦	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ ءَاخِذِينَ مَّا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ
٠٥١	الذاريات	٢٠	وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
٠٥١	الذاريات	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
٠٥١	الذاريات	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
٠٥٣	النجم	٣٢	الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِنْمِ وَالْفَوْحِشَ إِلَّا أَلَمَ
٠٥٣	النجم	٣٤	فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ
٠٥٤	القمر	٤٩	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ
٠٥٥	الرحمن	٦٠	هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ
٠٥٦	الواقعة	٧٩	لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ
٠٥٧	الحديد	١٨	إِنَّ الْمُصْطَفِينَ وَالْمُصْذَقِينَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
٠٥٧	الحديد	١٦	وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ
٠٥٧	الحديد	٤	وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
٠٥٧	الحديد	٧	ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ
٠٥٧	الحديد	١٠	لَا يَسْتَوِ مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ ۖ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنْ
٠٥٧	الحديد	٢٠	كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ
٠٥٧	الحديد	٢٣	مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ

٥٧٠	الحديد	٢٥	الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
٥٥٨	المجادلة	١	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا
٥٥٨	المجادلة	٨	وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ
٥٥٨	المجادلة	١١	يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
٥٥٨	المجادلة	٢٢	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
٥٥٩	الحشر	٧	وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
٥٥٩	الحشر	٨	لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
٥٥٩	الحشر	٩	وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحَيِّوَنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
٥٥٩	الحشر	١٠	وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
٥٥٩	الحشر	٢١	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
٥٦٠	المتحنة	١	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
٥٦٠	المتحنة	٤	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
٥٦٠	المتحنة	٨	لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
٥٦٠	المتحنة	١٤	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ
٥٦١	الصف	٤	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُتِنٌ مَّرْصُوصٌ
٥٦١	الصف	١٠	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّؤِكُمْ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
٥٦١	الصف	١٣	وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
٥٦٣	المنافقون	٤	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ
٥٦٣	المنافقون	5	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازٍ زُءُوسُهُمْ
٥٦٣	المنافقون	٩	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
٥٦٤	التغابن	١٥	إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
٥٦٥	الطلاق	٢	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
٥٦٥	الطلاق	٣	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ
٥٦٥	الطلاق	٧	لِحْنَفِقٍ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ

٠٦٦	التحريم	٨	يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ۖ تُوْهُمُ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
٠٦٧	الملك	١٥	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ
٠٦٨	القلم	٤	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ
٠٦٨	القلم	١٧	إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا الْجَنَّةَ أَصْحَابَ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ
٠٦٨	القلم	٢١	فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
٠٦٨	القلم	٤٨	فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ
٠٦٩	الحاقة	١٩	فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْتِبُهُ بِمِيزَانِهِ ۖ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةَ
٠٧٠	المعارج	١٩	إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
٠٧١	نوح	٢٢	وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا
٠٧٣	الزمل	١	يَتَأْتِيهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ فَمِ الْيَلِّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ
٠٧٣	الزمل	٢٠	فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ۚ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ
٠٧٤	المدثر	٤	وَيْتَابَكَ فَطَهِّرْ
٠٧٥	القيامة	١٥	بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ بَصِيرَةٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ
٠٧٥	القيامة	٢٠	كَأَلَّا بَلَّ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ
٠٢١	الإنسان	٥	إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُتُونَ مِن كَاسٍ كَاتٍ مِزَاجُهَا كَافُورًا
٠٢١	الإنسان	٢٧	إِن هَتُّوْا لَئِىَحْبُوبٍ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا
٠٨٣	المطففين	٤	أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ
٠٨٧	الأعلى	١٦	بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ
٠٨٩	الفجر	١	وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
٠٨٩	الفجر	١٥	فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ رَبُّهُ فَآكَرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
٠٨٩	الفجر	٢٠	وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا
٠٨٩	الفجر	٢٧	يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً
٠٩٠	البلد	8	أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ
٠٩٠	البلد	١١	فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ

٠٩١	الشمس	٧	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا
٠٩٣	الضحى	٩	فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
٠٩٣	الضحى	١١	وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ
٠٩٤	الشرح	٥	فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
٠٩٥	التين	٤	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
٠٩٦	العلق	٦	كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿١﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى
٠٩٧	القدر	١	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
٠٩٩	الزلزلة	٧	فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
١٠٠	العاديات	٦	إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ
١٠٠	العاديات	٨	وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ
١٠٨	الكوثر	١	إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ



ثانيا : فهرس الأحاديث

م	أطراف الحديث	الصفحة
١	أَصُومُ فِي السَّفَرِ وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيَامِ	
٢	أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا وَفِي يَدِهِ عُزْجُونُ ابْنِ طَابٍ	
٣	أَنْتَ فَاطِمَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا. فَقَالَ لَهَا	
٤	اتَّقُوا الظُّلُمَ؛ فَإِنَّهُ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	
٥	أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحَبُّ الْخَيْلِ	
٦	أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَنَسٌ مِنَ الْيَهُودِ	
٧	أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ	
٨	أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَرْمِي الْجُمُرَةَ	
٩	أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْبَنٍ وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ	
١٠	أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ لِي مِنْ وَجْهِهِ مَا لَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهِ مِنْ وَجْهِهِ	
١١	أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ مَرَّةً، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ	
١٢	أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ	
١٣	أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَنْشُدَكَ مُحَمَّدًا حَمَدْتَ بِمَا رُبِّي	
١٤	أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ	
١٥	أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ رَاكِبًا	
١٦	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ	
١٧	اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ	
١٨	أَحَبُّ الْأَيَّامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمُ النُّحْرِ	
١٩	أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا	
٢٠	أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ	
٢١	أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ	

٢٢	أحب في الله وأبغض في الله ووال في الله
٢٣	أخبر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل أن نجد
٢٤	أخبروني بشجرة تشبه ، أو كالرجل المسلم لا يتحات ورفها
٢٥	أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : « خلق الله عز وجل التربة يوم السبت
٢٦	أخذ رسول الله ﷺ بيدي ، ذات يوم ، إلى منزله
٢٧	أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر
٢٨	أدخل الله عز وجل رجلا كان سهلا
٢٩	إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم
٣٠	إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته
٣١	إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه
٣٢	إذا أحب الله العبد نادى جبريل
٣٣	إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا
٣٤	إذا أراد أحدكم أن يضطجع على فراشه فليزرع داخله إزاره ، ثم لينفض بها فراشه
٣٥	إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا
٣٦	إذا استنفرتم فانفروا
٣٧	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء
٣٨	إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب
٣٩	إذا قبر الميت (أو قال أحدكم)
٤٠	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة
٤١	أذكركم الله في أهل بيتي
٤٢	أراد النبي ﷺ أن ينحى مخاط أسامة
٤٣	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا

٤٤	أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ
٤٥	أرسل أبي امرأة إلى عائشة يسألها: أي الصلاة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ أن يواظب عليها
٤٦	أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
٤٧	أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان
٤٨	أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ
٤٩	إزرة المؤمن إلى إنصاف ساقيه
٥٠	استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين
٥١	استأذن علي النبي ﷺ وهو في بيت فقال : ألع؟
٥٢	اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي
٥٣	اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَةَ رَسُولَ اللَّهِ لَيْلَةَ الْمُرْدَلَفَةِ
٥٤	اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِ أَحَدِهِمَا
٥٥	استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به
٥٦	اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصِّلَعِ أَعْلَاهُ
٥٧	أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْرٍ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمُرُهُ فِيهَا
٥٨	أصابني جهدٌ شديدٌ، فلقيت عمر بن الخطاب، فاستقرأته آية من كتاب الله
٥٩	أَصَبْتُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ
٦٠	أَصَبْتُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ
٦١	اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ
٦٢	أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ
٦٣	أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالسٌ فيهم
٦٤	أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ
٦٥	اقْرَأْ عَلَيَّ قَالَ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ

٦٦	اكفلوا من العمل ما تطيقون
٦٧	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً
٦٨	أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟
٦٩	إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قَالَ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قُرْبَى مُحَمَّدٍ ﷺ
٧٠	أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ
٧١	أَلَا أَنْبِئُكَ بِأَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
٧٢	أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا
٧٣	أَلَا أَنْشِدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى
٧٤	أَلَا تَسْمَعُونَ أَلَا تَسْمَعُونَ ! إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ
٧٥	الأنصار لا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مؤمن
٧٦	الإيمان بضع وسبعون شعبة
٧٧	البسوا من الثياب البياض
٧٨	الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا
٧٩	الْتَمِسُوهَا فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى
٨٠	الجفاء في النار
٨١	الحياء خير كله
٨٢	الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا
٨٣	الدعاء مخ العبادة
٨٤	الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ
٨٥	الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ
٨٦	الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه
٨٧	الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ

٨٨	السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ
٨٩	السَّلَامَ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ.
٩٠	السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ
٩١	السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ
٩٢	الشُّهَدَاءُ خَمْسَةُ الْمَطْعُونِ وَالْمَبْطُونِ وَالْغَرِيقِ
٩٣	الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثُ ، وَلَا يَجْهَلُ
٩٤	الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ
٩٥	اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي
٩٦	اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مِسْكِينًا وَأَمْنِي مِسْكِينًا
٩٧	أَلَمْ يَكُونُوا يَحْلُونَ لَكُمْ الْحَرَامَ فَتَحْلُونَهُ وَيَحْرُمُونَ الْحَلَالَ فَتَحْرُمُونَهُ
٩٨	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ
٩٩	المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا
١٠٠	المؤمن مرآة المؤمن
١٠١	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ
١٠٢	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٠٣	أليس (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة
١٠٤	أما الأركان فإني لم أرَ رسولَ الله يمسُّ إلا اليمانيين
١٠٥	أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله
١٠٦	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٠٧	أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه
١٠٨	أَنَّ أَبَا حُدَيْفَةَ بْنَ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَ تَبَنَّى سَالِمًا وَأَنَّكَحَهُ ابْنَتَهُ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الْوَلِيدِ
١٠٩	إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَى جُنَاحٍ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا

١١٠	أَنْ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ
١١١	أَنْ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ: حَزْنٌ. قَالَ: أَنْتَ سَهْلٌ
١١٢	إِنْ أَثْقَلَ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُتَأَفِّقِينَ
١١٣	إِنْ أَحَبَّ أَسْمَانُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ
١١٤	إِنْ أَحَبَّ الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
١١٥	إِنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١١٦	إِنْ أَحْبَبَكُمْ إِلَى أَحَاسِنِكُمْ أَخْلَاقًا
١١٧	أَنْ أَحَاهُ عُمَرُ انْطَلَقَ إِلَى سَعْدٍ ؓ فِي غَنَمٍ لَهُ خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ
١١٨	أَنْ أُحْتَنِي الْفُرَيْعَةَ بِنْتِ مَالِكٍ قَالَتْ خَرَجَ زَوْجِي فِي طَلَبِ أَعْلَاجٍ لَهُ
١١٩	إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ
١٢٠	أَنْ أَسْوَدَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً كَانَ يَقُمُ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ
١٢١	إِنْ آلَ أَبِي لَيْسُوا بِأَوْلِيَانِي
١٢٢	إِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ
١٢٣	أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
١٢٤	إِنْ الرَّجُلُ لِيَبْلُغَ بِحَسَنِ خَلْقِهِ
١٢٥	إِنَّ الرِّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ
١٢٦	إِنْ الْغَضَبُ جَهْرَةً تَوْقَدُ فِي قَلْبِ بَنِي آدَمَ
١٢٧	إِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ
١٢٨	إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ
١٢٩	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ
١٣٠	إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتْرَ
١٣١	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَانِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ

١٣٢	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ
١٣٣	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ
١٣٤	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ
١٣٥	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَحْمِيَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا
١٣٦	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُتَبَذِّلَ
١٣٧	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةَ
١٣٨	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةِ
١٣٩	إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تَضِيعُوهَا
١٤٠	إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ
١٤١	إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ
١٤٢	إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ قِيلَ وَقَالَ
١٤٣	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ
١٤٤	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَّامِنٍ
١٤٥	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَّامِنِ الصُّفُوفِ
١٤٦	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْغَطَّاسَ وَيَكْرَهُ التَّشَاؤُبَ
١٤٧	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُحْصُهُ ،
١٤٨	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ
١٤٩	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمَحَ الْبَيْعِ سَمَحَ الشِّرَاءِ
١٥٠	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ
١٥١	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
١٥٢	إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بَجَلَالِي
١٥٣	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

١٥٤	إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ
١٥٥	إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا
١٥٦	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ رَجُلٌ أَعْمَى
١٥٧	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ لَهَا غُلَامٌ تَجَارَّ قَالَ لَهَا مُرِّي عَبْدَكَ فَلْيَعْمَلْ
١٥٨	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيُخْتَمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
١٥٩	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ
١٦٠	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمُنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ
١٦١	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ
١٦٢	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ
١٦٣	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَى قُطَيْفَةٍ فَذَكِيَّةٌ، وَأُرْدَفَ أَسَامَةُ وَرَاءَهُ
١٦٤	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَافَ سَبْعًا ، وَطَافَ سَبْعًا
١٦٥	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ عِزُّو جُلَّ حَقِّ الْحَيَاءِ
١٦٦	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَقَدْ هَوَّازَنَ
١٦٧	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ مِنَ الْحَائِضِ شَيْئًا
١٦٨	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مِصْلَاهُ
١٦٩	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ
١٧٠	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الْعَرَّاجِينَ وَلَا يَزَالُ فِي يَدِهِ مِنْهَا
١٧١	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ
١٧٢	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْلُلُ لِحِيَّتَهُ
١٧٣	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ
١٧٤	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدِفْهِنَّ
١٧٥	أَنَّ النَّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوْعَظْهُنَّ

١٧٦	أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحُ مَنْهَا النَّاسَ الْيَوْمَ
١٧٧	أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
١٧٨	أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ لَمْ يُؤَاكِلُوها
١٧٩	أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْكِحْ أُخْتِي ابْنَةَ أَبِي سَفِيَانَ
١٨٠	إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ
١٨١	أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي
١٨٢	أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ
١٨٣	أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمُوَهَّبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا
١٨٤	إِنَّ أَنَسًا قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي
١٨٥	إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا،
١٨٦	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ
١٨٧	إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرَجُلًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا
١٨٨	إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
١٨٩	إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى
١٩٠	إِنَّ خَيْرَ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدَيَّ عَامِلٍ إِذَا نَصَحَ
١٩١	إِنَّ رَيْكُم تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيَّ كَرِيمٍ
١٩٢	أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ
١٩٣	أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ لَهْ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا
١٩٤	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟
١٩٥	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ
١٩٦	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّائِلِ
١٩٧	أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا

١٩٨	أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي
١٩٩	أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ
٢٠٠	أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا
٢٠١	أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلقَبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ
٢٠٢	أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَتُحِبُّهُ
٢٠٣	أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ تَصَدَّقَ بِأَرْضٍ عَظِيمَةٍ عَلَى أُمِّهِ
٢٠٤	أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا وَكَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ
٢٠٥	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً
٢٠٦	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَصَ فَقَالَ: «اقتُلوه»
٢٠٧	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ — أَوْ سَبِيٍّ — فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا
٢٠٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ
٢٠٩	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا
٢١٠	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ النَّاسَ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ
٢١١	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ فِيهَا قِلَادَةٌ مِنْ جَزَعٍ
٢١٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشٍ ذَاتِ السَّلَاسِلِ
٢١٣	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ
٢١٤	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا وَمَعَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
٢١٥	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ
٢١٦	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبُرَازِ بِلَا إِزَارٍ
٢١٧	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُومَةٍ
٢١٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَهُ وَأَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللَّهِ
٢١٩	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

٢٢٠	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا لِي بِهَذِهِ؟
٢٢١	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ الصَّيَامُ جَنَّةٌ
٢٢٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ أَحَبُّنِي وَمَسْكِينَا وَأَمْتِي مَسْكِينَا
٢٢٣	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ثَلَاثٌ أَحْلَفُ
٢٢٤	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ
٢٢٥	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
٢٢٦	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ قَدْ حَبَّبَ إِلَيْكَ الصَّلَاةَ
٢٢٧	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
٢٢٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ
٢٢٩	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ
٢٣٠	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
٢٣١	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ
٢٣٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَلِيَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ لِيَحْفَظُوا عَنْهُ
٢٣٣	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْدُلُ شَعْرَهُ
٢٣٤	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا فَسَأَلَهُ عَمْرُ
٢٣٥	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ
٢٣٦	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَلَى الْيَمَنِ
٢٣٧	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا
٢٣٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ ، وَالنَّاسُ كَنَفَيْهِ . فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسْلَكَ مَيِّتٍ
٢٣٩	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدِهِ
٢٤٠	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ بَيْنَ ضَنْجَنَانَ وَعُسْفَانَ
٢٤١	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ

٢٤٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمَنَى
٢٤٣	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى
٢٤٤	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبِرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
٢٤٥	أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُعَيْثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ
٢٤٦	أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي جَهِيمٍ يَسْأَلُهُ
٢٤٧	أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ بْنَ عَامِرٍ، أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٤٨	أَنَّ سَعْدًا قَالَ، وَتَحَجَّرَ كَلْمُهُ لِلْبُرْءِ
٢٤٩	أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وَجَّاهُ الْعُدُوَّ فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رَكْعَةً ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ
٢٥٠	أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ
٢٥١	إِنَّ فُتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَذَنُّ لِي بِالزَّيْنِ
٢٥٢	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ
٢٥٣	إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ
٢٥٤	أَنَّ قَرِيشًا أَهْمَتَهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ
٢٥٥	إِنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ
٢٥٦	إِنَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ
٢٥٧	إِنَّ كَانَتْ أَحَبُّ أَسْمَاءٍ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ لِأَبَوِ تَرَابٍ
٢٥٨	إِنَّ كُنْتُ لَأَسْأَلُ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَنِ الْآيَاتِ
٢٥٩	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا. مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا.
٢٦٠	إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً
٢٦١	إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ
٢٦٢	إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ
٢٦٣	إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ

٢٦٤	إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٦٥	إِنْ مِنَ الْغِيَرَةِ مَا يَحِبُّ اللَّهُ
٢٦٦	إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا
٢٦٧	إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ
٢٦٨	إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَتَّبِعِي لِلضَّيْفِ
٢٦٩	أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ كَلَمْنَهَا أَنْ تُكَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ
٢٧٠	أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حَزِينِينَ
٢٧١	أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: {فِيهِ رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: يَا مَعْشَرَ
٢٧٢	إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ
٢٧٣	إِنْ يَسِيرَ الرِّبَاءُ شَرْكَ
٢٧٤	أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ
٢٧٥	أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ
٢٧٦	أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ
٢٧٧	أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ
٢٧٨	أَنْتَهَيْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ
٢٧٩	انطلقت بعبد الله بن طلحة إلى رسول الله ﷺ حين ولد
٢٨٠	اِطْلُقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ،
٢٨١	إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
٢٨٢	إِنَّكَ لَا تَمُوتُ حَتَّى تَوْمَرَ فَإِذَا أَمَرْتَ خَضِبْتَ هَذِهِ
٢٨٣	أَنْكَحْتَ عَائِشَةَ ذَاتَ قُرَابَةٍ لَهَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
٢٨٤	إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِجَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ
٢٨٥	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

٢٨٦	إنما حبيب إلي من الدنيا ثلاث : الطيب ، والنساء
٢٨٧	إنما ذلك عرق وليس بالحبيضة
٢٨٨	أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد أنكرتُ بصري وأنا أصلي لقومي
٢٨٩	أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاء رجل من الأنصار
٢٩٠	أنه بينما هو مع عبد الله بن عمر إذ دخل الحجاج بن أيمن
٢٩١	أنه خرج يوماً إلى مسجد رسول الله ﷺ
٢٩٢	أنه دخل على حفصة
٢٩٣	أنه ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء ، فقال رسول الله ﷺ كان يوماً يصومه أهل الجاهلية
٢٩٤	أنه سأل رسول الله ﷺ عما يوجب الغسل
٢٩٥	أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه
٢٩٦	أنه سمع رسول الله ﷺ نهى النساء
٢٩٧	إنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره
٢٩٨	إنه سمع رسول الله ﷺ يقول شر الناس ذو الوجهين
٢٩٩	إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء
٣٠٠	أنه قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر « لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً
٣٠١	أنه قال لأبيه أيا أبة إني أسمعك تدعو كل غداة، اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت ثلاثاً
٣٠٢	أنه قال يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر
٣٠٣	أنه قال يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل بحبه الناس عليه؟
٣٠٤	أنه قال يا رسول الله إنك تبعنا فنزل بقوم
٣٠٥	أنه قال يا رسول الله من أحب الناس إليك
٣٠٦	أنه كان إذا أتاه السائل ، أو صاحب الحاجة
٣٠٧	أنه كان إذا قام للصلاة

٣٠٨	أَلَهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا
٣٠٩	أَنَّهُ كَانَ يَحِبُّ إِذَا اسْتَطَاعَ، أَن يَصْلِيَ الظَّهْرَ بِمَيِّ مِنْ يَوْمِ التَّوْبَةِ
٣١٠	أَنَّهُ لَقِيَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَسَأَلَهُ عَنِ الْوَتْرِ
٣١١	أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامُ الْفَتْحِ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ.
٣١٢	أَنَّهُ يَخْلُلُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ فِي الْوُضُوءِ
٣١٣	إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْغُلَامُ الْأَيْفَعُ الَّذِي مَا أَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَ
٣١٤	أَنَّهَا اسْتَحْيَصَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٣١٥	أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ
٣١٦	أَنَّمَا جَعَلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَرْدَةَ سُودَاءٍ مِنْ صُوفٍ
٣١٧	إِنَّهَا حَبَّةُ أَبِيكَ
٣١٨	أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ
٣١٩	أَنَّمَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) هُوَ
٣٢٠	إِنِّي أَشَدُّ ضَفَرِ رَأْسِي أَفَأَنْقِضَهُ لَغَسَلِ الْجَنَابَةِ
٣٢١	إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَنَأْبَى عَلَيَّ
٣٢٢	إِنِّي لِبِلَادِنَا إِذْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتٌ وَأَلْوِيَّةٌ فَقُلْتُ مَا هَذَا
٣٢٣	إِنِّي لَسْتُ أَحْرَمَ حَالًا وَلَا أَحِلَّ حَرَامًا
٣٢٤	إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٣٢٥	إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ
٣٢٦	اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ
٣٢٧	أَهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ أَقْطَ وَشِمْنَ وَأَضْبَ
٣٢٨	أَهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً سُنْدُسٍ
٣٢٩	أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ

٣٣٠	أَوَّلُ مَا بُدِيََ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ
٣٣١	أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا
٣٣٢	أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا
٣٣٣	أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
٣٣٤	إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النَّسَاءِ
٣٣٥	إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النَّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
٣٣٦	آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ
٣٣٧	أَحَبُّ أَحَدِكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامِ سَمَانَ
٣٣٨	أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ
٣٣٩	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ
٣٤٠	بَالَ جَرِيرٌ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ
٣٤١	بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
٣٤٢	بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
٣٤٣	بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعَثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ
٣٤٤	بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذَهَبِيَّةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ
٣٤٥	بَعَثَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَإِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهُمَا مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحِبُّ أَنْ يَصُومَ مِنَ الْأَيَّامِ ؟
٣٤٦	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثًا قَبْلَ السَّاحِلِ
٣٤٧	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا إِلَى بَنِي الْعَنْبَرِ فَأَخَذُوهُمْ بِرُكْبَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الطَّائِفِ
٣٤٨	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِيَالًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ
٣٤٩	بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَةٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
٣٥٠	بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا فَمَرَزْتُ بِرَجُلٍ
٣٥١	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

٣٥٢	بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي
٣٥٣	بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَتَزَلَّ بِرَأْسِهِ
٣٥٤	بَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاعِدَ مَعَ أَصْحَابِهِ
٣٥٥	بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي سَوِي شَيْءٌ
٣٥٦	بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا قُرَشِي
٣٥٧	بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ إِذْ نَزَلْنَا مَنْزِلًا
٣٥٨	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ
٣٥٩	بَيْنَمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ
٣٦٠	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ شَارَةٌ حَسَنَةٌ
٣٦١	تَبَارَكَ الَّذِي وَسَّعَ سَمْعَهُ كُلَّ شَيْءٍ
٣٦٢	تَذَاكُرْنَا أَيْكُم يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَسْأَلُهُ أَيُّ الْأَعْمَالِ
٣٦٣	تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَتَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ
٣٦٤	تَسَابَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا
٣٦٥	تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ
٣٦٦	تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَاتًا
٣٦٧	تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ
٣٦٨	تُصْبِحُ الشَّمْسُ صُبْحًا تَلِكِ اللَّيْلَةِ مِثْلَ الطُّسْتِ
٣٦٩	تَطْلُعُ الشَّمْسُ لَا شُعَاعَ لَهَا كَأَنَّمَا طُسْتُ
٣٧٠	تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ
٣٧١	تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيَارِ وَالْدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْحَمِيصَةِ
٣٧٢	تَعَلَّقْتُ بِقَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَنِي سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ
٣٧٣	تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السَّوَاءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ

٣٧٤	تقتل عمار الفئة الباغية
٣٧٥	تكلم أربعة صغار
٣٧٦	تماري رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى
٣٧٧	تهادوا تحابوا
٣٧٨	توفيت إحدى بنات النبي ﷺ فأتانا النبي ﷺ فقال: اغسلنها بالسدر
٣٧٩	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
٣٨٠	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
٣٨١	ثلاثة يحبهم الله عز وجل رجل أتى قومًا فسألهم بالله
٣٨٢	ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل
٣٨٣	ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال « إن الله كتب الإحسان على كل شيء
٣٨٤	جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال السلام عليكم
٣٨٥	جاء النبي إلى سعد فقال: السلام عليكم، فرد سعد وخافت
٣٨٦	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للدكر
٣٨٧	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه — يعرض بالشيء
٣٨٨	جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال اذهب فاصبر
٣٨٩	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس
٣٩٠	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله من أحق بحسن صحابي
٣٩١	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟
٣٩٢	جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ فسألوه
٣٩٣	جاءت امرأة رفاعة القرطي النبي ﷺ فقالت
٣٩٤	جاءت هند بنت عتبة فقالت يا رسول الله
٣٩٥	جاءني بريرة فقالت كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام وقية

٣٩٦	جاءني عمي عامر فقال: أعطني سلاحك
٣٩٧	جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد
٣٩٨	جلس إلي شيخ من بني قميم في مسجد البصرة
٣٩٩	جلس إلينا شيخ في مكان أبيوب فسمع القوم يتحدثون فقال: حدثني مولاي عن رسول الله ﷺ فقلت ما اسمه؟ قال قرّة بن دعموص النميري .
٤٠٠	جلس عمر رضي الله عنه مجلساً كان رسول الله ﷺ يجلسه تمر عليه الجنائز ، قال : فمرؤوا بجنازة فأتوا خيراً فقال : وجبت
٤٠١	جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ
٤٠٢	جلستُ إلى مَلَاٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فجاءَ رجلٌ خَشِنَ الشَّعْرُ والثَّيَابُ والهِئَةُ، حتى قامَ عليهم فسَلَّمَ ثمَّ قال: بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُخْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
٤٠٣	حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي
٤٠٤	حبذا المتخللون ، قيل: وما المتخللون ؟
٤٠٥	حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
٤٠٦	حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَتَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ
٤٠٧	حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت
٤٠٨	حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله
٤٠٩	حدثني سلمان حديثه
٤١٠	حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا
٤١١	حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ
٤١٢	حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ
٤١٣	حَضَرْنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - فَبَكَى طَوِيلًا
٤١٤	حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ
٤١٥	حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ
٤١٦	حققت محبتي للمتحابين فيّ، وحققت محبتي للمتزاورين فيّ

٤١٧	حققت محبتي للمتحابين فيّ، وحققت محبتي للمتزاوئين فيّ، وحققت محبتي للمتبادلين فيّ
٤١٨	خُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ
٤١٩	خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ
٤٢٠	خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرِغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ
٤٢١	خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ
٤٢٢	خَرَجَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي جَبَلٍ
٤٢٣	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ
٤٢٤	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا
٤٢٥	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَحْنُ فِي الصُّفَّةِ. فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ
٤٢٦	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
٤٢٧	خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
٤٢٨	خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ
٤٢٩	خرجت أنا وابني نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار
٤٣٠	خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لَا يَكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِمُهُ حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنِقَاعَ
٤٣١	خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلبنا وفقهنا
٤٣٢	خرجنا مع رسول الله ﷺ مُوَافِينَ لَهْلَالِ ذِي الْحِجَّةِ
٤٣٣	خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ
٥ ٤٣٤	خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ خَيْرَ عَبْدٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ
٤٣٥	خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحَجُّوا
٤٣٦	خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
٤٣٧	خِيَارَ أُنْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ

٤٣٨	خير الحيل الأدهم الأقرح الأرثم
٤٣٩	خير الدعاء دعاء يوم عرفة
٤٤٠	خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا
٤٤١	خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ
٤٤٢	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي
٤٤٣	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ
٤٤٤	دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ
٤٤٥	دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٤٤٦	دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فَقَالَ لِي : يَا حُمَيْرَاءُ أَتَحِبُّونَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ
٤٤٧	دخل على حفصة فقال: يا بُنَيَّةُ، لا يُغْرَنكِ هذه
٤٤٨	دخل علي رسول الله يوماً فقال: «هل عندكم شيء؟»
٤٤٩	دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَنَا تَحْتَهُ قُطِيفَةً لَنَا
٤٥٠	دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ
٤٥١	دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ فَقَالَ لَهُ أَبِي
٤٥٢	دخلت على ابن دارة مولى عثمان قال : فسمعني أمضض
٤٥٣	دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ
٤٥٤	دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: لَا يُحِبُّ عَلِيًّا مُنَافِقٌ
٤٥٥	دخلت على جابر بن عبد الله وهو يصلي في ثوبٍ ملتحفاً به
٤٥٦	دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ
٤٥٧	دخلت مسجد الجامع فإذا عمرو بن وهب الثقفي
٤٥٨	دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ وَإِنَّ فِي أُذُنِي يَوْمَئِذٍ لِقُرْطَيْنِ
٤٥٩	دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي في مرضه نعوذه، فقال له

٤٦٠	دعاني رسول الله ﷺ بماء
٤٦١	دعاني رسول الله ﷺ فقال إن فيك من عيسى مثلاً
٤٦٢	دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ
٤٦٣	دم عفراء أحب إلي من دم سوداوين
٤٦٤	ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا
٤٦٥	ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ لِأَقْوَمَنِ اللَّيْلِ وَلَأَصْوَمَنِ النَّهَارِ مَا عِشْتُ.
٤٦٦	رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ التُّبُوءِ
٤٦٧	رآني رسول الله ﷺ وعلي أطمار فقال هل لك مال؟
٤٦٨	رآه رسول الله ﷺ في سوق المدينة وهو يبيع متاعه
٤٦٩	رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مُقْبِلِينَ
٤٧٠	رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَّازِ بِلَا إِزَارٍ فَصَعِدَ الْمَنِيرَ
٤٧١	رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين
٤٧٢	رأيت أبا أيوب، فترع خفيه، فنظروا إليه
٤٧٣	رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ بِأَبِي شَبِيهَ النَّبِيِّ
٤٧٤	رأيت ابن عمر يصفر لحيته بالخلوق
٤٧٥	رأيت النبي ﷺ أخذ بحجرة سفيان بن أبي سهل وهو يقول
٤٧٦	رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنَ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ.
٤٧٧	رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَانِمٌ
٤٧٨	رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟
٤٧٩	رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ
٤٨٠	رحم الله عبداً سمحاً إذا باع
٤٨١	سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ؟

٤٨٢	سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْعُقُوقَ
٤٨٣	سافرت معه في بعض أسفاره فلما أقبلنا
٤٨٤	سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج
٤٨٥	سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ الطَّيِّبِ عِنْدَ الْإِحْرَامِ فَقَالَ:
٤٨٦	سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الدَّنْبِ أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ
٤٨٧	سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ
٤٨٨	سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْعَصِيَّةُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ
٤٨٩	سألت أنساً رضي الله عنه عن صيام النبي ﷺ فقال: ما كنت أحب
٤٩٠	سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا أَفْضَلُ؟ الصَّلَاةُ فِي بَيْتِي أَوْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟
٤٩١	سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكَلَالَةِ فَقَالَ تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ
٤٩٢	سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أَمِنَ الْعَصِيَّةُ
٤٩٣	سألت زيد بن أرقم فقلت له: إن ختنا لي حدثني عنك بحديث
٤٩٤	سألت عائشة رضي الله عنها أيُّ العمل كان أحبَّ إلى النبي ﷺ
٤٩٥	سَأَلْنَا عَلِيًّا عَنْ تَطَوُّعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ
٤٩٦	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ
٤٩٧	سَدَّدُوا وَقَارِبُوا
٤٩٨	سِرْتُ أَوْ قَالَ أَخْبَرَنِي مَنْ سَارَ مَعَ مُصَدِّقِ النَّبِيِّ ﷺ
٤٩٩	سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِي بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ
٥٠٠	سَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ
٥٠١	سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا
٥٠٢	سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نُعْمٍ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَسَأَلَهُ عَنِ الْمُحْرِمِ قَالَ شَعْبَةُ أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبَابَ
٥٠٣	سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُولُ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ

٥٠٤	سمعتُ النبي ﷺ يقول إن كان في شيء من أدويتكم
٥٠٥	سمعتُ النبي ﷺ يقول من صام يوما في سبيل الله
٥٠٦	سمعت حجاج بن الشاعر يسأل أبي فقال أيما أحب إليك عمرو الناقد أو المعيطي ؟
٥٠٧	سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول
٥٠٨	سمعت رسول الله ﷺ يخاطب في حجة الوداع
٥٠٩	سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ
٥١٠	سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ
٥١١	سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَرِصَتْ ثَمَلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
٥١٢	سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ
٥١٣	سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يخاطب يقول
٥١٤	سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
٥١٥	سمعتُ كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك «قال كعب لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك
٥١٦	شهدتُ العيدَ معَ عمرَ بنِ الخطابِ، فجاءَ فصلى، ثم انصرفَ، فخطبَ الناسَ، فقالَ: إِنَّ هَذَيْنِ يَوْمَانِ
٥١٧	شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام ، فما أحب أن لي حُمُر النعم
٥١٨	شهدتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ
٥١٩	شهدتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأَتَيْ بِالْوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكَعَتَيْنِ
٥٢٠	شهدتُ معَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ العيدَ
٥٢١	شهدت معاوية يسأل زيد بن أرقم
٥٢٢	صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً
٥٢٣	صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ
٥٢٤	صلاة في مسجد فباء كعمره
٥٢٥	صلى بنا النبي ﷺ العصرَ فأسرعَ

٥٢٦	صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الصُّبْحَ فقال أشاهد فلان
٥٢٧	صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة المغرب
٥٢٨	صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة المغرب ثم لم يخرج حتى ذهب شطر الليل
٥٢٩	صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت الحمد لله
٥٣٠	صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته
٥٣١	ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين
٥٣٢	ضحى عنه بكبشين واحد عن النبي ﷺ والآخر عنه فقيل له
٥٣٣	طابت رسول الله ﷺ لحرمه حين أحرم
٥٣٤	عائق النبي ﷺ الحسن
٥٣٥	عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد
٥٣٦	عشر من الفطرة الشارب وإغفاء اللحية
٥٣٧	عظم الجزاء مع عظم البلاء
٥٣٨	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي
٥٣٩	عن عبيد الله بن كعب وكان من أغلم الأنصار
٥٤٠	عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس
٥٤١	عينان لا تمسهما النار
٥٤٢	غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل مَلَكٌ بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها
٥٤٣	غزوت مع النبي ﷺ فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قاتل
٥٤٤	غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك
٥٤٥	غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلونا قتالاً شديداً. فلما صليت الظهر
٥٤٦	فاتقوا الله في النساء فإنكم
٥٤٧	فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

٥٤٨	فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً
٥٤٩	فَفَطَنْتُ بِهِمْ عَائِشَةَ فَسَبَّتَهُمْ
٥٥٠	فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.
٥٥١	فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تُضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ
٥٥٢	فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ)
٥٥٣	فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ)
٥٥٤	فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ)
٥٥٥	قَالَ أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى
٥٥٦	قَالَ أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْخُمْلَانَ لَهُمْ
٥٥٧	قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ
٥٥٨	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا
٥٥٩	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ مَا تَعْبُدُنِي بِهِ عَبْدِي إِلَيَّ
٥٦٠	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي
٥٦١	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ
٥٦٢	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَا أَطْيَبُكَ مِنْ بَلَدٍ
٥٦٣	قَالَ عَلِيٌّ فِي الرَّحْبَةِ: أَنَشِدْ بِاللَّهِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ يَقُولُ: «اللَّهُ وَلِيٌّ، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
٥٦٤	قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ
٥٦٥	قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ
٥٦٦	قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ
٥٦٧	قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ
٥٦٨	قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ
٥٦٩	قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَلَّمَنَّ وَاللَّهِ لَمَّا أَخَذْنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا

٥٧٠	قال لي رسول الله يا علي، أحب لك ما أحب لنفسي
٥٧١	قال وكان لي جار من الأنصار
٥٧٢	قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات
٥٧٣	قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة
٥٧٤	قد مسح رسول الله ﷺ على الخفين
٥٧٥	قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء
٥٧٦	قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي
٥٧٧	قلت لابن عباس حدثني عن الركوب بين الصفا والمروة
٥٧٨	قلت لعدي بن حاتم حديث بلغني عنك أحب أن أسمعك منك الله ﷻ
٥٧٩	قلت لعطاء أي حين أحب إليك أن أصلي العشاء
٥٨٠	قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا
٥٨١	قيل لرسول الله ﷺ أي الأديان أحب إلى الله
٥٨٢	قيل يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة
٥٨٣	قيل يا رسول الله من أكرم الناس
٥٨٤	كان أبو هريرة يصلي بالمدينة نحواً من صلاة قيس بن أبي حازم، فقلت له: يا أبا هريرة هكذا كان رسول الله ﷺ يصلي؟
٥٨٥	كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير
٥٨٦	كان بيني وبين عمار كلام، فأغلظت له في القول
٥٨٧	كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة
٥٨٨	كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه
٥٨٩	كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر
٥٩٠	كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ في خير
٥٩١	كان علي رضي الله عنه قدم من اليمن بهدي لرسول الله ﷺ

٥٩٢	كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟
٥٩٣	كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ اللَّهُ
٥٩٤	كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَارٌ فَارِسِيٌّ طَيِّبُ الْمَرْقَةِ
٥٩٥	كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ رَجُلٍ فِي النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
٥٩٦	كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ رَجُلٍ فِي النَّاسِ إِلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا تَنَبَأَ
٥٩٧	كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ
٥٩٨	كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ
٥٩٩	كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ حَبْنَا اللَّحْمَ
٦٠٠	كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْيَهُودَ سَمَوْهُ وَأَبَا بَكْرَ
٦٠١	كَانُوا يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ
٦٠٢	كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ
٦٠٣	كُلُّ أَمْتِي مَعَايَ إِلَّا الْجَاهِرِينَ
٦٠٤	كُلُّ غُلَامٍ مَرْتَمَنٌ بِعَقِيقَتِهِ
٦٠٥	كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ
٦٠٦	كَلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ
٦٠٧	كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ الرَّجُلُ مِنَّا فِي صَلَاتِهِ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ
٦٠٨	كُنَّا بِالْأَهْوَاِ نُقَاتِلُ الْحُرُورِيَّةَ فَبِينَا أَنَا عَلَى جُرْفٍ مُهِرٍ
٦٠٩	كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا
٦١٠	كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ
٦١١	كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
٦١٢	كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ
٦١٣	كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرْفًا

٦١٤	كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَاتَّاهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ جُبَّةٌ.
٦١٥	كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء
٦١٦	كنا نقول في زمن النبي ﷺ رسول الله خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر
٦١٧	كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَدْخَلَ الْبَيْتَ فَأُصَلِّيَ فِيهِ
٦١٨	كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ.
٦١٩	كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال: اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
٦٢٠	كنت أنا وقتهم وعبيد الله نلعب فجاء النبي فقال: احمل هذا
٦٢١	كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ
٦٢٢	كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَأَبَتْ طَلَاقِي
٦٢٣	كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيكُمْ
٦٢٤	كنت في بعث مرة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب فأنتبي بميمونة»
٦٢٥	كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ
٦٢٦	كنت مع ابن عمر بعرفات، فلما كان حين راح رُحْتُ معه
٦٢٧	كنت مع النبي ﷺ فلما أبصر — يعني أحداً — قال: ما أحب أنه يُحوَّلَ لي ذهباً يَمَكْتُ
٦٢٨	كنت مع النبي ﷺ في مسير له، فأراد أن يقضي حاجة، فأمر وديتين
٦٢٩	كنت مع عقبة بن عامر الجهني وكان رجلاً يحب الرمي، إذا خرج خرج بي معه
٦٣٠	كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم
٦٣١	كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَنْزِلٍ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ
٦٣٢	لَنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ
٦٣٣	لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل
٦٣٤	لا أحد أغبر من الله ولذلك حرم الفواحش
٦٣٥	لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا

٦٣٦	لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا
٦٣٧	لا تردوا الطبيب
٦٣٨	لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحَدَ ذَهَبًا
٦٣٩	لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم
٦٤٠	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا
٦٤١	لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه
٦٤٢	لَا تَنْقَطِعُ الْمِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ
٦٤٣	لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى
٦٤٤	لا صلاة لمن لا وضوء له
٦٤٥	لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ
٦٤٦	لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ
٦٤٧	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ
٦٤٨	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ
٦٤٩	لَا يُلَغِّنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا
٦٥٠	لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ
٦٥١	لَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَيَهَا
٦٥٢	لا يخلون رجلا بامرأة إلا كانا لثما الشيطان
٦٥٣	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ
٦٥٤	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ
٦٥٥	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ
٦٥٦	لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة
٦٥٧	لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ

٦٥٨	لأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّأْيَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ
٦٥٩	لَأَنْ أَحْلِفَ تَسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُتِلَ قَتْلًا
٦٦٠	لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة
٦٦١	لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ
٦٦٢	لأن يمتلىء جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً
٦٦٣	لست من دد
٦٦٤	لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ
٦٦٥	لقد أمر النبي ﷺ بالعناقة في كسوف الشمس
٦٦٦	لَقَدْ أُثْرِلْتُ عَلَى آيَةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا
٦٦٧	لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم
٦٦٨	لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق
٦٦٩	لَقَدْ شَغُلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ فَمَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ
٦٧٠	لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتَمَرُّضْنِي حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ
٦٧١	لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ بِالْمَعْرُوفِ
٦٧٢	لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً
٦٧٣	لله تسعة وتسعون اسماً. مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ
٦٧٤	لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين
٦٧٥	لم يصب الإسلام حلفاً إلا زاده
٦٧٦	لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله، قال: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ
٦٧٧	لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من
٦٧٨	لما اشتعل الوجع ، قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً
٦٧٩	لَمَّا اقْتَسَحَتْ خَبِيرٌ سَأَلَتْ يَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

٦٨٠	لَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا
٦٨١	لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش
٦٨٢	لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ
٦٨٣	لما رجعت إلى النبي قال لي كلمة ما أحب
٦٨٤	لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ
٦٨٥	لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
٦٨٦	لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ
٦٨٧	لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ
٦٨٨	لما كان يوم أحد انكفأ المشركون قال رسول : استعدوا حتى آتني
٦٨٩	لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِىَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ
٦٩٠	لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت : إن عمك الشيخ الضال قد مات
٦٩١	لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟
٦٩٢	لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوْكَلُونَ عَلَى اللَّهِ
٦٩٣	لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ، أَوْ كُرَاعٍ لَأَجِيتُ
٦٩٤	لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح
٦٩٥	لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت
٦٩٦	لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ
٦٩٧	لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، أَوْ عَلَى النَّاسِ
٦٩٨	لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ
٦٩٩	ليس الشديد بالصرعة
٧٠٠	لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغِنَى
٧٠١	لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا

٧٠٢	لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَفْرَتَيْنِ
٧٠٣	ليس منا من تشبه بغيرنا
٧٠٤	ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم
٧٠٥	ما أحبُّ أن أصبحُ مُحْرِمًا أَنْصَحُ طِيبًا
٧٠٦	ما أحب أن الدنيا وما فيها بهذه الآية { يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
٧٠٧	ما أهدى يدخل الجنة، يُحبُّ أن يرجع إلى الدنيا
٧٠٨	ما أسفل من الكعابين من الإزار ففي النار
٧٠٩	مَا أَظُنُّ رَجُلًا يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ
٧١٠	ما أكل أحد منكم طعاماً أحب إلى الله عز وجل من عمل يديه
٧١١	ما ألفاهُ السحرُ عندي إلا نائماً
٧١٢	ما تعدون الرقوب فيكم
٧١٣	ما جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كتبتها رجل
٧١٤	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه
٧١٥	مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
٧١٦	مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَسَاحِيهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ
٧١٧	ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحة الضحى
٧١٨	مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ
٧١٩	مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ
٧٢٠	ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله
٧٢١	ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يُسأل العافية
٧٢٢	ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة
٧٢٣	ما عمل آدمي من عمل يوم التَّحَرُّ أَحَبُّ إلى الله من إهراق الدَّمِ

٧٢٤	مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ
٧٢٥	مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا
٧٢٦	مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ
٧٢٧	مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا
٧٢٨	مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْدُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ
٧٢٩	مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ
٧٣٠	مَا مِنْ جُرْعَةٍ يَتَجَرَّعُهَا الْعَبْدُ خَيْرَ لَهُ وَأَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةٍ غِظَ فِي اللَّهِ
٧٣١	مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِيَدِهِ رَايَتَانِ
٧٣٢	مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ
٧٣٣	مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَتَوَفَّى لهما ثَلَاثَةٌ
٧٣٤	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ
٧٣٥	مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا
٧٣٦	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَلْ بِهِ قَرِينَهُ
٧٣٧	مَا تَقَصَّصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ
٧٣٨	مَاتَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدَانِ فِي الْإِسْلَامِ
٧٣٩	مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ
٧٤٠	مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ
٧٤١	مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ، أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا
٧٤٢	مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى بَطْنِهِ
٧٤٣	مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ رَجُلٌ ابْنِي لِأُحِبَّهُ فِي اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ
٧٤٤	مُرَّ بِجَنَازَةٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٧٤٥	مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ

٧٤٦	مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا
٧٤٧	مكثت سنة أريد أن أ سأل عمر بن الخطاب عن آية
٧٤٨	مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي
٧٤٩	من أحب الكلام إلى الله عز وجل
٧٥٠	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ
٧٥١	من أحب أن يطوق حبيب طوقاً من نار فليطوقه طوقاً من ذهب
٧٥٢	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ
٧٥٣	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا
٧٥٤	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ
٧٥٥	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
٧٥٦	من أحب دنياه أضر بآخرته
٧٥٧	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٧٥٨	مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ،
٧٥٩	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ
٧٦٠	مَنْ أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ لَهُ حُمُولَةٌ يَأْوِي إِلَى شَبَعٍ
٧٦١	مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
٧٦٢	مَنْ أَطْلَعَ فِي بَيْتٍ قَوْمٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ
٧٦٣	مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصْوٍ مِنْهُ عَصَوًا
٧٦٤	مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ
٧٦٥	مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ
٧٦٦	من توضأ فمضمض واستنشق
٧٦٧	من ثابر على اثنتي عشرة ركعة بنى الله عز وجل له بيتا في الجنة

٧٦٨	مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
٧٦٩	مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ
٧٧٠	مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا
٧٧١	مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ
٧٧٢	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ
٧٧٣	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ
٧٧٤	مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ
٧٧٥	مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيَعُدْ. فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ:
٧٧٦	مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ
٧٧٧	مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ
٧٧٨	مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
٧٧٩	مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ، عَنِ النَّارِ
٧٨٠	مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ
٧٨١	مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ
٧٨٢	مَنْ غُرِضَ عَلَيْهِ طَيْبٌ فَلَا يَرُدُّهُ فَإِنَّهُ طَيْبُ الرِّيحِ
٧٨٣	مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ
٧٨٤	مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
٧٨٥	من قال رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً
٧٨٦	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً
٧٨٧	من لا يرحم لا يرحم
٧٨٨	من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه
٧٨٩	من نام عن الوتر أو نسيه فليصله إذا أصبح أو ذكر

٧٩٠	نَادَى رَجُلٌ رَجُلًا بِالْبَيْعِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ
٧٩١	نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه
٧٩٢	نَزَلَتْ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فَصَمْنِي وَإِيَّاهُ الْمَجْلِسُ
٧٩٣	نزلت هذه الآية في أهل قباء " فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين "
٧٩٤	نزلت هذه الآية في رَهْط من أصحاب النبي ﷺ ، قالوا: نقطع مذاكيرنا
٧٩٥	نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي ﷺ سودة
٧٩٦	نظر النبي ﷺ إلى رجل يُقاتل المشركين - وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم
٧٩٧	نِعْمَ الْعِدْلَانِ وَنِعْمَ الْعِلَاوَةُ
٧٩٨	نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ
٧٩٩	هل أنتم تاركو لي صاحبي
٨٠٠	هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا
٨٠١	وأتى على قبر يعذب صاحبه، فقال: إنه يعذب في غير كبير، فأمر بجريدة
٨٠٢	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّي
٨٠٣	والذي ذهب به ما تركهما حتى لقي الله
٨٠٤	وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ
٨٠٥	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ
٨٠٦	والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم الله ولقرايتي
٨٠٧	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطَبٍ يُحْتَطَبُ
٨٠٨	وَالسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ
٨٠٩	وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ ، وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ
٨١٠	والمتشيع بمالم يعط كلابس ثوب زور
٨١١	وَأَنْ مِنَ الْخِيَلَاءِ مَا يَبْغِضُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَحِبُّ اللَّهُ

٨١٢	وأنا كنت أرى الرؤيا تفرضي
٨١٣	وُضِعَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالْقَبْرِ
٨١٤	وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ قِصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ
٨١٥	وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً
٨١٦	وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَجِيدُ الْكَرِيمُ وَالْوُدُودُ الْحَبِيبُ
٨١٧	وَقَدْ جَاءَتْ إِحْدَى زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْدِيلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ
٨١٨	وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَافًا
٨١٩	وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مِثْلَ الزَّعْفَرَانِ وَلَا الْوَرَسِ
٨٢٠	وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ
٨٢١	وَلَأَنْ أَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ
٨٢٢	وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامًا فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ
٨٢٣	وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاتَقْنَا
٨٢٤	وَلَكِنْ الْغِنَى غَنَى النَّفْسِ
٨٢٥	وَلَوْ أَنَّ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٍ
٨٢٦	وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ
٨٢٧	وَمَنْ يَجْتَرِئْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَسَامَةُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ
٨٢٨	وَوَعَدْتُ فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلْنِي إِلَى بَيْتِ أَبِي
٨٢٩	يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي
٨٣٠	يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلَّمُوا
٨٣١	يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتَرُوا
٨٣٢	يَا بَنِيهَ حَفْظِي عَلَيْكَ الشَّأْنَ
٨٣٣	يَا رَسُولَ اللَّهِ { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ } ، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ

٨٣٤	يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ
٨٣٥	يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً
٨٣٦	يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا
٨٣٧	يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ
٨٣٨	يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة ؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها
٨٣٩	يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ
٨٤٠	يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك
٨٤١	يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَالَ مَكُنْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ
٨٤٢	يخرجون على خير فرقة
٨٤٣	يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْجَالِسَ الَّذِي تُبَاهِي بِهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
٨٤٤	يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا
٨٤٥	يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يَقْصَ عَلَيْنَا
٨٤٦	يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة"، فسألوا عنها نبي الله، فأنزل الله في ذلك القرآن
٨٤٧	يسروا ولا تعسروا
٨٤٨	يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ
٨٤٩	يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ



ثانيا : فهرس الآثار

م	أطراف الحديث	الصفحة
١	أَبْغَضْتُ عَلِيًّا بَعْضًا لَمْ أَبْغِضْهُ أَحَدًا قَطُّ. قَالَ: وَأَحْبَبْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ أَحِبَّهُ إِلَّا	
٢	أتني أروى بنت أويس في نفر من قريش	
٣	أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانَ لَهُمْ	
٤	أتيت صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه، فقال لي: ما جاء بك	
٥	أتينا أبا هريرة نسلم عليه قال: قلنا حدثنا فقال: «صحب رسول الله ﷺ ثلاث سنين	
٦	اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأُهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجْمِعُونَ	
٧	احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس	
٨	أَخْبَرَنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَا أَبَا الْمُنْدِرِ	
٩	آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ	
١٠	إذا توضأت فخلل الأصابع	
١١	إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَأْخِزْ مِنْ السَّمَاءِ	
١٢	أرهبوا القلة	
١٣	اصنعوا كل شيء إلا النكاح	
١٤	أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين	
١٥	اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغْلُوا، ولا تَغْدُرُوا، ولا تُمَثِّلُوا	
١٦	أقبلت من مسجد بني عمرو بن عوف بقباء على بغلة لي	
١٧	أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتَكَلِّمُهُ فَقَالَ أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ	
١٨	الإسلام غلانية، والإيمان في القلب	
١٩	أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُخْرِجَ فِي الْعِيدَيْنِ الْعَوَاتِقَ	
٢٠	إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا ؟ قالوا يوم الاثنين	
٢١	إن أبا دجاجة يوم أحد أعلم بعصاة	

٢٢	أن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات
٢٣	إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى
٢٤	إن الذين تذكرون من جلال الله وتسبيحه وتحميده
٢٥	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيُعْدِلُ
٢٦	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَافِلِ
٢٧	إِنَّ أَوَّلَ قَسَامَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
٢٨	أَنَّ تَلِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْتَكَ
٢٩	إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطْعَامٍ
٣٠	أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَقَالَ
٣١	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ
٣٢	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ
٣٣	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ
٣٤	أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ : إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي
٣٥	أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لِلرُّكُنِ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا
٣٦	أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمًا فَوَجَدَ مَعَاذَ بْنِ جَبَلٍ
٣٧	أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ
٣٨	أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالُوا : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ : كَيْفَ تَرَى
٣٩	إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ
٤٠	أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى حِصْنٍ - أَوْ : مَدِينَةٍ - فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
٤١	أَنَّهُ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ ، فَأَكْبَ عَلَيْهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ
٤٢	أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ عَلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَقِيفَةِ زَمْرَمَ لَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ ظِلٌّ غَيْرُهَا

٤٣	أَنَّهُ رَأَى رُفْقَةً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ رَحَالُهُمُ الْأَدَمُ فَقَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَشْبِهِ رُفْقَةً
٤٤	أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَصَلَى بِهِمْ يُشِيرُ بِكَفِّهِ حِينَ يَقُومُ
٤٥	أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، خَطِيبًا بِالْمَدِينَةِ
٤٦	أَنَّهُ قَرَضَ لِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَرَضَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ
٤٧	أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا
٤٨	أَنَّهُ لَمْ يُرَخَّصْ فِي الْحَرِيرِ
٤٩	ثُمَّ شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَخَطَبَ فَقَالَ
٥٠	ثُمَّ قَالَ لَتَرْجَاهَانِ قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسْبِهِ فَيَكُم
٥١	دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْجَامِعِ فَإِذَا عَمْرُو بْنُ وَهَبٍ التَّقْفِي
٥٢	دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمصَ فَإِذَا فِيهِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ
٥٣	دَعَا عُثْمَانُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
٥٤	رَأَيْتُ شَيْخًا بِالْأَهْوَاذِ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَلِجَامُ دَابَّتِهِ فِي يَدِهِ
٥٥	رَأَيْتُ عَلِيًّا تَوَضَّأَ فَعَسَلَ كَفِّهِ حَتَّى أَتَقَاهُمَا،
٥٦	سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِمَكَّةَ فِي خُطْبَتِهِ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
٥٧	سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ ، يَقُولُ: لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ
٥٨	سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُعِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ
٥٩	عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ
٦٠	قَالَ أَبُو بَكْرٍ ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ
٦١	قَالَ أَتَنَنِي أَرْوَى بِنْتُ أُوَيْسٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ
٦٢	قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا
٦٣	قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ

٦٤	كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل
٦٥	كان أبواه مؤمنين وكان كافرا ، فحشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا
٦٦	كان أبي من شرط علي رضي الله عنه وكان تحت المنبر
٦٧	كان أحب القباب إلى رسول الله ﷺ القميص
٦٨	كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد
٦٩	كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان
٧٠	كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز
٧١	كان أحب العراق إلى رسول الله ﷺ
٧٢	كان إذا أراد من الحائض شيئا
٧٣	كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه
٧٤	كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، ففسخ الله من ذلك ما أحب
٧٥	كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا
٧٦	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل
٧٧	كان النبي ﷺ يأتي مسجدا فباء كل سبت ماشيا وراكبا
٧٨	كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله
٧٩	كان النبي ﷺ يحب أن ينهض إلى عدوه
٨٠	كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه
٨١	كان النبي ﷺ يصلي الظهر حين تزول الشمس
٨٢	كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا
٨٣	كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ويجلس إليهم
٨٤	كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ لأناس من أصحابه في الغضب
٨٥	كان رجل ما أعلم من الناس من إنسان من أهل المدينة

٨٦	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ
٨٧	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ
٨٨	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يَحِبُّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
٨٩	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بِالْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ قَامَ
٩٠	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَلَبَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعُرْصَةِ
٩١	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ — أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ — شَهْرًا
٩٢	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ
٩٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ
٩٤	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْحُلُوءَ وَيُحِبُّ الْعَسَلَ
٩٥	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبُّ
٩٦	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خَلْقِي
٩٧	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ
٩٨	كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ الْبَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَى بَكْرٍ
٩٩	كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ
١٠٠	كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ قَالَ:
١٠١	كَانَ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ فَصْلًا يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَدٍ
١٠٢	كَانَ لَابِنُ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ
١٠٣	كُلَّ اللَّيْلِ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْتَهَى وَثَرُهُ إِلَى السَّحَرِ
١٠٤	كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ
١٠٥	كُنَّا بِعَرَفَةَ فَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ عَلَى الْمَوْسِمِ
١٠٦	كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخُلٌ
١٠٧	كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١٠٨	كُنْتُ مَعَهُ فَلَقِيَنِي نُوْفًا فَقَالَ نُوْفٌ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمَلَائِكَتِهِ ادْعُوا لِي عِبَادِي
١٠٩	والله إن عمر في الجنة، وما أحب أن بي حمر النعم
١١٠	وَقَتَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَارِلِ وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ



رابعاً : فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام	م
	إبراهيم بن محمد بن المنتشر	١
	إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، أبو عمران، اليماني ثم الكوفي	٢
	ابن الدمينة . الدمينة أمه واسمه عبد الله بن عبد الله أحد بني عامر بن تيم الله ويكنى ابن الدمينة أبا السري	٣
	ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الأموي	٤
	ابن رسلان أحمد بن حسين بن حسن بن علي أبو العباس الرملي	٥
	ابن مندة ، أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن مندة	٦
	ابن هبيرة أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم، الشيباني الدوري العراقي الحنبلي	٧
	أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي المعافري القروي	٨
	أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الكناني ثم الليثي	٩
	أبو العالية رفيع بن مهران ، الإمام المرقئ الحافظ المفسر	١٠
	أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ يَزِيدَ الْبَغْدَادِيِّ الْخَلَّالِ	١١
	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم	١٢
	أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ بْنِ عَتَاهِيَةَ الْأَزْدِيِّ، الْبَصْرِيِّ	١٣
	أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي	١٤
	أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري الأشهلي أخو ثابت بن الضحاك	١٥
	أبو جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري	١٦
	أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود	١٧
	أبو علي الدقاق ، الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمد	١٨
	أبو قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك ، الجرمي البصري	١٩
	أَبُو مُحَمَّدٍ حَرْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَرْمَانِيِّ، الْفَقِيهَ، تَلْمِيزُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ	٢٠
	أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٢١
	أبو واثلة الهذلي	٢٢
	أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ابن الفراء البغدادي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ابن الفراء البغدادي ، المعروف بالقاضي أبو يعلى	٢٣
	أبو ماجد الحنفي العجلي ، ويقال ماجدة الفراء العجلي الكوفي (عائذ بن نضلة)	٢٤
	أحمد بن أحمد بن الطيبي الشافعي	٢٥
	أحمد بن خالد اللغوي أبو سعيد الضرير	٢٦
	أحمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن الوليد، أبو العباس ابن أبي حمزة المرسى الأموي	٢٧
	أحمد بن عمار أبو العباس، العالم الفاضل المهدي	٢٨
	أحمد بن محمد الحجاج أبو بكر المعروف بالروذي	٢٩
	إسماعيل القاضي أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري	٣٠
	إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، وَاسْمُهُ هَرَمَزٌ ، وَيُقَالُ : سَعْدٌ ، وَيُقَالُ : كَثِيرٌ ، الْبَجَلِيُّ الْأَحْمَسِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ	٣١

٣٢	إسماعيل بن بشير مولى بني مغالة
٣٣	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي
٣٤	أسير بن عمرو بن جابر الحاربي ، ويقال يسير بالياء الحاربي
٣٥	الأزرق بن قيس
٣٦	الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن التزأل بن مرة التميمي السعدي
٣٧	الجعد بن درهم (من أعلام الضلالة في العقيدة)
٣٨	الجهم بن صفوان الخزري (من أعلام الضلالة في العقيدة)
٣٩	الحارث بن أسد الخراساني
٤٠	الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب القرشي الجمحي
٤١	الحليمي ، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي
٤٢	الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني ، المروزي
٤٣	الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية
٤٤	الضحاك بن مزاحم الهلالي
٤٥	القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
٤٦	الليث بن سعد
٤٧	المستورد بن شداد بن عمرو الفهري القرشي
٤٨	المسور بن مخزومة
٤٩	المقدام بن معدي كرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب بن عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي
٥٠	المنتشر بن الأجدع الهمداني
٥١	إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني
٥٢	أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب الكنانية
٥٣	أم عطية الأنصارية
٥٤	أم كرز الخزاعية الكعبية
٥٥	أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني
٥٦	إياس بن أبي رملة الشامي
٥٧	إياس بن معاوية بن قررة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد المزني
٥٨	بسر بن سعيد
٥٩	بشير بن كعب ابن أبي، الفقيه، أبو أيوب الحميري العدوي البصري
٦٠	جرير بن حازم الإمام الحافظ أبو النضر الأزدي
٦١	حجاج بن الشاعر هو الحافظ الأوحاد المأمون أبو محمد حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي
٦٢	حجاج بن محمد أبو محمد الأعور المصيبي
٦٣	حصين ويقال: (حصين) بن المنذر بن الحارث الرقاشي وأبو ساسان لقب كنيته أبو محمد.
٦٤	حكيم بن أفلح
٦٥	حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري
٦٦	خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري ، أبو الهيثم
٦٧	داود بن رشيد ، أبو الفضل الخوارزمي البغدادي
٦٨	ذكران أبو صالح السمان الزيات المدني
٦٩	ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم
٧٠	زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة النسائي

٧١	زياد بن علاقة بن مالك أبو مالك الثعلبي الكوفي
٧٢	زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام البلوي
٧٣	زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية
٧٤	زينب بنت كعب بن عجرة
٧٥	سالم بن أبي الجعد
٧٦	سري بن المغلس السقطي ، أبو الحسن
٧٧	سعد بن إياس الكوفي ، أبو عمرو الشيباني من بني شيبان بن ثعلبة
٧٨	سعد بن هشام
٧٩	سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم أبو محمد المخزومي المدني
٨٠	سعيد بن جبير بن هشام ، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد
٨١	سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي
٨٢	سعيد بن منصور أبو عثمان الخراساني الجوزجاني
٨٣	سفيان بن أبي سهل الثقفي
٨٤	سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم،
٨٥	سلمان بن عامر بن أوس بن حجر بن عمرو الضبي
٨٦	سليمان بن مهران أبو محمد الأعمش الكاهلي مولا هم الكوفي
٨٧	سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي
٨٨	سهل بن عبد الله التستري
٨٩	سويد بن غفلة
٩٠	سيار بن سلامة الرياحي ، أبو المنهال البصري
٩١	شهر بن حوشب الأشعري
٩٢	صالح بن خوات بن جبيل الأنصاري
٩٣	طَلْقُ بْنُ حَبِيبِ الْعَنْزِيِّ
٩٤	عاصم بن ضمرة السلولي
٩٥	عاصم بن لقيط بن صبرة العقيلي
٩٦	عامر بن سعد بن أبي وقاص
٩٧	عباد بن كثير الرملي، الفلسطيني، الشامي
٩٨	عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري
٩٩	عباس بن سهل بن سعد الأنصاري الساعدي
١٠٠	عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي الكندي ، أبو محمد
١٠١	عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي
١٠٢	عبد الرحمن بن شماسه البصري المهري
١٠٣	عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادي أبو عبد الله الصناحي البيماني
١٠٤	عبد العزيز بن عبد الله بن باز
١٠٥	عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد الحراني
١٠٦	عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك أبو القاسم القشيري
١٠٧	عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني
١٠٨	عبد الله بن المبارك
١٠٩	عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي ، أبو عبد الرحمن السلمي
١١٠	عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني

١١١	عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي ، وقيل: حرقوص بن زهير(من أعلام الخوارج)
١١٢	عبد الله بن سعد الأنصاري
١١٣	عبد الله بن سويد الأنصاري الحارثي
١١٤	عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي
١١٥	عبد الله بن محرز
١١٦	عبد الله بن محمد بن علي بن أبو جعفر النفيلى
١١٧	عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي
١١٨	عبد الله بن يزيد المعافري
١١٩	عبد الواحد ابن التين
١٢٠	عبد الواحد بن زيد ، أبو عبيدة البصري
١٢١	عبد ربه بن نافع أبو شهاب الحنات الأصغر
١٢٢	عبيد الله بن زياد بن أبيه
١٢٣	عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي
١٢٤	عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي
١٢٥	عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي
١٢٦	عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي
١٢٧	عطاء بن أبي رباح المكي
١٢٨	عفان بن مسلم أبو عثمان الصفار الباهلي
١٢٩	عقبة بن مسلم التجيبي
١٣٠	عكرمة مولى ابن عباس الهاشمي القرشي
١٣١	علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري
١٣٢	علي بن إسحاق بن عيسى بن زاطيا المخرمي البغدادي أبو الحسن
١٣٣	علي بن علي بن محمد بن أبي العز ، الحنفي الدمشقي
١٣٤	علي بن مدرك النخعي الكوفي
١٣٥	عمرو بن عاصم بن محمد بن بكير ويكنى أبا عثمان
١٣٦	عمرو بن أبي قرة الكندي
١٣٧	عمرو بن شعيب بن محمد بن (صاحب رسول الله ﷺ) عبد الله بن عمرو بن العاص
١٣٨	عمرو بن وهب الثقفي
١٣٩	عوف بن مالك بن نضلة بن جريح أبو الأحوص الجشمي الكوفي
١٤٠	عون بن أبي جحيفة واسمه وهب بن عبد الله السوائي الكوفي
١٤١	عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي
١٤٢	عيسى بن دينار أبو محمد الغافقي القرطبي
١٤٣	فسيلة
١٤٤	فضالة بن عبيد
١٤٥	قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي
١٤٦	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري
١٤٧	قرة بن دعموص بن ربيعة بن عوف النميري
١٤٨	قيس بن أبي حازم ، أبو عبد الله البجلي الأحسي، الكوفي
١٤٩	كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد الأنصاري السلمي. من بني سلمة ، أبو اليسر
١٥٠	لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي البصري
١٥١	مالك بن ربيعة ، أبو أسيد الساعدي

١٥٢	محمد بن إبراهيم بن المنذر الإمام أبو بكر النيسابوري
١٥٣	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالخفيد
١٥٤	محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني
١٥٥	محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، أبو عبد الله القرشي التيمي المدني
١٥٦	محمد بن صالح بن عثيمين
١٥٧	محمد بن عبد الله بن أبي مريم المدني الخزاعي
١٥٨	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي
١٥٩	محمد بن عمر المعيطي
١٦٠	محمد بن كعب القرظي
١٦١	محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
١٦٢	محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني
١٦٣	مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموى
١٦٤	مسروق بن الأجدع، الإمام، القدوة، العلم، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي
١٦٥	مسعر بن كدام بن ظهير أبو سلمة الهلالي العامري
١٦٦	مطين الشيخ الحافظ الصادق، محدث الكوفة، أبو جعفر، محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، الملقب بمطين
١٦٧	معاذ بن رفاعه بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقي الأنصاري
١٦٨	معتمر بن سليمان بن طرخان أبو محمد المري
١٦٩	مقاتل بن حيان
١٧٠	مقاتل بن سليمان البلخي
١٧١	ميمون بن مهران
١٧٢	نافع أبو عبد الله مولى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما
١٧٣	نضلة بن عبيد بن الحارث أبو برزة الأسلمي
١٧٤	هلال بن حصن، أخو بني قيس بن ثعلبة
١٧٥	هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر التميمي الدارمي أبو السري الكوفي
١٧٦	وابصة بن معبد بن مالك بن عبيد الأسدي من بني أسد بن خزيمه، يكنى أبا شداد
١٧٧	وائل بن الأسقع الليثي
١٧٨	واصل بن عطاء
١٧٩	يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنيس، أبو زكريا، الشيباني النهي السجستاني
١٨٠	يزيد بن عبد الله بن الشيخير العامري البصري، أخو مطرف
١٨١	يعلى بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف النقفى



خامساً : فهرس الأماكن والبلدان

(أ) فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	الأماكن والبلدان	م
	آشور	١
	أصبهان	٢
	الأبواء	٣
	البصرة	٤
	الجحفة	٥
	الحجر (ديار قوم صالح)	٦
	الحيرة	٧
	السنح	٨
	الصين	٩
	العالية	١٠
	الكوفة	١١
	النهر وان	١٢
	الهند	١٣
	اليمامة	١٤
	أيلة	١٥
	بابل	١٦
	بواط	١٧
	بيرحاء	١٨
	تبوك	١٩
	جبل طيى	٢٠
	حمص	٢١
	ذات عرق	٢٢
	ذو الحليفة	٢٣
	سرغ	٢٤
	صنعاء	٢٥
	ضُجَّانَ	٢٦
	عُسْفَانَ	٢٧
	عمواس	٢٨
	عمورية	٢٩
	غدير خم	٣٠
	فلسطين	٣١
	قرن	٣٢
	مر الظهران	٣٣

٣٤	مصر	
٣٥	مُكرَان	
٣٦	نجد	
٣٧	نصيبين	
٣٨	هجر	
٣٩	يلملم	

(ب) فهرس القبائل والفرق

م	القبائل والفرق	الصفحة
١	الصوفية	
٢	النصرانية	
٣	خزاعة	
٤	القدرية	
٥	المعطلة	
٦	الفرعونية	
٧	الجهمية	
٨	الركوسية	
٩	البوذية	
١٠	الجينية	
١١	الفكر الوجودي	
١٢	الرافضة	
١٣	الليبرالية	



سادسا : فهرس الألفاظ الغريبة

الصفحة	المفردات	م
	أجر د	١
	أدعج	٢
	أرمك	٣
	أسك	٤
	الإذخر	٥
	الأشفار	٦
	الاضطباع	٧
	الإغضاء	٨
	الأقط	٩
	الإقعاء	١٠
	الإكاف	١١
	الأمداد	١٢
	البراجم	١٣
	التصريد	١٤
	التَلْدُن	١٥
	الثروة	١٦
	الجيت	١٧
	الجراد	١٨
	الجعد	١٩
	الحبرة	٢٠
	الحواري	٢١
	الخزيرة	٢٢
	الدباء	٢٣
	الدركة	٢٤
	الدحل	٢٥
	الدواق والدواقه	٢٦
	الرستاق	٢٧
	الرقوب	٢٨
	الركوسية	٢٩
	الركية	٣٠
	السبتية	٣١
	السيحة	٣٢
	السفساف	٣٣
	الشنطير	٣٤
	الشية	٣٥
	الضب	٣٦
	الضحضاح	٣٧

٣٨	الْعُرْجُون
٣٩	العرفط
٤٠	العرواء
٤١	العريكة
٤٢	العس
٤٣	العكيس
٤٤	العلوج
٤٥	الفرسن
٤٦	الفصيخ
٤٧	القر
٤٨	القصة
٤٩	القميص
٥٠	الكتد
٥١	الكلالة
٥٢	الكيزان
٥٣	المأزمان
٥٤	المدرى (المدراة)
٥٥	المرماة
٥٦	المطهم
٥٧	المكثم
٥٨	المل
٥٩	الناووس
٦٠	النهج
٦١	الوبر
٦٢	الوفا
٦٣	الوشي
٦٤	بزور
٦٥	بيدر
٦٦	ثجا
٦٧	جبا
٦٨	جداد
٦٩	جران
٧٠	جروست
٧١	جشوته
٧٢	جميمة
٧٣	جوالق
٧٤	خلوق
٧٥	دهقان
٧٦	ذلف الأنوف

٧٧	ربعة	
٧٨	رزية	
٧٩	رصف	
٨٠	زمني و زمانة	
٨١	زندق	
٨٢	سحابا	
٨٣	شن	
٨٤	شغزب	
٨٥	شغف	
٨٦	صبب (الصبابة)	
٨٧	ضغت	
٨٨	عبية	
٨٩	عرصة	
٩٠	عرق	
٩١	عصف	
٩٢	فدكية	
٩٣	فرسن	
٩٤	كرسف	
٩٥	كلمه	
٩٦	كهل	
٩٧	كوماوين	
٩٨	لبته	
٩٩	لكع	
١٠٠	محنة	
١٠١	مرط	
١٠٢	ملاء	
١٠٣	منبله	
١٠٤	مه	
١٠٥	مهيم	
١٠٦	نبل	
١٠٧	نغض	
١٠٨	نووي	
١٠٩	هاؤم	
١١٠	هناء	
١١١	ورس	
١١٢	وسق	
١١٣	يننصل	



سابعاً: فهرس المصادر والمراجع العلمية

م	المصادر والمراجع العلمية
أولاً	المراجع :
١	القرآن الكريم
٢	أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية ، د. حمود بن أحمد الرحيلي ، المدينة : مكتبة العلوم والحكم ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ .
٣	اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مصر : مكتبة ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
٤	أحاديث مقبولة مشتهرة على ألسنة الناس ، سعيد بن صالح الرقيب ، الرياض : دار القاسم ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .
٥	إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ، المعروف بابن دقيق العيد، بيروت : دار الكتاب العربي .
٦	إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، بيروت : دار المعرفة .
٧	أخبار القضاة ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيِّ البَغْدَادِيِّ، المُلَقَّبُ بِـ"وَكَيْع" ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، مصر: المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١ ، ١٣٦٦هـ .
٨	أدب الاختلاف في الإسلام ، طه جابر فياض العلواني ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٤١٢هـ .
٩	الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و عمر القيام، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط ٣ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
١٠	أدب الدنيا والدين ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، القاهرة : دار الفكر للنشر .
١١	أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مصر : المكتبة التجارية، ط ٤ ، ١٩٦٣م .

١٢	أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي الصنهاجي، تحقيق: د. أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، الجيزة: مكتبة النافذة، ط ١، ٢٠٠٦ م.
١٣	استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقباء الرسول ﷺ وذوي الشرف، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسين محمد علي شكري، المدينة المنورة: دار الزمان، ط ١، ١٤٢٤هـ.
١٤	إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوت، محمد بن علي الشوكاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ.
١٥	إرشاد الساري في شرح السنة للبرهاري، الشيخ أحمد بن يحيى النجدي، عجمان: مكتبة الفرقان، ط ١، ١٤٢٥هـ.
١٦	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٧	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٩٩هـ.
١٨	أروع ما قالوا في الحب، فاطمة الزهراء، القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ط ١.
١٩	أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مصر: مركز تحقيق التراث (دار الكتب)، ط ٢، ١٩٧٣ م.
٢٠	أساسيات النجاح، جون سي. ماكسويل، ترجمة: مكتبة جرير، الرياض: مكتبة جرير، ط ١، ٢٠١١ م.
٢١	أسباب ظاهرة الإرهاب، عبدالله بن محمد العمرو، ط ١، ١٤٢٥هـ.
٢٢	استخراج الآيات والأحاديث في الأبحاث العلمية والدعوية، عبد الله ضيف الله الرحيلي، المدينة المنورة: دار المسلم، ط ١، ١٤١٣هـ.
٢٣	استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: مجدي قاسم، طنطا: دار الصحبة للتراث، ط ١، ١٤١١هـ.
٢٤	أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٠ م.

٢٥	إسعاف المبطأ برجال الموطأ ، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩ هـ .
٢٦	إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٩٤ م .
٢٧	أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٩ هـ..
٢٨	أصول السرخسي ، بيروت : دار الكتاب العلمية ، ط١ ، ١٤١٤ هـ .
٢٩	أصول السنة ، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، الإمام أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين .
٣٠	أصول الفقه الإسلامي ، وهبه الزحيلي، دمشق : دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ
٣١	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر ، ١٤١٥ هـ .
٣٢	أضواء السلف ، محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الرياض : ، ط١ ، ١٤١٩ هـ
٣٣	إظهار الحق، الشيخ رحمه الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي ، تحقيق: عمر الدسوقي ، بيروت ، المكتبة العصرية .
٣٤	إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٢٣ هـ .
٣٥	اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم ، محمد بن عبد الله الوهيبي ، الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، ط٤ ، ١٤٢٩ هـ .
٣٦	إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت : دار المعرفة ، ط٢ ، ١٣٩٥ هـ .
٣٧	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه ، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط٢ ، ١٤١١ هـ .

٣٨	إكمال المعلم بفوائد مسلم ، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، و أحمد فريد المزيدي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
٣٩	إكمال تهذيب الكمال ، الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي ، الخققان : أبو عبد الرحمن عادل بن محمد و أبو محمد أسامة بن إبراهيم ، الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
٤٠	الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، تحقيق : عثمان عبد الله آدم الأثيوي وآخرون ، الرياض : دار الراجية ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ .
٤١	الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، محمد بن صالح العثيمين ، الرياض : دار الوطن ، ط ٢ .
٤٢	الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، بيروت : عالم الكتب .
٤٣	الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، الوافي المهدي ، المغرب: درا الثقافة، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
٤٤	الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ، الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، الرياض : دار السلف ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ .
٤٥	الأحاديث القدسية المسمى بالإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، زين الدين عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : محمد عفيف الزعبي، جدة : دار المطبوعات الحديثة ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
٤٦	الأحكام السلطانية ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، بيروت : دار الكتب العلمية .
٤٧	الإخلاص ، حسين العوايشة ، عمان : المكتبة الإسلامية ، ط ٦ ، ١٤١٠ هـ .
٤٨	الأخلاق في الفلسفة الحديثة ، أندريه كرسون ، ترجمة : د. عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري، مصر : دار الكتب الحديثة .
٤٩	الأَخْلَاقُ وَالسَّيْرُ ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْمِ الأَنْدَلُسِيِّ ، تحقيق : عادل أبو المعاطي، القاهرة : دار المشرق العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
٥٠	الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .

٥١	الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، عبد القادر شيبه الحمد، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية .
٥٢	الأربعون حديثا في الدعوة ، علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري ، الدمام : دار ابن القيم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
٥٣	الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان .
٥٤	الأسئلة والأجوبة الفقهية، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن السلطان .
٥٥	الأسامي والكنى ، أبو أحمد الحاكم ، تحقيق : يوسف بن محمد الدخيل ، المدينة المنورة : دار الغرباء الأثرية ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
٥٦	الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ، تحقيق : عادل مرشد ، الأردن(عمان) : دار الأعلام ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
٥٧	الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون ، القاهرة : دار الكلمة الطيبة ، ط ١ . ١٤٠٧ هـ .
٥٨	الأسس العلمية للعلاقات العامة ، د. علي عجمو، مصر : عالم الكتب ، ط ٤ ، ١٩٩٩ م .
٥٩	الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ، أ. د. عبد الرحيم محمد المغدوي ، الرياض : دار الحضارة ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .
٦٠	الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، خالد بن عبد الكريم الحياض ، جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
٦١	الأسماء والصفات نقلا وعقلا ، محمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق : محمد شريف فؤاد هزاع ، الجزيرة : مكتبة التوعية الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
٦٢	الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، جده : مكتبة السوادي، ط ١ .
٦٣	الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرقي، القاهرة : المكتبة الحضرية، ط ٤ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
٦٤	الأشباه والنظائر ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ .

٦٥	الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣ .
٦٦	الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، بيروت : دار الجيل ط ١ ، ١٤١٢هـ .
٦٧	الأصول من علم الأصول ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي ، ١٤٢٦هـ .
٦٨	الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .
٦٩	الاعتكاف أحكامه وأهميته في حياة المسلم ، د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي ، جدة : مكتبة دار الوفاء ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٧٠	الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط ١٥ .
٧١	الأعياد وأثرها على المسلمين، الدكتور سليمان بن سالم السحيمي ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية: عمادة البحث العلمي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
٧٢	الأم ، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، بيروت : دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ .
٧٣	الأمالي في لغة العرب ، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ .
٧٤	الأمثال والحكم ، عكاشة عبد المنان الطيبي ، القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي .
٧٥	الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الدمام : دار ابن القيم . ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٧٦	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الشيخ : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق: د.محمد السيد الجليند ، جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ .
٧٧	الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، عبد السلام بن برجس بن عبد الكريم ، مكتبة الفرقان ، ط ٣ ، ١٤٢٢هـ .
٧٨	الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله، لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة ، الكويت : دار الدعوة للنشر . ط ١ ، ١٤٠٩هـ .

٧٩	البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : علي شيري ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ .
٨٠	البداية والنهاية، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: عبدالله عبدالحسن التركي، الجيزة : هجر للطباعة والنشر ، ط١ ، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .
٨١	البدعة وأثرها السيئ في الأمة ، سليم الهلالي ، عمان : المكتبة الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
٨٢	البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : دار المعرفة ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ .
٨٣	البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، أبو الفضل عباس منصور السكسكي ، تحقيق : بسام علي العموش ، الأردن : مكتبة المنار، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
٨٤	البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية ، سعيد فالح الغامدي ، جدة : دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠١هـ .
٨٥	التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .
٨٦	التاريخ الأوسط ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : تيسير بن سعد ، الرياض : دار الرشيد ط١ ، ١٤٢٦ هـ .
٨٧	التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل البخاري . تحقيق: السيد هاشم الندوي .
٨٨	التبرك المشروع والمنوع ، محمد صفوت نور الدين ، الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، ط٤ ، ١٤٢٩هـ
٨٩	التيبان في أقسام القرآن ، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٨هـ
٩٠	التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، بيروت : مؤسسة التاريخ العربي، ط١ ، ١٤٢٠هـ.
٩١	التدابير الواقية من المخدرات في الإسلام ، فيصل بن جعفر بن عبد الله بالي ، الرياض : دار التوبة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ.

٩٢	التدمرية ، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق: محمد بن عودة السعوي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
٩٣	الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
٩٤	الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة ، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز ، الرياض : دار أشبيليا ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
٩٥	التزكية بين أهل السنة والصوفية ، أحمد فريد ، الإسكندرية : مكتبة الإيمان .
٩٦	التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، تحقيق : محمد عبد المنعم اليونسى وإبراهيم عطوه عوض ، القاهرة : أم القرى للطباعة والنشر .
٩٧	التشريع والفقه في الإسلام ، مناع القطان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٧ ، ١٤٠٧ هـ .
٩٨	التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي ، تحقيق : د. أبو لبابة حسين ، الرياض : دار اللواء للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
٩٩	التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ، الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان .
١٠٠	التفسير القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، جمع : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ .
١٠١	التفسير و المفسرون ، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٢ .
١٠٢	التقريبات السنية في شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث ، حسن محمد المشاط ، المدينة المنورة : مكتبة الإيمان ، ط ١٢ ، ١٤٠٥ هـ .
١٠٣	التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨ هـ .
١٠٤	التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، الرياض : دار التوحيد ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .

١٠٥	التنصير ، علي بن إبراهيم حمد النملة ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ .
١٠٦	التوراة المبرو غليفية ، فؤاد حسنين علي ، القاهرة : دار الكتاب العربي.
١٠٧	التوسل أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٤٠٦هـ.
١٠٨	التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، بيروت : دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٠هـ.
١٠٩	الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، بيروت : دار الفكر ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ .
١١٠	الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد ، عبد الله بن جبار الله بن إبراهيم الجارالله ، الرياض ، دار طيبة ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ .
١١١	الجامع في الحديث ، عبد الله بن وهب بن أبو محمد المصري ، الخقق : د . مصطفى حسن حسين أبو الخير ، الرياض : دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٩٩٦م .
١١٢	الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ .
١١٣	الجرح والتعديل ، الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١١٤	الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة . سليم عيد الهلالي ، عمان : الدار الأثرية . ١٤٢٥هـ .
١١٥	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق : د. علي بن حسن بن ناصر وآخرون ، الرياض : دار العاصمة ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ .
١١٦	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٨هـ.
١١٧	الحب والبغض في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، سليم الهلالي ، الدمام : دار ابن القيم ، ١٤١٠هـ ، ط ١ .

١١٨	الحسبة ، د. فضل إلهي ، باكستان: إدارة ترجمان الإسلام ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ.
١١٩	الحقوق الزوجية ، في الكتاب والسنة ، هاشم بن حامد الرفاعي ، الأحساء : مكتبة ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ط ١.
١٢٠	الحكمة في الدعوة إلى الله ، الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الرياض : مطبعة سفير ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ.
١٢١	الحوادث والبدع ، أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ .
١٢٢	الخطابة، محمد أبو زهرة ، الكويت : دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٨٠ هـ.
١٢٣	الخطوات الذكية ، سام ديب وليل سومان ، ترجمه للعربية : سامي تيسير سلمان، الرياض : مؤسسة المؤتمن . ١٩٩٧ م .
١٢٤	الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية ، محمد العربي القروي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ص : ١٠١ .
١٢٥	الخلاص بين العلماء :أسبابه وموقفنا منه ، محمد بن صالح العثيمين ، جدة : دار المجتمع ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
١٢٦	الخلق الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك ، المطبعة العثمانية المصرية ، ط ١ ، ١٣٥٥ هـ .
١٢٧	الحوارج قديما وحديثا ، سليمان بن عثمان المنيعي ، مكة : دار الإمام أحمد ، ١٤٢٤ هـ .
١٢٨	الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : مركز هجر للبحوث ، مصر : دار هجر ، ١٤٢٤ هـ.
١٢٩	الدرر السنية في الكتب النجدية ، علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا ، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط ٦ ، ١٤١٧ هـ .
١٣٠	الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، للعلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الخرج : دار المنار للنشر.
١٣١	الدعاء للطبراني ، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

١٣٢	الدعوات الكبير ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، الكويت: غراس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
١٣٣	الدعوة : قواعد وأصول ، جمعة أمين عبد العزيز ، الاسكندرية : دار الدعوة ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ،
١٣٤	الدعوة الفردية، صالح بن يحيى صواب ، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ .
١٣٥	الدعوة إلى الله ، دراسة مستوحاة من سورة النمل ، عبد الرب نواب الدين آل نواب ، دمشق : دار القلم ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
١٣٦	الدعوة إلى الله ، محمد بن إبراهيم التيجري ، الرياض: دار الأصالة، ط ١، ١٤١١ هـ.
١٣٧	الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، جدة : مكتبة الصحابة ، ط ١، ١٤١٢ هـ .
١٣٨	الدولة العثمانية ، عبد العزيز محمد الشناوي ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٦ ،
١٣٩	الرد على المخالف من أصول الإسلام ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، الدمام : دار الهجرة ، ط ٢، ١٤١١ هـ .
١٤٠	الرقعة والبكاء ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دمشق : دار القلم ، ط ١، ١٤١٠ هـ .
١٤١	الروح ، الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، بيروت : دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
١٤٢	الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، بيروت : دار الفكر .
١٤٣	الزهد والورع والعبادة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : حماد سلامة ، الأردن : مكتبة المنار ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
١٤٤	السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، ط ١ ، ١٣٤٤ هـ .
١٤٥	السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، عبد المتعال محمد الجبري، القاهرة : مكتبة وهبه، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

١٤٦	السيال الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
١٤٧	الشباب المسلم في مواجهة التحديات ، د. عبد الله ناصح علوان ، دمشق : دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
١٤٨	الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ، د. ناصر بن عبد الله بن ناصر التركي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عمادة البحث العلمي ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .
١٤٩	الشرح المتع على زاد المستقنع ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
١٥٠	الشعر و الشعراء (طبقات الشعراء) ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الدينوري ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠١ هـ — .
١٥١	الشفاعة ، أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي ، الكويت : دار الارقمي ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
١٥٢	الشمائل الحمديّة ، أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي ، تحقيق : محمد عفيف الزعبي ، جدة : دار المطبوعات لحديشة ، ط ١ ، ١٣٠٣ هـ — .
١٥٣	الشيعة والتصحيح ، موسى الموسوي ، ١٤٠٨ هـ .
١٥٤	الشيعة والسنة ، إحسان إلهي ظهير ، الرياض : دار طيبة .
١٥٥	الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة ، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفسي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
١٥٦	الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، د. يوسف القرضاوي ، القاهرة : دار الصحوة ، ط ١ ، ١٤١١ هـ — .
١٥٧	الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجاني ، بيروت : دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
١٥٨	الصوفية معتقدا ومسلكا ، صابر طعيمة ، الرياض : عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

١٥٩	الضعفاء والمتروكين ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، تحقيق : عبد الله القاضي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ .
١٦٠	الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ، ط ١ ، ١٩٦٨ م .
١٦١	المطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ابن قيم الجوزية ، بيروت : دار إحياء العلوم
١٦٢	الظواهر الجغرافية وأثرها في الإيمان ، الدكتور عبد العليم خضر عبد الرحمن ، الدار السعودية للنشر ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ .
١٦٣	العبر في خبر من غير ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية .
١٦٤	العبودية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد زهير الشاويش ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هـ
١٦٥	العدة شرح العمدة ، بهاء الدين بن عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي ، القاهرة : مؤسسة قرطبة .
١٦٦	العدة شرح العمدة [شرح لكتاب عمدة الفقه ، لموفق الدين بن قدامة المقدسي] ، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد ، أبو محمد بهاء الدين المقدسي ، تحقيق : صلاح بن محمد عويضة ، ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ .
١٦٧	العقيدة الإسلامية ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤١١ هـ .
١٦٨	العقيدة الواسطية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، شرح : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .، الرياض : مكتبة المعارف ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ
١٦٩	العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم ، عبد المنان ملا بار ، جدة : دارالمدني ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ .
١٧٠	العواصم من القواصم ، أبو بكر بن العربي ، بيروت : المكتبة العلمية ، ١٤٠٥ هـ
١٧١	الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، د. عبد الستار فتح الله سعيد ، المنصورة : دار الوفاء ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ .
١٧٢	الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، عبد الرحمن بن معلا اللويحي ، ط ٥ ، ١٤١٩ هـ .

١٧٣	الفتاوى الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، القاهرة : دار الريان للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
١٧٤	الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٧٥	الفتور : آثاره وأسبابه وعلاجه ، جاسم بن محمد الياسين ، الكويت : دار الدعوة ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
١٧٦	الفرائض ، الدكتور عبد الكريم بن محمد اللاحم ، الرياض : مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
١٧٧	الفراسة، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الدمى، تحقيق وتعليق: مصطفى عاشور. القاهرة: مكتبة القرآن.
١٧٨	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى ، الرياض : دار الفضيلة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
١٧٩	الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق) ، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، تحقيق : خليل المنصور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ ،
١٨٠	الفصول في الأصول ، الإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق: د.عجيل جاسم النشمي ، الناشر : وزارة الأوقاف والشتون الإسلامية دولة الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
١٨١	الفقه الإسلامي وأدلته ، الدكتور وهبة الزحيلي ، دمشق: دار الفكر ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .
١٨٢	الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن محمد الجزيري، مصر : مطابع الشعب ، ١٣٨٠ هـ .
١٨٣	الفوائد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ .
١٨٤	القاموس التعليمي المصور (إنكليزي - عربي)، بيروت : دار الشرق العربي .
١٨٥	القطوف الجياد من حكم وأحكام الجهاد ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، الرياض : دار المعنى ، ١٤٢٥ هـ ، ط ١ .
١٨٦	القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير ، عبد الرحمن بن صالح عبد اللطيف ، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٨٧	القول المفيد على كتاب التوحيد ، العلامة محمد بن صالح العثيمين ، المملكة العربية السعودية : دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ .
١٨٨	الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي ، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب ، جدة : مؤسسة علوم القرآن .
١٨٩	الكمال في التاريخ ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، عناية: أبو صهيب الكرمي ، الأردن (عمان): بيت الأفكار الدولية .
١٩٠	الكبائر ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي، بيروت : دار الندوة
١٩١	الكبائر، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض:وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
١٩٢	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت :دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ ، مذيّل بحاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير، وتخرّيج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي .
١٩٣	الكشكول، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ —
١٩٤	اللُّمع في أصول الفقه، أبو اسحاق الشيرازي، تحقيق : أبو أويس الكردي ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م .
١٩٥	المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء، أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي
١٩٦	المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية وتعليم المرأة ، مائسة محمد حامد الأفندي ، الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١ .
١٩٧	الحرر في أسباب نزول القرآن ، خالد بن سليمان المزيني، الدمام : دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
١٩٨	المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي، د. أسماء عبد العزيز الحسين ، الرياض : دار عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ —
١٩٩	المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتح البيانوني ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .

٢٠٠	المرأة المسلمة ومسؤولياتها في الواقع المعاصر، الدكتور فالح بن محمد الصغير، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ط٣، ١٤٢٩هـ.
٢٠١	المساعدة الإرشادية النفسية، محمد جعفر جمل الليل، جدة: الدار السعودية، ط٢، ٢٠٠٢هـ.
٢٠٢	المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية ط١، ١٤١١هـ.
٢٠٣	المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٠٤	المعاصي وأثارها على الفرد والمجتمع، حامد بن محمد بن حامد المصلح، تحقيق: عائض القرني، جدة: مكتبة الضياء، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٠٥	المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.
٢٠٦	المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني.
٢٠٧	المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة، أبو معاذ طارق بن عوض الله، الكويت: دار الخير، ط١، ١٤٣٠هـ.
٢٠٨	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فواد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث، ط٢.
٢٠٩	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، أ. ي. ونسنتك وعدد من المستشرقين، لندن، مكتبة بريل، ١٩٣٦ م.
٢١٠	المعوقون للدعوة الإسلامية، د. سميرة محمد عمر هجوم، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
٢١١	المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢١٢	الفاائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة.

٢١٣	المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مصر : شركة مكتبة الباي والحلي ، ١٣٨١هـ .
٢١٤	المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ، تحقيق : محمد عثمان الحشت ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
٢١٥	المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ، تحقيق : د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الرياض : مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ .
٢١٦	الملخص الفقهي ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، الرياض : دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .
٢١٧	الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، رؤى وذكريات ، د. فهد بن عبد الله السماري ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
٢١٨	الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، بيروت : دار المعرفة .
٢١٩	المنافقون في القرآن الكريم ، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ.
٢٢٠	المنح الفكرية على متن الجزرية ، الملا علي بن سلطان القاري ، المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤١٩هـ ، ط ١ .
٢٢١	المنظمات الدولية الاقليمية ، عبدالله بن علي المسند ، القاهرة : دار المنار ، ١٤١٢هـ ط ١.
٢٢٢	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ .
٢٢٣	المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله ، حمود أحمد الرحيلي ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ .
٢٢٤	الموافقات في أصول الأحكام، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، المعروف بالشاطبي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة : مكتبة المدني .
٢٢٥	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
٢٢٦	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تحقيق: مانع بن حماد الجهني ، الرياض : دار الندوة العالمية ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ .

٢٢٧	النصيحة في الأدعية الصحيحة ، الحافظ عبدالغني المقدسي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ .
٢٢٨	النظرية الماركسية ، أمير عبد العزيز ، عمان : مكتبة الاقصي ، ١٤٠١ هـ ، ط ١ .
٢٢٩	النهاية في غريب الأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية ، ط ١ ، ١٣٨٣هـ .
٢٣٠	الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن ، أبو نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله اللبشي ، بيروت: دار المعرفة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٢٣١	الورقات . إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني ، الرياض : دار طويق ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ .
٢٣٢	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ١٤١١هـ ، ط ٣ .
٢٣٣	الوسطية والاعتدال ، وأثرهما على حياة المسلمين ، معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ.
٢٣٤	الوعي الأمني ودوره في حياتنا اليومية ، عبد المحسن صالح الصالحي ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
٢٣٥	الوفيات ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ، تحقيق :عادل نويهض ، بيروت : دار الإقامة الجديدة ، ١٩٧٨ م .
٢٣٦	الولاء والبراء في الإسلام ، محمد بن سعيد القحطاني، تقديم فضيلة الشيخ: عبد الرزاق عفيفي ، الرياض : دار طيبة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
٢٣٧	اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : السيد عبد المقصود ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
٢٣٨	أمراض القلب والأوعية الدموية ، الدكتور عزيز صالح جواد العزاوي، الأردن (عمان):دار الفكر، ط ١، ١٩٩٣ م .
٢٣٩	أمراض القلب وشفاؤها ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ .
٢٤٠	أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .

٢٤١	أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، إبراهيم عثمان الفارس ، الرياض : دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٢٤٢	أيسر التفاسير لكلام علي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، جدة : راسم ، ط ٣ ، ١٤١٠هـ .
٢٤٣	إيقاظ المهمة لاتباع نبي الأمة ، خالد بن سعود العجمي ، الرياض : ط ٢ ، ١٤٢٧هـ .
٢٤٤	بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وآخرون ، مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ط ١ ، ١٤١٦هـ .
٢٤٥	بداية المجتهد ، محمد بن رشد القرطبي ، بيروت : دار المعرفة ، ط ٩ ، ١٤٠٩هـ .
٢٤٦	براءة أهل السنة من الوقعة في علماء الأمة ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، الرياض، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
٢٤٧	بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
٢٤٨	بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ، صالح بن فوزان الفوزان ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤١٤هـ .
٢٤٩	تاج التراجم ، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبغا السوداني ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دمشق : دار القلم ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
٢٥٠	تاريخ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ .
٢٥١	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ، بيروت : دار الكتاب العربي، سنة النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ط ١ .
٢٥٢	تاريخ الدعوة ، جمعة الخولي ، القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
٢٥٣	تاريخ الدعوة الى الله بين الأمس واليوم ، آدم عبد الله الألوري ، القاهرة : مكتبة وهبه ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ .
٢٥٤	تاريخ الدولة السعودية ، مديحة أحمد درويش ، جدة : دار الشروق، ط ٦ ، ١٤١٢هـ .

٢٥٥	تاريخ الفقه الإسلامي ، الدكتور عمر سليمان الأشقر ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ط١ ، ١٤٠٢هـ .
٢٥٦	تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، بيروت: دار الكتب العلمية .
٢٥٧	تاريخ خليفة بن خياط ، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، دمشق : دار القلم ، ط٢ ، ١٣٩٧هـ .
٢٥٨	تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي ، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به : رائد بن صبري بن أبي علفة ، الأردن : بيت الأفكار الدولية ، ط ٥ ، ٢٠٠٣ م .
٢٥٩	تحفة الذاكرين ، محمد بن علي الشوكاني ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .
٢٦٠	تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: زكريا عميرات ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٢٦١	تحفة المودود بأحكام المولود، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دمشق: مكتبة دار البيان ، ط١ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م
٢٦٢	تصنيف الناس بين الظن واليقين ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، الرياض: دار العاصمة ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
٢٦٣	تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق، بيروت: دار البشائر ط١ ، ١٩٩٦ م .
٢٦٤	تفسير القرآن ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، تحقيق : سعد بن محمد السعد ، المدينة النبوية : دار المآثر ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ .
٢٦٥	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م .
٢٦٦	تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .
٢٦٧	تفسير القرآن الكريم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤١٠ هـ .
٢٦٨	تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، سوريا : دار الرشيد ، ١٤٠٦ هـ .

٢٦٩	تقويم البلدان ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين ، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م .
٢٧٠	تكملة الإكمال ، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق : د. عبد القيوم عبد رب النبي ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
٢٧١	تلبيس إبليس ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
٢٧٢	تلخيص العلل المتناهية، شمس الدين محمد أحمد الذهبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٩هـ.
٢٧٣	تلخيص كتاب الاستغاثة ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرائي ، تحقيق : محمد علي عجال ، المدينة المنورة : مكتبة الغرباء الأثرية ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .
٢٧٤	تهذيب الآثار، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.
٢٧٥	تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ .
٢٧٦	تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة .
٢٧٧	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .
٢٧٨	تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ، الشيخ عبد المحسن بن محمد القاسم، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
٢٧٩	تيسير مصطلح الحديث ، الدكتور محمود الطحان ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط ٨ ، ١٤٠٧هـ .
٢٨٠	جامع الأصول في أحاديث الرسول ، الإمام المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ، ط ٢ .
٢٨١	جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .

٢٨٢	جامع الرسائل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني ، المحقق : د. محمد رشاد سالم ، الرياض : دار العطاء ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
٢٨٣	جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية .
٢٨٤	جرعة العصر ، فؤاد عبد السلام الفارسي ، القاهرة : مطابع الأهرام ، ط ٤ ، ١٩٨٧ م.
٢٨٥	جَمْعُ الوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّمَائِلِ، الملا نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي القاري ، دار الأقصى .
٢٨٦	جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م .
٢٨٧	حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت : دار الكتب العلمية، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ .
٢٨٨	حاشية الدروس المهمة لعامة الأمة ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، شرح : أحمد بن صالح الطويان ، الرياض : دار طويق ، ط ٢ ، ١٤٢١ هـ .
٢٨٩	حاشية السندي على النسائي ، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ .
٢٩٠	حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة ، ابن عابد محمد علاء الدين أفندي ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٢١ هـ .
٢٩١	حاضر العالم الإسلامي ، علي جريشة ، جدة : دار المجتمع ، ط ٤ ، ١٤١٠ هـ .
٢٩٢	حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة ، جميل عبد الله المصري ، عمان : دار أم القرى ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
٢٩٣	حتى لا يموت الحب ، د. إيهاب فؤاد ، الاسكندرية : دار الدعوة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ .
٢٩٤	حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة بين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وبراءة دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب من الطائفتين ، عصام بن عبد الله السناني ، الكويت : مكتبة الامام الذهبي ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .

٢٩٥	حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ، بكرين عبد الله أبو زيد ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .
٢٩٦	خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.خطب وكلمات ، الرياض : دار الملك عبد العزيز ، رقم تسلسل الإصدار ٢١٤ .
٢٩٧	خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.خطب وكلمات ، الرياض : دار الملك عبد العزيز ، رقم تسلسل الإصدار ١٢٠ .
٢٩٨	خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي واميل بديع يعقوب ،بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م .
٢٩٩	خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال ، الحافظ الفقيه صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، بيروت : دار البشائر ، ١٤١٦ هـ .
٣٠٠	درء تعارض العقل والنقل ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الرياض : دار الكنوز الأدبية ، ١٣٩١ هـ .
٣٠١	دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ناصر عبد الكريم العقل ، الرياض : دار كنوز أشبيلية ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .
٣٠٢	دروس مهمة في شرح الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في الأحكام التجويدية ، سيد لاشين أبو الفرح ، المدينة المنورة : مكتبة دار الزمان .
٣٠٣	دعوة التوحيد ، محمد خليل هراس ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
٣٠٤	دفاع عن السنة ، محمد بن محمد أبو شهبه ، القاهرة : مكتبة ابن القيم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
٣٠٥	دلائل النبوة ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ،أبو بكر البيهقي، تحقيق :الدكتور : عبد المعطى قلجى بيروت : دار الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
٣٠٦	دليل الآيات المتشابهة الألفاظ ، سراج صالح ملائكة ، الرياض : دار الهدي للنشر والتوزيع ، ط ٢ .

٣٠٧	دليل الإرشاد الأسري، نخبة من المختصين والمختصات، إشراف : الدكتور عبد الله ناصر السدحان، مشروع ابن باز الحيري ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .
٣٠٨	دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ، عبد الرحمن يوسف الملاحي ، الرياض : عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
٣٠٩	ديوان أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني
٣١٠	ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد عفيف الزعبي، جدة: دار المطبوعات ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ
٣١١	ديوان الحماسة ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي
٣١٢	ديوان جرير ، حمد و طماس ، بيروت : دار المعرفة: ط ، ١٤٢٤هـ .
٣١٣	ديون أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، ضبط : مصطفى السقا وآخرون ، بيروت : دار المعرفة .
٣١٤	ديوان الراعي النميري، الراعي عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، النميري.
٣١٥	ربيع الأبرار، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري
٣١٦	رجال صحيح مسلم ، أحمد بن علي بن منجويه الأصباهاني أبو بكر ، تحقيق : عبد الله الليثي ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٧هـ .
٣١٧	رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٠م .
٣١٨	رسالة في الدعوة إلى الله ، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، المدينة المنورة : مطبوعات الجامعة الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٣١٩	ركائز الدعوة إلى الله ، فضل إلهي ظهير، الرياض : مؤسسة الجريسي ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ
٣٢٠	روضة الحبين ونزهة المشتاقين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢ هـ

٣٢١	رياض الصالحين ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : مصطفى محمد أبو المعاطي ، القاهرة : دار الغد الجديد ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ
٣٢٢	زاد المستقنع في اختصار المقنع ، شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي ، تحقيق : عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر ، الرياض : دار الوطن .
٣٢٣	زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .
٣٢٤	زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب وعبد الهادي الأرناؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١٤ ، ١٤٠٧ هـ .
٣٢٥	زبدة التفسير من فتح القدير ، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر ، الكويت : دار المؤيد ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ .
٣٢٦	سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار الفكر .
٣٢٧	سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تعليق : محمود خليل ، مكتبة أبي المعاطي .
٣٢٨	سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، بيروت : دار الكتاب العربي.
٣٢٩	سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز ، ١٤١٤ هـ .
٣٣٠	سنن الترمذي (الجامع الصحيح) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، بيروت : دار إحياء التراث العربي.
٣٣١	سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ هـ ، ط ١ .
٣٣٢	سنن النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي. موسوعة الحديث الشريف . جمعية مكر الإسلام .
٣٣٣	سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، بيروت : دار المعرفة ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ .

٣٣٤	سنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
٣٣٥	السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق : حسن عبد المنعم حسن شليبي ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
٣٣٦	سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة .
٣٣٧	شبهات التكفير ، عمر بن عبد العزيز قريشي ، القاهرة : مكتبة التوعية الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ،
٣٣٨	شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دمشق : دار بن كثير ، ١٤٠٦ هـ .
٣٣٩	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٢ هـ .
٣٤٠	شرح ثلاثة الأصول ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الشريا للنشر ، ط ٤ ، ١٤٢٤ هـ
٣٤١	شرح الأربعين النووية ، محمد بن صالح بن عثيمين ، الرياض : دار الشريا ، ط ٣ ، ١٤٢٥ هـ .
٣٤٢	شرح الأصول من علم الأصول ، الشيخ محمد صالح العثيمين ، القاهرة : دار العقيدة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .
٣٤٣	شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ .
٣٤٤	شرح الزركشي على مختصر الخرقي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي ، تحقيق : عبد المنعم خليل إبراهيم ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣ هـ
٣٤٥	شرح السنة ، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري ، شرح : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، القاهرة : دار ابن حزم . ط ١ ، ١٤٣٠ هـ .
٣٤٦	شرح السنة ، الحسن بن علي بن خلف البرهاري أبو محمد ، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني ، الدمام : دار ابن القيم ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

٣٤٧	شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش ، دمشق : المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
٣٤٨	شرح السيوطي لسنن النسائي ، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ .
٣٤٩	شرح العقيدة الطحاوية ، : صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي ، الأذري الصالحي ، تحقيق : أحمد شاكر ، الرياض :وزارة الشؤون الإسلامية ، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
٣٥٠	شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٣٩١ هـ .
٣٥١	شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد خليل هراس ، ط 1 ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، 1413 هـ .
٣٥٢	شرح القواعد الفقهية ، أحمد محمد الزرقا ، دمشق : دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
٣٥٣	شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق عاطف صابر شاهين ، القاهرة : دار الغد الجديد ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
٣٥٤	شرح المعلقات السبع ، أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
٣٥٥	شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
٣٥٦	شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح بن عثيمين ، تحقيق : عبد الله الطيار ، الرياض : دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
٣٥٧	شرح سنن أبي داود ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين ، تحقيق : أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
٣٥٨	شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلان البكري القرطبي ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ .
٣٥٩	شرح مشكل الآثار ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .

٣٦٠	شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني المعروف بأبي بكر البيهقي ، الرياض : دار الرشيد ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٦١	صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
٣٦٢	صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٠ هـ .
٣٦٣	صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، القاهرة : دار الشعب ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م
٣٦٤	صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، موسوعة الحديث الشريف ، جمعية المكثر الإسلامي .
٣٦٥	صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
٣٦٦	صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت : المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .
٣٦٧	صحيح السيرة النبوية ، محمد رزق طهوني ، القاهرة : دار ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
٣٦٨	صحيح سنن ابن ماجه ، محمد بن ناصر الألباني ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١ .
٣٦٩	صحيح سنن أبي داود ، محمد بن ناصر الألباني ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١ .
٣٧٠	صحيح سنن الترمذي ، محمد بن ناصر الألباني ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١
٣٧١	صحيح سنن النسائي ، محمد بن ناصر الألباني ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١
٣٧٢	صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، بيروت : دار الجيل.
٣٧٣	صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام ، جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : علي سامي النشار.

٣٧٤	طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت : دار المعرفة .
٣٧٥	طبقات الشافعية الكبرى ، العلامة : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو ، دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
٣٧٦	طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنوي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
٣٧٧	طبقات المفسرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ .
٣٧٨	طريق المهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، الدمام : دار ابن القيم ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
٣٧٩	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، بيروت : دار ابن كثير ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .
٣٨٠	عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، القاهرة : دار السلام ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
٣٨١	عقوق الوالدين ، محمد بن إبراهيم الحمد ، الرياض : دار ابن خزيمة ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ .
٣٨٢	عقيدة أهل السنة والجماعة ، محمد بن صالح العثيمين ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ .
٣٨٣	علم الاجتماع العائلي ، د . عبد الله الخريجي ، القاهرة : دار الثقافة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
٣٨٤	عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني الحنفي ، بيروت : دار الفكر .
٣٨٥	عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان ، فاطمة صالح الجارد ، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .
٣٨٦	عون المعبود شرح سنن أبي داود ، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ .
٣٨٧	غريب القرآن علي حروف المعجم ، الإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، دمشق : دار طلاس ، ١٩٩٣ م .

٣٨٨	فتاوى الحج، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، الدمام: دار القيم، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣٨٩	فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤١١هـ.
٣٩٠	فتاوى رسول الله ﷺ، الدكتور السيد الجميلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.
٣٩١	فتاوى وبيانات حول الدعوة إلى توحيد الأديان، هيئة كبار العلماء، مكة المكرمة: دار الفوائد، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٩٢	فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٣٩٣	فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ، ج ١.
٣٩٤	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
٣٩٥	فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.
٣٩٦	فرحة الأديب، أبو محمد الحسن بن أحمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني
٣٩٧	فضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٩٨	فقه الدعوة الفردية، د. علي عبد الحليم محمود، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٢هـ.
٣٩٩	فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن بن حسن حنبلية، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٧هـ.
٤٠٠	فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم محمود، المنصورة: دار الوفاء، ط٢، ١٤١١هـ.
٤٠١	فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبد الحميد البلالي، الكويت: دار الدعوة، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٤٠٢	فقه السيرة النبوية، منبر محمد الغضبان، مكة : جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
٤٠٣	فن الإرشاد والعلاج النفسي، د. عبد الرحمن محمد العيسوي، بيروت: دار الراتب الجامعية، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٤٠٤	فن الخطابة ، أحمد محمد الحوفي ، القاهرة : دار فمضة مصر ، ط٥ .
٤٠٥	فن نشر الدعوة مكانا و زمانا ، محمد زين الهادي العرماني، الرياض : دار العاصمة ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ.
٤٠٦	فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ، بيروت : دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤١٥ هـ
٤٠٧	قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع والمعاصي ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الجليل : مكتبة قرة عيون الموحدون ، ط١ ، ١٤١١هـ
٤٠٨	قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .
٤٠٩	قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرياض : دار العاصمة ، ط١ ، ١٤١١هـ
٤١٠	قاعدة في اخبة ، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحارثي ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي.
٤١١	قصص الأنبياء ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق : محمد أمد عبد العزيز ، بيروت : دار الكتب العلمية . ط١ ، ١٤٠٥ هـ.
٤١٢	قواطع الأدلة في الأصول ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
٤١٣	قواعد مهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة ، د. هود بن أحمد الرحيلي ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ .
٤١٤	قوت القلوب في معاملة الخبواب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، تحقيق : د.عاصم إبراهيم الكيال ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٤١٥	كتاب الإخلاص ، حسين العوايشة، عمان : المكتبة الإسلامية، ط٦ ، ١٤١٠ هـ .

٤١٦	كتاب التائبين من الملوك والسلاطين ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي ، بيروت : مؤسسة الريان ، ط٣ ، ١٤١٢هـ .
٤١٧	كتاب الجهاد ، الإمام الحافظ المجاهد عبد الله بن المبارك ، حققه: الدكتور نزيه حماد ، جدة : دار المطبوعات الحديثة .
٤١٨	كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، تحقيق : عبد الله محمود محمد عمر، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
٤١٩	كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٨هـ .
٤٢٠	كيف تكون عملياً أكثر ، سامي سلمان ، الرياض : المؤتمن للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٨هـ.
٤٢١	لباب الآداب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، تحقيق : أحمد حسن ليج ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٧هـ
٤٢٢	لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، القاهرة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .
٤٢٣	لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، بيروت : دار صادر ، ط١
٤٢٤	لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية - الهند، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٤٢٥	لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية .
٤٢٦	لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، محمد بن صالح العثيمين ، الإسماعيلية : مكتبة الإمام البخاري ، ط٢ ، ١٤١٢هـ .
٤٢٧	متن (٢٠٠) قصة من ضحايا الحب ، عبد الحميد عابد المسلماني، القاهرة : دار ابن الهيثم ، ط١ ، ١٤٢٨هـ .
٤٢٨	مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات المعاصرة منها ، ناصر عبد الكريم العقل ، الرياض : دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٤٢٩	مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی ، تحقیق : أنور الباز و عامر الجزار ، دار الوفاء ، ط ٣ ، ١٤٢٦ هـ .
٤٣٠	مجموع فتاوى و رسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان ، الرياض : دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
٤٣١	مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله ، بيروت : دار النفائس ، ط ٦ ، ١٤٠٧ هـ .
٤٣٢	مجموعة رسائل ، لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، ط ٤ ، ١٤٢٩ هـ .
٤٣٣	مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع ، محمد بن جميل زينو ، القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، ط ٣ .
٤٣٤	محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ
٤٣٥	مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، عبد العزيز محمد سلمان ، الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط ١٠ ، ١٤٠٣ هـ .
٤٣٦	مختصر سبيل الهدى والرشاد في بيان حقيقة توحيد رب العباد ، الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ، عجمان ، مكتبة الفرقان ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ
٤٣٧	مختصر صحيح البخاري ، أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي ، بيروت : دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
٤٣٨	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ .
٤٣٩	مدخل الفكر الاقتصادي في الإسلام ، سعيد سعد مرطان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ ، ط ١ .
٤٤٠	مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٩ هـ ، ط ٤
٤٤١	مذكرة أصول الفقه ، الشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، بيروت : دار القلم .

٤٤٢	مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحاني المباركفوري، الهند: الجامعة السلفية بنارس، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
٤٤٣	مرويات غزوة بدر، أحمد بن محمد العلمي باوزير، المدينة المنورة: مكتبة طيبة، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
٤٤٤	مرويات غزوة بين المصطلق، إبراهيم بن إبراهيم قريبي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي.
٤٤٥	مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله القفاري، الرياض: دار طيبة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٤٤٦	مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد الحسَن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٤٤٧	مسند البزار (البحر الزخار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، الخقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٤٤٨	مشارك الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
٤٤٩	مُصنّف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة.
٤٥٠	مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طباره، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٧، ١٩٨٩ م.
٤٥١	معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ.
٤٥٢	معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ، ط ١٣.
٤٥٣	معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، الدتور محمد أبو احاسن عضفور، بيروت: دار النهضة العربية، ط ٢، ١٩٨١ م.
٤٥٤	معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الرياض: أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩ هـ.
٤٥٥	معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت: دار الفكر.

٤٥٦	معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .
٤٥٧	معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، المدينة المنورة : مكتبة الدار ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
٤٥٨	مقارنة الأديان، محمد شلي شتيوي. الكويت : مكتبة الفلاح ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
٤٥٩	مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : سيد عمران وعلي محمد علي ، القاهرة : دار الحديث ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ .
٤٦٠	مقارنة الأديان ، أحمد شلي ، القاهرة : مكتبة النهضة الإسلامية ، ط ٨ ، ١٩٨٦ م
٤٦١	مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، المعروف بابن خلدون ، بيروت : دار القلم ، ط ٥ ، ١٩٨٤ م .
٤٦٢	مقدمة في أصول التفسير ، أحمد بن تيمية ، القاهرة : دار الجيل للطباعة.
٤٦٣	مكارم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة . سليم الهلالي ، الدمام : درا ابن القيم . ط ٢ ، ١٤١٢هـ . ،
٤٦٤	مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ، أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر السامري الخرائطي ، تحقيق : د. عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري ، الناشر : مكتبة الرشد.
٤٦٥	من ركائز الدعوة ، د. مجدي الهلالي ، طنطا : دار البشير ، ١٤١١هـ .
٤٦٦	من قضايا الفكر في وسائل الإعلام ، عثمان بن ناصر الصالح ، ط ١ .
٤٦٧	مناهج الدعوة وأساليبها ، د. علي جريشة ، المنصورة : دار الوفاء ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٤٦٨	مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، بيروت : دار الكتب العلمية
٤٦٩	منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .

٤٧٠	منهاج المسلم ، أبو بكر جابر الجزائري ، جدة : دار الشروق ، ١٤٠٧ هـ ، ط ٧
٤٧١	منهاج تربية الطفل المسلم من توجيهات القرآن الكريم ، محمد إبراهيم سليم ، القاهرة : مكتبة القرآن .
٤٧٢	منهج الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين في الدعوة : جمع وترتيب : أيمن الصاوي ، مصر (مسنود) : دار ابن عباس ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م.
٤٧٣	منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه ، الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، السعودية : مكتبة الكوثر ، ١٤٠٢ هـ .
٤٧٤	منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله ، عبد الله بن صالح المعتاز ، الرياض : دار السلام ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
٤٧٥	منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ، عابد بن محمد السفياني ، ١٤١٣ هـ ، ط ١ .
٤٧٦	منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ، هشام إسماعيل الصيني ، المنتدى الإسلامي بلندن ، ١٤١٢ هـ .
٤٧٧	موارد الظمان لدروس الزمان ، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلطان ، ط ٣٠ ، ١٤٢٤ هـ .
٤٧٨	موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله ، تحقيق: الدكتور محمد مهدي المسلمي و أشرف منصور عبد الرحمن وعصام عبد الهادي محمود و أحمد عبد الرزاق عيد وأيمن إبراهيم الزامل و محمود محمد خليل ، ط ١ ، بيروت : عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م .
٤٧٩	موطأ الإمام مالك ، عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، بيروت : دار القلم .
٤٨٠	موقف الإسلام من الإرهاب وجهود المملكة العربية السعودية في معالجته ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي . الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .
٤٨١	ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود .
٤٨٢	نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، الدكتور مصطفى سعيد الحن وآخرون ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ .
٤٨٣	نصاب الاحتساب ، عمر بن محمد السنامي ، تحقيق : مريزن بن سعيد بن مريزن عسيري ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

٤٨٤	نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، جدة : دار الوسيلة للنشر والتوزيع .
٤٨٥	نظرات في واقع الدعوة والدعاة، مصطفى محمد الطحان ، الكويت : دار الوثائق ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
٤٨٦	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي.
٤٨٧	نهاية الاغتياب بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، دراسة وتحقيق لكتاب الاغتياب بمن رمي بالاختلاط لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي ، علاء الدين علي رضا. القاهرة : دار الحديث ط ١ ، ١٩٨٨ م .
٤٨٨	نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، بيروت : دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
٤٨٩	هؤلاء يحبهم الله، حامد أحمد الطاهر ، القاهرة : دار الفجر للتراث ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .
٤٩٠	هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ .
٤٩١	هذا الحبيب يا محب ، أبو بكر جابر الجزائري، جدة : مكتبة السوادى ، ط ٤ ، ١٤١٠ هـ .
٤٩٢	هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه، د. محمد السيد الوكيل ، المنصورة : دار الوفاء ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
٤٩٣	هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٤ ، ١٩٨٤ م .
٤٩٤	وجادهم بالتي هي أحسن ، بندر بن نايف العتيبي ، الرياض : مطابع الحميضي ، ط ٤ ، ١٤٢٦ هـ .
٤٩٥	وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، بيروت : دار الكتاب العربي
٤٩٦	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .

ثانيا	الرسائل الجامعية :
٤٩٧	آثار الغلو على الدعوة في العصر الحديث ، (دكتوراه) إعداد الطالب : إبراهيم بن حمد بن حافظ الخليفة ، إشراف الدكتور : حمود بن أحمد الرحيلي ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٧هـ .
٤٩٨	التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ، (ماجستير) إعداد الطالب : صالح عبد الرحمن الدخيل ، إشراف الدكتور : غالب علي العواجي ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤١٤هـ .
٤٩٩	حكم التشريع الإسلامي ، (دكتوراه) إعداد الطالب : سعد رجاء فريج العوفي ، إشراف الدكتور : محمد سعد بن أحمد اليوبي ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٣٠هـ .
٥٠٠	خصائص الدعوة والدعاة في هدي الكتاب والسنة ، (دكتوراه) إعداد الطالب : عبد الرحمن أبو بكر جابر ، إشراف الدكتور : عبد الله أحمد قادري ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٧هـ .
٥٠١	دور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام ، (دكتوراه) عبد الحكيم عبد السلام ، إشراف الدكتور : حمود أحمد الرحيلي ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤١٧هـ .
٥٠٢	الصفات الأساسية للدعاة المسلم ، (ماجستير) إعداد الطالب : أحمد محمد العدناني ، إشراف الشيخ محمد الغزالي ، جده : جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٨هـ .
٥٠٣	المسائل الفقهية التي لم يختلف فيها قول الإمام أحمد ، (ماجستير) إعداد الطالب : إبراهيم جالو محمد ، إشراف الدكتور : عبد المحسن بن محمد النيف ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤١٨هـ .
٥٠٤	مسؤولية الأسرة المسلمة في تحقيق التربية الوقائية ، (ماجستير) إعداد الطالب : عبد الرحمن عيسى عبد الكريم ، إشراف الدكتور : عبد الرحمن رجاء الله الأحمد ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٩هـ .
٥٠٥	مسؤولية التربية في تحقيق المواطنة الصالحة في المجتمع السعودي ، (ماجستير) إعداد الطالب : محمد جزاء العياضي الحربي ، إشراف الدكتور : عبد الرحمن رجاء الله الأحمد ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٣١هـ .
٥٠٦	منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله ، (دكتوراه) ، إعداد الطالب : إبراهيم محمد عبد الله الجنيدلي ، إشراف الدكتور : فتح الرحمن عمر محمد . المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية .

٥٠٧	منهج التربية الإسلامية في تحقيق الاطمئنان النفسي ، (ماجستير)، إعداد الطالب : صالح سالم العمري ، إشراف الدكتور :محمد يوسف أحمد عفيفي . المدينة المنورة :الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥هـ .
٥٠٨	منهج السلف في الوعظ (ماجستير) إعداد الطالب: بن صفية سليمان ،إشراف الدكتور : همود بن أحمد الرحيلي ، المدينة المنورة :الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٦هـ .
٥٠٩	منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة ،(دكتوراه) ، إعداد الطالب :فلاح بن ثاني السعيد ، إشراف الدكتور :أحمد سعد الغامدي ، المدينة المنورة :الجامعة الإسلامية، ١٤١١هـ .
٥١٠	نظام الحسية في الإسلام (ماجستير) إعداد الطالب : عبد العزيز محمد مرشد ، إشراف الدكتور:عبد العال أحمد عطوه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٢هـ .
ثالثا	الدوريات :
٥١١	مجلة التوحيد ، القاهرة ، العدد: ٣، ربيع الأول ، ١٤١٣ هـ .
٥١٢	مجلة التوحيد ، القاهرة ، العدد : ٦ ، جمادى الثانية ، ١٤١٣ هـ.
٥١٣	مجلة البحوث الإسلامية ،الرياض ، العدد: ١٩، ١٤٠٧ هـ .
٥١٤	مجلة البيان ، لندن :المنتدى الإسلامي، العدد : ٥٤ ، صفر ، ١٤١٣ هـ .
٥١٥	مجلة البيان ، لندن : المنتدى الإسلامي، العدد: ٢٢١. ذو القعدة ١٤٢٦هـ .
٥١٦	مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، العدد : ١ ، ربيع أول ، ١٣٨٨ هـ .
٥١٧	مجلة الجامعة الإسلامية ،المدينة المنورة ، العدد : ١٣٥ ، السنة : ٣٩ ، ١٤٢٧ هـ.
٥١٨	مجلة الجندي المسلم ، الرياض: القوات المسلحة السعودية، العدد : ٤٤ ، جمادى الآخرة ، ١٤٠٧ هـ .
٥١٩	مجلة الجندي المسلم ، الرياض :القوات المسلحة السعودية، العدد : ٤٨ ، جمادى الآخرة ، ١٤٠٨ هـ.

٥٢٠	مجلة الخدمة المدنية، الرياض، العدد: ٢٠٤، صفر، ١٤١٦ هـ.
٥٢١	مجلة الدعوة، الرياض، العدد: ١٤٤٨، محرم، ١٤١٥ هـ.
٥٢٢	مجلة الدفاع، الرياض: القوات المسلحة السعودية، العدد: ٦٧، السنة: ٢٥، ١٤٠٧ هـ.
٥٢٣	مجلة الرابطة، العدد: ٤٧٧، صفر، ١٤٢٧ هـ.
٥٢٤	مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد: ٣٤، ذو الحجة، ١٤١٨ هـ.
٥٢٥	مجلة القافلة، الظهران، العدد: ٩، رمضان، ١٤١٤ هـ.
٥٢٦	مجلة القافلة، الظهران، العدد: ٤، ربيع الآخر، ١٤١٦ هـ.
٥٢٧	مجلة المجتمع، الكويت، لعدد: ٩٢٢، ٢٤ ذو القعدة، ١٤٠٩ هـ.
٥٢٨	مجلة المجتمع، الكويت ٢٦ جمادى الآخرة، العدد: ٩٥١، ١٤١٠ هـ.
٥٢٩	مجلة المجتمع، الكويت، العدد: ٩٨٣، ١ رجب، ١٤١٢ هـ.
٥٣٠	مجلة المعرفة، الرياض: العدد: ١١٤، رمضان، ١٤٢٥ هـ.
٥٣١	جريدة (صحيفة) المدينة المنورة، العدد رقم: ١٧٧٢٣ تاريخ: ١٢/٥/١٤٣٢ هـ = ١ نوفمبر ٢٠٠١ م.
رابعاً	التقارير:
٥٣٢	تقرير انجازات الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية للأعوام (١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ).
٥٣٣	التقرير السنوي للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة لعام ١٤١٣ هـ.
٥٣٤	التقرير السنوي للجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية بالمدينة المنورة، ١٤١٥ هـ.

٥٣٥	دليل الكتب (الكتب العربية) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .عمادة شؤون المكتبات، ١٤١٢هـ .
خامسا	المواقع والمكتبات الحاسوبية :
٥٣٦	جمعية المكثر الإسلامي
٥٣٧	المكتبة الشاملة
٥٣٨	موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة



ثامنا : فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد: ركائز الحجة في الشريعة	١١
الباب الأول	
مفهوم المحبة في مصادر الدعوة	
تمهيد	٢٨
الفصل الأول: مفهوم المحبة	
المبحث الأول: تعريف المحبة وفضائلها	٣١
المطلب الأول: تعريف المحبة	٣١
المطلب الثاني: فضائل المحبة	٤٥
المبحث الثاني: أنواع المحبة وأحكامها	٦٧
المطلب الأول: أنواع المحبة	٦٧
المطلب الثاني: أحكام المحبة	١١٠
الفصل الثاني: وصف المحبة في الكتاب والسنة وتأثيرها في العلاقات	
المبحث الأول: وصف محاب الله ومساخطه	١٢٢
المطلب الأول: محاب الله	١٢٥
المطلب الثاني: مساخط الله	٢٦٤
المبحث الثاني: تأثير المحبة في العلاقات	٣١٤
المطلب الأول: الصلات الحميدة	٣١٦
المطلب الثاني: الصلات الذميمة	٣٤٧
الفصل الثالث: موجبات محبة الله في القرآن والسنة النبوية	
المبحث الأول: تحقيق التوحيد	٣٧٦
المطلب الأول: أقسام التوحيد	٣٨٢
المطلب الثاني: الولاء و البراء	٣٩٢
المبحث الثاني: الفرائض والنوافل	٤٠٧
المطلب الأول: الفرائض	٤٠٩
المطلب الثاني: النوافل	٤٣٩

الباب الثاني

أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب والسنة

تمهيد ٤٧١

الفصل الأول: أثر المحبة في الداعية والمدعو

المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية ٤٨٠
المطلب الأول : الصفات ٤٨١
المطلب الثاني: العلاقات ٥٢٧
المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو ٥٦٥
المطلب الأول: طلب الهداية ٥٦٥
المطلب الثاني: عوائق الاستجابة ٥٨٨

الفصل الثاني: أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة

تمهيد ٦١١
المبحث الأول: أثر المحبة في أساليب الدعوة ٦١٤
المطلب الأول: الحكمة والموعظة الحسنة ٦١٦
المطلب الثاني: الجدال والجهاد ٦٥٠
المبحث الثاني: أثر المحبة في وسائل الدعوة ٦٨٧
المطلب الأول: الوسائل المعنوية ٦٩٠
المطلب الثاني: الوسائل المادية ٧٠٦

الفصل الثالث: أثر المحبة في مجالات الدعوة

تمهيد ٧٢٢
المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة والعبادات ٧٢٥
المطلب الأول: العقيدة ٧٢٥
المطلب الثاني: العبادات ٧٦٦
المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق والمعاملات ٨٢٠
المطلب الأول: الأخلاق ٨٢٠
المطلب الثاني: المعاملات ٨٤٥

الباب الثالث

دور الدعاة في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

تمهيد ٨٥٩

الفصل الأول: دور الدعاة الإنمائي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري ٨٦٦
المطلب الأول: العلاقات الفردية ٨٦٦
المطلب الثاني: العلاقات الأسرية ٨٧٢
المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي ٨٨٠
المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية ٨٨٠
المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم) ٨٨٥

الفصل الثاني: دور الدعاة العلاجي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري ٨٩٥
المطلب الأول: العلاقات الفردية ٨٩٥
المطلب الثاني: العلاقات الأسرية ٩٠١
المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي ٩١٤
المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية ٩١٤
المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم) ٩١٩

الفصل الثالث: دور الدعاة الوقائي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري ٩٣١
المطلب الأول: العلاقات الفردية ٩٣١
المطلب الثاني: العلاقات الأسرية ٩٣٧
المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي ٩٤٥
المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية ٩٤٥
المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم) ٩٥٢
نتائج الدراسة ٩٦١
الخاتمة ١٠٢٢

١٠٢٤	الملاحق والفهارس :
١٠٢٥	الملاحق
١٠٣١	الفهارس
١٠٣٢	١- فهرس الآيات
١٠٦٩	٢- فهرس الأحاديث والآثار
١١٢٤	٣- فهرس الأعلام
١١٣٢	٤- فهرس الأماكن والبلدان والقبائل والفرق
١١٣٥	٥- فهرس الأشعار
١١٤٠	٦- فهرس الألفاظ الغريبة
١١٤٥	٧- فهرس المصادر والمراجع
١١٨٥	٨- فهرس الموضوعات